



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic Of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry Of Higher Education and Scientific Research

جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله
Algiers 2 University - Abou EL Kacem Saâdallah



Faculty of Social Sciences
Departement of Sociology

كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع

الهوية الوطنية الجزائرية في عصر العولمة

دراسة سوسيوقulturale لمجتمع الشبكات - موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك نموذجاً -

The Algerian national identity in the age of globalization

A sociocultural study of the network society –The social networking site Facebook as a model–

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في علم الاجتماع.
تخصص: علم الاجتماع الثقافي.

إشراف الأستاذة:
صوراية رمضاني

إعداد الطالبة:
حفيدة ضربان

لجنة المناقشة

أحمد رميتة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
صوراية رمضاني	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مشرفا ومقررا
عائشة بن صافية	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
سباح عوايحية	أستاذة محاضرة - أ -	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
دروش فضيلة فاطمة	أستاذة التعليم العالي	المركز الجامعي تيبازة	عضوا مناقشا
خيرة بن زيان	أستاذة محاضرة - أ -	جامعة وهران 2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2023 – 2024.

وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

"إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده "لو عَيَّرَ هذا لكان أحسن،
ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل. وهذا
أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني كاتباً للعماد الأصفهاني | كتاب الأغاني.

كلمةُ شكرٍ وعِرفانٍ

أتقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان للأستاذة المشرفة أ.د. "سورابة رمضان" لمرافقتها لي وتوجيهها إياي.

كما أشكر للأستاذ الدكتور "أحمد رميتة" مرافقته في خوض هذه الرحلة العلمية، رفقة الأستاذة "سماح عوليجية".

أتقدم كذلك بوافر الشكر إلى كل من لم يبخل عليّ بالعين والنصح والتوجيه من أساتذة جامعة الجزائر²، أخص بالذكر الأستاذة "حياة مراح" والأستاذ "عن الدين العمري" اللذان غمراني بكل الدعم العلمي والمعنوي.

والشكر الجزيل للمبحوثين الذين لولا فقراتهم على شاشات هواتفهم ولوحات مفاتيح حواسيبهم لما اكتملت هذه الأشرطة.

إهداء

إلى عائلتي؛ **بن ناعة** السَّلامية **وضربان** الحُمَرية.

الذين توكَّأت عليهم مذ ولدت

ولولاهم لما كُنت أنا ولا كانت الأُصروحة.

إلى الأصدقاء والزُملاء من جامعة الجزائر 2 وخارجها.

إلى كل من ساندني منذ بداية الصَّريق،

وشد عضدي في الرِّخاء وفي الضيق.

أهدي هذا العمل

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة بشكل أساسي إلى محاولة الكشف عن حالة الهوية الوطنية الجزائرية في عصر العولمة، وذلك بقياس وتفسير علاقة التأثير بينهما عبر واحدة من أهم أدوات العولمة المعاصر؛ وهي الإنترنت؛ وكذا التحقق من التصور النمطي المعطى للعلاقة بينهما، إضافة إلى الكشف عن رد الفعل المضاد الذي تقوم به الهويات الوطنية بمختلف أبعادها تجاه الموجات العولمية، خاصة في ظل مجتمع الشبكات والهويات التي تتأسس عبره؛ أين تعمل مواقع التواصل الاجتماعي وتحديدًا موقع فيسبوك كفضاء لتظهر علاقة بين الهوية الوطنية والعولمة، على خلق ممارسات تتجاوز الزمان والمسافة المادية والحدود الثقافية.

استُخدم في الدراسة المنهج الكمي كمنهج رئيس غالب عليها وضمنه تم استخدام الاستمارة كأداة جمع بيانات رئيسة، إلى جانب المنهج الكيفي كمنهج مدعم والمقابلة ضمنه كأداة مدعمة لجمع البيانات، أما العينة فقد سحبت بطريقة غير احتمالية من مجتمع بحثٍ مفرداته هم مستخدمو موقع فيسبوك الجزائريين، وذلك باعتماد المعاينة القصدية في الخطوة الكمية، والاعتماد على المعاينة النمطية في الخطوة الكيفية.

خلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن الهوية الوطنية الجزائرية بأبعادها الدينية، اللغوية والوطنية تتأثر بصفة مشروطة بالعولمة وتداعياتها التي تُفرض عليها عبر موقع فيسبوك، باعتباره أداة معاصرة لها وكفضاء تحاول الشبكة والتفاعلات ضمنها أن تحل محل الهوية الفعلية. وهي الأداة نفسها التي توفر فضاء لمقاومة العولمة بإبداء ردود أفعال دفاعية تعيد مستخدمي فيسبوك إلى هويتهم الوطنية.

الكلمات المفتاحية: الهوية الوطنية؛ الهوية الافتراضية؛ العولمة؛ مجتمع الشبكات؛ مواقع التواصل الاجتماعي؛ فيسبوك.

Abstract:

This study's primary goal is to investigate the status of Algerian National Identity in the age of Globalization, assess its effect using one of contemporary globalization's important tools; internet, as well as to ascertain the stereotypical perception of this relationship. Furthermore, it aims to expose the counter-reactions of the national identities towards these globalized waves, especially in the network society context and identities established across it; where social media, specifically Facebook, act as a space to demonstrate a relationship between national identity and globalization creating practices that go beyond time, physical distance and cultural boundaries

The study is manipulated through a quantitative method as a primary one; using questionnaires (surveys) as a key data collection tool, along with the qualitative method as a supported one using interviews. As for the sample, it was withdrawn improbably (non-probabilistic) from a search community whose members were Algerian Facebook users, by adopting Intentional sampling in the quantitative step, and the targeted sampling in the qualitative step.

The results indicate that the Algerian national identity, with its religious, linguistic, and national (patriotic) dimensions, is conditionally influenced by globalization and the repercussions imposed on it through Facebook, as it is a contemporary tool for it; and a space in which the network and interactions within it attempt to replace the actual identity; as well as a space to resist globalization by expressing a defensive responses and actions that return Facebook users to their national identity.

Keywords: National Identity; Virtual identity; Globalization; Network society; Social Media; Facebook.

فهرس المحتويات

	الشكر والتقدير
	الإهداء
	ملخص الدراسة
	فهارس الدراسة
١	مقدمة
	الإطار المنهجي للدراسة
	تمهيد.
08	أولاً: إشكالية الدراسة.
13	ثانياً: فرضيات الدراسة.
14	ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع.
14	1. الأسباب الذاتية.
14	2. الأسباب الموضوعية.
15	رابعاً: أهمية الدراسة وأهدافها.
15	1. أهمية الدراسة.
15	2. أهداف الدراسة.
16	خامساً: تحديد مفاهيم الدراسة.
26	سادساً: التحديد الإجرائي للمفاهيم الأساسية للدراسة.
27	سابعاً: منهج الدراسة وأدواتها.
27	1. منهج الدراسة.
29	2. أدوات الدراسة.
31	ثامناً: مجتمع البحث وطرق إجراء المعاينة.
31	1. مجتمع البحث.
31	2. طرق إجراء المعاينة.
33	تاسعاً: الأساليب الإحصائية والتحليلية المستخدمة في الدراسة.
34	عاشراً: مجالات الدراسة.
34	1. المجال البشري.
34	2. المجال المكاني.
34	3. المجال الزمني.
34	حادي عشر: الأدبيات ذات الصلة بموضوع الدراسة.
34	1. عرض الدراسات السابقة.
49	2. أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة.
49	3. ما هي الرهانات البحثية للأطروحة الحالية مقابل الدراسات السابقة ؟
49	ثاني عشر: المقاربة السوسيولوجية للدراسة.
	خلاصة.

الإطار النظري للدراسة

الفصل الأول: العولمة وسياقاتها التاريخية والسوسيو معرفية.

تمهيد.

57	المبحث الأول: العولمة في التراث السوسيو معرفي.
57	المطلب الأول: ماهية العولمة.
57	. أصل مفهوم العولمة.
58	. تعريف العولمة.
60	. مظاهر العولمة المعاصرة.
61	المطلب الثاني: العولمة وارتباطاتها المفاهيمية.
61	. العالمية والشمولية والكونية.
64	. الحداثة وما بعد الحداثة.
68	المطلب الثالث: التناول السوسيو-أنثروبولوجي للعولمة.
68	. العولمة من وجهة نظر سوسولوجية.
80	. العولمة من وجهة نظر أنثروبولوجية.
83	المبحث الثاني: أبعاد العولمة وسياقاتها التاريخية.
83	المطلب الأول: أبعاد العولمة.
83	. العولمة بوصفها ظاهرة اقتصادية.
85	. العولمة بوصفها ظاهرة سياسية.
88	. العولمة بوصفها ظاهرة ثقافية.
90	المطلب الثاني: كرونولوجية العولمة وتاريخ وقائعها.
91	. العولمة ما قبل الحديثة (من الحضارات البكرة إلى 1500).
92	. المرحلة الحديثة من العولمة (من 1500 إلى 1945).
93	. المرحلة المعاصرة من العولمة (من 1945 إلى الآن).
94	المطلب الثالث: أطروحات العولمة ونهجها.
94	. الأطروحة الأولى: المعولون الأوائل.
95	. الأطروحة الثانية: المتشككون.
97	. الأطروحة الثالثة: التحويليون.

خلاصة.

الفصل الثاني: الهوية في عالم العولمة: بين قومية الثقافات وكونيتها.

تمهيد.

103	المبحث الأول: بين الثقافتين القومية والكونية.

103	المطلب الأول: العولمة والثقافة القومية.
103	. في مفاهيم: الأمة، القومية، والثقافة القومية.
108	. خطابات القومية: الهوية؛ الزمان والمكان.
109	. استمرار الثقافات القومية في عصر العولمة.
110	. أثر التدفق الثقافي الكوني على الثقافات القومية.
113	المطلب الثاني: العولمة والثقافة الكونية.
113	. مساءلة الثقافة الكونية.
115	. انتشار الثقافات الهجينة: التثاقف، الكروبولية وثقافة الأفضية الثالثة.
119	المطلب الثالث: عولمة المعلومات والتواصل الكوني.
120	. وجهات النظر حول دور المعلومات في التواصل الكوني.
124	. الإنترنت والعودة إلى الحدود القومية.
127	المبحث الثاني: أطروحة المجتمع الشبكي: الهوية في ظل الاتصال العابر للثقافات.
127	المطلب الأول: مفهوم المجتمع الشبكي.
128	. في معنى الشبكة.
130	. المجتمع الشبكي.
130	. خصائص المجتمع الشبكي.
132	المطلب الثاني: التنظير لعلاقة التقنية بالمجتمع.
132	. من التقانة الشبكية إلى المجتمع الشبكي.
135	. المقاربات النظرية لعلاقة التقانة بالمجتمع.
139	المطلب الثالث: الهوية الشبكية.
139	. تعريف الهوية الشبكية.
140	. أشكال الهوية عند مانويل كاستلز.
141	. الهوية، القومية والعولمة عند مانويل كاستلز.

خلاصة.

الفصل الثالث: الهوية، والهوية الوطنية الجزائرية.

تمهيد.

148	المبحث الأول: الإحاطة النظرية بمفهوم الهوية.
148	المطلب الأول: في ماهية الهوية والمفاهيم المرتبطة بها.
148	. التأصيل اللغوي لمفهوم الهوية.
150	. أطر الهوية: ذاكرة الزمان، ذاكرة المكان.
152	. فئات العناصر الخاصة بالهوية.

153	المطلب الثاني: الهوية في التراث المعرفي: مداخل فهم الهوية.
153	. المدخل الفلسفي. الهوية من وجهة نظر فلسفية.
155	. المدخل النفسي: الهوية من وجهة نظر سيكولوجية.
157	. المدخل الإنساني: الهوية من وجهة نظر أنثروبولوجية.
167	. المدخل الاجتماعي: الهوية من وجهة نظر سوسيولوجية.
169	المطلب الثالث: الهوية في عصر الإنترنت: ميلاد الهويات الافتراضية.
170	. الهوية الافتراضية: اختراع المفهوم.
173	. أشكال الهوية في الحياة الافتراضية.
175	المبحث الثاني: الهوية الوطنية الجزائرية.
175	المطلب الأول: تشكل الهويات الوطنية: من الهويات الذاتية إلى الهويات الوطنية.
176	. من الهوية الذاتية إلى الهويات الوسطى.
178	. من الهويات الوسطى إلى الهوية الوطنية.
180	. تصنيفات الهوية الوطنية في عصر العولمة.
181	. مقارنة الهوية الوطنية نظريا.
183	المطلب الثاني: الهوية الوطنية الجزائرية في الدراسات السوسيوثقافية.
183	. مولود قاسم نايت بلقاسم 1975: الإثنية والأصالة.
185	. محمد العربي ولد خليفة 2016: الهوية كمسألة وطنية.
187	. ناصر الدين سعيدوني: الهوية كمحدد للمسألة الثقافية في الجزائر.
190	. عبد الغني مغربي: الثقافة والشخصية الجزائرية.
191	. علي الكنز: الهوية الجزائرية وقضاياها.
192	المطلب الثالث: مرجعيات الهوية الوطنية الجزائرية.
193	. الدين الإسلامي كمرجعية للهوية الوطنية الجزائرية.
198	. اللغة الوطنية كمرجعية للهوية الوطنية الجزائرية.
203	. الوطنية كمرجعية للهوية الوطنية الجزائرية.

خلاصة.

الإطار الميداني للدراسة

الفصل الرابع: التعريف بميدان وعينة الدراسة.

تمهيد.

211	المبحث الأول: التعريف بموقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك".
211	المطلب الأول: موقع "فيسبوك": تأسيسه، ديموغرافيته، وآثاره.
211	. تأسيس موقع فيسبوك: من كتاب الوجوه إلى الميتافيرس.

214	. الآثار الاجتماعية لاستخدام موقع فيسبوك.
216	. ديموغرافيات مستخدمي موقع فيسبوك.
220	المطلب الثاني: تقنيات عرض الهوية الافتراضية عبر موقع "فيسبوك".
220	. الاسم على فيسبوك.
221	. الصورة الشخصية.
221	. المعلومات الأساسية.
221	. الأصدقاء، العائلة والحالة العائلية.
221	. الفلسفة والتوجهات.
222	. الفنون والهوايات والاهتمامات.
222	المطلب الثالث: حالة موقع فيسبوك في الجزائر.
222	. الحالة الرقمية في الجزائر.
224	. ديموغرافية موقع فيسبوك الجزائري.
225	المبحث الثاني: التعريف بعينة الدراسة.
226	المطلب الأول: عرض ومناقشة بيانات الهوية الشخصية لعينة الدراسة.
241	المطلب الثاني: عرض ومناقشة بيانات الهوية الافتراضية لعينة الدراسة على موقع فيسبوك.
241	. أنماط وسلوكيات استخدام مفردات عينة البحث لموقع فيسبوك.
249	. بيانات الهوية لمفردات عينة البحث على موقع فيسبوك: الصورة، الاسم، البيانات الشخصية.
256	. هوية مفردات عينة البحث بين الافتراضي والفعلي.
خلاصة.	
الفصل الخامس: مرجعية الدين عبر موقع فيسبوك (تحليل ومناقشة بيانات الفرضية الأولى).	
تمهيد.	
267	المبحث الأول: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: القيم الدينية.
268	المطلب الأول: تدنّي المبحوثين من خلال مدى التزامهم بالقيم الدينية في تفاعلها مع موقع فيسبوك.
279	المطلب الثاني: مدى مقاومة المبحوثين للمد العولمي الديني عبر موقع فيسبوك.
283	المطلب الثالث: مدى تأثير المبحوثين بالمد العولمي الديني عبر موقع فيسبوك.
290	المبحث الثاني: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: التدفق الكوني للأديان وطقوسها الاحتفالية.
290	المطلب الأول: موقع فيسبوك ك مسرح لعرض الهوية الدينية.
295	المطلب الثاني: العولمة الدينية من الداخل إلى الخارج.
298	المطلب الثالث: العولمة الدينية من الخارج إلى الداخل.
خلاصة.	

الفصل السادس: مرجعية اللغة عبر موقع فيسبوك (تحليل ومناقشة بيانات الفرضية الثانية).

تمهيد.

311	المبحث الأول: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: الواقع اللغوي في الجزائر عبر فيسبوك.
311	المطلب الأول: الوضعية اللغوية للمبشرين بين اللغات الوطنية واللغات العالمية من خلال فيسبوك.
321	المطلب الثاني: موقع فيسبوك كفضاء لمتطهر الواقع اللغوي الوطني للمبشرين.
331	المبحث الثاني: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: العولمة اللغوية واختراع اللغات الجديدة عبر فيسبوك.
331	المطلب الأول: تبديل الرموز كممارسة لغوية اتصالية لدى المبشرين: التبديل بين اللغات.
339	المطلب الثاني: استخدام الرموز، المصطلحات والميمات كممارسة لغوية اتصالية لدى المبشرين.
349	المطلب الثالث: اختراع المبشرين للغة جزائرية فيسبوكية قائمة على التشفير وفك التشفير.

خلاصة.

الفصل السابع: مرجعية الوطنية الجزائرية عبر موقع فيسبوك (تحليل ومناقشة بيانات الفرضية الثالثة).

تمهيد.

358	المبحث الأول: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: موقع فيسبوك كفضاء احتفائي بالانتماء الوطني.
358	المطلب الأول: مدى التفاعل مع المناسبات والأعياد الوطنية المرتبطة بتاريخ الجزائر.
362	المطلب الثاني: العوامل المؤثرة على التفاعل الفيسبوكي مع المناسبات الوطنية الجزائرية.
380	المبحث الثاني: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: تدفق السمات الثقافية الكونية عبر فيسبوك.
381	المطلب الأول: استراتيجيات تمثيل الانتماء الوطني وسرد الثقافة الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك.
386	المطلب الثاني: فيسبوك كأداة لصناعة التراث والترويج للخصوصيات الثقافية الجزائرية.
392	المطلب الثالث: فيسبوك كأداة لإضفاء السمات الثقافية العالمية على الخصوصيات الثقافية الجزائرية.

خلاصة.

401	نتائج الدراسة.
401	1. نتائج الدراسة في ضوء المقاربة السوسولوجية.
404	2. نتائج الدراسة في ضوء الفرضيات.
413	خاتمة.
416	قائمة المصادر والمراجع.
	قائمة الملاحق.

فهرس الجدول

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
01	نمذج العملة الثلاثة.	98
02	توزيع مستخدمي موقع فيسبوك النشطين حسب المنطقة الجغرافية.	217
03	حالة الرقمنة في الجزائر نهاية 2020.	223
04	فئات الأجيال X، Y و Z.	229
05	تقسيم الأقاليم الجزائرية.	237
06	العلاقة بين متغير السن والوقت الذي يقضيه المبحوثون في استخدام فيسبوك.	241
07	آراء المبحوثين حول إيجابيات موقع فيسبوك.	246
08	آراء المبحوثين حول سلبيات موقع فيسبوك.	247
09	العلاقة بين متغير الجنس واستخدام المبحوثين لأسماهم الحقيقية على فيسبوك.	249
10	العلاقة ما بين متغير الجنس واستخدام المبحوثين لصورهم الحقيقية على فيسبوك.	252
11	مدى إظهار المبحوثين لبياناتهم الشخصية عبر صفحاتهم على موقع فيسبوك.	255
12	العلاقة بين سنة الانضمام إلى فيسبوك وعدد الحسابات التي يملكها المبحوثون عبره.	256
13	العلاقة بين متغير عدد حسابات المبحوثين على موقع فيسبوك وإتاحتهم لظهور منشوراتهم.	259
14	العلاقة بين تبرير المبحوثين لتعدد حساباتهم عبر فيسبوك وبين اعتبارهم لهويتهم الافتراضية امتدادا لهويتهم الفعلية.	261
15	إجابة بعض المبحوثين عن المدى الذي يعتبرون به موقع فيسبوك جزءاً من هوياتهم الفعلية.	262
16	تقييم المبحوثين لمدى التزامهم بالتعاليم الدينية الإسلامية (أداء الفرائض والالتزام بالقيم).	269
17	علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين بتقييمهم لمدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية.	271
18	علاقة جنس المبحوثين بمدى اطلاعهم على المضامين اللاأخلاقية عبر موقع فيسبوك.	273
19	علاقة مكان إقامة المبحوثين بمدى اعتبارهم لموقع فيسبوك كمصدر للثقافة الإسلامية.	275
20	آراء المبحوثين حول أدوار موقع فيسبوك السلبية والإيجابية تجاه البعد الديني للمستخدمين.	276
21	علاقة متابعة المبحوثين للشبكات الدينية عبر فيسبوك بتقييمهم لمدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية.	280
22	تقييم المبحوثين لمدى التزامهم بالقيم الأخلاقية الدينية بزيارتهم للمواقع أو الصفحات التبشيرية.	281
23	علاقة تأثر المبحوثين بانتقال سمات ثقافية عالمية عبر فيسبوك بمدى اطلاعهم على المضامين اللاأخلاقية عبره.	283
24	علاقة فترة انضمام المبحوثين لموقع فيسبوك بتلقيهم إشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى من طرفه.	285
25	علاقة عدد الحسابات التي يملكها المبحوثون بمدى اطلاعهم على المضامين اللاأخلاقية عبر فيسبوك.	286
26	آراء المبحوثين حول اعتبار موقع فيسبوك مسرحاً لعرض الهوية الدينية.	291

27	علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين باهتمامهم بنشر معلومات تتعلق بالمناسبة الدينية.	295
28	علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين بحظرهم للمواقع أو الصفحات التبشيرية.	297
29	علاقة تلقي إشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى بامتلاك المبحوثين لأصدقاء من غير الدين الإسلامي.	299
30	علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الفرنسية عبر موقع فيسبوك بامتلاكهم لأصدقاء من غير الدين الإسلامي.	301
31	علاقة استخدام المبحوثين للغة الإنجليزية في الحياة اليومية على موقع فيسبوك بتلقيهم لإشعارات تدعو لأديان أخرى من طرفه.	303
32	علاقة اللغة التي يستخدمها المبحوثون في الحياة الفعلية باللغة التي يستخدمونها عبر موقع فيسبوك.	315
33	علاقة تمكن المبحوثين من تحدث البربرية بدخولهم في جدال عبر فيسبوك حول اللغتين العربية والبربرية.	322
34	علاقة فترة انضمام المبحوثين إلى موقع فيسبوك بدخولهم في جدال عبر فيسبوك حول اللغتين العربية والبربرية.	323
35	علاقة دخول المبحوثين في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية برأيهم في تسبب فيسبوك في صدام بين العرقين العربي والبربري في الجزائر.	326
36	علاقة دخول المبحوثين في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية برأيهم في اعتباره تهديدا للوحدة الوطنية الجزائرية.	328
37	علاقة دخول المبحوثين في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية برأيهم في الدور الذي يلعبه التنوع العرقي والثقافي في الجزائر.	329
38	مدى استخدام المبحوثين للتبديلات اللغوية عبر موقع فيسبوك.	333
39	علاقة سن المبحوثين بمدى كتابتهم للتعبيرات العربية بالحروف اللاتينية.	335
40	علاقة استخدام المبحوثين للدارجة الجزائرية بكتابتهم للتعبيرات اللاتينية بالحروف العربية.	337
41	علاقة استخدام المبحوثين للعربية الفصحى بكتابتهم للأرقام بدل بعض الحروف العربية.	338
42	مدى استخدام المبحوثين للرموز، الملصقات والميمات عبر فيسبوك.	340
43	علاقة جنس المبحوثين باستخدامهم للرموز التعبيرية Emojis.	343
44	علاقة متابعة المبحوثين للشبكات الترفيهية عبر موقع فيسبوك واستخدامهم للميمات Memes.	347
45	علاقة استخدام المبحوثين للدارجة الجزائرية في الحياة الفعلية بوجود لغة افتراضية فيسبوكية جزائرية خاصة بهم وبمجاعاتهم الشبكية.	349
46	مدى تفاعل المبحوثين مع الأعياد والمناسبات الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك.	358
47	علاقة رغبة المبحوثين في الهجرة إلى الخارج بدفاعهم وتأييدهم على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة الوطنية.	362
48	علاقة رأي المبحوثين في الدور الذي يلعبه التنوع الثقافي في الجزائر بنشرهم لأناشيد في المناسبات والأعياد الوطنية.	365
49	علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الجزائرية عبر فيسبوك بوضعهم لصورة العلم الجزائري على حساباتهم أو صورهم الشخصية.	368
50	علاقة استخدام المبحوثين للغة العربية الفصحى في الحياة اليومية على فيسبوك بنشرهم لصور ومعلومات حول المناسبات الوطنية.	371
51	علاقة متابعة المبحوثين لصفحات المؤسسات الرسمية للدولة الجزائرية بدفاعهم وتأييدهم على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة الوطنية.	375
52	علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الرسمية للأحزاب السياسية الجزائرية عبر فيسبوك بنشرهم لصور ومعلومات حول المناسبات الوطنية.	378
53	علاقة الانتماء الهوياتي القومي للمبحوثين بمساهمتهم سواء عبر صفحاتهم الخاصة، المجموعات أو التعليقات في النشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك.	381

384	علاقة اشتراك المبحوثين في صفحات ومجموعات مهتمة بالتاريخ الجزائري بمساهماتهم في النشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك.	54
386	علاقة مساهمة فيسبوك في نقل عادات وتقاليد الولايات الجزائرية إلى المبحوثين بانتائهم الهوياتي الثقافي.	55
389	علاقة الانتماء الهوياتي التاريخي للمبحوثين بنقلهم لسمات ثقافية جزائرية إلى أصدقائهم الأجانب عبر فيسبوك.	56
391	علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الإنجليزية بتعريفهم بمنطقة أو معلم سياحي جزائري في صفحات ومجموعات أجنبية عبر فيسبوك.	57
393	علاقة مساهمة فيسبوك في نقل سمات ثقافية عالمية إلى المبحوثين باعتبارهم لهويتهم على فيسبوك الهوية التي يريدون أن يكونوا عليها في العالم الفعلي.	58
397	علاقة امتلاك المبحوثين لأصدقاء من ثقافات (جنسيات) أخرى عبر فيسبوك بمساهماتهم سواء عبر صفحاتهم الخاصة، المجموعات أو التعليقات في النشر والترويج للثقافة الجزائرية.	59

فهرس الأشكال

رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحة
01	التحديد الإجرائي لمفاهيم الدراسة.	26
02	العمليات المتناقضة التي تربط بينها الشبكات من منظور مانويل كاستلز.	50
03	تطور مفهوم العولمة ومظاهرها.	94
04	رسم توضيحي لمفهوم الشبكة عند مانويل كاستلز.	129
05	النظرة المركبة للمقاربات النظرية لعلاقة التقانة والمجتمع.	138
06	تصنيف الهويات الوطنية في عصر العولمة.	181
07	تطور شركة فيسبوك من كتاب الوجوه إلى الميتافيرس.	213
08	مواقع التواصل الاجتماعي الأشهر عالميا شهر جانفي 2023 مرتبة حسب عدد المستخدمين النشطين شهريًا.	216
09	توزيع مستخدمي فيسبوك عالميا ابتداءً من جانفي 2023 حسب متغيري السن والجنس.	218
10	توزيع جمهور مواقع التواصل الاجتماعي عالميا ابتداءً من جانفي 2023 حسب متغير الجنس.	219
11	توزيع مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك الجزائريين حسب متغيري الجنس والسن ابتداءً من شهر جوان 2023.	224
12	توزيع عينة الدراسة حسب متغير جنس الباحثين.	226
13	توزيع عينة الدراسة حسب متغير سن الباحثين.	227
14	توزيع عينة الدراسة حسب متغير المستوى التعليمي للباحثين.	230
15	توزيع عينة الدراسة حسب متغير الميدان العلمي للباحثين.	231
16	توزيع عينة الدراسة حسب متغير الحالة المدنية للباحثين.	233
17	توزيع عينة الدراسة حسب متغير القطاع المهني الذي يشغله الباحثون.	234
18	توزيع عينة الدراسة حسب متغير المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها الباحثون.	236
19	توزيع عينة الدراسة حسب متغير بلد إقامة (للجزائريين المقيمين خارج الجزائر) الباحثين.	238
20	توزيع عينة الدراسة حسب متغير مكان إقامة الباحثين.	240
21	توزيع عينة الدراسة حسب متابعتهم لمختلف الشبكات على موقع فيسبوك.	243
22	توزيع عينة الدراسة حسب جنسية الصفحات التي يتابعونها على موقع فيسبوك.	245
23	توزيع عينة الدراسة حسب اللغة التي يستخدمها الباحثون لأسائهم على موقع فيسبوك.	251
24	توزيع عينة الدراسة حسب أسباب عدم استخدام الباحثين لصورهم الحقيقية على موقع فيسبوك.	253
25	توزيع عينة الدراسة حسب أسباب امتلاك الباحثين لأكثر من حساب على موقع فيسبوك.	258

268	توزيع عينة الدراسة حسب انتماءاتهم الهوياتية.	26
288	توزيع عينة الدراسة حسب تبرير المبحوثين لمتابعتهم مضامين لأخلاقية عبر فيسبوك.	27
311	توزيع عينة الدراسة حسب اللغة التي يستخدمها المبحوثون في حياتهم اليومية الفعلية.	28
317	توزيع عينة الدراسة حسب تبرير المبحوثين لعدم استخدامهم اللغة العربية في استخدامهم عبر موقع فيسبوك.	29
319	توزيع عينة الدراسة حسب تبرير المبحوثين لاستخدامهم اللغة العربية عبر موقع فيسبوك.	30
352	توزيع عينة الدراسة حسب إجابة المبحوثين حول مصدر اللغة الجزائرية الفيسبوكية.	31
373	توزيع عينة الدراسة حسب الصفحات الرسمية لمؤسسات الدولة التي يتابعونها عبر فيسبوك.	32
373	توزيع عينة الدراسة حسب رأيهم في الكيفيات التي يهدد بها موقع فيسبوك الوحدة الوطنية الجزائرية.	33
403	إسقاط نتائج الدراسة على العلاقة بين الهوية الوطنية الجزائرية والعملة من منظور مقارنة المجتمع الشبكي.	34

فهرس الملحق

رقم الملحق	عنوان الملحق
01	استمارة البحث.
02	دليل مقابلة البحث.
03	واجهة استمارة البحث الإلكترونية.
04	عدم إمكانية إجابة المبحوث على أكثر من استمارة.
05	تكييف تطبيق فاير للمصقات مع المناسبات الجزائرية.
06	الصفحة الخاصة بالتراث الجزائري على موقع التراث العالمي World Heritage Site.
07	واجهة صفحة Algeria.com.
08	نماذج من الجولات الافتراضية التي توفرها قوقل للثقافة والفنون.
09	تطور تصميم واجهة الحسابات الشخصية وصفحات موقع فيسبوك بين سنتي 2004 و 2008.
10	تطور تصميم واجهة الحسابات الشخصية وصفحات موقع فيسبوك بين سنتي 2009 و 2012.
11	تطور تصميم واجهة الحسابات الشخصية وصفحات موقع فيسبوك بين سنتي 2013 و 2020.
12	تصميم واجهة الحسابات الشخصية لسنة 2023.
13	أساليب عرض الذات عبر موقع فيسبوك.
14	تخصيص الأفتار حسب هوية المستخدم الجسدية.
15	إحدى تقنيات عرض الهوية الذاتية عبر موقع فيسبوك.
16	نماذج من رسائل مستخدمات فيسبوك المجهولة إلى الصفحات.
17	العلاقة بين متغيري المستوى التعليمي وجنس المبحوثين.
18	نموذج من مظاهر "الحنين إلى الماضي" عبر استخدام موقع فيسبوك.
19	نموذج من المنشورات والتعليقات على صفحة "وجهني" عبر موقع فيسبوك.
20	العلاقة بين متغيري الفئات العمرية للمبحوثين وحالتهم المدنية.
21	توزيع عينة الدراسة حسب متغير بلد إقامة (للجزائريين المقيمين خارج الجزائر) المبحوثين.
22	تطور نسبة التحضر في الجزائر بين سنتي 2012 إلى 2022.
23	خارطة التغطية بشبكة الإنترنت اللاسلكية في الجزائر (متعامل موبيليس).
24	خصائص المستجوبين الذين تمت مقابلتهم فعليا وافتراضيا.
25	أداة موقع فيسبوك للتسيير الوقت المستغرق في استخدامه.
26	أداة موقع فيسبوك لحماية صورة الحساب الشخصية.
27	علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين بمبررات اطلاعهم على المضامين اللاأخلاقية.
28	علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين بتقييمهم لمدى التزامهم بالقيم الأخلاقية الدينية.
29	توزيع عينة الدراسة حسب تبريرهم لاعتبارهم موقع فيسبوك كمصدر للثقافة الإسلامية.

30	نموذج عن المنشورات المضادة للمضامين الدينية الإسلامية الخاطئة.
31	الصفحات التبشيرية الممولة والمستهدفة للجزائريين على موقع فيسبوك.
32	علاقة امتلاك المبحوث لأصدقاء من غير الدين الإسلامي بتقييمهم لمدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية.
33	علاقة عدد الحسابات التي يملكها المبحوثون بتلقيهم لإشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى من طرف فيسبوك.
34	تهنئة موقع فيسبوك للمستخدمين المسلمين بمناسبة عيد الأضحى المبارك.
35	علاقة بلد إقامة المبحوثين بامتلاكهم لأصدقاء من غير الدين الإسلامي.
36	علاقة استخدام المبحوثين للدارجة الجزائرية في الحياة اليومية على فيسبوك بامتلاكهم لأصدقاء من غير الدين الإسلامي.
37	أكثر البلدان العربية استخداما للرموز التعبيرية عبر فيسبوك.
38	ملاءمة الرموز التعبيرية للاختلافات العرقية للمستخدمين من خلال معدلات لون البشرة.
39	توزيع عينة الدراسة حسب المقارنة بين استخدامهم للرموز التعبيرية واستخدامهم للملصقات.
40	الخصوصية الثقافية الجزائرية المضافة على لعبة الميمات.
41	نماذج من التفاعل الافتراضي مع المناسبات والأعياد الوطنية الجزائرية.
42	اقتراحات موقع فيسبوك عند البحث عن كلمة "جزائريون" و "الجزائريون".
43	تحليل المشاعر التعبيرية ومدى استخدام الرمز التعبيري للعلم الوطني الجزائري.
44	علاقة استخدام المبحوث للتمزيغ عبر فيسبوك بنشره لصور ومعلومات حول المناسبات الوطنية عبره.
45	علاقة متابعة المبحوثين لشخصيات مؤثرة مؤيدة للنظام السياسي الجزائري عبر فيسبوك بتصحيحهم معلومات خاطئة حول تاريخ المناسبة الوطنية.
46	علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الرسمية للأحزاب السياسية الجزائرية عبر فيسبوك بنشرهم لصور ومعلومات حول المناسبات الوطنية.
47	تفاعل بعض الأحزاب السياسية مع المناسبات الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك.
48	علاقة اعتبار المبحوثين لهويتهم على فيسبوك امتدادا لهويتهم الفعلية بمساهمتهم في النشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك.
49	علاقة مساهمة فيسبوك في نقل عادات وتقاليد الولايات الجزائرية الأخرى إلى المبحوثين بنقلهم لسمات ثقافية جزائرية إلى أصدقائهم الأجانب عبر فيسبوك.
50	علاقة الانتماء الهوياتي التاريخي للمبحوثين بتعريفهم بمنطقة أو معلم سياحي جزائري في صفحات ومجموعات أجنبية عبر فيسبوك.

كتب الفيلسوف والأنثروبولوجي الألماني لودفيج فيورباخ Ludwig Feuerbach في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه جوهر المسيحية The Essence of Christianity عام 1881 "عصرنا هذا ولا ريب؛ يفضل الدال على الشيء المدلول، النسخة على الأصل، الخيال على الواقع والمظهر على الجوهر... والمقدس بالنسبة له ليس سوى الوهم، أما ما هو مدنس فهو الحقيقة... حيث تصبح أعلى درجة من الوهم أعلاها من القداسة"، وكان ذلك استشرافا منه لعصرنا هذا الذي ينتقل من فعالية المفاهيم إلى افتراضيتها، من أصلتها إلى تشابها، ومن تفضيل صورتها على حقيقتها، هذا العصر الذي نسبت إليه تسميات عدة: عصر ما بعد الصناعة، ما بعد الفوردية، عصر الحداثة وما بعدها، مجتمع المعلومات، **عصر المجتمع الشبكي**، وأهم تسميته له: **عصر العولمة**. وفي إطار جدلية الوهم/الحقيقة، استحدثت التقانة باعتبارها أداة من أدوات العولمة وميزة لهذا العصر الكثير من المفاهيم والممارسات، وأحدثت تغيرا ثقافيا على العديد من المستويات، مستحدثة فضاء افتراضيا، علاقات افتراضية وكذا **هويات افتراضية**، هذه المفاهيم والممارسات جعلت من الاعتناق من سياقات الحضور الجسدي وطقوس الزمان والمكان الفعليين أمرا ممكنا، وكذا تعويضها ولو جزئيا بسياقات افتراضية على غرار تلك التي توفرها **مواقع التواصل الاجتماعي**.

وهذا الافتتاح المطرد على العالم أنتج أجندة بحوث علمية واسعة، فرغم أنه كان بالفعل موضوعا للبحوث والدراسات السوسيولوجية، الأنثروبولوجية الثقافية ودراسات العولمة، إلا أنها اقتصرت فيما سبق على التأثيرات المتبادلة المباشرة بين الشعوب وثقافتها، وصيغت حولها نظريات ومفاهيم تعبّر عن طبيعة التأثيرات على غرار مفهوم الثقافة، إلا أن التقانة وتطورها أنتج مواضيع أخرى أو أضفى على الأولى منظورات جديدة، فمواضيع مثل: ضغط الزمان والمكان، تهديد التقنية لاستقلالية سيادة الدول، اللاقومية عبر التقنية، الواقعية المفرطة، صناعة التراث مقابل الصناعات الثقافية، العودة إلى المحلي، هي مواضيع أعادت الإنترنت بعثها مجددا وأضفت عليها خصائصها، خاصة منها ما يتخذ من الجدليات والمتقابلات موضوعا لها، على غرار التفاعلات بين الكوني والقومي وتبادل الاختراق بينهما، التعارض بين الذات والشبكة، والتناقض بين فضاءات التدفقات وفضاءات الأمكنة.

من أهم الجدليات التي أنتجها افتتاح العالم المعاصر على بعضه والتي تجمع كل المتقابلات مما سبق، خاصة التجاذب بين الكوني والقومي، واتخاذ الشبكة كأداة رئيسة هي: جدليات العولمة كظاهرة تخرج الخصوصيات من حدودها الوطنية وتغيّر أو تضعفها؛ وعلاقتها **بالهوية الوطنية** كحامل لتلك الخصوصيات، وكذا التقابل بين الوجود الفعلي للهويات مقابل الافتراضي كصيغة من صيغ الوجود، ففي عصر العولمة؛ وفي ظل اتخاذها من الإنترنت أداة لها أصبحت المجتمعات الوطنية وهويتها أكثر مسامية منها كما لم تكن في أي وقت مضى، إذ تخرقها السمات العالمية وتتغلغل فيها عبر مرجعيات عديدة، أديان ولغات وثقافات وعلى شكل أفكار وممارسات مختلفة.

إحدى أهم أطروحات العولمة وإيديولوجياتها أطروحة المدينة الأمية (الكوزموبوليتانية) التي ينتمي أفرادها إلى ذات المجتمع، ويجمعون على ذات النظم الأخلاقية وقيم المواطنة العالمية، وهي أطروحة تدعي أن العلاقات والتفاعلات ضمنها تتركس الحفاظ على الخصوصيات القومية والتأكيد على الاحترام المتبادل بينها. وتمثل مواقع التواصل الاجتماعي أهم وسيلة للاجتماع والتفاعل

في عصرنا هذا، فهي حسب منظور الأطروحة أكبر مدينة كوزموبوليتانية في التاريخ، إذ أن المجتمعات الافتراضية التي تشكلها هي بالفعل أكبر اجتماع إنساني للأفراد في سياق واحد، يتعرضون من خلالها إلى ذات المضامين ويشاركون في إنشائها، ذلك أنها تسهل إنشاء ومشاركة المحتويات والأفكار وأشكال التعبير الأخرى التي تنبع من الحياة اليومية للمستخدمين، وتسهل من خلال مختلف تقنياتها عرض هوياتهم وخصوصياتها والإفصاح عنها عن قصد أو عن غير قصد، لذا يمكن اعتبارها أداة للعملة المعاصرة؛ كما تساهم في افتتاح مجتمعات العالم خاصة منها ما تلقب بـ"دول العالم الثالث" على العالم والمشاركة في تشكيل ثقافة تلك المدينة العالمية، إلا أنه يشكل تحديا لها في نفس الوقت إذ باتت خصوصيتها محددة تحت طائل عنف العملة التي تسهل عملية اختراقها.

وأن نسمي الأشياء ونصفها بمقوماتها، وأن نحدد مدى تماثلها واختلافها ومدى اقترانها وتمييزها عبر الزمن والمكان؛ يعني أننا نحدد هويتها، فإذا تأثرت تلك المقومات، واضطربت الحدود بين تماثلها واختلافها عبر عمليات الاختراق، فإن خصوصيتها الهوياتية بمختلف الأبعاد المشكلة لها من اجتماع، اقتصاد، سياسية، تاريخ وثقافة تتأثر بالضرورة، لذا برز من أجل تحليل الظاهرة تيارات مختلفة تطرح مسألة الهوية في عصر العملة بين اعتبارها هدمًا للهويات وبين اعتبارها أداة للتفتح والعالمية، أو إنكار وجودها من الأساس، خاصة في مجتمعات مثل المجتمع الجزائري الذي شكّلت ولا تزال الهوية تشكل فيه مسألة محورية يمكن تتبع طرحها على طول محوري تاريخه وجغرافيته.

إذا؛ وبتخصيص التناول على الجزائر وهويتها الوطنية، جاءت الدراسة الحالية لمحاولة قياس وتفسير الهوية الوطنية الجزائرية في عصر العملة، عن طريق إجراء تحليل سوسيوثقافي لمتطهر مرجعيات الهوية الوطنية عبر موقع فيسبوك كنموذج، باعتباره مجتمعا للشبكات تتغير ضمنه المفاهيم، ويتم من خلاله الرجوع إلى الهوية باعتبارها مصدرا للمعنى في عالم يرجح أن العملة قد أضعفت فيه المؤسسات القومية وبنائها، وسيتم قياس ذلك ميدانيا بعد بناء نموذج تحليلي مناسب لموضوع الدراسة ومجتمع بحثها، وبعد الإحاطة النظرية بمتغيراتها الكبرى، وستتم عملية التحليل والتفسير بناءً على قياس مدى تأثر كل واحدة من مرجعيات الهوية الوطنية الجزائرية لدى عينة من الجزائريين المستخدمين لموقع فيسبوك؛ أي البعد الديني ومؤشراته، اللغات الوطنية ومؤشراتها والوطنية وما ارتبط بها من مؤشرات، بتداعيات العملة عن طريق واحدة من أهم أدوات التقنية المرتبطة بالمجتمع والموفرة لطرق سريعة Highways للتدفقات الثقافية وهي مواقع التواصل الاجتماعي وبالتحديد موقع فيسبوك على اعتباره الموقع الأكثر استخداما من طرف الجزائريين، وجزءاً مهماً من حياتهم اليومية كما سنرى.

وسيتم تناول كل ذلك من خلال ثلاثة أطر كبرى تتخللها فصول، كل إطار منها يشكل مرحلة بحثية مهمة، ويأتي مكملاً لسابقه وممهداً للاحقة، كما يجيء كل فصل بمضمون يناسب خصوصية موضوعه، على أننا حاولنا الموازنة بينها في حدود ما يجب أن يُبذل لكل مضمون من عرض وتحليل ومناقشة حسب أهميته في الدراسة، فكان ذلك كالآتي:

الإطار المنهجي للدراسة

نتناول من خلال هذا الإطار الخطوات المنهجية للدراسة، بعد التعرّيج على جانبها المعرفي من الإشكالية التي تضمّنت الانشغالات الرئيسية للبحث ونختتمه بسؤال يسمح بحصر مشكلة الدراسة بدقة ليكون انطلاقاً لها، ثم تفكيكه إلى تساؤلات

وإتباعه بفرضيات رئيسية وفرعية، مع توضيح كل من أسباب اختيار موضوع الدراسة، أهميتها والأهداف المرجوة من إجرائها. كما سيتم بعدها تحديد المفاهيم الرئيسية للدراسة وتعريفها بما يتناسب مع الهدف منها، وإجراء تحديد وتحليل مفهومي لمتغيرات الفرضيات تمهيدا لبناء تقنيات الدراسة، لننتقل بعدها إلى عرض الخطوات العملية للبحث انطلاقا من منهج الدراسة وأدواتها، مجتمع الدراسة وطرق إجراء المعاينة، والأساليب الإحصائية والتحليلية المطبقة على البيانات التي جمعتها التقنيات، ثم مجالات الدراسة البشرية، الزمانية والمكانية التي تجعل نتائجها ذات معنى، بعدها سيتم التعرف على الأدبيات ذات الصلة بالموضوع موضحين مدى استفادتنا منها وما الذي تطمح إليه هذه الدراسة كإضافة لهذا التراكم العلمي، وفي الأخير سيتم وضع الدراسة في سياقها السوسولوجي بعرض مقاربتها النظرية وكذا سبب اختيارها.

الإطار النظري للدراسة

تضمن هذا الإطار تناول النظري لمتغيري الدراسة "العولمة" و "الهوية"، إضافة إلى "الهوية في عصر العولمة" وذلك من خلال ثلاثة فصول تخصص اثنان منا في المتغيرات وثالثها في توصيف الارتباط بينهما، وكان ذلك كالتالي:

الفصل الأول: يتناول هذا الفصل متغير **العولمة** وسياقاتها التاريخية والسوسيو-معرفية، حيث تعمق من خلال مبحثين كل منها تضمن ثلاثة مطالب في هذا المفهوم؛ من ماهيته إلى تناوله السوسيو-أنثروبولوجي مروراً بالمفاهيم المرتبطة به، إضافة إلى تطوّر العولمة كظاهرة ذات أبعاد متعددة ومختلف وجهات النظر حولها.

الفصل الثاني: يتناول الفصل الثاني حالة الهوية والثقافات المحلية في عصر كوني يميّز بالانفتاح، حيث سيتم ذلك من خلال مبحثين كذلك كل منها تضمن ثلاثة مطالب، انطلقت من توضيح العلاقة بين الثقافتين القومية والكونية، وما خلقتة هذه العلاقة من ثقافات هجينة، ودور تكنولوجيا المعلومات الذي تلعبه في إخراج الثقافات من حدودها والعكس، كما تضمن الفصل أطروحة المجتمع الشبكي التي تجمع بين متغيرات الدراسة: الهوية وقوتها، العولمة وتداعياتها والتقنية ودورها في العلاقة بين الذات والشبكة، وكذا الهويات التي صيغت في إطارها.

الفصل الثالث: يتضمن هذا الفصل متغير **الهوية**، ثم الهوية الوطنية ثم الهوية الوطنية الجزائرية، وسيتم تناول كل هذا من خلال مبحثين كل منها يحتوي ثلاثة مطالب وضمن كلّ مطلب سيتم التوسع في جانب معين من المتغير المدروس، خاصة أنه فصل يختص بعرض وتتبع أهم مفهوم في الدراسة. وقد انطلق ذلك من الإحاطة النظرية به سواء مفاهيمياً أو المداخل المعرفية لتحليله، بعدها سيتم تناول الهوية الوطنية والتنظير لها، ثم تخصيص التناول للهوية الوطنية الجزائرية ومختلف تظاهراتها في الدراسات السوسيو-تاريخية التي تناولتها، وصولاً في النهاية إلى مرجعيات الهوية الوطنية الجزائرية من دين ولغة ووطنية.

الإطار الميداني للدراسة

تظهر أهمية ما سيتم تناوله في الجانب النظري من خلال الإطار الميداني وفصوله، إذ يتم استغلال كلّ ما سبق تقديمه من إنتاج نظري وقرارات في ضوء موضوع الدراسة؛ في تحليل البيانات التي جمعتها تقنيات البحث. وسيتم تقسيم عرضها

ومناقشة وفق المحاور التي تضمنتها التقنيات، والتي صيغت بدورها وفق فرضيات الدراسة، من أجل ذلك؛ وبمقابلة كل واحدة منها بفصل، فإن الإطار الميداني جاء مصمماً كما يلي:

الفصل الرابع: يتناول هذا الفصل من خلال مبحثين التعريف بميدان وعينة الدراسة، فقبل الانطلاق في تحليل البيانات، سيتمّ التعريف بموقع فيسبوك باعتباره ميدانا افتراضيا للدراسة، يأخذ المبحوثون خصائصهم من خلاله ويضيفونها على خصائصهم الشخصية الفعلية وهو مضمون المبحث الأول. ثم الانتقال إلى عرض خصائص عينة الدراسة أو ما أسميناه الهوية الذاتية للمبحوثين، سواء الفعلية منها من خلال المحور الأول من تقنية البحث، أو الافتراضية من خلال المحور الثاني منها، وهو مضمون المبحث الثاني.

الفصل الخامس: يتناول الفصل الخامس عرض ومناقشة البيانات المتعلقة بالفرضية الأولى من الدراسة، والتي تتناول البعد الديني للهوية الوطنية الجزائرية، حيث ومن خلال مبحثين سيتمّ التعرّض إلى مؤشر القيم الدينية في عصر العولمة ومدى التأثير بالقيم العالمية من مقاومته، وهو مضمون المبحث الأول، أما الثاني فيتناول التدفق الكوني للأديان من الداخل إلى الخارج والعكس، إضافة إلى الطقوس الاحتفالية الدينية وكيف يعتبر المبحوثون موقع فيسبوك فضاءً لها.

الفصل السادس: أما من خلال هذا الفصل فيتمّ عرض ومناقشة البيانات المتعلقة بالفرضية الثانية من الدراسة، والتي خُصّصت للبعد اللغوي للهوية الوطنية الجزائرية، ومن خلال مبحثين اثنين سيتمّ عرض مؤشري الواقع اللغوي الجزائري عبر فيسبوك واختراع اللغات الافتراضية عبره، إذ سيعرض ويناقش المبحث الأول تموقع المبحوث بين اللغات الوطنية والعالمية وكذا مساهمة فيسبوك في الصدام اللغوي في الجزائر، أما الثاني فسيستتبع الأساليب اللغوية الاتصالية الجديدة التي أكسبها استخدام موقع فيسبوك للمبحوثين من تبديل لغوي إلى لغة الرموز والملصقات والميمات.

الفصل السابع: في هذا الفصل سنقوم بعرض ومناقشة البيانات المتعلقة بالفرضية الثالثة والأخيرة من الدراسة، والتي تتناول البعد الوطني للهوية الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة مباحث، الأول خُصص لمؤشر الوحدة الوطنية في عصر العولمة وكيف تمّ من خلالها خلق هويات مختلفة ذات علاقة بالشبكة، أما الثاني فقد تناول موقع فيسبوك واستغلاله كفضاء احتفائي بالانتماء إلى الوطن الجزائري، أما الأخير من المباحث فقد تناول الموقع كفضاء للتدفق الثقافي من وإلى العالم.

وتنتهي الدراسة إلى مجموعة من النتائج يتمّ عرضها وقراءتها في ضوء كل من المقاربة السوسيولوجية للدراسة، ثم في ضوء فرضياتها، وهو الجزء الذي يتمّ فيه حصر أهم ما تمّ التوصل إليه والتأكد من تحقق الفرضيات من عدمه، تليها خاتمة تختصر سيرورة الدراسة ومحطاتها الكبرى وكذا ما آلت إليه.

الإحصاء المنهجي للدراسة

مضمون الإطار المنهجي:

تمهيد.

- أولاً: إشكالية الدراسة.
- ثانياً: فرضيات الدراسة.
- ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع.
- رابعاً: أهمية الدراسة وأهدافها.
- خامساً: تحديد مفاهيم الدراسة.
- سادساً: التحديد الإجرائي للمفاهيم الأساسية للدراسة.
- سابعاً: منهج الدراسة وأدواتها.
- ثامناً: مجتمع البحث وطرق إجراء المعاينة.
- تاسعاً: الأساليب الإحصائية والتحليلية المستخدمة في الدراسة.
- عاشراً: مجالات الدراسة.
- حادي عشر: الأدبيات ذات الصلة بموضوع الدراسة.
- ثاني عشر: المقاربة السوسولوجية للدراسة.

خلاصة.

".. فبالنسبة إلى العقل العلمي تعتبر كل معرفة جواباً عن مسألة، فإذا لم تكن
ثمّة مسألة لا يمكن أن تكون هناك معرفة علمية، لا شيء ينطلق بداهة، لا
شيء معطى، كل شيء مبني".

غاستون باشلار، تكوين العقل العلمي، ص 14.

إن كلّ بحث علمي يفترض أن يتأسس على قواعد ثابتة معرفياً ويخضع للطريقة العلمية منهجياً، ذلك أنه لا يوجد علم إلا
لما هو خفي كما يقول باشلار، وإحدى أهم سبل محاولة الكشف عن ذلك الخفي هو الدراسات العلمية الأكاديمية، ومن أجل
ذلك جاءت الدراسة الحالية. وسيتم في إطارها المنهجي هذا التأسيس لها معرفياً أولاً ثم منهجياً، إذ تبدأ المنهجية مما انتهت إليه
الإبستمولوجيا.

ينطلق التأسيس المعرفي للدراسة من خطوات تربط بين الجانبين النظري والميداني بداية من المرحلة الأولى للبحث
وهي تحديد مشكلته وصياغة إشكاليته وسؤالها، وتفكيكه إلى تساؤلات ثم الإجابة عليها مؤقتاً من خلال الفرضيات، الأخيرة
التي تمثل حجر الأساس لباقي الخطوات خاصة الميداني منها إضافة إلى تحديد أسباب اختيار موضوع الدراسة؛ أهميتها وأهدافها،
ثم تحديد مفاهيمها التي تكررت في كل واحدة من الخطوات المعرفية السابقة وتعريفها بالشكل الذي نريده ويعبر عن منظور
البحث ومنه يأتي التحديد الإجرائي لمفاهيمها.

أما التأسيس المنهجي للدراسة فينطلق من خطوات يتم من خلالها نقل المعرفة العلمية من المجرد إلى الملموس، وذلك
عبر اختيار منهج يناسب موضوع الدراسة، أهدافها ومجتمع بحثها وخصائصه، وأدوات بحث تتماشى مع ذلك المنهج بالضرورة
كما تعتبر الخطوة العملية الأساسية لجعل موضوع الدراسة قابلاً للقياس، والتي يتم تطبيقها على عينة مختارة من ذلك المجتمع،
عملية القياس التي تتم وفق أساليب إحصائية وتحليلية مناسبة، وفي أطر محددة زمانياً، مكانياً وبشرياً، بحيث تضع الدراسة في
سياقها وتعطي معنى لنتائجها كما تسهل بعد عملية القياس محاولة تفسير ومناقشة النتائج، كل ذلك بالرجوع إلى أسس معرفية
ومنهجية مرجعية توخى للدقة البحثية ولأن العلم يُبنى وهو يرم ذاته ويتراكم، سنقوم بعرض الأدبيات ذات الصلة بموضوع
الدراسة سواء في تناولها للموضوع بشكل عام أو في اتخاذها من الهوية والخصوصية الجزائرية نموذجاً، دون إغفال الرهانات
البحثية للدراسة الحالية مقابلها، ومن أجل وضع الدراسة في سياقها السوسيولوجي تم توضيح مقاربتها النظرية وخلفية اختيارها.

أولاً: إشكالية الدراسة.

منذ أن وجدت التقنية بمفهومها الواسع في أثننا، وهي تشكل مصدراً للقلق والخطر المهدد للمجتمع ومرجعياته الاجتماعية، ويمكن تتبع ذلك بداية من نقاش أفلاطون لمشكلة الغموض الأخلاقي للتقنية وإشكالية حيادها كونها "تنتج المعرفة حول كيفية استخدام المنتج بينما لا توفرها بالضرورة... فهي عديمة الجدوى إذا لم يكن المرء يعرف كيف يستخدمها على النحو الصحيح"¹، وعلى جانب غير مباشر كانت التوترات في السجل الكامن حول التقنية وأثرها على المجتمع محفورة في شكل أساطير وأمثال وحكايات تمثل الميثولوجيا الأثينية². فالتكنولوجيا إذا بمفهومها الكلاسيكي المشتمل على كل فن ومهنة وحرفة، أنتجت قلقاً وتوتراً اجتماعياً وأخلاقياً رغم ضعف سطوتها آنذاك، ولا ريب أن الثقة وبعد الثورات التي شهدتها تطورها قد وسعت نطاق هذا القلق لارتباطها المباشر بالفرد والمجتمع، ثقافته وهويته.

نحن نعيش اليوم في عصر يعرف بكل موضوعية بأنه عصر **متصل** **Connected Age**، متصل بمعنى الترابط الذي يحيل إليه تقارب العالم وارتباط بعضه ببعض عن طريق كثافة التنقلات وتطور تكنولوجيات الاتصال؛ ومتصل بمعنى الترابط المطرد بشبكة الإنترنت وعبرها والعيش ضمن مجتمعاتها الافتراضية، فقد أصبحت التقنية فيه تلعب دوراً أساسياً في إعادة تعريف العديد من المفاهيم بدءاً بعنصري الزمان والمكان، بالاعتناق من لحظة الأولى وراهنية الثاني. فإذا كان المنظر ميشال سير Michel Serres قد كتب في أطلسه عام 1994؛ واصفاً حالة ترابط العالم بأننا قد "تمكنا منذ فترة طويلة من الاتصال بأقصى الأرض؛ الصور المرسلة من هناك لم تعد تفاجئنا؛ تفصل بيننا آلاف الأميال لكن يمكننا أن نجتمع معاً في مؤتمر عبر الهاتف... نسافر دون أن نخطو خطوة واحدة، أين يتم ذلك؟ ... في موقع افتراضي، يبدو أن أسئلة المكان القديمة تلغى وتشتت كما لو أن زمناً جديداً ينظم فضاءاً مختلفاً"²، فيمكننا أن نتصور المدى الذي وصل إليه هذا الترابط بعد مرور ثلاثة عقود من الزمن لم يشهد تاريخ البشرية تطوراً تقنياً وثورة اتصالية مثلها.

هذه الثورة التي تشكل أطروحات سوسيولوجية تختلف في تسمياتها وتتفق في مضمونها الذي يوصف حالة العالم المتصل، بدءاً بالفيلسوف والمتخصص في دراسات الميديا مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan وحميته التكنولوجية، وما جاء به حول التغير التكنولوجي المتسارع ومراحله من المنطوق، مروراً بالمطبوع، وصولاً إلى مرحلة اختراع الحاسب، والتي لم تغير المشهد الاتصالي فحسب بل تجاوزت ذلك إلى المشهد الثقافي؛ إذ أصبحت المعايير الثقافية تستجيب أكثر فأكثر للبيئات التي أنتجت فيها التقنية والمعلومة وتكرسها، وتزيد من تهديد العالمي للقومي؛ فبعد أن كانت وسائل الإعلام التقليدية تركز القومية للدرجة التي وصفت بها الإذاعة بأنها عامل لـ "استعادة الحساسية القبلية والمشاركة الحصرية في شبكة القراءة"³؛ وبعد أن كانت حضارتنا في عصر وسائل الإعلام التقليدية مجزأة على أساس بنية "المركزية مقابل الهامشية"، هي تشهد في عصر

¹ سيرافينا كومو، ترجمة: مصطفى قاسم، **التقنية والثقافة في العصور القديمة**، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2012، ص 49.

* على سبيل المثال مسرحية "أوديب ملكاً" لسوفوكليس التي ينسب بطلها لنفسه الثروة والملك و"التقنية التي تتجاوز التقنية"، ثم يصف أوديب العراف تير سياس بأنه "أعمى في تقنيته"، حيث كانت العرافة حينها عبارة عن تقنية، أنظر: المرجع نفسه، ص 50.

² Michel Serres, **Atlas**, Julliard, Paris, 1994, p 12.

³ Marshall McLuhan, **Understanding Media: The Extensions of Man**, The MIT Press, Cambridge and London, 1994, p 237.

التطور التكنولوجي إعادة تجميع مفاجئة ولحظية لجميع أجزائها في كل عضوي؛ هذا هو العالم الجديد للقرية العالمية¹، ويعدّ هذا المفهوم الأكثر استخداماً في وصف شعوب العالم وانصهارهم في بوتقة واحدة تلغي أو تضعف الحدود القومية.

وجاءت أطروحة عالم الاجتماع مانويل كاستلز Manuel Castells حول المجتمع الشبكي كواحدة من أهم النظريات في هذا السياق، ومن أكثرها قابلية لتفسير علاقة الهوية بالعولمة في ظل تشبيك العالم، إذ تقول بوجود ثقافة جديدة تميّز عصر التقنية سماها كاستلز ثقافة الافتراضي، والتي تستمد أبعادها من تكامل الاتصالات الإلكترونية وصعود شبكات التواصل والشبكات التفاعلية، حيث تعمل تقنيات المعلومات الحديثة في ظل المجتمع الشبكي على حصر العالم في شبكة عالمية من الأجهزة، وتغطي النطاق الكامل للاتصالات البشرية، حيث يولد الاتصال بينها مجموعة واسعة من المجتمعات الافتراضية، يسودها واقع افتراضي يحاول أن يوازي الواقع الفعلي من جوانب عدة من السياسة، الدين، العلم والتجارة باعتبارها محور الإنترنت المعاصر²، وذلك لخلق ثقافة خاصة به تحكم الشبكة تعرف بالثقافة الشبكية. وتقوم هذه الثقافة في عصر الإنترنت حسب هذه النظرية على مجموعة من القيم الجديدة، المساواة بين الجنسين كحدٍّ للأدوار الأسرية التقليدية؛ والتسامح إزاء التنوع والعلمانية كبديل للسلطة الدينية؛ والديمقراطية التشاركية كمناهض للبيروقراطية، وفي النهاية؛ العالمية أو الكوزموبوليتانية كقبول للهوية القومية³، إذ تبيّن كل واحدة منها لتقوّض شرعية قيمة أصلية أو تقليدية ميّزت عالم ما قبل الإنترنت.

توالت بعدها النظريات والأطروحات التي تفسّر علاقة ترابط العالم المفرط عن طريق تطور تقنيات الاتصال، بفقدان المجتمعات لخصوصياتها أو على الأقل تهديدها، وربما تعد أطروحة أستاذ أخلاقيات المعلومات لوتشيانو فلوريدي Luciano Floridi أحدثها، إذ يرى أننا نعيش في ظل هذا التطور حياةً دائمة الاتصال Onlife يتغيّر من خلالها حدّ المكان والزمان والهوية، حيث يعتبر الوسيط التكنولوجي أداةً للانفصال عن الفعلي "وفقدان الاتصال الفطري مع ما هو طبيعي وحقيقي"، هذا الموضوع ربما يذهب إلى حد إقران بينية التكنولوجيا مع التحررية، أو على أقل تقدير تقليل من قيمة الاحتواء، من ثم إلى عدم التوطن delocalization (لا أحد لا مكان)، والعولمة globalization (لا مكان لا توطن)، وفي نهاية المطاف تقترن مع النزعة الاستهلاكية، باعتبارها تقليلاً لقيمة الأشياء المادية وعلاقتها الخاصة مع الإنسان⁴، كل هذا التغيّر في المشهد العالمي وفي علاقة الفرد مع المكان والزمان، التاريخ والذاكرة والثقافة، الفعلي والحقيقي...، يتم التعبير عنه بظاهرة كونية هي: العولمة.

تتخذ العولمة في كل عصر من العصور أداةً لها تربط من خلالها العالم ببعضه بعض، وهي في عصرنا هذا تتخذ من التقنية أدواتها الرئيسة؛ والعولمة بوصفها مركّباً من العمليات متعددة الأبعاد المعقدة، تشير في أحد أهم جوانبها إلى التداخل العالمي الذي يبدأ من الثقافة بمفهومها التايلوري فيصل بها إلى المجتمع وعمقه، والذي "تنشأ عنه نطاقات من التفاعل والتبادل الثقافي المتواصل، إنها عملية تقوم فيها سلسلة من التدفقات الثقافية، أولاً؛ بإفراز تجانس ثقافي وفوضى ثقافية في آن، وذلك بربط

¹ Marshall McLuhan, Opcit, p 106.

² Manuel Castells, **The Rise of Network Society**, in: The Information Age: Economy, Society and Cultures, Vol.1, 2nd edition, Wiley-BLACKWELL, UK, 2010, p 382.

³ دارن بارني، ترجمة: أنور الجمعاوي، **المجتمع الشبكي**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2015، ص ص 209 - 210.

⁴ لوتشيانو فلوريدي، ترجمة: لؤي عبد المجيد السيد، **الثورة الرابعة: كيف يعيد الغلاف المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2017، ص ص 65 - 66.

جيوب من الثقافة المتجانسة نسبياً بعد أن كانت منعزلة، وهو ما يؤدي بدوره إلى إفراز صور أكثر تعقيداً للآخر وإلى إيجاد ردود أفعال داعمة للهوية؛ وثانياً؛ إفراز ثقافات عابرة للقوميات، وهو ما يعد ثقافات ثالثة.. تتجه إلى ما وراء الحدود القومية"¹، كل ذلك يجعل من العولمة ظاهرة تلفت نظر علم الاجتماع إلى أجندة بحوث وافتراضات سوسيولوجية واسعة، وتنبئ الحاجة إلى دراسات تحاول الإحاطة بها، خاصة في عصرنا هذا الذي يمدّها بكل الوسائل الممكنة التي تسهل الاعتماد المتبادل بين الأمم، إلغاء الحدود الوطنية أو إضعافها، تقويض سيادة الأمم والقوميات وضغط الزمان والمكان.

فيما سبق طرحه؛ تردد مفهوم الهوية كمقابل ومواجه لعنف العولمة على الوطني، من منطلق أن الهوية تسعى للحفاظ على خصوصية الأمم وترفض هيمنة العالمي عليها وإذابتها، وأن العولمة ترمي إلى تمييط العالم ضمن نموذج يفرض منطق الغرب فيتوسّع "المركز" ويذيب داخله "الهوامش" لأنّها بالأساس صناعة غربية، وبذلك اعتبارها السبب الرئيس لكل أزمات الهوية داخل هذه المجتمعات. وهو الطرح الذي قوبل من جهة بالتأييد ومن جهة أخرى بالرفض والنقد اللاذعين.

إذ ينظر مؤيدو الطرح إلى العولمة على أنها آلة ساحقة للهويات الوطنية، والتي "بدأت تضعف تدريجياً تحت ضغط العولمة، وأحد الآثار الجانبية [لذلك] تتمثل في الظهور التدريجي لما يعتري حدود المنظومة من وهن وغياب للتميز، وسقوط أساطير وفي النهاية زوال وهم السيادة القطرية وزوال التأييد للأمة-الدولة وفق قوة منظومتها التي تستمد كفايتها وبقائها واستمراريتها وتوازنها من داخلها"²، بمعنى أن الهوية الوطنية تتعرّض في عصر العولمة لإكراه التخلي عن عناصرها ومرجعياتها التي تحافظ على توازنها الداخلي، كما تهدد المقدرة الوظيفية لمؤسساتها بالهشاشة.

بالمقابل يرى مناهضو هذا الطرح ومنقادوه أن أزمات الهوية غير مرتبطة بالعولمة وأن مصدرها ليس بالضرورة خارجياً بل يمكن أن يكون داخلياً "فالتشبث بالانتماءات الأسطورية، أكانت الهوية دينية أم قومية اجتماعية أم سياسية، هذا مال الصراع من أجل الهويات: فتن داخلية وحروب طاحنة طرد شعوب... واستئصال المختلف أو نقي المعارض"³، كما يرون من جهة أخرى أن وجود هوية نقية في عصرنا هذا ضرب من الخيال والمثالية المفرطة، بل هي نتيجة التمازج والخبرات والتفاعلات مع العالم، الذي لا يعتبر أمراً سلبياً مادام لم يُذب الهوية في قالب لا شكل له ولا معنى، بل أمراً واقعاً خاصة في عصرنا هذا، ومن أهم المنادين بهذا الطرح المنظر الاجتماعي داريوش شايفان Dariush Shayan (رغم أنه في كتاب أوهام الهوية كان قد عبر عن أسفه لفقدان المجتمعات التقليدية هويتها في ظل التحديات المعاصرة التي اختزلتها إلى حدود الفلكلور)، إذ يرى أن الهوية اليوم هي مركبة وفسيفسائية وهي نتيجة لتعددية ثقافية وتمازج للقوميات واختلاط للأفكار وتهجينها⁴، ساهم الهوية الريزومية Rhizomic والهوية "أربعين وجهاً"، وما تضفيه العولمة والتقنية على الهوية، ما هو إلا نتيجة وحتمية للتغير الاجتماعي.

¹ مايك فيذرستون، ترجمة: عبد الوهاب علوب، ثقافة العولمة: القومية والعولمة والحداثة، مكتبة الأسرة، 2005، ص 7 - 8.

² زيجمونت باومان، ترجمة: حداد أبو جبر، الثقافة السائلة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2018، ص 38.

³ علي حرب، حديث النهايات: فتوحات العولمة ومازق الهوية، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2004، ص 21.

⁴ داريوش شايفان، ترجمة: حيدر نجف، هوية بأربعين وجهاً، دار التنوير، بغداد، 2016، ص 108 - 109.

* يريد شايفان بكلاً المفهومين التعبير عن تعدد الهوية، وقد وصفها بأنها ذات أربعين وجهاً نسبة إلى شخصية في المسرح الإيطالي ترتدي ملابس تتكون من أربعين قطعة بألوان غير متناسقة، أما الريزوم Rhizome فهو الساق الدفينة في التراب من بعض النباتات والذي ينمو بمقدار معين في الاتجاه الأفقي فتظهر منه أجزاء جديدة، لذلك لن يموت الريزوم حتى لو قطع خلافاً للجذور، وإنما تتوالد منه عدة نباتات، والهوية المعاصرة من منظوره كذلك، لا تموت وإنما تتمازج وتتعدد.

فإسقاطا على طرحي العولمة السابقين بين مناهض لها ولطمسها الخصوصيات الوطنية، وبين معتبر إياها ضرورة وعرضا طبيعيا للتغير الاجتماعي والثقافي، برز طرحان يوازيان الطرحين الأولين ولكن من جهة الهوية الوطنية، بين من يعتبرها وحدة تتشكل عبر مجموع القيم والمعايير وكل ما يكتسبه الفرد من مجتمعه سواه كلو دوبار Claude Dubar بالشكل الجماعاتي للهوية، إذ تنتج ويعاد إنتاجها وفقا لمرجعياتها الثابتة، ويقابله الطرح الذي ساه الشكل التطويعي للهوية¹، والذي يرى في الشكل الجماعاتي جمودا ورجعية، ويرى بضرورة اتصاف الهويات بالدينامية وقابلية إعادة التشكيل والبناء في احتكاكها مع التغير الاجتماعي، وبين من يحاول الجمع بين الأطروحتين فيقف بين الأصالة من جهة والتفتح على العالم وتجاربه الناجمة من جهة أخرى على غرار مولود قاسم نايت بالقاسم في جمعه بين "الآتية والأصالة مقابل التفتح والعالمية".

يكاد يجمع الدارسون للمسألة الثقافية في الجزائر؛ من مؤرخين وسوسيولوجيين على جوهرية موضوع الهوية الوطنية، باعتبارها الذات العليا للمجتمع الجزائري، والتي يتم الرجوع إليها -حسب نظرية المجتمع الشبكي- كرد فعل ضد مختلف محاولات طمس الخصوصيات وعدم الاستقرار عبر الزمان والمكان، فقد شكّلت محور جدال عبر مراحل مختلفة من تاريخ الجزائر، إذ يطرح ويعاد طرحه كلما تعلق الأمر بتأزم مرجعياتها. وربما يعد عنصر الهوية أكثر عناصر الخصوصية الجزائرية الذي تعرّض لمحاولات الطمس من طرف "الآخر" الاستعماري²، فقد ركّز على المرجعيات الدينية، اللغوية والوطنية في توجهه الاستيطاني، وتفخيخها لتصبح عوامل تفكيك لا وحدة، لذلك فقد تأسس الوعي بالهوية على فكرة الاختلاف عن الآخر الاستعماري كأحد الأساليب الدفاعية عن الذات ورفض استلابها واستردادها بالرجوع إلى الدين واللغة والتاريخ والتراث.

ولأن كلا من الإمبريالية والكونيالية يعدان من الأشكال المبكرة للعولمة، ولأنها -أي العولمة- ظاهرة ليست بالجديدة بل هي مجرد شكل جديد من أشكال الاستعمار³، فهي بأشكالها المعاصرة القائمة على التقنية تعيد إنتاج التفكك والاستلاب ذاتهما بما يمكن اعتباره كونيالية جديدة، لذلك فتأثيرها على الهوية الوطنية الجزائرية يمكن أن يأخذ نفس المنحى الاستعماري ولكن عبر الوسائط الرقمية، فإن كان الاستعمار الفرنسي قد أنتج ثقافقا منظما وقسريا فإن التقنية اليوم تنتج ثقافقا إما مراقبا ومخططا له من منظور تشاؤمي أو عفويا من منظور تفاؤلي، وقد صيغت لهذا الشكل من الاختراق مفاهيم عدة أهمها الاستعمار الرقمي Digital Colonialism.

إحدى أهم الملاحظات المرتبطة بالشكل الثاني من الثقافة؛ هو التوجه المتزايد نحو العوالم الافتراضية من طرف الجزائريين، خاصة مواقع التواصل الاجتماعي التي تشكل أكبر فضاء يمكن أن يجتمع ضمنه المستخدمون، إذ مكنتنا هذه المواقع من التواصل والتفاعل من أمكنة تواجدنا الفعلية إلى حدود الجزائر كلها، ومنها إلى أقاصي العالم، فقد كسرت الحدود الجغرافية وسهّلت التبادل بين الثقافات، كما اختزلت كل مراحل تطوّر العولمة من الفترات المبكرة إلى العصر الحديث فالمعاصر، وجمعت مفاهيم كثيرة صيغت للتعبير عن التبادلات الثقافية والاجتماعية للشعوب كالثقاف، الانتشار الثقافي الفضاءات الثالثة،

¹ كلود دوبار، ترجمة: زنده بعث، أزمة الهويات: تفسير التحول، المكتبة الشرقية، لبنان، 2008، ص 21.

² ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2021، ص 49.

³ أنابيل موني وبيتسي إيفانز، ترجمة: آسيا دسوقي، العولمة: المفاهيم الأساسية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص 45.

واختلاط الثقافات والأعراق Creolization في مجرّد عدد من النقرات، لذلك فمواقع التواصل الاجتماعي باعتبارها عوالمًا افتراضية؛ تعدّ أداةً معاصرة للاجتماع الإنساني والتبادل الثقافي، مناقشة الهويات، الإفصاح عنها، عرضها، تكريسها، تعديلها، تعويضها، وحتى التنازل عنها.

ذلك أن الهوية ضمن هذه الفضاءات عبارة عن "خليط متناثر ومليء بالرموز المعبرة عن الهوية المعروضة على شبكات التواصل الاجتماعي لا يتألف من معلومات موضوعية مؤكدة يمكن التحقق منها وحسابها، وإنما نجده محبوبًا من عدة تلاعبات ومحاكيات وتقليدات ساخرة وتلميحات ومبالغات"¹، غالبًا ما نسيئ تقدير طبيعتها الفردية العميقة على اعتبار إمكانية تزييفها، ولكنها تبقى معلومات يُدلي بها المستخدمون عن ذواتهم سواء كان ذلك العرض حقيقيًا أم مزيفًا أو متخيلاً، فهو يعبر بطريقة أو بأخرى عن جزء من ذاته أو الذات التي يريد أن يكونها، وتكون الهوية على فيسبوك إنتاجًا لمؤشرات سوسيولوجية وليس معلومات فحسب.

ويعتبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك الموقع الأكثر شعبيةً واستخدامًا من طرف مستخدمي الإنترنت الجزائريين، إذ يستخدمه ما يقارب 31 مليون و700 ألف مستخدم نشط حسب إحصائيات جوان 2023، أي 68% من الجزائريين في ذات الفترة، من كلا الجنسين ومن فئات عمرية مختلفة تمتد من عمر الـ 13 سنة إلى عمر الأكثر من 65 سنة²، فهو يشكل ميدانًا مناسبًا لمحاولة البحث عن آثار التدفقات العالمية على أبعاد الهوية الوطنية للجزائريين، وقد كان بالفعل موضوعًا للعديد من الدراسات التي اعتبرته طريقًا سريعًا للمعلومات من الخارج إلى الداخل والعكس، أي بين قيمتي التحلي والتخلي عن الهوية الجزائرية خاصة في بعدها الديني (القيمي) واللساني وكذا التاريخي والثقافي.

إذ أن ميلاد المجتمع الافتراضي الجزائري عبر فيسبوك أدى إلى خلق العديد من الممارسات والظواهر القابلة للملاحظة، سواء من حيث إيجادها (التأثر بها) أو إيجاد ردود فعل دفاعية تجاهها (مقاومتها)، ما يمس المرجعية القيمة الدينية للمستخدمين الجزائريين مثل الولوج إلى المضامين المخلة بالحياء والمنافية للتعاليم الدينية أو الداعية للأديان العالمية على غرار المسيحية وحتى الإلحاد من جهة، والاستغلال الخاطئ للدين بالمعارف المغالطة أو التطرف والتفرقة باسم الدين من جهة أخرى، كما خلقت التقانة من جانب اللغة ممارسات لغوية واتصالية جديدة من قبيل التبديل بين اللغات، والمختصر LOL (Laughing out loud)، وأيضًا ظاهرة تحويل لغة الحرف إلى الرقم، وصولًا إلى المصصقات والتعبير الرمزية Emojis التي تحاول اختصار الكلام والمشاعر والأفكار، ومنها ما يمس أو يضعف القيم الوطنية من الانتماء والوحدة والولاء والمشاركة والمواطنة، إضافة إلى التأثر بالتدفقات الكونية الثقافية والتحلي بسمات تناقض الخصوصيات الثقافية للمجتمع الجزائري وتغربه عن واقعه الفعلي مقابل ذوبانه في العوالم الافتراضية، وهي كلّها تداعيات يمكن ألا تبقى حبيسة الافتراضي بل تمتد إلى الواقع الفعلي.

من أجل ذلك جاءت الدراسة الحالية لتبحث في المدى الذي تؤثر به العولمة وتدفق سماتها على الهوية الوطنية الجزائرية بأبعادها الدينية، اللغوية والوطنية باعتبارها أبعادًا متّفقًا عليها تاريخيًا، اجتماعيًا ودستوريًا؛ مستخدمةً واحدة من أكثر أدواتها

¹ جون بول فورمنترو، "مقدمة عامة: الهويات والتواصلات الرقمية"، في: الهويات الرقمية إمكانية التعبير عنها وتعقبها، كتاب جماعي، منشورات ضفاف، بيروت، 2016، ص 13.

² NapoleonCat, "Facebook users in Algeria June 2023", NapoleonCat, published: 06-2023, accessed: 23-07-2023, at: 19:59, URL: <https://napoleontcat.com/stats/facebook-users-in-algeria/2023/06/>.

اختراقاً للمجتمعات وأكثرها قدرة على إضفاء خصوصياتها عليها في عصرنا هذا وهي مواقع التواصل الاجتماعي، وبتخاذنا موقع فيسبوك كفضاء افتراضي تتمظهر من خلاله -كما نفترض- هذه التأثيرات نموذجاً، نطرح سؤال الإشكالية التالي:

هل يؤثر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك باعتباره أداة للعولمة المعاصرة على الهوية الوطنية للمستخدمين الجزائريين؟

ويتفرع سؤال الإشكالية إلى ثلاثة تساؤلات فرعية تسمح بحصر الموضوع ورسم حدود نطاقه، وهي:

1. بماذا يرتبط تأثير موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك كأداة للعولمة على البعد الديني للمستخدمين الجزائريين؟
2. ما مدى مساهمة موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك كأداة للعولمة في التأثير على البعد اللغوي للمستخدمين الجزائريين؟
3. هل يؤثر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك باعتباره أداة للعولمة على البعد الوطني للمستخدمين الجزائريين؟

ثانياً: فرضيات الدراسة.

بعد انتهاء المرحلة الأولى الأكثر تجريداً من البحث والمتعلقة بأسئلته الرئيسية والفرعية، تنتقل إلى المرحلة الثانية من مسألة الظاهرة المدروسة ولكن في شقها الملموس القابل للملاحظة، حيث تمت صياغة الفرضيات التي تتيح لنا التحقق الإمبريقي منها ومقارنتها بالواقع، والتي أخذت شكل الفرضيات **ثنائية المتغيرات**، أي افتراض وجود علاقة بين متغيرين أحدهما يأخذ اتجاهها مستقلاً وهو "موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك باعتباره أداة عولمية" والآخر يأخذ اتجاهها تابعا وهو الهوية الوطنية الجزائرية ثم أبعادها الثلاثة، كلّ منها يشكل فرضية فرعية. فإجابة على سؤال الإشكالية والتساؤلات المتفرعة عنه، تمت صياغة الفرضيات التالية:

الفرضية الرئيسية:

يؤثر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك باعتباره أداة للعولمة المعاصرة على الهوية الوطنية للمستخدمين الجزائريين بإضفاء السمات العولمية عليها.

ويتفرع عنها الفرضيات الفرعية التالية:

1. يرتبط تأثير موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك كأداة للعولمة على البعد الديني للمستخدمين الجزائريين عكسياً بمدى التزامهم ووعيمهم باتّباعهم الديني.
2. يساهم موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك باعتباره أداة للعولمة في التأثير على البعد اللغوي للمستخدمين الجزائريين بتجسيد الصدام اللغوي الوطني وخلق أساليب لغوية جديدة لديهم.
3. يرتبط تأثير موقع فيسبوك باعتباره أداة عولمية على البعد الوطني للمستخدمين الجزائريين عكسياً بمدى ارتباطهم بوطنهم ورموزه الوطنية، التاريخية والثقافية.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع.

* على أن الدراسة ونتائجها تتعلق وتقبل التعميم فقط في حدود عينتها، وما قولنا "المستخدمين الجزائريين" إلا على سبيل صياغة السؤال، تحديد مجتمع الدراسة والتأكد على هوية البحث والمبجوثين الجزائرية، والمراد منه "المستخدمين الجزائريين المبجوثين"، والملاحظة منطبقة على كل ما سيرتبط بهذا السؤال من تساؤلات وفرضيات.

يقع الباحث على العديد من المشكلات التي يمكن أن تشكل موضوعا قابلا للدراسة، سواء كان نظريا مصدره الاستنباط أو ميدانيا مصدره الاستقراء؛ ولكن لحظة منهجية ونظرية معينة تجعل من موضوع دون غيره جديرا -بالنسبة له- بالدراسة والتقصي تلك اللحظة تمثل أسباب اختياره للموضوع ذاتيا ثم موضوعيا،

1. **الأسباب الذاتية:** رغم أن البحث السوسيولوجي يشترط في إنجازه التحلي بالموضوعية الكاملة، إلا أن اختياره لا يمكن أن يتنصل من درجة معينة من الذاتية، أو أن يكون الباحث حياديا مطلقا أمام واقع يعيشه وفي نفس الوقت يدرسه، لذلك فالخطوة الأولى للوصول إلى الموضوعية هي الوعي بالدرجة التي يجب عليه بها فصل ذاته عن موضوعه، وجعله من ذاتيته دافعا لإنجاز بحث علمي من جهة يحمل هويته، وموضوعي متجاوز للأحكام المسبقة والتقديرية الشخصية من جهة أخرى، وتتمثل أهم الأسباب الذاتية التي دفعتنا لاختيار الموضوع في:

- الاهتمام بالبحث في مفهوم "الهوية" بفرضها إشكالية سوسيولوجية تصاحب السياقات الاجتماعية في تغيرها، إذ شكلت متغيرا مهما في أغلب دراساتنا العلمية والأكاديمية للتدرج وما بعد التدرج، فالبحوث السابقة، والرغبة في تراكمها تعتبر من أهم الأسباب الذاتية لاختيار هذا الموضوع.

- ملاحظتنا باعتبارنا مستخدمين لموقع فيسبوك ومنه اعتبارنا جزءا من مجتمع البحث الواسع للدراسة في شكل من أشكال الملاحظة بالمشاركة، مظاهر وتداعيات الانفتاح على العالم وتحول موقع فيسبوك إلى نموذج عن القرية العالمية الشهيرة، ولا يخص الأمر فئة جنسية، عمرية، تعليمية أو جغرافية فحسب بل أنها جامعة للفئات والمجالات المختلفة؛ هي بذلك ظاهرة اجتماعية شاملة.

- ملاحظة الدور الذي يمكن لموقع فيسبوك أن يلعبه تجاه الهويات الوطنية في أبعادها الدينية، اللغوية والوطنية خاصة في فترة الحراك الشعبي في الجزائر سنة 2019.

2. **الأسباب الموضوعية:** بعد امتلاك الباحث لأسباب الذاتية لاختيار موضوعه، وبعد ترويض ذاتيته لتصب في صالح البحث، سيسعى إلى تناول موضوعه بأكبر صدق ممكن؛ وهو ما يعرف بالموضوعية، وتتمثل بذلك الأسباب الموضوعية لاختيار موضوعنا فيما يلي:

- صعود مفهوم الهوية وإعادة إنتاجه وفق ما يشهده العالم من تغيرات اجتماعية، ثقافية، اقتصادية وسياسية تطال بالضرورة المحلي ومكوناته، بالمقابل النزوع إلى إخراج الهوية من مناطقها وتدفعها عبر الوطنية نحو العالم في ظل ديناميات العولمة وبمساعدة أدواتها على رأسها الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، والتي بدورها تنقل الهوية من واحدة في الحياة الفعلية إلى هويات عدة في الحياة الافتراضية.

- الاعتقاد بضرورة مساهمة علم الاجتماع للواقع الاجتماعي للأفراد ومنه التوجه نحو دراسة العوالم الافتراضية التي أصبحت تشكل جزءا مهما من هذا الواقع اليوم، سواء في علاقتها بالعالم الفعلي، أو في علاقتها بمفاهيم لطالما اقتضت دراستها على العالم الفعلي على غرار الهوية الوطنية.

- محاولة إسقاط القراءات والدراسات التي تناولت العلاقة بين تداعيات الخطابات المعولة التي يبثها موقع فيسبوك وبين الهويات الوطنية للمستخدمين ومدى التأثير بها أو مقاومتها، على النموذج الجزائري والمستخدمين الجزائريين.
- وجود نظرة نمطية تجاه مواقع التواصل الاجتماعي تعتبرها مجتمعات "غير حقيقية" وأن الظواهر التي تجري ضمنها غير جديرة بالاهتمام، في حين أن كونها مجتمعات افتراضية لا يعني اقتصار تأثيرها على العالم الافتراضي بل هو في الواقع ممتد إلى العالم الفعلي، فالنظرة الجدية لهذه المواقع خاصة فيسبوك والتفاعلات التي تجري ضمنها، واعتبارها واقعا معيشا يتحول من خلاله النسيج الاجتماعي التقليدي إلى نسيج شبكي إلكتروني؛ يعتبر من أهم الأسباب الموضوعية لاختيار موضوع الدراسة.

رابعا: أهمية الدراسة وأهدافها.

إذا كانت إجابة السؤال: لماذا نهتم بهذا الموضوع؟ تحدد القصد من البحث وأسباب اختيار موضوعه، فإن السؤال: ما الذي نطمح بلوغه؟ تمثل إجابته أهداف بحثنا والأهمية التي يحوزها:

1. أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة الحالية فيما يلي من عناصر:

- أهمية الدراسة هذه مستمدة بالأساس من موضوعها؛ الذي يبحث فيما ثبت وما تحوّل من مفهوم الهوية في إطار "العنف العالمي" الذي تمارسه العولمة بأدواتها على رأسها التقنية تجاهها، مساهمة في نقل الهوية من محلّيتها الفعلية إلى كونيتها الافتراضية.
- محاولتها استطلاع، قياس وتفسير واقع اجتماعي معيش ضمن العالم الافتراضي، الذي يشكل بالموازاة مع العالم الفعلي شكلين من أشكال الوجود الاجتماعي، وهو شكل لا يُعطى حقّه في الدراسات الأكاديمية السوسيولوجية إلا قليلا، رغم أنه فضاء تُربط فيه وبسببه علاقات وتنتج سلوكيات، وتلاحظ ظواهر وممارسات لا تبقى مقتصرة عليه بل تنتقل إلى العالم الفعلي وتؤثر عليه.
- يكمن جزء كبير من أهمية هذه الدراسة في تبنيها فلسفة عبور التخصصات، التي تشجع على اقتباس مفاهيم أو نظريات أو معطيات أو مناهج من علم أو ميدان معين إلى الآخر مع البقاء منهجيا، نظريا وعمليا بالدرجة الأولى ضمن علم الاجتماع، في محاولة لرسم صورة للموضوع من جوانبه المختلفة، حيث نمزج في تحليله من كل من الدراسات الثقافية، علوم الإعلام، الأنثروبولوجيا (خاصة دراسات العولمة)، التاريخ، ما يمكن لنا به الإحاطة بهذه الظاهر الاجتماعية الشاملة، فالصناعات الثقافية، الثقافة الجماهيرية، الواقع المفرط، الحياة على الشاشة، التثاقف، الفضاء الثالث، الكريولة، الذاكرة .. وغيرها؛ هي مصطلحات ومفاهيم متنوعة ستصادفنا نظريا وعمليا من خلال هذه الدراسة، وذلك عن طريق توظيفها بصيغة سوسيولوجية لمحاولة قياس وتفسير تحوّل الهوية الوطنية الجزائرية في عصر العولمة.

2. أهداف الدراسة: لأن الإحاطة بالأهداف تساهم بشكل مباشر في بلوغها، فإن هذه الدراسة تسعى إلى بلوغ ما يلي من الأهداف:

- الهدف الأساسي من الدراسة يتمثل في محاولة الكشف عن العلاقة بين الهوية الوطنية والعولمة وقياس تأثيراتها عليها عن طريق إحدى أدواتها المتمثلة في التقنية، وكذا التحقق من التصوّر النمطي المعطى لهذه العلاقة، الذي يربط حتميا بين ضعف

الشعور بالانتماء المرتبط بالمحلي والوطني، وتقويضه يجعل الهويات غير مرتبطة بالحيز المكاني، وبين العولمة وتسليعها للثقافة العالمية بمنظومة القيم مضادة تحاول بها تفكيك الهوية من الخارج، أو تصعيد الهويات الأصغر (الفرعية) لتفكيك الهوية الوطنية من الداخل. إضافة إلى الكشف عن رد الفعل المضاد الذي تقوم به الهويات تجاه هذه الموجات العولمية.

- تهدف الدراسة نظريا إلى محاولة معرفة مدى انطباق النظريات السوسيولوجية التي بحثت في علاقة الهوية بالعولمة، وكذا الهوية في ظل الانفتاح العالمي على حالة الجزائر.
- تهدف الدراسة أيضا إلى تحديد المدى الذي يوفر به موقع فيسبوك عن طريق تقنياته فضاءً يمكن المستخدمين الجزائريين من التقدم والإفصاح عن هوياتهم الذاتية، الجماعية (الوسطى) والوطنية، وجعلها امتدادا لهوياتهم الفعلية مقابل خلق هويات جديدة موازية لها، إضافة إلى تحديد أنماط استخدامهم له؛ وذلك تمهيدا لمعرفة تموقع فيسبوك ضمن حياتهم اليومية.
- محاولة معرفة المدى الذي يساعد به موقع فيسبوك كفضاء عولي في التأثير على البعد الأول من أبعاد العولمة الجزائرية؛ ومعرفة مدى تمسك المستخدمين من عينة بحثنا بقيمهم الدينية وتأثير ذلك في مقاومتهم أو تعاطيهم مع موجات العولمة الدينية سواء ما يتعلق بالقيم المخالفة للدين الإسلامي أو التبشير، ومن جانب آخر معرفة مساهمة هذا الموقع في توفير فضاء لعرض هوية المبحوثين الدينية واستغلالهم له في الترويج لها.
- الكشف عن مختلف مظاهر علاقة العولمة في شقها اللغوي بالبعد الثاني من أبعاد الهوية الجزائرية وهو البعد اللغوي، سواء من خلال اكتساب أفراد العينة لأساليب لغوية جديدة مرتبطة بالعالم الافتراضي، ممارساتهم اللغوية عبر موقع فيسبوك واختراعهم للغة فيسبوكية جزائرية جديدة، كما نهدف أيضا من خلال الدراسة إلى اكتشاف مدى مساهمة فيسبوك في تغذية الصراعات اللغوية في الجزائر في إطار ما أسميناه تصعيد الهويات الفرعية.
- تهدف الدراسة فيما يخص البعد الثالث من أبعاد الهوية الوطنية الجزائرية إلى محاولة قياس مساهمة موقع فيسبوك كأداة عولمية في استيراد المستخدمين من أفراد العينة لمنظومات حضارية منفصلة عن الشخصية الحضارية الجزائرية، ومبتعدة عن مشاركتهم في ثقافة المجتمع والوطن، بالمقابل مشاركتهم في تشكيل فلكلور عالمي يعطيهم صفة "المواطنين العالميين".

خامسا: تحديد مفاهيم الدراسة.

إن نقطة الاشتراك بين كل من عنوان الدراسة، إشكالياتها، تساؤلاتها وفرضياتها هو تأسيسها على ذات الشبكة من المفاهيم التي تتركب فيما بينها لتساهم في تحليل إشكالية الدراسة، بدءً من فروضها إلى استخلاص نتائجها؛ يقول توماس كون Thomas Kuhn في المفهوم "إن المفهوم يبقى دون معنى إلا إذا ارتبط وتلاءم مع مفاهيم أخرى من خلال مساهمته بحل إشكالية معينة واكتشاف لغز ما"¹، فما هو المفهوم؟ حسب موريس أنجرس Maurice Angers المفهوم هو "تصور ذهني لمجموعة متنوعة من الظواهر التي نريد ملاحظتها.. يجمع المفهوم إذن عددا معينا من العناصر في نفس الكلمة أو اللفظ"²، فهو

¹ نظير جاهل، تسديد المنهج: علم الاجتماع بمواجهة عنف العولمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص 10.

² موريس أنجرس، ترجمة: بوزيد صغراوي وآخرون، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، الطبعة الثانية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006، ص 158.

تعبير مختصر، مركب ومجرد ينسب إلى واقع أو ظاهرة ما، وتختلف درجة تجريده عن غيره من المفاهيم، فكلما كان أقرب إلى الملاحظة والتجسيد كلما قلّ تجريده.

كما تختلف مصادر بين استنباط واستقراء، فهناك مفاهيم تستمد من نظريات وأدبيات وتتميز بخصائصها البنائية، وهي التي ستأها ماكس فيبر بالمفاهيم التأسيسية كمفاهيم الدولة والرأسمالية، فـ"مهما كانت الصيغة التي نعطيها للمفهوم العلمي للدولة فإنه يبقى دائماً تركيباً نحن نبنيه لتحقيق أهداف معرفية محددة"¹ كما يقول فيبر، فليس المهم في دراسة ما أن نعي ماهية المفهوم في حد ذاته بل مجموعة الأبعاد المتداخلة التي لا يمكن تناول أحدها دون تناول الآخر، فالأهم من مفهوم الدولة مثلاً هو مفهوم الدولة المعاصرة، ومفاهيم تستمد من الواقع الملاحظ وتتميز بخصائصها الوظيفية ويسمى فيبر المفاهيم النوعية، وهي المفاهيم التي يمكن بسهولة تحويلها إلى متغيرات كمية مثلاً مفهوم الهوية الافتراضية الذي يمكن تفكيكه إلى: اسم الحساب، صورته، معلوماته.. وغيرها.

وقد استخدمنا في الدراسة كلا النوعين من المفاهيم، حسب غرضنا الذي نريده من كل مفهوم ذلك أن "اكتفاء علم الاجتماع بنوع واحد من المفاهيم غالباً ما يوقع إما في الإمبريقية المبتذلة وإما في الابتعاد عن التحليل الاجتماعي والاقتراب من الخطاب الفلسفي"²، ويؤكد ذلك كل من ريمون كفي Raymond Quivy ولوك فان كبنهود Luc Van Campenhoudt بقولهما "سيكون بدون ريب ملائماً أكثر تحديد هذه المفاهيم في علاقة جدلية تتبادل عبرها وفيها بينها التوضيح والتحدي لإحراز تقدم في المعرفة العلمية"³، خاصة أنها يخضعان بنفس الطريقة إلى عمليات مترابطة تنتج أبعاداً ومؤشرات تنقلها من المجرد والمشوش Chaos إلى المحدد والمعزف.

ولا يتكامل تحديد مفاهيم الدراسة بإعطائها تأصيلات لغوية وتعريفات اصطلاحية، ذلك أن الفصول النظرية ستنتطوي على تحليلات معقدة لكل واحد من هذه المفاهيم تأصيلاً لغوياً وقراءة سوسيولوجية، بل يتعين علينا -وهو الأهم- إعطاؤها تعريفات إجرائية، بمعنى تعريفها حسب دلالتها واستخدامها في هذه الدراسة وما نريده منها، فتصبح مجموعة المفاهيم الإجرائية بمثابة معجم متخصص في دراستنا هذه بعينها، كما أن منها من يتطلب تأصيلاً لغوياً ومنها ما يكفي بتعريفها اصطلاحاً حسب بنائيتها أو وظيفيتها، وتتمثل أهم مفاهيم دراستنا في:

1. مفهوم الهوية:

نجد مفهوم الهوية إذا بحثنا عنه لغةً في مختلف المعاجم والموسوعات من ناحية الدلالة اللغوية بأنه كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" و"ياء" النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها، فالهوية لغةً تأخذ تعريفها من لفظ هو وتعني "الذات الأخرى"، والهوية تقابل الأنية (من أنا) فالشيء يكتسب هويته من "الآخر"⁴، كما يمكن العثور على اللفظ في كتب المصطلحات العربية القديمة والتراثية مثل "التعريفات" للجرجاني، والذي جاء فيه تعريف الهوية

¹ نظير جاهل، مرجع سبق ذكره، ص 8.

² المرجع نفسه، ص 10.

³ ريمون كفي ولوك فان كبنهود، ترجمة: يوسف الجبالي، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، المكتبة العصرية، بيروت، 1997، ص 164.

⁴ مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر، 1989، ص 654.

بمعنى: "أن يكون الشيء هو هو، وليس له مقابل" مما يدل على ثبات الهوية، وهو موجود أيضا في المعاجم في مصطلح "الإنية" المشتق من "أنا" Ipseity بنفس المعنى، إذ استعمله الفارابي في كتاب "الحروف" مقابلا إياه باللفظ Alternity ويعني الغيرية¹، والإنية هو المفهوم الذي كثيرا ما نصادفه في نقاشات مسألة الهوية الوطنية الجزائرية.

وقد عُرِّفَت الهوية اصطلاحا تعريفات عديدة وذات وجهات نظر وتناول مختلفة، وبتخصيص المنظور الاجتماعي ندرجها كما وردت في معجم سايج (الحكيم) لعلم الاجتماع The Sage Dictionary of Sociology، إذ جاءت الهوية فيه على أنها "الشعور بالذات الذي يتطور عندما ينفصل الطفل عن والديه وعائلته ويكتسب مكانا في المجتمع"²، فالتعريف يعطي رؤية سوسيولوجية للهوية بإعطاء وزن كبير للتنشئة الاجتماعية، التفاعل والعلاقات الاجتماعية كعمليات مهمة تساهم في فهم الذات كمنتج اجتماعي، ضمن مختلف الظروف والسياقات. كما يعطي المعجم معنيين أو منظورين للهوية متناقضين، الأول حداثي والثاني عرقي، فالأول يرى من خلاله أن الحداثة اليوم أعطت مجال أكبر للأفراد وفرصا لـ "مراجعة هوياتهم" من خلال اختيار وتغيير أنماط حياتهم، عاداتهم ومعتقداتهم.. حتى تغيير هويتهم الظاهرة على المستوى الجسدي، بهذه الطريقة، يُنظر إلى الهوية على أنها مرنة ومفتوحة على التغيرات المقصودة والمتعمدة؛ وأما الثاني فيتزايد مع تزايد المعرفة بخلفياتنا الجينية، إذ أصبح الأفراد مهتمين أكثر فأكثر بهوياتهم الجينية وأصولهم ومدى تأثير ميراثهم الجيني على إحساسهم بهويتهم³.

عرّف أليكس ميكشيللي Alex Mucchielli الهوية على أنها: "مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل اجتماعي.. [والهوية بالنسبة له] مركب من العمليات والطروحات المتكاملة، التي تفسر العالم... [وتمنح الإحساس] بالانتماء، والتأسك، والاستمرارية الزمنية، والاختلاف، والتقدير، والاستقلال، والثقة، والإحساس بالوجود"⁴. وقد حدد ميكشيللي انطلاقا من هذا التعريف بعض العناصر التي يمكننا من خلالها تحديد هوية فرد أو جماعة ما، نذكر منها:

- ✓ **البيئة الحيوية:** التي تشمل المحيط الفيزيقي للفرد والجماعة مثل: المسكن، الحدود الجغرافية، اللباس، أساليب الاتصال.. وغيرها.
- ✓ **التاريخ:** فتاريخ الجماعة هو أساس تحديد حاضرها وهويتها فيه، ويشمل ذلك: أبطالها التاريخيين، قصصها، أساطيرها، وموروثاتها.
- ✓ **الديموغرافيا:** أي توزيع أفراد الجماعة على أسس ديموغرافية، كالسن والجنس ومختلف أشكال التهيئة الديموغرافية التي تضفي على تلك الجماعة خصوصية معينة.
- ✓ **التنظيم الاجتماعي:** والذي يشار به إلى الطريقة والتراتيبات التي تنتظم بها الجماعة في اتجاهاتها، علاقاتها، نظام سلطتها وصولا إلى طبيعة العلاقة بين بين أفرادها.

¹ حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012، ص 17.

² Steve Bruce and Steven Yearley, *The Sage Dictionary of Sociology*, SAGE Publications, London, 2006, p 144.

³ Ibid, p 144.

⁴ أليكس ميكشيللي، ترجمة: علي وطفة، الهوية، در الوسم للخدمات الطباعة، دمشق، 1993، ص 169 – 170.

✓ **الذهنية:** والتي تبنى على أساس كل ما سبق، وينتج عنها أشكال معينة من الممارسات، أشكال التعبير، أنماط السلوك، الاعتقادات والرموز¹، فنجد أنفسها بشكل لا واعٍ عادة عندما نريد وصف مظهر أو سلوك فرد أو جماعة نرجعه إلى واحد من هذه العناصر أو غيرها من العناصر الهوية التي تطبع الجماعة بطبائعها، قائلين: **واضح أنه جزائري.**

وبشكل ملموس مبسط ومجرد أكثر عن معنى الهوية رغم التجريدات الفلسفية المنسوبة لمعناها إلا أنها ببساطة مطابقة الشيء لنفسه كما هو مجسد في بطاقة التعريف الوطنية، "الهوية تتعلق بالشخصية وبالعدد وبالتفرد وبالكيف كما تقول المعاجم التي تعبر عن تصورات مجردة واقتباسات من أقوال الفلاسفة. وهي في الحقيقة وقائع حسية عيانية لا تحتاج إلى كل هذا التجريد... الهوية هنا صورة أو بطاقة لتعرف الآخر على الذات في البنوك والمؤسسات والمركبات والامتحانات، وكل ما يحتاج إلى التحقق من الشخصية. لها رقم وصورة وتاريخ ميلاد ومكان وتاريخ إصدار للإشارة إلى فرد بعينه"².

• الهوية إجرائيًا:

الهوية بالمعنى الذين نقصده في دراستنا هذه هي: شعور ووصف مركب من مجموعة السمات التي تعبر عن التشابه بين أفراد جماعة ما، وفي نفس الوقت تضمن اختلافهم وتمييزهم عن الآخرين ضمن ذات الجماعة وعن جماعات اجتماعية أخرى، وعن طريقه يتحدد انتماءهم إليها أو اغترابهم عنها، وتأخذ هذه السمات مستويات: ذاتي يخص الفرد ذاته، جماعي يخص انتماءه إلى جماعاته، ومجتمعي يصف انتماءه إلى مجتمع أكبر يتمثل عادة في "الأمة"، فيتم من خلال الهوية تعريف الذات والجماعة والمجتمع. كما أن هناك مستوى آخر بُني في عصر العولمة وضمن الدراسات العولمية وهو المستوى الكوني، والذي يخص هوية الفرد باعتباره فردا عالميا غير محدودة انتماءاته بجماعة أو مجتمع معينين، وهو الفرد "الكوني".

2. مفهوم الهوية الوطنية:

الهوية الوطنية مفهوم مركب لغةً من لفظ "الهوية" سابق التعريف، و"الوطنية" من الوطن، وأن نتحدث عن وطن، يعني أن نتحدث عن مكان نقيم فيه، فـ "الوطن هو: موطن الإنسان ومحلّه؛ وقيل وطنٌ بالمكان وأوطن أقام... وأوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيها"³. يعني هذا أن الهوية الوطنية هوية تعبر عن مُستقرّ الأفراد الذي يتخذونه محلاً للعيش ومنه الانتماء إليه والانسجام بسببته.

أما اصطلاحاً فعُرفت إحدى موسوعات سبرينغر Springer الهوية الوطنية بتفصيل حيث لم تكف بتقديم تعريف لها بل حددت عناصرها الرئيسية التي يمكن من خلالها التفريق بين مفهوم الهوية الوطنية ومفاهيم أخرى كالجنسية مثلاً، فجاء فيها أن الهوية الوطنية هي "مجموعة من المعارف والعواطف التي تعبر عن علاقة الفرد بأمته، كما أنها بناء ذاتي يختلف عن مفهوم "الجنسية" الذي يعتبر علامة موضوعية على انتماء الفرد إلى الأمة... من خلال التسجيل الرسمي وإصدار الوثائق ذات الصلة"⁴.

¹ أليكس ميكشيلي، مرجع سبق ذكره، ص 22 – 26.

² حسن حنفي، مرجع سبق ذكره، ص 17 – 18.

³ جلال الدين ابن منظور الأنصاري، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، لسان العرب، الطبعة الثالثة، الجزء الخامس عشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ص 338.

⁴ Eugene Tartakovsky, "National Identity", *Encyclopedia of Adolescence*, Springer, New York, p 1851, DOI: https://doi.org/10.1007/978-1-4419-1695-2_367.

فالهوية بهذا؛ انتماء عاطفيّ سواء كان ذاتيا أو جاعيا، عكس الجنسية التي تعتبر انتماءً رسميًا مُعطى وليس ذاتيا، ملموس ومُثبت بوثائق وليس من خلال تصوّرات الذات، لهذا حددت الموسوعة مجموعة من العناصر لتفكيك الهوية المعقد على حد وصفها:

✓ الاقتناع الذاتي أي تصنيف الفرد لذاته أنه ينتمي إلى أمة معينة؛

✓ شعور قوي بالانتماء الوطني كجزء من هوية الفرد؛

✓ المشاعر (الإيجابية أو السلبية) تجاه الوطن؛

✓ الصور النمطية حول الخصائص والسمات النموذجية للأشخاص الذين ينتمون إما إلى مجموعتهم الوطنية أو إلى مجموعات قومية أخرى، أي تفريق الفرد بين من هم "نحن" ومن هم "أولئك"، وكذا تصوّر الذات على أنها مشابهة لأعضاء المجموعة الآخرين من خلال خصائص محممة تحدد المجموعة؛

✓ المعرفة والرغبة في استيعاب الثقافة والقيم واتباع القواعد السلوكية الوطنية؛

✓ الآراء الذاتية فيما يتعلق بأهداف الأمة ومشاكلها الراهنة¹، بمعنى أن الفرد لا يدّخر أن يفكر بذاتية في ظل الأزمات والمشاكل التي تخص وطنه إذا ما قوبلت بمشكلات للأمم أخرى.

• الهوية الوطنية إجرائيا:

الهوية الوطنية بالمعنى الذي نقصده في دراستنا تعني: الشعور والوصف الذي يعبر عن اللحظة التي يرى فيها مجموعة من الناس أنفسهم على أنهم يشكلون كيانًا فريدًا ومحددًا، مع الاستمرارية عبر الزمن؛ الوحدة عبر المكان، توحد التعبير الجماعي عن الذات، واختلاف التعبير عن الآخر، فنقول حينها أنهم اكتسبوا شعورا بالهوية الوطنية، الأخيرة التي تتكوّن من مرجعيات مبنية تاريخيا واجتماعيا لتمييز الأمة عن غيرها من الأمم الأخرى، فهي بذلك مفهوم مناسب لموضوع الدراسة ليقاس على أساسها مدى تأثير ومقاومة المد العولمي الثقافي. والهوية الوطنية المعنية بالدراسة الحالية هي: الهوية الوطنية الجزائرية، ورغم أنها هوية مركبة من مرجعيات ومقومات عديدة إلا أننا حدّدنا أبعادها إجرائيا، دستوريا وسوسيوتاريخيا² في الأبعاد الثلاثة التالية:

✓ البعد الديني: بما يشمل من مؤشرات مصدرها الدين الإسلامي سواء في الجانب القيمي أو الجانب الممارساتي والطقوسي.

✓ البعد اللغوي: بما يشمل من مؤشرات مصدرها اللغات الوطنية الجزائرية، اللغة العربية ثم البربرية بتنوّعاتها اللهجية.

✓ البعد الوطني (من الوطنية): بما يشمل من مؤشرات مصدرها الثقافة، التاريخ، العادات والتقاليد... وما ينتج عنها من عوامل للوحدة أو التفكك.

3. مفهوم العولمة:

الأصل اللغوي لكلمة عولمة مأخوذ من مصدر الفعل "عولم" أي جعل الشيء عالميا أو إضفاء الصبغة العالمية عليه، وجاءت على وزن الصيغة المصدرية في اللغة العربية التي تقابلها الصيغة zation في الإنجليزية، فالمقابل للمفهوم باللغة الفرنسية

¹ Eugene Tartakovsky, Opcit, p 1851.

* أنظر: المطلب الثالث، المبحث الثاني من الفصل الثالث.

هو Mondialisation، وباللغة الإنجليزية Globalization، وقد عرّفها معجم اللغة العربية المعاصرة على هذا الأساس بأنها "حرية انتقال المعلومات وتدفق رؤوس الأموال والسلع والتكنولوجيا والأفكار والمنتجات الإعلامية والثقافية والبشر أنفسهم بين جميع المجتمعات الإنسانية حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد أو قرية واحدة صغيرة"¹، فعولمة الثقافة أو القيم أو اللغات يعني نقلها وتدفقها من العالم أو نحو العالم.

أما اصطلاحاً فيمكن تعريف العولمة أنها "الصيرورة التي تذيب المسافة الجغرافية بين محليات غير ذات صلة"²، فهي قبل كل شيء مفهوم يشير إلى التغير في المكان خلال مرور الزمن وهذا التغير يتجه نحو جميع أنحاء العالم، وهو صيرورة تأخذ أبعاداً مختلفة ووجهات نظر. فقد عرف معجم بينغوين لعلم الاجتماع **The Penguin Dictionary of Sociology** العولمة على أنها "العملية التي يقال من خلالها أن العالم أصبح مساحة واحدة؛ فيُنظر إليها على أنها ضغط للفضاء... فهي الكيفية التي تقلص بها العالم نتيجة لتقنيات الاتصالات الجديدة"³.

وعلى الرغم من عدم وجود تعريف واحد للعولمة، خاصة أن لديها جوانب متعددة اقتصادية، سياسية وثقافية إلا أنه يمكننا أن نلاحظ أن العناصر التالية هي مكونات محممة في تعريفها مهما كانت زاويته:

- ✓ النمو السريع في ترابط الثقافات والسلع والمعلومات والشعوب عبر الزمان والمكان؛
- ✓ التوسع في قدرة تكنولوجيات وأنظمة المعلومات على ضغط الزمان والمكان؛
- ✓ نشر السلوكيات والممارسات والقواعد الموحدة لمعالجة تدفقات المعلومات والأموال والسلع والأشخاص؛
- ✓ ظهور أنظمة لتعزيز العولمة أو السيطرة عليها أو الإشراف عليها أو رفضها؛
- ✓ ظهور أنواع من الوعي تعترف بالعمليات العالمية مثل العالمية أو تروج لها أو تحتفي بها أو تنتقدها⁴.

فالعولمة الثقافية مثلاً هي نتيجة لصعود تنقلات البشر والأفكار عبر السياحة، الهجرة، الإعلام وتسويق المنتجات الثقافية عبره، والانتشار العالمي لأيديولوجية النزعة الاستهلاكية، والتي لها تأثير بطريقة أو بأخرى على الثقافات المحلية. وهناك عدد من النظريات الاجتماعية التي كانت سبباً في التأسيس لمفهوم العولمة، يمكن القول أنها كانت بمثابة تأصيل لنظرية العولمة المعاصرة على سبيل المثال: نظرية النظم العالمية كما طورها إيمانويل والرشتاين Imanuel Wallerstein؛ التحليل الحضاري لنوربرت إلياس Norbert Elias، نظريات المعرفة المحوسبة والمعلومات وما بعد الصناعة لمارshall مكلوهان، ومانويل كاستلز؛ مفاهيم الحداثة الانعكاسية ومجتمع المخاطرة عند أثنوني جيدنز Anthony Giddens وأولريتش بك Ulrich Beck، وغيرها من النظريات التي سننعمق في شرحها في الفصول النظرية.

¹ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص 1579.

² توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرن نيلسون، ترجمة: لاهاي عبد الحسين، تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، منشورات ضفاف، الجزائر، 2013، ص 251.

³ Nicholas Abercrombie and others, **The Penguin Dictionary of Sociology**, 5th Edition, Penguin Books, England, 2006, p 167.

⁴ Ibid, p 167.

• مفهوم العولمة إجرائيًا:

مفهوم العولمة كما قصدته في الدراسة هو: انتقال السمات الاقتصادية، السياسية، الثقافية والاجتماعية من العالم إلى الحدود المحلية الجزائرية ومنها نحوه، فهي بهذا المعنى سبيل لاختراق القيم والسمات والنظم السياسية، الاجتماعية والثقافية العالمية للخصوصيات المحلية، ولكنها كذلك سبيل لإخراج هذه الخصوصيات إلى الحدود الكونية والمشاركة بها في تشكيل تلك القيم والنظم والسمات، هذه الخصوصيات التي تجيء في دراستنا هذه ممثلة في "الهوية الوطنية الجزائرية"، على أساس أنها الوصف الذي يشتمل على هذه السمات. وتستخدم العولمة من أجل هذا الانتقال أدوات عديدة، تتناول دراستنا هذه الأداة الثقافية ممثلة في أحد مواقع الواصل الاجتماعي وهو موقع فيسبوك، الذي يساهم في -كما نفترض- في عولمة أبعاد الهوية الوطنية الجزائرية بنفس المنطق الذي أثرت به عليها أشكال العولمة المبكرة كالهجرات وموجات التثاقف، والحديث كالاستعمار والهجرة ووسائل الإعلام التقليدية.

4. مفهوم الهوية الافتراضية.

الهوية الافتراضية كمفهوم لغوي، هو مكون من لفظين، "الهوية" و"الافتراضية"، وكلمة افتراضي هي "اشتقاق لفظي من كلمة virtualis في اللغة اللاتينية للعصور الوسطى، وهي بدورها مشتقة من (virtus) أي القوة والقدرة، ويطلق تعبير الافتراضي ... على الشيء الموجود بشكل كامن لا على الشيء الموجود بالفعل"¹ ولا تعني الافتراضية هنا غير الواقعي أو الزائف بل تعني شكلا من أشكال التواجد ونمط من الوجود الخاص غير المرتبط بالمكان والزمان بالشكل الذي يرتبط به الوجود الفعلي، فالافتراضية تعني أن "يتحول إنسان أو مجتمع أو عمل ما أو معلومة إلى كيان افتراضي فإنهم يتموضعون خارج الـ هنا ويصبحون بلا مكان محدد، ويصيبهم نوع من الانفصال عن الحيز الفيزيائي أو الجغرافي العادي ومن زمانية الساعة والتقويم"²، فالهوية الافتراضية لغة تعني الهوية الكامنة وراء الوجود غير الفعلي للأفراد.

أما اصطلاحًا فإن الهوية الافتراضية لا تطرح فقط إشكالا مفاهيميا بقدر ما تطرح إشكالات على مستوى البنية والوجود الافتراضي وذلك لامتدادها ومدى تأثيرها على الهوية الوجودية للفرد نفسه، ويمكن تعريفها اصطلاحًا بأنها "مجموع تمثيلات الشخص لذاته كفرد مستقل وككائن له وجوده في العالم الافتراضي.. وطرائقه في التواصل مع الآخرين ومع المجموعات الاجتماعية الافتراضية، وتجاربته وتفاعلاته الافتراضية"³. فهي بهذا المعنى وصف للهوية التي يمتلكها الأفراد باعتبارهم أعضاء في المجتمعات الافتراضية، ولأن الهوية كما عرّفناها هي نظام مؤطر للتفاعلات والسلوكيات الفردية والجماعية، فإن التفاعل وتشكيل الشبكات في المجتمعات الافتراضية يتطلب بدوره هوية تؤطره من جهة؛ وتنطبع بالخصائص الافتراضية لتلك المجتمعات من جهة أخرى، وهي التي يُعبّر عنها بلفظ الهوية الافتراضية Virtual Identity.

¹ بيار ليفي، ترجمة: رياض الكحال، عالمنا الافتراضي: ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، 2018، ص 15.

² المرجع نفسه، ص 22.

³ عائشة لصالح، "الشبكات الاجتماعية والهوية الثقافية والاجتماعية للشباب"، في: السؤال عن الهوية، كتاب جماعي، إشراف: البشير ربوح، منشورات ضفاف، بيروت، 2016، ص 459.

كما يتم التعبير عن هذا النوع من الهوية في أدبيات أخرى بالحوية على الخط Online Identity، وترتبط أو تتداخل مع مفاهيم أخرى مثل الهوية الرقمية Digital Identity. فبينما تحمل الهوية الافتراضية والهوية على الخط نفس المعنى، فإن الهوية الرقمية —ولو أن معناها ليس ببعيد عن معنى الهوية الافتراضية— تشير إلى وجود فرد أو كيان داخل التطبيقات أو الشبكات أو الأنظمة المحلية أو البيئات السحابية؛ قد يكون هذا شخصاً أو مؤسسة أو تطبيقاً أو جهازاً، فقد لا يكون هناك فرد بشري مرتبط بالحوية الرقمية، فهواتفنا وحواسيبنا على سبيل المثال لديها هويتها الرقمية الخاصة بها، أما الهوية الافتراضية فتشير إلى هوية ينشئها فرد فعلي من أجل تشغيل نظام أو جهاز تم تعيين هوية رقمية له. كما أن هذا النوع من الهوية يعتبر "استعراضاً للذات أكثر من كونها كشفاً لها"¹، أي أن وجود الهوية الافتراضية وعرض الأفراد ذواتهم من خلالها لا يعني تخليهم عن تحكمهم في هوياتهم الفعلية بل يعني امتلاكهم لهويات أخرى كامتداد لها، أو كفرصة يستعرضون من خلالها ذواتهم كما يريدونها أن تظهر للآخرين.

• الهوية الافتراضية إجرائياً:

مفهوم الهوية الافتراضية كما نقصده في الدراسة يعبر عن: الهوية المتأتمية من الانتماء إلى فضاء وعالم غير فعلي؛ ولكنه واقعي، وهو يؤثر ويتأثر بالخصائص الهوياتية للأفراد، كما أنها هوية تكون إما امتداداً لتلك الفعلية، أو بديلة وتحريفها لها، فالهوية الافتراضية للمستخدم الجزائري في دراستنا تتمثل في تلك التي ينشئها عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، سواء ليكشف بها عن ذاته الحقيقية فيعتبر حسابه على الموقع امتداداً لهويته الفعلية وبالضبط هويته الوطنية عبر أبعادها: الدين، اللغة والوطنية، أو ليعرض بها ذاته كما يريد أن تكون وكما يريد أن تظهر للمستخدمين الآخرين فيعتبر حسابه على الموقع قناة يزيق ويصنع من خلاله هويته، بالرجوع إلى أفكار وممارسات نقلها إليه الموقع ذاته.

5. مفهوم مجتمع الشبكات:

من جانب لغوي وقبل الخوض في معنى المجتمع الشبكي وما يحيل إليه، حري بنا فهم المقصود من مصطلح الشبكة، ورغم أن المصطلح هو في الأصل لاتيني، فكلمة Net إتيولوجياً تعني "كل ما يتشكل من فجوات وتشابكات"²، أي أنها تشير إل حالة من التعقد والتداخل، كما أنها تعني في علم الرياضيات "الشكل الذي يتكون عن طريق رسم نقاط مفترضة، ومن خلال أزواج/مجموعة منها وكذا من خلال النقاط التي نتجت عن تقاطعات الخطوط يتم رسم خطوط مستقيمة أخرى"³، ومنه تتشكل الشبكة؛ فهي التقاء خطوط مستقيمة تصل بين نقاط مفترضة، بحيث كلما زاد عدد النقاط اتسعت الشبكة.

أما كلمة Network أو التشبيك أو الشبكي فتعني "الفعل الذي من خلاله يتم إنتاج الشبكة"⁴، كما أن لفظ "شبك" و"شبكة" في اللسان العربي يحيل إلى "الخلط والتداخل" ومنها فعل التشبيك، فاشتبك السراب أي اختلط بعضه ببعض،

¹ جون بول فورمنتر، مرجع سبق ذكره، ص 13.

² William Dwight Whitney (Editor), *The Century Dictionary and Encyclopedic Lexicon of the English Language*, Part XIV, The Century Company, New York, 1889, p 3974.

³ Ibid, p 3974.

⁴ Unknown Writer, *Collins' Etymological Dictionary*, Collins' Clear-Type Press, UK, 1960, p 237.

و"الشبكة" هي القرابة وتعني اتصال الأرحام بعضها ببعض¹، فنجد المصطلح مصاغاً عن طريق التوليد بالاستعارة والغرض منه وصف حالة من التداخل والاتصال.

أما اصطلاحاً فمجتمع الشبكة كما يشير إليه كاستلر، هو المجتمع القائم "على تضاد ثنائي القطب بين الشبكة والذات، إلا أننا نشهد في الوقت نفسه عملية حدوث تقارب اجتماعي وثقافي، حيث جمعت الشرائح السكانية المختلفة من خلال وسائل إعلامية واستهلاكية في بوتقة متجانسة، وثمة في المقابل انبعاث للهويات المحلية والعرقية؛ وذلك لأن ثمة كثيراً من الأفراد يختارون تعريف أنفسهم بموروثهم العرقي والثقافي والديني بأسلوب خاص. وكثيراً ما تكون هذه المجتمعات غير متصلة جغرافياً، لكنها ترتبط بعضها مع بعض بوسائل الاتصال"².

كما يعرف مجتمع الشبكات أو المجتمع الشبكي كذلك بأنه "المجتمع الجديد الذي تتَمَوَّقُ في فضاءه المنظمات والجمعيات غير الحكومية، يُشبه شبكة العنكبوت، ويتشابك فيما بينه، ويرتبط عبر الشبكة، ويتواصل عن بعد عبر نظم تواصل جماعية، ويستوطن فضاء سيبرنيا (Cyber space/Cyberspace) تحول مع الأيام إلى مسكن للجماعات الافتراضية"³، وربما يعتبر وصف جان فان ديك Jan Van Dijk لهذا المجتمع بقوله: "ربما لم يكن العالم أكثر حرية من أي وقت مضى، لكنه لم يكن أيضاً مترابطاً إلى هذا الحد وعلى المستوى الفردي، أصبح استخدام الشبكات يهيمن على حياتنا"⁴، وصفاً مناسباً له، ذلك أنه باختصار المجتمع الذي تسيطر فيه التقنية والإنترنت على الحياة اليومية للأفراد.

• مجتمع الشبكات إجرائياً:

مفهوم مجتمع الشبكات بالمعنى الذي نقصده في الدراسة هو: المجتمع الذي يصبح مفهوم "الشبكة" فيه مفهوماً جوهرياً، فنرى أن الشبكات الإعلامية والشبكات الاجتماعية والشبكات الاقتصادية أصبحت تصل إلى أبعد أركان العالم، وغير مرتبطة بحدود مكانية، وذلك عن طريق التقنية، إذ يرتبط مجتمع الشبكات ووجوده بتكنولوجيا المعلومات والإنترنت، وفي إطارها أصبح عالمنا متصلاً عالمياً، وهي خاصية من خاصيات العولمة؛ إذ تحاول العولمة من خلال التقنية بعث الثقافة العالمية نحو المحلي، وتحاول الهوية من خلال ذات التقنية الدفاع عن خصوصيتها بالالتفاف حول مرجعياتها وتكريسها. والتقنية في هذه الدراسة ممثلة في أحدث أهم الشبكات الاجتماعية المتصلة بالإنترنت وهي موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، لاعتباره أحد أهم فضاءات التدفقات الثقافية في العالم والجزائر، ففيسبوك هنا هو مجتمع شبكي.

6. مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي:

شبكات التواصل الاجتماعي من أهم أنواع المجتمعات الافتراضية، وهي منصات للتواصل الاجتماعي القائمة على مبدأ الاتصال والمشاركة عبر الإنترنت، إذ يتمكن من خلالها المستخدمون من مشاركة المحتوى من الأفكار والرسائل الشخصية

¹ جمال الدين ابن منظور الأنصاري، مرجع سبق ذكره، الجزء السابع، ص 20-21.

² إدريس الغزواني، "مانويل كاستلر ومفهوم مجتمع الشبكات من المجتمع إلى الشبكة: نحو مقارنة تأويلية للهوية والسلطة في عصر المعلومات"، مجلة عمران، العدد 9-30، صيف 2020، ص 149.

³ جوهري الجموسي، الافتراضي والثورة: مكانة الإنترنت في نشأة مجتمع مدني عربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2016، ص 24.

⁴ Jan Van Dijk, *The Network Society: Social Aspects of New Media*, 2nd edition, SAGE Publications, London, 2006, p20

والصور ومقاطع الفيديو، ضمن شبكات من الأفراد والجماعات، كما أن مفهومها واسع لا يقتصر فحسب على مشاركة المحتويات الاجتماعية، فهي مقسمة إلى ستة أصناف:

✓ **المشاريع التعاونية مثل (ويكيبيديا):** هي منصات تتيح للعديد من المستخدمين إنشاء محتوى مرتبط بالمعرفة في وقت واحد؛ وتشمل تطبيقات مثل مواقع الويكي، مواقع مراجعة الكتب..؛

✓ **المدونات والمدونات الصغيرة مثل (Twitter):** وهي مساحات تتيح للمستخدمين مشاركة الرسائل القصيرة أو الصور الفردية أو روابط الفيديو؛

✓ **مجموعات المحتوى مثل (YouTube):** مواقع تسمح بالمشاركة الصور ومقاطع الفيديو وأشكال الوسائط الأخرى.

✓ **عوالم الألعاب الافتراضية والعوالم الاجتماعية الافتراضية مثل (Second Life):** بيئات للمحاكاة يمكن للمستخدمين من خلالها التفاعل مع بعضهم البعض في شكل صور رمزية؛ والتصرف بحرية والعيش بشكل أساسي الحياة الافتراضية امتدادًا لحياتهم الفعلية؛

✓ **مواقع التواصل الاجتماعي Social Network Sites:** وهي التي يقوم المستخدمون الفرديون من خلالها بإعداد ملفات التعريف الشخصية الخاصة بهم والتواصل مع المستخدمين الآخرين¹.

فمواقع التواصل الاجتماعي تعتبر من أكثر الشبكات شيوعاً، والتي يمثل فيسبوك موضوع دراستنا أهمها، وتعرف هذه المواقع بأنها "مواقع الويب التي تسمح بإنشاء الملفات الشخصية وربط العلاقات بين المستخدمين... [وهي] التطبيقات المستندة إلى الويب والتي توفر وظائف للمشاركة والعلاقات والمجموعات والمحادثات والملفات الشخصية التي تسهل التفاعلات والتواصل"². وتعتبر الهوية وأساليب عرضها من أهم الوظائف التي تعنى بها مواقع التواصل الاجتماعي، أين تشير إلى تمثيل المستخدم في العالم الافتراضي، على غرار الملف الشخصي على موقع فيسبوك وما يدرج ضمنه من اسم وصور، تاريخ الميلاد والهوايات والعلاقات العائلية وما إلى ذلك من بيانات حقيقية، أو يمكن أن تكون هذه الهوية غامضة مزيفة أو جزئية.

• مواقع التواصل الاجتماعي إجرائياً:

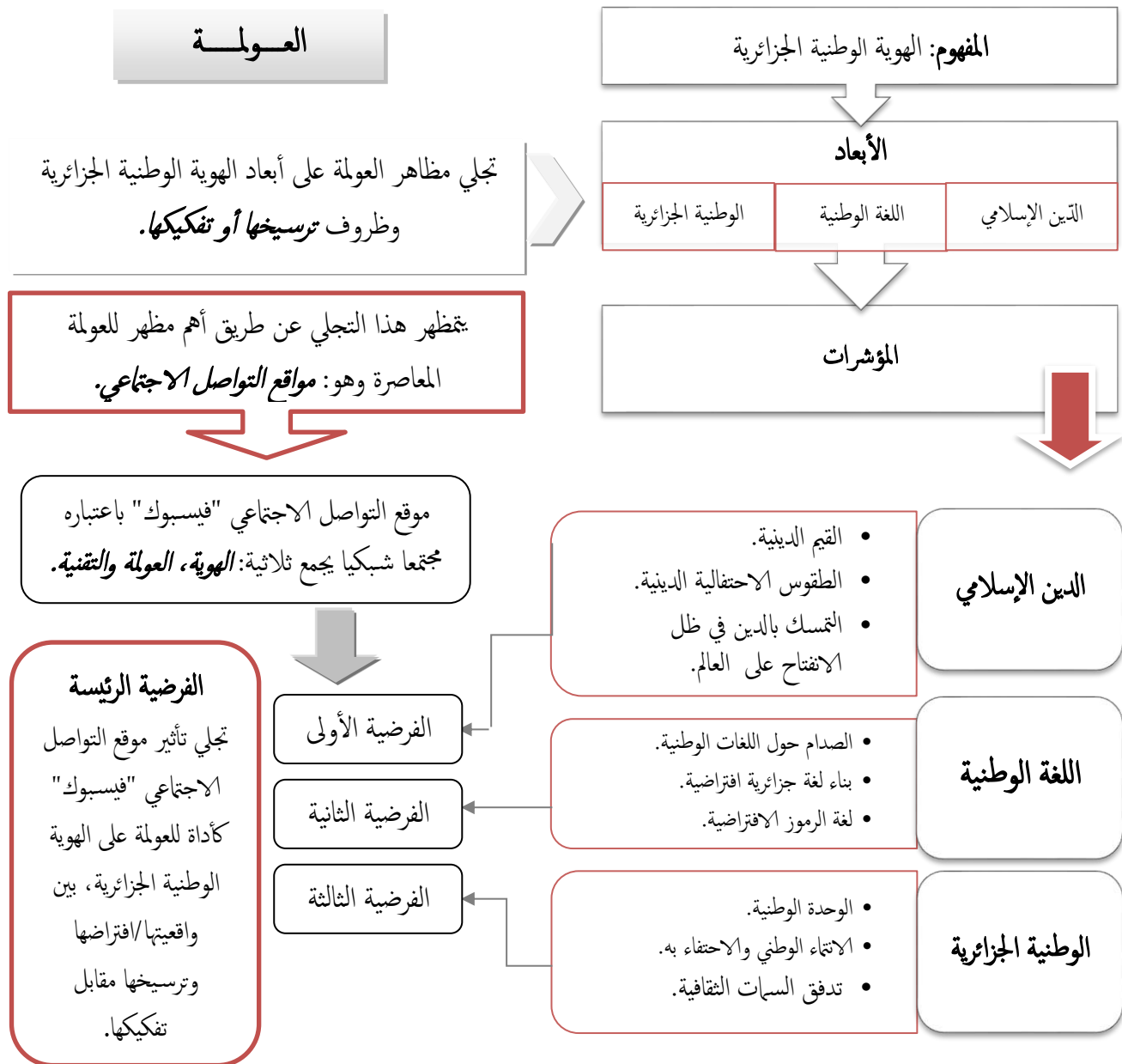
مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي كما ناقشه في الدراسة يعبر عن: المنصات التي يمكن للمستخدم الجزائري من خلالها عرض ذاته، خصائص جماعته، خصائص مجتمعه وأمنته عن طريق عرض مرجعيات تلك الأمة، مستغلاً بذلك التقنيات التي توفرها هذه المواقع لمحاكاة الهوية الفعلية أو خلق أخرى توازيها، كما أنها -مثلة في موقع فيسبوك- إحدى أهم أدوات العولمة في العصر الحديث التي تساهم مساهمة قوية في الانفتاح على العالم وسناته الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية والثقافية مقابل إخراج السمات الخصوصية المحلية نحوه.

¹ Barney Warf (Editor), **The SAGE Encyclopedia of The Internet**, SAGE Publications, the United States of America, 2018, pp 810-812.

² Maxim Wolf and others, "Social Media? What Social Media?", **UK Academy for Information Systems**, UK Academy for Information Systems Conference Proceedings, The United Kingdom, 20-03-2018, p 4. DOI : <https://aisel.aisnet.org/ukais2018/3>.

سادسا: التحديد الإجرائي للمفاهيم الأساسية للدراسة.

في هذه المرحلة سيتم إخضاع مفاهيم الدراسة إلى ما يعرف بالتحديد الإجرائي أو التحليل المفهومي بناءً على ما تم تقديمه من تعريفات إجرائية، والتحديد الإجرائي هو "عملية تحويل المفاهيم إلى مراجعها العملية المحسوسة، أو عملية تكيم المفاهيم لقياس قيمها.. ويستخدم ذلك عندما تكون المفاهيم غامضة أو غير واضحة أو مجردة، لذلك فإن التحديد الإجرائي يتضمن عملية ترجمة للمفاهيم المجردة إلى مراجعها العملية المحسوسة، وهكذا تصبح عملية القياس سهلة ودقيقة"¹، وسنصيح فيما يلي مخططاً يوضح كيفية تصورنا لمفاهيم الدراسة، وتفكيكها بحيث تنتقل من المجرد إلى المحسوس، أي من المفاهيم إلى المؤشرات مروراً بالأبعاد، وذلك تمهيداً لبناء تقنية البحث بشكل موثوق وثابت.



الشكل رقم (01): التحديد الإجرائي لمفاهيم الدراسة.

¹ سوتيريوس ساراتاكوس، ترجمة: شحدة فارح، البحث الاجتماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017، ص 270.

سابعاً: منهج الدراسة وأدواتها.

1. منهج الدراسة:

إن اتباع منهجية معينة لا يأتي اعتباطاً، ولا يتم "اختيارها" تبعاً للحدس أو تفضيلات الباحث، بل هي نتاج لمنظومة علمية توجه البحث وترشد طريقته؛ فبالعودة إلى فلسفة العلوم تتركز سيرورة البحث الاجتماعي وبنيتها على أساسين؛ الأول أنطولوجي* والثاني إبستمولوجي**، فمن خلالهما يحدد الباحث ما الذي يفترض بالبحث أن يدرسه وما هي المصادر التي ستستمد من خلالها المعرفة، ثم تأتي من بعدهما منهجية البحث التي تعد "إستراتيجية تحول المبادئ الأنطولوجية والإبستمولوجية إلى إرشادات توضح كيفية إجراء البحث"¹، والتي لا تكون متناقضة مع تصورنا لموضوع الدراسة من جهة والموقف الفلسفي لمقاربتها السوسيولوجية من جهة ثانية، وفي النهاية يتم تصميم البحث وبناء أدواته.

يراد بالمنهج المسافة الفاصلة بين الجهل بموضوع ما وبين الإحاطة به، وهو عند موريس أنجرس "مجموعة منظم من العمليات تسعى إلى بلوغ هدف.. وهي طريقة تصور وتنظيم للبحث وهو ينص على كيفية تصور وتخطيط العمل حول موضوع دراسة ما، إنه يتدخل بطريقة أكثر أو أقل إلحاح بأكثر أو أقل دقة، في كل مراحل البحث أو في هذه المراحل أو تلك"²، بمعنى أن المنهج هنا لحظة مهمة تبرز في مراحل مختلفة من سيرورة البحث بداية من الموقف الفلسفي الذي يكون فيه البحث في أكثر حالاته تجريدا وصولاً إلى الميدان.

تتطلب بعض المواضيع من الباحث انتهاج المسار الكمي وأخرى تحتم عليه المسار الكيفي، كما يمكن للباحث الجمع بينها بدرجة واحدة أو بدرجات متفاوتة، وهو ما يعرف بالتثليث المنهجي عند أنتوني غيدنز Anthony Giddens، وأيده فيه سوتيريوس ساراتاكوس Sotirios Sarantakos الذي ميز بين التثليث المتزامن (المنهجان في نفس اللحظة) والتثليث المتعاقب (منهج يليه منهج آخر)³، حيث يرى أن يكون هناك تنوع في المناهج مع انسجامها واستخدام النموذجين الكمي والكيفي في المشروع نفسه.

فإذا ما أردنا تطبيق كل المعاني للمنهج ومنظوراته وشروطه سابقة الذكر، فإننا استخدمنا في الدراسة المنهج الكمي كمنهج رئيس غالب على الدراسة، والكيفي كمنهج مدعم له، حيث نريد بالأول إجراء قياس للظاهرة؛ وبالثاني محاولة تحديدها، فننطلق من قياس الظاهرة وصولاً إلى فهمها في إطار التثليث المتزامن والمتعاقب، الذي يجمع بين المنهجين بدرجة اعتماد متفاوتة؛ وستنضح كيفية ذلك في جزء أدوات الدراسة، وقد سلكنا هذا النهج لأننا:

* الأنطولوجيا Ontology: علم الوجود، وتعني الكينونة، أما في فلسفة العلوم فتحيل إلى طبيعة الواقع وتوجب على السؤال: علام يركز البحث؟، على واقع موضوعي أم واقع بنائي.

** الإبستمولوجيا Epistemology: نظرية المعرفة، ودراسة طبيعة المعرفة، وفي سياق البحث تجيب الإبستمولوجيا على السؤال: ما نوع المعرفة التي يهدف البحث إلى تحصيلها؟ معرفة تجريبية أم تفسيرية.

¹ سوتيريوس ساراتاكوس، مرجع سبق ذكره، ص 101.

² موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 98-99.

³ سوتيريوس ساراتاكوس، مرجع سبق ذكره، ص 128-131.

من جهة: لأن الدراسة تحاول بالأساس قياس تأثير العولمة على الهوية الوطنية الجزائرية مستخدمة إحدى أهم أدواتها في عصرنا هذا، وهو موقع فيسبوك.

من جهة ثانية: لامتلاكنا نفس تصور مادلين غراويتز Madeleine Grawitz على أن التكميم هو "الخطوة الأولى نحو العلم"¹، فالموضوع الاجتماعي مهما كان حقيقيا أو مبنيا هو في نهاية المطاف حسبها "اكتشاف واقعات اجتماعية، خلف اللغة المشتركة والمظاهر.. مرتبطة بنظام علاقات خاص بالقطاع المدروس"²، هذه العلاقات التي يسمح البحث الكمي بدراستها بما أن الغرض منه هو دراسة الحوادث الاجتماعية ومعرفة العلاقات فيما بينها وتفسيرها وتبويبها، وبما أن إجراءاته دقيقة منظمة ومنظمة ومرتبطة بالواقع.

ومن جهة ثالثة: لاستنادنا في موقفنا الإيستيمولوجي والمنهجي إلى الموقف الذي اتخذته مانويل كاستلز صاحب مقاربة بحثنا (كما سنرى في العنصر الأخير من هذا الإطار) في دراسته للمجتمع الشبكي وعصر المعلومات وعلاقة كل من العولمة والهوية والشبكة، إضافة إلى دراسته للثقافة عبر الانترنت، أي المواضيع التي تعتبر الحياة الشبكية أحد أهم متغيراتها.

فقد اتخذ كاستلز "موقفا شاملا يكامل بين المنهجين الكمي والكيفي، بين الفرد والمجتمع وبين المحلي والعالمي؛ منطلقا من الكمي (دراسات الجمهور) وصولا إلى الكيفي (البحث السيكلوجي)"³، وقد تأثر في منظوره هذا بقدوته المنهجية ومشرف أطروحة الدكتوراه آلان تورين Alain Touraine، الذي رفض -أو ربما ثار- على الالتزام بمنهج محدد خاصة في ظل الدراسات المتعلقة بالمعلومات والمجتمع المبرمج⁴، مصرا على أنه "لا يمكن لعلم الاجتماع أن يقتصر على دراسة السلوك العقلاني ولا على المنطق الداخلي للمجتمع أو ثقافة معينة"⁵؛ أي لا يقتصر على ما هو كمي ولا كيفي، حيث رفض أن يأخذ علم الاجتماع اتجاهها صرفا في دراسته للمجتمع، فأسس من أجل ذلك منهجا مستقلا سباه التاريخانية Historicity، التي تعني "تجسّد النماذج الثقافية التي يصوغ من خلالها مجتمع ما من المجتمعات معاييرها في ميادين المعرفة والأخلاق"⁶، والتي يكون فيها الفاعل الاجتماعي قادرا على خلق تجربته التاريخية، والسوسيولوجيا قادر على دراسة تلك التجربة أين أحدث توران قطيعة إيستيمولوجية مع الما قبلات السوسيولوجية مقابل السوسيولوجيا التي تجسد المجتمعات فائقة الحداثة * Hypermodern، وهي الأفكار التي تبناها عنه مانويل كاستلز.

¹ مادلين غراويتز، ترجمة: سام عمار، **مناهج العلوم الاجتماعية**، الكتاب الثاني (منطق البحث في العلوم الاجتماعية)، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 1993، ص 40.

² المرجع نفسه، ص 100.

³ Claus Munch, "Manuel Castells: Communication Power", **Journal of media and communication research**, MedieKultur 52, Denmark, 2012, p 181-183.

⁴ عثمان لكعشمي، "سوسيولوجيا آلان تورين"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، يوم الاطلاع: 2023-04-30، وقت الاطلاع: 14:50، الرابط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث - سوسيولوجيا آلان تورين (mominoun.com).

⁵ Alain Touraine, "A Method for Studying Social Actors", **journal of world-systems research**, Special Issue: Festchrift for Immanuel Wallerstein, vol 3, fall-winter 2000, p 900.

⁶ عثمان لكعشمي، مرجع سبق ذكره.

* أنظر كتاب: آلان تورين، براديفها جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة: جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2011.

2. أدوات الدراسة:

ولأن التقنيات هي أدوات يوظفها المنهج في خدمة البحث، فقد اعتمدنا في الدراسة بشكل رئيس على تقنية الاستمارة، تماشيا مع المنهج الكمي، وك تقنية مدعمة تقنية المقابلة تماشيا مع المنهج الكيفي:

أ. الاستمارة:

تعد المسوح بالاستمارة أحد أهم أنواع أدوات جمع البيانات في البحوث الاجتماعية، رغم ما ينسب إليها من انتقادات لزعم عدم قدرتها على الوصول إلى بيانات عميقة مقابل وصولها إلى بيانات سطحية وجامدة ومبالغة في التكميم، إلا أن ذلك يمكن أن يختلف حسب تصميم الأداة وتنوع أسئلتها ومدى عمقها، فهي في النهاية "ليست مجرد أداة بحث لكنها جزء من خبرات حياة الإنسان"¹.

الاستمارة هي "تقنية مباشرة للتقصي العلمي تسمح باستجواب الأفراد.. حول مواضيع تتراوح بين أكثرها عمومية واشتراكا إلى أكثرها خصوصية وسرية، وتتراوح بين معرفة الوقائع إلى معرفة الاعتقادات، وبين معرفة الإدراك إلى معرفة التقييمات"²، فهي قادرة على دراسة أكثر المواضيع تعقيدا، خصوصية، واصفة للاعتقاد، ومتصفة بالتقييم، فلها بذلك القدرة على دراسة مواضيع مثل موضوع الهوية، هذا إضافة إلى قلة تكلفتها، سرعة تنفيذها، مجبولة المبحوث وعدم اضطرابه للاحتكاك المباشر بالباحث مما يعطيه قدرة وقابلية للإدلاء بمعلومات قد يتسبب وجود الباحث في حجبها، تطبق على عدد واسع من الأفراد ومنه قدرة الباحث على الوصول إلى إجابات عديدة ومتنوعة لنفس الأسئلة مما يسهل عليه مقارنتها ببعضها وقراءتها قراءات متعددة بتعدد الارتباطات الإحصائية الممكنة، ما ينتج كما هائلا من البيانات الخام القابلة للقراءة السوسولوجية. تكونت استمارة بحثنا من خمسة محاور تتضمن أسئلة بين مغلق ومفتوح ومقاييس (أنظر الملحق رقم 01)، وهو نوع من تصميم الاستمارات يعرف بالاستمارات شبه المقننة³، وذلك كالآتي:

- **المحور الأول:** البيانات الشخصية، يتضمن الأسئلة من 1 إلى 9 بغرض تحديد الهوية الذاتية للمبحوث.
- **المحور الثاني:** بناء الهوية الافتراضية عبر فيسبوك، يتضمن الأسئلة من 10 إلى 23 بغرض تحديد خصائص الهوية الافتراضية لدى المبحوث، والتي تعبر عن هويته الذاتية ولكن في سياق الشبكة، وكيف يمكن أن يعرض هذه الهوية عبر فيسبوك إضافة إلى أسئلة تحدد أنماط استخدام المبحوث له ومؤشرات الهوية الافتراضية هي، الصورة الشخصية، الاسم على فيسبوك، تاريخ ومكان الميلاد.
- **المحور الثالث:** مرجعية الدين عبر فيسبوك، ويتضمن المحور الأسئلة من 24 إلى 31 بغرض تحديد البعد الأول من أبعاد الهوية الوطنية الجزائرية لدى المبحوث وهي مرجعية الدين الإسلامي، وكيف تتمظهر هذه المرجعية في حياته عبر فيسبوك، ومؤشراتها: القيم الدينية، الطقوس الاحتفالية الدينية، التمسك بالدين الإسلامي في ظل الانفتاح على الأديان العالمية.

¹ سوتيريوس ساراتاكوس، مرجع سبق ذكره، ص 421.

² موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 204-205.

* تقع هذه الاستمارات (في المرجع الاستبيانات) بين النوع المقنن وغير المقنن، أي أنه ذو درجة معتدلة بين التقنين والبناء؛ بين أسئلة مقننة مسبقا وعلى أسئلة غير مقننة مسبقا، وتستخدم في البحوث الكمية والبحوث النوعية معا، فهي تصل بأسئلتها إلى الأرقام كما تصل إلى الأفكار والآراء، أنظر: سوتيريوس ساراتاكوس، مرجع سبق ذكره، ص 422.

- **المحور الرابع:** مرجعية اللغة عبر فيسبوك، ويتضمن المحور الأسئلة من 32 إلى 42 بغرض تحديد البعد الثاني من أبعاد الهوية الوطنية الجزائرية لدى المبحوث، وكيف تتمظهر هذه المرجعية في حياته الشبكية، ومؤشرات ذلك: لغة الرموز الجديدة (مزج الحروف بالأرقام، العربية بحروف أجنبية، الأجنبية بحروف عربية، الرموز التعبيرية والملصقات)، بناء لغة جزائرية فيسبوكية، الصدام اللغوي بين اللسانين العربي والبربري.
- **المحور الخامس:** مرجعية الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك، ويتضمن المحور الأسئلة من 43 إلى 63 بغرض تحديد البعد الثالث من أبعاد الهوية الوطنية الجزائرية لدى المبحوث وهي مرجعية الوطنية الجزائرية، وكيف تتمظهر هذه المرجعية في حياته عبر فيسبوك، ومؤشراتها المختلفة: سيادة الوطن ووحدته، الحس الوطني، التاريخ، العادات والتقاليد والسمات الثقافية الجزائرية.
- قبل توزيع الاستمارة في صيغتها النهائية، قمنا بتطبيق مجموعة من الإجراءات تهدف إلى التأكد من صدق وثبات التقنية، فتم أولاً توزيعها على أستاذة من قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله، للتحقق من صدقها، وبالتحديد:
 - ✓ **صدقها الظاهر:** أي هل تتسم الأداء بأنها تقيس فعلاً ما هي مصممة لقياسه؟
 - ✓ **صدق المحتوى:** أي هل تتسم الأداة بشموليتها لجميع نواحي موضوع البحث؟
 - ✓ **وصدق البناء:** أي هل كان بناؤها النظري من مفاهيم وأبعاد ومؤشرات صادقا؟، وبعد تعديلها حسب ملاحظات الأساتذة تم ثانياً التحقق من ثباتها، أي مدى قدرة التقنية من إعطاء نتائج متسقة، وأنها لا تتأثر بتغير الباحث أو المبحوث، حيث قمنا باختبار الثبات عبر الزمن، أي هل تعطي التقنية النتائج نفسها إذا ما تم اختبارها عبر فترتين متقطعتين من الزمن، وقمنا بتطبيقها وإعادة تطبيقها على 15 مبحوثاً تجريبياً اختبرنا من خلالها ثبات الاستمارة من جهة، وتلقينا ملاحظات حول مدى وضوح الأسئلة والإجابات من جهة أخرى.
- بعد ضبطها النهائي، تم توزيع استمارة البحث في الفضاء الافتراضي عبر صفحات موقع فيسبوك ميدان دراستنا (أنظر الملحق رقم 03)، وذلك بعد تصميمها الذي تتيحه خاصية Google Forms (أنظر الملحق رقم 04)، وقد اتجهنا لتوزيعها عبر الخط Online لما يوفره هذا الإجراء من خاصيات، فهو من ناحية يحافظ على ذات المبادئ المنهجية للاستمارة "التقليدية"، ومن ناحية أخرى، يضمن إجراءات ناجعة من أجل التعامل مع التحديات الجديدة التي تواجه الباحثين أثناء إجراء بحثهم عبر الإنترنت¹، كما أننا نبرر اتجاهنا بما يلي:
- يتماشى موضوع دراستنا مع إجراء البحث عبر الخط، باعتباره يدرس الهوية الجزائرية في تفاعلها مع العولمة في السياق الافتراضي، فالإنترنت هنا ليست مجرد وسيلة لتسهيل توزيع الاستمارة بل متغير محوري في الدراسة.
- كما تتماشى عينة دراستنا أيضاً مع هذا الإجراء حيث أنها تتمثل في مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، ومنه تعاملنا مباشرة مع أفراد ذوي خصائص مستهدفة من طرفنا.

¹ Martine Van Selm and Nicholas W. Jankowski, "Conducting Online Surveys", *Quality & Quantity*, Vol. 40, 2006, p 435, DOI: <https://doi.org/10.1007/s11135-005-8081-8>.

- إقبال الأفراد على هذا النوع من الاستمارات لسهولة إخفاء هوياتهم، وهو ما يساعد في الوصول إلى معلومات عادة ما يصعب الوصول إليها.
- ضمان معدلات استجابة أعلى من طرف الباحثين مقارنة بالاستمارة الورقية لسهولة الإجابة عليها.
- انخفاض تكلفتها، وسرعة إجرائها مقارنة مع ما يمكن أن تجمع من معلومات.

ب. المقابلة:

كما ذكرنا سابقا اعتمدنا لتدعيم التحليل على تقنية المقابلة كتقنية مدعمة (أنظر الملحق رقم 02)، تكون دليل المقابلة من خمسة محاور تماثل محاور استمارة البحث، تتضمن 20 سؤالاً، وتم إجراء جزء منها افتراضياً Online Interviews حيث يعتبر أسلوباً لجمع البيانات عبر الإنترنت، وذلك بهدف تحليلها لإنتاج معرفة تتعلق بسؤال بحث معين، حيث يمكن إجراء المقابلات عبر الإنترنت بشكل غير متزامن (في غير الوقت الفعلي) وبشكل متزامن (في الوقت الفعلي) سواء صوتياً، نصياً، أو مرئياً، وهذا النوع من المقابلات لا يستخدم إلا إذا كان البحث متعلقاً بممارسات عبر الإنترنت وليست مجرد تكييف للمقابلة الفعلية مع العالم الافتراضي¹، في حين قمنا بجزء منها بشكل مباشر أي بقاء المستجوبين فعلياً.

ثامناً: مجتمع البحث وطرق إجراء المعاينة.

1. مجتمع البحث:

تناول الدراسة الحالية موضوعاً تم دراسته في السياق الافتراضي، لذلك فإن موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك ورواده من المستخدمين الجزائريين يعتبران ميداناً ومجتمع بحث ملائمين لمحاولة قياس وفهم ثنائية الهوية الوطنية والعولمة، وهناك نوعان من المجتمعات قبل المعاينة، المجتمع المستهدف "الذي نجمع المعلومات من أجله"، ومجتمع البحث أو مجتمع المسح وهو "الجزء من المجتمع الذي سندرسه"²، وفي حالتنا فالأول هو المجتمع الجزائري وهويته الوطنية، أما الثاني فهو المجتمع الجزائري المتواجد عبر صفحات فيسبوك، والممارس للحياة اليومية الافتراضية.

2. طرق إجراء المعاينة:

المعاينة هي مجموع الإجراءات التي تتبع لاختيار عينة الدراسة، والتي تأخذ بعين الاعتبار وجود مشكلتين: الأولى متعلقة بالإجراءات المعقدة للمعاينة مقابل المسح الشامل، والثاني متعلقة بمدى تمثيل العينة للمجتمع المدروس؛ لذلك يجب أن تتوخى هذه الإجراءات طرقاً تجعل من العينة نقطة قوة لا نقطة ضعف، وذلك بالأخذ بعين الاعتبار مجتمع الدراسة (إطار البحث) ومدى تجانس أفرادها.

وبما أننا نتعامل مع مجتمع بحث لا إطار محدد له؛ لا توجد له قاعدة سبر؛ كما أنه يستحيل الإحاطة بجميع أفرادها، فإن عينتنا تقع في إطار العينات غير الاحتمالية، التي لا تخضع في اختيارها للعينة لإجراءات نظرية الاحتمالات، ويؤخذ على هذا النوع من العينات أنه غير ممثل لمجتمع البحث؛ وفي الحقيقة يمكن أن يكون ممثلاً للمجتمع لكننا لا نستطيع لحساب حساب درجة

¹ Nalita James and Hugh Busher, "Online Interviewing", in: **Qualitative Research Methods**, collective book, Edited by: David Silverman, Leicester, 2016, p 3.

² سوتيربوس ساراتاكوس، مرجع سبق ذكره، ص 292.

تمثيلته*، من أجل ذلك فقد اعتمدنا في الدراسة الكمية (الاستارة) **المعاينة العرضية** أو كما تعرف أيضا بالقصدية، وهي عينة غير احتمالية يتم من خلالها سحب العينة حسب ما يهدف إليه الباحث من بحثه، وهو أسلوب معاينة يسعى به الباحث إلى "الحصول على معلومات تكشف جوانب معينة من نمط الحياة موضوع البحث، ويعطي في حالات معينة معلومات عن حالات نموذجية"¹، وبما أننا نهدف إلى دراسة المجتمع الجزائري الافتراضي، ونسعى إلى الحصول على معلومات حول الهوية الوطنية كمنط حياة فإننا سنبينا عينة بهذا الأسلوب.

أما الكيفية (المقابلة) فد اعتمدنا **المعاينة النمطية** أو كما تعرف أيضا **بالمصادفة** التي تعتبر عناصرها المختارة صورة نمطية لمجتمع البحث المدروس، حيث يملكون "السمات النمطية الملائمة لتعريف مجتمع البحث، كما أنها تعزل وتبعد الأخطاء التي لا مفر منها أثناء الانتقاء"²، حيث اخترنا أفرادا نفترض أن لديهم القدرة على إثراء البحث بالأفكار والآراء، أين حرصنا على أن يكونوا أفراد ذوي خصائص متنوعة من حيث: الجنس، السن، المستوى التعليمي، الانتماءات العرقية، التوجهات الفكرية، التوجهات الدينية واللغوية والمنطقة الجغرافية، وذلك من أجل محاولة تغطية تنوع مجتمع البحث والوصول إلى أفكار متنوعة وأحيانا متعارضة حول موضوع الدراسة.

من أجل ذلك تم نشر الاستارة على موقع فيسبوك، عبر الصفحات والمجموعات التي ارتأينا أن أعضائها يمثلون النمط الملائم لتعريف مجتمع البحث، حيث يمكن أن تتفاعل مع الاستارة وتقبل عليها، والتي تشمل عدة مجالات: سياسية، ثقافية، اقتصادية، دينية واجتماعية، وتجمع مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية والعمرية والتعليمية، والمناطق الجغرافية، والاختلافات الثقافية والعرقية، وذلك لنضمن تنوعا في العينة يسمح لنا بالتعرف على منظورات مختلفة للهوية الوطنية في تفاعلها مع العولمة وثقافتها، هذا إضافة لإرسالها إلى المبحوثين بشكل مباشر عبر الرسائل الخاصة، فيقومون بدورهم بإرسالها إلى أفراد آخرين؛ وبذلك تكون طرق سحب العينة في بحثنا متناوبة بين: **الفرز الموجه** والفرز بشكل **الكرة الثلجية** أو التراكمي³، حيث يقصد بالأولى اختيار عناصر تمثل جزءا من مجتمع البحث المستهدف أو على الأقل تبدو كأنها كذلك، وتعني الثانية أن أفراد مجتمع البحث هم الذين يساعدوننا في بناء العينة، ويقودوننا إلى مفردات يقومون بنفس دورهم فتضاعف العينة مثل كرة الثلج**.

أما عن حجم عينة البحث فهو يرتبط بعوامل مختلفة، منها مجتمع البحث، منهجيته، توافر الوقت وقدرة الباحث.. وقد حاولنا أن يكون حجم العينة كبيرا نسبيا، لأن هناك "علاقة بين الخطأ في اختيار العينة والخطأ المعياري***، فإذا انخفض الخطأ

* أظهر Loubt del Bayle في دراسة عام 1986 أن معدل الخطأ هو تقريبا نفسه في نوعي المعاينات، وذلك بتوقع نتائج أربعة انتخابات قام بإعدادها معهدان للسير، اعتمد الأول على المعاينة الاحتمالية واعتمد الثاني على المعاينة غير الاحتمالية، أنظر: مورييس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 310.

¹ سوتيريوس ساراتاكوس، مرجع سبق ذكره، ص 306-307.

² مورييس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 312.

³ المرجع نفسه، ص 314.

** تجدر الإشارة إلى أن هناك من يعتبر المعاينة الخاصة ببحوث الإنترنت نوعا منفصلا من أساليب اختيار العينات، على غرار ساراتاكوس الذي خصص لذلك جزءا مستقلا من كتابه سواء في إطار العينات الاحتمالية وغير الاحتمالية، والكمية والنوعية؛ ساه "اختيار العينة باستخدام الإنترنت"، والذي عزفه بأنه "إجراء يقوم به الإنترنت جزئيا أو كليا. ويقضي ذلك إجراءات تمكن الباحث من إعطاء الاستبيانات للمبحوثين مباشرة بتحويلها إليهم عن طريق الإنترنت أو إخبارهم بتوافر الاستبيان على الإنترنت وطلب المشاركة منهم عن طريق البريد الإلكتروني أو صفحات المواقع"، سوتيريوس ساراتاكوس، مرجع سبق ذكره، ص 314.

*** مقياس للخطأ المتوقع في المعاينة عن طريق حساب الانحراف المعياري لها.

المعياري انخفض أيضًا الخطأ في اختيار العينة؛ ويعتمد الخطأ المعياري على حجم العينة: فكلما زاد حجم العينة انخفض الخطأ المعياري¹، فحاولنا نشر الاستمارة على نطاق واسع من أجل ذلك. ومع الأخذ بهذه العوامل، تم توزيع الاستمارة عبر موقع فيسبوك واسترجاع 532 استمارة، ألغيت استمارتان منها لأسباب منهجية، وأُبقي على 530 استمارة لمثل هذا العدد في النهاية حجم عينة بحثنا.

تاسعا: الأساليب الإحصائية والتحليلية المستخدمة في الدراسة.

يتطلب التحليل الكمي للبيانات الالتزام بمجموعة من الخطوات، وقد استعنا لتنظيمها، عرضها ومعالجتها ببرنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS وقد تم ذلك وفق الخطوات التالية:

1. إعداد البيانات بدءً بنقلها من الاستمارة الإلكترونية إلى برنامج SPSS بالاستعانة ببرنامج Excel، ثم التأكد منها وتدقيقها واعتماد البيانات الصحيحة منها ثم ترميزها وتكميم إجابات الأسئلة المفتوحة منها.

2. عرض البيانات إحصائياً، ويكون ذلك عن طريق أساليب مختلفة من العرض اعتمدنا في هذه الدراسة كلاً من:

✓ **الجدول الإحصائية:** والتي تتمثل في الأسلوب الإحصائي القائم على التكرارات والنسب المئوية، وقد تنوعت الجداول بين جداول ارتباط بين متغيرين أحدهما يأخذ اتجاهها مستقلاً والآخر اتجاهها تابعا ويخدمان أبعاد الفرضية التي يتم تحليلها، وبين جداول مركبة نسعى من خلالها إلى عرض ووصف بعض النتائج.

✓ **الرسوم بيانية:** والتي تعتبر تمثيلاً مرئياً للجدول التكرارية البسيطة، إذ ارتأينا عرضها في أشكال بدل عرضها جدولياً لتكون أكثر تجسيدا وأسهل فهما وتصوراً خاصة ما يتعلق منها بالبيانات الشخصية للمبحوثين، حيث تم اختيار الشكل البياني المناسب لكل متغير حسب نوعه (كيفي سواء كان اسمياً أو ترتيبياً، كمي سواء متصلاً أو منفصلاً).

3. معالجة البيانات وتحليلها تحليلًا إحصائياً يوضح الغرض منها، كما تبين القراءة الإحصائية خاصة في جداول الارتباط المدى الذي يؤثر به فعليا المتغير ذو الاتجاه المستقل على المتغير ذو الاتجاه التابع سواء من حيث الاتجاه العام أو من حيث النسب الداخلية للجدول (التدعيم).

4. تفسير النتائج تفسيراً سوسيولوجياً اعتماداً على ما سبق تقديمه في الفصول النظرية من قراءات ومعلومات تمهيداً لتقديم إجابات عن سؤال إشكالية الدراسة وتساولاتها والتحقق من فروضها، كما لم يكتفِ تحليلنا بالتعامل مع البيانات المتوصل إليها عن طريق تقنية الدراسة الحالية الأساسية -وهو ما يعرف بالتحليل الأولي-، ولكن أيضاً على تحليلات ثانوية تتضمن التعامل مع بيانات حللت سابقاً (إحصائيات)، ونتائج لدراسات سابقة، إضافة إلى الاستعانة بالبيانات الكيفية التي جمعتها التقنية المدعمة والتي يكون تحليلها كما يوصي به ساراتاكوس قائماً على التركيز على البيانات المجموعة وقراءتها في سياقها وضمن إطار البحث وهدفه، مستخدمين تحليلًا وصفيًا بسيطاً للمحتوى²، يساعد في تفسير النتائج الكمية وتبريرها.

¹ سوتيروس ساراتاكوس، مرجع سبق ذكره، ص 217.

² المرجع نفسه، ص 588.

عاشرا: مجالات الدراسة.

يتم تحديد مجالات الدراسة في بداية البحث، أين يحدد الباحث السياقات التي ستقع فيها دراسته والحدود التي ستغطيها، وهي عموما ثلاثة مجالات:

1. **الجال البشري:** يجب هذا الحد على السؤال من؟ ومنه فقد أجريت الدراسة على عينة من المستخدمين الجزائريين النشطين عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، باختلاف هوياتهم الذاتية (جنسهم، سنهم، المنطقة الجغرافية التي ينتمون إليها داخل الجزائر أو خارجها..)، وكان حجم العينة كما أسلفنا 530 مبحوثا.
2. **الجال المكاني:** يجب هذا الحد على السؤال أين؟ ومنه فالنطاق المكاني لموضوع الدراسة هو الجزائر بما أن الموضوع يتناول الهوية الوطنية الجزائرية، إذا ما تحدثنا فعليا، وموقع فيسبوك الجزائري إذا ما تحدثنا افتراضيا، ذلك أن مجتمع البحث مؤطر ومحدد من خلال الانتماء إلى الموقع*.
3. **الجال الزماني:** يجب هذا الحد على السؤال متى؟ أما الدراسة ككل بكل جوانبها المنهجية، النظرية والميدانية فانطلق مباشرة بعد تسجيل الموضوع والموافقة عليه مطلع عام 2020، وقد كُرسَت السنوات الأولى للبحث حول الموضوع واستكشافه، وأما الدراسة الميدانية فقد انطلقت في شهر أكتوبر 2022، وانقسم هذا المجال إلى مرحلتين:
 - ✓ **مرحلة التحقق من صدق وثبات الاستمارة:** أي مرحلة التحكيم والتجريب، والتي دامت عشرة أيام حيث انطلقت من اليوم 15 من شهر أكتوبر 2022 إلى اليوم 25 من نفس الشهر.
 - ✓ **مرحلة تطبيق الاستمارة على المبحوثين:** والتي استمرت بعد مراجعة الاستمارة وضبطها قرابة الشهر من الفاتح من نوفمبر 2022 إلى 30 من نفس الشهر، تم خلاله جمع 532 استمارة واعتماد 530 منها.
 - ✓ **مرحلة التنظيم والتحليل:** والتي انطلقت مباشرة بعد اختيار الاستمارات التي سيتم اعتمادها، من ديسمبر 2022 إلى بداية 2023 التي تم خلالها تنظيم البيانات وتكميم الأسئلة المفتوحة، استخراج الارتباطات الممكنة ذات الدلالة وتحليلها إحصائيا، انتهاء إلى التحليل السوسيولوجي للعلاقات والتوصل إلى النتائج مع نهاية نفس السنة.

حادي عشر: الأدبيات ذات الصلة بموضوع الدراسة.

1. عرض الدراسات السابقة.

بعد طرحنا لسؤال بحثنا الأولي، الذي لخصنا فيه تصورنا للموضوع، انطلقنا في مرحلة استكشاف ما تم إنتاجه حول موضوعنا كما يفصل في ذلك ريمون كيني ولوك فان كبنهود، حيث بدأنا في تحديد أدبيات ذات صلة به من حيث تشابهها معه، أسبقيتها عليه، أو تمهيدها له من جانب متغيراتها، منهجيتها، مقارباتها النظرية، النموذج المدروس أو مجتمع البحث، كل ذلك من أجل توفير خاصية تراكمية العلم، تقليصا لنطاق البحث، تجنبنا للتكرار وتبينا للرهان الذي تتبناه الدراسة في تناولها للموضوع. أما من حيث عرضها، فتقسم أدبيات الدراسة عادة على أساس بعديها المكاني (أجنبية، عربية ومحلية)، والزماني (كرونولوجيا)، لكننا هنا سنعرضها على أساس عموميته أو تخصيصها، ونعني بذلك تناولها للنموذج الجزائري من عدمه، مع

* يتجه البعض إلى اعتبار الدراسات التي تتم عبر الإنترنت دراسات عابرة للحدود الجغرافية، ومنه فلا حد جغرافي أو مكاني لها، فإما يتم التخلي عن المجال المكاني للدراسة فيها أو أن يتم تعويض الحدود الفعلية فيه بالحدود الافتراضية، فتكون حدود الدراسة المكانية هي موقع فيسبوك.

المحافظة على المرجع الزماني في العرض. فالدراسات التي تناولت الموضوع في عموميته، سواء كانت عربية أو أجنبية وبغض النظر عن اللغة أو جنسية الباحث والتي سنسميها الدراسات العامة، تعطينا صورة عامة عن العلاقة بين الهوية والعولمة، مواقع التواصل الاجتماعي والمجتمعات الشبكية وعن المدى الذي وصلت إليه هذه الدراسات، وتؤسس الموضوع من منظور عام وعالمي، ثم الدراسات التي تناولت النموذج الجزائري، والتي سنسميها الدراسات المتخصصة، فهي تظهر مختلف المنظورات التي تم تناول الفرد أو الهوية والشخصية الجزائرية من خلالها في علاقتها بالعولمة ومواقع التواصل الاجتماعي في الدراسات العلمية في السنوات العشر الأخيرة. ويعتبر هذا التقسيم مناسباً للبناء النظري لإشكالية البحث في انطلاقها من سياقات أشمل وأعم إلى سياقات أكثر خصوصية (من العام إلى الخاص).

. الدراسات العامة (التي لم تتناول النموذج الجزائري).

أ. الدراسة الأولى:

هي دراسة متضمنة في أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (Ph.D) في تخصص العلوم السياسية، قدمتها الباحثة رو-لان تشين، وجاءت تحت عنوان "إعادة بناء الهوية: عندما تلتنقي الديمقراطية بالعولمة"¹.

تنطلق الدراسة من أن مفهوم الهوية الوطنية هو واحد من أكثر المفاهيم أهمية من الناحية النظرية؛ وقد اتخذت الدراسة دولة تايوان (تعرف رسمياً بجمهورية الصين) موضوعاً لها، والتي يعتبر تاريخها حافلاً بالتجاذبات بينها وبين الصين الشعبية (الصين حالياً) إذ شكلا معاً جمهورية الصين الكبرى قبل انفصالهما إثر حرب أهلية عام 1949، ترتب عنها سيطرة الشيوعيين على جمهورية الصين الشعبية، وسيطر القوميون على جزيرة تايوان وتسمى حالياً باسمها، فبين مجموعات عرقية تحاول تأكيد هويتها وبين محاولة الدولة تفعيل الديمقراطية عام 1987، تشكلت أزمة الهوية الوطنية التايوانية، وتشكلت معها نقاشات وتساؤلات حول طبيعة الهويات الوطنية، هل هي متصلة ومستمرة عرقياً، أم تبنى وبعاد بناؤها سياسياً، أم أنها مزيج بينهما فيتم "التلاعب" بها لتصبح هوية مزدوجة بين عرقية (تايوانية) وأخرى مهيمنة سياسياً (صينية)، فقد لاحظت الباحثة نزوع الشعب التايواني إلى العودة إلى هويته القومية الأصلية والتأكيد عليها بدل الهوية المهيمنة، وقد جاءت هذه الدراسة لتبحث في الكيفية التي تشكل بها الهوية التايوانية وكيف يتم ترتيب أبعادها بين هوية عرقية وأخرى سياسية، وقد طرحت الباحثة من أجل ذلك التساؤلات التالية:

. ما هو جوهر الهوية الوطنية؟ وهل هي متطورة؟

. ما الذي يدفع أنصار الهوية الصينية السائدة إلى التقليل من التأكيد عليها؟

. ما الذي يدفع الأفراد، وبأي طريقة إلى النزوع نحو تغيير هويتهم السائدة؟

منهجياً اعتمدت هذه الدراسة على تحليل بيانات تم التوصل إليها عن طريق المسح، وذلك من خلال المقابلات الشخصية التي أجريت في فترة من 1992 إلى 2004 من قبل مقياس شرق آسيا East Asia Barometer، مركز الدراسات الانتخابية Electoral Study Center، ودراسة الانتخابات والديمقراطية في تايوان Taiwan Elections and

¹ Rou-lan Chen, "Identity Reconstruction: When Democratization Meets Globalization", Ph.D dissertation, Faculty of Political Science, University of California, Berkeley, 2011.

Democratization Study ، التي أجريت مع أكثر من 1067 مفردة سحبت عن طريق أخذ العينات الاحتمالية المتناسبة مع الحجم (PPS) حيث يكون احتمال اختيار وحدة متناسباً مع حجمها في مجتمع البحث، وقد ركزت الباحثة على البعدين البدئي والسياسي للهوية الوطنية، وعلى مؤشرات هي الهوية العرقية، الاختلاف العرقي، الفخر العرقي والمصير المشترك. وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مفادها:

- الهوية الوطنية من جهة هي إيمان بالنسب المشترك، والاعتزاز بالمجتمع العرقي الخاص بالفرد من ناحية أخرى، فهي أداة سياسية قائمة على القومية والمواطنة، كما أن تعريفاتها تختلف باختلاف السياقات السياسية المرتبطة بها.
- شهد تطور سياسات الهوية في تايوان انتقالاً من "الائنية" القومية إلى القومية "السياسية".
- بعدا الهوية الوطنية مكملان لبعضهما البعض. حيث أنه كلما زاد التزام الفرد بجذوره العرقية، زادت رغبته في المطالبة بدولة ومواطنة في المجتمع الإثني.
- إن فرضية تأثير العولمة على الهوية التايوانية فرضية مدحضة، إذ أن الهوية تتصارع بين المصالح الاقتصادية والهوية السياسية في إطار السياقات السياسية المحلية فحسب دون وجود تأثيرات خارجية، فمع أن الصين أصبحت بداية من التسعينيات قوة اقتصادية وسياسية عالمية، إلا أنه تم تراجع التأكيد على هويتها من قبل التايوانيين.

ب. الدراسة الثانية:

هي دراسة متضمنة في أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (Ph.D) في تخصص الاتصال، قدّمها الباحث ستانيسلاف بودنيتسكي، وجاءت تحت عنوان "القوميات الرقمية: الهوية، التواصل الاستراتيجي وحوكمة الإنترنت العالمية"¹.

تقدم الأطروحة مقارنة ثقافية نقدية لدراسة السياسة التكنولوجية الرقمية وتهدف إلى المساهمة في فهمنا لمنطق العولمة الرقمية وحوكمة الإنترنت العالمية والقومية المعاصرة والمسارات الاجتماعية والسياسية في أوروبا ما بعد الاشتراكية، فتتعلق الدراسة من أن أمم العالم اليوم لم تعد في غنى عن التقنيات الرقمية لإنجاح اقتصادها، ثقافتها وسياستها - وأحياناً حتى بقائها - في ظل ظروف العولمة الرقمية، وتشير القومية الرقمية -وهي المفهوم الرئيس للأطروحة- إلى العلاقة التأسيسية بين القومية والتقنيات الرقمية وهو يفترض أن التطور التكنولوجي الرقمي حاسم للنمو الاقتصادي والرفاهية الوطنية بشكل عام، أين تشكل الهويات الثقافية الوطنية؛ المنطق واللغة المحددة للخطاب والسياسات الرقمية الوطنية المتعلقة بالهوية.

وقد اتخذ الباحث كلا من دولتي روسيا وإستونيا لدراسة حالتهما، حيث يستخدم خطاب حوكمة الإنترنت في روسيا لغة السيادة الإقليمية، التي تعتبر الإنترنت أيضاً مساحة ثقافية ووطنية لا تتسامح مع أي تدخل أجنبي فيها. في حين يستخدم الخطاب الإستوني دعم حرية الإنترنت، ليكون ذلك بمثابة دليل ملموس على استعدادها للانضمام إلى المجتمع الأوروبي الأطلسي والانتماء إلى "الحداثة الغربية عالية التقنية"، من أجل ذلك طرح الباحث سؤاله: ما هي العلاقة بين الهوية الوطنية وتقنيات الاتصالات الرقمية من خلال البحث في مشاركة روسيا وإستونيا في مجال حوكمة الإنترنت العالمية؟

¹ Stanislav Budnitskiy, " Digital Nationalisms: Identity, Strategic Communication, and Global Internet Governance", Ph.D dissertation, Carleton University, Ottawa, 2018.

مقاربة نظرية اعتمد الباحث النظرية البنائية الاجتماعية، إذ أنها تعتبر الهوية العنصر الأساسي للواقع الذاتي، في علاقته الجدلية مع المجتمع، حيث تتشكل الهوية من خلال العمليات الاجتماعية وبمجرد أن تتبلور، يتم الحفاظ عليها أو تعديلها أو حتى إعادة تشكيلها من خلال العلاقات الاجتماعية.

منهجياً، اعتمد الباحث تقنية تحليل الخطاب وبالتحديد التحليل التفسيري الثقافي cultural interpretive analysis والذي يستخدم بالأساس في الدراسات الأنثروبولوجية، أين اختاره الباحث للكشف عن التحولات الثقافية والسياسية في الأولويات الوطنية لا سيما المتعلقة بالإنترنت وقد شمل تحليل الخطاب كلا من: الخطاب السياسي للدولتين (قانون الدولة والمواثيق الرسمية)، إضافة إلى خطابات وسائل الإعلام الرسمية، البيانات الصحفية. العناوين ومحتوى وسائل الإعلام الحكومية، المواد الترويجية وحسابات وسائل التواصل الاجتماعي الرسمية.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مفادها:

- مفهوم القومية الرقمية مفهوم ثلاثي الأبعاد، فهي خطاب ومشروع وتقييم، خطاب عن الكيفية التي تشكل بها القومية خطاب الممارسات الرقمية؛ مشروع للتحكم في التقنيات الرقمية محلياً ودولياً باسم مصلحة الأمة وهويتها؛ تقييم للمشاريع الرقمية الوطنية، حيث تعمل الدول على تعزيز هوياتها الرقمية الوطنية ضمن النظام الرقمي العالمي.
- مناصرة روسيا "السيادة الإنترنت" يهدف إلى لتأكيد على عودة ظهور هويتها كقوة عظمى، بعد تدهورها الجيوسياسي في العقد الأول بعد الحرب الباردة.
- مناصرة إستونيا لرواية "حرية الإنترنت" تهدف إلى تعزيز طموح هويتها المركزية المتمثلة في "العودة إلى أوروبا" رمزياً ومؤسسياً بعد نصف قرن من الحكم السوفيتي.

ج. الدراسة الثالثة:

هي دراسة متضمنة في أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (Ph.D) في تخصص التربية، قدمتها الباحثة ناستاران خوشسابك، وجاءت تحت عنوان "الهويات الرقمية: استعراض الذات عبر وسائل التواصل الاجتماعي"¹.

تنطلق هذه الدراسة من فرضية أن مواقع التواصل الاجتماعي توفر مجالاً لعرض المستخدمين لحياتهم وأفكارهم بناءً على تصورهم لهوياتهم الذاتية وهويات الآخرين، حيث تتحكم الصورة الذهنية لأولئك الآخرين الذين يشارك معهم المستخدم محتواه في ردود الفعل المحتملة تجاه عرضه لذاته الاجتماعية على مسرح مواقع التواصل الاجتماعي؛ تحديداً موقع فيسبوك، وذلك من خلال متغيري اللغة والخطاب المستعملين. حيث يتأثر المدى الذي يعرض به المستخدم هويته الرقمية بمدى كشف الأفراد أو إخفاء جوانب من هوياتهم، بالرجوع إلى سياقاتهم الاجتماعية والثقافية، وهو الغرض الذي جاءت الدراسة من أجله؛ بالإسقاط على السياق الاجتماعي والثقافي الإيرانيين، حيث طرحت الباحثة تساؤلات رئيسية تمثلت في:

¹ Nastaran Khoshshabk, "Digital Identities: Presentation of Self through Social Media", Ph.D dissertation, Faculty of Education, Monash University, Australia, 2018.

1. كيف يقوم المستخدمون الإيرانيون من الذكور والإناث؛ داخل إيران وخارجها، ببناء ذواتهم الرقمية من خلال استخدام موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك؟

2. كيف تؤثر المحافظة الثقافية والاجتماعية والرقابة الذاتية للمستخدمين على عرض هوياتهم الجنسية (ذكر/أنثى) عبر الإنترنت؟

3. كيف تتفاعل هويات الإيرانيين البالغين مع خطابات بيئاتهم الاجتماعية؟

مقاربة نظرية استخدمت الباحثة النموذج النظري الدرامي لايرفينغ غوفمان الذي يعرف من خلال دراسته "عرض الذات في الحياة اليومية" وذلك لتبحث في الأساليب المتنوعة لبناء الذات الرقمية من الإشارات اللفظية وغير اللفظية بهدف خلق وتقديم الانطباع المطلوب.

أما منهجياً، فقد اعتمدت الباحثة المنهج النوعي (الكيفي)، مطبقة أسلوب دراسة الحالة حيث فحست عن طريق تقنيتي المقابلات عبر الإنترنت، وملاحظة الصفحات الشخصية على فيسبوك Facebook Profiles من خلال النصوص والصور وغيرها من مختلف صيغ عرض الذات عبر فيسبوك، وقد شملت التقنيتين محورين رئيسيين وهما جنس المبحوثين، وأماكن تواجدهم (داخل إيران أو خارجها)، وتتضمن أسئلة حول: التنشئة الاجتماعية والوالدية، المعارف والمعلومات التي يكتسبها المبحوث من خلال استخدامه، مزاياه وعيوبه، الانتماء إلى خطابات عربية أو إنجليزية (غير إيرانية)، الرقابة الاجتماعية والمحافظة الإيرانية، أساليب عرض الهويات بين ما هو افتراضي وما هو حقيقي. وقد طبقت تقنية المقابلة على تسعة مستجوبين إيرانيين أربعة منهم ذكور وخمسة منهم إناث، وطبقت تقنية الملاحظة على الحسابات الشخصية لعشرة مستخدمين إيرانيين بين ذكور وإناث ستة منهم يعيشون خارج إيران وأربعة منهم يعيشون داخلها، كلهم تتراوح أعمارهم بين السادسة والعشرين والخامسة والثلاثين. وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مفادها:

- هناك علاقة بين كيفية عرض الذات وجنس الأفراد وموقع تواجدهم ومعيشتهم إضافة إلى مدى ومستوى محافظتهم.
- تختلف مواقف المستخدمين تجاه استخدام فيسبوك تبعاً لجنسهم، فتستخدم النساء فيسبوك للتواصل والوصول إلى هوياتهن و"ذواتهن المثالية" التي يشعرون بعدم الارتباط بها بسبب الحدود الاجتماعية التي يفرضها المجتمع الإيراني، أين يعد فيسبوك هروباً من الصور النمطية التقليدية والتابوهات السوسيوثقافية وتحقيق ذواتهن المرجوة.
- يُعتبر السياق الاجتماعي والثقافي للمكان الذي يعيش فيه الفرد هو العامل الأكثر تأثيراً في اختيار لغات وخطابات معينة عبر وسائل التواصل الاجتماعي ليعرض ذاته من خلالها، كما تتأثر هوية المبحوثين عبر فيسبوك حسب موقعهم "المتخيل" أو "الحقيقي" وذلك استناداً إلى منطقتين ثقافيتين وسياسيتين.

د. الدراسة الرابعة:

هي دراسة متضمنة في مقال علمي منشور ضمن العددين الثالث والثلاثين والرابع والثلاثين من مجلة إضافات، قدمتها كلثوم بيبينون تحت عنوان "السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي: من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعية"¹.

¹ كلثوم بيبينون، "السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي: من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعية"، مجلة إضافات، العددين 33-34، شتاء - ربيع 2016.

تنطلق الدراسة من أن مفهوم الذات بدأ يكتسبه الكثير من الغموض في ظل التطور الهائل لنظم الاتصالات وتدفق المعلومات ذات الأبعاد الكونية، ومن خلال مفهوم الذات يتأقن مفهوم الهوية الذي أصبحت الأطر الاجتماعية التقليدية غير قادرة على الحفاظ على استقراره فأصبحت الهوية تبنى ضمن سياقات عالمية لا محدودة تتجاوز نسقية الزمان والمكان. وقد أعطت كل من الإنترنت وشبكات التفاعل الافتراض طابعا جديدا للممارسات التقنية حيث يوفر للمستخدمين وجودا مغايرا ووافدا على الثقافات الأصلية، ما يسبب تشتتا للمستخدمين بين ثقافتهم الأصلي والوافدة.

وفي ظل ثنائية الثقافة والعولمة خلقت ثورة التكنولوجيا ثقافة افتراضية وهويات افتراضية تفتح المجال لتداول عناصر ونماذج جديدة لهوية ومتعددة قد تهيم على الهويات والممارسات الواقعية، فتبحث الدراسة في سوسيولوجية الهوية الافتراضية وتحدياتها في ظل رهانات الرقمنة، لأجل ذلك وبحثا طرحت الباحثة مجموعة أسئلة لبحثها وهي: ما الذي يؤسس الهوية الرقمية في ظل تنوع السياقات الثقافية المتداولة في المجتمع الشبكي؟ وكيف يتحدد الوجود الافتراضي في ضوء مواصفات البيئة الرقمية؟ ما هي التحديات التي تواجهها الهوية الرقمية في ظل رهانات رقمنة العلوم الاجتماعية؟ وما هي البدائل المتاحة؟ وقد جاء البحث مشتملا على النقاط التالية:

- **تظاهرات الهوية الرقمية في المجتمع الشبكي في ضوء الدراسات الاجتماعية المعاصرة:** حيث تتظاهر الهوية على الشبكات الافتراضية إما بطريقة تشبه جزئيا هوية الفرد الحقيقية أو الهوية التي يريد أن يكون عليها، كما رصدت الباحثة مجموعة من الدراسات وكذا العوامل والتقنيات التي تستعرض بها الهوية الافتراضية.
 - **التأصيل المعرفي لسوسيولوجيا الهوية الرقمية في ضوء تحديات رقمنة العلوم الاجتماعية:** وهنا تعرضت الباحثة للدراسة السوسيولوجية لمفاهيم مثل الهوية الافتراضية، الجماعة الافتراضية والوجود الافتراضي تحت ما يسمى علم الاجتماع الرقمي Digital Sociology.
 - **قراءة سوسيولوجية لمؤشرات الوجود الافتراضي في المجتمع الشبكي:** يتضمن هذا المحور منظور مانويل كاستلز للمجتمع الشبكي، حيث حددت من خلاله الباحثة كيف يمكننا إدراك محددات الوجود الافتراضي على غرار لغة التواصل الافتراضي التي تجمع بين الحرف والرمز والأيقونة.
 - **تحديات علم الاجتماع في ضوء رقمنة العلوم الاجتماعية:** وبحث هذا المحور في آثار التكنولوجيا على علم الاجتماع وعلمائه، حيث يتم فرض مفاهيم ومنظورات جديدة لظواهر، ومنهجيات بحثية جديدة تتماشى وطبيعة المجتمعات المعاصرة.
 - **أخلاقيات الهوية الرقمية وأولويات المواطن الافتراضي في المجتمع المدني الشبكي:** فالخروج بالهوية إلى إطار الكونية يجعل مفهوم الانتماء وما ينضوي عنه محل مساءلة، إذ تتدرج هوية الفرد الوطنية إلى العالمية فيصبح مواطنا عالميا "كوزموبوليتان".
- وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مفادها: أن مجتمعاتنا المعاصرة أصبحت مشتتة بين ما هو واقعي وما هو افتراضي، حيث تعكس الهوية الرقمي جزءا من هوية الإنسان في حين أن واقعه يعكس الجزء الآخر وهو أمر ينبئ لا محالة بأزمات الإنسان المعاصر إذ ينتقل التشتت من الهوية الذاتية ليصل إلى أشكال أكثر تعقيدا من للهوية تعبر عن الحضارة والأخلاق مثل الهوية الوطنية.

هـ. الدراسة الخامسة:

هي دراسة متضمنة في مقال علمي مطول (103 صفحة) منشور ضمن العدد الثامن والأربعين من مجلة كلية الآداب لجامعة بنها المصرية، قدمتها إيمان محمد عز العرب تحت عنوان "المجتمع الشبكي وأزمة الهوية: دراسة تطبيقية على عينة من مستخدمي موقع الفيس بوك"¹.

تنطلق الدراسة من تصور أن "جيل الإنترنت" هو جيل ثنائي الهوية، هوية حقيقية تربطه بواقعيته ومجتمعه المحلي ووطنه الأم، وهوية افتراضية تكسبه طريقة وجود افتراضية وتمنحه مواطنة عالمية، واليوم وفي ظل العولمة تعتبر المجتمعات الشبكية أحد أهم السياقات التي توفر للفرد هذه الثنائية، والتي تعني المجتمعات المشتتة بين الافتراضي والواقعي على غرار موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك الذي يؤثر على خصائص الهوية الحقيقية للفرد والمجتمع من حيث مختلف المؤشرات الهوية اللغوية والدين والوطنية والعادات والتقاليد، من أجل ذلك انطلقت الباحثة من مجموعة أهداف أهمها: التعرف على ظاهرة المجتمع الشبكي والكشف عن العلاقة بين المجتمع الشبكي وأزمة الهوية.

منهجياً، اتبعت الباحثة المنهج الوصفي على أساس أنها ترمي إلى وصف الحقائق الراهنة وتفسيرها وتحليلها، أما العينة فقد اعتمدت الباحثة على عينة من 150 مستخدماً لشبكة الفيس بوك ضمن الفئة العمرية 16-25 من رواد مقاهي الإنترنت أما عن التقنية فقد استعانت بتقنية المقابلة المقننة والتي اشتملت محاورها على: (البيانات الشخصية للمبحوث - مفهوم وخصائص الشبكات الاجتماعية وعادات الاستخدام - أسباب الإقبال على موقع الفيس بوك وتأثيراته (الإيجابية والسلبية) - تشكل وبناء الهويات - تأثيرات استخدام الفيس بوك على معالم الهوية، الثقافية، من حيث: اللغة - الدين - التاريخ). وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- تعتبر الهوية الافتراضية هوية غير محدودة ينتقل بفضلها المواطن من هويته الوطنية إلى أبعاد عالمية.
- الاختلاف الثقافي الذي تكرسه العولمة يخلق ثنائيات مثل التقليدي/العصري والأصالة/المعاصرة في الثقافة والفكر والسلوك.
- بعيد الفيس بوك بناء الهوية وإنتاج الصور عن الذات كما يريدها المستخدمون، كما أن أغلب المستخدمين يصرحون بجزء من هويتهم الحقيقية فقط مقابل الاحتفاظ بجزء آخر، فهم في الجماعات الافتراضية المتخيلة يتنكرون في أكثر من شخصية.
- يرسخ الفيس بوك لغة غريبة بين جيل الإنترنت (لغة الرموز)، كما يحاول ترسيخ معان محرفة عن الدين الإسلامي ومطبوعة وفق أهواء المستخدم، كما يزداد اهتمام الأفراد بالتاريخ والانتماء إلى الوطن فقط في فترات دون أخرى (مناسباتية).

و. الدراسة السادسة:

هي دراسة متضمنة في مقال علمي منشور ضمن العدد الثالث والثلاثين من مجلة عمران، قدمها إدريس الغزواني تحت عنوان "مانويل كاستلز ومفهوم مجتمع الشبكات من المجتمع إلى الشبكة: نحو مقارنة تأويلية للهوية والسلطة في عصر المعلومات"².

¹ إيمان محمد عز العرب، "المجتمع الشبكي وأزمة الهوية: دراسة تطبيقية على عينة من مستخدمي موقع الفيس بوك"، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد 48، مصر، أكتوبر 2018.

² إدريس الغزواني، مرجع سبق ذكره.

تحاول هذه الدراسة تقديم مقترحات سوسيولوجية لفهم مجتمع الشبكات والمفاهيم المؤطرة لعصر المعلومات، من خلال البحث في النظرية التي صاغها مانويل كاستلز في معرض أطروحته حول المجتمع الشبكي: كالشبكة، الذات، الهوية، الصراع والسلطة. وقد طرح الباحث وفقا لما تقدم مجموعة من التساؤلات أهمها: كيف يفكر كاستلز في مفهوم مجتمع الشبكات؟ لماذا اعتبر كاستلز أن مجتمعاتنا تتبلور حول الصراع بين الشبكة والذات انطلاقا من الهوية باعتبارها عملية بناء للمعنى؟ هل سيجعله هذا ممتلكا مقتربا جديدا ورؤية واضحة في تحليل بنى المجتمع الرأسمالي «المعلوماتي»؟ كيف يمكن توصيف السلطة في مجتمعات أصبحت فيها المؤسسات مختلة وظيفيا؟ للإجابة عليها قسم الباحث دراسته إلى محاور كالتالي:

- المحددات السوسيوقافية لمفهوم "مجتمع الشبكات" عند كاستلز: هنا حدد الباحث مفهوم مجتمع الشبكات على مرحلتين: نظرية مجتمع الشبكات وسماته ثم ثقافة مجتمع الشبكات ومحدداتها.
- مجتمع الشبكات: من المعرفة إلى السياسة: أما هنا فقد تناول الباحث كيفية الانتقال من المعرفة إلى السياسة وكيف يصبح للتواصل سلطة في عصر المعلومات على أساس أنه عصر محكوم وموجه بقطبي الشبكة والذات، الأول تمثل بنية اجتماعية والثانية تمثل فاعلا فيها.
- المحددات الأنطوسوسيولوجية لمفهوم الهوية عند كاستلز: خصص الباحث هذا المحور لمفهوم الهوية في عصر المعلومات ثم تقسيمات الهوية عند كاستلز: المشرعة، المقاومة وهوية المشروع، على اعتبار مفهوم الهوية واحدا من الركائز الأساسية لفهم نظرية المجتمع الشبكي.
- كاستلز وفكرة عصر المعلومات/ بروز فكرة الحتمية التقنية: ويتلخص مضمون هذا الفصل في أن مجتمع الشبكات قد ظهر من خلال التفاعل الجدلي بين العلاقات الاجتماعية والتطور التكنولوجي.
- الشبكة والسلطة في المجتمع ما بعد الصناعي: كاستلز بين بيل وتورين: لقد حاول الباحث هنا وضع تفكير مانويل كاستلز بين كل من سوسيولوجي ما بعد الصناعة دانييل بيل وآلان تورين، وكيف تحول مفهوم السلطة أو أعيد تعريفه ليصبح مرتبطا بالشبكة على أساس أنها وصف لمرحلة معاصرة من التاريخ الاجتماعي.
- وقد خلصت الدراسة إلى نتائج مفادها: أن المجتمعات الحديثة شهدت طفرة من التحولات مرتبطة بالعمولة، قوامها الانتقال من الرأسمالية الصناعية إلى "رأسمالية معلوماتية" و"ثقافة افتراضية"، حيث تقوم تكنولوجيا المعلومات الجديدة بتعطيم كل العقبات والعراقيل الزمنية والمكانية وتجعل من ثقافة الوسائط المتعددة والإنترنت بمنزلة الأجدية الجديدة لعالمنا المعاصر.

. الدراسات المتخصصة (التي تناولت النموذج الجزائري).

أ. الدراسة الأولى:

هي دراسة متضمنة في أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في تخصص علم اجتماع التنمية، قدمتها ميمونة مناصرية، وجاءت تحت عنوان "هوية المجتمع المحلي في مواجهة العمولة - من منظور أساتذة جامعة بسكرة"¹.

¹ ميمونة مناصرية، "هوية المجتمع المحلي في مواجهة العمولة - من منظور أساتذة جامعة بسكرة"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم اجتماع التنمية، جامعة محمد خيضر - بسكرة، السنة الجامعية: 2011 - 2012.

تنطلق هذه الدراسة من قناعة أن التغيرات العالمية من ثورات وحروب وتدخلات، والتطورات التكنولوجية "أطاحت" بالنظم الاجتماعية الراضخ للمجتمعات وما ينضوي تحتها من عادات وتقاليد، رموز وطقوس تشعر البشر بالانتماء، إذ عملت العولمة على تمييط هذه النظم المشتملة في مفهوم الهوية، وقد اختارت الباحثة اعتماد اصطلاح الهوية المحلية بدل الوطنية أو القومية لاعتبار الأخيرين يبتعدان عن السوسيولوجيا ويقتربان من السياسية والاقتصاد.

واخذت الدراسة من المجتمع الجزائري نموذجا؛ إذ لطالما شكلت فيه الهوية أزمة تتجاوزها مختلف الإيديولوجيات، لنعود الباحثة وتؤكد أن الدراسة قائمة على مبدأ اللاحتمية في علاقة التأثير والتأثر بين الهوية المحلية والعولمة، ولكن تخوم المجتمعات والحضارات أصبحت أكثر عرض للاختراق في ظل انفتاح العالم وسيادة الثقافات العالمية على التقاليد والثقافات المحلية، لذلك وجبت مواجهتها بآليات تدافع عن الهوية المحلية وإعادة بعثها، من أجل ذلك طرحت الباحثة سؤال الإشكالية: **ما هي آليات مواجهات هوية المجتمع المحلي للعولمة؟**، وللإجابة عليه اقترحت الباحثة من خلال **تساؤلاتها** ست آليات لمواجهة العولمة: الانعزال والمقاطعة والازنواء؛ العنف والصراع والمناهضة؛ الحوار الحضاري؛ التنمية البشرية المستدامة؛ التنمية الاقتصادية المستدامة وأخيرا تفعيل عناصر الهوية المحلية.

في الاقترب النظري من الموضوع، اعتمدت الباحثة ثلاث مقاربات أو مداخل: مدخل الصراع في جزئه الذي يفسر علاقة البنى التحتية بالفوقية أي بنية القيم المحلية وعلاقتها بالبنى الاقتصادي العولمة، مدخل التفاعلية الرمزية في جزئه الذي يفسر التفاعل الإنساني التي ينسج مختلف المعاني ويتفاعل من خلالها معبرا عن هوية صاحبها، والمدخل الواقعي الذي استعارته الباحثة من العلوم السياسي لتفسر سعي كل دول للحفاظ على بقائها في ظل البيئة العدائية العالمية سياسيا واقتصاديا.

منهجيا، اعتمدت الباحثة **منهج** "قياس الاتجاهات" وهو مقياس سيكولوجي قائم على تحديد اتجاهات الباحثين، فكانت بذلك **تقنية الدراسة** الرئيسة هي استمارة الاتجاهات، تكونت من محور للبيانات الشخصية و54 عبارة نظمت بالاعتماد على مقياس ليكرت الخماسي، تم توزيعها على **عينة** من 123 أستاذًا وأستاذة جامعيين من جامعة محمد خيضر بسكرة- الجزائر، خلال فترة 15 ماي 2011 و15 جويلية 2011.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مفادها:

- هناك وعي لدى الباحثين بما هو واقع من تجاذب بين الهوية والعولمة، وأن آليات مواجهاتها متاحة وناجعة.
- يشكل الدين أهم بعد من أبعاد الهوية الجزائرية.
- هناك رفض من الباحثين للخوض في قضايا الأمازيغية، وقد فسرت الباحثة ذلك بعدم نضج المستوى الذهني للأساتذة الذي يتيح لهم تقبل التنوع العرقي في الجزائر "دوما عقدة".
- هناك رفض تام لأن تتم مواجهة العولمة بالآليات التي اعتبرها الباحثون سلبية أي الانعزال أو العنف والمناهضة، بالمقابل هناك قبول للعمليات الإيجابية القائمة على الحوار الحضاري، التنمية البشرية والاقتصادي المستدامتين وتفعيل عناصر الهوية المحلية (اللغة العربية التاريخ الوطني وبدرجة أقل بكثير الأمازيغية).

ب. الدراسة الثانية:

هي دراسة متضمنة في أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في تخصص علم الاجتماع الثقافي، قدمتها سلمية فيلالي، وجاءت تحت عنوان "بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة - دراسة على عينة من الطلبة الجامعيين بجامعة باتنة"¹.

تنطلق الدراسة من محورية مفهوم الهوية في مختلف العلوم، وفي علم الاجتماع على وجه الخصوص لعدم إمكانية وجود هوية دون وجود جماعة مترابطة اجتماعية بدءاً من الأسرة فالقبيلة وصولاً إلى الوطن والحضارة. ثم انتقلت الباحثة إلى محورية مفهوم الهوية الوطنية وأهميتها باعتبارها نتيجة لمسارين تاريخي وحضاري ومؤطرة لحياة الشعوب، المسار الذي تمثل فيه العولمة محطة رئيسة من حيث علاقته بالهوية، إذ أن تأثير أو عدم تأثير العولمة يحدد مدى التغير الذي يطرأ على الهوية الوطنية، سواء كان إيجابياً مجدداً ومحسناً أو سلبياً مخرباً ومهدداً، وبتخصيص الباحثة لموضوعها أكثر تناولت النموذج الجزائري ومنه طرحت سؤال إشكاليته: كيف تتبنى الهوية الجزائرية في ظل العولمة؟ واقترحت كافتراض تنطلق منه في دراستها أن: تركيبة بنية الهوية الجزائرية مزيج من القيم الجزائرية القيم الوافدة، وقد قسمتها إلى فرضيات فرعية وهي:

• تتراجع القيم الدينية في المجتمع الجزائري أمام القيم العولمية الوافدة.

• تضعف القيم الوطنية في المجتمع الجزائري في ظل العولمة.

• تتغير العادات والتقاليد الجزائرية في مثل القيم العولمية الوافدة.

منهجياً، اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي، لأنها اعتبرته ناجعاً لتوصيف بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة، وقد اعتمدت بذلك تقنية الاستمارة كتنقية رئيسة (وقد بينت اعتمادها في البداية على المقابلات الاستكشافية)، تكونت من محور للبيانات الشخصية وثلاثة محاور أخرى من 56 سؤال بين مغلق منها ومفتوح، تم توزيعها على عينة منتقاة بالطريقة العشوائية البسيطة مكونة من 730 طالب وطالبة من أربع كليات: كلية العلوم الاقتصادية؛ كلية الآداب واللغات؛ كلية الحقوق والعلوم السياسية؛ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، خلال الفترة الممتدة بين بداية مطلع سنة 2013 إلى غاية نهاية شهر مارس من نفس السنة بجامعة الحاج لخضر باتنة- الجزائر.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مفادها:

• تلعب التخصصات الجامعية دوراً مهماً في بلورة هوية الطلبة الوطنية، فطلبة اللغات والعلوم الاقتصادية أكثر اغتراباً وتأزماً في هويتهم الوطنية وقيمها الدينية، اللغوية، القيمية والثقافية مقابل طلبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية.

• تلعب وسائل الإعلام الأجنبية دوراً في بلورة الهوية الوطنية للطلبة المبحوثين في ظل غياب اهتمام وسائل الإعلام الجزائرية بذلك.

• قابلية الشباب المنتمين إلى الوسط الريفي للتأثر بالغزو الثقافي أكبر من قابلية المنتمين إلى الوسط الحضري للتأثر بها.

¹ سلمية فيلالي، "بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة - دراسة على عينة من الطلبة الجامعيين بجامعة باتنة"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الثقافي، جامعة محمد خيضر - بسكرة، السنة الجامعية: 2013 - 2014.

ج. الدراسة الثالثة:

هي دراسة متضمنة في أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في تخصص علم الاجتماع الثقافي، قدّمها سعيد ملاك، وجاءت تحت عنوان "سوسيولوجية الشبكات الاجتماعية عبر الإنترنت: دراسة تحليلية سوسيوقانونية على شبكة ذاتية على الفيسبوك"¹.

تنطلق هذه الدراسة من حقيقة أن الشبكات الاجتماعية أصبحت تعبر عن شكل مهم من أشكال التفاعل الإنساني في عالمنا المعاصر، وفي إطار المجتمعات التي أنتجتها هذه الشبكات وهي المجتمعات الافتراضية انتقلت إلى سياقه مختلف الجماعات والمؤسسات والتفاعلات، حيث أصبحت مكملة لهوية الفرد وأسلوب حياته وعلاقاته الاجتماعية الواقعية، ومن أهم هذه الشبكات موقع فيسبوك بما يوفره من منظوم متكامل للتواصل، ما يمدها بالطابع الاجتماعي والإنساني، والذي يعرف تزايداً مستمراً في عدد المستخدمين في العالم والجزائر التي بلغ عددهم فيها 6.8 مليون مستخدم عام 2014. وفي إطار البحث في توصيف مختلف العلاقات والتفاعلات عبره طرح الباحث سؤال إشكاليته: **على أي أساس تتشكل الروابط التقنية للعلاقات الاجتماعية من خلال الصفحة الشخصية في الفيسبوك؟**، وقسمه إلى تساؤلات فرعية هي كالآتي (وقد صاغها بشكل تقريبي أو على شكل أهداف يريد الوصول إليها):

- تحديد خصائص الشبكة وتحليلها وقياسها باستخدام تقنية التمثيل المرئي لبيانات صفحة شخصية على فيسبوك.
- معرفة المتغيرات الحاسمة في تشكيل الروابط في الشبكات الاجتماعية عبر الإنترنت.
- سليات وإيجابيات بنية الروابط الاجتماعية في الفضاء الافتراضي.
- المتغيرات الحاسمة التي تحكم هذا الشكل من العلاقات.

وقد صاغ لهذه التساؤلات فرضيات فرعية وهي:

- الدعم الاجتماعي الإيجابي بين الأفراد في فيسبوك كمتغير حاسم في تحديد طبيعة التقارب الروابط الاجتماعية القوية.
- التواصل المعرفي عن طريق النشر الإلكتروني على فيسبوك يساعد في زيادة روابط الشبكة (الروابط القوية والضعيفة).
- يجذب الأفراد اليوم إلى التواصل الأداقي عبر فيسبوك أكثر من التواصل التقليدي بسبب ما تقدمه الروابط الافتراضية من علاقات جديدة خارج محيط العلاقات التقليدية.

كمقاربة نظرية سوسيولوجية استعان الباحث بالنظرية البنوية على أساس أنها تفسر الظواهر وفقاً لبنيتها الاجتماعية وهو المفهوم المركزي الذي تقوم عليه الشبكات الاجتماعية وكذا الدراسة.

منهجياً، اعتمد الباحث منهجين في دراسته، منهج تحليل الشبكات الذي يقوم على عرض وتحليل وتفسير خطوط الصداق عبر فيسبوك باستخدام مقاييس مخصصة لذلك، والمنهج الوصفي التحليلي للجزء الخاص بتحليل البيانات الناتجة عن

¹ سعيد ملاك، "سوسيولوجية الشبكات الاجتماعية عبر الإنترنت - دراسة تحليلية سوسيوقانونية على شبكة ذاتية على الفيسبوك"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله، السنة الجامعية: 2015 - 2016.

عينة بحثه، وكانت تقنية الدراسة الرئيسة هي الاستمارة، تكونت من خمسة محاور محور للبيانات الشخصية و42 سؤالاً آخر متنوعة بين أسئلة وعبارات في مقاييس ليكرت الخماسي، تم توزيعها على عينة من 105 مفردة من مستخدمي موقع فيسبوك الجزائريين من الشبكة الشخصية للباحث، ولم يحدد الباحث فترة زمنية معينة لبحثه بل اكتفى بالقول أنها تمت منتصف سنة 2015. وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مفادها:

- تبنى شبكات العلاقات الاجتماعية عبر فيسبوك من خلال علاقات الصداقة إذ تتوسع الشبكة وفقاً لعدد الأصدقاء المشتركين Mutual Friends.
- تتشكل الشبكات عبر فيسبوك بالدرج الأولى من أجل تقاسم المعلومات والمعارف حيث انتقل الغرض منه من التعارف والصداقات إلى المعارف والمعلومات.
- هناك دعم وجداني بين الفيسبوكيين، إذ تتشكل الصداقات وتكون أكثر تقارباً وتماسكاً فيظهر بين المستخدمين تعاطف واهتمام وتقاسم لنصائح وتوجيهات.
- يوفر فيسبوك إضافات عديدة على الاتصال الشخصي مقارنة بالاتصال التقليدي، حيث تصبح بعض العلاقات مصدراً لرأس مال اجتماعي وثقافي.
- يقوم الأفراد بتكييف معايير الشبكة لتناسب مع سياقاتهم الشخصية، الاجتماعية والثقافية.

د. الدراسة الرابعة:

هي دراسة متضمنة في أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في تخصص علم اجتماع التربية، قدّمها العيد واربم، وجاءت تحت عنوان "البعد الثقافي للعملة وأثره على هوية الشباب الجامعي الجزائري - دراسة ميدانية على طلبة ببعض الجامعات الجزائرية"¹.

تأتي هذه الدراسة لتتخصص أكثر في كل من الهوية والعملة، حيث تركز على شقيها الثقافي أكثر على أساس أن العملة الثقافية تشكل القاعدة التي تنتشر بها العملة في أبعادها الأخرى لأنها تسهل ولع المغلوب بالغالب وتسهل تفوقه وغلبته، كما أنها تؤثر على الهوية الثقافية باعتبارها أهم محددات الهوية عامة، وفي ظل التطورات العلمية والتكنولوجية التي يشهدها العالم المعاصر وكنيجة لهذا التنامي التقني ظهرت وسائل التواصل الاجتماعي التي أحدثت تغييراً اجتماعياً وثقافياً في مجال التواصل، وعلى رأس هذه المواقع موقع فيسبوك، والذي يفترض الباحث أنه أثر على هوية الشباب الجزائري في بعدي الهوية القيمي واللغوي، وهما اللذان يشكلان جزءاً محورياً من الهوية الجزائرية، ولمعرفة هل أثرت بالفعل العملة الثقافية على الهوية الثقافية للشباب ومدى ذلك طرح الباحث سؤال الإشكالية التالي: هل ساهم استخدام الشباب الجامعي لشبكات التواصل الاجتماعي (الفيسبوك نموذجاً) في اكتسابه لعناصر قيمة - ولغوية جديدة، وهو السؤال الذي تفرع إلى ثلاثة أسئلة فرعية هي:

- ما هي علاقة الشباب الجامعي بمواقع التواصل الاجتماعي فيسبوك؟

¹ العيد واربم، "البعد الثقافي للعملة وأثره على هوية الشباب الجامعي الجزائري - دراسة ميدانية على طلبة ببعض الجامعات الجزائرية"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم اجتماع التربية، جامعة محمد لين دباغين - سطيف 2، السنة الجامعية: 2017 - 2018.

- هل ساهم استخدام شبكات التواصل الاجتماعي (فيسبوك نموذجاً) في اكتساب الشباب الجامعي لعناصر قيمة جديدة؟
- هل ساهم استخدام شبكات التواصل الاجتماعي (فيسبوك نموذجاً) في اكتساب الشباب الجامعي العناصر لغوية جديدة؟

وقد قابلها بفرضيات واحدة رئيسة وهي: ساهم استخدام الشباب الجامعي لشبكات التواصل الاجتماعي (فيسبوك نموذجاً) في اكتسابه العناصر قيمة ولغوية جديدة. وثلاث فرضيات فرعية هي:

- يستخدم الشباب الجامعي فيسبوك بحجم كثيف، ولدواعي ودوافع متعددة.
- ساهم استخدام فيسبوك في اكتساب الشباب الجامعي لعناصر قيمة جديدة.
- ساهم استخدام فيسبوك في اكتساب الشباب الجامعي لعناصر لغوية جديدة.

مقاربة نظرية للدراسة انحاز الباحث إلى نظريات أنثروبولوجية أكثر منها سوسيولوجية، عل أساس أن متغيريه في الدراسة يميلان أيضاً إلى الأنثروبولوجيا الثقافية، فاعتمد على كل من نظريتي الانتشار الثقافية (الانتشارية) والثقافة أو الثقافة، الأولى من حيث أنها تعتبر انتشار السمات الثقافية عاملاً أساسياً في إحداث التغيرات الثقافية سواء داخل المجتمع نفسه أو بانتشارها عبر المكان أي نقلها من منطقة إلى منطقة أخرى، والثانية من حيث تناول عمليات الانتقال الثقافي للسمات الناتج عن الاحتكاك بين الثقافات.

منهجياً، اعتمد الباحث المنهج الوصفي في دراسته، على أساس ما يوفره هذا المنهج من إمكانية للوصف والتحليل والتفسير، وقد ذكر الباحث أنه استخدم تقنيتين في دراسته الأولى هي الملاحظة وقد استخدمها لجمع بيانات أولية في دراسته الاستكشافية، والثانية الرئيسة هي تقنية الاستمارة الاستبائية، تكونت من ثلاثة حاور إضافة إلى محور للبيانات الشخصية بمجموع 73 سؤالاً بين مغلق ومفتوح، تم توزيعها على عينة من 300 من طلبة كل من جامعة سطيف 2، جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريش وجامعة محمد بوضياف - المسيلة، المستخدمين لموقع فيسبوك إذ اختار الباحث ميدان دراسته ليكون مؤسسات التعليم العالي - لأنه في نظره ملائم للدراسة - وقد بدأ دراسته الميدانية مطلع عام 2016.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مفادها أن استخدام الشباب الجزائري لفيسبوك ساهم في:

- اكتسابه عناصر قيمة جديدة على مستوى القيم الاجتماعية ممثلة في بعض قيم الأسرة على غرار التخلي على قيمة التواصل الأسري، والتحلي بقيمة التواصل الافتراضي.
- اكتسابه عناصر قيمة جديدة على مستوى القيم الأخلاقية على غرار اهتمام الشباب بالمظهر والتخلي على الجوهر التحرر المطلق للإناث وبناء علاقات خارج إطار الزواج.
- اكتسابه عناصر قيمة جديدة على مستوى القيم المادية على غرار التخلي على قيم مادية إيجابية، والتحلي بقيم الأنانية والفردانية والزعة الاستهلاكية المفرطة.
- وأخيراً، تشكل وانتشار لغة جديدة هجينة ودخيلة عن طريق عناصر جديدة، تساهم في تراجع دور اللغة العربية.

هـ. الدراسة الخامسة:

هي دراسة متضمنة في مقال علمي منشور ضمن العدد 481 من مجلة المستقبل العربي، قدّمها كلٌّ من عربي بومدين وسعاد بوسنية تحت عنوان "اللغة والهوية في الجزائر في زمن العولمة: نحو استكشاف العلاقة"¹. تنطلق الدراسة من أطروحة نصّها أن فقدان أيّ شعب استخدام لغته الأم وإحلال لغات أجنبية أخرى محلّها سيؤدي لا محالة إلى طمس ذاتيته الثقافية، لذلك تركز الدراسة على سؤال اللغة والهوية في الجزائر باعتبارها ذات خصوصيات ثقافية عديدة مرتبطة باللغة والهوية منها الإرث الاستعماري والصراعات الإيديولوجية لتأني العولمة وتشكل تهديداً وتحدياً آخر لهذه الخصوصيات، وعاملاً لاختراق الهوية الوطنية من مدخل اللغة، فجاءت هذه الدراسة مسائلةً لثلاثية اللغة والهوية والعولمة، وبالتركيز عليها طرح الباحثان سؤال الإشكالية: كيف تؤثر العولمة في الهوية من خلال مدخل اللغة في الجزائر؟ ولمعالجة هذا السؤال صاغوا الفرضيات التالية:

- الأزمة اللغوية في الجزائر هي نتاج لخلفات الظاهرة الاستعمارية وتشكل تلك العلاقة مظهراً من مظاهر أزمة الهوية.
- تشكل العولمة الثقافية/اللغوية مدخلاً محورياً في تعميق أزمة الهوية في الجزائر.
- تعدّ السياسة اللغوية القائمة على العقلانية آلية مهمّة في مواجهة العولمة الثقافية وتحقيق الأمن اللغوي في الجزائر.

وقد صمّم المقال نظرياً، أي دون الاستعانة بخطوات ميدانية وجاءت المحاور كالتالي:

المحور الأول: اللغة، الهوية، والعولمة: مقارنة معرفية، وفيه ربط الباحثان علاقة اللغة بالهوية حيث أن اللغة ليست ناقلة الثقافة المادية والقيمية فقط، بل هي جزء من ماهية هذه الثقافة، وليست القناة التي تمر من خلالها قيم المجتمعات وثقافتها وحضارتها، بل هي أساسها، لذلك فالجمال اللغوي سيكون المجال الأول الذي تدخل منه العولمة لتدمير مقومات كل أمة.

المحور الثاني: اللغة والهوية في الجزائر: إرث الماضي وتشوهات المستقبل، وفيه شدد الباحثان على تداعيات الاستعمار الفرنسي باعتبار الاستعمار أداة من أدوات العولمة، على أساس أن الثنائية اللغوية التي يعانيها المجتمع الجزائري، وحتى المدارس التعليمية والجامعات في الجزائر، والمتمثلة باستخدام اللغة الفرنسية والعامية، هي السبب الأول في هدم اللغة العربية. كما أشارا في هذا المحور أيضاً إلى اللغة الأمازيغية باعتبارها لغة أما أيضاً في الجزائر.

المحور الثالث: علاقة اللغة بالهوية في سياق منظومة العولمة في الجزائر: المناعة في مواجهة الاختراق، وتضمن أنه في عالم اليوم بأننا في نظام عولمي ينتج تغيّراً للمفاهيم باستمرار، وينتج نظاماً لغوياً يسوق الشعوب إلى حافة التبعية لنظام لغوي وثقافي معولم يفقد المجتمعات هويتها، كما أن الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، مثل فيسبوك والتويتر تتيح فرصاً للمحادثة والتواصل؛ بلغات أجنبية أو كتابة العربية بالأرقام حيث يشار مثلاً إلى حرف الحاء بالرقم 7.

المحور الرابع: نحو بناء سياسة لغوية في الجزائر في مواجهة العولمة الثقافية، وجاء فيه أن هناك سبلاً لترقية سياسة لغوية تحافظ على اللغة الأم التي تعدّ المكون المحوري للحفاظ على الهوية، منها التعريب الفعّال؛ إعطاء اللغة العربية ميزة لغة المعرفة؛ تعزيز المواطنة اللغوية والتربية على اللغة؛ وغرس قيم اللغة والهوية لدى الشباب.

¹ عربي بومدين وسعاد بوسنية، "اللغة والهوية في الجزائر في زمن العولمة: نحو استكشاف العلاقة"، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، السنة 41، العدد 481، مارس 2019.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج مفادها:

- هناك علاقة ارتباطية وتاريخية بين اللغة والهوية.
- ساهم الاستعمار الفرنسي في الجزائر في خلق الثنائية اللغوية، أو خليط من اللغات، وأدى إلى تعميق أزمة الهوية.
- فرضت العولمة الثقافية/اللغوية تحديات على اللغة العربية منها تراجعها الرهيب في الاستعمال اليومي والعلمي لمصلحة لغات أجنبية أخرى بفعل حركة العولمة الاتصالية.
- تُعدّ السياسة اللغوية أحد المداخل الرئيسية في مواجهة العولمة الثقافية والحفاظ على الهوية وذلك بإشراك الفواعل الرسمية وغير الرسمية والقوى المجتمعية لضمان النجاح الأمثل.

2. أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة.

أخذت الأدبيات التي اعتمدناها اتجاهات تجعلها ذات الصلة بالموضوع، فمنها وعلى اختلاف تخصصاتها ما تم الاعتماد عليه للبناء المنهجي، ومنها ما اعتمد عليه للتأصيل النظري، ومنها ما ساعدنا في الجانب التطبيقي تحليلاً وتفسيراً، وهذه الاتجاهات هي ثلاثة: الدراسات التي تناولت الهوية، الهوية الثقافية كمتغيرات رئيسة؛ الدراسات التي تناولت العولمة وأثرها على الثقافة والقومية كمتغيرات رئيسة؛ والدراسات التي تناولت المجتمع الشبكي، مواقع التواصل الاجتماعي كمتغيرات رئيسة، أما عن أوجه الاستفادة منها فتمثلت في:

أ. أوجه الاستفادة من الدراسات العامة:

من خلال الدراسات السابقة العامة المذكورة سابقاً يتبين لنا أن موضوع الهوية في علاقتها مع العولمة، ثم علاقتها مع التقنية المتمثلة في الإنترنت، مطروح في ساحة الأكاديمية ويتجدد طرحه بتجدد المتغيرات المؤثرة والمتأثر به، فقد أفادتنا **الدراسة الأولى** بأن مفهوم الهوية الوطنية ضروري لفهم ديناميكيات الانتقال السياسي والصراعات الاجتماعية والتنمية الاقتصادية في دولة ما، وأنه مفهوم يتأرجح بين تأصيل عرقي وتاريخي لتلك الهوية وبين تأثرها بتداعيات العولمة، أما **الدراسة الثانية** فعرفتنا على مفهوم القومية الرقمية، الذي يؤكد أن الإنترنت أصبحت مجالاً تفرض الدول على حدوده سيادتها ولا تسمح فيه بتدخلات خارجية، تماماً مثل الحدود الفعلية، وهو ما يؤكد لنا أن الإنترنت والعوالم الافتراضية ليست عبثية بل إنها متغير مستقل ذو تأثير مهم على متغيرات تابعة بالغة التعقيد على غرار القوميات والهويات الوطنية، أما **الدراسة الثالثة** فخصت عالماً محدداً من العوالم الافتراضية وهو مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك)، فقد استفدنا منها في الجانب المتعلق بالكيفية التي يمكن للمستخدم بها عرض هويته الافتراضية، كما أنها مضبوطة بالحدود المكانية والشخصية والثقافية خاصة في مجتمع تحكمه قواعد دينية مثل المجتمع الإيراني.

الدراسة الرابعة نقلتنا إلى التخصص أكثر، أي في التعرف على سوسيولوجية الهوية الافتراضية مقارنة بالهويات الفعلية، حيث تعرفنا من خلالها على أنواع الهويات الافتراضية ومحاولات التنظير لها سوسيولوجياً، كما ساعدتنا الدراسة في فهم مفهوم المجتمع الشبكي الذي اتخذناه في دراستنا كمقاربة نظرية، أما **الخامسة** فقد أوضحت لنا بأن التششت بين الهويتين الفعلية والافتراضية خاصة عن مستخدمي فيسبوك يسبب أزمة للهوية لديهم، كما استفدنا من هذه الدراسة في ضبط أبعاد ومؤشرات الهوية

الوطنية خاصة بعدا اللغة والدين، لتشمل استفادتنا منها كلا الجانبين النظري والميداني، أما الدراسة السادسة والأخيرة في الدراسات العامة، فقد سهلت علينا عرض مقاربتنا المتعلقة بالمجتمع الشبكي والهويات الشبكية، خاصة أن دراسات مانويل كاستلز لم تتم ترجمتها إلى اللغة العربية فكانت الدراسة بمثابة حصر لتلك الدراسات.

ب. أوجه الاستفادة من الدراسات المتخصصة:

من خلال الدراسات السابقة المتخصصة المذكورة سابقا، والتي خصت بالدراسة الهوية الوطنية الجزائرية وأثر العولمة عليها، ثم هوية الفرد الجزائري في تفاعله مع أداة العولمة المعاصر الأهم أي الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وبالتحديد موقع فيسبوك، أما الدراسة الأولى فاستفدنا منها في معرفة وجهة نظر طبقة معينة من المجتمع (الأساتذة) ومنطقة جغرافية وثقافية محددة حول ثنائية العولمة والهوية وأبعاد الأخيرة، كما استفدنا منها في الشق الميداني من الدراسة بما أنها دراسة اعتمدت ذات التقنية، أما الدراسة الثانية فقد مثلت منظور الموملين الأوائل الذي يرون بأن تأثير العولمة على بنية الهوية الجزائرية هو أمر مسلم به، فقد استفدنا منها في معرفة المزيد عن التداعيات السلبية للعولمة على الهوية الجزائرية وكيف أصبحت هوية الجزائري اليوم مزيج بين ما هو أصيل وما هو وافد، وأكثر الفئات الاجتماعية التي يمكن أن تتأثر بما هو وافد إضافة إل دور الإعلام ووسائله في ذلك.

الدراسة الثالثة كانت فيها إحدى تلك الوسائل الإعلامية ميدانا لها حيث أفادتنا في اكتشاف الكيفية التي يمكن أن يكون بها موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك مجالا للاجتماع الإنساني المنتج للظاهرة السوسولوجية، أما الدراسة الرابعة فقد ربطت التقنية بالهوية الثقافية بشكل مباشر، كما ساعدتنا في ضبط مؤشرات أبعاد دراستنا، وكذا هيكلتها، كما ساعدتنا في منهجية عرض الدراسات السابقة وكيفية الاستفادة منها، وقد استفدنا من الدراسة الخامسة والأخيرة في الجانب المتعلق بالبعد اللغوي للهوية الجزائرية في تفاعله مع العولمة، والتي ساهمت إضافة إلى تاريخ الجزائري مع الاستعمار الفرنسي في تشكيل الواقع اللغوي في الجزائر، ازدواجيته وثنائيته.

3. ما هي الرهانات البحثية للأطروحة الحالية مقابل الدراسات السابقة؟

نطمح من خلال الأطروحة الحالية إلى معرفة الكيفية التي تخرج بها العولمة الهوية الجزائرية نحو العالم فتصبح جزءاً من الثقافة العالمية، بالمقابل الكيفية التي تؤثر بها هذه الثقافة العالمية على الهوية الجزائرية بأبعادها اللغوية والدينية والوطنية، وتتوسطها الإنترنت وبالتحديد موقع فيسبوك الذي نبحت في كيفية قيامه بعملية عولمة الهوية الجزائرية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الكيفية التي تتمظهر بها هوية الفرد الجزائري في العالم الافتراضي، وكيف يمكن لهذا الأخير أن يكون امتدادا للعالم الفعلي ومنه كيف يمكن أن تكون الهوية الوطنية على فيسبوك امتدادا للهوية الوطنية الفعلية.

ثاني عشر: المقاربة السوسولوجية للدراسة.

تعني المقاربة أو التناول Approach طريقة معينة في استخدام النظرية العلمية من خلال استلهاهم الباحث أفكارها واتباع المنظرين الذي قاموا بتطويرها وتجديدها، إذ يتم اختيارها من طرفه لافتراضه قدرتها على مساعدته في تحليل وتفسير الظاهرة موضوع دراسته. ولا يعني اختيار مقاربة ما اقتصار تحليل وتفسير الباحث لنتائج بحثه من خلالها حرفيًا بل الأصح كما

يرى أنجرس "أن نقول إنه يستقي منها أكثر مما يستقي من غيرها. كما يمكننا الاستلهام من تعاليم شخص ما دون أن نسعى لنكون من أتباعه"¹، فاختيارنا للمقاربة السوسيولوجية لا تعني استخدام كل الإنتاج النظري ضمنها، بل ما وجدناه يقع في صلب موضوع دراستنا وأهدافها، كما أن اختيارها لا يمنعنا من الرجوع إلى نظريات وأدبيات وإنتاجات علمية أخرى كل حسب حاجتنا البحثية إليها.

تتمثل المقاربة السوسيولوجية لهذه الدراسة في نظرية "المجتمع الشبكي" وتحديدًا التي صاغها السوسيولوجي مانويل كاستلز Manuel Castells، فرغم أن المفهوم والنظرية سابقان لإنتاجاته العلمية إلا أن دراساته تعمقت في ربطت متغيرات: التقنية، الهوية والعولمة وهي المتغيرات الرئيسة لدراستنا ومن أجل ذلك تم اختيارها كمقاربة. وقد ظهر مفهوم المجتمع الشبكي أول مرة عن طريق كتابات جان فان ديك سنة 1991 -وتوالت طبعاته إلى سنة 2006-، حيث عرّف المفهوم في كتابه على أنه مجتمع "تعد بنيته التحتية كلاً من شبكات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام.. [كما أنه] تكوين اجتماعي ذو بنية تحتية من الشبكات الاجتماعية والإعلامية تمكنه من وضع التنظيم الأساسي على جميع المستويات (الفردية والجماعية/التنظيمية والمجتمعية)، وتربط هذه الشبكات بشكل متزايد جميع وحدات أو أجزاء هذا التشكيل (أفرادًا وجماعات ومنظمات)"²، فهو يرى الشبكات تتسبب في إعادة هيكلة شاملة للمجتمع، وكسر الأنماط التقليدية للمجتمعات، كما أن الشبكات تربط بين عمليتين متناقضتين، فهي تربط بين توسيع نطاق ظواهر وتقليص نطاق أخرى فمن ناحية، هي تدعم العولمة والفردية، ومن ناحية أخرى تدعم التوطين والتنشئة الاجتماعية³.



الشكل رقم (02): العمليات المتناقضة التي تربط بينها الشبكات من منظور مانويل كاستلز.

إن المبدأ الأساسي للتقنيات في المجتمع الشبكي المتعلق بهوية الفرد الفعلية في ظل استخدامه لها هو "أن الهوية ليس لها أهمية بالنسبة للجزء الأكبر من عملية التسجيل، فيمكن منح الأفراد هوية زائفة تحل محل هويتهم الحقيقية في عملية الولوج إليها"⁴، وهذه المناقشات التي تتضمنها دراسة المجتمعات الشبكية من وجهة نظر سوسيولوجية، جعل اختيارنا يقع على هذه النظرية لافتراضنا قدرتها على تحليل الظاهرة محل الدراسة.

¹ موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص ص 99 – 100.

² Jan Van Dijk, Opcit, p 20

³ Ibid, p 29.

⁴ Ibid, p 121.

ويعتبر إثراء كاستلز لهذه النظرية ذا أهمية كبير للدرجة التي أصبحت النظرية مرتبطة باسمه، ويتلخص منظوره السوسيولوجي لعلاقة الهوية، العولمة والتقنية بأن هناك تجاذبا بين حدود كل من الخصوصي والكوني في ظل عولمة المعلومات ستمه التعارض بين الذات (تعبيرا عن الهوية الفعلية) وبين الشبكة (تعبيرا عن الهوية الافتراضية)، هذا التعارض بينهما قائم على الفعل ورد الفعل، فالفعل هنا هو شعور الخصوصي بالتهديد من طرف الكوني بأن يتم إلغاء معناه ورموزه الهوياتية المتجذرة، أما رد الفعل فيتمثل في مقاومة الخصوصي لهيمنة الثقافة الكونية وكذا لمحاولة افتراضها¹ Virtualization، بل يصل ذلك إلى تكريس الهويات المحلية وإعادة بعثها في شكل من أشكال التدفق العكسي للمعلومات، من أجل ذلك سيأتي مضمون هذه المقاربة بشكل موسع في الفصل الثاني، إذ سنوضح هناك علاقة الهوية بالعولمة في عصر التقنية، وكيف ينتج عن ذلك هويات مختلفة مرتبطة بها.

¹ مصطلح "الافتراضان" Virtualization: هو مصدر الفعل افتراضن الملحق بافتعلل أي الملحق بالرباعي المزيد فيه حرفان. والافتراضان سيرورة وانتقال من حال إلى حال، تعبر عن نمط من الوجود ليس وهميا ولا زائفا، تصيب الأجساد وسير الاقتصاد والأطر الجماعية للحساسية أو ممارسة الذكاء. ويصيب الافتراضان حتى طرق العيش المشترك: مجتمعات افتراضية، شركات افتراضية، ديمقراطية افتراضية، هويات افتراضية ...، أنظر: بيير ليفي، عالمنا الافتراضي: ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟، مرجع سبق ذكره، ص 9-10.

خلاصة:

جاء الإطار المنهجي ليضع لبحتنا هذا حدوده المعرفية والمنهجية، ويوضح قواعده التي سوف تبني عليها أطرها اللاحقة، وهي قواعد متعلقة **أولا** بتحديد مسار البحث النظري والتطبيقي، وثانيا -وهو أمر مهم- متعلقة بعدم تحميل البحث، متغيراته، سؤاله وتسؤولاته أكبر من طاقتها، خاصة أن موضوع الهوية الوطنية في علاقته بالعملة، ثم محاولة القبض عن هذه العلاقة بين مؤثر ومتأثر في السياق الافتراضي هو موضوع ضخم وعدم توضيح أهدافه وحدوده والغاية منه بالضبط وبالوضوح، قد يهدد بتيه الباحث. فالتدرج في طرح إشكالية الدراسة وسؤالها وما صيغ مقابله من فرضيات، وما تدرج عنها هي الأخرى من مفاهيم وتحليل إجرائي لها.

إضافة إلى ذلك، تم عرض أسباب اختيارنا لموضوع الدراسة سواء الذاتي منها أو الموضوعي إضافة إلى الأهداف التي تطمح إلى بلوغها، وكذا الأهمية التي تكتسبها ضمن الحقل الأكاديمي والميدان السوسيولوجي، وقد بينا ضمن هذا الإطار المسار المنهجي للدراسة مما تم اعتماده من مناهج وتقنيات ومجتمع بحث وطرق إجراء المعاينة عليه، والأساليب الإحصائية والتحليلية المستخدمة على البيانات التي سيتم جمعها، كما تم تحديد الأطر الزمانية، المكانية والبشرية التي تحدد هوية البحث، ذلك إضافة إلى الأدبيات ذات الصلة بموضوع الدراسة التي سيتم توظيفها بطرق مباشرة أو غير مباشرة من خلال مختلف مراحل البحث، كما تم وضع الدراسة الحالية ضمن سياقها البحثي النظري عن طريق اختيار المقاربة النظرية التي ارتأينا مناسبتها للموضوع، وهي كلها خطوات أساسية تبرر معرفيا ومنهجيا ما سيرد في الفصول السبعة اللاحقة.

الإحصاء النظري للدراسة

الفصل الأول:

العولمة وسياقاتها التاريخية والسوسيومعرفية

مضمون الفصل:

تمهيد.

المبحث الأول: العملة في التراث السوسيومعرفي.

المطلب الأول: ماهية العملة.

• أصل مفهوم العملة.

• تعريف العملة.

• مظاهر العملة المعاصرة.

المطلب الثاني: العملة وارتباطاتها المفاهيمية.

• العالمية والشمولية والكونية.

• الحداثة وما بعد الحداثة.

المطلب الثالث: التناول السوسيو-أنثروبولوجي للعملة.

• العملة من وجهة نظر سوسيولوجية.

• العملة من وجهة نظر أنثروبولوجية.

المبحث الثاني: أبعاد العملة وميقاتها التاريخية.

المطلب الأول: أبعاد العملة.

• العملة بوصفها ظاهرة اقتصادية.

• العملة بوصفها ظاهرة سياسية.

• العملة بوصفها ظاهرة ثقافية.

المطلب الثاني: كرونولوجية العملة وتاريخ وقائعها.

• العملة ما قبل الحديثة.

• المرحلة الحديثة من العملة.

• المرحلة المعاصرة من العملة.

المطلب الثالث: أطروحات العملة ونهجها.

• الأطروحة الأولى: المعولون الأوائل.

• الأطروحة الثانية: المتشككون.

• الأطروحة الثالثة: التحويليون.

خلاصة.

تهديد:

"قد لا تكون العولمة كلمة أنيقة أو جذابة، لكن لا يمكن لأي امرئ يحاول أن يفهم مصيرنا... أن يتجاهلها".

أتوني غيدنز، عالم جامع، ص 26.

يشكل مفهوم العولمة محورا لمناقشات نظيرية، تفترض تحديا تواجهه الدولة القومية، يتمثل في تهديد طابعها المناطقي، حيث تنزع كل مناقشة إلى وضع العولمة في سياق فكري وتحليلي محدد: اقتصادي بدأ مع فتح الحدود لنشر اقتصاد السوق وتشكل مؤسسات العولمة (صندوق النقد الدولي، البنك العالمي..) ومنه تهديد للاقتصادات الوطنية، سياسي بدأ مع إنشاء الأمم المتحدة والأنظمة الدولية العابرة للحدود ومنه تهديد للسيادة السياسية الوطنية، سوسيوثقافي بدأ مع نزع موضوع الثقافة وممارستها من مناطقها ومنه تهديد الهوية الاجتماعية والثقافة المحدتين قوميا.

كما طرح مفهوم العولمة تساؤلات عديدة لا تزال قائمة وتتجدد، هل العولمة ظاهرة جديدة أم قديمة؟ إيجابية تساهم في إرساء التعايش العالمي أم سلبية تضع الحضارات والقوميات على المحك؟ تراجع في قوى الدولة ونهاية التاريخ أم نتيجة حتمية لدينامية تجسدت عبر التاريخ في السعي إلى عبور الحدود الجغرافية وتطور شبكات التجارة (طريقي الحرير، طريق البان، طريق التوابل..)، والحدود الثقافية (حركات الترجمة، الانتشار الثقافي والثقاف) والحدود السياسية (الأنظمة الإمبريالية الأولى والفتوحات العسكرية..)? العولمة بذلك تستوعب عدة إشكالات محورية تتعلق خاصة بضبط مفهومها، مقارنتها من وجهة نظر سوسيومعرفية، مراحلها المختلفة وما تثيره من نقاشات حولها، ومن أجل ذلك جاء هذا الفصل.

الكلمات المفتاحية للفصل: العولمة؛ الكوزموبوليتانية؛ الحداثة؛ ضغط الزمان والمكان؛ نهج العولمة.

المبحث الأول: العولمة في التراث السوسيومعرفي.

يجيء المبحث الأول للبحث في ماهية العولمة لفظاً ومعنى، وعلاقتها بمفاهيم أنتجت في سياقات تتداخل معها، إضافة إلى تحديد موقعها لدى أهم المنظرين وضمن مختلف الدراسات والنظريات من وجهتي نظر سوسيولوجية وأنتروبولوجية.

المطلب الأول: ماهية العولمة.

• أصل مفهوم العولمة:

إذا أردنا تتبع مفهوم العولمة والبحث في أصله اللغوي فإننا نبدأ من فكرة أن العولمة لغويا تعد تعريفا للكلمتين Globalization بالانجليزية و Mondialisation بالفرنسية، وأن فهم سيرورتها يبدأ من البحث عن لفظ Globalization عبر التراكبات المعرفية المختلفة.

أصبح مفهوم العولمة بمرور الزمن جزءاً من فطرة هذا العصر رغم عدم الاتفاق على لحظة زمنية معينة أو شخص بعينه يعزى إليه "اختراعه" كلفظ أو مفهوم، "حتى نهاية ثمانينيات القرن العشرين، لا يكاد يوجد في الكتابات الأكاديمية أو في اللغة اليومية، لقد أتى من حيث لا نعلم ليصبح أمامنا أينما التفتنا"¹، وترجع الاستخدامات المبكرة له إلى خطابات فكرية لم تصمد على المدى الطويل وعرفت انتقالاً من خطاب نحو آخر، فنجد أول استخدام للمفهوم يتعلق بالفكر التربوي وذلك عام 1930 من قبل الاسكتلندي ويليام بويد William Boyd مؤلف كتاب تاريخ التعليم الغربي The History Of Western Education 1921، وقد استخدم لفظ العولمة للدلالة على النظرة الشاملة للتعليم Holistic view قائلاً "الكامل، التكامل، العولمة .. يبدو أنها الكلمات الرئيسية لوجهة النظر التعليمية الجديدة للعقل"²، ولم يستخدم بويد العولمة كمصطلح مشتق من كلمة "عالم" بل ترجمة لكلمة Mondialisation التي استخدمت من قبل ذلك للإشارة إلى الأنظمة التربوية الكلية Method Global في تعليم اللغات.

في سياق معرفي آخر، استخدم مفهوم العولمة عام 1959 للإشارة إلى التمدد المحتمل للسوق الأوروبية المشتركة، حيث نشرت وثيقة تستخدم اللفظ في مجلة Organization International والتي رأت إمكانية أن تتخذ مجموعة الدول الأوروبية خطوات نحو هدف سوقي مشترك بما في ذلك "عولمة الحصص"³ The Globalization of Quotas، فلم يتجاوز الامتداد الجغرافي بهذا المعنى ستة بلدان أوروبية أين كان نطاق المفهوم إقليمياً وإدارياً فقط. وفي السياق الاقتصادي أيضاً ظهر المفهوم عام 1962 على صحيفة Sunday times تناولت فيه عولمة السوق المشتركة حيث اتسع المفهوم لكنه بقي بعيداً عن فكرة توسيع العلاقات الاقتصادية حول العالم.

وفي سياق محاولة التنبؤ بدورات صعود الأمم وزوالها ومحاولة صياغة نظرية تاريخية للتحوّل نحو الهيمنة تحت مسمى "نظريات الهيمنة" كتب عالم السياسة جورج مودلسكي George Modelski عام 1968 مقالا قدم فيه أكثر المنظورات

¹ أنطوني جينز، ترجمة: عباس كاظم وحسن كاظم، عالم جامع - كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2003، ص 26.

² Paul James and Manfred B. Steger, "A Genealogy of 'Globalization': The Career of a Concept", *Globalizations*, Routledge, Vol. 11, No. 04, 2014, p 425.

³ Ibid, p 426.

عمقا واستشرافا للعولمة في تلك الفترة قائلا "يمكن القول أن أحد الشروط لظهور شكل متعدد الاستقلالية للسياسة العالمية هو تطوير طبقة عالمية من التفاعل، كبيرة بما يكفي لدعم المؤسسات المستمرة والمتنوعة، قد نعرف هذه العملية على أنها "العولمة" فيعتبر هذا التعريف الأقرب إلى مفهوم العولمة لعقدي الثمانينيات والتسعينيات، والذي واصل مودلسكي البحث فيه لينتج عام 1978 مقالا آخرًا تحت عنوان "الدورة الطويلة للسياسة العالمية والأمة-الدولة" وعام 1987 كتابه "الدورات الطويلة في السياسة العالمية". أما في علم الاجتماع، وعام 1976 ظهر مفهوم العولمة في سياق استعملت فيه للدلالة على "اتساع العالم" حيث كتب عالم الاجتماع بول لامي Paul Lamy مقالا بعنوان "عولمة علم الاجتماع الأمريكي: تميز أم إمبريالية؟" ذكرت فيه كلمة العولمة مرة واحدة في العنوان للإيحاء إلى فكرة الاتساع العالمي دون إعطاء المفهوم أي أهمية تحليلية ودون تفصيل كافٍ¹.

شهدت هذه الفترة من التاريخ تحولا جذريا بصعود تقنيات الاتصالات التي جعلت العديد من المفاهيم تأخذ منظورات أخرى وتصيغ أدوات تحليل أخرى، هنا بدأ مفهوم العولمة يرتبط بمتغير التقنية والثورات التكنولوجية بفرضها واحدة من أدواتها. وعلى طول الفترة الممتدة بين ستينيات القرن العشرين وسبعينياته ساهم منظرون مثل المتخصص في قضايا الشيوعية زبغنيو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski في نشر فرضية "المجتمع-العالم"² فقد كان هذا الأخير يرى في الثورة الإلكترونية المعاصرة ترسيخا للقوة الأمريكية وبداية نهاية الإيديولوجيا كمؤشر على بروز أول مجتمع معولم في التاريخ.

أحداث نهاية القرن العشرين من سقوط جدار برلين، نهاية الحرب الباردة، توسع نطاق استخدام الإنترنت وتطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وغيرها من التحولات الكبرى التي شهدتها العالم نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، جعلت العولمة كفكرة ومفهوم تأخذ حيزا أكبر من اهتمام المفكرين من علماء السياسة والاجتماع فصيغت لها تعريفات مختلفة كل منها منبثق عن سياقات وتوجهات فكرية بين مؤيد ورافض، مؤدلج ومحيد.

• تعريف العولمة:

تعرف المفاهيم السوسيولوجية معجميا في العادة بالرجوع إلى معاجم وقواميس مصدريه وأساسية، كـ "المعجم النقدي لعلم الاجتماع" لريمون بودون Raymond Boudon وفرانسوا بوريكو François Bourricaud، أو "معجم مصطلحات علم الاجتماع" لجيل فيريول Gille Ferréol، أما عن مفهوم مفرط في الحداثة ومختلف الدلالات مثل العولمة فليس متاحا القبض عليه في كبرى معاجم مصطلحات علم الاجتماع، بل من خلال البحث في مختلف الإنتاجات المعرفية ووجهات النظر الفكرية.

في البدء؛ ومن وجهة نظر اقتصادية، تعرف العولمة بأنها "العملية التي تتضمن الاقتصاد المتبادل المتزايد على بعضه البعض في أنحاء العالم"³، كما يتحدث مانويل كاستلز Manuel Castells عن العولمة على أنها "القدرة الاقتصادية للعمل كوحدة في وقت حقيقي ومجال دائم". أما الاقتصادي ستيفن كوبرين Stephen J. Kobrin فيؤكد على أن العولمة "زيادة في النشاط الاقتصادي من خلال اتحادات قومية وتدفق معلوماتي"⁴، إذ يبدو أن الاعتبارات الاقتصادية ذات أهمية مركزية في التحليلات

¹ Paul James and Manfred B. Steger, Opcit, p 427.

² عبد العزيز ربح، ما بعد الدولة - الأمة عند يورغن هابرماس، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011، ص 82.

³ سسغ كفاليت، ترجمة: رياض حسن، عولمة المال، دار الفرائي، لبنان، 2001، ص 19.

⁴ لاري راي، ترجمة: الشريف خاطر، العولمة والحياة اليومية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2017، ص 21.

التي تناولت العولمة، بداية من تطور الشبكات التجارية بين المناطق المختلفة كمرحلة مبكرة من العولمة ووصولاً إلى عولمة كل من الإنتاج والموارد المالية في المرحلة المعاصرة منها.

من وجهة نظر تكنولوجية اتصالية صاغ مارشال ماركوهان تصوراً لمفهوم العولمة مصطلح "القرية العالمية"، الذي تنتقل فيه المعلومات بالسرعة الإلكترونية، حيث أصبح من الممكن أن تحل محل اللغة دون اتصال لغوي منطوق في التو واللحظة¹، وقد استشرّف ماركوهان فكرة توقف الزمن واختفاء الحدود المكانية في كتابه الحرب والسلام في القرية العالمية War and Peace in The Global Village عام 1969، كما آمن بالتأثير العميق للتكنولوجيا على الحياة الاجتماعية فصاغ أفكاره حول "الحمية التكنولوجية"، حيث تستطيع تكنولوجيات الاتصال تمكين الناس في الأماكن المختلفة من الوصول إلى المعلومة في نفس الوقت، وهذا يخلق مجالاً من الترابط الاجتماعي تتحكم فيه التكنولوجيا، فتلغى الحدود بين المجتمعات على مستويات مختلفة.

أما سياسياً، وفي مؤلفه ما العولمة؟ نهاية التسعينيات يعتبر أولريش بك Ulrich Beck العولمة الكلمة الشعار والجدل الأكثر، الأسوأ استعمالاً، الأقل تحديداً، الأكثر غموضاً، الأبعد أثراً وتعرضاً لسوء الفهم، فيعرف العولمة على أنها "القضايا التي تجعل الدول الوطنية وسيادتها نتيجة لها تنطلي عليها حيل المتخطين الممثلين العابرين للحدود، وفرض قواتهم واتجاهاتهم وهوياتهم وشبكات مصانعهم.. بعبارة أكثر تحديداً تعني العولمة مجتمعا عالميا من دون دولة عالمية ومن دون حكومة عالمية، هناك رأسمالية شاملة مختلفة النظام تأخذ في الاتساع"²، بالنسبة لبك العولمة تعني أن تجد الدول سيادتها في مواجهة الديناميات السياسية للعولمة بعد أن كانت واضحة الحدود والمعالم، فبعد التحولات الاقتصادية والتحرير العالمي للاقتصاد الرأسمالي ومع متطلبات "التعديل الهيكلي" من مؤسسات واتفاقيات اقتصادية عالمية، بدأت الدول تفقد سيادتها باعتبار أن تلك الهيئات الاقتصادية قادرة على فرض سلطتها لسيادية داخل حدودها، ومنه فرض قواتها واتجاهاتها وهوياتها كما أشار بك.

سوسيولوجياً، يرى أنتوني غدنز Anthony Giddens أن العولمة تحيل إلى "مجموعة العمليات التي تضفي الزخم والكثافة على العلاقات الاجتماعية المتبادلة المتداخلة.. وهي لا تقتصر على تطور وتنامي الشبكات والنظم الاجتماعية والاقتصادية بمنأى عن اهتماماتنا المباشرة، إنها في الوقت نفسه ظاهرة محلية تؤثر فينا جميعاً في حياتنا اليومية"³، فهي وإن كانت قد عرفت من قبل على أنها ظاهرة اقتصادية سياسية بالدرجة الأولى فإن لها أثراً مباشراً على النظم الاجتماعية، كما ركز في تعريفه للعولمة على شقها الميكرو ما يعرف بالـ Microglobalisation أو العولمة الصغرى⁴، أي تداعياتها على الحياة اليومية وقدم غدنز مثلاً بالتنوع الهائل الذي نتعامل معه يومياً في الأسواق التجارية أو في السوبر ماركت، كنموذج على تسارع التغير الاجتماعي والترابط بين ما هو محلي وما هو عالمي.

يرى دومينيك ولتون Dominique Wolton أن العولمة تأخذ تعريفها من خلال السياقات الاجتماعية التي وجدت فيها، فكانت بين القرنين السادس عشر والثامن عشر "ترتبط باحتلال الأراضي"، وبين القرنين الثامن عشر والعشرين "تتمثل

¹ لاري راي، مرجع سبق ذكره، ص 21.

² المرجع نفسه، ص 32-35.

³ أنتوني غدنز، ترجمة: فايز الصياغ، علم الاجتماع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 116.

* نظرية للعولمة تقوم بتصور المستوى الأصغر باتصاله بالمستوى الأكبر والعكس بالعكس.

في الاستغلال المادي للعالم بأسلوب كان يفترض أن هذا العالم لا محدودية له"، وبعدها تضعنا العولمة "أمام محدودية الواقع وهشاشته حيث تهيمن على مسائل التعايش بين الشعوب والثقافات".¹

عرف إدغار موران Edgar Morin في كتابه "النهج" عن فكرة العولمة بمفاهيمه الخاصة به، فجاء بما ساء به العصر الكوني الذي يحيل إلى "مد جسور الاتصال بين القارات الخمس في السراء والضراء"²، حيث يرى أنها ظاهرة وإن كان مساهمها حديثاً فإن مضمونها تأتي بداية من غزو الأمريكيتين و"انقضاء أوروبا على العالم"، ثم الهجرات الكبيرة للصينيين والهنود، الازدهار الاقتصادي، التطور الصناعي وصولاً إلى التطور الهائل للاتصالات وتمازج الثقافة من جراء ذلك.

تأخذ إذا العولمة عدة منظورات ووجهات نظر اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، سياسية وتكنولوجية في تصنيف العولمة، فتعتبر عملية انتقال أو تغير تتمثل في الانتشار الواسع النطاق للمعلومات بشكل يسمح لها أن تكون في متناول كافة العالم، وهي بهذا المعنى ظاهرة من الداخل إلى الخارج، عملية تتجاوز إذ تتعلق بإذابة الحدود وإزالتها بين الدول، حيث يصبح العالم عبارة عن قرية جمعية وبالتالي فإن العولمة بهذا المعنى لا تفصل بين الداخل والخارج. وعملية تحول، وهي هذا المفهوم عملية تحدث على مستوى النظام الدولي برمته. وهنا تهتم العولمة بتنامي درجات التماثل بين المجمعات بكيفية تشجع على إقامة حكومة عالمية موحدة، العولمة بهذا المعنى هي عملية من الخارج إلى الداخل.³

• مظاهر العولمة المعاصرة:

تنطلق التعريفات المقدمة آنفاً من خلفيات وسياقات مختلفة أنتجت بدورها خطابات مختلفة حول مفهوم العولمة إلا أن مظاهرها وخصائصها العالمية يمكن أن تلخص في النقاط التالية:

• **الاعتماد المتبادل L'interdependence**: وهو تتجاوز التعاملات الاقتصادية، السياسية، والاجتماعية الحدود الوطنية نتيجة المبادلات وانتشار المعلومات⁴، أي أنه تعبير عن الاندماجات والتحالفات العابرة للحدود مثل المنظمات الدولية والإقليمية، اقتصادياً، سياسياً وأمنياً، عسكرياً.

• **إلغاء الحدود الوطنية The abolition of national borders**: في معرض أطروحته حول بزوغ "عالم بلا حدود" Borderless World يرى كينيشي أوماي Kenechi Ohmae أن "الحدود الدولية أصبحت أقل تعقيداً مما كانت عليه... هكذا أصبح العالم شيئاً فشيئاً بلا حدود فإذا بالتعريفات تتلاشى إذ أدركت الدول حاجة بعضها إلى بعض للاستمرار"⁵ فتجاوز التعاملات المعبر عنه بالاعتماد المتبادل أفرز مظهراً جديداً من مظاهر العالمية وهو إلغاء الحدود الوطنية والافتتاح على العالم، نتيجة ما يشهده العالم من ثورات تحديثة وتطورات علمية وتكنولوجية.

¹ دومينيك ولتون، ترجمة: جورج شرف، العولمة - البعد الآخر، الدار اللبنانية للنشر الجامعي، بيروت، 2005، ص 18.

² إدغار موران، ترجمة: هناء صبحي، النهج - إنسانية البشرية الهوية البشرية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث - كلمة، الإمارات العربية المتحدة، 2009، ص 269.

³ عبد الناصر جندلي، التحولات الاستراتيجية في العلاقات الدولية، دار قاعة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 85.

⁴ عبد العزيز ربح، مرجع سبق ذكره، ص 92.

⁵ كينيشي أوماي، ترجمة: مركز التعريب والبرجمة، الاقتصاد العالمي: المرحلة التالية- تحديات وفرص في عالم بلا حدود، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2006، ص 42.

- الصراع حول السيادة **The struggle over sovereignty**: بالقدر الذي يزيد فيه الاعتماد المتبادل بين الدول والمنظمات الدولية، وإلغاء الحدود الوطنية مع الانفتاح على العالم، تُقوّض سيادة الدول باعتبار السيادة "السلطة العليا على إقليم معين"، بذلك فالخروج عن إطار الأقاليم نحو العالم يخلق صراعا حول السيادة الوطنية.
 - التعقد التنظيمي **organizational complexity**: وهو نتيجة لتعقد النظام العالمي وتعدد الفاعلين والروابط الجامعة بينهم¹.
 - الضغط الزمني والمكاني **Time and space compression**: يعزى تقديم فكرة الضغط الزمني المكاني إلى الجغرافي دافيد هارفي David Harvey، وتنطلق الفكرة من أن الوقت والمكان في العالم لم تعد مضبوطة بمحاور صلبة كما كانت من قبل بفعل السرعة والتسارع التي يشهدهما العصر. وأشار في كتابه شرط ما بعد الحداثة **The condition of Postmodernity** أن مفهوم ضغط الزمان والمكان يشير إلى العمليات التي تحدث ثورة في السمات الموضوعية للمكان والزمان.
- كما استخدم كلمة "ضغط" لأن الرأسمالية عملت على تسريع وتيرة الحياة بشكل لا يمكن دحضه، متغلبا بذلك على حدود المكان والزمان*. كما يرى أن تجربة الضغط هذه "هي تجربة صعبة، مثيرة، مرهقة ومقلقة للغاية في بعض الأحيان، فهي تثير بالتالي مجموعة متنوعة من التداعيات الاجتماعية والثقافية والسياسية"². وهو تعبير عن حالة العولمة وتشويش التنظيم الزمني والمكاني فيها.

المطلب الثاني: العولمة وارتباطاتها المفاهيمية

تأسس مفهوم العولمة ضمن سياقات مختلفة تداخل في إطارها مفاهيمها مع مصطلحات ومفاهيم يجب أن نميزها عن بعضها البعض، كما ارتبط بمفاهيم محورية أخرى لا يمكن فهم العولمة إلا بفهمها، إذ أن كل منها يشير إلى جزء من العولمة باعتبارها "واقعة اتساع للكرة الأرضية" بتعبير غيدنز. فالرأسمالية، الليبرالية، التحديث، مجتمع المعلومات، ما بعد الصناعية والفردية وغيرها، إلا أننا سنركز على تحليل مفهومين اثنين لعلاقتها المباشرة بالعولمة: العالمية والكونية، الحداثة وما بعد الحداثة.

• العالمية، الشمولية** والكونية **Globalism, Universalism and Cosmopolitanism**:

تتداخل العولمة مع مفهوم العالمية من جانب بنائها اللفظي وجذرها اللغوي فصدرها الكلمة "عالم"، في حين تختلف دلالاتها، العالمية **Globalism** تشير إلى توجه فكري وفلسفي فاعلمية تعني طريق "الأنا" المعبر عن المحلي للتعامل مع "الآخر"

¹ عبد العزيز ربح، مرجع سبق ذكره، ص 92.

² تقع هذه الفكرة في إطار أطروحة "نهاية الجغرافيا"، والتي تقوم على ضرورة أخذ هذا العلم بجدي أكبر في تحليل ومناقشة العولمة، فتشير إلى وضعية لم يعد فيها التحديد الجغرافي محملا إثر تقلص العالم، أين يؤدي التسارع في الزمان إلى اختصار الأمكنة وتقليصها وتفسر في ضوء ذلك العولمة على أنها عملية تجعل اقتصادات العالم ومجتمعاته وثقافته متجانسة عندما تصبح كل الأمكنة متشابهة، لا تعود بذلك الحدود محمة، وتتخفي المسافة. أنظر كتاب: ورويك موراي، ترجمة: سعيد منتاق، جغرافيات العولمة: قراءة في تحديات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية، عالم المعرفة، الكويت، 2013.

² David Harvey, **The Condition of Postmodernity**, Blackwell, London, 1989, p 240.

** تتناول الشمولية هنا بالمعنى الذي يحىء ترجمة لكلمة **Universalism** المتداخلة مع الكونية والعالمية والتي تأتي في سياق مفاهيم العولمة، حيث تحيىء الشمولية أيضا كترادف للمفهوم السياسي الكليانية أو التوتاليتارية **Totalitarianism** التي تعبر عن الأنظمة السياسية التي تسعى فيها الدولة إلى فرض سيطرتها على كافة جوانب الحياة.

المعبر عن العالمي على أنه "أنا ثانية" تحت مفاهيم التعارف والحوار والتلاقح. فتأتي العالمية بقيم لها مبررات وجود باعتبارها ميزة للقرن الحادي والعشرين، فالتطورات العلمية والتقنية قربت المسافات بين الناس وأصبحت حدود العقل البشري اليوم متسعة لاستيعاب العالم كله تاركة في نفس الوقت مساحة للعقل "الوطني" وخصوصيته¹.

من منظور سوسيولوجي ميّز أولريش بك في كتابه **ما هي العولمة؟** بين كل من العولمة *Globalisierung*، العالمية *Gloalismus* والشمولية *Globalitat*، العولمة بالنسبة لبك تشير إلى ارتباطات وأمكنة اجتماعية وثقافية تتجاوز الحدود وتعلي من شأن الثقافات المحلية في إطار انتمائي معقد يميزه الاتساع في المكان ولا محدوديته، الاستقرار في الزمان وكثافات التيارات والصور المتخفية للحدود².

أما العالمية فنصف الرأي الذي يختصر العولمة في البعد الاقتصادي على أساس أنها وليدة للرأسمالية ونظام السوق العالمية وتغض الطرف على أبعادها الأخرى البيئية الاجتماعية الثقافية وحتى السياسية، الأخيرة التي يرى بك أن السوق العالمي أصبح يحل محلها فتصبح العالمية **أحادية الخلفية** والسبب، أما الشمولية فهي تعبير عن مفهوم المجتمع العالمي بالمعنى الذي يحيل إلى عدم تصور وجود أماكن في العالم مغلقة على نفسها وبالمقابل بديهية تصادم الأشكال الاقتصادية والثقافي والسياسية فتفهم الشمولية المجتمع بصفته **تنوعاً دون وحدة**، كما تدل على أن لا شيء مما يحدث في العالم يعد حدثاً محلياً، بل يقع في إطار امتداد محور العالمي-محلي³، فلم نعد نعيش مكاناً في مساحات منفصلة، وأن وجود علاقات وتدخلات خارج الحدود القومية واقع يميز الحداثة الثانية، فالجدل في إطارها ليس قائماً حول ما إذا كانت هناك تدخلات وأشكال مشاركة عالمية من عدمها وإنما كيفية إدارتها.

وفي الأدبيات العربية فقد جسد محمد عابد الجابري في كتاباته حول **ثقل العقل العربي** الفرق بين العولمة والعالمية، وذلك في إطار أطروحاته الفكرية حول العولمة الثقافية، فنظر إلى العالمية على أنها انفتاح على العالم وثقافته دون المساس بالخصوصيات الثقافية أو إلغاءها، بالمقابل فالعولمة هي إلغاء للآخر واختراق لثقافته، وأنها مدعاة للصراع الأيديولوجي كما أنها إرادة للهيمنة وقمع وإقصاء للخصوصيات⁴. فالعولمة طموح إلى الوصول بالخصوصية إلى مستوى عالمي، أما العولمة فهي احتواء للعالم في ظل ثقافة واحدة مهيمنة، وهي لدى الجابري توسيع للنموذج الأمريكي أو ما يعرف بالأمركة.

ويشار إلى الشمولية *Universalism* أيضاً كفكرة ومعنى بمفهوم الكونية *Cosmopolitanism*، لفظ لاتيني *kosmopolitēs* مكون من لفظين جزأين، كوزمو *Cosmou* الذي يعني "كوني" وبوليتيس *Politis* الذي يعني "المواطن" و"المدني" أو "المواطن في المدينة" فعلى المستوى اللغوي يربط المصطلح بين تصورات متناقضة فيما بينه مثل المحلي والعالمي، الخصوصي والكوني⁵. أما عن أساسها الأنثروبولوجي فتعني الكوزموبوليتانية التحرر من النزعات الإقليمية، فمحورها

¹ عبد الله موسى، **فلسفة القيم - الأصول والامتدادات**، منشورات الاختلاف، تونس، 2018، ص ص 106-108.

² أولريش بك، ترجمة: علا عادل وآخرون، **مجتمع المخاطر العالمي: بحثاً عن الأمان المفقود**، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص 34.

³ المرجع نفسه، ص ص 29-33.

⁴ محمد عدنان محمود، **الثقافة السياسية العربية: سؤال الوطن ومعضلة العولمة**، دار فناديل للنشر والتوزيع، بغداد، 2021، ص 312.

⁵ عبد العزيز ركب، مرجع سبق ذكره، ص 171.

الرئيسي هو أن كل البشر ينتمون إلى مجتمع واحد، في إطار فكرة التواصل المتبادل، وهو مفهوم صاغه الأنثروبولوجي جيمس كليفورد James Clifford تعبيرا عن "الحياة الحديثة التي يتحرك الناس من خلالها ويتنقلون - كثقافة الرحالة - وفي نفس الوقت ترتبط بما هو محلي بطرق متعددة"¹. وهي وجهة النظر المطروحة من طرف أنصار النظام السياسي غير الوستفالي.

وقد استخدم المفهوم في ربطه مع المواطنة كصفة للكوزموبوليتان أو المواطن العالمي Citizen of the world ، وهو ذلك "الذي يعيش أو يتواجد في كل أنحاء العالم وينتمي إليه؛ متحررا من العصبية الوطنية... كما أنه الشخص الذي يشعر في أي مكان كان أنه في موطنه"²، وتعبيرا عن "مجموعة متنوعة من الآراء في الفلسفة الأخلاقية والاجتماعية السياسية جوهرها أن جميع البشر، بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية، هم (أو يمكنهم وينبغي أن يكونوا) مواطنون في مجتمع واحد..."³ هذا المجتمع يتم تصويره بطرق وأبعاد مختلفة فبعض التصورات تركز على السياسة ومؤسساتها، والبعض على الأعراف والأخلاق ومختلف أشكال التعبير الثقافي والبعض الآخر يركز على جانب المجتمع الاقتصادي كالأسواق المشتركة والمبادلات الاقتصادية.

وقد كان إيمانويل كانط Immanuel Kant في كتابه "فكرة التاريخ العالمي من وجهة نظر كوزموبوليتية" 1784 من أوائل المفكرين المحدثين الذين تصوروا وجود نظام كوزموبوليتاني تخضع له الدول الوطنية، والمفهوم من وجهة نظره يعن إلى "موقف من الاعتراف والاحترام والانفتاح والاهتمام تجاه الأفراد والثقافات والشعوب البشرية الأخرى باعتبارهم أفرادا في مجتمع عالمي واحد... ولا يحتاج المرء إلى السفر على الإطلاق ليستحق تسمية كونه مواطناً عالمياً -وهو المعنى الحرفي للكوزموبوليتان-. فالالتزام بالعالمية متوافق تماماً مع قضاء حياة المرء بأكملها في مسقط رأسه. فالكوزموبوليتانيين يجب أن يكونوا وطنيين صالحين"⁴.

من وجهة نظر سوسيولوجية، نُظر إلى الكونية في أعقاب القرن التاسع عشر بعد الكتابات الفلسفية لكانط وهيجل من وجهات نظر مختلفة، فكتب كارل ماركس Karl Marx عن التدمير المتوقع للرأسمالية كنظام عالمي، وهو الذي سيكون أساسا يمكن أن يُبنى عليه التحرر البشري الشامل Universal human emancipation، وكتب إميل دوركايم Emile Durkheim في القرن العشرين عن وطنية عالمية World Patriotism تقوم حدودها على العدالة والتنظيم والأخلاق. ريمون آرون Raymond Aron في سبعينيات القرن العشرين كتب عما سماه بدليكتيك العالمية The Dialectic of Universality الذي سيكون الاندماج التكنولوجي للعالم فيه بمثابة البنية التحتية التي يمكن أن يحقق البشر على أساسها

¹ أنابيل موني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص 199.

² نسبة إلى معاهدة أو سلم ويستفاليا عام 1648، وهي أول معاهدة تأخذ طابعا دوليا انتهت بموجبها حربا الثلاثين والثلاثين عاما وأرست نظاما في أوروبا الوسطى والغربية يقوم على مبدأ احترام سيادة الدول على أراضيها وشعبها.

³ George Norman Garmonsway and Jaqueline Simpson, *The Penguin English Dictionary*, 2nd Edition, Penguin Books, England, 1969, p 168.

⁴ Kleingeld Pauline and Brown Eric, "Cosmopolitanism", in: *The Stanford Encyclopedia of Philosophy*, Edited by: Edward N. Zalta, The Metaphysics Research Lab- Stanford University, Stanford, 2019, Retrieved 05-09-2021 at: 19:33, URL: <https://plato.stanford.edu/archives/win2019/entries/cosmopolitanism/> .

⁵ Pauline Kleingeld, *Kant and Cosmopolitanism: The Philosophical Ideal of World Citizenship*, Cambridge University Press, Cambridge, 2012, pp 1-2.

وحدة عالمية، لاحقا قارب أولريش بك الكونية بمفهوم مجتمع المخاطر متناولا فكرة كونية الواقع¹ The Cosmopolitanism of Reality مشيرا إلى أن البشرية تواجه مخاطر عالمية تهدد بقاءها.

أن يكون العالم موحدا تحت إطار "إنساني" دون غيره من المرجعيات، هي فكرة لها جذورها التاريخية، لكن السياق التاريخي لانبعاث فكرة العالمية أخذ دفعته الكبرى خلال عصر التنوير وهو راجع لعدة عوامل، الصعود المتزايد للرأسمالية والتجارة العالمية وانعكاساتها، واقع الإمبراطوريات الآخذة في التوسع والتي امتد مداها إلى جميع أنحاء العالم؛ الرحلات حول العالم وما يسمى بـ "الاكتشافات" الأنثروبولوجية، التطورات التكنولوجية والثورات الدينية، السياسية والعلمية، وهي بالتحديد المرحلة التي دخلت فيها العولمة مرحلتها الثانية من التطور (المرحلة الحديثة من العولمة) إلى المرحلة المعاصرة منها.

الكونية والعالمية بهذا المعنى هي جزء من تاريخ وقائع العولمة ومرحلة من مراحل تطورها، هي محاولة بطريقة ما للرجوع إلى المرحلة ما قبل الوستفالية ترفض كل سلطة خارجية بمفهوم السلطة الواسع، أين تلغى الحدود ويعود المواطن الكوني إلى البدايات كرحالة بالمعنى الأنثروبولوجي لكليفورد، جوهرها التحرر من الانتماء إلى نظام وعادات وتقاليد تحت مسمى "الدولة" وسيادتها وخصوصياتها ونقل المفاهيم التي كانت مرتبطة بحدود زمانية ومكانية إلى العالمية، فالمواطنة، الوطنية، القومية والهوية كشعور وانتماءات وممارسات، عولمت إلى مواطنة عالمية، وطنية عالمية وهوية كونية.

• الحداثة وما بعد الحداثة Modernity and Post-modernity:

• الحداثة Modernity:

تشكل مقولة الحداثة سجلات فكرية لا تنفك تتجدد، فتبنى ويعاد بناؤها ومساءلتها لغموض المفهوم وصعوبة ضبطه وإرجاعه إلى زمان ومكان معينين. ولكنها كما يصفها جان بودريار Jean Baudrillard تظل "مدلولا ملتبسا يشير إلى تطور تاريخي وإلى تغير في الذهنية.. تتلاحم فيه الأسطورة بالواقع، واقع يتميز في كل المجالات: دولة عصرية، تقنية عصرية، موسيقى ورسم وعادات وأفكار عصرية على هيئة مقولة عامة وضرورة ثقافية"². ورغم أن الحداثة مفهوم مرتبط تاريخيا بـ "الثورات التحديثية" وأنماط المعيش اليومي وعاداته والتغيرات السياسية والاجتماعية الكبرى من منطلق فلسفي، وهي أكثر اقترانا بالرأسمالية إلى أنه ليس مفهوما تاريخيا، سوسيولوجيا، سياسيا ولا اقتصاديا بل يشير إلى نمط حضاري يتعارض ويتضاد مع ما هو "تقليدي".

فمن حيث المكان، خرج العالم الحديث إلى الوجود من خلال عمليات التصنيع والتحضير السياسي عند الحافة الشمالية الغربية من المنطقة الأوراسية (الأوروبية- الآسيوية) من العالم وأحدث ذلك تحولات في العالم يجتاحه "المركز"، أي السيطرة الأوروبية والأمريكية الشمالية. مع ذلك كان تشكل الحداثة في السياق الأوروبي عملية مختلفة عن التطور الذي حدث في

¹ Lee Trepanier, Khalil M. Habib, "Cosmopolitanism in the Age of Globalization: Citizens without States [Introduction]", in: **Cosmopolitanism in the Age of Globalization: Citizens without States**, Collective Book, Edited by: Lee Trepanier, Khalil M. Habib, The University Press of Kentucky, Kentucky, 2011, p 02.

² جان بودريار، ترجمة: محمد سبيللا وعبد السلام بن عبد العالي، "الحداثة"، في: الحداثة وانتقاداتها- قد الحداثة من منظور غربي، دار توفيق للنشر، الرباط، 2006، ص 7.

مناطق وعهود أخرى¹ فالأساليب الأوروبية لتشكيل مجتمعات حديثة جاءت نتيجة لسلسلة من العمليات السياسية والفكرية التي ميزت أوروبا وكانت عمليات أساسية خرج نطاق تأثيرها القارة الأوروبية، عصر النهضة، الإصلاح الديني، آثار التنوير وآثار مرحلة الثورات الكبرى.

أما من حيث الزمان فيختلف التأريخ للحداثة باختلاف المنظورات إليها وتنسب بداياتها إلى عدد من الحقب التاريخية. وقد استعملت كلمة "حديث" كمفهوم أول مرة في القرن الخامس تعبيراً عن "الجدّة" Modernität، أي لفصل الحاضر المسيحي عن الماضي الروماني الوثني، وفي أوائل تسعينيات القرن السادس عشر استخدم المفهوم في سياق عن النقاشات الأدبية والفنية حول أي الثقافتين أكثر تفوقاً الثقافة الحديثة أم الثقافة اليونانية الرومانية الكلاسيكية، وكفترة تاريخية عادة ما تقسم الحداثة إلى:

- حادثة مبكرة من 1453 مع سقوط القسطنطينية والإمبراطورية البيزنطية إلى 1789.
- حادثة كلاسيكية من 1789 مع الثورة الفرنسية إلى 1914.
- حادثة متأخرة من 1914 مع اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى سقوط جدار برلين عام 1989².

يؤرخ للحداثة البعض بدءاً من عصر التنوير Enlightenment (منتصف القرن الثامن عشر) نتيجة ظهور العقلانية والتجريبية والذي وسمت الحداثة بسببه بمقولة "العقل".. فمن يجعل الحداثة تبدأ حوالي 1850 من أمثال تيودور أدورنو Théodore Adorno الذي ينظر إليها بعين الفن الطليعي والحداثة الثقافية وتيمنا تعبير الشاعر الفرنسي تشارلز بودلير Charles Baudelaire وقوله "بالحداثة أعني المؤقت، العابر والعرضي" فهي "تعبير عن الوعي الحاضر بحقبة زمنية تضع نفسها في علاقة مع ماضي العصور القديمة"³. كما أن فلاسفة التنوير عرفوا الحداثة وفق مفهوم راسخ فكانوا يعتقدون بأنه "كلما ازدادت قدرتنا على فهم العالم وفهم أنفسنا بعقلانية ازداد تمكنا من تشكيل التاريخ على وفق أغراضنا الخاصة. وعلينا أن نتحرر من عادات الماضي وعقده من أجل أن نسيطر على مقاليد المستقبل"⁴ وهو تعريف للحداثة في أبسط منظوراتها.

في حين أن هناك من يرى في الحداثة إشارة إلى المتغيرات التي أحدثتها الثورات التحديثية الكبرى، الدينية والعلمية والصناعية، ف"التصنيع وما خلفه من انتقال من الحياة الريفية إلى الحياة المدنية، ومع زيادة تدخل الدولة والفردية والتعليم والحركة الاجتماعية وظهور فكرة الدولة القومية، وازدياد أهمية الرأسمالية والتجارة"⁵. إذا فالحداثة كمعطى إنساني غيرت مفهوم التقليدي إلى محاولة فهم "الجديد" على مستوى مجموعة مفاهيم رأى فيها زيغمونت بومان Zygmunt Bauman حاملاً لمعنى الحياة المشتركة للإنسان، ومفاهيم قاعدية للتبع الزمن المتغير والتي ضمنها في معرض أطروحة السيولة والحداثة السائلة: التحرر، الفردية، الزمان/المكان، العمل والمجتمع.

¹ بيورن فيتروك، ترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، "تشكل العالم الحديث"، في: الحداثة وانتقاداتها- قد الحداثة من منظور غربي، المرجع نفسه، ص ص 12 - 14.

² Thomas Teo, *Encyclopedia of Critical Psychology*, Chapter M, Springer Reference, New York, 2014, p 1200.

³ يورغن هابرماس، ترجمة: جورج تامر، الحداثة وخطابها السياسي، دار النهار للنشر، بيروت، 2002، ص 16.

⁴ أثنوني جيدنز، عالم جامع - كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا، مرجع سبق ذكره، ص 18.

⁵ أنابيل موني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص ص 123-124.

وباختلاف النظر إلى الزمان والمكان اللذين يمكن إرجاع الحداثة لهما كواقعة تاريخية، يختلف مفهوم الحداثة، بين من يرى أنها "إزالة للتقليدية" وإضفاء للتحديث، ومن يرى أنها "قفص من حديد مأهول بمختصين بلا روح" كما وصفها ماكس فيبر Max Weber حيث يرى أنها عقلنة للعالم وافتقار للروح "فتبلغ الحداثة أوجها عندما يتحول الحرص النسكي على تحقيق الربح باعتباره غاية في حد ذاته شيئا فشيئا إلى مادية تقانية مبتذلة متنامية .."¹.

وبنفس منظور فيبر النقدي للحداثة فيرى آلان تورين Alain Touraine في كتابه **نقد الحداثة** أنها "انتشار لمنتجات النشاط العقلي العلمية التكنولوجية الإدارية فهي تتضمن عملية التمييز المتنامي لعدد من قطاعات الحياة الاجتماعية، السياسة، الاقتصادية والحياة العائلية والدين والفن على وجه الخصوص"² فالحداثة لديه ترتبط بمفهوم العقلانية الأدائية أي مدى الإسهام في تحقيق مشروع مجتمعي، كما يرتبط بوجود "العقل" الذي يتضاد في الوجود مع وجود "الإله".

• ما بعد الحداثة Post-modernity:

في كتابه **"الوضع ما بعد الحداثي"** The Postmodern Condition ضمن جان فرانسوا ليوتار Jean-Froncois Lyotard منظوره لما بعد الحداثة باعتباره أول من أدخل المفهوم إلى كل من الفلسفة والعلوم الاجتماعية ومن أهم المجادلين لإثبات مشروعيته مقابل الحداثة، حيث يستخدم مصطلح "حداثي" للتعبير عن المعرفة التي تستخدم خطابات تكتسب مشروعيتها من اللجوء إلى ما وراء الخطابات (ميثا-خطاب) فتلجأ إلى خطابات العدالة والصدق وسرديات "من قبيل جدل الروح، تأويل المعنى، تحرير الذات العاقلة أو العاملة، خلق الثروة .. وكانت هذه هي حكاية التنوير"³ أما مصطلح ما بعد الحداثي فيرى فيه تعبيراً نقدياً لمرحلة الحداثة يصف انهيار الإيمان بالقدرة السردية للتاريخ والشك إزاءها ونهاية الإيديولوجيات التي "ادعت" الحداثة الاستناد إليها كخطابات مرجعية، كما عبر عن: **ما بعد الحداثة** بأنها المرحلة التي تصف تحول الثقافات نتيجة تغير **وضع المعرفة** وبقابل ذلك التحول؛ تحول المجتمعات إلى عصر وصفه بالعصر ما بعد الصناعي⁴. خالفه في ذلك الماركسيون ورواد مدرسة فرانكفورت على رأسهم يورغن هابرماس Jurgen Habermas فقد كان ينظر إلى مصطلح ما بعد الحداثة Postmodernity باعتباره رفضاً للمنطق أو العقل الحديث واعتباره الحداثة وعياً بحاضر يتفاعل مع الماضي - كما رأينا في تعريفه للحداثة سابقاً- وأنها مشروعاً غير منتهي.

إذا ينظر إلى الحداثة أنها مرحلة تاريخية لا تزال قائمة، كما ينظر إليها -كما وصفها بودلير بأنها مفهوم مؤقت- أنها مرحلة قد انتهت بالفعل، فشرعت تحل محلها فترة لاحقة هي فترة "ما بعد الحداثة" الذي يعتبر عالمها عالم المابعديات كما وصفه عبد الوهاب المسيري فهي "تقف ضد العقل والمنطق والإنسان والمعنى وضد رؤية الأشياء في علاقتها الجدلية مع الإنسان"⁵. عالم ما

¹ دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 11.

² آلان تورين، ترجمة: أنور مغيث، **نقد الحداثة**، المشروع القومي للترجمة، مصر، 1997، ص 29.

³ عنوان الكتاب الأصلي: La Condition Postmoderne.

⁴ جان فرانسوا ليوتار، ترجمة: أحمد حسان، **الوضع ما بعد الحداثي- تقرير عن المعرفة**، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص 23.

⁵ المرجع نفسه، ص 27.

⁵ عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، دار الفكر، دمشق، 2003، ص 86.

بعد التاريخ وما بعد الإنسانية والسببية والمحاكاة والميتافيزيقا والتفسير والتجاوز فهي بهذا المعنى تشير إلى إفلاس الحداثة. كما نسب لهذه المرحلة المفكرون تسميات عدة:

1. مفهوم "الحداثة الأخرى" لدى أولريش بك والتي تتميز بانخفاض الارتباط بالدولة القومية بعدما كانت الحداثة تعني أننا "نعيش ونتصرف في الأماكن المغلقة ذاتياً في الدول القومية والمجتمعات القومية الخاصة بها"¹;
2. مفهوم "الحداثة السائلة" لدى زيجمونت باومان التي يعتبر جوهرها هو "الإيمان المتنامي بأن التغير الوحيد هو الثبات وأن اللايقين هو اليقين الوحيد.. والخوف من الأشياء الثابتة المتينة والمتماكة، الأشياء التي تبقى أكثر مما ينبغي"² أي أن الحداثة السائلة تعبير عن الرغبة في عدم وجود حدود للشيء، وتشبيهاً للتصور الحداثي الصلب للنظم، فلا ينظر باومان للحداثتين على أنها ثنائية متعارضة متضادة بل ثنائية تحكمها علاقة جدلية شبه ثنائية الموضوع ونقيضه Antithesis and Thesis.
3. مفهوم "الحداثة المفرطة أو الفائقة" لدى مارك أوجيه Marc Augé والذي يرى بأن الإفراط هو من أهم سمات ما بعد الحداثة، وخص به عناصر ثلاثة درستها الأنثروبولوجيا تحت تسمية الثقاف، الإفراط في الزمان والمكان والحدث³:
 - أولاً: في الزمان والتاريخ "والتي تأتي من زيادة وفرة الأحداث في العالم المعاصر وليس من انهيار فكرة التقدم";
 - ثانياً: الإفراط في المكان والذي يرتبط بمفارقة تقلص الكوكب بفعل التطور التكنولوجي وربط العالم بعضه ببعض حيث عبر عنه أوجيه مجازياً باللامكانية؛
 - ثالثاً: صورة الأنا وهويتها والتي عبر عنها بتفريد المرجعيات في زمن انضغاط الزمان والمكان وميلاد المحلية العالمية.
4. وأخيراً مفهوم الحداثة العالية High Modernity التي أكد أنتوني غيدنز ارتباطها بالعولمة، فوصف ما بعد الحداثة بأنها مرحلة "اكتشفنا فيها أنه لا يمكن معرفة أي شيء بأي قدر من اليقين، نظرًا لأن جميع "الأسس" الإستيمولوجية الموجودة مسبقاً ثبت أنها غير موثوقة"⁴.

فالحداثة في البدء انطلقت من فلسفة راسخة بأنها تحول في النسيج الاجتماعي والسياسي ذات شكل محدد ومسار مستمر ومنظور هادف، لكن هذه الأفكار الكبرى غدت عديمة المعنى في التاريخ المعاصر وبداية نهاية الحداثة رغم الموثوقية التي كانت تسم أسسها المعرفية، وغدا بفعل ذلك اليقين بموثوقية الأسس المعرفية للأفكار بشكل عام -التي عبر عنها غيدنز بـ "أي شيء"- عديم المعنى بدوره وهي فترة الحداثة العالية التي ناقشها غيدنز فجادل بأننا "نعيش حاليًا في فترة حداثة عالية.. ويمكننا تحديد معالم نظام ما بعد الحداثة مشاركة ديمقراطية متعددة المستويات، نظام ما بعد الندرة، نزع السلاح، إضفاء الطابع الإنساني على التكنولوجيا"⁵. هكذا تصبح فترة ما بعد الحداثة إذا معرفة من خلال مؤشرات هي: مشاركة المواطنين في صنع

¹ أنابيل موني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص 124.

² زيجمونت باومان، ترجمة: حجاج أبو جبر، الحداثة السائلة، الطبعة الثالثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2019، ص ص 27-28.

³ مارك أوجيه، ترجمة: ميساء السيوفي، اللامكانية - مدخل إلى أنثروبولوجية الحداثة المفرطة، المنامة، 2018، ص ص 35-36.

⁴ Anthony Giddens, *The Consequences of Modernity*, Stanford University Press, Stanford, 1990, p 46.

⁵ Ibid, pp 163-164.

القرار السياسي ما يساهم في بناء وإعادة بناء النظام الاجتماعي، اقتصاد ما بعد الندرة القائم على آلية التصنيع ورقمته، تحول شكل حروب من أجيالها المسلحة إلى نزع السلاح في الجيل الخامس على غرار الحروب السيبرانية، وإعادة تعريف العلاقة بين الإنسان والتقنية فتخضع التقنية إلى خصوصية الإنسان (مثل الذكاء الاصطناعي) في تحديث لمفهوم الأرغونوميا.

ترتبط **الحداثة بالعولمة** سواء في حالتها الصلبة أو حالتها السائلة من حيث أنها فترة زمنية راهنة أو قد وُلت، إذ تطرحان في ارتباطهما إشكالا رئيسا: هل ينبغي فهم العولمة باعتبارها مشروعا غريبا بالأساس بسبب الأصول الأوروبية للحداثة؟ عند جیدنز تعتبر العولمة إحدى النتائج الأساسية للحداثة، وإن كان يعارض الربط بين العولمة والغربة Westernization، من منظور آخر يرى رونالد روبرتسون Ronald Robertson أن العولمة **تسبق** الحداثة. على الرغم من أن التحديث قادر على المساعدة في الإسراع بالعولمة¹.

بينما يرى عالم الاجتماع مارتن ألبرو Martin Albrow في دراساته حول **"العصر العالمي"** The Global Age أن امتداد العقل أو العقلانية لفهم العالم ككل، مرتبط بالتوسع الإقليمي الذي بدوره ولّد أفكارًا تصب في نطاق العالمي والكوني كحقوق الإنسان العالمية، والنظام العالمي، والحكومة العالمية². فيرى بذلك أن العقل والعقلانية كمفاهيم حداثية جعلت من فكرة العقل الكوني حقيقة ممكنة، من جهة أخرى يرى أن العصر العالمي هو مرحلة لاحقة لمرحلة الحداثة وحتى ما بعد الحداثة معبرا عن العصر بأنه **"عصر ما بعد الحداثة"** Beyond Post-modernity أين تعيد نظرية العصر العالمي تعريف الحالة البشرية في ظل الراهن ولن يحتل العقل التقني للحداثة المكانة الأولى في الترتيب الأخلاقي للعلاقات الاجتماعية³.

تأتي العولمة بالنسبة لهؤلاء محملة بمبادئ الحداثة فيرى فيها أنها هادمة للخصوصيات المحلية مقابل الكونية المستمدة قيمها من الحداثة لانطلاق أسسها من "المركز" أو "الآخر" كاصطلاح للغرب، نعيش هنا عصرا مفارقا، عصر كوني وصفه أوجيه بأن نهاية التحليل ما بعد الحداثي، أين أصبح العالم فيه مكانا جغرافيا أصغر، ووحدة المكان أصبح ممكنا الانتقال في إطارها من المحلي إلى العالمي، بالمقابل صعدت الخصوصيات التي تتجسد فيها أنماط الهوية.

المطلب الثالث: التناول السوسيو-أنثروبولوجي للعولمة.

• العولمة من وجهة نظر سوسيولوجية:

تستدعي محاولة فهم بعض الظواهر الاجتماعية البحث عنها في مراحل مبكرة من التفكير الإنساني، إذ أن الرجوع إلى الأساسيات دائما يوضح المسار الذي اتخذته الظواهر في احتكاكها مع السياقات المكانية والزمنية والمعرفية لتصل إلى مرحلتها المعاصرة، فلا يجب التفكير في العولمة بمنطق التمرکز الزمني Chronocentrism الذي يفترض أن المرحلة الزمنية الحالية هي أفضل أو أكثر أهمية أو إطارا مرجعيا أكثر أهمية من الفترات الزمنية الأخرى، فالعولمة كانت جزءا مهما من التفكير السوسيولوجي المبكر حتى وإن لم يكن ذلك تحت ذات التسمية.

¹ بول هوبر، ترجمة: طلعت الشايب، نحو فهم للعولمة الثقافية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص ص 20-21.

² Martin Albrow, *The Global Age: Stat and Society Beyond Modernity*, Stanford University Press, Stanford, 1997, pp 75-78.

١. التفكير السوسيولوجي المبكر في العولمة: فكرة التوحيد العالمي في علم الاجتماع الكلاسيكي.

عام 1377 للميلاد كتب العلامة عبد الرحمن بن خلدون "المقدمة" كجلد أول مقدم مجلدات سبعة أخرى عنوانها "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر". وقد ضمن ابن خلدون في المقدمة أفكاره حول الظواهر والنظم المتصلة بالتجمع الإنساني وعمران العالم وهو موضوع العلم الذي أسسه ووصفه بأنه "علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل، وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعها كان أو عقلياً"¹ أي أنه العلم الذي يدرس أولاً تجمع البشر كظاهرة اجتماعية ثم ما ينتج عن ذلك التجمع من مسائل سياسية كالملك ونشوء الدول وأقوالها، اجتماعية كالتوحش والتأنس والعصبية، اقتصادية من كسب ورزق ومعاش وصنائع، تربوية، دينية، علمية .. وغيرها من مسائل كونت أبواب وفصول مقدمته.

وعند محاولة القبض على فكرة التوحيد العالمي أو المفاهيم العولمية في الفكر الخلدوني خاصة في المسائل السياسية، الاجتماعية والاقتصادية، نجدها تتجسد في أفكار ومفاهيم استشرفت للعولمة كما نعرفها الآن، ويمكننا محاولة مقارنتها في المفاهيم آتية الذكر:

- تأسيس علم للنوع الإنساني: فموضوع العلم الذي أسسه ابن خلدون يعني بدراسة سائر البشر أو "النوع الإنساني" وعمرانهم للعالم، حيث رأى أن الاجتماع الإنساني ضروري لما للبشر من عدم قدرة على تحصيل حاجاته "فإذا هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم وهذا هو معنى العمران"²، هنا أصبح تأسيس علم يسعى لفهم "طبائع العمران" و"النوع الإنساني ضرورة ملحة وهو نفس منظور سان سيمون Simon Saint وأوغيسنت كونت Auguste Comte في تأسيس الفيزياء الاجتماعية لاحقاً.

- تجاوز حدود الدول: يرى ابن خلدون أن الاعتناق من الحدود الوطنية ينتج بالضرورة دولة أوسع ملكاً ونطاقاً، وسمى الأمة التي لا وطن لها ترتاف منه ولا بلد تنجح إليه بالأمم الوحشية، الذين "لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاورهم من البلاد ولا يقفون عند حدود أفقهم.. لذلك تكون دولتهم أوسع نطاقاً وأبعد من مراكزها نهاية"³، وتعتبر هذه الفكرة عن أن الدول التي لا تقف عند الحدود الجغرافية تكون بأسطة أكثر حدود ملكها. كما أن الأمم الوحشية يمكن فهمها اليوم بمفهوم عولمي بحت وهو المواطن الكوني (الكوزموبوليتان) أو الرحالة العالميون الذين تعتبر الحدود الجغرافية بالنسبة لهم أقل تقييداً.

- بين العالم والأمة: قال ابن خلدون ضارباً المثل بمُضر*: "حتى إذا وقع في العالم تبديل كبير من تحويل ملة أو ذهاب عمران أو ما شاء الله من قدرته، فحينئذ يخرج عن ذلك الجيل إلى الجيل الذي يأذن الله بقيامه بذلك التبديل، كما وقع لمضر

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دراسة: أحمد الزعي، مقدمة ابن خلدون، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 69.

² المرجع نفسه، ص 74.

³ المرجع نفسه، ص 174.

* قبيلة عربية عدنانية حجازية شالية، تُنسب إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

حين غلبوا على الأمم والدول وأخذوا الأمر من أيدي أهل العالم بعد أن كانوا مكبوحين عنه أحقاباً¹ فما يحدث من تغير أو تحول سواء في العالم أو داخل نطاق الدول من وجهة نظره يمكن أن يغير موازين القوى فتصعد دول أو تأفل أخرى.

• **تبعية الغالب للمغلوب:** من أهم ما توصف به العملة اليوم أنها تبعية ثقافية وآلة لسحق هويات الهوامش لصالح المركز، فوسمت بأنها أوربة وأمركة واستقطاب وتهجين. عبر عن هذه التبعية ابن خلدون بولع الأمة المغلوبة بغالبتها والتشبه بها فقال "ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه.. بل وفي سائر أحواله"² في الفصل الثالث والعشرين من الباب الثاني من المقدمة.

• **تضاييق نطاق الدول:** يرى ابن خلدون أنه "يتضايق نطاق كل دولة على نسبة نطاقها الأول ولا يزال طورا بعد طور إلى أن تنقرض الدولة واعتبر ذلك في كل دول عظمت أو صغرت"³، فتحيل هذه الفكرة إلى ما تم تناوله سابقا من مظاهر العملة المعاصرة وهو ضغط المكان الذي تناوله دافيد هارفي، واللا أمكنة التي تناولها مارك أوجي.

• **التجارة الدولية:** يرى ابن خلدون أن التجارة خارج حدود الدولة من أهم مذهب التجارة، الغرض منها تعظيم الربح والمنفعة خاصة إذا كانت السلع نادرة أو أن نقلها تغلب عليه الشقة، فيعظم التاجر ربحه "بأن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه.. لأن السلع المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعدها مكانها أو شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعز جودها"⁴، بهذا عبر ابن خلدون عن أهم شكل من أشكال العملة وهو ربط العالم اقتصاديا وتجاريا.

ثم أتى من بعد ابن خلدون مفكرو القرن التاسع عشر وعلماء الاجتماع الكلاسيكيون، الذين اتخذوا من العملة كموضوع ومنهج مجالا بحثيا وتحليليا، أين تم تناوله تحت عدة مسميات مختلفة: التوحد العالمي، العالمية، الدولية، هذا التناول "يعود في المقام الأول إلى تشعب جهاز الدولة القومية وتوسيعه وتقوية النزعة القومية، بذلك واجهت علماء الاجتماع الكلاسيكيين مشكلة ذات وجهين تخص تزامن النزوع القومي والعملة، ويمكن القول بأن علم الاجتماع الحديث ولد من هذا المأزق"⁵. على أن هناك اختلافا في حدود كل منظر وزاوية نظره إلى فكرة التوحد العالمي في مراحلها وصولا إلى العملة في شكلها اليوم.

من أجل ذلك حدد مارتن ألبرو خمس مراحل من تاريخ علم الاجتماع تم تناول العملة من خلالها: النزعة العالمية، علوم الاجتماع القومية، النزعة الدولية، التوطين ثم العملة⁶، وفي خضم هذه المراحل يتوزع الإنتاج السوسيولوجي لعلماء الاجتماع الكلاسيكيين ومنظوراتهم. فانطلقت من افتراضات تتناول فكرة التوحد العالمي بشكل عام إلى اعتبار العملة موضوعا مستقلا في علم الاجتماع، وصولا إلى صياغة علم قائم ومنفصل يدرس العملة نظريا ومنهجيا ودينامياتها بين الكوني والمحلي*.

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 176.

² المرجع نفسه، ص 176.

³ المرجع نفسه، ص 333.

⁴ المرجع نفسه، ص ص 431-433.

⁵ رونالد روبرتسون، ترجمة: أحمد محمود ونورا أمين، العملة - النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 1998، ص 41.

⁶ المرجع نفسه، ص 42.

* أنظر كتاب: ساسكيا ساسن، ترجمة: عبد الرزاق جلبي، علم اجتماع العملة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.

وفي ربطه بين إنتاج السلع واستهلاكها والإنتاج الفكري للأمم تناول كارل ماركس **Karl Marx** مع فريدريك إنجلز **Friedrich Engels** في البيان الشيوعي 1848؛ الخلفية الرأسمالية لصعود النزعة العالمية، والتي أظهرت وجهة النظر الماركسية حول التوحيد العالمي، فحاجة البرجوازية إلى أسواق لسلعها في كل مكان جعلها تتجاوز الحدود القطرية أين "أعطت البورجوازية باستغلالها للسوق العالمية طابعا عالميا لإنتاج جميع البلدان واستهلاكها، ورغم أسى الرجعيين العميق انتزعت البرجوازية من الصناعة قاعدتها القومية فالصناعات القومية القديمة دمرت ويلحق بها يوميا مزيد من الدمار"¹، وبنفس المنطق الذي تكونت به الطبقة الرأسمالية العالمية تتكون طبقة بروليتارية عالمية أيضا ساهم ماركس وإنجلز "الأمية البروليتارية" تعبيراً عن النزعة الثورية الإنسانية ضد البرجوازية في كافة الأمم. ولكن هذا الدمار تجاوز إنتاج السلع وتوزيعها ثم استهلاكها ذي النزعة العالمية إلى إنتاج الأفكار وكذا استهلاكها فـ "الآثار الفكرية لأمة ما تصبح ملكاً مشتركاً لجميع الأمم ويغدو قصر النظر والتفوق القوميان مستحيلين أكثر فأكثر"². مشيراً بذلك إلى تجاوز الأفكار مثل السلع الحدود الجغرافية ومنه القومية للأمم، والذي يحيل إلى العولمة في أبسط تعريفاتها.

البدء من هنري سان سيمون **Henri de Saint Simon** الذي أنتج تصوراً عن الوحدة الأوروبية سياسياً واجتماعياً، ونظم الحكم التي تقوم على ممارسات عامة وقيم مشتركة والتي عرضها عرضاً مفصلاً تحت عنوان "الكون" **The Globe**، تناول فيه الحكم العالمي في المستقبل وسياساته، كما ركز على "توحيد البشرية" والإنسانية كفرع يشمل "كل شيء" وسمة يجب أن يتسم بها كل علم يسعى إلى فهم الظواهر الاجتماعية، أين ربط علاقة سببية بين إمكانية دراسة المجتمع والانطلاق من المنظور الكوني. فالكونية والمواطنة العالمية بالنسبة له هما نتاج لترويج النزعة الصناعية في أوروبا³.

كما جادل بأن نقطة النهاية في التاريخ البشري هي الارتباط العالمي، ارتباط جميع البشر في الكون **The Globe** في جميع مجالات علاقاتهم، ومرار الزمن تصبح الأمم المختلفة المنتشرة على وجه الأرض كأعضاء في ورشة واحدة واسعة، تعمل بموجب قانون عام لتحقيق نفس المصير⁴، فقد حولت النزعة الصناعية وبعدها الديناميكية الرئيسي للأفعال المشتركة على الصعيد العالمي من السياسية إلى التجارة، فجاء منظور سان سيمون في إطار النظرة أحادية البعد لفكر التوحيد العالمي وهو البعد الاقتصادي. هنا، تزامن دفاع سان سيمون عن إنسانية العلم وكونيته مع صياغة **أوغست كونت** لعلم وضعي للمجتمع أطلق عليه علم الاجتماع ودين البشرية، ورأى "أن الهوية القومية ينبغي أن تلغى بالالتزام بالطبيعة الإنسانية وتستترشد بالقيم العالمية"⁵، ففهم المجتمع وظواهره يجب أن يكون في إطار واحد ومطلق يواكب نتائج الحضارة العلمية المزدهرة صناعياً ممثلة في المرحلة الوضعية التي تنتهي إليها ديناميكا المجتمع.

¹ كارل ماركس وفريدريك إنجلز، ترجمة: العفيف الأخضر، البيان الشيوعي، منشورات الجمل، بيروت، 2015، ص 63.

² المرجع نفسه، ص 64.

³ رونالد روبيرتسون، مرجع سبق ذكره، ص ص 43-44.

⁴ David Inglis, "A Durkheimian Account of Globalization: The Construction of Global Moral Culture", **Durkheimian Studies**, Berghahn Books, Vol. 17, New York, 2011, p 107.

⁵ لاري راي، مرجع سبق ذكره، ص 42.

يقوم المنظور السوسيولوجي لجورج زيمل George Simmel على اعتبار المجتمع مصفوفة من العلاقات الصورية والمجردة التي تحددها علاقات سيطرة، خضوع، تقسيم عمل، صراع وتضامن والتي تتحقق من خلال أشكال تنظيم ذلك المجتمع الدينية، الثقافية، السياسي والاقتصادية، ومنه يتعين على العلم الذي يدرس ذلك المجتمع أن يتسم بدوره بالصورية في دراسة بناء الجماعة ومعايير تنظيمها كالعادات والتقاليد، القوانين والقواعد الأخلاقية. من أجل ذلك يركز زيمل على ضرورة دراسة علم الاجتماع للوجود الإنساني في إطار شامل للسياقات الكونية لا من الناحية الكمية فحسب بل من ناحية "الوجود الكيفي للشخصية الذي يميز المرحلة التي بلغها تطور البشرية"¹ وذلك استناداً إلى خلفيته السوسيوفلسفية التي حلل على ضوءها أعمال كل من كانط ونييتشه المتعلقة بالتجارب البشرية والتي يبرز من خلالها التفكير المبكر في العولمة في فكر زيمل لاعتباره الوجود الإنساني ودون أي رسم للحدود قابلاً لمحاولة الفهم في سياق ما سماه "قيم الوجود البشري".

من أهم خصائص التنظير للعولمة هو البحث في علاقة الكوني بالمحلي؛ نجد زيمل في هذا السياق يتناول في كتابه "علم الاجتماع: تحقيقات في أشكال التنشئة الاجتماعية" عام 1908 وفي معرض دراسته للأشكال الحديثة للغربة والخوف من اللاجئين في أوروبا، وانتشار رهاب الأجانب في الولايات المتحدة مفهوم "الغريب" **The Stranger**، تعرض فيه إلى العلاقة النفسية-الثقافية للأنا بالآخر ممثلة في علاقة الإنسان المحلي بالآخر الغريب، الذي يبقى في مكان معين لكنه لم يكن دائماً ينتمي إليه.² ضرب زيمل مثالا بالتاجر الذي اعتبره في تاريخ الاقتصاد بالضرورة "غريباً" فاعتبر التجارة مجالاً يتجاوز العلاقات الاقتصادية وتبادلها إلى تبادل ثقافي باعتبارها مجال المشاركة المفضل للغريب؛ فعلاقة النفسية والثقافية للآخر الغريب بالإنسان المحلي المرتبط عضوياً بمجتمعه تقوم على قواسم أعمق تستند إلى فعلي التشارك الاختلاف.

ومع احتكاك المحلي بالآخر بين ثنائية القرب والبعد Closeness and Distance يتم تشارك الخصائص المحلية على أوسع نطاق فتبدأ القوى التي تربطها في التفكك ونمط الشخصية الخاص بها في الزوال، وهنا يعتبر زيمل أن الانفتاح المفرط على الآخر يفقد المحليات خصوصيتها، وبالرغم من إيمان زيمل بأن المحلية تكون أقوى أمام التدفقات الواردة من الآخرين الغرباء وأن "تشارك البشرية جمعاء في بعض خصائصها وقدرتها على توحيد البشر تضعف أمام المحلية"³ التي تبقى بمثابة الأرضية المشتركة لأعضاء تلك الجماعة، إلا أنها لم تعد توحدهم ضد كل غريب، لأن بعض هؤلاء أصبحوا يقاسمونهم محليتهم.

ربما ينطلق البحث عن طبيعة ظروف العالم المعولم وعمليات العولمة في الإنتاج السوسيولوجي لايميل دوركايم من وجهة نظر أولريتش بك النقدية لعلم الاجتماع الكلاسيكي في قصوره عن تصور تعريف عالمي للمجتمع، تسم التحليلات الدوركايمية تتمحور حول الدولة القومية، إلا أن الواضح من كتابات دوركايم أن لديه بالفعل إسهامات سوسيولوجية نجدها ذات أهمية مركزية في الفهم العلمي الاجتماعي للعولمة المعاصرة فيما يتعلق بإنتاج ثقافة أخلاقية عالمية، حيث تتجاوز الرؤية الدوركايمية

¹ رونالد روبيرتسون، مرجع سبق ذكره، ص 54.

² Georg Simmel, translated by :Ramona Mosse, "The Stranger", **The Baffler**, No. 30, 2016, The United States of America, p 176.

³ Ibid, p 178.

التفسير الراديكالي للعولمة الذي يجعلها مجرد نتاج للرأسمالية العالمية إلى البحث في أبعادها الأخلاقية المفسرة لإنتاج أشكال ثقافية معقدة انطلق فيها دوركايم مثل زميل من تحليل أفكار كانط حول الكوزموبوليتانية.

قبل إنتاج الثقافة الأخلاقية العالمية تناول دوركايم في كتابه تقسيم العمل في المجتمع * The Division of Labor In Society فكرة ميكانيزم التضامن الذي ينتجه تقسيم العمل المنظم والمعياري، أي تقسيم العمل الذي تكون أعضاؤه في حالة سوية، موصولة ببعضها بشكل كامل، متكاملة، وذات شعور بالتبعية المتبادلة ومنه تكون شروط علاقتها متوازنة، وهنا طرح دوركايم النموذج المتعلق بميكانيزم التضامن المنظم الذي يضبط قطاعات السوق في المجتمع الواحد، ثم الأسواق التي تعبر الحدود مؤكداً أن اندماج القطاعات المختلفة يحيل إلى اندماج الأسواق معا في سوق واحدة شاملة للمجتمع كله تقريبا. بل إن الاندماج يمتد إلى ما وراء الحدود التي تفصل بين الشعوب وينزع إلى العالمية، إذ إن الحدود التي تفصل بين الشعوب تنهار في الوقت ذاته الذي تنهار فيه الحدود الفاصلة بين القطاعات¹، والنتيجة أن كل قطاع يوجه إنتاجه إلى مستهلكين محليين ويتجاوزهم إلى المستهلكين في العالم بأسره، فتصبح الأسواق بتوسعها بمثابة أعضاء في عملية تقسيم العمل ليس في المجتمع الواحد فحسب بل تقسيم العمل على مستوى العالم.

من جانب آخر يقترح دوركايم تعريفاً للدين قائماً على ثلاثة عوامل منفصلة وإن كانت متحدة: المعتقدات والممارسات والأخلاق؛ الممارسات كطقوس هي الآلية التي يرتبط بموجبها الفرد بالجماعة المقدسة؛ وتحدد الأخلاق التعاملات والعلاقات الشخصية؛ أما المعتقدات فتحدد طبيعة المقدس، ولأن المعتقدات والطقوس في نظر دوركايم تعكس هوية الجماعة وأصلها وتعبّر عن قوى اجتماعية متجذرة فهي أكثر مناعة ضد التغيرات المرتبطة بالحدثة. في المقابل، تتأثر الأخلاق بالتغيرات المتزايدة باستمرار، حيث "تمكن الاتجاه الكوني من تطوير نفسه لدرجة التأثير على الأفكار العليا للنظام الديني، وتجاوز ذلك إلى المبادئ التي يقوم عليها"²، ويقصد دوركايم هنا بالتأثير ما سيفرضه الاتجاه الكوني من اختلاط للميثولوجيات واستعاراتها وثقافتها - كما سنرى لاحقاً-، فتقسيم العمل كما والتغيرات في أشكال التضامن وأنماط العلاقات أنتج تغيرات في الأخلاق أو خلق شكلاً "أقل خصوصية" بينما ظلت الطقوس مستقرة في نفس الوقت.

الشكل "الأقل خصوصية" للأخلاق عبر عنه دوركايم بـ "الأخلاق العالمية" أين اعتبر التطور الأخلاقي الهادف إلى العولمة قد نزع الأخلاق من طبيعتها الدينية الخالصة وجعلها أيضاً جزءاً من الحياة غير دينية وصفها بأنها "عبادة الفردانية" Cult of Individualism، وليست الفردانية هنا تحيء بمعنى الأنانية Egoism بل المعنى الذي أعطى به دوركايم الفرد أهمية كوحدة تحليلية سوسيولوجية إلى جانب الجماعة، فزى أن الأفراد يسعون إلى التحرر من الظروف المحلية السائدة في منطقة أو مجموعة بشرية معينة من العالم، وترتفع فوق كل ما هو خاص وبالتالي تقترب من العالمية. وهكذا كما يرتب دوركايم هرم الأخلاق

* عنوان الدراسة الأصلي: De La Division du Travail Social.

¹ Emile Durkheim, translated by: George Simpson, **The Division of Labor In Society**, The Free Press Of Glencoe, Illinois, 1962, pp 369-370.

² Schoenfeld Eugène, "Privatization and Globalization: A Durkheimian Perspective on Moral and Religious Development", **Archives des sciences sociales des religions**. No. 69, Paris, 1990, p 29.

وصولاً إلى الكوفي، يرى أنه تمثل الأسرة والأمة والإنسانية مراحل مختلفة من تطورنا الاجتماعي والأخلاقي¹، وبالتالي يجب أن يتعايش الفرد على مستويين: المستوى العالمي، والتمسك بالأخلاق العالمية، وفي نفس الوقت على مستوى مجموعة أصغر وأكثر تماسكاً.

وفي دراساته للأشكال الأولية للحياة الدينية* The Elementary Forms of the Religious Life وعلى اعتباره الدين موضوعاً اجتماعياً، كتب إيميل دوركايم أفكاره التي تقع ضمن سياق التحليلات العالمية للنظم الثقافية من جانب ديني، فعلى غرار الأسواق العالمية والأخلاق العالمية، كتب حول الديانات العالمية. ويمكن أن نحدد معالماً ضمن فيها دوركايم بوضوح أفكاره حول التوحد العالمي وحيثيته.

• **الأولى** تتعلق بالديانة الطوطمية ومدى قابليتها للمقارنة مع الديانات الأخرى العالمية؛ وتمثيلها للعالم وكذا تصورها له، هنا وضع دوركايم نزعه للشمولية وانتقالها من إطارها العشائري والقبلي إلى الكوفي شرطاً لذلك²، فلا تقتصر على حدود العشيرة أو القبيلة بل تتكامل عباداتها في عشائر ذات القبيلة وقبائل ذات المنطقة الجغرافية ثم تجاوز الحدود المكانية وبذلك تكون للطوطمية "كوزمولوجيتها"؛

• **الثانية** تتعلق بانعتاق العبادات من الإطار الجغرافي وعبرها للأقوام حيث تبسط الآلهة العليا ذاتها السلطة على مجال جغرافي واحد وهو ما يفسر قلة عدد الآلهة في كل نطاق جغرافي واحد "إذا، تتمتع العبادات التي تكون موضوعاً لها بطابع عابر للأقوام بل يحدث أن تختلط تلك الميثولوجيات المختلفة وتندمج ويستعير بعضها من بعض"³ فيكون عبور الميثولوجيات هنا شكلاً من أشكال التمازج العفوي الناتج عن التماس الجغرافي والثقافي؛

• **الثالثة** تقع في إطار الكونية عموماً ثم الكونية الدينية والآلهة العابرة للقبائل، أين يقر دوركايم بأنه "ليست هناك حياة قومية لا تسيطر عليها حياة جماعية أممية الطابع، ومع تقدم الزمن تتخذ هذه التجمعات مزيداً من الأهمية والانتساع"⁴، هنا ناقش بداية حتمية إقامة الصلات بين القبائل المتجاورة جغرافياً وحضارياً، صلات قائمة على حتمية الاقتراض الثقافي بينها واتجاهها إلى الأممية، ويأتي ذلك ممثلاً في التجارة ولو أن دوركايم وصفها بـ "البداية آنذاك"، الزيجات التي تنسج صلات قرابية بين القبائل، والعبادات "العابرة للأقوام" التي رأى أن انتشارها ومشاركتها يزيد فعاليتها ورسوخها فتشكل دينا دون الارتباط بأي مجتمع محدد جغرافياً بل بمجموعات حدودها أقل تقييداً تتجه نحو العالم؛ وهو الدين العالمي.

نأتي الآن إلى ماكس فيبر الذي درس التطور التاريخي للأحداث المشكلة للعالم، الاقتصادية كصعود الرأسمالية والبيروقراطية والأنظمة العقلانية، وصعود العقائد الدينية في العالم، فدرس المجتمع في ضوء ثلاثية السياسية والاقتصاد والدين. وفي سياق

¹ Schoenfeld Eugène, Opcit, pp 29 - 31.

* عنوان الدراسة الأصلي: Les Formes Élémentaires de la vie religieuse

² إيميل دوركايم، ترجمة: رنده بعث، الأشكال الأولية لحياة الدينية: المنظومة الطوطمية في أستراليا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2019، ص 195.

³ المرجع نفسه، ص 380.

⁴ المرجع نفسه، ص ص 540-541.

قضايا التاريخ، طرح فيبر ممهدا لكتابه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية* The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism سؤالاً يعتبر انطلاقة لبحثه في روح الرأسمالية على اعتبارها ظاهرة اجتماعية لا توجد إلا بوجود أخلاق خاصة فتساءل: "في أي سياق من الظروف برزت ظاهرات ثقافية في الحضارة الغربية، وحدها دون سواها ظاهرات ارتدت—هذا على الأقل ما نود أن نعتقده—مدلولاً وقيمة كونية؟"¹.

واجابة فيبر على سؤال أطروحته انطلق من الانتشار الثقافي الذي انتقلت بمعيته إنتاجات حضارات كالهند والصين وبلاد بابل ومصر إلى الحضارة الغربية ومن ديانات وصفها بالعالمية Global Religions كالإسلام واليهودية إلى المسيحية. كعلم الفلك الذي وجد ببابل وطورت عملياته الرياضية المعارف اليونانية التي أضفت أيضاً العقلانية على الهندسة التي وجدت بالأساس في الهند، وأقدم مؤسسات التعليم العالي التي ظهرت في الحضارة الإسلامية كأقدم جامعات في التاريخ* لكن التي وجدت في أوروبا لاحقاً في نظر فيبر أكثر علمية وعقلانية ومنهجية. وحتى الرأسمالية قد وجدت بالفعل في حضارات وأزمنة وأمكنة مختلفة لكن الرأسمالية التي ميزت أوروبا الغربية أضفت عليها الأخلاق الدينية روحاً جعل منها ظاهرة اجتماعية²، فرغم تركيزه على دور الحضارة الغربية في إضفاء الكمال على ما أنتجته الأمم الأخرى ودياناتها من علوم، معارف، فنون وأساليب تفكير؛ إلا أنه يكون أقدم أكد على حقيقة وجود خصائص ثقافية ذات قيم علمية وممتدة إلى ما وراء الحدود المميزة للأمم والحضارات.

في إطار تأسيسه لنظرية سوسيولوجية حول الدولة "الدولة والسيادة"، وضمن مشروع تأسيسه لمعهد ألماني-أميركي باستشارة عالم الاجتماع واليوسوف جورج يلينك Georg Jellinek، يهدف به إلى "البحث في الأسباب الناتجة عن العلاقات الثقافية العامة التي تحدد العلاقات الدولية بين الشعوب الحديثة ... إلى جانب التحليل المقارن عالمياً للبنية القانونية والسياسية والاقتصادية والثقافية لدى مختلف البلدان والدول"³، إذ أن المنظور الفيبري لفهم الدول وسياسياتها يكون في ضوء التفاعل ما بين العوامل الثقافية والاقتصادية والسياسية والدينية التي أنتجها عصره من جهة وتفاعل ما بين الدول من جهة أخرى، وهذا على اعتباره الدولة وحدة ليست سياسية فقط بل أخلاقية منطلقاً من خلفيته القومية الألمانية إذ أصر أن الدولة نتاج للحرب باعتبارها حافز تقدم، حيث كشفت "خطة الله للإنسان".

كما أكد على أن السياسي المجرد—من القيم الأخلاقية—ينتهي به الأمر إلى تحقيق شيء غير ذي قيمة، فبغض النظر عن فعاليته، جهوده خالية من المعنى، فأصر على ضرورة إضفاء الطابع المثالي على الدولة لإثبات التزاماتها القيمة والتي بدونها اعتبر ممارسة السلطة لا طائل منها، فيعمل ذلك على تجنب الدولة الانقياد إلى التقاليد غير القومية إذ يرى أن الدول الكبرى تسعى إلى فرض إرادتها على الآخرين. لأجل ذلك يجب أن تستخدم ألمانيا قوتها "لتحديد طابع الثقافة في المستقبل.. عليها أن تبتكر

* عنوان الدراسة الأصلي: Die protestantische Ethik und der Geist des Kapitalismus.

¹ ماكس فيبر، ترجمة: محمد علي مقلد، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، مركز الإنماء القومي، لبنان، دون سنة نشر، ص 05.

* أقدم ثلاث جامعات في العالم هي: جامعة الزيتونة بتونس (737 م)، جامعة القرويين بالمغرب (859م)، جامعة الأزهر بمصر (970 م).

² المرجع نفسه، ص ص 5-8.

³ ماكس فيبر، ترجمة: محمد تركي، الاقتصاد والمجتمع: الاقتصاد والأنظمة الاجتماعية والقوى المخلفات — السيادة، المنظمة العربي للترجمة، بيروت، 2015، ص ص

أسلوب حياة وتدافع عنه بين أنظمة المسؤولين الروس من ناحية وتقاليد المجتمع الناطق باللغة الإنجليزية.. فهو التزام تجاه التاريخ والمستقبل لمقاومة غمر العالم بأسره من قبل هاتين القوتين¹، ظهر هنا موقف ماكس فيبر من فكرة التوحد العالمي وموقفه المناهض لها إذ يرى في العولمة تحديا مباشرا للخصوصية الوطنية، كما ظهر توجهه العولمي Globalist لاعتباره التدفقات العالمية عملية اجتماعية واقعة حقيقة يمكن أن تؤثر على الطابع الثقافي للأمم وتقاليد ومنه اختراق حدودها السياسية.

بالمقابل يظهر توجهه هذا تناقضا في رأيه حول انتقال الأفكار والسمات الثقافية بين أوروبا والعالم ثم بين العالم وألمانيا فيقبل ويؤكد على الجزء الذي تكون فيه الحضارة الأوروبية الغربية هي المؤثرة والمساهمة في بلورة العلوم والفنون وأن ذلك كان ضروريا لكمالها، بالمقابل يرفض الشق الذي تكون فيه قوميته هي المتأثرة بأي ثقافة دخيلة.

ب. الاتجاهات النظرية للعولمة:

يمكننا مما سبق أن نصنف وجهات النظر المبكرة حول العولمة في مجموعة من الاتجاهات النظرية التي تقدم اليوم آليات فهم واستيعاب للعولمة كظاهرة سوسيولوجية، وسنركز فيما يلي على نظريات التغير الاجتماعي.

يشير في معرض أطروحته حول "الخيال الاجتماعي" عالم الاجتماع رايت ميلز Wright Mills أن التغير عندما يتجاوز قدرتنا على استيعابه والتعامل معه ويتجاوز القيم الراسخة في مجتمع ما، نشعر من جهة أن سبل فهمنا لذلك المجتمع لم تعد مجدية، ومن جهة أخرى تكون النهج الجديدة لمحاولة فهمه "غامضة من حيث السلوك الأخلاقي"، يأتي هنا الخيال الاجتماعي كقدرة ذهنية تحاول مجازة خطى التغير والتغير. وبنفس الاقتراب تحاول نظريات سوسيولوجية محاولة فهم التغيرات التي لا تنفك العولمة توجدها والتي فرضت تحديات جديدة تقع في سياق ما يعرف سوسيولوجيا بالتغير الاجتماعي Social Change، الذي يعتبر سمة أساسية للإنسانية وتعبيرا عن التحول في البناء الاجتماعي دوره، وظيفته، وفي أنساقه ونظمه عبر الزمن، كما أنه سمة لمختلف التقلبات والتحويلات المشكلة لنقاط تحول سميت كل واحد منها بسمة الخطاب المرتبط به، فنجد في إطار مفهوم العولمة: ما بعد الصناعية، ما بعد الفوردية، مجتمع المعلومات، مجتمع الحداثة وما بعدها.. كلها خطابات نجد لها ملمحا فيما تم تقديمه من نظريات كلاسيكية وصلة قوية مع تحليل العولمة المعاصرة.

ظهرت النزعة الصناعية في القرن الثامن عشر وتبلورت في القرن الذي يليه وذروتها في القرن العشرين، وهي في جوهرها ممارسات إنتاجية امتد أثرها إلى الترتيبات الاجتماعية واعتبرت الوجه الاقتصادي للحداثة، حيث تعتبر أفكار كل من ماركس، فيبر ودوركايم مؤسسة لخطاب النزعة الصناعية التي ترى بأن الثورة الصناعية وتداعياتها بمثابة نقطة تحول في تاريخ المجتمعات، حولت النظم الاجتماعية الأوروبية من التقليدية والإقطاعية المعتمدة على الزراعة نحو الحداثة والصناعة.

وفي ستينيات إلى سبعينيات القرن العشرين صيغ خطاب آخر في إطار خطابات الما بعد هو خطاب ما بعد الصناعية Postindustrialism التي اعتبرها بعض الكتاب مثل آلان توران ودانيال بل Daniel Bell الذي تنسب إليه صياغة المفهوم

¹ Richanrd Ned Lebow, "Max Weber and International Relations", in: **Max Weber and International Relations**, Collective Book, Edited by: Richanrd Ned Lebow, Cambridge University Press, The United Kingdom, 2017, pp 16 - 17.

مرحلة من مراحل تطور المجتمع ف"يقوم المجتمع ما بعد الصناعي على الخدمات.. ما يهم ليس القوة العضلية الخام والطاقة بل المعلومات"¹، إذا فهي مرحلة انتقلت فيها الصناعة من التصنيع المادي إلى استثمار في المعارف، وقد عرف هذا التوجه انتقادات عدة لاعتباره واقعياً يبدو منطلقاً يبالغ في تعظيم دور التقنية في تحويل الممارسات الإنتاجية وأن الانتقال بالفعل موجود لكنه انتقال من مجتمعات صناعية إلى صنف آخر من المجتمعات.

في إطار التحول نحو المعلومة ظهر صنف آخر من المجتمعات كصدى للزعة ما بعد الصناعية لكنه يفصح أكثر عن دور التقنية، وهو مجتمع المعلومات Information Society، الذي بدأ مشروعه من اليابان، أين تم رسم أنموذج للمجتمع قائم على الحواسيب الدقيقة تحت تسمية جوهو شاكاكي Joho Shakai التي تترجم تقريباً بـ "مجتمع المعلومات"، الذي يشتمل من ضمن صفاته على ديمقراطية تشاركية، تعميم الثراء، المساواة والراحة النفسية ليعتبر بمثابة "مدينة حواسيب فاضلة" Computopia لأنها تتيح لكل فرد أن يرسم عالمه الخاص به في شيء من الطوباوية²، ولما تتجمع المعلومات مشكلة للمعرفة يتطور بدوره مجتمع المعلومات إلى شكل أكثر تعقيداً ليصبح مع تكثيف الاعتماد عليها مجتمعا للمعرفة Knowledge Society.

هنا، نستدعي دومينيك ولتون في كتاباته حول العولمة وبعدها المعلوماتي، الإعلامي والاتصالي، والذي يرى فيها أن البعد الثقافي للعولمة في القرن العشرين أصبح يعرّف من خلال ثلاثية: الهوية، الثقافة والاتصال، على أساس أنها ثلاثية محورية للنقاش حول موضوع التعايش الثقافي المطروح بقوة خاصة في سياق عولمة المعلومات التي "حوّلت العالم صغيراً ولكن أيضاً خطيراً" على اعتبار أن المعلومة لا تنفصل عن قيم المجتمع الذي أنتجت فيه، تطورت، ومُجّلت بمبادئه، فتبرز من خلالها اختلافات ثقافية قد تؤدي إلى تعايش وسلم كما يمكن أن تؤدي إلى صراعات وحرب. ذاك التعايش الذي يجب أن تبقى في إطاره مستويات: المحلية والقومية والعالمية واضحة حدودها كونها تشكل علاقة الفرد بالعالم (الأنا بالآخر) وأي تدبّر في أحد المستويات قد يحدث اختلالاً عميقاً في توازن العالم بدءاً ببعده الثقافي في اتجاه أبعاد أخرى*، فالمعلومة باعتبارها نتاجاً للتعدد المطرد للعالم وتوالي ثوراته التقنية والاتصالية لم تبقى مرتبطة فقط بالحواسيب ونماذجها بل أخذت منعرجاً أصبحت فيه منطلق فهم للمجتمعات في ثباتها وتغيرها.

وهناك مفهوم آخران يمكن من خلالها فهم التغير الاجتماعي المرتبط بالعولمة بوصفها محورا ثقافياً تنظيرياً لها، وهما مفهوم مجتمع المخاطرة Risk Society الذي شكل محور أعمال الألماني أولريش بك، وإزالة التقليدية Detraditionalization للبريطاني أنتوني غيدنز اللذان أسلفنا تعريفهما للعولمة.

ضمّن أولريش بك أفكاره حول مجتمع المخاطرة في كتابيه مجتمع المخاطرة Society Risk 1986 ومجتمع المخاطر العالمي 1999 World Risk Society، حيث يرى أن مجتمع المخاطرة لا يعبر فحسب عن حقبة من حقبة المجتمع الحديث، فهو "مجتمع

¹ دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص ص 15-16.

² المرجع نفسه، ص ص 18-19.

* أنظر دراسات دومينيك ولتون: العولمة-البعد الآخر L'autre Mondialisation 2003، يجب إنقاذ التواصل Il Faut Sauver la communication 2005، الإعلام ليس تواصلاً 2009 Informer Ne Pas Communiquer.

لا يتجرد فقط من أشكال الحياة التقليدية، ولكنه يسخط كذلك على الآثار الجانبية للتحديث الناجم¹، إذ اعتبر مجتمع المخاطرة وليداً وواحداً من توابع نجاحات الحداثة القائمة على ثنائية الخطر/الخوف، ويتحدث بك هنا عن الحداثة الثانية أي التي بدأت من وجهة نظره في بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

فقد اعتبر -ولو من حيث المبدأ- أن الحداثة الأولى كانت أكثر تحكماً في التهديدات الناتجة عن الصناعة وأكثر التزاماً بمنطق المخاطرة، أما الثانية فقد ارتبطت بمخاطر يصعب توقعها وبذلك يصعب تجنبها، فيتصف الخطر فيها بنفس "القوة المدمرة للحرب"²، ويعني بذلك أنه يجيء غير مرتبط بتسلسل هرمي، ويصيب أيضاً الطبقات العليا من المجتمع الأكثر قوة وغنى وهو ما غير شكل عدم المساواة الاجتماعية التي كان بموجبها الضعفاء هم الأكثر تضرراً. إضافة إلى أن الأخطار لم تعد "شأناً داخلياً" لدولة ما بل متخطية للحدود القومية، وأن المزيد من العلم لا يقلل بالضرورة من حجم المخاطرة كما كانت التقانة والمعلومة من قبل (على الأقل في مجتمعي المعلومات والمعرفة) بل تجعل الخطر أكثر مرئية فحسب.

وفي المرحلة التي أسبغت بها العولمة تداعياتها على العديد من المفاهيم، انتقل بك من مجتمع المخاطرة إلى مجتمع المخاطر العالمي، على أساس أن المخاطر تعبر عن لحظات تتوزع على طول خط الزمن لتصل في القرن الحادي والعشرين فبميزها "عنصر الكوزموبوليتانية"، وتتسم على وجه الخصوص بثلاث سمات: **عدم تركزها** أي عدم اقتصرها على زمان ومكان، **عدم قابليتها للحساب** والتقدير من حيث أنها متعلقة بـ "مخاطر افتراضية" فلا يمكن التنبؤ بها ولا توقعها، ومنه يكون **عدم قابلية** هذه المخاطر **للتعويض** هو السمة الثالثة فتغير المناخ والتدخل في الجينات البشرية أفقدت المخاطر منطق التعويض وأحلت التنبؤ بالمخاطر والوقاية محلها³.

وهنا نجد المخاطر تستلّف من العولمة أهم سماتها وهي عدم التمرّك والاعتناق من متغيرات الزمان والمكان والسياق الاجتماعي حيث تتخطى في تبعاتها حدود الدول، كالتغيرات المناخية والأوبئة والجائحات، أين لم تعد الظواهر مرتبطة بالمكان الذي ظهرت فيه بل ينتقل تأثيرها إلى باقي أمكنة العالم، ولا بزمان محدد إذ قد تظهر في مرحلة زمنية معينة ظاهرة يعود أصل وجودها إلى مرحلة زمنية سابقة لها فلم يعد للمخاطر تمرّك زمني Chronocentrism، كما أنها أصبحت غاية في عدم وضوح الأسباب الحقيقية التي أنتجتها وذلك نتيجة التعقد الاجتماعي.

"إن من الخرافة الاعتقاد بأن التقاليد محصنة ضد التغيّر، فالتقاليد تتطور عبر الزمن، بل يمكن كذلك أن تتبدل أو تتحول بشكل تام، ولعلي أستطيع القول أنها تختزع ويعاد اختراعها"⁴، بهذا عبّر أنتوني جيدنز عما سباه **إزالة التقاليدية** Detraditionalization وهو مفهوم آخر يقع في سياق نظريات التغير الاجتماعي المرتبطة بالعولمة. وقد كان لفظ "التقليد" في تأصيله يقتصر على سياق قانون الإرث، حيث يجيء ترجمة لكلمة "ينقل" Transmit من اللفظ اللاتيني Tradere المعبر

¹ أولريش بك، **مجتمع المخاطر العالمي: بحثاً عن الأمان المفقود**، مرجع سبق ذكره، ص 27.

² المرجع نفسه، ص ص 29-30.

³ المرجع نفسه، ص 104.

⁴ أنتوني جيدنز، **عالم جامع - كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا**، مرجع سبق ذكره، ص 68.

حرفيا عن "الإرث" الذي ينتقل من جيل إلى آخر ويفترض على الوارث المحافظة عليه. فاعتبرت التقاليد بهذا المعنى كممارسة يحافظ بها مجتمع ما على خصوصياته المتوارثة عبر الزمن. لكن غيدنز درس المفهوم كمعطى سوسيولوجي صدقته الحداثة وأعادته العولمة تشكيله بما يفرضه كل سياق اجتماعي بأزمته وأمكنته، فقبل الوصول إلى صياغة مفهوم إزالة التقاليد في مرحلة نهاية الحداثة (الحداثة العالية)، اعتبر غيدنز مفهوم "التقليد" ابتكارا للحداثة -مثل مفهوم المخاطر عند أولريتش بك- وأنها السبب وراء صعوده إذ جاءت كمحاولة للتحرر منه وتدمير مشروعيتها.

فالتقاليد كما وصفها غيدنز في نقاط متفرقة هي مجموعة معينة من الرموز والممارسات، تخترع ويعاد اختراعها فهي ليست ثابتة عبر الزمن، تميزها خصائص طقسية تكرارية مرتبطة بمجموعة من الناس فتوفر إطارا للفعل الاجتماعي، وتتحد مع السلطة إذ عادة ما يكون للتقاليد حراسها الذين تضفي عليهم قدرتهم على تأويلها (حكماء ورجال دين) الشرعية¹. إذا فهو يجادل بأن التقاليد ليست ثابتة أمام التغير الاجتماعي، لكن ذلك لا يعني أن الزمن يدمرها، بل يعطيها صيغا أخرى جديدة تضبطها العولمة، صيغا تقع في إطار ما ساه إزالة التقليدية أو نهاية التقليد²، التي تأخذ شكلين متقابلين:

- **أولا:** شكل يحيل إلى إفراغ التقاليد من معناها وتحويلها إلى شيء مسل يختصر في "تذكار" souvenir يباع عل ناصية طريق فتنشئ ويتقلص تأثيرها كمبدأ رئيس في بناء أو فهم وتفسير المفاهيم الجمعية كالهوية مثلا؛
 - **ثانيا:** وفي المقابل تحيل إلى التحرر من السلطة الخفية للتقليد في المجتمعات المناهضة لها التي ترى في الاعتناق من قبضة التقليد خطوة عقلانية لاستمرار المجتمع والعالم، وهي ميزة العالم الكوزموبوليتاني. فنرى هنا أن الشككين اللذان تأخذها إزالة التقليدية يوائمان في اتجاهيهما المنظورات التي تعطى للعولمة من قبل الأنصار أو المناهضين، أين يسعى أنصارها إلى التوجه نحو عالم لا تقيده سمات تحيل إلى خصوصية بعينها، أما مناهضوها فيرون أنها آلة ساحقة للخصوصيات.
- من كل ما سبق نصل إلى أن وجهات النظر السوسيولوجية تجاه الظواهر تستمد أسسها ومنطقها التحليلي من سياق زماني ومكاني محددين، بدايةً من ابن خلدون وصولاً إلى الجيل السادس من علماء الاجتماع فكانت كل وجهة نظر نموذجاً تحليلياً يمكن أن تفهم من خلاله الظواهر، والعولمة واحدة منها أو لنكون أكثر دقة "فكرة التوحيد العالمي" بمختلف أبعادها، حيث لازمت الفكرة المجتمعات عبر مختلف فترات تطورها، ولازمت إثر ذلك بالضرورة النظريات الاجتماعية التي أنتجت في كل فترة، من المرحلة المبكرة إلى أكثرها معاصرة.

فإذا نظرنا بعين ابن خلدون إلى الفترة التي صاغ فيها نظريته (القرن الرابع عشر-) نجد أنها تميزت بأحداث أخرجت محاولته لفهم الاجتماع البشري ومسائله من إطار الأمم وجغرافيتها إلى إطار أكثر اتساعاً يميزه قيام الدول وتوسعها، انهيارها واحتكاكها وثقافتها، فأحداث مثل جائحة الطاعون الأسود التي انتشرت في أوروبا والعالم حتى وصفها بأنها "طوت البساط بما فيه"، توسع طرق التجارة العالمية، انهيار دولة الموحدين ثم قيام دول بربرية قوية على أنقاضها أهمها المرينية التي توسعت حتى

¹ أظطوني جيدنز، مرجع سبق ذكره، ص ص 66-71.

² المرجع نفسه، ص ص 70-74.

غزت جبل طارق، وترحاله من تونس، المغرب، الأندلس، بجاية إلى مصر - فالقدس.. وغيرها، كلها أعطت ابن خلدون نظرة شاملة يتصور من خلالها العالم ويؤسس من خلالها لمصنوفة أفكار طبعت نظريته حول الاجتماع الإنساني بأفكار عالمية.

وينطبق الأمر على تفكير سوسيولوجي القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين الذي ارتبط بأحداث كالثورات الصناعية والعلمية، موجات الاستعمار، وانتشار الحداثة والتي امتدت آثارها من الاقتصاد والسياسية إلى المجتمع، ومن أوروبا إلى العالم. أما النصف الثاني من القرن العشرين فقد تميز بـ "إفراط حديثي" على حد تعبير مارك أوجي خاصة فيما يتعلق بتغير موازين القوة في العالم، الاعتماد المتزايد على المعلومة، والثورات التقنية التي قلصت العالم إلى أقل من قرية صغيرة فألغت مفاهيم وأعادت صياغة أخرى.

• العولمة من وجهة نظر أنثروبولوجية:

إذا اعتبرنا البحث الأنثروبولوجي "هو تأويل التأويل الذي يطبقه الآخرون على الآخر" كما يعرفه مارك أوجيه Marc Augé، واعتبرنا العولمة علاقة للأنا بالآخر سواء كان الآخر من مركز العالم أو هوامشه، والتي تشهد تحولا وتسارعا في المفاهيم لم يعد من فرطه ينظر للآخر بنفس الطريقة، فإن الأنثروبولوجيا في العالم المعاصر تفترض تأويلات تتلاءم مع ما تفرضه العولمة من عدم الخضوع إلى سياق معين في التحليل.

في البدء، وعلى الرغم من أن الميل لتقليص دور الدول وحدودها الوطنية كان واضح المعالم في السياسة الدولية، إلا أن ذلك كان غير قابل للتصور قبل أربعين أو خمسين عامًا. مع ذلك، تنبأت الأنثروبولوجية الأمريكية ليزلي وايت White Leslie عام 1976 بالعولمة في هذا العصر - التي "تحرر" في لها الثقافات من الحدود الجغرافية فرأت أن "ثقافات العالم الحديث محاصرة من طرف الأنظمة الثقافية للدول ذات السيادة، وما لم يتم "تحريرها" من الروابط المقدسة للسيادة الوطنية فإن آفاق مستقبل الحضارة ستبقى مهمة إلى حد ما"¹. هناك، كان المتخصص في الأنثروبولوجيا السياسية الفرنسي جورج بالاندييه Georges Balandier يكتب عن الاتصالات والتكنولوجيا المتزايدة في عالمنا من حيث الحداثة، حيث رأى ذلك كمعملية "ثقافت ذاتي"².

الثقافة بذلك يعد ظاهرة لتغيير الأنماط الثقافية نتيجة الاتصال بالآخر تقع ضمن أطر البحث الأنثروبولوجي، ومفسرة للعولمة كواقعة أناسية خاصة في جانبها الثقافي، فملاحظة انتقال السمات الثقافية والتمازج بين الثقافات سابقة بالتأكيد لصياغة المفهوم ونظريته، فكانت مظاهره موجودة وسيروته قائمة سواء كان عفويا على خلفية تنقلات البشر وارتحالهم أو قسريا راجعا لاستعمار، وبغض النظر عن خلفياته سواء كانت سكانية، بيئية أو عرقية. فإذا فكرنا في الثقافة بالمفهوم الأناسي على أنها تتضمن كل ما يكتسبه الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع، فيمكن رصد العولمة عبر مراحل التاريخ من خلال التحولات الكبرى التي تعد تجليا لمظاهر العولمة؛ هذه التحولات ومع أنها تتداخل مع الأبعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية إلا أنها ساهمت في انتقال

¹ Corina Sorana Matei, "Globalization - An Anthropological Approach", Proedia - Social and Behavioral Sciences, No.149, Bucharest, September 2014, pp 543-544.

² Ibid, p 544.

السمات الثقافية، اقتباسها وتفاعلها بين المجتمعات وهو ما يعرف مفاهيمياً بالثقافة، والذي لازم انتقال وحركة الإنسان وهجرته، شتاته، وتجارته إلى الاستعمار الأوروبي وانتشار التصنيع والحداثة وصولاً إلى المرحلة المعاصرة التي ميزتها التقنية والثورات الاتصالية.

بحلول الثمانينيات، لم يعد البحث الأنثروبولوجي محمداً بمناطق جوهريّة معيّنة للدراسة، ولا بمناطق غربية وغير غربية. بدأ البحث الأنثروبولوجي في مسح حيز أوسع من وجهات النظر والاهتمامات، مثلاً يتعلق الأمر بالقومية، المحلية وهويتها والعولمة، حيث نُظِرَ إلى البحث عن القومية وعلى سياسات الهوية تحديداً كشكل للأنثروبولوجيا ما بعد الحداثيّة، وتجسد ذلك في دراسات: الأمم والقوميات Nations and Nationalism (1983) للإرنست جينر Ernest Gellner الذي يقوم على فكرة أن القومية إيديولوجية المجتمعات الصناعية المتشظية والمفتّرة¹.

وفي نفس السنة، جاءت كتابات بينديكت أندرسون Benedict Anderson حول الجماعات المتخيّلة Imagined Communities الذي ركز على السمات الرمزية للقومية وانتشارها، والتي تجمع بين جماعات في ظل تقلص الكوكب يشكلون أمة دون أن يتعارفوا أو يلتقوا، ومقارنتها بالموضوعات الأنثروبولوجية كالدين والقرابة وعلاقتها بالثقافة واللغات وصولاً إلى الوطنية والكريولية والأمم وسيادتها فيرى أندرسون في وصفه "الأمة جماعة سياسية متخيّلة حيث يشمل التخيل أنها محددة وسيدة أصلاً"² تعريفاً للجماعة المتخيّلة بروح أنثروبولوجية كانت من قبل ملتزمة بالجماعات "الغربية"، وتوسع معناها ليشمل كل جماعة محددة وذات سيادة، كما غيرت دراساته منظور القومية المرتبط بموقع جغرافي دعاها "قومية المسافات البعيدة" التي ساهمت وسائل الإعلام الإلكترونيّة في توطيدها، دون إحداث تغيير جدي في هوية الجماعات القومية.

لاحقاً وفي تسعينيات القرن الماضي نُشرت مجموعة من الدراسات، كانت المفاهيم: عولمة، ثقافة، حداثّة وهوية كلماتها المفتاحية³، وأخذت العولمة موضوعاً تتناول فيه المقاربات الأنثروبولوجية الصيرورات الثقافية والاجتماعية للتأثير المتبادل بين العولمي والمحلي، والذي أسس لمنظور عمل جديد بالنسبة للنظرية والمنهج في الأنثروبولوجيا عُرف بدراسات العولمة³. جادل البعض في جِدّة العولمة كموضوع للبحث الأنثروبولوجي ودراساته، فالشبكات التجارية والدينية والعسكرية وتنقلات البشر ومنه انتقال السمات الثقافية مؤشرات ضاربة في القدم، وهذه الدراسات ليس إلا امتداداً للبحوث التي كانت قائمة، وليست إعادة

¹ دراسات أخرى: كتاب أثنوي كوهين Anthony Cohen: البناء الرمزي للمجتمع المحلي Community The Symbolic Construction of (1985)، والحياة الاجتماعية للأشياء The Social Life of Things (1986) لأرجن أبادوراي Arjun Appadurai، وبروس كابيرير Bruce Kapferer: أساطير الشعوب، خرافات الدولة Legends of People, Myths of State (1988).

² توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرن نيلسون، مرجع سبق ذكره، ص 230.

³ بندكت أندرسن، ترجمة: ثائر ديب، الجماعات المتخيّلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014، ص 63.

⁴ مايك فيذرستون Mike Featherstone: الثقافة العولمية Global Culture (1990)، سكوت لاش Scott Lash وجوناثان فرايدمان Jonathan Friedman: الحداثة والهوية Modernity and Identity (1992)، أثنوي غدنز Anthony Giddens: الحداثة والهوية الذاتية Modernity and Self-identity (1991)، أولف هاننرز Ulf Hannerz: التعقيد الثقافي Cultural Complexity (1992)، جوناثان فرايدمان Jonathan Friedman: الهوية العولمية والصيرورة الثقافية Cultural identity and Global Process (1994)، أرجن أبادوراي Arjun Appadurai: الحداثة بمداهها الواسع Modernity at Large (1996).

⁵ توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرن نيلسون، مرجع سبق ذكره، ص ص 251-253.

طرحها بقوة إلا استجابة للثورات الاتصالية وتكثيف حركة تنقلات البشر. من جهة أخرى اعتبر صعود دراسات العولمة مؤشرا على أفول المفاهيم الكلاسيكية في الأنثروبولوجيا "الثقافة" و"المجتمع".

"فُتح" العالم ليصبح منطقة إثنوغرافية كاملة، وعنيت الأنثروبولوجيا بمواضيع أخرى جعلت من الأنثروبولوجيا التقليدية أكثر لذة كما وصفها إيركسون ونيلسون، فأصبحت "الكريولية الثقافية" التي تصف اختلاط تقليدين اثنين أو بضعة تقاليد متميزة السابق، و"الهجانة الثقافية" التي تظهر عندما يتدفق الأشخاص أو الموضوعات أو الأشياء من سياق إلى سياق، و"إنتاج المحلية" الذي يعبر عن أن التوترات بين العمليات المحلية والعولمية التي تشهدها المجمعات البشرية تزيد من تفاعل المجتمع مع سياقاته أين تلعب الطقوس دور أداة لإنتاج المحلية¹. كلها أصبحت موضوعات لدراسات العولمة من وجهة نظر أنثروبولوجية.

نستدعي هنا مجددا مفاهيم مارك أوجيه Marc Augé الذي تناول الأنثروبولوجيا في عصرنا هذا والتي عبر عنها بأنثروبولوجيا الحدائة المفرطة. ينطلق أوجيه من أن موضوع علم الأنثروبولوجيا يبنى على محاولة تأويل الفكرة التي يملكها الآخرون عن بعضهم البعض وعلاقتهم مما كانت إثنية، وطنية أو اجتماعية، وأن هذا الآخر كان يمثل "الأقلية" بالنسبة لـ"أغلبية" حين كانت الغرائبية ميزة للتفكير تجاه الآخر في القرنين الثامن والتاسع عشر باعتبار ذلك الآخر غريبا، بعيدا ومجهولا، أما اليوم وفي ظل تقلص العالم نتيجة ضغط الزمان والمكان، والثورات التقنية التي قربت النائي، زالت غرائبية الآخر الأسطورية و"أصبحت التواريخ الوطنية أو الجهوية أكثر من أي وقت مضى مندرجة في حركة التبعية الكوكبية..²".

فالعولمة إذا، بأبعادها ومؤشراتها تفرض على الأنثروبولوجيا إعادة بناء شبكة تأويل قادرة على تفسير ما يطرحه العالم المعاصر* من ظواهر موحدة ومتنوعة في آن واحد، فهو يتحدث عن العالم بصيغة الجمع "عولم"، فالعالم المعاصر موحد لكنه متعدد، وعولمه غير متجانسة ولكنها مترابطة، فهو يجمع مفهومين رئيسان من التراث الأنثروبولوجي نسبة الثقافة وكتبتها، وهي المفارقة التي تصنع الانثروبولوجيا المعاصرة. ومع ذلك ورغم محاولة الانعتاق من الموضوعات المؤسسة للأنثروبولوجيا ومناهجها بفعل العولمة وتغير المفاهيم "من المستحيل أن تموت الأسطورة والطقس" كما يقول أوجيه.

لم تمت الأسطورة ولا الطقوس ولكنها على غرار بعض المفاهيم لا تفتأ تنتقل إلى فضاء ليس أقل واقعية ولكن أقل فعلية وهو الفضاء الرقمي، الذي يعتبر من أهم مظاهر العولمة المعاصرة وأدواتها. والذي استحدثت من أجل محاولة فهمه فروع علمية للأنثروبولوجيا تتماهى مع هذه الفضاءات، مثل الأنثروبولوجيا الرقمية Digital Anthropology أو علم الإنسان الرقمي الذي يحيل مصطلح الرقمية فيها إلى كل ما يمكن اختزاله في النهاية إلى رمز ينتج عنه انتشار للخصوصية والاختلاف³ بنفس منطق الخصوصية والاختلاف الفعليين.

¹ توماس هايلاند إيركسون وفين سيفرن نيلسون، مرجع سبق ذكره، ص ص 254-255.

² مارك أوجي، ترجمة: طواهري ميلود، أنثروبولوجيا العولم المعاصرة، ابن الدنيم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 31.

* يعرف مارك أوجيه المعاصرة بالمعنى الذي يفيد أن الحوار بين الملاحظ والملاحظ يندرج في عالم حيث يتعرف الواحد على الآخر وإن كانا يحتلان وضعيات مختلفة ومتفاوتة (أنظر تقديم كتاب: مارك أوجي، أنثروبولوجيا العولم المعاصرة، ص 10).

³ Heather A.Horst and Daniel Miller, "The Digital and the Human: A Prospectus for Digital Anthropology", in: **Digital Anthropology**, collective book, Edited by: Heather A.Horst and Daniel Miller, BERG, London-New York, 2012, p 3.

ويقوم علم الإنسان الرقمي على دراسة الإنسان في الفضاء الافتراضي وكذا علاقته بالفضاء الفعلي، انطلاقاً من فرعي بحثي آخر هو الناثنوغرافيا Nethnography أو الإثنوغرافيا الافتراضية التي تستخدم الإنترنت فيها كوسيلة اتصال ومصدر للمعلومات التي تنطوي على قضايا اجتماعية وجوانب متنوعة من حياة الناس عبر الإنترنت، فيركز على ما يفعلونه (إنشاء الروابط، بناء الهويات..) ولماذا يفعلون ذلك (الاعتراف، عرض الذات..) وكيف يفعلون ذلك (منشورات، محادثات، فيديوهات..) من منظور علمي وباستخدام مجموعة من الأساليب الإثنوغرافية التي تعكس أنماط الإثنوغرافيا التقليدية¹. يصبح العالم الرقمي بذلك هو المنطقة الإثنوغرافية لعالم الأنثروبولوجيا وتصبح الموضوعات الثقافية والاجتماعية لهذا العلم من دين وقراءة وطقوس وبناء الهويات وعرضها عبر مختلف تقنيات التواجد التي توفرها الفضاءات الافتراضية، ويتشارك فيها البشر دون حدود زمانية أو مكانية أو هوياتية.

المبحث الثاني: أبعاد العملة وسياقاتها التاريخية.

المطلب الأول: أبعاد العملة.

تعتبر العملة ظاهرة كلية وشاملة بتعبير مارسيل موس Marcel Mauses إذ يمكن مقاربتها ودراستها من كل أبعادها الممكنة. من أجل ذلك سنتناول العملة في بعدها الاقتصادي، السياسي والثقافي.

• العملة بوصفها ظاهرة اقتصادية:

عنون كارل ماركس الفصل الأول من كتابه "رأس المال" بعنوان **السلعة الصنم**، والذي يبدو القصد منه أن الظاهرة الاقتصادية في النظام الرأسمالي تعتبر المحدد الرئيسي للواقع الاجتماعي بشكل مباشر أو غير مباشر، حيث تعتبر هذه الجوانب بمثابة محاولة تكيف مع ما يفرضه الواقع الاقتصادي وآلياته، بهذا المعنى تعد العملة الاقتصادية ظاهرة تتعدى عبور أسواق الإنتاج ورؤوس الأموال إلى عبور القوميات. وتتألف مسيرة العملة الاقتصادية من ظاهرتين مختلفتين، عملة الإنتاج وعملة الموارد المالية حيث تشكل الشركات العابرة للقارات القوة المحركة لعملة الإنتاج، في حين تشكل حركة رؤوس الأموال الاندماج العالمي لرأس المال النقدي فحوى عملة الموارد المالية، هذه الأخيرة، مرت بتطورات كبرى تمثل في: النمو السريع في المبادلات المالية الدولية؛ النمو السريع في التجارة لا سيما بين الشركات العابرة للقارات؛ زيادة الاستثمارات الأجنبية المباشرة ومردّها إلى حد كبير من نشاط الشركات العابرة للقارات؛ ظهور الأسواق العالمية الشاملة؛ انتشار التقنيات والأفكار الجديدة عبر التوسع السريع لنظام النقل والاتصالات المعولم².

متى بدأت العملة الاقتصادية؟ يجيب إيمانويل والرشتاين Immanuel Wallerstein بأن بدايتها تعود إلى القرن السادس عشر مع بداية النظام الرأسمالي العالمي وبداية الاستعمار، ويجيب آخرون ببدايتها مع ظهور الشركات العالمية المتعددة الجنسيات، أما بالنسبة لآخرين فتبدأ العملة الاقتصادية بإلغاء أسعار الصرف الثابتة أو بانهيار المعسكر الشرقي³. فالنظام

¹Sandra Lopez-Rocha, "Nethnography in Context: Methodological and Practical Implications of Virtual Ethnography", *The International Journal of Interdisciplinary Social Sciences*, Vol. 5, The United States of America, 2010, p 292.

² سنغ كفاليت، مرجع سبق ذكره، ص ص 19-20.

³ أولريش بك، *مجمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود*، مرجع سبق ذكره، ص 47.

الرأسمالي بالنسبة له يحمل في طياته آلياته تطوره وهو مؤهل بطبيعته ليعبر الحدود الجغرافية وكل ما قد يعترضه من عقبات أو معوقات.

مع ذلك فبمثال العامل الحاسم في توطيد الرأسمالية العالمية في القرن العشرين في ظهور اتفاقيات، آليات ومؤسسات عابرة للقوميات، على غرار صندوق النقد الدولي IMF والبنك الدولي الناتج عن مؤتمر بروتون وودز عام 1944، واللذان أنشئاً في البداية لغرض تنظيم الرأسمالية الدولية وإعادة إعمار أوروبا بعد الحربين العالميتين ليتحول اهتمامهما بعد ذلك إلى "التنمية الاقتصادية" في العالم الثالث. وعام 1961 تم تأسيس منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OECD غرضها تطوير مقاربات ورؤى منسقة للاقتصاديات العالمية المشتركة¹.

إضافة إلى اتفاقيات دولية أخرى تعدت حدود القارة الأوروبية، تتمثل في: الاتفاقية العامة للتعريف الجمركية والتجارة GATT، عام 1974 والتي وقعتها 23 دولة مصنعة لفتح مجال لتجارة السلع وحرية تنقلها؛ المنظمة العالمية للتجارة WTO عام 1995، هدفها الأساسي تحرير التجارة؛ اتفاقية الاستثمار متعددة الأطراف MAI؛ التعاون الاقتصادي لدول آسيا والمحيط الهادئ؛ اتحاد دول جنوب شرق آسيا ASEAN؛ الاتحاد النقدي والاقتصادي الأوروبي؛ اتفاقيات التجارة الحرة لأمريكا الشمالية؛ معاهدة السوق المشتركة لبلدان منطقة التجارة الحرة لدول جنوب شرق آسيا.

ويصف دارن بارني Darin Barney العولمة الاقتصادية في شقها الإنتاجي ووسائله، فيرى أنه "من المؤلف الآن تجميع المواد الخام في بلاد ما، وتحويلها في بلد ثانٍ إلى مواد إنتاج، وتصنيعها في بلد ثالث في شكل مكونات وجمع هذه الأخيرة في شكل منتجات نهائية في بلد رابع"²، لتصبح دول العالم شبيهة بخط إنتاج بالمفهوم الفوردي ولكل منها دوره في سلسلة الإنتاج، حيث أدت التطورات في مستويات التجارة العالمية والاستثمارات الأجنبية المباشرة إلى إتمام جعل الإنتاج عابراً للحدود القومية.

من بين أهم المفاهيم التي ارتبطت بالعولمة في بعدها الاقتصادي هو مفهوم الرأسمالية العالمية Global Capitalism، وتعرف الرأسمالية عموماً على أنها عملية التبادل في الأسواق، وفي ربطها مع العولمة أو "العولمة من خلال الرأسمالية"، تشير إلى ظواهر متباينة كوصف التدهور البيئي، أزمة حقوق العمال، تهديد الهويات الثقافية المحلية أو اعتبارها تسمية للاقتصاد العالمي، وهو ما يعرف بالرأسمالية العالمية. والتي تقوم فكرتها على أن "الفترة المعاصرة تشهد ظهور اقتصاد رأسمالي عالمي فريد ومتكامل مبني على المنطق الرأسمالي الذي يصنف تحت جميع النظم القومية والإقليمية وقد تحرر رأس المال بشكل متزايد من القيود القومية والإقليمية..."³.

فمناقشة العلاقة بين الرأسمالية العالمية والعولمة، وكيف يمكن اعتبار الأولى "واقعة" يتجلى من خلالها مفهوم العولمة، يفرض الرجوع إلى التقسيم الكلاسيكي أو الماركسي لنمطي الإنتاج حسب علم الاقتصاد السياسي بين دائرة الإنتاج (الرأسمال الإنتاجي) وبين دائرة التبادل (الرأسمال المالي)، تمثل دائرة التبادل تداول وتوزيع الثروة والرسمال التي تم إنتاجها من تبادل

¹ دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 34.

² المرجع نفسه، ص 32.

³ أنابيل موني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص ص 171-172.

للسلع، الخدمات، التجار وما تتضمنه من عمليات بيع وشراء.. فهي بذلك تمثل سطح نمط الإنتاج الرأسمالي، في حين تمثل دائرة الإنتاج كلا من الرأسمال الثابت قوى الإنتاج وعلاقاته، فهي بذلك تمثل عمق نمط الإنتاج الرأسمالي.

لقد ظلت تنقلات الرأسمال مقتصرة على حركة السلع والخدمات والتجارة ومبادلاتها على غرار ما وفرته في الحضارات البائدة طرق التجارة الكبرى كالحرير واللبن، إلى غاية منتصف القرن العشرين الذي شهد انتقالا من عالمية دائرة التبادل إلى عالمية دائرة الإنتاج فـ "العولمة بهذا المعنى هي رسملة العالم على مستوى العمق بعد أن كانت رسملته على مستوى سطح النمط ومظاهره"¹، وتمثل الشركات متعددة الجنسيات نموذجا لهذه الرسملة التي انتقلت من المركز إلى الأطراف بغرض إعادة تشكيلها وفقا للمنظور الذي أوجده المركز، وهو ما يعني فقد الدولة القومية وتقويض لقدرتها المطلقة على التحكم وإدارة اقتصاداتها مقابل ضرورة التكيف مع ما يفرضه النظام الرأسمالي العالمي، وما يمكن أن يتبع ذلك من تداعيات خاصة السياسية منها.

• العولمة بوصفها ظاهرة سياسية:

منذ مؤتمر واستفاليا عام 1648، والذي أنهى حرب الثلاثين عاما بين البروتستانت والكاثوليك وأنتج نموذج الدولة القومية اليوم سيادةً وحدودًا، شعبا ونظاما، والعالم يعيش رهانات فرضتها طبيعة التعقيد والتشابك الذي تعرفه السياسية كظاهرة يمكن قراءتها بأبعاد سوسيولوجية، والتي تجاذبتها تيارات سياسية يؤمن كل واحد منها بمنطق مختلف، التيار الواقعي المؤمن بأن السلام حالة عرضية بحكم المصالح والفوضى والقوة، والتيارات المثالية والليبرالية والنقدية التي تسعى وراء الانعتاق والسلام العالمي، الأول الذي يرى في العولمة كرهان سييلا للحد من السيادة السياسية والثاني الذي يمن بالتعايش في ظل نظام عالمي يسوده "السلام".

هنا تبيّ الأدبيات المرتبطة بالعولمة محملة بالأطروحات والمفاهيم التي تعتبر السياسية فيها المحرك الرئيس، حيث أعادت العولمة الخطابات المتعلقة بدولة الأمة والدولة القومية وزوالها، ونهاية التاريخ. ويمكن أن تُفهم وتعرّف العولمة وعلاقتها بالسياسية، أو العولمة السياسية من خلال ثلاثة أبعاد رئيسة: الدولة القومية كنمط واحد من الوحدة السياسية / النموذج الأساسي للدولة والمنظمات والاتفاقيات الدولية والإقليمية. وهي في الواقع أبعاد متسلسلة في علاقتها سياسيا بالعولمة، فوجود الدولة القومية أحال إلى خلق نماذجها التي عملت التدفقات الاقتصادية والسياسية على إفقادها معناها نسبيا، أو كليا.

أولا: نمط الدولة القومية

في خضم تغير العالم وعولمته إن في اتباع العالم كله (باستثناء الدول المستعمرة) نمطا واحدا من الوحدة السياسية وهو نظام الدولة القومية، هو في حد ذاته دليل على العولمة، حين أصبح مبدأ سيادة الدول سمة أساسية من سمات المجتمع الكوكبي. فبعد أزمنة وأمكنة مختلفة كانت جغرافية العالم تتوزع على وحدات سياسية ذات أنواع مختلفة، إمارات صغيرة، خلافت إسلامية، وإمبراطوريات.. وغيرها من الوحدات إلى أن توحدت الوحدات الصغيرة في وحدة أكبر أو تفككت الإمبراطوريات العظمى إلى وحدات أصغر أو استقلت المستعمرات عن القوى الإمبريالية، كلها أفضت إلى وجود دول ذات سيادة مستقلة، ودول قومية سيادية، ويناقش مفهوم الدولة القومية هنا على افتراض أن العولمة السياسية تضع صلابته محل مساءلة.

¹ أنتوني غدنز، علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 118.

ويرجع ميلاد الدول القومية السيادية كما ذكرنا سابقا إلى القرن السابع عشر، إلى سلم ويستفاليا 1684، وقد انتهت إلى ثلاث نقاط أساسية: **الملك إمبراطور في مملكته الخاصة؛ يحكم الحاكم الديانة*؛ ولا يسمح للقوى المهيمنة بالنهوض**¹. فتتضي هذه النقاط إلى المبادئ السيادية للدول، فالأول يحيل إلى عدم خضوع الدول إلى أي سيطرة خارجية مادام الإمبراطور فارضا سيادته على إمبراطوريته، والقول "الخاصة" يعني أنها لم تعد مشاعة لدول أخرى؛ والمبدأ الثاني يحيل إلى السيادة الداخلية للدول فالقول أن دين الإقليم على دين حاكمه يمنحه شرعية سيادته الداخلية، وما الدين هنا إلا نموذج عن أبعاد المجتمع الأخرى. أما الثالث فيشير إلى وجوب عقد توازن للقوى بين الدول المختلفة فليس لقوة أن تهيمن على أخرى.

ثانيا: النموذج الأساسي للدولة.

وهو النموذج الذي يبنى على أساس العمليات الأساسية في الدولة كالتعليم والبيئة والصحة إضافة إلى اهتمامات الدول التقليدية كالسياسات الخارجية والأمن والدفاع العسكري، مكونة بذلك نمودجا أساسيا عاما للدولة بات موجودا في العالم كله²، على أن يتباين متماشيا مع خصوصيات كل دولة. كما يفترض هذا النموذج وجود عمليات داخلية وخارجية، كتمركز قوى الدول للتغلب على المقاومة الداخلية، استقلالية قوة الدولة والسيادة لمقاومة الهيمنة الخارجية، تطور الرموز القومية كالأعلام والأناشيد الوطنية واللغات والعملات..، الإصلاح الدستوري والحق في الاقتراع، ثم تفعيل دور الدولة لتتجاوز وظائفها التقليدية إلى مجالات التنظيم اليومي³. نجد هنا أن العولمة السياسية تتمظهر بالإضافة إلى نمط الدولة القومية، في تماثل الدول في بنائها وبرامجها وآلياتها التي أصبحت نمودجا أساسيا موحد في دول العالم.

ثالثا: المنظمات والاتفاقيات الدولية والإقليمية.

البعد الثالث للعولمة يعد أكثر الأبعاد التي تزيل تجريدية علاقة العولمة بالسياسية، وهو يتمثل في ظهور سلسلة من المنظمات الدولية والإقليمية والتي ينصب في الغالب اهتمامها على الاقتصاد (تم تناولها سابقا)، السياسة أبرزها الأمم المتحدة بوكالاتها اليونيسكو، منظمة الصحة العالمية، منظمة العمل الدولية.. التي تتابع من خلالها دول العالم علاقاتها الدولية، والتقنية كالاتحاد الدولي للاتصالات، الانتلسات ITELSAT، الهيئة الدولية الكهربائية - التقنية IE.. والتي تبحث في مشكلات كوكبية كالبيئة وارتفاع درجة حرارة الأرض، التنمية والتعاون من أجلها، التهديدات الأمنية من الجماعات الدينية والعرقية⁴.. وغيرها مما يشكل "أزمات" يفترض بهذه المنظمات الاضطلاع بمناقشتها ومحاولة حلها.

لماذا تناولنا إضافة إلى الاتفاقيات السياسية والأمنية الاتفاقيات الاقتصادية، التقنية وثقافية كمحاولة لفهم العولمة السياسية في حين أنها مفهوم يحيل إلى أبعاد أخرى من العولمة؟ في كتابه **التعاون، مساعدة أم استعمار جديد**^{**}؟ وصف إيف

* هناك صياغات أخرى لهذه النقطة: دين الإقليم هو دين صاحبه - أو الناس على دين ملوكهم.

¹ ورويك موراي، مرجع سبق ذكره، ص 203.

² فرانك جي. لشنر وجون بولي، ترجمة: فاضل جتكر، **العولمة: الطوفان أم الإقذاذ؟ الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 346.

³ ورويك موراي، مرجع سبق ذكره، ص 204.

⁴ فرانك جي. لشنر وجون بولي، مرجع سبق ذكره، ص 346-347.

** عنوان الكتاب بلغته الأصلية: La coopération, aide ou néo-colonialisme؟، وترجم تحت عنوان: المساعدات الخارجية، التخلف، الاستعمار الجديد.

فوش Yves Fuchs التعاون بأنه "استعمار جديد"، فرغم اتساع نطاق استعماله كاتفاقية تربط علاقة بين دولتين بغض النظر عن تصنيفها ضمن ثنائية التطور/التخلف، على أنه يرى أن تعبير "الدول غير المصنعة" هو أكثر ملاءمة من تعبير "الدول المتخلفة" لأن الاختلاف الرئيس بين الدول المتقدمة وما يصطلح عليه دول متخلفة هو وجود أو غياب التصنيع.

إلا أنه يميل ليعرف التعاون بأنه "جملة من العلاقات الاقتصادية والسياسية والتقنية والثقافية تقيمها البلدان المتطورة في إطار الاتفاقيات الثنائية أو العالمية مع البلدان المتخلفة"¹، فهي تبرر وجودها وشرعيتها بأنها **إزالة للتخلف**. لذا تنتقل من كونها تعاوناً إلى وضعها تحت إطار ما يعرف بسياسات التعاون، فتقوم بموجها الدول الرأسمالية بمساعدات إما على شكل قروض ذات فوائد عالية تحت شروط تخدم مصالح الدول المقرضة، توظيفات مباشرة خاصة في الأطر الثقافية والتعليمية، أو إرسال الخبرات تحت أشكال مختلفة²، وهذا قائم بطبيعة الحال مع البلدان غير المصنعة فحسب فهي علاقات غير متبادلة عكس العلاقات التي تقيمها الدول الرأسمالية والمتطورة وهو ما يظهر عدم التكافؤ في العلاقات.

اعتبر فوش التعاون بهذا المعنى استعماراً جديداً تبقى فيه أسس الاستعمار خاصة الاستغلال قائمة، مع نزاع السلاح إذا ما أردنا استخدام توصيف أنتوني غيدنز لمط الحروب في زمن الحداثة العالية، فهو نوع من السياسات التي تنتهجها البلدان الرأسمالية/الإمبريالية تجاه الدول المتخلفة التي تنضوي تحت هذه السياسات كمحاولة تعويض لاستغلالها سابقاً، وضرب فوش مثالا بطلب جمهورية الفيتنام من الولايات المتحدة الأمريكية تأمين تعويض للخسائر المادية التي سببها استعمارها لها، كما لاحظ أن أغلب الدول حديثة الاستقلال اتجهت في فترة توطد فيها مفهوم الحق في تقرير المصير وحركات عدم الانحياز المضاد للإمبريالية إلى تطوير علاقات بالبلدان الاشتراكية فلم يكن لها بد إلا أن تنتهج سبيل التعاون أو المساعد لمواصلة استغلال الدول المتخلفة.

وقد جاء ذلك مذكوراً بصريح العبارة في كتاب **1999 نصر بلا حرب** Victory Without War 1999 الذي استشر فيه الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون Richard Nixon مستقبل العلاقات الدولية التي ركز على إدارتها في سياسته الخارجية، حيث أورد في حديثه عن سياساته تجاه العالم الثالث: "لكننا ونحن نتخلص من إحساسنا بالذنب تجاه العالم الثالث، لا نخلص من مسؤوليتنا نحوه.. ولو تنحينا جانباً، فسنشهد منافسة على مستقبل العالم النامي سيخسرها الغرب على وجه التأكيد"³، وخصص له فصلاً كاملاً من كتابه ركز فيه على أهميته في معادلة العلاقات الدولية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.

وليس التعاون الثقافي والتقني مختلفان عن التعاون الاقتصادي فإن لم يكن إنتاجهما جلياً ونتائجهما قصيرة أو متوسطة المدى مثله، على غرار التعليم أين نجد البلدان الإمبريالية تبتعد عن الاتفاقيات الثقافية التي تعطي للدول المستغلة إمكانية للاستقلال بذاتها، فتبتعد على سبيل المثال عن دعم المعاهد والمدارس ومراكز البحث التي تبحث مشاكل التصنيع والتطوير

¹ إيف فوش، ترجمة: عبد الله اسكندر، المساعدات الخارجية، التخلف، الاستعمار الجديد، دار الحقيقة، دون لد نشر، 1978، ص 7.

² المرجع نفسه، مرجع سبق ذكره، ص 66-67.

³ ريتشارد نيكسون، ترجمة: محمد عبد الحليم أبو غزالة، **1999 نصر بلا حرب**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1988، ص 282.

الوطني، وهنا ضرب فوش مثالا باستعانة الجزائر بالاتحاد السوفييتي لإنجاز مركز للإعداد التقني للنفط في بومرد (يقصد بومرداس)¹، فالتعاون الثقافي والتقني يأخذ بدوره خلفيات استعمارية تعمل على المدى الطويل. فسياسة المساعدة أو التعاون مثل العديد من الاتفاقيات والمنظمات الدولية التي تطرقنا إليها فيما سبق، مهما كان بعدها، هي سلاح سياسي يوظف أبعادا اقتصادية، تقنية وثقافية. فعولمة المال أو وسائل الإنتاج هي في الواقع امتداد للممارسات التي تخدم المراكز على حساب الهوامش حيث تنتقل الاتفاقيات انتقال المال العالمي ويفضي إلى تآكل سلطة الدول سياسياتها وتقويض سيادتها وهو ما أفضى لإيجاد مفاهيم مثل "عالم بلا حدود" Borderless world، "الدول الجوفاء" Hollow State²، وعالم "تلتهم فيه الاقتصاديات السياسيات..".

ومنه، فالتحول الذي تحده العولمة على السياسة يظهر في انتشار مفهوم الدولة القومية ونماذجها السياسية، كما يبرز من خلال القضايا التي تواجهها الدولة وتضغط بها العولمة عليها، والتي تقع عموما في إطار الاتفاقيات والمنظمات العابرة للحدود، كقضايا حقوق الإنسان والتوجه نحو المواطنة العالمية، قضايا البيئة والجزام الدولية.. في إطار ما يعرف بقضايا "ما فوق الدولة" Suprastate فتسند إليها كغيرها من رهانات العولمة قراءتان، متفائلة يمثلها أنصار العولمة لاعتبارها سبيلا للانفتاح على العالم والانخراط في حكم متعدد الأقطاب وديمقراطية عالمية، ومتشائمة يطرح بها المناهضون في أن العولمة إفراغ للديمقراطية وتقويض لسيادة الدول الوطنية.

• العولمة بوصفها ظاهرة ثقافية:

إذا ما نظرنا إلى الثقافة من وجهة نظر أول تعريف علمي لها، والذي رأى فيه إدوارد ب. تايلور Edward Burnett Taylor بأنها تعبير عن "الكل المركب الذي يكتسبه الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع"، ونظرنا إلى العولمة بأنها إذابة الحدود بمختلف أبعادها، فإن العولمة الثقافية هي محاولة إخراج "الكل" في تعريف من مجتمع ما إلى العالم، وإذابة للحدود والتباينات الثقافية بين المجتمعات، فيصبح الإنسان في إطار الكونية مكتسبا لذلك "الكل" من العالم كله، ومنتجا لثقافة عالمية بوصفه عضوا في العالم.

ويمكننا أن نقبض على مفهوم العولمة الثقافية تاريخا وجغرافية، أي عبر فترات وأمكنة من التاريخ، ففي الفترة المبكرة تظهرت العولمة الثقافية في انتشار الأديان وما تبعها من أخلاق وممارسات، علوم وسنن ثقافية للحضارات عبر وسائل تخضع لسعتي الزمان والمكان، ومع تقلصها، وفي إطار تطور التقنية أصبح يؤثر للعولمة الثقافية بانتشار أفكار وإيديولوجيات وانتشار جوانب اقتصادية وسياسية لا يمكن فصلها عن الثقافة، وصولا إلى انتشار السبات الأكثر خصوصية للمجتمعات كالتراث والهويات. أما من منظور الجغرافيا فتناقش العولمة الثقافية استخدام الإنسان للأفضية والأماكن وكيفية تفاعله معها وانتقال السبات وانعتاقها من حدودها المحلية نحو "كل مكان"، من أجل ذلك تفهم العولمة الثقافية عبر مناقشة قضايا نوجزها فيما سيأتي:

¹ إيف فوش، مرجع سبق ذكره، ص ص 70-79.

² "يستخدم مصطلح التجوف لوصف مجموعة من الممارسات الحكومية التي تتعاقد فيها الدول مع أطراف ثالثة (شركات خاصة) من أجل توزيع الخدمات الحكومية، وتتمتع الدولة الجوفاء بخطط حوكمة قياسي على الرغم من أن معظمها يقع تحت تأثير مؤسسات تابعة لجهات خارجية.

أولاً: الصناعات الثقافية: العولمة الثقافية من منظور نقدي.

من وجهة نظر نقدية، ترتبط العولمة الثقافية والإنتاج الثقافي بالمفهوم المنبثق عن مدرسة فرانكفورت "الصناعات الثقافية" والتي تعترف بأنها "المؤسسات.. التي تشارك بشكل مباشرة في إنتاج المعنى الاجتماعي، بما فيها الإعلان، والتسويق، والبث الإذاعي والتلفزيوني، والأفلام، والطباعة، الإصدارات الإلكترونية، وصناعة الموسيقى، والفيديو، وألعاب الحاسوب وغيرها من الحالات الحدودية الفاصلة مثل الأزياء والرياضة والبرمجيات الحاسوبية" يعتبرون صناعة الثقافة بأنها ليست إلفقدانا للأصالة الشخصية. فيشير روبرت هولتون Robert J Holton إلى ما سماه أطروحات "عواقب ثقافة العولمة الكبرى":

✓ الأولى: أطروحة "التجانس" حيث بلغت العولمة أطروحة "التغريب" أو بمفهوم أكثر تضيقاً "الأمركة"؛

✓ الثانية: أطروحة "التهجين"؛

✓ والثالثة: أطروحة "الاستقطاب" والتي تنظر إلى العولمة باعتبارها إنتاج لسلسلة من الانشقاقات العدائية بين الكلمات الثقافية المختلفة¹.

فوسائل الإعلام حسب هذا المنظور تمارس غرساً ثقافياً* للأفكار التي تنتجها تلك المؤسسات، وهي كلها أطروحات تنظر إلى العولمة الثقافية بأنها امتداد للإمبريالية خالقة بذلك لما يعرف بالإمبريالية الثقافية، وهو مفهوم يتصل بالمناقشات القائمة حول جدّة العولمة أم أنها مجرد امتداد للكونولونية ويعتبر من أهم الخطابات النقدية للتبعية الثقافية والإمبريالية الإعلامية.

نرجع عند البحث في أطروحة الإمبريالية الثقافية إلى مؤلفات هربرت شيلر Herbert Schiller حول وسائل الاتصال والثقافة والهيمنة، حيث رأى في وسائل الإعلام أداةً لنشر الهيمنة الثقافية الأكثر قوة، والتي في نظره تمثلها الثقافة الأمريكية، حيث "تغدو أساليب الإقناع والتلاعب والتغلغل الثقافي التي تعاونها تكنولوجيا الاتصالات أكثر أهمية دوماً في ممارسة القوة الأمريكية"² فالأذواق والتفضيلات والمعتقدات المنتشرة على نطاق واسع أو ما تفضله الرأسمالية بالنسبة لشيلر أن تسميه بـ "المعلومات" هو فرض للثقافة الأكثر قوة على ثقافات أقل قوة وتصدير ممارساتها وهو: تعريف الإمبريالية الثقافية. لكن من انتشار التقنية وإمكانية خلق مراكز هيمنة أخرى للإنتاج السمي البصري لكل منطقة جغرافية لغوية في أمريكا اللاتينية، آسيا والشرق الأوسط، عانى خطاب الإمبريالية الثقافية من عيوب جدية، فهذا التحول الفعلي للمنظومة التلفزيونية العالمية جعله أقل فأقل قابلية للدوام على المستوى التجريبي.

ثانياً: الفلكلور الكوكبي وصناعة التراث.

مثلاً ساهمت وسائل الإعلام وانتشارها في توطيد الإمبريالية الثقافية، ساهمت من جانب مقابل في صناعة ثقافة كوكبية سماها إدغار موران "فلكلورا كوكبياً" والمتشكل من تيارات عبر-ثقافية، "فإذ الروك الذي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية

¹ شمسي العجيلي وبارك هايدن، ترجمة: هيثم غالب الناهي، النظريات النقدية للعولمة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2016، ص ص 290-294.

* نظرية الغرس الثقافي **cultivation Theory**: واحدة من نظريات وسائل الاتصال الجماهيرية، تفترض النظرية التي صاغها جورج جيرنر George Gerbner في ستينيات القرن الماضي أن التعرض لوسائل الإعلام (التلفزيون آنذاك) كثيراً ما تؤثر على الفرد لتطوير أفكار معينة عن الواقع والمعتقدات والافتراضات حول الحياة، وكلما زاد التعرض لتلك الوسائل زاد التأثير بالقيم والتصورات والثقافة بشكل عام التي تصوّرها الوسيلة.

² هربرت شيلر، ترجمة: وجيه سمحان عبد المسيح، الاتصال والهيمنة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2007، ص 17.

قد صار يتأقلم مع لغات العالم وصار يتقمص في كل بلد هويته الوطنية¹، فالتطور التقني الذي يعمل باستمرار على تقليص الفجوة الرقمية والاتصالية بين عوالم العالم (نظرية العوالم الثلاثة لماو تسي تونغ) وخذ من الإمبريالية الإعلامية ومنها الثقافية، فأصبحت وسائل الإعلام وسيلة للانخراط في تشكيل الثقافة العالمية.

وقد تعددت وجهات النظر حول العولمة، بين اعتبارها ساحقة للقوميات، وبين اعتبارها تشجيعاً للتنوع الثقافي ومزيجاً متعدد الثقافات؛ فرغم أن الانتماء الكوني أصبح منتشرًا في كل مكان، بقيت الأمكنة المختلفة محافظة على طابع محلي لثقافات وعادات محلية، ما يعرف بـ "صناعة التراث" The Heritage Industry والذي "يشمل قواعد مشتركة لمختلف الأقوام للتعبير من خلالها عن الطابع المحلي"²، حيث يعبر الجميع عن اختلافاتهم بتعبيرات ثقافية متشابهة بالطريقة نفسها وعلى القاعدة نفسها.

إن بروز الثقافات المحلية والتشبث بها أصبح يعتبر رد فعل تجاه ما يمكن للعولمة الثقافية أن تجرده من خصوصيته، بل أصبحت فرصة لجعل السمات الثقافية قابلة للانتشار والتداول خارج الحدود الجغرافية، على سبيل المثال تأخذ عولمة المطبخ الياباني وانتشار جاذبية المفهوم الرفيع الجماليات التصميم الياباني، كالسوشي، وهو تخصص محلي غير مستساغ تقريبًا، لكن التأثير الثقافي الياباني المتزايد على المأكولات الحديثة الراقية في جميع أنحاء أمريكا الشمالية وأوروبا جعله من "صيحات الموضة"³، على غرار أطباق محلية لثقافات أخرى عديدة، فأصبح عاديًا جدًا ومتكررًا أن تجد واجهة لمقهى في كامبريدج الأمريكية، تعلن عن "السوشي وشرائح الساشيمي (السلمك النيء) اليابانية" جنبًا إلى جنب مع "البطاطس المهروسة بالجبن السويسري أو اللازانيا الإيطالية، ثم التحلية بشاي مغربي مع حلوى تركية".

فخلق هذا التلاحم ما يعرف **بالتعايش الثقافي**، ثم يتجاوز ذلك إلى خلق الحاجة للدفاع عن الخصوصيات الثقافية المحلية مقابل العالمية فنجد دومينيك وولتون يصّر أنه "بقدر ما يتنقل الأفراد وينفتحون على العالم ويشاركون الحداثة و"الثقافة العالمية" بقدر ما يتزايد شعورهم بالحاجة إلى الدفاع عن هويتهم الثقافية واللغوية والمناطقية"⁴، فيحتاج الفرد إلى كل من الاتصال بالعالم وثقافته الكونية دون تناسي الحاجة إلى قوة الهوية والتشبث بها.

المطلب الثاني: كرونولوجية العولمة وتاريخ وقائعها.

بينما يعود ظهور العولمة كمصطلح لأول مرة إلى ثلاثينيات القرن العشرين فإن العولمة كفكرة يمكن رصدها عبر التاريخ في مرحلة مبكرة من الوجود الحضاري، وقد حدد بول هوبر Paul Hopper في تقصيه لملاحم العولمة عبر التاريخ ثلاث مراحل كبرى صنفها بشكل عام إلى المرحلة ما قبل الحديثة، المرحلة الحديثة والمرحلة المعاصرة⁵.

¹ إدغار موران، ترجمة: عبد الرحيم حزل، هل نسير إلى الهاوية؟، أفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص ص 67-68.

² توماس هيلاند إيركسون، ترجمة: محي الدين عبد الغني، مفترق طرق الثقافات - مقالات عن الكريولية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012، ص 20.

³ Theodore C. Bestor, "How Sushi Went Global", In: **The Globalization Reader**, collective book, Edited by: Frank

J. Lehner and John Boli, Fifth edition, WILEY Blackwell, The United Kingdom, 2015, p 117.

⁴ دومينيك وولتون، مرجع سبق ذكره، ص 24.

⁵ هناك جدال واقع حول بداية كل مرحلة ونهايتها، فالحد الزمني للمرحلة الحديثة أو ما بعد الحقبة الكلاسيكية يعيده البعض إلى أواخر العصور الوسطى أي 1500 وحدها آخرون بتاريخ سقوط القسطنطينية في 1453، ويرى آخرون أن مرحلة العصور الحديثة بدأت منذ حوالي منتصف القرن الثامن عشر أو ما يسمى بعصر الثورات (الفرنسية، الأمريكية والصناعية).

أولاً: العولمة ما قبل الحديثة (من الحضارات البائدة إلى 1500):

لكي نكون قادرين على فهم أشكال العولمة وامتدادها التاريخي، ينبغي علينا فحص العمليات الأولية أو التحولات التي أنتجها الإنسان، وهنا لا يعتبر الحديث عن العولمة حديث مستقبل بل حديث ماضٍ تم فيه رصد مظاهر يمكن اعتبارها بدايات لتجلي العولمة.

أ. **الهجرات الإنسانية البائدة:** تعتبر الهجرات الإنسانية البائدة دليلاً على فكرة العولمة في مرحلتها ما قبل الحديثة كما يشير إلى ذلك روبرت كلارك Robert Clark، وقد اعتبرها "حاجة إنسانية فطرية للانتشار"، فكانت الجماعات البشرية تنتقل عبر العالم لضمان بقائها وتلبية حاجاتها، فيقول "إن جوهر الحالة الإنسانية هو الارتباط الأساسي بأجزاء الكون عبر الزمان والمكان". كما يمكن رصد حركة البشر خلال المرحلة ما قبل الحديثة في عدة أمثلة: انتشار الأمراض التي كانت تأخذ شكل وباء أو جائحة، حيث كان انتشارها من مجتمع لآخر يحمل دلائل على حركة السكان ويُعتقد بأن ذلك سبب انتشار الطاعون الدبلي وهو ما رأيناه عند ابن خلدون آفاً، ويشير في ذلك ويليام إتش ماكنيل William H. McNeill أن عدداً كبيراً من الناس كانوا ينتقلون داخل إمبراطورية المغول الشاسعة لمسافات طويلة جداً وعبر حدود ثقافية وموبوءة.

إضافة إلى الترحل من منطقة إلى أخرى في ظل عدم وجود حدود لها، على غرار ترحل الشعوب الجرمانية والمغول وتأثيرها في المجتمعات المستقرة ثقافياً، سياسياً واقتصادياً. والتهجير أو الشتات Diaspora، حيث انتشرت في المرحلة قبل الحديثة مجتمعات شتات لخلفيات دينية أو عرقية¹، ذلك على غرار الشتات اليهودي في القرن الثامن والشتات الأندلسي في شمال إفريقيا والعالم مع بداية "حروب الاسترداد" المسيحية وخاصة عقب سقوط آخر ممالك الأندلس في القرن الخامس عشر، هؤلاء الذين أثر شتاتهم على منظومات ثقافية عديدة في العالم وشمال إفريقيا وبالتحديد الجزائر²، ليكون بذلك شتاتهم عولمة وانتشاراً لخصائصهم الاجتماعي والثقافية.

ب. **الأديان العالمية وتوسع الإمبراطوريات الأولى:** أي خلق ولغات عابرة للمناطق والهويات مثل المسيحية والإسلام واليهودية الزرادشتية، والتي ساعد على انتشارها تطور الكتابة وهو ما حمل النصوص الأساسية لهذه العقائد، كما كانت موضوعاً رئيساً للمنظورات السوبولوجية للعولمة كما رأينا سابقاً لدى ابن خلدون، دوركايم وفير، كما ساهم ظهورها في توسع الإمبراطوريات الأولى التي كانت ترى في بعض الأديان وسيلة لتدعيم أوضاعها³، فتبنت الإمبراطورية الفارسية الزرادشتية والكوفوشيسوسية، والمسيحية في الإمبراطورية الرومانية كمبادئ لها كما أن الإمبراطوريات مثل، الفرعونية، الإغريقية والرومانية وصولاً إلى الصينية والإسلامية اعتبرت قوى عولمية، حيث ساعد انتشارها على تسهيل التفاعل الثقافي وتدفقات الثقافية.

ج. **تطور شبكات التجارة بين المناطق المختلفة:** والتي ينظر إليها على أنها دليل بآكر للعولمة، على غرار طريق الحرير الذي كان يصف شبكة واسعة الطرق البرية (طريق الحرير الشمالية) والبحرية (طريق الحرير الجنوبية) تصل بين الإمبراطورية

¹ بول هوبر، مرجع سبق ذكره، ص 29.

² راجع كتاب: فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، دار القرطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

³ بول هوبر، مرجع سبق ذكره، ص 29.

الرومانية وإمبراطورية هان الصينية¹. الذي تجاوز نقل السلع والبضائع بين ضفتي العال الشرقية والغربية إلى نقل الابتكارات الثقافية المادية كالورق والكتب والمخطوطات واللامادية كالعلوم والمعارف واللغات.

وتم التأريخ لطرق التجارة القديمة ودورها الذي تجاوز نقل البضائع إلى نقل السمات الثقافية عن طريق كتب الرحالة الذين صاحبوا قوافل التجار، والذين بدورهم ساهموا في نقل تلك السمات عن طرق كتبهم وموسوعاتهم، وعرفوا لهذا السبب بتسميتهم "الرحالة التجار"، كما ظهر في القرن الحادي والثاني عشر نوع من الكتابات تصف نوعاً من كتب الرحلات المصاحبة للتجارة والمسماة بـ "المسالك والممالك" (حوالي عام 1050)، فالأولى لأنها تصف العالم من حيث جغرافيته والثانية لأنها تصفه من حيث توسع الإمبراطوريات في تلك الأراضي، فنجد أنفسنا إزاء ولادة جغرافيا كونية تصف كلا سياسيا وثقافيا واقتصاديا وتجاريا معقدا ربما كان غير موحد سياسيا، لكنه متوحد ثقافيا².

وهنا يمكننا أن نستحضر مثالا عن أهم الاتفاقيات العابرة للحضارات، والتي تجسدت في تنقلات القوافل التجارية عبر شبه الجزيرة العربية وما جاورها من حضارتي الروم والفرس وهي اتفاقية "الإيلاف" الذي صاغه هاشم بن عبد مناف الجد الأكبر للرسول صلى الله عليه وسلم وأرخ لها القرآن الكريم في سورة قريش، الذي يعد ترخيصا لتجاوز نقاط العبور في طريق مرور قوافل التجار القرشية، وضمانا لحماية القوافل من غارات القبائل مقابل استفادتها من رسوم الحماية حين أضحت مكة مركزا يربط أربع أسواق كبيرة: الشام والعراق واليمن والحبشة، لتصل إلى ميناء غزة ومنها يتم نقل البضائع إلى أوروبا -كاللبان الذي كان ينقل من اليمن إلى أوروبا لاعتباره كبخور جزء مما من الطقوس الكنسية-، وذلك بعد انهيار طريق الحرير الذي كان يربط بين الصين والهند وباقي العالم³؛ فكان الإيلاف بهذا اتفاقا إقليميا ودوليا مبكرا يشمل الجانبين التجاري ليشكل ما يمكن اعتباره نكتلا اقتصاديا مضمونه نقل السلع والبضائع دون الخضوع إلى رسوم جمركية والجانب السياسي الأمني ليشكل ما يمكن اعتباره تحالفا للحماية في المنطقة، في أهم شكلين من أشكال ترابط العالم المحيل إلى العولمة، إضافة إلى دوره في نقل السمات الثقافية إلى شبه الجزيرة العربية ومنها.

ثانيا: المرحلة الحديثة من العولمة (من 1500 إلى 1945)

أ. الاستعمار الأوروبي:

كان ظهور أشكال من التوسعية الاقتصادية السياسية والعسكرية على هيئة استعمار أوروبي أحد الملامح الأساسية لمرحلة الحديثة، والتي أخذت دفعة في 1492 مع رحلة كولومبوس إلى أمريكا واستعمار الأمريكتين والكاريبى إضافة على عقد صلات مع مناطق أخرى قبل 1850 خاصة أوقيانا، الهند، الشرق الأوسط وإفريقيا⁴، هذا التوسع صاحبه بالضرورة توسع ثقافي انتشرت من خلاله السمات الثقافية للدول الاستعمارية. فنجد على سبيل المثال كلا من اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية قد أصبحت اللغات الرسمية والأولى لدول خارج الجغرافية الأوروبية.

¹ بول هوبر، مرجع سبق ذكره، ص ص 28-35.

² جيرار ليكلرك، ترجمة: جورج كنورة، العولمة الثقافية: الحضارات على المحك، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2004، ص 90.

³ وضاح خنفر، الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية في السيرة النبوية، جسور للترجمة والنشر، بيروت، 2020، ص ص 38-40.

⁴ جيرار ليكلرك، مرجع سبق ذكره، ص 8.

ب. **اقتصاد عالمي بازغ:** وفيه كانت محاولة الدول المستعمرة (بريطانيا وفرنسا) لجعل المستعمرات تسهم في الاقتصاد الكولونيالي. فيرى إيمانويل فالرشتاين Immanuel Wallerstein أن بداية العولمة فعلا تعود إلى القرن السادس عشر مع بداية النظام الرأسمالي العالمي وبداية الاستعمار¹. فكان هذا الأخير محاولة لتسليع المستعمرات بالمنتجات الثقافية كما الاقتصادية.

ج. **الهجرات والتطورات العالمية خارج الغرب:** على غرار مجتمعات الشتات الآسيوية التي اندفعت نحو العالم بحثا عن العمل، إضافة إلى الدولة العثمانية الإسلامية آنذاك، والتي كانت بأسطة سيطرتها على منطقة جغرافية شاسعة متجاوزة حدود القارات من بلاد فارس إلى النمسا، حيث كان وقتا مهما من تاريخ "الأمة" على صعيد النفوذ الثقافي المستمرة آثاره إلى اليوم.

د. **نشأة الدولة الأمة:** حيث يعتبر قيام الدولة الأمة فمن ناحية مهد تكوين دولة أمة قوية في أوروبا إلى التوسع الإمبريالي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ومن جهة ساهم في التأكيد على الحفاظ على الحدود الوطنية ما قيد حركة الانتشار الثقافية والكوزموبوليتانية.

هـ. **التصنيع:** ظهرت النزعة الصناعية في القرن الثامن عشر، ونضجت خلال القرن التاسع عشر، وبلغت ذروتها في القرن العشرين وكانت في جوهرها مجموعة من الممارسات الإنتاجية التي تركت آثارها على الحياة الاجتماعية ومنها الثقافية²، حيث كان التصنيع حافزا على التوسع الاستعماري، فالتطورات التكنولوجية سهلت التجارة وزادت سرعة الاتصال والتنقل في الأرض، إضافة إلى الراديو والتلفزيون والتلغراف وغيرها مما سهّل مسيرة العولمة في الفترة المؤدية إلى 1945، من أجل ذلك كان التصنيع متغيرا استنطقته النظريات الاجتماعية في محاولات فهمها للتغير الاجتماعي المرتبط بالعولمة كما رأينا سابقا.

ثالثا: المرحلة المعاصرة من العولمة (من 1945 إلى الآن)

في هذه المرحلة برزت عدة عوامل كانت مناهضة للعولمة: تقييد التجارة الدولية وحركة الناس والأفكار في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة؛ الحيوية الدائمة للدولة-الأمة والتي تعمل عادة على كبح تطور مؤسسات الحكم العالمي، عن طريق تقييد الهجرة واللجوء ضبط الحدود الوطنية؛ كما أن التفاوت الاقتصادي والفجوات بين مناطق العالم، وذلك نتيجة لعدم امتلاك فرص متساوية للوصول إلى تكنولوجيات الإعلام والاتصال؛ رد الفعل المضاد والرفض الشعبي من الدول المعزولة تقنيا والتي تظل على هامش العالم فتناهض بذلك عولمة ومخرجاتها³. كما تميزت المرحلة المعاصرة لتطور للعولمة بما يلي:

أ. **التدفقات الثقافية:** أي حركة البشر والأفكار والسلع والرموز والصور، وسهولة التنقل من مكان إلى آخر وتعميق أشكال التوصل الثقافي الكوني، ولأن الثقافات مثبتة في الأفضية سواء كانت الثقافة بمفهومها المادي أو اللامادي، فإن افتتاح العالم بأفضيته واتجاه حدوده إلى التلاشي أو ربما الزوال يجعل من التدفقات الثقافية الموجهة أو العفوية ظاهرة واقعة ومتزايدة.

ب. **تقدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات:** حيث أصبحت الثقافات الفردية والتدفقات الثقافية تصل إلى أبعاد كونية عن طريق حزمة من الأقمار الصناعية والكابلات ولاحقا الإنترنت⁴. هذا إضافة إلى الاعتماد المتبادل ومتزايد بين الدول وإلغاء للحدود الوطنية، الصراعات حول السيادة، الضغط الزماني والمكان، موت الجغرافيا.. وغيرها من مظاهر.

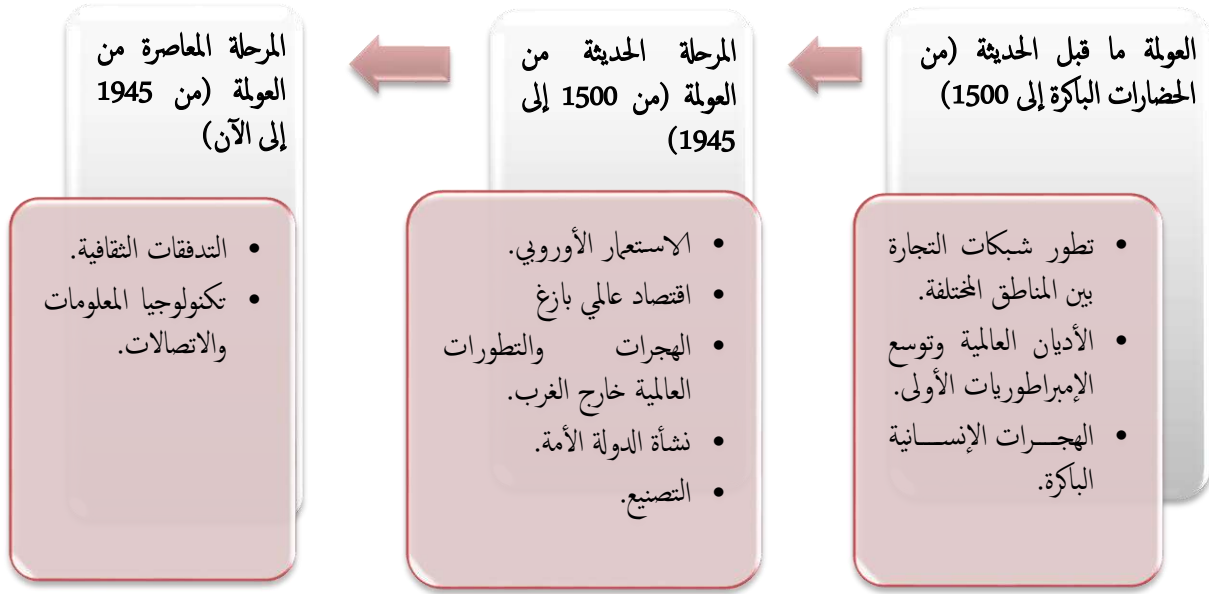
¹ أولريش بك، مرجع سبق ذكره، ص 47.

² دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 15.

³ بول هوبر، مرجع سبق ذكره، ص ص 46-47.

⁴ المرجع نفسه، ص 47.

ويمكننا تلخيص كل ما سبق من مراحل ومميزات في الشكل التالي:



الشكل رقم (03): تطور مفهوم العولمة ومظاهرها.

المطلب الثالث: أطروحات العولمة ونهجها.

تمثل موجات استشراف وتناول العولمة وجهات النظر المتعارضة حولها ومحاولة لفهمها والتنبؤ بها باعتبارها "ظاهرة مضطربة وغير قابلة للتكهن" كما وصفها غيدنز Giddens، هذه النُهج، لا تنقسم على أساس "تأييد" أو "مناهضة" العولمة مثلما هو حال حركات مناهضة العولمة أو تأييدها، ولكن على أساس الاعتراف بواقعيتها كظاهرة مقابل اعتبارها مجرد خرافة. وبما أن العولمة تفهم في الغالب على أساس البعد الاقتصادي باعتبار تضمن بداياتها صورها من الروابط الاقتصادية التي شملت العالم كله، فإن موجات العولمة تبني تحليلاتها وحججها على البعد الاقتصادي أيضا كما سنرى، وتندرج هذه التوصيفات في ثلاث نهج: المعولون، المتشككون، التحويليون.

• الأطروحة الأولى: المعولون الأوائل Hyperglobalists.

"العولمة عملية حقيقية حاصلة فعلا، وهي تحدث تغييرات جذرية وعميقة في النظام الدولي عموما وأنظمة الدول من الداخل مؤثرة بذلك على بُناها الاقتصادية، سياسيا واجتماعيا".

"المعولون"، "أنصار العولمة"، "المتعولون" هي تسميات نسبت إلى النهج الذي يرى في العولمة "عملية اجتماعية حيوية معاصرة لا مفر منها وأن الاقتصاد الوطني، السياسة والثقافة أصبحت بشكل متزايد جزء من التدفقات العالمية The Global Flows الذي يعتبر احتمال الهروب منها ضئيل جدا"¹. يربط مؤيدو هذا الاتجاه العولمة بزوغ الاقتصاد العالمي بشقيه التجاري والإنتاجي العابر للحدود، أي حراك السلع ورؤوس الأموال، إلى جانب حراك البشر والمعلومات. والذي أدى إلى تصاعد ظاهرة عبور القوميات وإضفاء ميزة العالمية مشكلا تحديا للدولة-الأمة ومقوضا لسلطة الحكومات الوطنية.

¹ شمس العجيلي وباترك هايدن، مرجع سبق ذكره، ص ص 48-49.

ويعتبر الاقتصادي الياباني كينيشي أوماي Kenichi Ohmae من أهم كبار المعولمين الذين طارحوا بأن بزوغ الاقتصاد العالمي يقابله انهيار الدولة-الأمة، يرى كينيشي أن أهم تداعيات العولمة هو قيام عالم لا حدود له.. عالم تبرز فيه الاقتصاديات العالمية والإقليمية وتآكل فيه سلطة الحكومات الوطنية*.

هذا التحدي الذي يواجهه الدولة-الأمة، يظهر تأثيره بوضوح في المجالات الاقتصادية، السياسية وخاصة الثقافية، حيث تحاول الحكومات الوطنية تقليص حجم التدفقات العالمية على حدودها، فيرى المعولمون في الدينامية التاريخية للعولمة تحدياً، تعمل على نزع الطابع المناطقي عن المجالات الثلاثة والمساهمة في إفلاتها نحو العالم، النشاط الاقتصادي الذي مرتبطاً -نسبياً- داخل الحدود الوطنية عبيراً للحدود وفي حل منها ومنه "تراجع الاقتصاديات الوطنية"، السلطة السياسية للدولة التي كانت تسود ضمن حدود وجغرافية لتواجه في عصر العولمة أنظمة دولية وإقليمية، ومنه "تراجع السيادة السياسية الوطنية"، الثقافات والهويات الثقافية التي يواجها تدفق الثقافات العالمية والذي يساهم في تهديد الهوية الاجتماعية والثقافية المحدتين قومياً.

• الأطروحة الثانية: المتشككون Skeptics.

"هناك شك في نوايا العولمة، ومبالغة في تقدير حجم التغيير الذي تحدثه على الدول وأنظمتها، وما مظاهرها المزعومة إلا تطور للإقليمية".

يعارض المتشككون أو "التقليديون" الفكرة الرئيسة للمتعولمين، فيرون أن العولمة ما هي إلا أسطورة و"سخافة" وتطلق عليها طائفة من المتشككين تسمية السخافة العالمية Globaloney**، كما يناهضون بشدة اعتبار أن الوطني والإقليمي دائرتان تلغي إحداها الأخرى ويرفضون النظرة التشاؤمية التي ترى في العولمة نهاية الدولة فالدول في زمن العولمة كيان قائم بذاته وتمارس سياساتها على نحو يضمن سيادتها¹، وأن العولمة لا تحدث حقاً على إطلاق إنما هي تكثيف للارتباط بين الدول المتجاورة جغرافياً فهي تعبير عن تزايد لإقليمية وجدت على مر تاريخ العولمة من ما قبل الحداثة إلى ما بعدها. فلا تزال الدول الوطنية قوية وبأسطة سيادتها على مجالاتها المختلفة.

كما يتجه البعض من المتشككين إلى أن العولمة هي في الواقع مجرد "تثليث" للعلاقات الدولية، بداية من العلاقات الاقتصادية، ومنه السياسية في بين كل من أوروبا وأمريكا الشمالية والمحيط الهادي (اليابان). وهي الفكرة التي تناولها كحجة للارتباب في العولمة وإثباتاً لأسطوريتها كل من بول هيرست Paul Hirst وجراهام تومبسون Grahame Thompson في كتابها مساءلة العولمة Globalization in Question إضافة إلى الحجج منها أن الاقتصاد العالمي الراهن ليس غير مسبوق فهو واحد من عدد من الأوضاع أو الحالات المتميزة للاقتصاد العالمي التي وجدت منذ بدء الاقتصاد المبني على التكنولوجيات الصناعية الحديثة.

* للاطلاع أكثر أنظر دراسات كينيشي أوماي أو تترجم أحيانا أوهي: The Borderless World: Power and Strategy in the Global Marketplace عالم بلا حدود: القوة والاستراتيجية في السوق العالمية، The End of the Nation State: The Rise of Regional Economies نهاية الدولة الأمة:

بزوغ اقتصاديات الإقليمية، The Next Global Stage: Challenges and Opportunities in Our Borderless World المرحلة العالمية التالية: تحديات وفرص في عالم بلا حدود.

** دمج لكلمتي "عالمي" Global و"سخافة" Baloney، وتعني الكلام والأفكار غير المنطقية والسخيفة المتعلقة بالقضايا العالمية.

¹ عبد العزيز ربح، مرجع سبق ذكره، ص 100.

كما أن الشركات متعددة الجنسيات نادرة نسبياً فمعظم الشركات ذات قاعدة قومية واحدة وتناجر فحسب على المستوى متعدد القوميات. وتتركز حركة رأس المال والاستثمار الخارجي المباشر وسط الاقتصاديات الصناعية المتقدمة ويظل العالم الثالث هامشياً في كل من الاستثمار والتجارة بصرف النظر عن أقلية ضئيلة من البلاد المصنعة حديثاً¹، فالعولمة في الواقع تقتصر على جزء معين من العالم وليس كله، ما يعتبر تناقضاً واضحاً في ضبط مفهوم العولمة.

يؤيد هذا الاتجاه أنصار الديمقراطية الاشتراكية التي يمثلها "التقليديون الماركسيون"، حيث ينظر هؤلاء إلى عولمة أنها من اختراع الليبراليين الجدد بما أنها تخدم مصالحهم، وأنها ليست بالواقعة الجديدة بل بديية، تم تناولها واستشرافه من قبل، نجد كارل ماركس Karl Marx في أحد مخطوطاته لعام 1844 يقتبس مقولة لدافيد ريكاردو David Ricardo من كتابه ريع الأرض أن "الأم ليست سوى ورش إنتاج، والإنسان آلة للاستهلاك والإنتاج، والحياة الإنسانية نوع من رأس المال، والقوانين الاقتصادية تحكم العالم بشكل أعمى"²، فأطروحة أن الاقتصاد يشكل محور العالم تخضع لقوانينه الحياة الإنسانية، وتمتد الأم لتكون مانيفاتورات تخدمه، ويزول طابع الإنسانية بسببه عن البشر لتحل محلها التقنية هو وصف محين للعولمة كما نعرفها اليوم. وقد جاء بيان الحزب الشيوعي The Communist Manifesto 1848 بما فيه إشارة للعولمة ومؤثراتها كما نعرفها الآن:

"إلا أن الأسواق كانت تتسع باستمرار والطلب يزداد دوماً. وهكذا أصبحت المانيفاتورة بدورها قاصرة عن تلبية طلب السوق. عندئذ ثور البخار والآلة الإنتاج الصناعي.. خلقت الصناعة الكبرى السوق العالمية، هذه السوق التي ساعد اكتشاف أميركا على خلقها.. سرعت هذه السوق العالمية نمو التجارة والملاحة وطرق المواصلات تسريعاً مذهلاً. وأثر هذا النمو بدوره على توسع الصناعة، وبقدر ما كانت الصناعة، والتجارة، والملاحة والسكك الحديدية تنمو، ترافقت كل مرحلة من مراحل التطور هذه التي اجتازتها البورجوازية بتقدم سياسي أحرزته هذه الطبقة. وما إن نمت الصناعة الكبيرة وظهرت السوق العالمية حتى استولت البورجوازية في نهاية المطاف على السيادة السياسية الكاملة في الدولة النيابية الحديثة"³.

الملاحظ فيما سبق وفي محطات مختلفة من البيان أنه تناول مباشرة أو بالتضمن العولمة والمفاهيم المرتبطة بها خاصة في الشق المتعلق بحركة السلع ورؤوس الأموال عبر الأسواق العالمية ودور البرجوازية التي تمثل اليوم ثلاثية هيرست وتومسون آفا، الشركات متعددة الجنسيات، التجارة العابرة للقوميات، نزع السيادة السياسية وإضافاً لها، اكتشاف العالم الجديد ودوره في تسريع وتيرة ومدى عالمية الأسواق ما يعرف الآن بالأمركة. ما يجعل من العولمة واقعة معروفة يبالغ في تقدير وجدة تأثيرها وتبعاتها.

من هذا المنظور ينظر إلى أن "عصر العولمة" حتى وإن كان واقعا حقيقيا في الفترة التي شهد فيها العالم تحررا اقتصاديا وتطورا لتقنيات الاتصال وبرزوا لأجندات حقوق الإنسان، وترابط العالم بأشكال مختلفة؛ فإن ذلك العصر قد انتهى مع بداية

¹ بول هيرست وغراهام تومسون، ترجمة: إبراهيم فتحي، مساهمة العولمة: الاقتصاد الدولي وإمكانات التحكم، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1999، ص 5-4.

² كارل ماركس، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، مخطوطات كارل ماركس لعام 1844، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1974، ص 46.

³ "جاءت البرجوازية في البيان بمعنى: طبقة الرأسماليين العصريين، المالكين لوسائل الإنتاج والمستغلين للعمل المأجور (أنظر: بيان الحزب الشيوعي، الحاشية السفلية، ص 45)

³ كارل ماركس وفريدريك إنجلز، مرجع سبق ذكره، ص 51-58.

القرن الحادي والعشرين لأن مسار الأحداث التاريخي الذي كان متوقعا في نهاية القرن العشرين قد أثبت عدم حقيقته إثر الأحداث الدولية والأزمات المتعددة للمنظمات الدولية كحلف الشمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي وهو ما أعاد التأكيد على أهمية المصالح الوطنية والقومية كقوة حقيقية.

• الأطروحة الثالثة: التحويليون Transformationalists.

"تمثل العولمة القوة الكامنة وراء الكثير من التغيرات العالمية، إلا أن الدول وأنظمتها ليست مهددة بالأفول بل تتجه لتكون عالمية النزعة".

التحويليون أو دعاة التغيير، وهم الذين يتخذون موقفا وسطا بين أنصار العولمة والمتشككين، حيث يرون أن العولمة بالفعل أعادت تنظيم بنية الدول بواسطة عملية الاندماج في العالمية ولكن بتجسيدها داخل الدولة الوطنية. يعتبر التحويليون من أمثال أنتوني جيدنز Anthony Giddens الذي يشير في كتابه **علم الاجتماع** أن "النظام العالمي يشهد مرحلة من التحول غير أن كثيرا من الأنماط القديمة ظلت على حالها دون تغيير وأن مستوى العولمة الحالي بدأ يهدم الحواجز بين ما هو داخلي وخارجي ودولي ومحلي"¹، فالدول لم تفقد سيادتها بل تواجه ضرورة لإعادة تكييف نظمها مع ما تفرضه النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية العالمية. كما يعتبر جيمس روزينو Rosenau James من أهم التحويليين الذين يرون أن للعولمة ذات طبيعة غير مسبقة، بتدفقاتها الاقتصادية وكذا السياسية، الاجتماعية والثقافية، التي ساهمت في رفع مستويات التواصل الكوني، حيث لم تعد مقتصرة كما ترى الموجتان السابقتان على القوى الرأسمالية بل توسع نطاقها إلى التصنيع والدولة-الأمّة والتطورات التقنية والثورات العلمية، ومن هذا الموضع يكون النظر إلى العولمة باعتبارها قوة كونية تحويلية قادرة إحداث تغييرات كبرى على الأنظمة العالمية².

يطرح أنصار العولمة حول **مركزية العولمة**، باعتبارهم ثنائية الهامشية/ مركزية Marginalization/Centralization في التعبير عما تخلقه العولمة من انقسام جغرافي وعلائقي بين دول العالم، وأنها مسيرة من جانب واحد في العالم حيث تشير الثنائية إلى "التهميش الجغرافي للأمم والمؤسسات لا سيما في ما يتعلق بالتقسيم الشمالي الجنوبي ونموذج المركز والهامش الخاص بنظرية الأنظمة العالمية"³، وهو ما ينفية التحويليون حين يرون فيها عملية دينامية تأخذ أبعادا متعددة، وتتخذ اتجاهين اثنين متعاكسين، فهي تتأثر على المحلي بنفس المنطق الذي تؤثر به عليه، من حيث أنها عملية مفتوحة وانعكاسية تفرض تدفقات منتجة **للتعايش الثقافي**، الذي وصفه دومينيك وولتون Dominique Wolton بأنه واقع وغرض ومفهوم، "واقع" من حيث أنه ضرورة ملحة لتنظيم تعايش الثقافات على الصعيد العالمي، و"غرض" سياسي كونه يمثل ضرورة تجنب تحول الثقافة والاتصالات إلى عامل حرب إضافي و"مفهوم" يدفع إلى ضرورة

¹ أنتوني جيدنز، **علم الاجتماع**، مرجع سبق ذكره، ص 133.

² بول هوبر، مرجع سب ذكره، ص 20.

³ أنابيل موني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص ص 110-111.

التبصر بالعملة¹، وتحليلها من حيث البنية والممارسات والنظم^{*}، وذلك في إطار ما يتجه إليه العالم من كونية. وقد لخص أنتوني غيدنز نقلا عن دافيد هيلد David Held اختلاف التصورات حول العملة في الجدول التالي:

الجدول رقم (01): نهج العملة الثلاثة.

العناصر	المعملون الأوائل Hyperglobalists	المتشككون skeptics	التحويليون Transformationalists
ما هو الجديد؟	عصر العملة	التكتلات الاقتصادية والتجارية ودرجة أقل من الحكم عن الفترات السابقة على مساحات جغرافية محددة	مستويات غير مسبقة تاريخيا من الترابطات الكوكبية
المعالم الغالبة	الرأسمالية العالمية، الحكم العالمي، المجتمع المدني العالمي.	عالم يقل فيه الاعتماد المتبادل المتداخل عما كان عليه في أواخر التسعينات من القرن التاسع عشر	عملة "غليظة" (كثيفة ومتسعة)
قوة الحكومات الوطنية	متضائلة ومتناكسة	تعزز وتتوسع	توليفية ومهيكلية
القوى الدافعة للعملة	الرأسمالية والتقانة	الحكومات والأسواق	تضافر قوى الحداثة
أنماط التراتب/التدرج الاجتماعي	تآكل صيغ التنظيم المؤسسي القديمة	التهميش المطرد للجنوب	معمار جديد للنظام العالمي
الموضوع الغالب	ماكدونالدز، مادونا، إلخ	المصالح الوطنية	تحولات في الجماعة السياسية
تصور العملة	إعادة تنظيم إطار الفعل الإنساني	تدويل وأقلمة	إعادة تنظيم العلاقات البينية الإقليمية والفعل عن بعد
المنحنى التاريخي	الحضارة/ المدنية العولمية	تكتلات إقليمية/صراع الحضارات	مرحلة وسيطة من الاندماج والتجزئة العالمية
خلاصة الرأي	نهاية الدولة القومية	التدويل يعتمد على مدى ما تبديه الحكومات من قبول ومساندة	العملة تعني تحولا في سلطة الحكومات وفي السياسة العالمية

المصدر: أنتوني غيدنز، ترجمة: فايز الصياغ، علم الاجتماع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 132.

فالتصورات المختلفة للعملة، بين من يرون أنها واقعة حتمية لا مفر منها وأنها أزلت الحداد الوطنية اقتصاديا سياسيا وثقافيا وأنهت سيادة "الدولة القومية"، ومن يناقضونهم ويرون أنها لم ولا تحدث حقا فيشكلون بواقيتها ومطلقية أثرها وأنها عبارة عن أسطورة، واتجاه أخير يقف في المنتصف ويرى أننا دخلنا بالفعل عصرا جديدا هو خطوة نحو التطور وأن الحدود المحلية والعالمية أصبحت أكثر ترابطا تحت إطار "الكوزموبوليتانية".

¹ دومينيك ولتون، مرجع سبق ذكره، ص 80.

^{*} تمس دراسة العمليات الكونية في ضوء هذه العناصر الثلاث (الأنظمة الاجتماعية والممارسات والنظم) موضوعات تقليدية في علم الاجتماع تقع في إطار ما يعرف بعلم اجتماع العملة، أنظر: ساسكيا ساسن، ترجمة: علي عبد الرزاق جلي، علم اجتماع العملة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.

خلاصة:

وقد جاء هذا الفصل لتناول مفهوم العولمة ومظاهرها من الفترات المبكرة إلى يومنا هذا، كما تم من خلاله توضيح أن العولمة مفهوم متعدد المداخل بدءاً بالمدخل الاقتصادي مروراً بالسياسي وصولاً إلى المدخل الثقافي، وهو ما يوسع دائرة تأثيرها على الهوية وأبعادها كما تفترض الدراسة الحالية، كما أن تعددها هذا يعدد كذلك وجهات النظر إليها بين قبولها أو مناهضتها أو إلغاء وجودها من الأساس، وقد تناول الفصل كذلك موقع العولمة سواء كلفظ عن طريق تفريقها عن مفاهيم أخرى مشابهة لها أو كدلالة في التراث المعرفي وما جاء به المتخصصون في حقل العولمة البحثي، ثم التخصص أكثر فيما هو سوسيولوجي وأثروبولوجي، وذلك من أجل تناول تموقع كل من الثقافة والهوية ضمن عالم معوم بين ثنائية "المحلي/الكوني"، وهو موضوع الفصل اللاحق.

العولمة من خلال كل ما سبق تشير إلى الروابط الاقتصادية، السياسية، الثقافية والاجتماعية المنتشرة عالمياً، ومنتجة لأشكال معقدة من عمليات أصبحت اليوم من أهم منظورات تحليل الخطاب الاجتماعي والثقافي والخطابات السياسية والاقتصادية، تشير أيضاً إلى مرحلة تتجدد فيها نهج استشراف المفكرين للعالم من خلال العولمة، لبدايات مراحل زمنية ومكانية، اجتماعية، اقتصادية وسياسية ونهاية أخرى، فيأتي الجغرافيون بأطروحة "نهاية الجغرافيا" التي يدمر فيها الزمن الفضاء، والاقتصاديون والسياسيون بأطروحات نهاية التاريخ ونهاية المواطنة، والسوسيولوجيون يتنبؤون بميلاد مجتمعات شبكية وافترضية محل أو بالتوازي مع المجتمعات الفعلية تصبح بها الحدود الثقافية للمجتمعات وخصوصياتها شفاقة أمام العالم.

الفصل الثاني:

الهوية في عالم العولمة:

بين قومية الثقافات وكونيتهما

مضمون الفصل:

تمهيد.

المبحث الأول: بين الثقافتين القومية والكونية.

المطلب الأول: العولمة والثقافة القومية.

- في مفاهيم: الأمة، القومية، والثقافة القومية.
- خطابات القومية: الهوية؛ الزمان والمكان.
- استمرار الثقافات القومية في عصر العولمة.
- أثر التدفق الثقافي الكوني على الثقافات القومية.

المطلب الثاني: العولمة والثقافة الكونية.

- مساءلة الثقافة الكونية.
- انتشار الثقافات الهجينة: الشائفة، الكروبولية وثقافة الأفضية الثالثة.

المطلب الثالث: عولمة المعلومات والتواصل الكوني.

- وجهات النظر حول دور المعلومات في التواصل الكوني.
- الإنترنت والعودة إلى الحدود القومية.

المبحث الثاني: أطروحة المجتمع الشبكي: الهوية في ظل الاتصال العابر للثقافات.

المطلب الأول: مفهوم المجتمع الشبكي.

- في معنى الشبكة.
- المجتمع الشبكي.
- خصائص المجتمع الشبكي.

المطلب الثاني: التنظير لعلاقة التقنية بالمجتمع.

- من التقنية الشبكية إلى المجتمع الشبكي.
- المقاربات النظرية لعلاقة التقنية بالمجتمع.

المطلب الثالث: الهوية الشبكية.

- تعريف الهوية الشبكية.
- أشكال الهوية عند مانويل كاستلز.
- الهوية، القومية والعولمة عند مانويل كاستلز.

خلاصة.

تهيد:

"تقع العولمة في القلب من الثقافة الحديثة؛ وتقع الممارسات الثقافية في القلب من العولمة.."

جون توملينسون، العولمة والثقافة، ص 9.

بعد مناقشة العولمة في الفصل السابق بمختلف منظوراتها وأبعادها ووجهات النظر حولها، نحاول في هذا الفصل التعمق أكثر، التعمق في ديناميات العولمة وإبعادها لظاهرة الثقافة عن الحدود الجغرافية، على أساس أن دينامياتها في المجال الثقافي تقودنا إلى مناقشة نزعتها للطابع المناطقي عن الثقافات، وتوجيهها ومنه توجيه الهويات القومية إلى الكونية، فتناقش العولمة هنا ضمن جدلية: أنها ذروة الاجتثاث الثقافي وآلة لإزالة الخصوصيات الهوياتية، أو أنها فرصة للتفاوض بين المحلي والكوني.

وكما رأينا في الفصل السابق، لكل عصر مميزات وآليات عولته، وميزة عصرنا هذا هو التقنية لذا سيناقش الفصل في شقه الثاني العولمة كما نفهمها اليوم، أي دور الاتصال ووسائله وعولمة المعلومات والتقدم التقني في توطيد سيرورة الكوكبة بالاستناد إلى أطروحة "المجتمع الشبكي" في جمعها لمتغيري العولمة والهوية في ظل التقنية، فنحاول على ضوء ذلك فهم صعود مجتمع الشبكة الذي يقع في قلب السوسولوجيا رغم أنه يبدو لأول وهلة مفهوما تقنيا ينضوي على ممارسات اقتصادية وسياسية، فوصفها أنتوني غيدنز من أجل ذلك بأنها "ستكون مصدرا مرجعيا رئيسيا لسنوات قادمة..". فما هي الثقافات القومية؟ ثم ما هي الثقافات الكونية؟ وأين موقعها من أطروحة المجتمع الشبكي؟ هي التساؤلات التي سيناقشها هذا الفصل.

الكلمات المفتاحية للفصل: الثقافة، القومية، الكونية، عولمة المعلومات، المجتمع الشبكي، قوة الهوية.

المبحث الأول: بين الثقافتين القومية والكونية.

يتناول هذا المبحث الثقافة ومنه الهوية بين خصوصيتها وانتمائها إلى قومية محددة وبين كونيتها وانعتاقها من تلك الحدود، كما سيخصص جزءاً لمناقشة عولمة المعلومات ودورها في ثنائية القومية/كونية تمهيداً لمناقشة مفهوم المجتمع الشبكي في المبحث الذي يليه.

المطلب الأول: العولمة والثقافة القومية.

• في المفاهيم: الأمة، القومية، الثقافة القومية:

عادة ما يتم استخدام لفظين مختلفين في سياق التعبير عن الانتماء إلى الأمم، وهما لفظاً "القومية" Nationalism و"الوطنية" Patriotism، وتوخياً للوضوح والحذر في استخدام المفاهيم، فإن استخدامنا للفظ "القومية" هو مرادف للفظ "الوطنية" في الإشارة إلى الانتماء إلى أمة والاتصاف بخصوصياتها وليس بالمعنى الذي يرادف لفظ الشوفينية Chauvinism أو يعني التعصب لقضية ما والوطنية والولاء المبالغ فيها¹، والأول هو المعنى الذي نريد الالتزام به في تناولنا للهوية بفرض الوطنية صفة تعود على موصوف وليست نزعة من نزعات بناء الأمم في العصر الحديث، فأبسط مثال أننا نجد ترجمة "الهوية الوطنية" National Identity وليس Patriotic Identity. واقع الأمر أنه من الصعب التفرقة بين القومية والوطنية، لأنهما:

أولاً: يشيران لغويًا إلى سمة واحدة، فإذا كانت القومية تعني "ما هو خاص بأمة" -كما سنرى- فإن الوطنية هي الشعور الملزم لذلك الانتماء فهي تعني "حب الوطن والشغف الذي يدفع الإنسان إلى خدمته سواء في الدفاع عنه، حماية حقوقه والحفاظ على قوانينه ومؤسساته"²؛

ثانياً: أن كلاهما يفرقان بين "نحن" و"هم"، إذ صاغ لذلك زيجمونت باومان ما سماه بالمذهب القومي/الوطني وأن "نحن" في إطاره تعني أناساً مثلنا مهما زادت الاختلافات بيننا، أما "هم" فتعني أناساً مختلفين عنا مهما زاد وجه الشبه بيننا "فالحدود التي تفصل "نحن" و"هم" مرسومة بوضوح ويسهل إدراكها وتحديدها، مادامت شهادة الانتماء.. وبطاقات الهوية الشخصية تحتوي على سؤال واحد فقط، وإجابة واحدة فقط: نعم أولاً"³، أي منتمٍ إلى هذا الوطن أم غير منتمٍ.

فإذا كانت هذه الاختلافات قد تكون في بعض الأحيان مفيدة من الناحية التحليلية، إلا أننا عندما نفحص الأصول التاريخية والاجتماعية للأمة الحديثة، وأنواع الرموز والأفكار التي تميل الهويات الوطنية إلى الالتحام حولها، نجد كلا من أن الوطنية والقومية، بعيداً عن كونها أشكالاً منفصلة للهوية، هي في الواقع مرتبطة ارتباطاً وثيقاً تقريباً ببناء أي هوية وطنية⁴، وهو

¹ William Dwight Whitney (Editor), Part IV, Opcit, p 938.

² William Dwight Whitney (Editor), Part XV, Opcit, p 4330.

³ زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، مرجع سبق ذكره، ص 249.

⁴ Steven J. Mock, "Civic Patriotism Vs Ethnic Nationalism ", in: **Handbook of Patriotism**, Edited by: Mitja Sardoč Springer, Switzerland, 2020, p 533.

ما يهمنى في هذه الدراسة بغض النظر عن اعتبار أن "القومية وطنية مكروهة، والوطنية قومية مستحبة" كما يقول برنارد ياك Bernard Yack¹. أو عن الفروق القيمة التي تسعى إلى "إنقاذ" الوطنية من الدلالات السلبية للقومية.

1. الأمة Nation:

يختلف أصل لفظ "أمة" بين اللغتين العربية واللاتينية، ولو أنها متقاربان، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور أن الأمة هي "الطريقة والدين ويقال فلان لا أمة له أي لا دين له ولا نخلة"²، والأمة أيضا "هي القرن من الناس.. والأمة الجيل والجنس من كل حي"³، بمعنى أن الأمة هي جماعة من الناس تنسب إلى دين واحد ونخلة واحدة مميّزين لها عن غيرها من الأمم. أما اللفظ Nation فقد جاء أكثر تحديدا واقتربا من مفهوم الأمة الشائع، وهو يرجع إلى اللفظ اللاتيني Natio من الاسم Nat أي الولادة أو "إله الولادة" والفعل Nasci بمعنى وُلد، بمعنى أنه يشير إلى الأصل الواحد والمشارك، وللفظ مجموعة معانٍ حسب المعجم الموسوعي للغة الإنجليزية:

- بالمعنى الواسع تعني الأمة "مجموعة من الأشخاص من نفس العرق، يتحدثون نفس اللغة أو لغات مماثلة";
 - بمعنى أضيق، فالأمة "مجتمع سياسي يتألف من دولة ذات سيادة أو حكومة ومن رعايا أو مواطنين ويشكل وحدة سياسية؛ وهو مجتمع منظم يقطن نطاقاً معيناً من الأراضي، حيث تمارس سيادته داخله";
 - الأمة مجموعة من السكان جعلها تاريخها الصحيح واحداً في حد ذاته، وبالتالي فهي متميزة عن الآخرين.⁴
- الأمة إذن جماعة من الأشخاص تجمعهم وتميزهم خصائص ثقافية كالأصل والعرق واللغات، وخصائص سياسية تنظيمية ومواطنة، وهي جماعة تتشارك تاريخاً يميزها ومنطقة جغرافية محددة تمارس فيها سيادتها.

2. القومية Nationalism:

نلاحظ هنا أن مفهوم الأمة يحتمل معانٍ ووجهات نظر مختلفة وهو ما ينعكس على مفهوم القومية Nationalism الذي يتأصل منها، فإذا كان لفظ القومية يعني لغويًا "ما هو خاص بأمة؛ وهي سمة قومية أو خصوصية"⁵، فهو يتعدد حسب المدارس الفكرية ومنظورها له، ويمكن أن نذكر هنا أربعة مفاهيم: مفهوم بدئي (أصلي)، مفهوم حدائي، مفهوم رمزي عرقي، ومفهوم مناطقي:

أولاً: المفهوم البدئي (الأصلي) Primitive Concept:

يعتقد دعاة هذا المفهوم من أمثال كليفورد غريتز Clifford Greetz أنه يمكن تعريف الدول والثقافات القومية بالرجوع إلى الحضارات الباكّة حيث تكون القوميات امتداداً لعلاقات القرى وسلوكاً إنسانياً وإشباعاً لحاجة إنسانية كما أنها

¹ Bernard Yack, "Can Patriotism save us from Nationalism?: Rejoinderto Virioli," **Critical Review**, Vol. 12, No. 1-2 (1998), pp 20-23, according to: Steven J. Mock, Opcit, p 247.

² جلال الدين ابن منظور الأنصاري، الجزء السابع، مرجع سبق ذكره، ص 213.

³ المرجع نفسه، ص 215.

⁴ William Dwight Whitney (Editor), Part XIV, Opcit, p 3939.

⁵ Ibid, p 3939.

يمكن أن تختفي وتعاود الظهور عبر التاريخ¹، وهذا يذكرنا مباشرة بمنظور ابن خلدون للأمم والعصبيات التي تخلق كتلية لحاجة الاجتماع الإنساني.

وربما يعتبر ورود مفهوم "أمة" في القرآن الكريم أفضل مثال على المفهوم الباكر لها، إذ ورد اللفظ مفردا سبع وأربعين مرة ومضافا إليه مرتين وبالتعريف مرة واحدة وجمعا في اثني عشر موضعا بمعان عديدة منها: الجماعات من الجنس البشري التي تجتمع على مذهب ودين: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً" (البقرة|213)، والجماعة المجتمعة على أمر واحد ومقصد واحد: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ" (القصص|23)، وجاءت الأمة في النسق القرآني أيضا تعبيرا عن الروابط الأسرية والقرابة النسبية والصلات الإنسانية التي تتألف منها الأمة والتي تتطور إلى باقي الأنساق الاجتماعية من قبيل: الفصيلة والعشيرة والرهط والشعوب والقبائل حيث تكون الأمة ناطمة لكل تلك الأنساق².

ثانيا: المفهوم الحدائي Modern Concept:

يفسر الحداثيون القومية والثقافات القومية على أنها ناتجة عن تطورات حدثت في أوروبا ثم العالم، وأنها تاريخيا تنتمي إلى حقبة نهوض الرأسمالية، فيرى بنيدكت أندرسون أن ظهور الطباعة كان العامل الحاسم في انتشار القومية لأن الصحف والكتب؛ أعطت الناس القدرة على "تخيل" أنهم جزء من جماعات قومية يشتركون معها في خصوصيات رغم عدم تعارفهم، أما إرنست جيلنر Ernest Gellner فيرى أن الصناعة والتصنيع ونهاية المجتمعات الإقطاعية المشتتة مقابل صعود المجتمع الصناعي الذي يفترض تنظيما للقوانين، العملات، اللغات.. وغيرها، كلها سهلت تصور صعود قوميات بعينها³، كما حدد بضع سمات تحدد مفهوم القومي من منظور حدائي: نظام تعليمي رسمي مشترك؛ التجانس الثقافي؛ مراقبة مركزية للنظام السياسي/تحكم بيروقراطي واسع النطاق؛ الوحدة اللغوية؛ الهوية الوطنية؛ والتشابه الثقافي كأساس للشرعية السياسية⁴.

ومنهم؛ على غرار إيريك هوبسباوم Eric Hobsbawm من يرى أن القومية "اختراع" من طرف النخب للحفاظ على أوضاعها قائمة، فـ"مؤسسو" Founders الدول القومية* يعتبرون الأمم وحدات سياسية وليست سوسيو-أنثروبولوجية؛ وتتألف إثر قرار شعب ذو سيادة يعيش في ظل قوانين عامة ودستور مشترك، وذلك بغض النظر عن الثقافة واللغة والتركيب العرقي⁵، الأخيران (جيلنر وهوبسباوم) يعرفان القومية أنها "ببساطة تلك المجموعة القبلية، أو أي نوع آخر من المجموعات شكلتها ظروف أو جهد، والتي تنجح في أن تصبح قوة فعالة في ظل الظروف الحديثة.. والنجاح يعني بناء دولة قومية حديثة ذات

¹ بول هوبر، مرجع سبق ذكره، ص 150.

² توفيق البديري، "مفهوم الأمة وأوصافها في القرآن الكريم"، إسلامية المعرفة: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، السنة الرابعة والعشرون، العدد. 94، المغرب، 2018، ص ص 88-93.

³ بول هوبر، مرجع سبق ذكره، ص ص 151-152.

⁴ Thomas Hylland Eriksen, "Nationalism and the Internet", **Nations and Nationalism**, Vol.13, Issue. 1, The United States of America, 2007, p 14.

* الدولة القومية Nation-State: أرض تسيطر عليها حكومة واحدة، ويسكنها شعب متميز يمتلك ثقافة مشتركة تشكل هوية مواطنيها. أنظر: أوموت أوزكريملي، ترجمة: معين الإمام، نظريات القومية: مقدمة نقدية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، ص 394.

⁵ Eric Hobsbawm, "Language, Culture and National Identity", **Social Research**, Vol.63, No.4, The United States of America, 1996, p 1066.

سيادة"¹، يعني ذلك أن أي مجموعة قادرة على تشكيل قومية مادامت قادرة على بسط سيادتها وقوتها، سواء بدأ تشكيلها من عرق أو مكان بعينه أو من أعراق وأمكنة متعددة ومختلفة.

ثالثا: المفهوم الرمزي-العرقى Ethnosymbolic Concept:

يناقض هذا المفهوم سابقه لعدم قدرته على تفسير العاطفة التي تمتلكها الجماعات تجاه قومياتهم والتي لا يمكن أن تنطبق مع تصور "اختراع" القوميات، ويكون مفهوم القومية هنا عرقيا، يعبر عنه بالرمزية العرقية * Ethnosymbolism ومن أهم السوسيولوجيين مناداة بهذا المفهوم هو أنتوني سميث² Anthony Smith في جل كتاباته الذي يعبر عن القومية بمصطلح الإثنو-الأمة³، حيث يشير إلى النمو التاريخي للأمم بدء من عرق واحد أو أكثر، وهذا المفهوم يشكك في المفهوم السابق للقومية حيث يرى بالوجود الحقيقي للأمم والقوميات قبل اكتمال القومية بمفهومها في العصر الحديث.

رابعا: المفهوم المناطقي Territorial Concept:

أحد أهم تعريفات الأمة أنها "مجتمع منظم داخل منطقة محددة؛ أو بعبارة أخرى، يجب أن يكون هناك مكان تمارس فيه سيادتها وحدها"⁴، كما أنها "مجتمع إقليمي لمواطنين يحملون هوية لدولة قومية ذات ثقافة مدنية.. تؤسس مكانا يسمح بتنظيم الحياة الاجتماعية والثقافية والتواصل، والإدارة والحياة الاقتصادية.. يعيش الناس داخل مجتمعات تجمعهم لغة واحدة وتاريخ، ويشاركون في احتفالات قومية وطقسية"⁵، فيكون منظور القومية هنا مشتملا على الخصوصية الإثنية والجانب التنظيمي والسيادي لكنه يضع الحدود الإقليمية في المقام الأول فبدونه لا يمكن أن تمارس قومية ما حياتها الاجتماعية.

ويمكن إضافة مفهوم آخر يحاول إزالة التقليدية عن تسير القومية وهو المفهوم "ما بعد قومي" Post-Nationalism: الذي يحاول رواه الماضي قدما والتفكير فيما هو أبعد من الحدود القومية التي تأسست عليها الدول تقليديا و"المقصية" للثقافات الأخرى.

ما الغرض من هذا التقسيم في فهم وتفسير علاقة الثقافة القومية بالكونية؟ هذا التقسيم يقدم لكل مفسر نموذجاً نظرياً لاستشراف هذه العلاقة، فالذين يستشهدون بالتاريخ الطويل للأمم والقوميات وقدرتها على المقاومة وتجذرها كنظام أو كعاطفة، يرون أن الثقافات القومية يمكن أن تصمد في وجه العولمة المعاصرة مثلاً صمدت أمام مختلف مظاهر العولمة المبكرة وتبقى محافظة على خصوصياتها، أما الذين يعتبرونها مجرد اختراع حديث أو ظاهرة عابرة فيرون أن الثقافات القومية يمكن أن تنكمش نتيجة

¹ رونالد روبرتسون، مرجع سبق ذكره، ص 155.

* الرمزية العرقية: هي مجموعة الرموز الاجتماعية والثقافية التي تنفرد بها جماعة من الناس، أو عرق من الأعراق، وتعبر عن طبيعته وخصوصيته.

² أنتوني دافيد ستيغان سميث Anthony David Stephen Smith (1939-2016) عالم اجتماع تاريخي بريطاني متخصص في دراسات القومية والعرق، ويعتبر من مؤسسي الحقل متعدد التخصصات الدراسات القومية، كتب وشارك في أكثر من خمس وعشرين كتاباً حول القومية ذكر منها ما يقع في إطار موضوعنا: نظريات القومية Theories of Nationalism 1971، الدولة والأمة في العالم الثالث State and nation in the Third World 1983، الأصول العرقية للأمم The Ethnic Origins of Nations 1986، الهوية الوطنية National Identity 1991، الأمم والقومية في عصر عالمي Nations and Nationalism 1995، الأسس الثقافية للأمم Cultural Foundations of Nations 2007.

³ Anthony D. Smith, **National Identity**, Penguin books, England, 1991, p 82.

⁴ William Dwight Whitney (Editor), Part XIV, Opcit, p 3939.

⁵ لاري راي، مرجع سبق ذكره، ص ص 117-118.

العولمة دون أن يحدث ذلك اختلالاً، لأنها لم تكن موجودة في مراحل مبكرة من الزمن لذلك يمكن ألا توجد في مراحلها المتأخرة، ويمكن بذلك الاتجاه نحو ثقافة ليست حصرية، كما يمكن أن تكون في إطار القومية الواحدة متعددة الإثنيات، اللغات والديانات والأصل الثقافي ككل، فرجل هندي الأصل يمكن أن يعيش في لندن، يتحدث الإنجليزية ويدين بدين الإسلام ويصف نفسه مع كل هذا التنوع بأنه مواطن بريطاني¹، لذلك اعتبر هوبسباوم البشر كائنات متعددة الأبعاد، ويمكن أن كل ما سبق في نفس الوقت ونفس المكان، أما من يتبعون النموذج التفسيرى الإثنى من أمثال سميث فسيفسرون الهوية على أنها ذات أصل واحد كما سنرى.

3. الثقافة القومية National Culture:

إن الثقافة تتطور بحيث تصبح بما تحمله من لغة ومعتقدات وأدوات وأعراف... تخدم حماية حياة المرء وتحسن نوعيتها، لأن ما ندعوه "ثقافة" كما يؤكد كليفورد غريتر ومنظوره البنيوي للثقافة هو قدرة الإنسان على الترميز وإلحاق المعاني بالأشياء والأحداث ونقل ذلك من جيل إلى آخر، فتشترك مجموعات مع أخرى ببعض في خصائص تدعى الثقافة العامة، والتي تميز كل التراثات بشكل عام، وتنفرد فيها بخصائص أخرى تميز ثقافة ما بذاتها، فتكون لكل مجموعة من الناس (قبيلة، أمة) أنظمتها الخاصة التي تطورها ضمن ما يمكن تسميته بـ "ثقافتها الخاصة"²، وهي ما نريد هنا التعبير عنه بالثقافة القومية.

بالرغم من وجود تيار فكري يرفض تماماً مقولات الثقافة القومية، على اعتبار عدم وجود ثقافة نقية Pure Culture مرتبطة بأمة وتمثل قومية بعينها بشكل صرف، نتيجة التداخل في السمات الثقافية عبر التاريخ والمكان، فـ "الثقافة من حيث هي ثقافة لم تكن أبداً قومية، لأنها تمتد خلف الإطار السياسى لكيان الدولة ولا تحبس داخل أي حدود قومية.. ونظرة موجزة على ميادين متنوعة من الحياة الثقافية تؤكد هذا"³، فهذا المنظور ينفي ارتباط الثقافة بأي من مفاهيم القومية سابقة الذكر، حيث نزع عنها خصوصيتها. إلا أن الثقافة باعتبارها مصدراً للمعاني وباعتبارها الكل الذي يكتسبه الفرد من مجتمع ما؛ إذا هي بالضرورة تعبر عن ذلك المجتمع وتحيل إليه.

الثقافة القومية كما عرفها أوتو باور Otto Bauer في دراساته حول سؤال القوميات والديمقراطية بأنها سمات تميز الشخصية القومية، هي "مجموع السمات الجسدية والذهنية الخاصة بالأمة.. والمميزة لمط سلوك الأفراد وهي تعبير عن مصير الأمة المشترك"⁴؛ بمعنى أن الثقافة القومية هي مجمل الخصائص التي تميز فرداً منتمياً لقومية ما عن فرد منتمٍ لقومية أخرى.

وفي كتابه "معذبو الأرض" وضع فرانز فانون Frantz Fanon أحد الفصول بعنوان الثقافة القومية، تناول فيه منظورا أعمقاً للثقافة وتفسيراً يربطها بأمة معينة دون غيرها لتشكيل بالفعل ثقافة قومية، حيث اعتبرها فاعلاً في الكفاح من أجل الحرية القومية، ونتيجة للوعي بها، فهي تتجاوز التراثات الفلكلورية التي تقتصر على مجموعة العادات الحركية والتقاليد المتعلقة بالملابس

¹ Eric Hobsbawm, Op cit, pp 1067-1068.

² كليفورد غريتر، ترجمة: محمد بدوي، تأويل الثقافات، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص 13.

³ رودولف روك، ترجمة: أحمد زكي أحمد، القومية والثقافة، الجزء الثاني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018، ص 305.

⁴ أوموت أوزكيرملي، مرج سبق ذكره، ص 57-58.

والنظم المجزأة والمفتتة، ومنه فقد اعتبر الثقافة القومية أنها تعبير عن الأمة ومفضلاتها، محرماتها ونماذجها ومجموع توتراتها الداخلية والخارجية¹، وعرفها بأنها "مجموعة الجهود التي يبذلها شعب من الشعوب على صعيد الفكر من أجل أن يصف وأن يبرر وأن يُعني النضال الذي به يتكون الشعب ويبتقى"²، وهنا ضرب مثالا بالشعب الجزائري الذين كاخ في سبيل الحرية الجزائرية حين كاخ في سبيل ثقافتها التي لم تنشأ في أفضيتها النضالية بل نشأت أثناء المعارك، وفي السجن، وأمام المقصلة، والتي تطع بها الجزائر نفسها إلى اليوم، فيقدم هذا المنظور تصورا للدور الذي تلعبه الثقافة بالنسبة للأمم وما الذي قد يعنيه اختراقها تحت مسمى الثقافة الكونية.

• خطابات القومية: الهوية؛ الزمان والمكان.

تقوم الخطابات القومية على ثلاثة مكونات، مكون الهوية، مكون الزمان وتاريخ الأمة، والأرض المنطقة، وكنا قد لاحظنا حضور هذه المكونات مرارا في تفسير مظاهر العولمة على غرار تقسيم مارك أوجي للحدث المفردة.

1. **مكون الهوية:** تشدد خطابات القومية على السمات والصفات التي تميز "نحن" عن "هم"، حيث تضع الهوية وقيم الأمة والولاء لها كأولوية مطلقة، كما تقدم هذه الخطابات "الأمة" على أنها المصدر الأول للشرعية السياسية والاجتماعية ومنه المصدر الأول للسيادة، لذلك نجد المكونات الهويةية والمميزة لشخصية أمة عن غيرها تنصدر غالبا دساتيرها.

2. **مكون الزمان:** أصبحت نهاية القرن العشرين وبداية الحادي والعشرين تلعب بعصر النسيان، فيعتقد كل من فردريك جيمسون Fredric Jamson وغيره من علماء الاجتماع أن نظامنا الاجتماعي المعاصر بدأ يفترق إلى قدرته في الحفاظ على ماضيه فيما سماه إيريك هوبسباوم "آليات تدمير الماضي" والافتقار إلى العلاقة العضوية بين الماضي والحاضر، والذي ارتبط بفصل الحياة الاجتماعية عن طابعها المحلي Locality وتداعيات التقانة، السرعة الفائقة، النزعة الاستهلاكية وغيرها من أسباب تآكل المعنى الذي يستند إلى الذكريات المشتركة³، من أجل ذلك تسعى خطابات القومية من خلال هذا المكون إلى إظهار الامتداد التاريخي للأمة عبر الزمن، وإثبات حضورها في الماضي على أساس أن المحافظة على الذاكرة الجماعية فيه محافظة على استمرار الأمم.

3. **مكون المكان:** يعبر هذا المكون عن الحيز الاجتماعي للمنطقة الوطنية، فتعتبر الأمكنة سواء كانت مشهرا طبيعيا أو بيئة مادية مكونا للشخصية الوطنية وعلامة على حضور أمة ما في أرض محددة فتعد بيئة على تاريخ تلك الأمة التي يدعوها أفرادها "الوطن"⁴، ويكفي أننا نذكر معلما تاريخيا أو مدينة تاريخية حتى نفكر بأمة ما وتاريخها، إذ تظهر الاستمرارية الزمنية سابقة الذكر في المكان، كما تعتبر القومية المكون المكاني محوريا لأنه ينظم الحدود التي تضمن سيادتها الإقليمية.

إذن يتطلب إنتاج ثقافة قومية قبل كل شيء ترسيم الحدود، ومنه التحكم في التدفق العالمي، وزمانا محددا يزداد ارتباطا بالتاريخ المستمر بقدر ما تكون الأرض محددة؛ وضمن هذه الحدود يوجد شعب "أمة" أو مجتمع يتميز بسمات تشكل الهوية، هوية

¹ فرانز فانون، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، معذبو الأرض، الطبعة الثانية، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، 2015، ص ص 192-197.

² المرجع نفسه، ص ص 188-189.

³ بول كورتون، ترجمة: علي فرغلي، كيف يغزو النسيان ذاكرة الحداثة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016، ص ص 15-19.

⁴ أوموت أوزكريملي، مرجع سبق ذكره، ص 368.

بغض النظر عن اختلاف أفرادها، فإنهم يتشاركون في السمات الأساسية التي تشكل هويتهم الوطنية؛ حيث يتجاوز التماثل الاختلاف.

• استمرار الثقافات القومية في عصر العولمة:

لقد تناولنا سابقاً منظور أنتوني سميث للثقافة وتجذر ما هو قومي مقابل سرعة زوال ما هو كوني على اعتبار أن للثقافة القومية جذور ومادة تحفظ استمراريتها وتفند أطروحة أفولها، ونريد من هذه النقطة إبراز أهم مظاهر العودة أو محاولة العودة إلى الحدود الثقافية القومية رفضاً للعولمة وتجذر ثقافتها؛ وسنطرح ثلاثة مفاهيم عادة ما يتكرر طرحها ضمن نقاشات العولمة ومقاومتها.

• مناهضة العولمة Anti-globalization:

هي وجهات النظر التي ترفض العولمة وما يترتب أو قد يترتب عنها من أثر سلبي؛ حيث تشكلت حول وجهات النظر هذه حركات تبنت مناهضة العولمة تعرف بحركة مناهضة العولمة Anti-globalization Movement التي تعبر عن صراع واسع النطاق يخطر فيه رافضون للعولمة على اختلاف الطبقات والفئات: عمال، ومهتمون بالبيئة، شباب، فلاحون، وفقراء المدن، وسكان أصليون، أي فئات متنوعة من الفاعلين الذين "يناضلون" من أجل العدالة الاجتماعية والاقتصادية بهدف استعادة التحكم في حياتهم اليومية¹، حيث يتصورون أن التحولات التي تفرضها العولمة تخضعهم بالضرورة لتحكم قوى العولمة ورأساليها، كما أن هذه الحركات لا ترفض فكرة الاتصال العالمي بل التداعيات المترتبة على التحولات القسرية التي تفرضها العولمة على الفئات والشعوب، فهي إذا كانت متجذرة محلياً فهي متصلة عالمياً من خلال شبكات نشطاء محليين/عالميين من خلال تكنولوجيات المعلومات والاتصالات، على شرط أن يحفظ النشطاء في إطار الاتصال العالمي هويتهم الخاصة بهم.

• الأصلية (العودة إلى ثقافة الشعوب الأصلية) Indigenization:

يحمل هذا المصطلح معاني عدة، ولفظ أصلي يشير إلى الشعب الأول لمنطقة معينة، ولدى مصطلح الأصلية استخدام عرقي ثقافي وآخر مكاني، أما الأول فيشير إلى شروع الشعوب الأصلية في العودة وإصلاح وضعها الثقافي وإعادة تأكيد هويتها؛ وأما الثاني فيعبر عن عودة الدول خاصة النامية منها إلى ترقية ما هو محلي والاستعاضة به عما هو خارجي²، سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو السياسة ذلك أنها تسهل اختراق الحدود الثقافية.

• إعادة تحديد المحلي Re-localization:

يعرف أيضاً بحركة إعادة الإحياء، وهي حركات سياسية أو دينية تسعى إلى نزع الهيمنة "الخارجية" عن الخصوصيات القومية، سياسية، اقتصادية، ثقافية كانت أو لغوية، وهي حركات عادة ما تتشكل من طرف الشعوب والسكان الأصليين الأقليات العرقية والدينية³، حيث ذلك أنها تعتبر الثقافة الكونية مهددة لها ولبقائها كجزء من ثقافة قومية معينة.

¹ Jeffrey S. Juris, "Anti-Globalization Movement", in: *Encyclopedia of Social Problems*, Editors: Vincent N. Parrillo, Sage Publications, The United States of America, 2008, pp 48-49.

² أنابيل موني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص 51.

³ المرجع نفسه، ص 133.

ويلعب إنتاج الثقافة القومية وإعادة إنتاجها دوراً رئيساً في كل من عملية الأصلية وإعادة إنتاج المحلي، على اعتبار أن "إنتاج الثقافة الوطنية ينطوي بالضرورة على تحديد بعض الخصائص أو المعايير التي تعمل على استبعاد الغرباء و "إضفاء الطابع الأولي" Primordialization على المنتمين إلى ثقافة ما"¹. فهذه المفاهيم تعبر عن التجاذبات بين قومية الثقافة وبين عولمتها وإخراجها من حدودها القومية، وتعتبر محاولات متعددة لإعادة تأميم الثقافات القومية واستمرار تمييزها بخصوصيتها في عصر العولمة.

• أثر التدفق الثقافي الكوني والثقافات القومية:

إذا قسمنا المؤسسات والممارسات الاجتماعية في الفكر القومي نجدها تقسم إلى مجالين: مادي وروحي، المادي يشمل الاقتصاد وإدارة شؤون الدولة، العلم والتقانة والذي أظهر فيه الغرب تفوقاً وتقدماً على حساب الشرق، والذي يمثل بالنسبة لغير الغربيين "الخارج"، أما الروحي فيحمل العلامات المميزة للهوية الثقافية للـ "الداخل"؛ فلأن العولمة في أحد تفسيراتها تعمل على محاكاة النجاح المتعاضم للمهارات الغربية في المجال المادي، وتعتبر تهديداً للداخل من طرف الآخر الخارجي فهي تخلق حاجة إلى التمسك بالمجال الروحي الذي تمثله الثقافة والهوية الثقافية للقوميات أين "تعلن القومية المجال الروحي منطقاً ذات السيادة"²، من أجل ذلك تعتبر مناقشة الثقافة والهوية الثقافية القومية نقطة محورية في عصر العولمة.

هنا نأتي على ذكر الأفكار التي ناقشها كل من أنتوني سميث Anthony Smith وروولاند روبرتسون Roland Robertson في أن عملية العولمة وتكثيف الاتصال والشعور بأن العالم كيان واحد هو بالفعل يقرب المسافات بين الثقافات والأمم، ولكن هذا العالم من الثقافات لا يمكن أن يخلو من تنافس الثقافات القومية سعياً لرفع مكانتها، حيث يساهم ذلك في صعود "حروب ثقافية"، ويساهم في وضع الثقافة ضمن ثنائيات متناقضة: التجانس والمغايرة، الاندماج والتفكك، الوحدة والتنوع .. تجعل منها سبباً لتلك الحروب، حروب من قبيل تفسير التجانس الثقافي ليس على أنه محاولة لانصهار الثقافات Melting Pot* دون تفوقٍ لواحدة على أخرى، ولكن على أنه أمركة أو إمبريالية تخدم صالح الغرب، وحروب ثقافية أخرى موضوعها النزاع بين أقاليم ثقافية حول هوية بعض مكونات التراث المادي واللامادي مثلما يحدث في دول المغرب العربي ودول جنوب شرق آسيا (الصين واليابان والكوريتين).

ناقش أنتوني سميث في العديد من أعماله الثقافة العالمية، بالخصوص في مقاله الإشكالي "التوجه نحو ثقافة عالمية؟" حيث انطلق فيه من التساؤل حول التحدث عن الثقافة بصيغة المفرد، فإذا كانت الثقافة في مجتمع واحد تعبر عن نمط جماعي للحياة بمعتقداتها، أساليبها، قيمها ورموزها، فلا يمكننا التحدث هنا إلا عن الثقافة بصيغة الجمع، "ثقافات" مكونة من أنماط حياة

¹ Robert J. Foster, "Making National Cultures In The Global Ecumene", **Annual Review of Anthropology**, Vol. 20, The United States of America, 1991, pp 237.

² أوموت أوزكيري، مرجع سبق ذكره، ص 401.

* مصطلح الانصهار الثقافي والذي يسمى أيضاً بـ "بوتقة الانصهار" أو "قدر الانصهار" Melting Pot: وهي استعارة وجدت في الأصل للتعبير عن الاندماج الثقافي للمهاجرين في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم عمم استخدامه ليصبح معبراً عن المجتمعات غير المتجانسة التي تتجه إلى التجانس وتنصهر معاً في بوتقة اجتماعية وثقافية واحدة.

ومعتقدات هي في أصلها متعددة، فالحديث إذا عن ثقافة عالمية هي استحالة عملية لأن الاختلافات بين أنماط الحياة وعدة المعتقدات بين المجتمعات في العالم كثيرة جدا، والعناصر المشتركة عامة جدا بحيث يصعب علينا تصور وجود ثقافة معولة فما بالك بثقافة عالمية؟

والإجابة بالإيجاب على السؤال: هل يمكن صياغة ثقافة عالمية بشكل جيد؟ تتطلب منا أن نضع ثقل البرهان كله على السمة والخاصية المشتركة البشرية، على حساب الخصائص التي تختلف فيها الدول والثقافات الوطنية، مثلها مثل جميع الثقافات قبل العصر الحديث، خاصة؛ محددة زمنيا؛ ومعبرة، وأن انتقاءها يعمل ضمن قيود ثقافية صارمة. ويرى سميث أنه من الممكن بالطبع "ابتكار" التقاليد وتصنيعها كسلع لخدمة فئة معينة أو مصالح عرقية. لكنها ستبقى وتزدهر فقط كجزء من عدة ثقافة وطنية بعينها¹، فأشكال اللباس وأنواع الأطباق والأنواع الموسيقية يمكن أن تنتشر وتصبح ضمن ثقافات أخرى إلا أنها تبقى منسوبة لأصلها، نأخذ مثلا بالموسيقى الأندلسية التي بقيت تنسب إلى الأندلس حتى بعد سقوط غرناطة منذ ستة قرون.

تناول بعدها سميث مفهوم الهوية على اعتباره تجسيدا لثقافة أمة ما، وباعتبارها "المشاعر والتقييمات الذاتية لأي مجموعة اجتماعية تمتلك خبرات مشتركة وواحدة أو أكثر من الخصائص الثقافية المشتركة (وهي عادة العادات أو اللغة أو الدين)، إذ أن الهويات تكوّن الظروف التاريخية على مدى فترات طويلة. فتشير الهوية إلى ثلاثة مكونات:

1. الشعور بالاستمرارية بين تجارب وخبرات الأجيال المقبلة من وحدة الجماعات؛
2. ذكريات مشتركة لأحداث وشخصيات محددة كانت بمثابة نقطة/نقاط تحول في التاريخ الجماعي؛
3. الشعور بالمصير المشترك من طرف الجماعة التي تشارك تلك الخبرات².

وبالتالي، فإن الهوية الثقافية الجماعية تعني المشاعر والقيم المتعلقة بالاستمرارية والذكريات المشتركة والشعور بالمصير المشترك لوحدة معينة من البشر لديها تجارب وخصائص ثقافية مشتركة. بهذا المعنى فقط يمكن فهم "الأمة" على أنها هويات تاريخية، أو على الأقل مشتقة منها، في حين أن الثقافة الكونية والعالمية تفشل في الارتباط بأي من هذه الانتماءات التاريخية. وعلى عكس الثقافات الوطنية، فإن الثقافة العالمية لا ذاكرة لها.

أخيرا، نأتي إلى مناقشات رونالد روبرتسون، وهو متخصص في علم اجتماع العولمة ومن أهم الدارسين لما سماه "الميدان العالمي"؛ حيث أسس لمناقشات رائدة حول ثنائية الكوني والمحلي، بدأت بعرضه لتصوره للمجتمع وما هو عليه، فوصفه بأنه "ظرف إنساني كوني" أين تشير الكونية هنا إلى "طرق الوعي الموسع بالعالم ككل"³، وقد وصف روبرتسون هذا الظرف متوخيا الصرامة السوسيولوجية، حيث اعتمد تقسيم فيرديناند تونيز Ferdinand Tönnies للاجتماع البشري^{*}، وصاغ من خلال ذلك هناك أربع صور يمكن أن نفهم من خلالها الثقافة الكونية:

¹ Anthony D. Smith, "Towards a Global Culture?", **Theory, Culture & Society**, Vol.7, Issue. 2-3, 1990, London, Newbury Park and New Delhi, pp 171-178, DOI: <https://doi.org/10.1177/026327690007002011>.

² Anthony D. Smith, "Towards a Global Culture?", *Op cit*, p 179.

³ رونالد روبرتسون، مرجع سبق ذكره، ص 171.

* قسم فيرديناند تونيز (1855-1936)، وهو عالم اجتماع ألماني ساهم في إرساء النظريات السوسيولوجية، قسم التجمعات البشرية إلى "جماعات محلية" (Gesellschaft) Society و"مجتمعات عامة" و"عضوية"، وهي تعبير عن الإرادة العاطفية أين تكون العلاقات حقيقة وعضوية، و

1. الجماعة المحلية الكونية الأولى 1 The Global Gemeinschaft:

يصر هذا المنظور على أن العالم يجب ولا يمكن أن يُنظم إلا في شكل سلسلة من الجماعات المجتمعية Societal Communities المغلقة نسبياً، وأن الأفراد لا يمكنهم أن يعيشوا إلا في جماعات محلية محدودة بشكل واضح. وهذا ينطوي على اهتمام خاص بتداعيات العولمة على الخصوصيات المحلية، إما بتقديس خصوصية الثقافات المحلية كلها، أو باعتبار جماعة ما "رائدة" وأكثر أهمية من غيرها.

2. الجماعة المحلية الكونية الثانية 2 The Global Gemeinschaft:

يؤكد هذا المنظور أنه يمكن أن يتحقق النظام الكوني فقط إذا كان هناك مجتمع عالمي محض، ينظر إلى صفة البشرية باعتبارها المكون المحوري للعالم ككل، والالتزام بالوحدة المواطنة للنوع البشري باعتبارها سبيلاً لتغلب على أخطار العولمة في إطار "القرية الكونية".

3. المجتمع العام الكوني الأول 1 The Global Gesellschaft:

يختلف هذا الشكل لتصوير العالم عن اعتباره مجتمعا محليا محدودا بحقيقية الجماعات وعضوية العلاقات كما يراها تونيز، بل ينطوي على رؤية الظرف العالمي على أنه سلسلة من المجتمعات المفتوحة، مع وجود قدر كبير من التبادل الثقافي الاجتماعي فيما بينها. سواء كانت المجتمعات متساوية من حيث الأهمية الثقافية أو مقسمة إلى أخرى مهيمنة ثقافيا وأخرى هامشية، وبذلك تكون مواجهة مشكلة العولمة إما بالتعاون المجتمعي الموسع بين الدول القومية أو بأي نمط هرمي للعلاقات بين المجتمعية.

4. المجتمع العام الكوني الثاني 2 The Global Gesellschaft:

يزعم هذا المنظور أنه يمكن تحقيق نظام كوني فقط على أساس مخطط ورسمي لما يشبه الاتحاد الفيدرالي على المستوى الكوني، كما ترى وجهة النظر هذه أن الطريقة الفعالة الوحيدة للتعامل مع أخطار العولمة، هي التنظيم المرتب لتلك العملية¹.

نرى بذلك أن روبرتسون عبر عن تصوره لوجهات النظر تجاه الكونية من جمعتي المجتمعات المحلية التي تأخذ بالكونية ولكنها في نفس الوقت ترفض تجاوز الحدود الثقافية، فالثقافة الكونية بالنسبة لهذا التصور ليست حاصلا لمجموع الثقافات في بوتقة واحدة ولكن سلسلة من الثقافات المتفردة بشخصيتها، ومن وجهة النظر المقابلة تتصور المجتمعات العامة الكونية أن الثقافة الكونية نتاج لافتتاح الثقافات القومية على العالم أين تمحى الحدود الثقافية ويتشكل ما يمكن أن نعبر عنه بأنه **ضمير جمعي كوني** جامع لخصوصيات ثقافية. وفيما يخص الهوية؛ يرى رونالد روبرتسون أنه في ظل بلورة الثقافة الكونية، تلعب الثقافة القومية دورا في ضبط مشاكل الهوية، فتطور الدول يقتضي في ظل الكونية "تأميم الثقافة"، بمعنى أن الدولة الحديثة تكون مستحيلة دون أن تصبح مشاركة بشكل بارز في إنتاج "الثقافة العليا" (القومية)²، والتي اعتبرها ضرورية ليس فقط لتكفل الدولة بشؤونها الإدارية الداخلية بل لكي تعالج كذلك مشاكل الهوية.

كتعبير عن الإرادة العقلية أين تكون العلاقات متخيلة وميكانيكية، لاطلاع أكثر على أفكار تونيز حول الجماعات راجع كتابه: Ferdinand Tonnies, translated and edited by: Charles Price Loomis, **Community and Society**, Dover Publications Inc, New York, 2002.

¹ رونالد روبرتسون، مرجع سبق ذكره، ص 172-173 وص 177.

² المرجع نفسه، ص 155.

"هناك دائماً عملية مستمرة يتحد فيها الكوني والقومي، العام والخاص" هذا ما توصل إليه رونالد روبرتسون من تحليله لعلاقة الخاص بالكوني، حيث يرى الكوني والمحلي يتبادلان الاختراق والتعامل بينهما، فعبّر عن ذلك بمفهوم "Glocalization" أي المحلية العالمية والتي تشير إلى إضفاء الطابع الكوني على ما هو محلي وكذلك العكس، وهذا التغلغل بين الكوني والمحلي يؤكد أنها ليسا كيانهين ثقافيين منفصلين أو متمايزين، وإنما مزيج اندماجي توفيقية يحتوي عناصراً من كليهما¹، فالثقافة الكونية من وجهة نظر روبرتسون محصلة للتداخل بين حدود المحلي والكوني وهي فهم للكوني وإعادة إنتاجه في السياق المحلي وتشكله على ضوء المؤثرات الثقافية المحلية.

المطلب الثاني: العولمة والثقافة الكونية.

كتب كلود ليفي-ستروس Claude Lévi-Strauss مناقشاً إمكانية تصور عالم ذا ثقافة واحدة -تحدث هنا عن عام 1978- أنه بالفعل "يمكننا أن نتصور الآن بسهولة الوقت الذي ستكون فيه ثقافة واحدة وحضارة واحدة على سطح الأرض كلها، ولا أعتقد أن ذلك يمكن أن يحدث بسبب وجود نزعات متعارضة في حالة نشاط دائم، تسير من ناحية في اتجاه التجانس ومن ناحية أخرى في اتجاه التمايزات الجديدة"². وفي هذا المطلب سيتم التعرف على معنى الثقافة الكونية، وكيف تعمل العولمة على نشرها.

• مساهمة الثقافة الكونية:

وهنا سنعرض مختف وجهات النظر حول الثقافة الكونية* وموقعها من تحليلات أهم الدارسين لها، بين من يرى إمكانية مقابله من يقول باستحالتها، فعند ربطنا في الفصل الأول لعلاقة الثقافة بالعولمة، كنا قد رجعنا إلى تعريف إدوارد تايلور للثقافة باعتباره أول تعريف علمي صيغ لها عام 1871، وسنعود لنستشهد به هنا؛ فقد عرف تايلور الثقافة بصيغة تجميعية تنفي علاقة الارتباط الوثيق بين العرق والثقافة، فالثقافة لديه هي "كل معقد يتضمن المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقوانين والتقاليد وكل القدرات أو العادات المكتسبة من قبل الإنسان بصفته عضواً في المجتمع"؛ ما سنركز عليه في التعريف هو لفظ "المكتسبة"، التي تتضمن رفضاً للنظرة الشائعة حول الثقافة على أنها توصيف عرقي، بل اعتبرها مساهمة مشتركة لكل البشرية³. فإذا استطعنا بهذا المعنى إخراج الثقافة من حدودها العرقية (الثقافة ضد العرق)، يمكننا إخراجها أيضاً من حدودها

* المحلية العالمية (Glocal/Glocalization): هو اختصار للفظي عالمي Global ومحلي Local، ويشير هذا المصطلح إلى التداخل المتزايد لهذين النطاقين، فعلى أحد المستويات يمكن أن يستخدم هذا المصطلح لتوضيح الطريقة التي تتكيف بها المنتجات العالمية بما فيها المنتجات الثقافية) وتؤقلم نفسها مع الأسواق و"الحساسيات" المحلية، وأيضاً مثل انبثاق سلسلة من الهويات الدينية والعرقية كاستجابة مباشرة لعملية العولمة، حيث أنها هويات ذات منشأ محلي وتاريخي تتصل ببعضها البعض بواسطة الاتصالات البعيدة، أنظر: أنابي لموني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص 262.

¹ بول هوبر، مرجع سبق ذكره، ص 132.

² كلود ليفي شتراوس، ترجمة: شاكر عبد الحميد، الأسطورة والمعنى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص 39.

"نجد في المراجع التي اعتمدناها تداول لفظ "الثقافة الكونية" مرادفاً للثقافة العالمية"، لكن أغلبها يميل إلى استخدام لفظ الكونية بالرجوع إلى الأصل اللغوي الإنجليزي، إذ نجى لفظ الكونية ترجمة لـ Universalism من Universe التي تعني في شقها غير الفلكي Someone's Universe "مجل تجربة البشر أو جزء مهم منها" أو "البشر جمعاً" وهي بالرجوع إلى جذرها اللاتيني "تعني العالم كله، من الكون كله معاً". أنظر: معجم كوليز Definition of universe from the، يوم الاطلاع: 2022-07-23، وقت الاطلاع: 22:58، الرابط: <https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/universe>، وهنا سنستخدم لفظي الكوني والعالمي على أنها يميلان إلى نفس المعنى.

³ نيكولا جورنه، ترجمة: إياس حسن، بين الكوني والخصوصي البحث عن البدايات، طبيعة الثقافة تشييد الهويات، دار الفقد، دمشق، 2014، ص 11.

المناطقية لفهم معنى الثقافة الكونية، فبدل اكتسابها من مجتمع محدود بالتاريخ والجغرافيا والقدرات والعادات، يتم اكتسابها في إطار مجتمع مفتوح يخلق ثقافة غير محدودة، أي ثقافة كونية. هذا دون إلحاح على أن دمج الثقافات هو بديهية أو إلزامية باعتبار أن الثقافات كيانات مقاومة ليس بالضرورة أن تتجانس سياتها.

عرّف أولريتش بك المجتمع العالمي بأنه "ليس مجتمعاً وطنياً كبيراً، ينطوي على جميع المجتمعات الوطنية ويلغي وجودها، وإنما هو أفق عالمي يتميزه الكثرة وعدم الاندماج، ينفذ عندما يتم تكوينه عن طريق الاتصال والعمل ويحافظ عليه"¹. فبالنسبة له أنه يكون المجتمع عالمياً لا يعني ذوبان المجتمعات المحلية ولكن هو اجتماع لها، لذلك يتحدث عن التمازج الثقافي للمجتمعات المحلية بصيغة الجمع مسمياً إياها الثقافات الثالثة، حيث يرى أن العولمة توفر ارتباطات وأمكنة اجتماعية متجاوزة للحدود تعلي من شأن الثقافات المحلية وتبرز ثقافات مضمونها "قليل من هذا وقليلاً من ذاك".

وقد عبر بك عن تصوره للثقافة الكونية بقوله: "في قرى بافارييا الدنيا، كما هو الحال في كالكنيا وسنغافورة أو في ضواحي ريو دي جانيرو، يشاهد الناس مسلسل "دالاس في التلفزيون ويرتدون الجينز ويدخنون المارلبورو.." في تعبير عن التشابهات الملاحظة في العالم والسلع الاستهلاكية والماركات العالمية، ويعبر عادة عن هذا بمصطلحات مثل استعمار كوكاكولا -Coca colonization والماكدونالدية McDonaldization²، ويضيف بك أنه: "ليس من الضروري أن تكون العولمة شارعاً في اتجاه واحد، وإنما هي تخلق للثقافات الموسيقية المحلية على العكس من ذلك مساح وهمية على امتداد العالم"³، حيث ضرب هنا مثلاً بفن الراي الجزائري الذي خرج من إطار الحدود الثقافية الجزائرية ليصبح كل العالم مسرحاً له.

وتحدث إدغار موران في الكتاب الذي تساءل فيه عن سيرورة العولمة، هل هي مسير إلى الهاوية بالنظر إليها كظاهرة سلبية أم أنها الطريق نحو تشكيل "وطن عالمي" لا يلغي الأوطان بل يجمعها، اقترح موران مفهوم الفلكلور الكوكبي Planetary Folklore، الذي ينتج عن اجتماع عدة تيارات ثقافية مشكلاً ثقافة كوكبية تأخذ من خصوصيات ثقافية للمجتمعات بعينها وتذويبها في ثقافات أخرى مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات المجتمع المنتقلة إليه، "إذاً الروك الذي ظهر في الولايات المتحدة قد صار يتأقلم مع لغات العالم وصار يتقمص في كل بلد هويته الوطنية"⁴، فعندما يتعلق الأمر بالفن والموسيقى والأدب فالاختلاطات الثقافية والتهجينات لا تفتأ تثري الحياة البين ثقافية مساهمة -عكس كما يُعتقد عنها- تساهم في إبراز الثقافات الوطنية في صلبها. لكنه مع ذلك يرى في الأمة ككيان ذا سيادة يعتبر عائناً دون ظهور المجتمع العالمي رغم أنه مفهوم في حد ذاته انتشر عن طريق العولمة، إضافة إلى المقاومات القطرية والعرقية والدينية كما تخوّف من انحياز مفهوم المجتمع العالمي عما هو متوقع -متراجعا قليلاً عن يوتوبيته- ويصبح عالماً وحشياً وهمجياً يمهّد لقيام حكم إمبريالي للقوى الثقافية المهيمنة⁵.

¹ أولريتش بك، ترجمة: أبو العيد دودو، ما هي العولمة؟، الطبعة الثانية، منشورات الجمل، بيروت، 2012، ص 34.

² "استعمار كوكاكولا هو مصطلح يعبر عن شكل من أشكال الإمبريالية الثقافية من النوع الاقتصادي تحديداً وكذلك الأمريكي، والماكدونالدية تعني العملية التي تسيطر من خلالها مبادئ مطاعم الوجبات السريعة على العديد من قطاعات المجتمع وأجزاء من العالم.

³ المرجع نفسه، ص 46.

⁴ إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟، مرجع سبق ذكره، ص 67.

⁵ المرجع نفسه، ص 81-82.

إن القول بالثقافات العالمية والمجتمعات العالمية والكونية، لا يجب أن يؤخذ اعتباطاً كما يبدو في اقتراح بعض المنظرين، ومن الضروري الحذر من المبالغة في شأنها، فمثلاً تركز العولمة الاقتصادية النمط الرأسمالي للإنتاج، تركز العولمة الثقافية في جانب منها الطبقة في العالم، فحتى وإن نجحت الثقافات في الاختلاط والتمازج دون عوائق فإن ذلك يكون في الغالب أفقياً خارج الشائبة الطبقة الغالب/المغلوب، كما أن كل وجهة نظر ذكرناها أو كتبت في موضوع الثقافة الكونية تعبر عن وجهة نظر كل منظر أو مفكر حسب سياقه وموقعه من هذه المصفوفة؛ أين يكون من الصعب عزل الإنتاج المعرفي عن خلفية منتجه بنفس صعوبة فصل الذات عن الموضوع. يجعل التوضع في السياقات الغربية أو المهيمنة ثقافياً عموماً من انتقال السمات الثقافية وذوبانها في مجتمع أكبر أمراً سهلاً التجسيد لامتلاكهم الوسائل المسهلة لذلك أولاً، سياسة واقتصاداً وثقافة وتقانة، ولأنهم ثانياً ليسوا طرف المعادلة الذي يتحتم عليه تغيير خصوصياته الثقافية أو المساس بأصالتها بعمق.

فهناك ملاحظات عديدة تلغي حتمية كونية الثقافة بل أحياناً تجعلها مستحيلة التجسد، فإذا ما قلصنا نطاق نظرتنا من ثقافات الأمم في العالم كله إلى الثقافات المشكلة لأمة الواحدة، نرى أن محاولة إزالة المقاومات الثقافية الفرعية والجهوية والطائفية ومحاولة تكريس الوحدة الوطنية في المجتمع نفسه لا تزال مطروحة وتشكل أزمات للهويات، وهي مجتمعات محددة المرجعيات ومحددة الرقعة الجغرافية، فطرح إمكانية توحيد الثقافة العالمية يبقى طرحة محفوفاً بالحذر، خاصة أن عولمة المعلومات أججت ظواهرها وصورها نمطية لبعض الثقافات.

ونأخذ على سبيل المثال رهاب الإسلام (الإسلاموفوبيا) الذي ركزت عليه وسائل الإعلام الغربية وخاصة الأمريكية وساهمت في نشره عن طريق الصناعات السينمائية، فكان رهاب الإسلام شمة سينمائية للعديد من الأفلام¹ خاصة بعد تفجيرات 11/9، والتي شكلت صورة نمطية للإرهابي: رجل أسمر البشرة، ملتح، مكتحل العينين وذو عمامة ولغة أو لكنة عربية. يجعل هذا من الجنسية، الدين والعرق والسمات الهوياتية سمات لا تزال مأخوذة بين الاعتبار.

• انتشار الثقافات الهجينة: الثقافة، الكريولية، وثقافات الفضاء الثالث.

إن الخوص في موضوع الهجينة يحيلنا إلى ما تم التطرق إليه سابقاً فيما يتعلق بالعولمة من وجهة نظر الدراسات الثقافية والأنثروبولوجية في أحد فروعها وهو دراسات العولمة وفي إطار ذلك سنتعرض إلى مفاهيم أساسية بعبور الثقافات وتجاوزها للحدود القومية وهي الثقافة، الكريولية والأفضية الثالثة.

• الثقافة Acculturation:

يجادل عالم الأنثروبولوجيا روي فاجنر Roy Wagner أن الثقافات دائمة التغير، تخلق ويعاد خلقها كجزء من عملية مستمرة؛ وعلى نحو خاص فإن الثقافات تغذيها ضغوط ومؤثرات تؤكد أنها ليست جامدة أو ثابتة، منها ضغوط داخلية وأخرى خارجية، وبالتالي فهي ليست كيانات متجانسة أو متفردة أو محددة، بل إنها عملية تقوم على مراكمة الأفكار والصور والرموز

¹ أنظر على سبيل المثال مقال: Uzma Kiran and others, "Muslims Depiction In Hollywood Movies: A Qualitative Study", PJAE (PalArch's Journal of Archaeology of Egypt/Egyptology), Vol.18, No.08, 2021. واتشر مقابل إنتاج هذه الافلام الإسلامية، أفلام أخرى مضادة لموضوعاتها مثل الفيلم الهندي-أمريكي: إسبي خان My name is khan 2010 وإسلاموفوبيا "يعني بالتهجين هنا: الصيغ الثقافية الجديدة التي تتشكل عند نقاط التماس بين ثقافتين.

فتغدّي هي تقاليدا وتأخذ عن تقاليد أخرى، تقاليد المسافرين والسائحين والمهاجرين الذي ينتقلون فيزيقيا عبر المكان، الذي يصبح مواقع لقاء بين المتنقلين وثقافتهم ويعتبر جيمس كليفورد James Clifford من بين أكثر الأنثروبولوجيين الذين عقدوا الصلة بين الثقافة والحركة، وهو مقتنع تماما بأنه لم يعد بالإمكان فهمها في علاقاتها بالموقع أو المكان فحسب، وإنما يسمى النظر إليها كشيء، في حالة حركة وانتقال باستمرار¹. فالثقافات إذا ليست ثابتة أو ساكنة من هذا المنظور ولا مفردة.

يحيلنا هذا إلى المفهوم الأنثروبولوجي "الثقاف"، الذي يعود ابتداءه إلى عام 1880 من قبل جون ويسلي بويل John Wesley Powell عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي الذي كان يصف بهذا المصطلح؛ تحول أنماط حياة المهاجرين وفكرهم في تماسهم مع المجتمع الأمريكي، كما أنشأ "مجلس الولايات المتحدة للبحث في ظواهر التشقق في العلوم الاجتماعية" سنة 1936 لجنة مكلفة بتنظيم البحث في ظواهر التشقق*، والتي صاغت تعريفا للتشقق ضمن مذكرتها النهائية وهو: "مجموع الظواهر الناتجة من تماس موصول ومباشر بين مجموعات أفراد ذوي ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغييرات في النماذج الثقافية الأولى الخاصة بإحدى المجموعتين أو كليهما"².

وقد حددت المذكر نمذجة لعمليات التماس الثقافي، باعتبارها معايير أو محددات تمكننا من وصف الظاهرة بأنها "ثقاف" سواء كان ثقافا عفويا غير موجه وغير مراقب فيتأق التغير من مجرد التماس، وثقاف منظم ولكنه قسري، ويكون لصالح مجموعة واحدة دون الأخرى كما هو حال العبودية والاستعمار، لكنه يظل جزئا ومجزءا ويميل إلى نزاع الثقافة أكثر منه إلى التشقق، وثقاف مخطط له ومراقب والذي يسعى لأن يكون نسقيًا وموجها لأجيال بعيدة بناء على معرفة مفترضة للحتميات الاجتماعية والثقافية³. ما تقوم به العولمة في جانبها الثقافي هو عبارة عن ثقاف، إذ تعمل على نشر ثقافات ناتجة عن تماس مجموعة من الثقافات، وتعمل على جعل الحدود بين الثقافات شفافة. ومما ساهمت به التقنية هو تسهيل عملية التشقق دون ضرورة التنقل الفعلي فقد جعلت عولمة المعلومات العالم صغيرا، وساهمت في اتساع مجال انتقال السمات الثقافية.

• الاقتباس (الكريولية) Creolization:

نتناول مصطلحا آخرأ أنتج في إطار دراسات العولمة، حلل من خلاله علماء الاجتماع والأنثروبولوجيون الاجتماعيون ظاهرة الاتجاه نحو ثقافة كونية، وهو مصطلح الكريولية Creolization الذي صيغ على يد أولف هاننرز Ulf Hannerz، في دراساته حول التعقد الثقافي Cultural Complexity، مستشهدا بألفريد كروبر Alfred Kroeber الذي اقترح منذ وقت طويل أن "الجزء الأكبر من الثقافات -على الأرجح- متسرّبا إليها.. وما إن تتقبل ثقافة ما عنصرا جديدا فإنها تميل إلى فقدان الاهتمام بكونه غريب الأصل"⁴، حيث ناقش التدفقات المتبادلة بين الثقافات مركزا على ثقافتها المركز والهامش، وفقدان

¹ بول هوبر، مرجع سبق ذكره، ص ص 60-61.

² تتألف اللجنة من ملفيل هرسكوفيتش Melville Herskovits، رالف لينتون Ralph Linton، روبرت ريدفيلد Robert Redfield، والتي وضعت مذكرتها في دراسة التشقق Mémoire Pour l'étude de l'acculturation سنة 1936.

³ دنيس كوش، ترجمة: منير السعيداني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، ص 92.

⁴ المرجع نفسه، ص 106.

⁴ Ulf Hannerz, *Cultural Complexity: Studies in the Social Organization of Meaning*, Columbia University Press, New York, 1992, p 218.

الثقافات الوطنية* أصلتها في ظل العولمة بسبب تدويل ثقافات الشباب، التنوع الثقافي الذي ينشأ داخل الحدود الوطنية وكذا تطور الاتصالات ووسائلها، حيث يحول هذا التعدد "العالم إلى فسيفساء ثقافية، من قطع منفصلة ذات حواف صلبة ومحددة جيداً.. وتصل الروابط الثقافية بشكل متزايد إلى جميع أنحاء العالم مشكلة عالماً عالمياً Global Ecumene تصبح فيه الثقافات باعتبارها كيانات أشبه بالثقافات الفرعية داخل كيان أوسع"¹، عبر عن هذا العالم بالكريولي Creolizing World.

يرجع هذا المصطلح إلى لفظ كريولو Criollo في اللغة الإسبانية (أو كريولولو Criolulo في اللغة البرتغالية) وتعني المولود في العالم الجديد، وهو لفظ يصف تاريخياً الفرد الذي ولد في أمريكا الجنوبية لكنه من أصل إسباني أو أنجلوساكسوني الذي ولد في الولايات المتحدة، فالكريولية "هي أن يعيش الفرد في المنطقة الرمادية، أي بين ثقافتين"² كما عبر عنها الأنثروبولوجي توماس هيلاند إيركسون، وقد أشارت هذه العملية في علم اللسانيات إلى الدمج بين لغتين لتكوين "لغة محرفة" ناتجة عن الاتصال بين لغتين، وذلك نتيجة هجرة أو استعمار أو تجارة... فتكون لغة مختزلة تدعى "الكريول" تتحول مع الزمن إلى لغة أصلية³، بعد ذلك انتقل المصطلح من الخطاب اللغوي إلى الخطاب الاجتماعي والثقافي، فتصبح ثقافات الكريول بذلك -مثل لغات الكريول- في جوهرها من التقاء ثقافتين أو أكثر على نطاق واسع، والتي تتفاعل بالأساس ضمن علاقة مركز/هامش⁴. وفي إطار العولمة الثقافية توسع النطاق أكثر وأصبح غالباً ما يتم استخدامه للدلالة على الديناميكيات الاجتماعية والثقافية المعقدة التي أطلقتها العمليات العالمية للتفاعل بين الثقافات.

• **ثقافات الفضاء الثالث 'Third Spaces' Cultures:** مفهوم الفضاء الثالث هو من أهم المفاهيم التي صيغت في إطار دراسات ما بعد الكولونيالية من طرف هومي ك. بابا Homi K. Bhabha**، فرغم أن مفهومه جاء في إطار دراسة العلاقة بين مستعمر ومستعمر، إلا أن هومي بابا يقول بوجود "كولونيالية جديدة" متواصلة ضمن النظام العالمي الجديد الذي ينقسم فيه العمل تقسيمياً متعدد القوميات⁵، فيمكن إسقاط المفهوم إذا على منطق الهيمنة الثقافية الذي تفرضه العولمة على الأقل من وجهة نظر المعولمين الأوائل Hyperglobalists.

* أنظر دراسات أولف هايزر التي جاءت في إطار ثنائية العولمة والثقافة: أين ناقش الروابط الثقافية العابرة للحدود الوطنية في: Transnational Connections: Writing Future Worlds: (2016)، وناقش سيناريوهات المستقبل العالمي وتأثيرها على الثقافة العالمية المشتركة من وجهة نظر أنثروبولوجية في: (2016) An Anthropologist Explores Global Scenarios.

¹ Ulf Hanner, Opcit, P 218.

² توماس هيلاند إيركسون، مفترق طرق الثقافات: مقالات عن الكريولية، مرجع سبق ذكره، ص ص 47-48.

³ أنابيل موني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص ص 58-59.

⁴ Robin Cohen and Paola Toninato, "The Creolization Debate: Analyzing Mixed Identities and Cultures", in: **The Creolization Reader: Studies in Mixed Identities and Cultures**, Collective Book, Edited by: Robin Cohen and Paola Toninato, Routledge, Oxford. England, 2010, p16.

** هومي خارشيدجي بابا Homi Kharshedji Bhabha (1949) هو أستاذ إنجليزي- هندي للعلوم الإنسانية بجامعة هارفارد ومنظر نقدي. من أهم المنظرين في دراسات ما بعد الكولونيالية المعاصرة، وقد طور عددًا من المفاهيم الجديدة في هذا المجال مثل: التهجين hybridity والمحاكاة mimicry والاختلاف difference والازدواج الوجداني ambivalence، ومن أهم كتبه في مجال دراستنا: الهوية: أنا الحقيقي Identity: The Real Me، 1987، إضافة إلى المشاركة في كتب أخرى منها: Cosmopolitanism الكوزموبوليتانية 2002.

⁵ هومي ك. بابا، ترجمة: ثائر ديب، موقع الثقافة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص ص 51-52.

يرى هومي بابا أن الكينونة في الـ "ما بعد" هي كأن تقطن فضاءً بينياً متداخلاً، أي أنه لا توجد ذات أصيلة ولا هوية ثقافية ولا ثقافة، فالثقافة تقوم على علاقات دائمة ومتجددة بين مكونات ثقافية تنتمي لثقافتين: ثقافة المستعمر وثقافة المستعمر، هذا التداخل الذي عبر عنه بنظره فرانز فانون حول القومية وحول الثقافة باعتبارها كفاحاً سياسياً، واستنطاقاً للهوية؛ إذ رغم أنه يؤمن بالأهمية الحاسمة لتأكيد الشعوب الخاضعة على ثقافتها الأصلية واسترجاع توارخها، إلا أنه يدرك المخاطر التي ينطوي عليها تحجر الهويات ضمن الثقافات الكولونيالية حيث عبر هومي بابا من خلالها عن ضرورة إعادة النظر في هوية الثقافة، فأقر أولاً أنها ليست موحدة ولا تقع بين الذات والآخر فحسب قائلاً أن "الثقافات ليست أحادية أو موحدة في حد ذاتها، ولا هي ثنوية في علاقة الذات والآخر"، ليس لأننا ننتمي جميعاً إلى ثقافة واحدة ضمن مقولات توحد الجنس البشري، ولا بالرجوع إلى نسبية المسافة التي ينادي بها أنصار النسبية الثقافية، ولكن لأن "فعل التأويل ليس بأي حال من الأحوال مجرد فعل اتصال بين الـ أنا والـ أنت.. وإنتاج المعنى يتطلب حراك هذين المكانين في المرور عبر فضاء ثالث"¹.

الفضاء الثالث هو فضاء بيني بين اثنين آخرين، بين مستعمر ومستعمر، بين الذات والآخر، تفسح المجال لبلورة الاستراتيجيات المتعلقة بالذات فردياً أو جماعياً ما يجعل منه الأرضية التي تحتضن العملية المستمرة لإنشاء الهوية وإعادة إنشائها، كما أنه "شرط للإفصاح عن الاختلاف الثقافي الذي يرافق استيعاب المتناقضات ويخلق حالة من عدم الاستقرار الخفي الذي يندر بتغيرات ثقافية كبيرة.. ثقافة عالمية International، ليست قائمة على التعددية الثقافية أو تنوع الثقافات بل هجنة للثقافة والإفصاح عنها.. وهو الذي يحمل عبء الثقافة"².

يجمع مفهوم الفضاء الثالث بين المفهومين السابقين؛ الشقاق والكربولية، فالثنائية Binarism التي تستخدم في إطار المقابلة الثنائية الإمبريالية القائمة على التسيد، والتي تفترض وجود حركة في اتجاه واحد من المستعمر إلى المستعمر تمت خلخلتها مع بروز هوية ما بعد الكولونيالية في الفضاءات التناقضية للاشتباك الكولونيالي (الفضاء الثالث) بروز هوية ما بعد الكولونيالية في الفضاءات التناقضية للاشتباك الكولونيالي، فلم تعد ديناميكية التغيير بالكامل مستمرة في السير في اتجاه واحد، بل إنها في حقيقة الأمر **ثقافية Transcultural**، ذهاباً وإياباً في الاتجاهين، كما تعتبر الكربولية على نحو فضفاض وبصورة أكبر إشارةً إلى مجتمعات ما بعد الكولونيالية التي يعد سكانها الحاليون المخلطون إثنيا وعرقياً نتاج الكولونيالية الأوروبية، فالكربولية تعتبر استجابة للسكان الأصليين مع بيئتهم الجديدة (المستعمر)³.

وتأتي أهمية العولمة لدراسات ما بعد الكولونيالية:

- **أولاً:** من جانب إظهارها لبنية علاقات القوى العالمية التي تقف راسخة في القرن العشرين كإرث للإمبريالية الغربية.
- **وثانياً:** لأن الطرق التي تشبكت بها المجتمعات المحلية مع قوى العولمة تحمل قدراً من التشابه مع الطرق التي اشتبكت بها المجتمعات المستعمرة تاريخياً مع قوى السيطرة الإمبريالية واستحوذت عليها.

¹ هومي ك. بابا، مرجع سبق ذكره، ص ص 96-97.

² المرجع نفسه، ص 100.

³ بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الأساسية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص ص 75-78، وص 123.

• **ثالثاً:** العمليات الاقتصادية العالمية، عولمة الاتصالات والثقافة التي تتجاوز القوميات، لا تعني أن العولمة حركة بسيطة أحادية الاتجاه من المركز إلى الهامش، بل أن العولمة ثقافية بنفس الطريقة التي كانت عليها الثقافات في الفضاء الثالث¹.

وقد سهلت العولمة اليوم إيجاد أفضية ثالثة تجمع فيها ثقافات تعرف بالثقافة الثالثة The Third Culture، ليست بالضرورة مرتبطة بإرث أو ماض استعماري، ولكن نتيجة لتماس بين ثقافتين أولى وثانية، حيث كانت هذه الأفضية موضوعا لدراسات سوسيولوجية عديدة انتهت إلى أن وجود مكان ثالث يكون معبرا، محايدا، طوعيا، وغير رسمي يحمل أفكارا خاصة به مكونة من أفكار متعددة (تعددية الثقافة) يشعر الفرد بالانتماء أكثر لأنه معبر أكثر عن خصوصيات الجماعة المكونة له.

وقد تناول عالم الاجتماع راي أولدنبرغ* Ray Oldenburg الأفضية الثالثة معرفا بإياها بأنها "المكان الذي يعالج فيه الناس أنفسهم من الضغط والشعور بالوحدة والغربة أين يكون تجاهل ذلك يسيرا"²، والذي سهل أكثر من وجود أفضية ثالثة هو وسائل الاتصالات التي توسع مفهوم الفضاء الثالث بالجمع بين الفضائين الواقعي والافتراضي من خلال اقتراح مساحة هجينة تسمح للمستخدمين بالانخراط في علاقات اجتماعية وثقافية مع بعضهم البعض، ومواقع التواصل الاجتماعي مثال جيد على الأفضية الثالثة الافتراضية، بمعنى أن المستخدمين على مواقع التواصل الاجتماعي يجلبون بعض ثقافتهم ويتفاعلون مع مستخدمين آخرين يأتون أيضاً إلى هذا الفضاء ويحملون بعض جوانب ثقافتهم أيضاً.

بمقابل كل هذه الأشكال من الثقافة، فإن المفهوم الراسخ للثقافة ينزع الشرعية عن الثقافات الهجينة، ويعتبرها مفتقدة إلى الأصالة، إذ أن "غير الأنقياء" Impure من ينتمون إلى ثقافات هجينة من وجهة نظر المناهضين للتعددية الثقافية يقعون بين: فخرهم بثقافتهم ومحاولة تسويقها وإعادة إنتاجها؛ أين تكون العولمة سبيلا إلى ذلك، أو أنهم مضطرون إلى قبول أن يتم احتواؤهم داخل قيم ومبادئ ثقافات أخرى، فتتشكل لديهم هوية مبنية على "أجزاء هويات" Identity Bits وهي السبب الأساسي في هذه الحالة إلى الوقوع في أزمت الهوية، فهم ينتمون إلى أرض بلا مالك No Man's Land أو ينتمون إلى ثقافات غير محددة المعالم³.

المطلب الثالث: عولمة المعلومات والتواصل الكوني.

يجيب هذا المبحث عن التساؤل: ما الذي أضافته التقنية، وبالأحرى عولمة المعلومات على علاقة الكوني بالهلي؟ وكيف ساهمت من جهة في التواصل الكوني بين الثقافات ومن جهة أخرى في تأجيج الصراع بينها؟ فبالتوازي مع مراحل العولمة، المبكرة والحديثة والمعاصرة تكون مراحل عولمة المعلومات، فهي أنها ليست ظاهرة مرتبطة فقط بالتقنية بل تأخذ في كل مرحلة خصائصها، وفي عصرنا هذا تأخذ عولمة المعلومات الخصائص الفائقة للتقدم التقني وثورات الاتصال. أدى هذا إلى بروز متزامن

¹ بيل أشكروفت وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 191.

*خاصة في كتابه: المكان الجيد العظيم "The Great Good Place" والاحتفال بالمكان الثالث (أو احتفالا بالمكان الثالث) "Celebrating the Third Place".

² Ray Oldenburg, *The Great Good Place*, Hachette Books, New York, 1999, p 20.

³ توماس هيلاند إيركسون، مرجع سبق ذكره، ص ص 46-47.

لوجهتي نظر تجاه دور الاتصالات وثورتها، واحدة ترى فيها سبيلا لتعزيز الاتصال بين الثقافات وأخرى ترى فيها تهديدا للخصوصيات ومدعاة للآزمات، وجدة التفاوت في العالم.

• وجهات النظر حول دور المعلومات في التواصل الكوني:

1. وجهة النظر الأولى: عولمة المعلومات والاتصالات كسبيل للانفتاح على العالم.

تطرح وجهة النظر هذه دور عولمة المعلومات في التعايش الثقافي واعتبارها أداة للانفتاح بالهويات والخصوصيات الثقافية على العالم، بل أكثر من ذلك؛ أصبحت العولمة وأدواتها سبيلا لإخراج الهويات إلى العالم والمشاركة بها في تشكيل ثقافة عالمية عن طريق شبكة الإنترنت التي تعد نظام معلومات عالمياً (World Wide Web) وجزء لا يتجزأ من العولمة، حيث تقدم لا مركزيتها مجالاً لنشر وجهات النظر والخصوصيات وسهلت بناء نمط جديد من المجتمعات يمكن المستخدمين من ذوي الأفكار المتشابهة أن يتواصلوا ويتفاعلوا.

غالباً ما يُنظر إلى الأمن الإقليمي للأمم على أنه مقدمة لهوية وطنية فاعلة وموحدة، من أجل ذلك توقع العديد من علماء الاجتماع والمناقشين للتطور التقني وتطور الاتصالات أنها تهدد للأمن الثقافي للأمم؛ وأن الطابع غير الإقليمي Non-territorial للإنترنت سيؤدي إلى تجزئة وتمايز ثقافي غير مسبوق، مما يجعل من الصعب في النهاية، التمسك بإحساس جماعي بالهوية الوطنية على أساس الصور المشتركة والتصورات والمثالات القومية.

إن هذا الافتراض غير محقق كلياً في الواقع وفي ظل ما يمكن أن توفره الإنترنت لبعض الدول، حيث تعتبر أداة أساسية لبقاء بعضها مثل: الدول التي فقدت أراضيها بسبب استعمار أو حروب ونلاحظ ذلك في حالي القضيتين الفلسطينية والسورية؛ الدول التي تشتت لأسباب سياسية فينقسم عرق ما على دولتين مثل كردستان، الدول ذات الشتات سواء كان طويل الأمد أو المؤقت الكبير، الدول التي يعمل فيها العديد من المواطنين في الخارج بشكل مؤقت أو دائم مثل الهند ودول جنوب شرق آسيا¹، إذ أن غياب وحدتها الإقليمية فعلياً يمكن أن يعوض بوحدة في "المجتمع الافتراضي" فيتم استخدام الإنترنت لتقوية الهويات الوطنية بدلاً من إضعافها.

بالنسبة للجانب المحلي لتأثير الإنترنت على ثقافة الأمم، فإن بعض المناقشين يرون في "إعادة إحياء المحلي" الذي توفر له تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أرضية، سمة سلبية لها إذ أنها تعمل على تدني وظائف الدول القومية إلى المستوى المحلي وتساهم في صعود الثقافات المحلية في مواجهة الثقافة القومية، ومنه تبدأ محاولات تفكيك الدولة القومية من الأسفل، على غرار "الشعوب الأصلية" التي توظف تكنولوجيا المعلومات في محاولاتها للانفصال ورفضاً لمنطق القومية الحداثية مقابل القومية العرقية؛ يمكن أن يكون ذلك صحيحاً بالنسبة إلى الدول التي لا تتشكل ثقافتها القومية من مجموع ثقافتها المحلية، والمقصية لثقافة محلية على حساب أخرى. أما بالنسبة إلى الدول التي تمثل ثقافتها القومية مجموع المميزات المحلية فإن دور التكنولوجيا هنا إيجابي، وهو يقع في إطار ما اصطلح عليه في الفصل الأول "صناعة التراث".

¹ Thomas Hylland Eriksen, Op cit, p 1.

يمكن أن نلاحظ صناعة التراث على سبيل المثال عبر السياحة الافتراضية Virtual Tourism، حيث تعمل الإنترنت على تكوين صورة حول تراثات وثقافات مختلفة عبر العالم وجعل التعرف عليها أمراً ممكناً، ونقل ما يعرف بـسياحة التراث Heritage Tourism والسياحة الثقافية Cultural Tourism إلى العالم الافتراضي، حيث يتم التركيز ضمن السياحة الافتراضية على استراتيجيات تمثيلية لانتفاء قومي وهوية ما تسرد قصة الثقافة الوطنية، عبر المواقع الإلكترونية أو مواقع التواصل الاجتماعي ومختلف الأرضيات عبر الإنترنت، وذلك من خلال من خمسة عناصر رئيسية:

- سرديات للأمة، كما تُروى وتُعاد روايتها في التاريخ الوطني والآداب ووسائل الإعلام والثقافة الشعبية؛
 - التركيز على الأصول والاستمرارية والذاكرة والخلود؛
 - التركيز على التقاليد المخترعة أو الموضوعية كما يسميها هوبسباوم، والتقاليد الموضوعية هي مجموعة من الممارسات تحكمها قواعد ذات طابع طقسي أو رمزي، وتكون هذه القواعد مقبولة علنياً أو ضمناً، وتسعى إلى غرس قيم ومعايير سلوكية معينة من خلال التكرار، وهو ما يعني التواصل مع الماضي، فهذه الممارسات تحاول تحقيق الاستمرارية مع ماضي تاريخي مناسب¹، فضلاً عن التركيز على التقاليد الضاربة في القدم وأصولها يتم التركيز على التقاليد التي تخترع وتستحدث وتصبح مع الزمن جزءاً من شخصية أمة ما.
 - التركيز على الأساطير التأسيسية؛ والمعبرة عن أساطير الأمم وغرائبياتها.
 - وأخيراً الهوية الوطنية، وتعرف في مجال السياحة الثقافية بهوية المكان Place Identity، والمكونة من السمات العرقية، الثقافية، الطبيعية، الاجتماعية والدينية للمكان والمعاني التي تمثلها هذه السمات فتصبح معرّفات مهمة له²، لذلك نلاحظ أن أغلب مواقع السياحة الثقافية والتراثية الإلكترونية تركز على التراثات المادية واللامادية التي تشمل هذه السمات.
- ومن أهم المواقع الإلكترونية التي نلاحظ عبرها هذه الاستراتيجيات، وتختص في افتتاح الثقافات على بعضها هو موقع التراث العالمي World Heritage Site³، والذي يتفرع تواجدته إلى مختلف مواقع التواصل الاجتماعي، أنشئ عام 1997، وهو موقع غير ربحي مخصص للتراث العالمي يساعد المستخدمين وخاصة المسافرين منهم على التعرف على المظاهر الثقافية والطبيعية للعالم مع التركيز على المواقع المدرجة في قائمة اليونسكو للتراث العالمي، كما يضم الموقع جماعات شبكية، كل عضو منها يعمل على التعريف بثقافته وتراثه وتراثات أخرى يهتم بها ونشر مقالات وكتب علمية في نفس المجال، وقد بلغ عددهم إلى غاية السادسي الثاني من 2022 أكثر من 1810 عضواً، وهو يخصص جزءاً منه للثقافة والتراث الجزائريين (أنظر الملحق 04)؛ إضافة إلى مواقع إلكترونية أخرى تصب اهتمامها على الجزائر فقط والثقافة الجزائرية، مثل موقع Algeria.com⁴ الذي ينشط

¹ إيريك هوبزباوم وتيريس رينجر، ترجمة: أحمد لطفي، اختراع التقاليد: دراسة في نشأة التقاليد ودوافعها وتطوراتها، دار الكتب الوطنية، الإمارات العربية المتحدة، 2013، ص 7.

² Robert Govers, "Virtual Tourism Destination Image: Glocal Identities Constructed, Perceived And Experienced", Ph.D dissertation to obtain the degree of doctor in Management, Erasmus Research Institute of Management (ERIM), the Erasmus University - Rotterdam, The Netherlands, 2005, pp 14-16.

³ العنوان الإلكتروني للموقع: <https://www.worldheritagesite.org>.

⁴ العنوان الإلكتروني للموقع: <https://www.algeria.com>.

منذ عام 1995 باللغة الإنجليزية فقط إضافة إلى بعض المقالات باللغة العربية، وهو يهدف إلى التعريف بالجزائر؛ ثقافتها، تراثها، مناطقها، تاريخها، لغاتها ولهجاتها، أساطيرها وشخصياتها عبر مقالات وصور تصف التنوع الثقافي الجزائري (أنظر الملحق 05).

ومع تطور التقنية أصبح وجود المستخدم في عدة أماكن في العالم وفي ذات اللحظة وبمنظور أكثر واقعية، حيث توفر بعض المواقع زيارات افتراضية للعالم، بصور ثلاثية الأبعاد وأخرى بانورامية أي 360°، أو ما يعرف بمنظر الشارع Street View. توفر شركة قوقل Google عبر مبادرتها "قوقل للفنون والثقافة" Google Arts & Culture التي تصف نفسها بأنها "نحن نعمل مع المؤسسات الثقافية والفنانين حول العالم، تتمثل مهمتنا معًا في الحفاظ على فن وثقافة العالم وإحضارها عبر الإنترنت حتى يكون في متناول أي شخص في أي مكان"¹، وهذا عبر توفير إمكانية الاطلاع على مختلف متاحف ومواقع العالم وتجربة مختلف الثقافات تاريخًا وجغرافيًا، فيكون ممكنًا زيارة المتحف البريطاني، سور الصين العظيم، قصر الحمراء بغرناطة والغرفة التي سجن بها نيلسون مانديلا في جنوب إفريقيا من مكاننا وفي ذات اللحظة.

2. وجهة النظر الثانية: عولمة المعلومات والاتصالات كسبيل للنزاع، تهديد للهوية ونزع للخصوصيات.

نبدأ وجهة النظر هذه بمقاربة أنثروبولوجية صاغها كلود ليفي ستروس، ورغم أنها متضمنة في كتابه الأسطورة والمعنى Myth and Meaning 1978 أي قبل ميلاد الإنترنت (1983)، إلا أنه تصور وجود وقت تكون فيه الثقافة والحضارة واحدة بسبب ما سباه الاتصال الزائد Over-Communication فيقول:

"إن ما يهددنا بحق الآن ربما كان هو ما يمكن أن نسميه بالاتصال الزائد أي النزعة السائدة في مكان ما من العالم لمعرفة كل ما يحدث في كل الأجزاء الأخرى منه، ومن أجل أن تصبح ثقافة ما هي نفسها بشكل حقيقي وأن تنتج شيئًا، على هذه الثقافة وأفرادها أن يقتنعوا بأصالتها الخاصة.. إنه فقط تحت شروط أو ظروف الاتصال الأقل (أو الأضعف) يمكن لإحدى الثقافات أن تنتج شيئًا، ونحن الآن محدودون من خلال ليس فقط توقع أن نصبح كائنات استهلاكية فقط، قادرة على استهلاك أي شيء من أي بقعة في العالم ومن أية ثقافة، بل وأيضًا أن نفقد كل أصالتنا... وكلما زاد مقدار التجانس في حضارة ما، زاد ظهور خطوط الانفصال الداخلية فيها، وما يتم الحصول عليه عند أحد المستويات يتم فقدانه مباشرة عند مستوى آخر"².

يحيلنا هذا القول إلى ثلاثة نتائج رئيسية:

- الفروق بين الثقافات لم تخلق بطريق منهجية أو منظمة بل هي ناتجة عن تطوير كل جماعة لخصائص ثقافية تعبر عن خصوصياتها وهو حاصل لظروف توفرت في زمان ومكان معينين، لذلك فإن أي إنتاج تطبع عليه أصالة تلك الثقافة وخصائص الظروف المكوّنة لها.
- الاتصال الزائد الذي يفترض اندماج خصوصيات جماعة ما في خصوصيات أخرى يلغي هويتها واختلافها، وعندما لا تصبح تلك الجماعة مرتبطة بخصوصيات مرجعية للإنتاج الثقافي تصبح بالضرورة مجرد مستهلكة.

¹ Google Company, "Bringing the world's art and culture online for everyone", Google Arts & Culture, accessed: 25-09-2022, at: 19:38, URL: <https://about.artsandculture.google.com/>.

² كلود ليفي شتراوس، مرجع سبق ذكره، ص 39.

• أبعد من ذلك، إذا فقدت حضارة ما سيطرتها على خصوصيتها مقابل العالم، فإن ذلك يفسح مجالا للمستويات الداخلية أن تنفصل، بذلك تعتبر الأصالة (الهوية) وسيلة ضبط للأجزاء الداخلية وكلما انغزلت جماعة ما وكانت أقل اتصالاً بالعالم زاد اتصالها الداخلي، بنفس المعنى الذين يشير إليه ابن خلدون بعصية البدو وإميل دوركايم بالضمير الجمعي وفيرنانديز تونيز بالمجتمعات المحلية.

لا ننسى هنا أننا نتحدث عن أشكال من الاتصال لم تزل بسيطة، تخضع للمكان والزمان الحقيقيين والفعليين، ومع الانفجار الهائل لثورات الاتصال، الذي لا يختزل في كونه مسألة تقنية، أصبح الاتصال الزائد مدعاة للصدام، لأن تلاشي المسافات المادية يظهر أهمية المسافات الثقافية، وقد تناول دومينيك وولتون العولمة الثقافية كـ "بعد آخر لعولمة"، والذي يسمح بالتفكير في تصور العالم ضمن مثلث: الهوية، الثقافة، والاتصالات، فالبعد الثقافي للأخيرة أصبح يعبر عن صدام عنيف بين الثقافات إذ كان يفترض بها جعل العالم أكثر ألفة إلا أنها جعلته يعي أكثر فأكثر الفوارق العديدة بين أفرادها، حيث صيغت على النموذج الغربي و تعتبر انعكاساً له ومرتبطة بنموذج سياسي وثقافي معين.

وليس الأمر متعلقاً بالتقنيات ولكن بل بالمضامين التي تبثها تلك التقنيات فإذا كانت الأولى تستخدم بالطريقة ذاتها فالمعلومات لا تستخدم بالطريقة ذاتها في كل أطراف العالم أين تختلف سياقات الإرسال والتلقي¹، وحتى إذا تعلق الأمر بالتقنية وامتلاكها فإن ذلك يطرح مصطلحاً آخر وهو الفجوة الرقمية Digital Divide والذي يعبر عن الفارق أو التمييز بين الذين يملكون التقنية بمعناها العام وليس الإنترنت فقط وبين الذين لا يملكونها، وهو يفند ادعاء أن التقنية عالمية أو "ديمقراطية" وأنها سبيل للتعايش، لأنها بالأصل تعبر عن تفاوت طبقي، مادي أو تعليمي².

ويطرح موضوع عولمة المعلومات موضوعاً آخر، هو الهوية، فمن منظور ولتون الذي يرى أن الاتصالات تمثل إمبريالية غربية ثقافية، وأن الإعلام ليس تواصلاً* لأن الاتصال يشترط وجود "الآخر" بينما الإعلام لا يشترط ذلك، ولا وجود لاتصال معولم بل موجه، وأن هناك صناعات ثقافية بدل ثقافات عالمية، يُعتبر تمدد شبكة الإنترنت مصادرة للخصوصيات ما اصطلاح عليه "الجنوب" الثقافية، أي ثقافات غير الغربية مقابل "الشمال"، لأنها لا تجد نفسها ضمن نموذج معرفي لم تشارك في صياغته، ويعتبره ذهنياً استعماراً لثقافته وهويته فالعولمة لا يمكن أن تشكل لهوية الدول المتقدمة لهذا السبب ببساطة، ورغم أن الإنترنت وجدت لتكون أداة اتصال عالمي إلا أنها تولد - كخلل وظيفي إن استطعنا القول - شعوراً باستلاب الذات، وتصبح هي وكافة أدوات الاتصال مقترنة بالإمبريالية الغربية، وبقدر ما يوجد اتصال وتفاعل وحركة بقدر ما تبرز الحاجة إلى الهوية³، لذلك يعتبر وولتون أن الأفراد يحتاجون إلى كليهما، إلى الاتصال والثقافة في معناها الواسع أي القيم والعادات والرموز واللغة، وخلافاً لخطاب سائد حول العولمة الذي يعتبر الكوزموبوليتية والتجهين برهاناً على تجاوز الهويات، فإن وولتون يرى أنه لا بد لامتصاص صدمة الانفتاح على العالم من التعلق بالجدور، ويشترط لقبول عولمة المعلومات والانفتاح أن يتم بموازاتها توطيد الهويات.

¹ دومينيك ولتون، مرجع سبق ذكره، ص ص 18-19.

² أنابيل موني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص ص 218-219.

* الإعلام ليس تواصلاً هو عنوان لأحد كتب دومينيك وولتون، الكتاب بلغته الأصلية: Informer N'est Pas Communiquer.

³ دومينيك ولتون، مرجع سبق ذكره، ص ص 23-25.

• الإنترنت والعودة إلى الحدود الثقافية القومية:

تعمل الإنترنت على صناعة تراث المجتمعات وجعل الهويات الوطنية جزءاً من هوية العالم والعكس أيضاً، إلا أنه من الملاحظ أن الهويات تبدأ في العودة إلى أصلها فيما يمكن أن نشبه بالتطور الحلقى للظواهر، إذ بعدما كانت الإنترنت الأداة الرئيسة للعولمة المعاصرة وأداة تتحدى الحدود القومية، هي اليوم تعود لتنتج ما اصطلح عليه **القومية الجديدة** The New Nationalism، وفي هذا الجزء من العمل نريد أن نوضح كيف تلعب الإنترنت دوراً في صياغة هذه القومية من خلال ثلاثة مظاهر: القلق من تدفق المعلومات المهددة للقوميات ومنه محاولة كل حكومة إعادة رسم حدودها الوطنية؛ الخوارزميات الخاضعة للسياسات الثقافية ذات الخلفية القومية؛ وتكيف الإنترنت مع البنيات القومية.

أولاً: من أهم مظاهر القومية الجديدة هو "القلق" الذي تسببه عولمة المعلومات وتدفعها المفرط الذي يمكن أن يخرج عن السيطرة مسبباً أزمات وتهديدات اقتصادية وسياسية وثقافية للحكومات الممثلة للقوميات، فتعمل على إعادة رسم وتوضيح حدودها، وإعادة ضبط الأفراد وفق حدودهم الجغرافية والهوياتية. ومنع استخدام المواقع الإلكترونية ومواقع للتواصل الاجتماعي دون غيرها مثال جيد على ذلك، إذ تظهر من خلاله كل دولة موقفها من دول أخرى مثل ذلك مثل قطع العلاقات الدبلوماسية وغلق الحدود الافتراضية، وفي إطار "التسابق" نحو منع استخدام المواقع والمنصات الإلكترونية على أساس أنها أدوات للنزاع أو اختراق للخصوصيات نذكر بعض الأمثلة:

• **دولة الصين** تمنع استخدام جل تطبيقات ومواقع المراسلة المشفرة عن طريق ما يعرف بسور الحماية العظيم The Great Firewall الذي وظيفته في التحكم في تدفق المعلومات في مواجهة السياسيين والمعارضين للحزب الحاكم، ومؤخراً للتحكم في المعلومات حول انتشار فيروس كوفيد-19 COVID-19 لأول مرة في ووهان، حملات التضليل رداً على فضح اضطهاد مجتمعات الأويغور في شينجيانغ والقمع ضد حركة المظاهرات في هونغ كونغ¹.. وغيرها، فيحجب الجدار مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك، تويتر، إنستغرام، بينترست، سنابش، تيندر)، التطبيقات (قوقل بلاي، واتساب، ماسنجر، فاير، تيليغرام، لاين)، محركات البحث (قوقل حيث يتم استخدام نسخة محلية منه)، تطبيقات مشاركة الفيديوهات (يوتيوب، تيك توك؛ رغم أن هذا الأخير تطبيق صيني)، البريد الإلكتروني وأدوات العمل (قوقل)، منصات البث (نتفليكس)، وقد لاحظ الكاتب جيرالد سيغال Gerald Segal في كتاباته حول الاستراتيجيات الدفاعية للصين أنها أمضت معظم العقدين الأخيرين في الدفاع عن خصوصياتها الثقافية ضد المؤثرات الخارجية².

• في ظل الأزمة الروسية- الأوكرانية، تمنع روسيا أيضاً كلا من الفيسبوك وإنستغرام واصفة شركتها الأم Meta بأنها "متطرفة" وأنها أصبحت "مصدراً للمعلومة" بدلاً من "وسيلة تواصل اجتماعي"، كما أنها تتجه نحو حظر موقع يوتيوب لتورطه في أعمال "ذات طبيعة إرهابية" من خلال السماح باستخدام إعلانات مضللة³.

¹ See: James Griffiths, **The Great Firewall of China: How to Build and Control an Alternative Version of the Internet**, Zed Books, London, 2021, DOI: [10.5040/9781350257948](https://doi.org/10.5040/9781350257948).

² See: Gerald Segal, **Defending China**, Oxford University Press, England, 1985.

³ Piotr Sauer, "Russia bans Facebook and Instagram under 'extremism' law", **the Guardian**, accessed: 16-08-2022, at: 14:31, URL: <https://www.theguardian.com/world/2022/mar/21/russia-bans-facebook-and-instagram-under-extremism-law>.

- تطبيق تيك توك محظور في أكثر من خمس دول: الصين، الهند، أفغانستان، باكستان، أندونيسا، لأسباب مختلفة أهمها أنها غير لائقة أخلاقيا، وتعمل على نشر مضامين مضللة للشباب¹.
- وتعتبر دولة الهند من أكثر الدول صرامة فيما يخص استخدام تكنولوجيا المعلومات، إذ سنت عام 2021 قواعد خاصة بها تتماشى والخصوصية الهندية، رغم أن منصات التواصل الاجتماعي تمتلك بالفعل قواعدها التوجيهية التي يتعين على المستخدمين الالتزام بها، فعلى سبيل المثال "يجب أن تحذف منصات وسائل التواصل الاجتماعي أي مقاطع فيديو أو منشورات تتعلق بالكراهية أو العدوانية أو أي شيء يضر بسيادة الدولة.. كما يجب أن تكشف منصات التواصل الاجتماعي عن المنشئ الأصلي"²؛ أي الهويات الحقيقية للمنشئ المحتوى، من أجل ذلك فإن المنصات الأمريكية فيسبوك، تويتر، إنستغرام، تم حظرها في الهند، إضافة إلى دخول تطبيق واتساب في نزاعات مع الحكومة الهندية، كما تم حظر أكثر من 273 تطبيقا وموقعا صينيا (في حدود تاريخ 15 فيفري 2022)، مخافة تنفيذها لأنشطة التجسس والوصول إلى الموقع الدقيق GPS لصالح الحكومة مما يسهل المساس "بخصوصية المستخدمين وسيادة وسلامة البلاد يشكل تهديدا خطيرا لأمن الدولة والدفاع عن الهند"³.
- تظهر هذه الأمثلة أن تدفق المعلومات يعيد تقسيم الشبكة الكونية مسقطا يوتوبية أن يكون ذلك التدفق غير مشروط، تحت مسمى "ديمقراطية الإنترنت" حيث تنتقل مظاهر سيادة الدول على شعوبها إلى سيادة رقمية فتصبح الإنترنت هنا أداة تأكيد للسيادة لا محددة لها.
- ثانيا: أن الاستخدام والتلقي عبر الإنترنت ليس اعتباطيا، فهو يخضع المضامين الفكرية والثقافية خاصة التي تمثل الخصوصيات والأمكنة والثقافات؛ إلى خوارزميات تعمل كأدوات للسياسة الثقافية Cultural Policy تؤثر على التعبير الثقافي والوصول إلى محتواه. كما تحدد المضامين التي يتلقاها المستخدم وفقا لخصوصيته وحدوده الجغرافية عاملة على عزله عن الصورة الكاملة للآراء المختلفة حول قضية ما؛ وهذا العزل يكون وفق مدخلات أهمها:

1. الموقع الجغرافي Localization:

تأخذ الخوارزميات مختلف السياقات على غرار الجغرافيا بعين الاعتبار؛ لذلك تختلف مخرجاتها، والتي تحدد وفق الموقع الجغرافي، تفضيل المستخدم، موقع GPS الهواتف المحمولة أو أجهزة أخرى، أو عنوان IP (بروتوكول الإنترنت)⁴، مثلا: يستخدم موقع فيسبوك في كندا حصر "القصص الشائعة" Trendings الخاصة به في مناطق لغوية معينة، حيث يأخذ على سبيل المثال بعين الاعتبار الكنديين الناطقين باللغة الإنجليزية دون فعل الشيء نفسه مع الكنديين الناطقين باللغة الفرنسية.

¹ Danny Maiorca, "In What Countries Is TikTok Banned?", MUO (makeuseof.com), accessed: 17-08-2022, at: 00:41, URL: <https://www.makeuseof.com/what-countries-is-tiktok-banned/>.

² NUSRAL, "Facebook, Twitter, Instagram Ban in India Today News", National University of Study and Research in Law Ranchi. accessed: 21-08-2022, at: 14:11, URL: <https://nusrlranchi.in/facebook-twitter-instagram-ban-in-india/#:~:>.

³ Ankita Garg, "Garena Free Fire to TikTok: All the 273 Chinese apps that Indian govt banned so far", India Today, accessed: 21-08-2022, at: 13:57, URL: [All the 273 Chinese apps that Indian govt banned so far](#).

⁴ Robert Hunt and Fenwick McKelvey, "Algorithmic Regulation in Media and Cultural Policy A Framework to Evaluate Barriers to Accountability", Journal of Information Policy, Vol.9, Pennsylvania, 2019, p 322,

2. التخصيص Personalization:

هو عملية تقديم محتوى وخدمات عبر الإنترنت مصممة بشكل فردي بناءً على عادات المستخدمين، تفضيلاتهم، علامات هويتهم، وممارساتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فهي عملية التعبير عن الذات عبر البروتوكولات الخوارزمية، مما كانت هذه الممارسات بسيطة مثل نقر زر الإعجاب على الفيسبوك، سجلات البحث، الموقع الجغرافي، والصور التي يحملونها وغيرها، فالمضامين إذا التي تظهر للمستخدم "أ" ليست نفسها التي تظهر للمستخدم "ب" ما دامت هويتها الافتراضية مختلفة إلا إذا تشاركا في بعض خصائصها.

3. بيانات الخصوصية Privacy Data:

تسعى الإنترنت ممثلة في منصاتها إلى محاولة للتنبؤ بأداء الهوية والتدخل فيها بشكل متزايد لصياغة تعبير "سلي" عن الهوية، من أجل ذلك تحرص المواقع والمنصات على تشكيل قواعد بيانات خاصة بالمستخدمين، فلا تعمل على سبيل المثال ملفات تعريف الارتباط Cookies على جمع بياناتهم اعتباريا بل لأنها تحدد ذوق وتفضيل المستخدمين وتُخبر بما "قد تكون عليه" هوية هذا المستخدم¹. فهذه الخوارزميات "لا تعتبر مضبوطة لتناسب تنوع الأفكار والتعرف على ثقافات جديدة، نتيجة لذلك فهي تفقد المستخدم، بعض المرونة الذهنية والانفتاح اللذين يفترض أن يخلقهما الاتصال"²، فهي تشبه خطابات القومية حيث تحدد المستخدم بحدود زمانية، مكانية وهوياتية، وهو يعتبر استمرارا لوجود الحدود القومية على شبكة الويب العالمية.

ثالثا: المظهر الأكثر وضوحا للحدود القومية عبر الإنترنت، هو تكيف الإنترنت مع البنيات القومية، ففي حين أن أسماء النطاقات عبر الويب في البدء كانت تميز بين مجموعات مختلفة من المجالات حسب وظيفتها (على سبيل المثال: gov. للنطاقات الحكومية، و. com. للنطاقات التجارية و. edu. للمجالات التعليمية)، إلا أن شبكة الويب شكلت نطاقات قومية خاصة بكل دولة إذ يتم توجيه المستخدمين تلقائياً إلى إصدار خاص بهم من موقع الويب (على سبيل المثال: www.google.dz في الجزائر)، حيث تنتج هذه الإصدارات الوطنية نتائج بحث مختلفة اعتماداً على ما هو متاح من بيانات عبر المنصة المستخدمة³، وذلك بالرجوع إلى ما ذكرناه سابقاً من خوارزميات ومدخلات تحدد نطاقات التصفح، هذا ما يساهم في تكوين نظام رقمي قومي، نعائشه بشكل روتيني وبدون وعي في كل مرة نتصفح فيها بيئة الإنترنت.

لا تدعم هذه النطاقات الحدود القومية فحسب بل تأخذ بعين الاعتبار أيضاً التاريخ المشترك للدول، لغاتها وحدودها الإقليمية، حيث تُدعم بشبكات ارتباطات التشعبية* Hyperlinks بين مواقع الويب، والتي تربط أغلبها بمواقع ويب أخرى من

¹ Tanya Kant, **Making It Personal: Algorithmic Personalization, Identity, and Everyday Life**, Oxford University Press, The United States of America, 2020, pp 73-74.

² Eli Pariser, **The Filter Bubble: What The Internet Is Hiding From You**, The Penguin Press, New York, 2011, p 58.

³ Sabina Mihelj and César Jiménez-Martínez, "Digital nationalism: Understanding the role of digital media in the rise of 'new' nationalism", **Nations and Nationalism**, Vol.27, Issue.2, The United States of America, 2021, pp 335-336, DOI: <https://doi.org/10.1111/nana.12685>.

* الارتباط التشعبي أو الفقرة الفائقة: هي طريقة تسمح بالاتصال بين أجزاء مختلفة من المستندات أو الصفحات عبر الويب، وعند النقر عليها يتم الانتقال إلى موقع أو صفحة أخرى، وقد تكون الارتباطات التشعبية نصية فتكون كلمة، جملة.. أو غير نصية فتكون صورة على سبيل المثال.

نفس البلد، وإذا تعدت الروابط الشعبية الحدود القومية، فيكون تأثير التاريخ والروابط الجيوسياسية الراسخة واضحاً، ففي دراسة لكل من جورج أ.بارني George A. Barnett وهان وو بارك Han Woo Park المتخصصين في مجال المعلومات والاتصالات لاحظا أن شبكات الروابط الشعبية تتركز في الدول ذات العلاقة التاريخية، اللغوية أو الجغرافية، كما لاحظا أن هذه الشبكات تتركز على شكل تكتلات أو عُصب: البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية (الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندا)، شمال أوروبا (الدول الاسكندنافية وبلجيكا وهولندا)، شرق آسيا، أمريكا اللاتينية، أوروبا الفرنسية-الألمانية (فرنسا، ألمانيا، النمسا، إيطاليا، إسبانيا، سويسرا، جمهورية التشيك) إضافة إلى البرتغال والبرازيل¹.

وقد شمل هذا التكيف مع القوميات أيضاً التعبيرات ولغة الرموز الافتراضية والملصقات Stickers التي تستخدم في تطبيقات ومواقع التواصل الاجتماعي على غرار تطبيق التواصل فايبر Viber الذي يكيف ملصقاته مع المناسبات والخصوصيات الوطنية؛ بما فيها المناسبات والخصوصيات الجزائرية (أنظر الملحق رقم: 05) سواء كانت دينية أو وطنية أو تحيل بشكل من الأشكال إلى الخصوصية الجزائرية، وسنتطرق في المبحث الثاني لواحد من أهم النماذج التي جمعت ثلوث: الهوية، العولمة، والتقانة، وهي أطروحة المجتمع الشبكي لعالم الاجتماع مانويل كاستلز.

المبحث الثاني: أطروحة المجتمع الشبكي: الهوية في ظل الاتصال العابر للثقافات.

لكل عصر ميزته، أو روحه بتعبير ماكس فيبر، كما رأينا سابقاً ميزة "الصناعية" التي أضفتها الصناعة وثوراتها على المجتمعات وامتدت آثارها من المانيفاكتورا إلى المصنع ثم إلى المجتمع، وما يميز عصرنا هذا هو التطور اللامتناهي للتقنية الذي تجاوز زيادة القدرة على الاتصال والتواصل إلى أبعاد أخرى ثقافية واقتصادية وسياسية، خلقت بدورها تسميات مختلفة للمجتمعات، بداية من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة ليصاغ مفهوم أو توصيف آخر للمجتمع هو المجتمع الشبكي، والذي تأسس ثقافياً على مبدأ "الاتصال بدل الاستنساخ" Communication rather than Repliation. ما هو إذاً مجتمع الشبكة؟ وكيف يمكن فهم ثنائية العولمة/الهوية من خلاله؟

المطلب الأول: مفهوم المجتمع الشبكي.

صدرت في نهاية القرن العشرين مجلدات ضمت أعمال السوسيولوجي مانويل كاستلز* حول أطروحة المجتمع الشبكي، وصف تحت عنوان عصر المعلومات: الاقتصاد، المجتمع، والثقافة The Information Age: Economy, Society and

¹ George A. Barnett and Han Woo Park, "The structure of international Internet hyperlinks and bilateral bandwidth", *annals of telecommunications*, Vol.60, No. 9-10, No publishing country, 2005, p 1116 and 1126.

* مانويل كاستلز أوليفان Manuel Castells Oliván (1942-..)، عالم اجتماع إسباني، تخرج من جامعة باريس (السوربون) عام 1964، وأتم فيها دراساته إلى أن حصل على درجة الدكتوراه عام 1967 تحت إشراف عالم الاجتماع الفرنسي آلان توران، وكان مساعداً للرئيسي هو الجمع بين النظرية الماركسية وعلم الاجتماع الحضري وبحوث الحركة الاجتماعية، وقد برز اسم كاستلز في الدراسات الحضرية عن طريق كتابه La Question Urbaine، التي نُشرت في عام 1972 وترجمت إلى الإنجليزية بعد ذلك بخمس سنوات (1977) تحت عنوان: The Urban Question. ومع اهتمامه بالاتصالات والتفاعلات والتطور التقني، بدأ يعبر التخصصات من الدراسات الحضرية إلى التقنيات والمعلومات فكتب عام 1989 المدينة المعلوماتية Informational City، ومواصلته في هذا المسعى نتج عنها ثلاثية: عصر المعلومات The Information Age، فاتحه في النهاية أكاديمياً ومهنياً ليكون باحثاً في دراسات العولمة ومجتمع الشبكات والإنترنت leading scholar on globalization, network society, and internet studies. وهو الآن ضمن مسار مهني زاهر أستاذ للاتصالات في مدرسة Annenberg المرموقة للاتصالات والصحافة في جامعة Southern كاليفورنيا، لوس أنجلوس. من أهم إنتاجاته العلمية في مجال دراسات العولمة، المجتمع والشبكات: مجرة الإنترنت

Cultures، مكونًا من ثلاث مجلدات كل واحد منها تضمن موضوعًا محوريًا يوصف العصر، في البدء تناول كاستلز في المجلد الأول صعود مجتمع الشبكات The Rise of Network Society (1996) انتشاره إلى نطاق عالمي أين ناقش في هذا الجزء تبادل المعلومات والتدفقات الثقافية، إنتاجها واستهلاكها والكيفية التي تخلق بها ثقافات مميزة، فقد صاغ نظرية منهجية لمجتمع المعلومات والتطورات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي استحدثتها الإنترنت و"الاقتصاد الجديد" للمعلومة.

أما المجلد الثاني فجاء معنونًا بقوة الهوية The Power of Identity (1997) تناول فيه الهوية ومعناها في المجتمع الشبكي، ثم الهوية في ظل العولمة وعلاقتها بالدولة القومية إضافة إلى التغير الاجتماعي في مجتمع الشبكة. ثم مجلد ثالث كتبه تحت شعار "زمن التغيير" وتحت عنوان نهاية الألفية The End of Millennium (1997) تناول فيه الرأسمالية المعلوماتية، التنمية، وتناول مجددًا قضية العولمة والدولة والهوية، ثم خلاصة "الحالة الشبكية" ومنها كيف يمكننا فهم العالم استشرافًا للقرن الحادي والعشرين.

• في معنى الشبكة Network:

الشبكة ومجتمع الشبكات لغة، قد تم تناوله في الجزء الخاص بتحديد المفاهيم والمصطلحات في الجانب المنهجي، أما فيما يتعلق بالشبكة ومجتمعات الشبكات من منظور مانويل كاستلز، فالشبكة كما هي موضحة في الشكل أدناه، هي اجتماع لثلاثة عناصر رئيسية: العقد والروابط والتدفقات، أما **العقدة** فهي نقطة محددة موصولة بنقطة أو نقاط أخرى، وبشكل ملموس، يرى كاستلز أن العقد تمثل إنها أسواق البورصة، التدفقات المالية العالمية، المجالس الوطنية والمختبرات السرية، أنظمة التلفزيون، والأجهزة المحمولة التي تعمل على توليد ونقل واستقبال الإشارات في الشبكة العالمية لوسائل الإعلام الجديدة في جذور التعبير الثقافي والرأي العام في عصر المعلومات¹.. وغيرها من أشخاص أو أشياء أو مؤسسات، سياسية اقتصادية أو اجتماعية، أما **الرابطة** فهو المسافة بين العقدتين أو العقد وهي تختلف كثافتها وتكرار تفاعلاتها حسب انتماء العقد إلى نفس الشبكة أو عدم انتمائها. **والدقة** هو ما يمر بين العقد ومن خلالها على طول الروابط، وهي تشكل العمليات والوظائف السائدة في مجتمعاتنا².

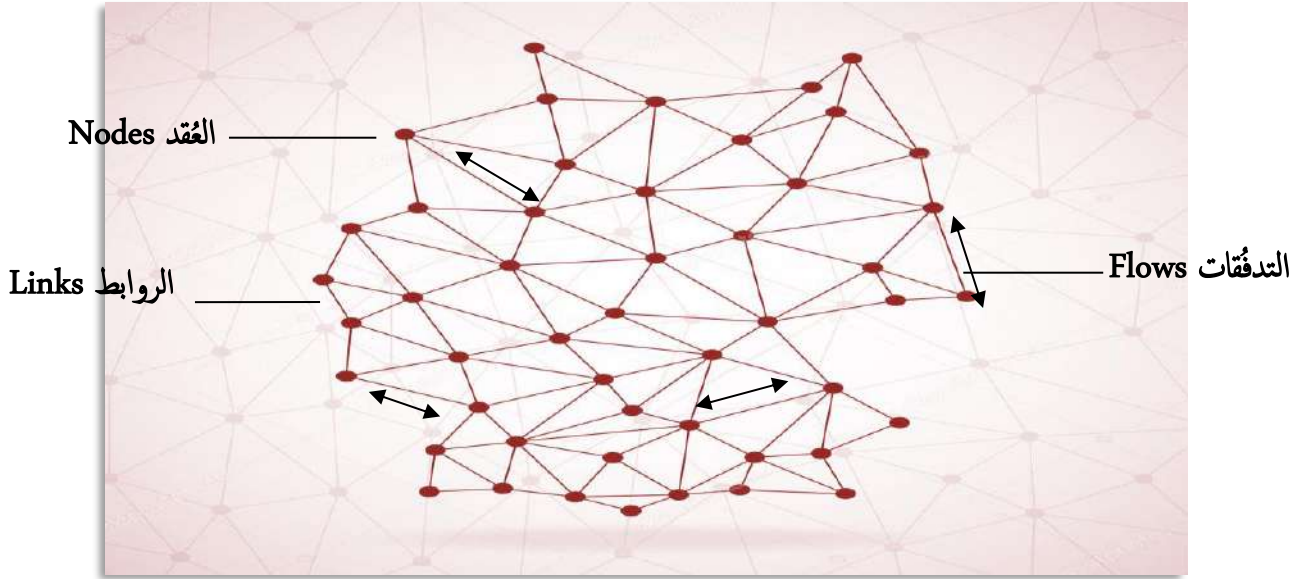
وقد وصف دارن بارني Darin Barney في كتابه: المجتمع الشبكي The Network Society الشبكة بأنها "حالة الترابط البنيوي بين نقاط متباينة (يطلق عليها عادة اسم عقد) متصلة إجمالًا بواسطة روابط متعددة ومتداخلة سواء كانت أشخاصًا أم شركات أم حواسيب المتصلة بعدد كبير من العقد الأخرى.. تهبنا ضربًا جديدًا من المجتمعات تنظم فيها الهوية

The Internet Galaxy 2001، قوة الاتصال/التواصل Communication Power 2009، شبكات الغضب والأمل: الحركات الاجتماعية في عصر الإنترنت 2012 Networks of Outrage and Hope: Social Movements in the Internet Age، كما شارك في إعداد كيب والإشراف على أخرى في نفس السياق من أهمها: أوروبا المسلمة أم الإسلام الأوربي: السياسات، الثقافة والمواطنة في عصر العولمة 2002 Muslim Europe Or Euro-Islam: Politics, Culture, and Citizenship in the Age of Globalization، المجتمع الشبكي: من المعرفة إلى السياسة The Network Society: 2006، الهوية الوطنية وتشكل الدولة في إفريقيا 2021 National Identity and State Formation in Africa، From Knowledge to Policy

¹ Manuel Castells, **The Rise of Network Society**, in: The Information Age: Economy, Society and Cultures, vol.1, 2nd ed, Wiley-BLACKWELL, UK, 2010, p 501.

² Ibid, p 501.

والسياسية والاقتصاد وتعمل في شكل شبكات"، فمصطلح الشبكة هو تعبير وتشديد على منطق العلاقات المترابطة لامركزيا والتي تعكس جوهر الشبكة، ويمكننا تصوّرها كما في الشكل الآتي:



الشكل رقم (04): رسم توضيحي لمفهوم الشبكة عند مانويل كاستلز.

والحديث عن الشبكات في علاقتها مع المعلومات لا يعني أن التنظيم الشبكي للمجتمع مرتبط فقط بعصرنا هذا، بل هو من أهم الأشكال التي انتظمت من خلالها الجماعات البشرية^{*}، فقد استثمر محللو الشبكات الاجتماعية لفترة طويلة ديناميكية الشبكات الاجتماعية في قلب التفاعل وإنتاج المعنى الاجتماعي (أولف هانيرز)، وهنا استدعى كاستلز متغير العولمة، إذ أنها ساهمت عبر مختلف مراحلها عبر التاريخ في ربط شبكات ذات عقد وروابط وساهم فيها التجار والرحالة والمبعوثون والمستعمرون وغيرهم من روابط ساهمت في تمرير الدفق بين العقد، ف"إذا نقلنا فكرة العولمة إلى جغرافية العالم القديم على النحو الذي تحدده تقنيات النقل المتاحة، كان هناك نوع من العولمة في العصور القديمة، حيث اعتمدت المجتمعات في معيشتهم ومواردهم وقوتهم على اتصال أنشطتهم الرئيسية بالشبكات التي تتجاوز حدود مناطقهم"¹، وما دور المعلومات وتقانتها هنا إلا إضفاء المزيد من التعقد، التكيف، وإعادة التشكيل الذاتي، بمعنى أن الشبكات أصبحت شكلا تنظيميا أكثر كفاءة نتيجة لثلاث سمات رئيسية للشبكات التي استفادت من البيئة التكنولوجية الجديدة، حددها كاستلز في: المرونة، وقابلية التوسع، وقابلية البقاء.

• **المرونة Flexibility**، بحيث يمكن للشبكات أن تعيد تشكيل نفسها وفقًا لتغير الظروف المحيطة بها، مع الحفاظ على قيمها وأهدافها.

• **قابلية التوسع Scalability**، فيمكن أن تتوسع الشبكة أو تنقلص، إذ يمكن أن تضاف إليها عقدا وروابط أو تنفصل عنها.

^{*} استشهد كاستلز هنا باقتباس للفيزيائي فريتجوف كابرا Fritjof Capra: "الشبكة هي نمط مشترك في جميع أشكال الحياة. أينا نرى الحياة، نرى الشبكات"، أنظر كتاب: The web of life: A new understanding of living systems by Fritjof Capra.

¹ Manuel Castells, "Informationalism, networks, and the network society: a theoretical blueprint", in: **The Network Society: A Cross-cultural Perspective**, Edited by: Manuel Castells, Edward Elgar Publishing, UK/USA, 2004, p 4.

• **قابلية البقاء Survivability**، نظراً لعدم وجود مركز لها، وعملها على نطاق واسع من التكوينات، يمكن للشبكات مقاومة ما يهدد الرموز والعقد الخاصة بها، لأن رموز الشبكة موجودة في عقد متعددة، بحيث يمكنها إعادة إنتاج طرق جديدة تحافظ بها على أدائها. لذلك، فقط القدرة المادية على تدمير نقاط الاتصال هي التي يمكن أن تقضي على الشبكة¹.

الشبكات إذا هي هياكل مفتوحة، قادرة على التوسع بلا حدود، وعلى دمج عقد جديدة طالما أنها قادرة على التواصل داخل الشبكة، أي طالما أنها تشترك في نفس رموز الاتصال مثل القيم أو أهداف، فالهيكل الاجتماعي القائم على الشبكة هو نظام ديناميكي للغاية وقابل للتوسع، كما أن الشبكات لامركزية القوة، إذ أنها متعددة اتجاهات التدفق، ذلك التوسع يمكن أن يكون في أشكال من الشبكات أقل أو أكثر تعقيداً، مثل انضمام منخرط جديد (عقدة) لنادٍ فكري (الشبكة) يتبنى قياً وأنماط تفكير ذلك المنخرط، أو انضمام دولة إلى صندوق النقد الدولي.

• المجتمع الشبكي The Network Society:

يبني مفهوم المجتمع الشبكي على أساس الشبكة وهيكلتها سابقة الذكر، فتتطبق عبارة المجتمع الشبكي على المجتمعات التي تظهر فيها خاصيتان؛ الأولى أنها مجتمعات تشكل التقانة فيها البنية التحتية التي تتوسط عدداً متزايداً من الممارسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، أما الثانية فأن المجتمعات الشبكية تعتبر فيها الشبكة وإعادة إنتاجها ومأسستها الشكل الأساسي للتنظيمات والعلاقات الإنسانية والهيئات والجمعيات السياسية والاقتصادية². فهي أطروحة تشير إلى أن عدداً متزايداً من الممارسات والمؤسسات والعلاقات تنتظم حول الشكل الشبكي، وأن التقنية فيها تلعب دوراً رئيساً في رسم الحياة البشرية بخصائص سنتعرف عليها أثناء تتبع التنظير لعلاقة التقنية بالمجتمع.

• خصائص المجتمع الشبكي:

في قولنا "الخصائص"، نعني بذلك الفرضيات الكبرى التي انطلق منها كاستلز في وصفه وتحليله للمجتمع الشبكي، وهي بالأساس تقسم -مثلها مثل العولمة- إلى مجالات: الاقتصاد (الرأسمالية، المؤسسية، العمل...) والسياسة (السلطة، الصراع...) والمجتمع (الهوية بالأساس، الثقافة، الحركات الاجتماعية)، وعلاقتها بالتقانة الشبكية، حيث يتم فهم كنه المجتمع الشبكي بالتفكير في علاقة هذه المجالات بها، وقد حدثنا مراراً في طبعات كتبه بما يتناسب مع أزمنة وأحداث كل مرحلة تاريخية، تبدو قصيرة لكنها في عصر الإفراط الحديث ليست كذلك (من 1996، 2000، إلى 2010).

أ. **ينظم المجتمع الشبكي على نحو عالمي بما في ذلك اقتصاداً وسياسة واجتماعاً**، فالشبكات كما يرى كاستلز "لا تتوقف عند حدود الدولة القومية، حيث يتشكل مجتمع الشبكة نفسها كنظام عالمي، معلنا فيها عن شكل جديد من سمات العولمة في عصرنا"³، فالمنطق الشبكي للمجتمع يعتبر نموذجاً للعولمة في شكلها المعاصر المرتبط بالتقنية.

¹ Manuel Castells, "Informationalism, networks, and the network society: a theoretical blueprint", Opcit, p 5.

² دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 39.

³ Manuel Castells, **The Rise of Network Society**, Opcit, p xviii.

ب. الاقتصاد في المجتمع الشبكي هو إعادة هيكلة للاقتصاد الرأسمالي الصناعي على شكل اقتصاد رأسمالي معلوماتي، إذ أن مؤسسات الدولة القومية الموروثة من العصر الحديث ومن المجتمع الصناعي فقدت تدريجياً قدرتها على السيطرة وتنظيم التدفقات العالمية للثروة والمعلومات¹، فقد تميزت الرأسمالية المعلوماتية بمرونة أكبر في حركة الإنسان؛ اللامركزية والربط الشبكي للشركات داخلياً وفي علاقاتها مع الشركات الأخرى؛ التمكين الكبير لرأس المال مقابل العمل الذي بقي مقيداً بحدود جغرافية.

ج. هو مجتمع تحول فيه مفهوم العمل والتوظيف، بين استحداث وظائف وإلغاء أخرى نتيجة التطور التقني، فقد تغير الهيكل المهني للمجتمع بالفعل من خلال التقنيات الجديدة. لكن عمليات وأشكال هذا التحول كانت نتيجة التفاعل بين التغير التكنولوجي، والبيئة المؤسسية، وتطور العلاقات بين رأس المال والعمل في كل سياق اجتماعي محدد².

د. في المجتمع الشبكي، وفي ظل "مشهد العولمة" تفقد الدول القومية الكثير من سيادتها³، وتمثيلها لشعوبها في عالم أصبحت فيه تعددية الأطراف هو القاعدة، حيث تعمل فيه ديناميات العولمة بشكل أكثر تسارعاً، إذ تفقد الدول خلال ذلك قدرتها على تنظيم العناصر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بمعزل عن العالم.

هـ. هو مجتمع تميزه ثقافة الواقع الافتراضي التي خلقها تطوّر تقنيات الاتصال التي تعمل في ظل المجتمع الشبكي على حصر العالم في شبكة واحدة تسودها ثقافة واحدة، في ذات الوقت يحتفظ الأفراد بهوياتهم الواقعية بل ويفرضون قواعد السلوك الخاصة بهم حتى في المجتمع الشبكي⁴. كما تأسست في إطاره جماعات شبكية تأخذ خصائص الجماعات المتخيلة التي تتجاوز الحدود الضيقة للمكان، فتنشط خارج إطار الجغرافيا، حيث تسود بينهم ثقافة الواقع الافتراضي فلا يجمعهم مكان واحد بل التفاعل الشبكي حصراً.

و. في المجتمع الشبكي، تتحول تجربتنا الزمان والمكان إلى "زمن لا زمني" Timless Time و"مكان للتدفقات" Space of Flows، يذكرنا هذا بأبرز مظاهر العولمة "تقلص الزمان والمكان" التي صاغها دافيد هارفي. هذه الخاصية هي ناتجة عن سابقتها، حيث تساهم تقنيات الاتصال وتطورها في تقليصها وتغيير تجربة عيشها.

يمكننا فهم ما تحدثه التقنية وتطورها في إطار المجتمع الشبكي من خلال ثنائية الزمان والمكان، حيث يأتي عيش كل منها بشكل متلازم، فيعاش الزمن بوصفه حلقات تراتبية (حلقات ساعات الزمن، الليل والنهار، دوران السنوات..)، محدد بحسب أماكن تواجدها حيث يعرف الزمن من خلال تتابع تثبيات في أماكن استقرارنا، فالمكان يحتوي على الزمن مكثفاً كما يقول غاستون باشلار⁵، كما يكمن فيزيائياً الثبات والتحرك من خلال المسافات المقطوعة في زمن محدد، إذ كلما زادت المسافات المقطوعة (فضاء التدفقات) في زمن قصير (اللازماني) زادت سرعة انتقال المعلومات (سرعة التدفقات)، وهو الدور الذي تلعبه التقنية إذ تعمل على تسريع عمليات تدفق المعلومات بمستويات غير مسبقة فيتيح ذلك تبادل كم هائل من المعلومات عبر

¹ Manuel Castells, *The Rise of Network Society*, Op cit, p xviii

² Ibid, pp xvii – xxiv.

³ Manuel Castells, *The Power of Identity*, in: *The Information Age: Economy, Society and Cultures*, vol.2, 2nded, Wiley-BLACKWELL, UK, 2010, p 501.

⁴ Manuel Castells, *The Rise of Network Society*, Op cit, p 382.

⁵ أنظر: غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، *جاليات المكان*، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص 39.

مناطق شاسعة وفي وقت متزامن، لذلك يرى كاستلز أن عيش الإنسان الزمان والمكان بوصفها أمرين محليين مضبوطين بحدود يكاد ينتهي.

ز. السمة الأهم للمجتمع الشبكي، والتي بنى عليها كاستلز جلّ تحليلاته هي حالة الاغتراب التي وسمها بـ"الصراع بين الذات والشبكة" The Net and The self، وهي تعبير عن قراءته لمركزية مفهوم الهوية في تحليل المجتمع المعاصر، حيث عبّر كاستلز عن هذا الاغتراب بالفصام البنيوي بين الوظيفة والمعنى أي ذرائعية (أداتية) العولمة وتجذر الهوية¹، إذ يعبر عن التوتر الحاصل لدى الفرد نتيجة التضاد والقطيعة بين ما تفرضه عليه التقانة المعولمة واتماؤه إلى الهوية المحلية، فتمثل الشبكة تداعيات العولمة، وتمثل الذات حمالة للهويات.

يبدو مفهوم المجتمع الشبكي مفهوما مبنيا على المنظورين التقني والاقتصادي على حساب الاجتماعي والثقافي، إلا أن جوهره ناتج عن التحقيق المستمر في تطور المجتمع في نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، فقد استمرت الثورة التكنولوجية، بمجالاتها الرئيسية والمتراصة في التسارع، أصبحت الشبكات الشكل التنظيمي السائد لكل مجال من مجالات النشاط البشري، تكثفت العولمة وتظهرت في أشكال عديدة، شُيّدت تقنيات الاتصال الافتراضية باعتبارها بُعدًا أساسيًا للواقع، ثم تجاوزت ذلك للتداخل معه مكونة ثقافة لواقع افتراضي، استحوذت مساحة التدفقات على منطق فضاء الأماكن، مما أدى إلى إنشاء بنية مكانية عالمية، بينما يستمر الناس في إيجاد المعنى في الأماكن وإنشاء شبكاتهم الخاصة في فضاء التدفقات.

المطلب الثاني: التنظير لعلاقة التقنية بالمجتمع.

• من التقانة الشبكية إلى المجتمع الشبكي:

في هذا الجزء من الفصل سنستشف العلاقة التي نريد بناءها بين مظاهر العولمة المعاصرة، وبين المزايا التقنية التي أضفتها التقانة على الحياة البشرية، وكيف يرتبط ذلك بالصورة النمطية للمجتمع الشبكي، وهنا سنعرض أكثر الملاحظات التي تتكرر في بحوث دراسات علاقة التقنية بالمجتمع، وهذه الملاحظات تتمثل في:

أ. تضيق الزمكان Time and space compression:

كنا في الفصل الأول قد تناولنا مفهوما محوريا كأحد أهم مظاهر العولمة المعاصرة وهو مفهوم الضغط الزماني والمكاني، الذي يرى بأن المفاهيم الموضوعية للزمان والمكان يتم إنشاؤها بالضرورة من خلال الممارسات والعمليات المادية التي تعمل على إعادة إنتاج الحياة الاجتماعية فلا يمكن فهم ذلك الزمان والمكان بشكل مستقل عن الأنشطة الاجتماعية، فيشير مفهوم تضيق الزمكان إلى أن الأحداث تسير وفق تسارع غير مسبوق زمنيا وفي إطار أمكنة أكثر تضيقا، وقد سهل انتشار وسائل الإعلام والشبكات الرقمية نقل كميات هائلة من المعلومات الرقمي عبر مسافات شاسعة وبسرعات فائقة.

ففي مجتمع الشبكات، يتركز الاهتمام والنشاط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي أكثر فأكثر على تدفق المعلومات في زمن قصير وأمكنة أكثر شساعة وبسرعات بالغة، وفي ظل هذه الأوضاع، يظل الزمن زمنا والمكان مكانا بمفهوميهما غير المضغوط،

¹ Manuel Castells, The Rise of Network Society, Opcit, p 3.

إلا بالنسبة إلى "غير المحظوظين" كما يصفهم كاستلر، الذين لا يمتلكون ربطا بشبكة الإنترنت. أما بالنسبة للذين يمتلكون ربطا فإنهم سيعيشون شعورا بالاغتراب إزاء ما اعتادوه من ثقافة وتاريخ وجغرافيا، وسيعيشون في فضاء مليء بالمعلومات المتدفقة، عوضا عن الفضاء المكاني الذي ألفوه، أما الزمن فيتبدد في منظومة التواصل الجديدة¹.

ب. انتفاء المكان Deterritorialization:

نتجاوز مفهوم تضيق الزمكان إلى التخصص أكثر في المكان ونفي التقيد به، إضافة إلى المفهوم الأنثروبولوجي الذي قد رأيناه في الفصل الأول "اللامكان"، إضافة إلى مفهوم "تدمير الزمن للفضاء"، يأتي مفهوم انتفاء المكان الذي صاغه كل من جيل دولوز Gilles Deleuze وفليكس غواتاري Félix Guattari في كتابها ضد - أوديب Anti-Oedipus، حيث كان يشير في البدء في التحليل النفسي الفرنسي إلى طبيعة الذات الإنسانية السائلة والمبعثرة في الثقافات الرأسمالية المعاصرة، ثم وراح يستخدم في ميادين عدة، خصوصا الأنثروبولوجيا، حيث ارتبط بسيرة العولمة الثقافية، وعنى في إطارها "عدم تجسد"، أو "انفلات العلاقات الاجتماعية". كما بات يعني أيضا "تخطي الحدود"².

ومفهوم انتفاء المكان لا يعني بالنسبة لكاستلر "موت الجغرافيا"، أو نهاية العلاقة بين الاتصال والجغرافيا مؤكدا أن للإنترنت جغرافية خاصة بها هي جغرافية الشبكات Geography of Networks التي تتدفق ضمنها المعلومات، والفضاء الناتج عن هذه التدفقات يشكل فضاءً جديدا يختص به عصر المعلومات، والذي بالفعل يعيد تعريف المسافات ولكنه لا يلغي الجغرافيا³.

الحديث عن علاقة الجغرافيا بالاتصال سابق لأطروحات كاستلر حول المجتمع الشبكي، فقد تناولتها المتخصص في نظريات وسائل الإعلام الاسترالية ماكينزي وارك McKenzie Wark في كتابها "الجغرافيا الافتراضية" عام 1994، حيث رأت أننا نكتسب "خبرتنا الجغرافية" من خلال الأماكن الفعلية التي نتواجد فيها، لكننا بالتوازي نعيش كل يوم أيضًا في أمكنة أخرى، تكون مألوفة بنفس القدر: وهي الأماكن (أو التضاريس كما جاء في تعبيرها) التي أنشأها التلفزيون، والهاتف، وشبكات الاتصالات السلكية واللاسلكية التي تجوب العالم عبرت عنها بمصطلح "الجغرافيا الافتراضية"⁴. حيث تتخلص من عبء المكان ولا تتقيد بقواعد التقارب أو "الوجود هنا أو هناك"، لكننا دينامية حقيقة لا افتراضية بالمعنى الذي ينفي وجودها الفعلي، تضمن تنظيم الأنشطة والتنظيمات العولمية (بما في ذلك -وهي مفارقة- الحركات المناهضة للعولمة) الاجتماعية والاقتصادية والسياسية خارج إطار الإقليم.

¹ دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 81-82.

² تقع هذه الفكرة في إطار أطروحة "نهاية الجغرافيا"، والتي تقوم على ضرورة أخذ هذا العلم بجدية أكبر في تحليل ومناقشة العولمة، فتشير إلى وضعية لم يعد فيها التحديد الجغرافي محملاً إثر تقلص العالم، أين يؤدي التسارع في الزمان إلى اختصار الأمكنة وتقليصها وتفسر في ضوء ذلك العولمة على أنها عملية تجعل اقتصادات العالم ومجتمعاته وثقافته متجانسة عندما تصبح كل الأمكنة متشابهة، لا تعود بذلك الحدود محمة، وتخفي المسافة. أنظر كتاب: ورويك موراي، مرجع سبق ذكره.

³ دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 81 [الحاشية].

⁴ Manuel Castells, *The Internet Galaxy: Reflections on the Internet, Business, and Society*, Oxford University Press, New York, 2001, p 207.

⁵ McKenzie Wark, *Virtual Geography: Living with Global Media Events*, Indiana University Press, The United States of America, 1994, p viii.

ج. اللامركزية والضبط Decentralization and Control:

يقوم منطق الشبكات كما أسلفنا على خاصية اللامركزية، حيث تعبر عن المجتمعات التي تنحصر فيها التقنيات، والتي ساهمت في نشوء ظاهرة وسائل الاتصال ذات اللامركزية الفائقة التي تحافظ على طابعها الجماهيري¹، خاصة في ظل انتشار وسائل الإعلام الجديدة، نقص تكلفتها، سرعة النفاذ إليها... باعتبارها "ميديا جماهيرية ذاتية Self Mass Media" تلغي المسافة بين الاتصال الشخصي والجماهيري، أين أصبح المرسل هو نفسه الجمهور يؤثر ويتأثر، وتقانة التلقي هي نفسها تقانة الإنتاج عكس مركزية المرسل وحصرية النفاذ التي كانت تطبع وسائل الإعلام التقليدية، التلفزيون والإذاعة. ولا يعني هذا أن وسائل الإعلام الجديدة تلغي التقليدية أو تتجاوزها من حيث القوة والتأثير، بل نلاحظ -وهي مفارقة- أن الإعلام الجديد لم يبلغ التقليدي بل وقر له دعامة تقنية أخرى للتأثير، ففي إطار الإعلام الجديد نجد أن المستخدم يبحث عن الصفحات "الرسمية والموثقة" لقنوات إعلامية وإخبارية "تقليدية" ليتأكد من صحة الأخبار وموثوقيتها.

هذا يثير نقطة أخرى وهي العلاقة الجدلية بين اللامركزية والضبط والرقابة، فرغم أن السمات التقنية للشبكات الرقمية تجعل من التقانات أنظمة ضبط ورقابة، إلا أن الطابع اللامركزي لهذه الشبكات يعسر علمية الرقابة المركزية على وسائل التواصل، على أصعدة عدة بداية من السياسي ووصولاً إلى الشخصي، فكتب المتخصص في الاتصالات عن بعد البريطاني جيوف جيفري مالغن Geoff J. Mulgan عام 1991 حول فساد السياسيين واستغلالهم لتقنيات التواصل كتاب "الاتصال والضبط Communication and Control" وعبر عن الاتصال بأنه وصلة من شبكات العالم، كما تناول إتاحة التقنية لتقديم تسريبات غير معروفة الجهة والأكاذيب المنتشرة عبرها².

وعلى الجانب الشخصي فقد أتاحت التقنية النفاذ إلى الشبكة والقدرة على صناعة محتويات وأخبار وتزييف حقائق، وأعطت المستخدمين الأدوات والاستراتيجيات المناسبة للتصميم المرن لعملية ظهورهم أو تخفيهم أو تلاعبهم، وبذلك عدم عجزهم إزاء الرقابة المؤسسية باعتبارهم فاعلين مؤثرين في ديناميكية المجتمعات الشبكية³. كما يمين أن يأخذ الضبط هنا صفة الإيجاب، فالتقانات ضرورية لفرض الرقابة على إذ ما تفتأ وسائل التواصل الجديدة تحشد المستخدمين أكثر فأكثر مشكلة قاعدة بيانات جاهزة تسهل عملية الضبط والرقابة.

د. الطابع التفاعلي والاستجابة لرغبات المستخدمين Interactivity and Responce to users' desires:

السمة الرابعة المرتبطة بالأثر الاجتماعي للتقانة الشبكية هي طابعها التفاعلي وتأمينها لتواصل بشري واسع النطاق، وهو الذي تجسده التطبيقات التفاعلية للإنترنت على رأسها مواقع التواصل الاجتماعي، كما أن الطابع التفاعلي للتقانة الشبكية لا يقتصر على تفاعلات شخصية تحاورية، بل يتجاوز الأمر ذلك إلى تفاعل وسائل التواصل الرقمية مع المستخدمين والاستجابة لرغباتهم.

¹ دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 83.

² آسا بريغز وبيتر برك، ترجم: نور الدين شيخ عبيد، تاريخ اجتماعي لوسائل التواصل: من غوتنبرغ إلى الإنترنت، هيئة البحرين للثقافة والذشر، المنامة، 2017، ص 560.

³ دومينيك كاردون، ترجمة: عصام محيا: "الهوية بصفتها استراتيجية علائقية"، في: الهويات الرقمية: إمكانية التعبير عنها وتعبئها، مرجع سبق ذكره، ص 101.

وهو ما يقع في إطار تيار الاستخدامات والإشباعات Usages and Gratifications، الذي تطور في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته وكان مصدره الكتابات التي أشرف عليها بول لازارسفيلد وتواصلت صياغتها على يد ولبر شرام Wilbur Schram وزملائه من بحثوا في هذا التيار، الذي يقوم على فرضية أن "وسائل الإعلام ليست آلهة استبدادية يجب الخضوع لأوامرها، بل فضاءات منفتحة على الجمهور"¹، فيرتكز على قدرات الجمهور على الفرز والانتقاء بصفته جمهوراً إيجابياً تجاه الرسائل ومتفاعلاً معها من خلال دراسة ما يفعله الجمهور بوسائل الاتصال وليس ما تفعله هذه الوسائل بهم، مغيراً بذلك النظرة المألوفة إليها. ومع الانتقال نحو الإعلام الجديد زادت قدرة وسائل التواصل على الاستجابة لرغبات المستخدمين، ففتيح لهم المشاركة في عملية الاتصال برمتها، حرية التصفح لمضامين عديدة ومختلفة فلا يفرض على المستخدم برنامج تلقى معين بل يصمم برنامجه حسب رغبته الشخصية.

• المقاربات النظرية لعلاقة التقنية والمجتمع:

إن التقنية -بالمعنى الذي انطلقت منه دراستنا هذه- لا تطرح فقط على اعتبارها وسائل ذات غايات بل تطرح باعتبارها موضوعاً أخلاقياً واجتماعياً وربما تعبيراً أفلاطون عنها أنها "مصدر للقلق" لغموضها الأخلاقي إذ تكون دون جدوى إذا لم يكن المرء يعرف كيف يستخدمها على نحو صحيح، وأن مفهوم التقنية يمتد من التجارة والنحت إلى رجال الدولة والدين، الأطباء وحتى المواطنين²، إن هذه التجاذبات كلها حاضرة بقوة في كلمة تقنية Technology التي ترجمت إلى العربية بإرثها وتاريخها، والتي تجمع بين اللفظين اليونانيين القديمين techne و logos أما techne فتحيل إلى كلمة "الفن"، "المهارة"، "الصناعة"، أو "الحرفة"³، أما كلمة logos فتشير إلى "الكلمة" أو المنطق، وفي مدلولها الأوسع تشير إلى تقدير البشر لشيء ما، ويفضي التركيز على هذا الجانب من الكلمة إلى النظر إلى التقنية باعتبارها ممارسة توحد البشر ونشاطهم على نحو مخصوص من حيث كينونتهم في العالم، فيجمع كل من جانبيها التركيز على التقنية والمجتمع.

من أجل ذلك طرح دارن بارني أسئلة إشكالية استهل بها عرضه النظريات التي يمكن أن تقترب من خلال لفهم أو تفسير العلاقة بين التقنية والمجتمع، ومفادها أنه "هل المجتمع هو الذي يجعل الإنترنت على ما هي عليه؟ أم أن الإنترنت هي التي تجعل المجتمع ما هو عليه؟ وهل الحواسيب الشبكية والإنترنت مجرد أدوات ووسائل لبلوغ غاية أم أنها شيء تقني؟"⁴، وطرح ثلاث مقاربات رآها ناجعة في هذا الصدد جمع بينها في الأخير بنظرة مركبة.

✓ أولاً: الأدواتية Instrumentalism

وهو الخطاب الذي يعتبر التقنية أداة محايدة لا جوهر لها، بل تتوقف نتائجها على الكيفية التي يستخدمها بها الإنسان، ولذلك اختير التعبير عنها بلفظ الأداة Instrument، فالتقانة من وجهة نظر هذه المقاربة تعتبر ذرائعية بغض النظر أكانت

* هرتا هرزوغ Herta Herzog، باتريسيا كندل Patricia Kendall، كاترين ولف Catherine Wolf، مرجوري فيسك Marjorie Fiske، إضافة إلى دينيس ماكويل Denis Mcquail، جاي بلوملر Jay Blumler، إليو كاتز Elihu Katz و كارل إيريك روزنبرغ Carl-Erik Holmberg.

¹ إيريك ميفري، ترجمة: نصر الدين العياضي، *سوسيولوجيا الاتصال والميديا*، هيئة البحرين للثقافة والنشر، المنامة، 2018، ص 162.

² سيرافينا كومو، مرجع سبق ذكره، ص 50-55.

³ المرجع نفسه، ص 9-10 [الحاشية].

⁴ دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 52.

الذريعة محمودة أو مذمومة، ذات معنى أو غير ذات معنى، فلا يكون الحديث عن ثقافة جيدة وأخرى سيئة، بل ثقافة فعالة وأخرى ليست فعالة، فالإنترنت على سبيل المثال من هذا المنظور لا يحكم عليها بالخير والشر، اعتبارها مدعاة للوحدة أو التفكك أو الانتماء أو الاغتراب بل على أساس معيار كفاءتها في نقل المعلومة من عدما باعتبارها أداة.

وتقوم هذه المقاربة على نمط تفكير العقل الأداتي Instrumental Reason وخطاباته*، التي ترجح فاعلية الأداة في حين لا تأخذ الغايات بعير الاعتبار، ومن هذا المنطلق فإن الثقافة والحاسب دفعت الإنسان إلى تكوين صورة آلية عن نفسه واضطرته إلى تبني فكر شديد العقلانية تجاه مجتمعه أكثر من أي وقت مضى، "فعندما يكون العقل الأداتي هو المحرك الوحيد للفعل، فإن الأفعال التي يبررها هذا العقل تُسلب من معانيها المتأصلة، وبالتالي توقع في فراغ أخلاقي"¹.

والملاحظ أن هذا الصمت الأخلاقي الذي تلتزمه الأدوات لا تشمل مسألة التقدم، إذ أن حياديتها لا تلغي اعتبار الثقافة وسيلة للتقدم والتطور، وأن أي استخدام للتقنية غير ذلك يرجع فيه اللوم على من يتحكم بها، لذلك فإن هذه المقاربة لحياديتها شكلت مصدرا للتقارب بين تيارات فكرية متناقضة حيث تبني الليبرالية محور مشروعها على التقدم التقني والماركسية ترى فيها وسيلة للتحرر من قيم الرأسمالية². وإسقاطا على موضوع الدراسة هذه، فالتحول في مفهوم الهوية الجزائرية في ظل الثقافة سواء اتخذ جانب الإيجاب فيكسر أبعادها أو السلب فيفكها، فذلك راجع فقط إلى مستخدمي هذه التقنية وليس إليها هي، إذ تعتبر حاملا من الجانب المعلوماتي ونسقا من الجانب السوسيولوجي للظواهر.

✓ ثانيا: الجوهرانية** Substantivism

هي الأطروحة التي صيغت كنقد لخطاب الأدوات، فرغم أن الأخير يبقى قائما ما بقيت الثقافة في تطور إلا أن نقدها صاغ خطابات نقدية ترى أن الثقافة تتجاوز كونها أداة، وأن في جوهرها توجد غاية لا يمكن عزلها في محاولة فهم علاقتها بالمجتمع، فالجوهرانية (أو الجوهرية) مفهوم فلسفي يحيل إلى أهمية الجوهر والأصل في الأشياء، واعتمد المصطلح لوصف هذه المقاربة لينقد النظرة الأداتية للثقافة، إذ أن لها جوهرًا ولا يمكن أن تكون حيادية وبريئة من الغايات وهي تشكل نمطا للوجود يعبر عن خلفيات معينة.

وفي كتابه مساءلة الثقافة Questioning Technology تناول فيلسوف التقنية أندرو فينبرغ Andrew Feenberg الجوهرانيين ونظرهم إلى التقنية في نقده للنظرة الأداتية، وترى المقاربة "الجوهرانية" حسبه أن التقنية أكثر من مجرد وسيلة، ومضمونها أكثر من مجرد مضمون، فيجادلون بأن الثقافة ليست محايدة ولكنها تجسد قيما محددة، لذلك فإن انتشارها ليس بريئا،

* أنظر على سبيل لا الحصر: كتابات ماكس هوركهايمر Max Horkheimer، كتاب كسوف العقل Eclipse of Reason، وكتابه مع تيودور أدورنو Theodor W. Adorno جدل التنوير Dialectic of Enlightenment.

¹ Joseph Weizenbaum, **Computer Power and Human Reason: From Judgment to Calculation**, W. H. Freeman and Company, New York-San Francisco, 1976, p 11 and p 276.

² دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 53-54.

** نلاحظ أن هناك ترجمة أخرى لمفهوم الجوهرانية إذا ما بحثنا عنه باللغة الأجنبية وهو: الماهوية أو الماهية Essentialism، لكن الترجمة التي اعتمدناها كانت Substantivism رجوعا إلى المرجع المعتمد خاصة أن الجوهر فلسفيا يختلف عن الماهية، أنظر كتاب: Andrew Feenberg Technology Questioning، كما أننا ترجمنا في السياق لفظ "essence" إلى جوهر أيضا في باقي المراجع التي اعتمدنا عليها.

فالأدوات التي نستخدمها تشكل طريقة حياتنا في المجتمعات الحديثة، وفي هذه الحالة، لا يمكن فصل الوسائل والغايات إذ أن كيفية فعلنا للأشياء والأدوات المستخدمة في ذلك أصبحت تحدد من نحن وماذا Who and What we are، كما استشهد في تنظيره للجوهرانية بالعديد من أمهات الكتب* التي تُسائل علاقة التقنية (حتى في شكلها الصناعي) بالمجتمع من ماكس فيبر ونظرته إلى الحداثة وتداعيتها التقنية أي "القفص الحديدي" ومارتن هايدغر ومساءلته للتقنية، حيث يرى الأخير أنها "ليست مجرد وسيلة، وأنها تشكل ثقافة السيطرة الشاملة لا شيء يفلت منها حتى صناعاتها من البشر" وغيرها¹.

لكن بالنظر إلى رأي الجوهرانيين في التقنية نرى أنهم بالغوا شيئاً ما في تقديرها فإذا كانت الأدوات ترى فيها مدعاة للتقدم، فإن الجوهرانية صورتها كمدعاة لتحويل العالم إلى ديستوبيا، وأنكرت الأثر البشري الاجتماعي مقابل التقني حيث تمادت في جعل الإنسان تابعا لها ومرتبطة بها، ويظهر ذلك في الأفلام السينمائية كسلسلة حرب النجوم والكتابات الروائية كرواية "1984" لجورج أورويل George Orwell، فالجوهرانية تقدم بذلك قراءة نقدية للمجتمعات التقنية الحديثة.

وإذا خصصنا وجهة النظر لتشمل وسائل الإعلام والاتصال وغاياتها فقط، فأنا نتذكر أطروحة مارشال ماكلوهان "الوسيلة هي الرسالة"، التي صاغها من أجل فهم وسائل الاتصال وكيف تعتبر امتدادا للإنسان، حيث يرى أن غايات الوسيلة لا يمكن أن تكون بريئة من الغايات والخلفيات فكل رسالة تأخذ جوهرها من الوسيلة وأن للتقنية وكيف يسيرها الإنسان عواقب شخصية واجتماعية فهي حسب قوله "امتداد لأنفسنا"² حيث عمق التطور التقني مشاركة الوسائط في الحياة اليومية بالقدر الذي جعلها أكثر من أداة، كما جعلها غير حيادية عن غايات الإنسان، وهنا صاغ كاستلز عبارته التي تيمن فيها بماكلوهان "الشبكة هي الوسيلة The Network is The message".

✓ ثالثاً: البنائية الاجتماعية Social constructivism

في ثمانينيات القرن الماضي، نما تأثير كل من توماس كون Thomas Kuhn وبول فيرابند Paul Feyerabend** بين علماء الاجتماع وأصبح من الجدير بالاحترام فكرياً دراسة التاريخ وعلم اجتماع العلوم والتقانة بشروط مشابهة للمجالات الثقافية الأخرى. تم التخلي عن "الخطابات البطولية" المبكرة للسياسات النقدية للتقانة، وتم التعامل معها كظاهرة اجتماعية دون أفكار سياسية لاحقة، هنا ظهرت وجهة النظر التي تعتبر التقانة بُعداً للمجتمع بدلاً من كونها بعداً خارجياً أدى هذا التحول في وجهات النظر إلى ظهور البنائية الاجتماعية.

فنقدنا لحيادية الأدوات، وحمية الجوهرانية صيغ منظور آخر للتقانة وعلاقتها بالمجتمع والأفراد أيضاً وهي المقاربة البنائية الاجتماعية التي تستمد جذورها من عدد من التخصصات، بما في ذلك الفلسفة وعلم الاجتماع واللغويات، مما يجعلها متعددة التخصصات بطبيعتها، ومتعدد الافتراضات على رأسها اللاجوهريّة، فإن البناء الاجتماعي يجادل بأنه لا يوجد "جوهر" داخل الناس يجعلهم على ما هم عليه. فإذا كان العالم الاجتماعي، بما في ذلك أنفسنا كأشخاص، هو نتاج لعمليات اجتماعية، فإنه يترتب

* ربما يلاحظ القارئ رجوعنا في الإحالة لعلاقة التقانة بالمجتمع بكثرة إلى أمهات كتب أغليا من التراث الغربي، إلا أننا نحاول عرض المعارف التي كتبت حول هذا الموضوع في سياق أطروحة كاستلز بالمفاهيم التي تبناها هو والمؤسسين لمفهوم المجتمع الشبكي مثل فان ديك ودارن بارني.

¹ Andrew Feenberg, **Questioning Technology**, Routledge, London, 1999, pp 2-3.

² Marshall McLuhan, **Opcit**, pp 7-8.

** لا سيما في كتابها على التوالي: بنية الثورات العلمية The Structure of Scientific Revolutions، وضد المنهج Against Method.

على ذلك أنه لا يمكن أن يكون هناك أي طبيعة محددة ومتجانسة للعالم أو الناس، فيُنظر إلى الجوهرية على أنها "محصرة للناس" داخل شخصيات وهويات مقيدة¹، فهذه النظرة لا تعزل الفرد عن السياق الاجتماعي مقابل الجوهر.

ومن أهم الافتراضات الرئيسة التي تقوم عليها البنائية الاجتماعية لتوصيف علاقة المجتمع بالتقانة، هو اعتبار أن ما ينبج عن التقنية ليس منبثقا عنها هي في حد ذاتها أو عن "روحها" بل هي نتاج لتفاعلها مع العلاقات أو البيئة الاجتماعية، السياسية، المادية أو الثقافية التي تتواجد فيها، فالطابع الاجتماعي للتقانة لن يكون متجانسا ولا شاملا. فالإنترنت مثلا من وجهة النظر هذه؛ تتسم بطابع تعددي وغير متجانس، وخاضعة على الدوام لنمط العلاقات الاجتماعية السائد والأوضاع المحيطة وبهذا المعنى يمكن للإنترنت أن تظهر بأشكال عدة في أماكن عدة، بل بأشكال عدة في مكان واحد².

وهنا يسير مرة أخرى فينبرغ إلى أن "التقنية أو الأداة الأكثر نجاحا ونجاعة ليست التي تظهر كفاءة في تصميمها ولكن التي تحيط بها ظروف محلية مناسبة.. فتتجح التقنية حيث تجد الدعم في بيئتها الاجتماعية"³. هنا نسترجع مفهوم اللامركزية الشبكية الذي صاغه كاستلز فنرى أنه يربح في فهمه لعلاقة التقانة بالمجتمع هذا الخطاب، أولا: لأنه يرى أن التقانة ليست هي التي تحدد المجتمع، فالإنترنت حسب "تقنية طيعة بشكل خاص، كما أنها عرضة للتغير العميق من خلال الممارسات والبيئة الاجتماعية المحيطة بها، كما تؤدي هي بدورها إلى مجموعة من النتائج الاجتماعية الممكنة"⁴، وثانيا: لأن هذا التيار يؤيد نظريته إلى عدم وجود مجتمع شبكة واحد بل مجتمعات شبكية متعددة يخضع منها إلى سياقه الاجتماعي كما ذكرنا سابقا.



الشكل رقم (05): النظرة المركبة للمقاربات النظرية لعلاقة التقانة والمجتمع.

¹ Vivien Burr, **Social Constructionism**, the 3rd edition, Routledge, London, 2015, p 6.

² دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 58.

³ Andrew Feenberg, Opcit, p 10.

⁴ Manuel Castells, **The Internet Galaxy: Reflections on the Internet, Business, and Society**, Opcit, p 5.

وكما هو موضح في الشكل أعلاه؛ وفي إطار المقاربات سابقة الذكر، ولأنها تبقى قاصرة عن الإلمام بجميع جوانب الظاهرة وقابلة للنقد فالأرجح صياغة وجهة نظر مركبة تتموضع من خلالها لفهم علاقة التقنية بالمجتمع ووسمها بال النظرة المركبة والتي تولي اهتماما للتقانة باعتبار فاعليتها كأداة فلا يمكن فهم علاقة المجتمع بالتقانة بمعزل عن حياديتها كأداة، وأن نتائجها متوقفة على المعنى الذي يعطيه لها الإنسان، وغايتها كجوهر إذ لا يمكن غض الطرف عن غاياتها وأغراضها فهي ليست تابعة لكيفية استخدام الإنسان لها بل هي في حد ذاتها امتداد له كبناء اجتماعي، وإذا اعتبرنا التقنية "مؤسسة" فلا يمكن فهم ديناميتها دون وضعها في سياقها الاجتماعي، النفسي، السياسي.. والظروف المحيطة بها.

المطلب الثالث: الهوية الشبكية.

كما أسلفنا، خصص كاستلز لمفهوم الهوية المجلد الثاني من أطروحته، حيث وضح معناها وموقعها، ودلالاتها الوظيفية في المجتمع في عصرنا هذا، وفي ظل ثورة المعلومات والاتصالات، وفيما يلي سنطرح تعريف كاستلز لهوية الشبكية، أصنافها، وعلاقتها بالقومية في عصر العولمة.

• تعريف الهوية الشبكية Network Identity:

من منظور كاستلز، تعتبر الهوية في ظل المجتمع الشبكي المصدر الرئيسي وأحياناً الوحيد، للمعنى في فترة تاريخية تتميز بانحياز واسع للمنظمات ونزع الشرعية عن أخرى، عالم تتدفق فيه الثروة والسلطة وصور العالمية والتعبيرات الثقافية العابرة للحدود، حيث يصبح البحث عن الهوية، الجماعية أو الفردية، المنسوبة أو المبنية، المصدر الأساسي للمعنى الاجتماعي، فينظم الناس بشكل متزايد معانيهم ليس حول ما يفعلونه (الوظيفة) ولكن على أساس ما هم عليه (المعنى) أو يعتقدون أنهم كذلك، وعليه تزايد هيكل مجتمعاتنا حول معارضة ثنائية القطب بين الذات والشبكة¹، والتي تحيل إلى ثنائية الهوية والعولمة، من أجل ذلك شكل موضوع الهوية محورا مفصليا في تحليلاته السوسيولوجية للمجتمع الشبكي.

الهوية من منظور كاستلز تعني "العملية التي يتعرف من خلالها الفاعل الاجتماعي على نفسه، ويبنى المعنى، وذلك على أساس سمة ثقافية معينة أو مجموعة من السمات.. ولا يشمل المجتمع كله سمة هوياتية بعينها، حيث أن إثبات الارتباط بهوية ما لا يعني بالضرورة عدم القدرة على الارتباط بهويات أخرى Plurality of Identities، إلا أنه في إطار العلاقات الاجتماعية تُعرّف الذات من خلال تلك السمات الثقافية التي تحدد الهوية من طرف الآخر"²، إذا من خلال هذه التعريف نفهم أن الهوية في المجتمع الشبكي تنطوي على خاصيات:

- ✓ الهوية تشير إلى **وعي الفاعل بماهيته**، والأفكار التي يحملها عن نفسه فيعرف من خلالها ذاته (هويته الذاتية)، فهي بذلك مكون رئيس للذات الإنسانية، وهي المصدر الرئيس للمعنى.
- ✓ تشكل الهوية الأفكار التي يحملها "الآخر" عن الفاعل، فهي تشكل علاقة ورابطا اجتماعيا للفاعل معه، كما تميزه عنه،

¹ Manuel Castells, *The Rise of Network Society*, OpCit, p 3.

² Ibid, p 22.

✓ يمكن أن ينتهي ويرتبط الفاعل بهويات أو بالأحرى بمكونات هوياتية متعددة، هوية لغوية، إثنية، دينية... وكذا يمكن الانتماء إلى هوية "عالمية" أو ما سبق واصطلحنا عليه "الكوزموبوليتانية"، أي بتعبير كاستلز الجمع بين فضائي التدفقات وفضاء الأماكن.

✓ رغم إمكانية تعدد الانتماءات الهوياتية، إلا أن هناك سمات تُعطى أسبقية وأولوية على سمات ثقافية (سماها كاستلز: **الهويات الأولية** Primary Identities وتشمل الدين، الإثنية، الإقليم، والقومية) على سمات أخرى، وهويات إقليمية ومحلية على هوية عالمية.

• أشكال الهوية عند مانويل كاستلز:

الهوية كما أوردها كاستلز هي المصدر الذي ينظم معنى* وخبرات الإنسان، حيث أثرى بحثه حولها بالرجوع إلى الاقترب الذي استلهمه من عمل السوسيولوجي كيرج كالهن Calhoun Craig حول النظرية الاجتماعية وسياسات الهوية، الذي استشهد بقوله "نحن لا نعرف أي أشخاص ليست لهم أسماء، لغات أو ثقافات يمكن أن نميز من خلالها بين الذات والآخر، الـ"نحن" والـ"هم" .. فإدراك الذات لا يمكن أبدا فصله عن الطرق المحددة التي تكون الذات معروفة من خلالها من قبل الآخر"¹، بمعنى أنه لا يوجد فاعل اجتماعي دون هوية سواء عرّف من خلالها ذاته أو عرّفه بها الآخر.

ويجب تمييز الهوية عن الأدوار Roles ومجموعات الأدوار Role-sets. حيث يتم تحديد الأدوار (أي أن تكون عاملاً، وأماً، وجاراً، ناشطاً في حزب سياسي..)، من خلال القواعد التي تنظمها مؤسسات ومنظمات المجتمع التي تؤثر على سلوك الأفراد، (كالأسرة، مكان العمل والأفضية الثالثة..). أما الهويات فهي مصادر المعنى بالنسبة للفاعلين أنفسهم، وبأنفسهم، والتي يتم بناؤها من خلال عملية فردية²، بعبارة أبسط: تنظم الهويات المعنى، بينما تنظم الأدوار الوظائف، وربما يمكننا القول أن المعنى يشمل الوظيفة، فيمكن لفاعل اجتماعي بناء معانيه من خلال وظائفه، وهو يخلق ما يعرف بالهويات الوسطى: الهوية في العمل على سبيل المثال.

من منظور اجتماعي هناك اتفاق على أن جميع الهويات "مبنية" Constructed، لكن القضية الرئيسة تكمن في الأسئلة: كيف تبنى؟ ومن ماذا؟ من طرف من؟ ولماذا؟؛ تبنى الهويات بالرجوع إلى التاريخ، الجغرافيا، والبيولوجيا، إنتاج وإعادة إنتاج المجتمع، الذاكرة الجماعية والتمثيلات الفردية، أجهزة الدولة والتعاليم الدينية. فالأفراد؛ الجماعات الاجتماعية والمجتمعات يعالجون كل هذه المرجعيات ويعيدون ترتيب معانيها حسب المحددات الاجتماعية والثقافية المتجذرة في بنيتهم، وحسب سياقهم الزماني والمكاني. من أجل ذلك اقترح كاستلز فرضية تجيب على الأسئلة المتقدم ذكرها، والتي تحدد المحتوى الرمزي لهذه الهوية ومعناها، بالنسبة للذين ينسبون أنفسهم إليها أو يضعون أنفسهم خارجها، ولأن البناء الاجتماعي للهوية يحدث دائماً في سياق يتميز بعلاقات القوة أو ضعف، ميز كاستلز بين ثلاثة أشكال لبناء الهوية:

* يقصد مانويل كاستلز بالمعنى Meaning: أنه التعريف الرمزي الذي يعطيه الفاعل الاجتماعي لهدف فعله، كما أنه في ظل مجتمع الشبكة، يتم تنظيم المعنى حول هوية أساسية مؤطرة لمعظم الفاعلين الاجتماعيين، تكون مكيفة ذاتياً عبر الزمن والفضاء.

¹ Craig Calhoun, *Social Theory and the Politics of Identity*, Blackwell, Oxford, 1994, pp 9-10,

² Manuel Castells, *The Power of Identity*, Opcit, p 6.

1. **هوية إضفاء الشرعية Legitimizing Identity:** وهي الهوية التي تدخلها المؤسسات المهيمنة على المجتمع من أجل توسيع وعقلنة هيمنتها على الفاعلين الاجتماعيين، وفرض رؤيتها لبنية الأدوار والعلاقات الاجتماعية، والمواطنة على سبيل المثال نموذج على مرجعية هوياتية تستمد معناها من قوانين الدولة القومية، وهو موضوع يقع في قلب نظريات السلطة والهمنة، ومختلف نظريات القومية¹.
2. **هوية المقاومة Resistance Identity:** بمقابل هوية إضفاء الشرعية، تحيى الهويات المقاومة من قبل الفاعلين الاجتماعيين كمعارضة لمنطق الهمنة ومقاومة للإقصاء الذي تتعرض له، وعادة ما تنتظم صفوف هؤلاء "المهمشين" حول السمة الهوياتية التي يتم إقصاؤهم بسببها، عرقية، دينية، لغوية.. وغيرها، ويشرح هذا الصنف من الهوية ظهور ما يعرف بسياسات الهوية Identity Politics*.
3. **هوية المشروع** Project Identity:** تتشكل عندما يقوم الفاعلون الاجتماعيون، على أساس سمات ثقافية، ببناء هوية جديدة تعيد تحديد موقعهم في المجتمع، وبذلك يسعون إلى تغيير بنية النظام الاجتماعي²، وتقاوم هويات المشروع الهويات المشرعة لمنطقة الهمنة الذي تقوم عليه، وهي تتفق مع هوية المقاومة في هذا الأمر لكنها تختلف عنها في أمر آخر: أنها لا تسعى للدفاع عن هويات مهمشة ولا لقبولها في المجتمع المدني بل تسعى لبناء هويات جديدة تماما وتغيير بنية المجتمع جذريا. إن هذا التصنيف للهويات لا يعتبر حتمية تاريخية تمر بها المجتمعات كلها بالضرورة، فيمكن أن تخلو مجتمعات من هويات المقاومة وهويات المشروع إذا كانت هوية إضفاء الشرعية "شرعية" فعلا لدى الفاعلين الاجتماعيين، خاصة إذا كانت هويات المقاومة أو المشروع لا تتناسب مع السياق السوسيو-ثقافي لمجتمع معين، كالحركات النسوية في المجتمعات الأبوية وحركات الشواذ أو اللادنيين في المجتمعات الإسلامية.

• الهوية، القومية والعولمة عند مانويل كاستلز:

في عصر العولمة والانعتاق من الزمان والمكان، يبرز تياران متعارضان من الارتباط تنتجها تقنيات الاتصال باعتبارها أحد أهم مظاهر العولمة المعاصرة، الارتباط بالثقافة العالمية مقابل الثقافة الإقليمية أو المحلية والذي يمثلها مفهوم الهوية، فكيف ناقش كاستلز التناقض القائم بين ثنائية الهوية والعولمة؟ والقوميات في عصر العولمة؟

عبر كاستلز عن التناقض بين الهوية والعولمة بمفهوم "فضاء التدفقات" Space of Flows و "فضاء الأمكنة" Space of Places، فيعبر فضاء الأمكنة عن المكان الجغرافي والانتماء إلى هويته، أين يتم تعريف المعنى الثقافي والاجتماعي من حيث المكان، ويعبر فضاء التدفقات عن عدم الارتباط بمكان معين بل إلى أمكنة عديدة ومتشابكة ووسائل الاتصال نموذج عليها،

¹ دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 182.

* سياسات تأكيد الهوية: هي الاهتمام بالجماعات المهمشة داخل المجتمع التي تنشأ خلق مجتمع قائم على مقومات ثقافية واجتماعية وعرقية. وقد ظهر هذا المصطلح إلى النور بواسطة نشطاء سود في الولايات المتحدة في الستينيات من القرن العشرين، وقد أعادت هذه الجماعات تجديد هويتها وسياستها في سياق العولمة، كما أتاحت الإنترنت والتطور التقني الاتصالات أكبر بين هذه الجماعات. أنظر: أنيل مويني وبيتس إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص 186-187.

** ظهر مصطلح المشروع بنفس المعنى تقريبا في دراسات هومي بابا حول الثقافة والتعددية الثقافية: إذ يرى أن الاختلافات الاجتماعية لا تختبر ولا تعاش من خلال تراث ثقافي مؤصل مسبقاً (هو إضفاء الشرعية هنا)، وإنما هي دواليل انبثاق جماعة يتم تصورها كنوع من المشروع - أي كنوع من الرؤيا ومن البناء في آن معاً، أنظر: هومي ك. بابا، مرجع سبق ذكره، ص 45.

² Manuel Castells, *The Power of Identity*, Ibid pp 6-9.

ويتم بذلك تعريف الوظيفة والثروة والسلطة من حيث التدفقات. ولأن الشبكات العالمية تقوم على مبدأ "الرأسمالية" التي انتقلت طبقيتها من الاقتصاد إلى المجتمع، فهي تدمج أبعاداً معينة من الحياة البشرية وتستبعد أبعاداً أخرى بالرجوع إلى امتلاك التقنية من عدمه، فإن يشعر قلة من الناس في العالم بأنهم مرتبطون بالثقافة العالمية التي تسكن الشبكات العالمية والتي يرون أنها تهدد خصوصياتهم، في حين يشعر معظم الناس -أي المستبعدون- بهوية إقليمية أو محلية قوية¹. هذا هو التناقض الأساسي الذي يظهر في عالمنا المعولم والمتشابك.

بالنسبة لكاستلز، يتم صعود المجتمع الشبكي عندما تقوض شرعية هويات إضفاء الشرعية (المشرعنة)، إثر تراجع مؤسسات الدولة التقليدية عن القيام بأدوارها ووظائفها، بسبب عولمة الأنشطة الاقتصادية الأساسية، عولمة وسائل الإعلام والاتصالات الإلكترونية، فتبرز هويات مقاومة كرد فعل على ذلك بحثاً عن المعنى المحلي وخصوصيته، ودفاعاً عن التهديدات التي تطال النظام الاجتماعي التقليدي، ونضرب مثلاً: مقاومة "السكان الأصليين"، أنصار "صناعة التراث" التي تتشكل للدفاع عن خصوصيات محلية تهددها العولمة، فالهوية هنا قوة مضادة للمجتمع الشبكي العالمي.

أما هويات المشروع فتنشأ حين تتجذر هويات المقاومة، فتصبح ذات طابع راديكالي، وذات طابع سياسي ينطوي على إيديولوجيات وليس سمات ثقافية فحسب، وقد تناول كاستلز أربعة إيديولوجيات أو حركات اجتماعية كمنادج لهويات المشروع التي صيغت بسبب العولمة، وانتشرت -وهو تناقض- بفضلها الزاباتيسستا Zapatistas في تشياباس بالمكسيك؛ الميليشيا الأمريكية The American militia، أوم شينريكيو Aum Shinrikyo (طائفة يابانية)؛ منظمة القاعدة؛ والحركة من أجل العدالة العالمية المعروفة شعبياً باسم "الحركة المناهضة للعولمة"².

وفي نقاشه للقومية في عصر العولمة، يرى كاستلز أولاً أن الأمة هي "جاعة ثقافية منظمة تدور حول لغة وتاريخ مشترك... وهي منتج تاريخي متجدد بشكل دائم، تقوم بإعادة بناء أيقوناتها الخاصة بهويتها الذاتية بشفرات مخصصة لكل سياق تاريخي بذاته، وتتناسب مع ما يتناسب مع السياق التاريخي، ومع المشروعات السياسية فالأمة ليست حكاية فكرية، ولا هي بناء الدولة"³، بمعنى أن قوة هوية الأمم هي قوة ثقافية لا يمكن أن تختزل في سياسة مؤقتة.

ولأن مجتمع الشبكة قائم بالأساس على وجود الاتصال وتقنياته، تضمن تدفقات ثابتة بين عقد الشبكة وحتى خارجها إذ يفترض أن يساهم الاتصال هنا حسب هذا الاقتراب -على عكس المنظور السائد حوله والمرتبط بالهيمنة الثقافية واستنساخها من مجتمع مركزي إلى آخر هامشي- في فتح قدرة المجتمعات على تجربة نماذج تربط بين المجتمع والتقنية عن طريق العولمة وتنشأ من خلالها مجتمعات شبكة متجذرة في هويتها، ولها خصوصيات اجتماعية واقتصادية وسياسية عبر عنها كاستلز بـ: مجتمعات الشبكة محلية، أي أن النموذج لم يصغ ليوصف مجتمعا سمي كما يرغب أولئك الذين أطلقوا التسمية أن يروه مثل "مجتمع الحداثة"،

¹ Manuel Castells, *The Rise of Network Society*, Opcit, p xxxix

² Manuel Castells, *The Power of Identity*, Opcit, pp 70-72.

³ سام برايك، ترجمة: بدوري عبد الفتاح، القومية في عالم العولمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص 83.

بل ليوصف مجتمعا تنتظم علاقاته الاقتصادية، السياسية والاجتماعية بمنطق منفصلة حدوده من حتميات التاريخ وقيد الجغرافيا، من أجل ذلك جعل كاستلز لنظريته شعار: "الاتصال بدل الاستنساخ".

ويقترح كاستلز أن عصر العولمة هو أيضًا عصر نهوض القومية، والذي يكمن في كل من التحديات التي تواجه الدول القومية وفي "إعادة" بناء الهوية والتأكيد عليها، فرغم أن العولمة تعمل على إفراغ مفهوم القومية من معناها عن طريق عولمة الاقتصاد وتدويل المؤسسات السياسية، عولمة ثقافة تعمل على نشرها وسائل الإعلام الرقمي، إلا أنها تثير رد فعل يعمل على صعود الحركات القومية (المشروع منها أو المقاومة)، والتي تبتكر **هوية وطنية**، وإذا نجحت، ستكرسها الدولة القومية، "إلى درجة أن الوطنيين Nationals سيصبحون على استعداد للموت من أجل وطنهم، خاصة القوميات التي تنشأ من الأسفل إلى الأعلى أي من مشاركة السمات اللغوية والإقليمية والعرقية والدينية والتاريخية"¹.

إن الرجوع إلى الهويات القائمة على عرق، دين، تاريخ أو جغرافيا هو في أطروحة كاستلز رد فعل، فالأصولية الدينية Religious Fundamentalism والقومية الثقافية Cultural Nationalism والكوميونات الإقليمية Territorial Communes هي ردود أفعال دفاعية ضد تهديدات أساسية:

- رد الفعل ضد **العولمة**، التي تقضي على استقلالية المؤسسات والمنظمات القومية.
- رد الفعل ضد **التشبيك**، الذي يطمس الحدود، ويؤدي إلى عدم الاستقرار البنائي للزمان والزمان².

إذن، يمكن في هذه الحالة تشبيه العلاقة بين الهوية والعولمة عن طريق الشبكة في تفكير كاستلز بالحلقة، المتجاذبة وفي نفس الوقت متعارضة ويمكن شرح ذلك بأن العلاقة بين الهويات وتقانة المعلومات والاتصالات التي تعمل على عولمة الهوية والمساهمة في إخراجها من طابعها المناطقي، علاقة تبدأ من الهويات لتعود إليها، فمن جهة نجد الحركات الاجتماعية التي تدافع على الهويات المحلية في وجه العولمة تعارض في مضمونها ما النظام الذي تفرضه التقانة، والقائم على إلغاء الزمان والمكان وعولمة الخصوصيات المحلية، من جهة أخرى فالعلاقة بين الحركات الاجتماعية وما تدافع عنه من هويات وبين التقانة علاقة ضرورة ف"قد جاء التأثير القوي لكل من هذه الحركات إلى حد كبير، من وجودها الإعلامي ومن استخدامها الفعال لتكنولوجيا المعلومات"³، إذ وجدت انتشارها الواسع وتأييدها على مستوى عالمي بمساعدة التقانة نفسها، فإذا كان بالفعل هناك تعارض بين "الذات" و"الشبكة"، فإن الارتباط بينهما يبقى بشكل معقد ارتباطا عضويا.

¹ Manuel Castells, **The Power of Identity**, Opcit, p 30.

² Ibid, p 69.

³ Ibid, pp 162-163.

خلاصة:

غالبا ما نجد على المنشورات، الإعلانات، الصور المرافقة للمقالات الثقافية، حول "سياسات الهوية"، "الهوية والاختلاف" ومختلف أسئلة الهوية، وحتى غيرها من مضامين تناقش أسئلة يعنى بها كل البشر، نجد صورةً تضم مجموعة من الأشخاص المتداخلة أجسادهم ذوي ألوان بشرية مختلفة، من الجنسين، مظهر وأنماط لباس مختلفة تحيل إلى إثنيات أو أديان مختلفة كالحجاب والعمامة، والشيخون (العمامة الإفريقية) والحية والضفائر الجمالكية في إشارة سيميائية إلى إلغاء التقسيمات الإثنية، والدينية باسم الثقافة وتعارضها مع الطبيعة؛ والذي يشار إليه أنثروبولوجيا بالثقافة ضد العرق.

وقد جاء هذا الفصل ليتناول الثقافة والهوية في عالم العولمة، حيث لم تصبح الهوية مرتبطة بمحددات قومية بل اعتقت منها لتصبح جزءاً من هوية العالم، وقد ساهمت التقنية عموماً والإنترنت على وجه الخصوص بشدة في هذا الانعتاق سواء سلباً من حيث تفكيك الهوية وإسالتها، أو إيجاباً من حيث تكريسها وتوطيدها بل والمساهمة بها في تشكيل الثقافة والهوية الكونية، وكما رأينا يعتبر المنظور السوسيولوجي لمانويل كاستلز لعلاقة الهوية، العولمة والتقنية مقارنة مناسبة لفهم هذه العلاقة خاصة في إلحاحه على التناقض الذي تفرزه جدلية العولمة والهوية على كل من الذات في ظل الشبكة.

الفصل الثالث:

المهوية، والهوية الوهنية الجزائية

مضمون الفصل:

تمهيد.

المبحث الأول: الإحاطة النظرية بمفهوم الهوية.

المطلب الأول: في ماهية الهوية والمفاهيم المرتبطة بها.

- التأصيل اللغوي للمفهوم الهوية.
- أطر الهوية: الذاكرة والمكان، الذاكرة والزمان.
- فئات العناصر الخاصة بالهوية.

المطلب الثاني: الهوية في التراث المعرفي: مداخل فهم الهوية.

- المدخل الفلسفي: الهوية من وجهة نظر فلسفية.
 - المدخل النفسي: الهوية من وجهة نظر سيكولوجية.
 - المدخل الإنساني: الهوية من وجهة نظر أنثروبولوجية.
 - المدخل الاجتماعي: الهوية من وجهة نظر سوسيولوجية.
- المطلب الثالث: الهوية في عصر الإنترنت: ميلاد الهويات الافتراضية.

- الهوية الافتراضية: اختراع المفهوم.
- أشكال الهوية في الحياة الافتراضية.

المبحث الثاني: الهوية الوطنية الجزائرية.

المطلب الأول: تشكل الهويات الوطنية: من الهويات الذاتية إلى الهويات الوطنية.

- من الهوية الذاتية إلى الهويات الوسطى.
- من الهويات الوسطى إلى الهوية الوطنية.
- تصنيفات الهوية الوطنية في عصر العولمة.
- مقارنة الهوية الوطنية نظريا.

المطلب الثاني: الهوية الوطنية الجزائرية في الدراسات السوسيو-تاريخية.

- مولود قاسم نايت بلقاسم: الإثنية والأصالة.
- محمد العربي ولد خليفة: الهوية كمسألة وطنية.
- ناصر الدين سعيدوني: الهوية كمحدد للمسألة الثقافية في الجزائر.
- عبد الغني مغربي: الثقافة والشخصية الجزائرية.
- علي الكنز: الهوية الجزائرية وقضاياها.

المطلب الثالث: مرجعيات الهوية الوطنية الجزائرية.

- الدين الإسلامي كمرجعية للهوية الوطنية الجزائرية.
- اللغة الوطنية كمرجعية للهوية الوطنية الجزائرية.
- الوطنية كمرجعية للهوية الوطنية الجزائرية.

خلاصة.

تمهيد:

"أليس مصطلح «هوية» نموذجاً للكلمة المنحوتة التي يعكس عليها كل منا معتقداته ومزاجاته ومواقفه!"

كلود دوبار، أزمة الهويات، ص 15.

"في حالة الجزائر.. تأسس الوعي بالهوية على فكرة الاختلاف عن الآخر (الفرنسي) كأسلوب دفاع عن الذات، وسعي إلى استردادها بالرجوع إلى التاريخ والتراث.."

ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر، ص 49.

ناقش الفصلان السابقان كلاً من العولمة والثقافات القومية في عصرها، وسيخصص هذا الفصل لمناقشة المتغير الرئيس في الأطروحة: "الهوية"، ذلك أن الهوية توفر مجالا ثقافيا مناسباً تتجلى فيه كل من تداعيات العولمة ومدى أصالة أو هجانة الثقافات القومية، من أجل ذلك سينطلق الفصل من محاولة الإحاطة بمفهوم الهوية لغويا وحسب مختلف المداخل التي يمكن أن تفهم أو تفسر من خلالها من جذوره الفلسفية إلى الأشكال المعاصرة من الهوية في عصر الإنترنت، هذا إضافة إلى عرض علاقتها بمفاهيم عديدة لطالما عثرنا عليها مرتبطة بنقاشاتها، وهو مضمون المبحث الأول من الفصل.

وبالتخصص أكثر في مفهوم الهوية وأوجهه نصل في المبحث الثاني إلى الهوية الوطنية الجزائرية، والتي سنطلق في مناقشتها بعد التعرّج على مفهوم الهوية الوطنية؛ وكيف يمكن أن ننقل من امتلاكنا لهويات ذاتية والاتصاف بها إلى امتلاكنا لهويات وطنية والالتقاء إليها، حيث سنعرض بعد ذلك مرجعيات الهوية الوطنية الجزائرية راجعين إلى الأدبيات (خاصة أدبيات مولود قاسم نايت بالقاسم؛ محمد العربي ولد خليفة، ناصر الدين سعيدوني..) والواقع وليس إلى الاعتقادات ولا إلى الأحكام المسبقة والتحيزات، بالخصوص لأن مسألة الهوية الجزائرية؛ لطالما وُصفت بالتأزم والأدجة، خاصة في المرحلة الكولونيالية وما بعدها، والتي –وبالاستناد إلى الفصلين السابقين- يمكننا اعتبارها مرحلة عولمية. فما الذي يعنيه لفظ الهوية ولماذا يأخذ حيّزا واسعا من النقاشات الحديثة والمعاصرة؟ كيف تم تطويع مفهوم الهوية لينتج أشكالا جديدة كالهوية الافتراضية؟ ما هي مرجعيات الهوية الوطنية الجزائرية وما الدور الحاسم الذي لعبته في تاريخ الجزائر؟ سنحاول في هذا الفصل مناقشة هذه التساؤلات.

الكلمات المفتاحية للفصل: الهوية، الذاكرة، الهوية الافتراضية، الهوية الوطنية، الهوية الوطنية الجزائرية.

المبحث الأول: الإحاطة النظرية بمفهوم الهوية.

يبدأ المفكر علي حرب في بدايات كتاب النهايات باعتباره إنسانَ اليوم موجوداً بين ثلاثة عوالم لكل منها هويته، العالم القديم بأصولياته الدينية والماورائية والغيبية، الحديث بفلسفاته وإيديولوجياته العالمية، وعالم اليوم الآخذ في التشكل؛ وسماه عالم العولمة مميّزاً إياه "بفضائه السيبراني ومجاله الإعلامي، بإنسانه العددي ومواطنه الكوكبي"¹، والمسار الذي سنتبعه في هذا المبحث مماثل لهذا المسار فسننطلق من أصول مفهوم الهوية وعناصرها، مروراً بمقارنته النظرية عبر مختلف المداخل، وصولاً إلى الهوية في شكلها المعاصر والمرتبطة بالعولمة والمعلومات، والمنتجة لأشكال جديدة من الهوية، الهوية الافتراضية إحداها.

المطلب الأول: في ماهية الهوية والمفاهيم المرتبطة بها.

لمفهوم الهوية دلالات لغوية، فلسفية، واجتماعية اكتسبها من خلال التراكمات المعرفية التي عنيت به، إذ تم تناوله ضمن حقول علمية عديدة بداية من علم الفلسفة تجريداً إلى علم الاجتماع تجريباً، فهو ليس مفهوماً حديثاً أو معاصراً بل يمتد تأصيله إلى جذور تاريخية ترجع إلى الفلسفة اليونانية التي ارتبط فيها من الناحية الأنطولوجية بمفاهيم عديدة مثل الوجود ليصل إلى مفهومه الحديث والمعاصر.

وقبل الخوض في تعريف الهوية لغة تجدر الإشارة إلى أن الهوية تُنطق بضمّ الهاء وليس بفتحها كما هو الشائع الخاطئ ولا بفتح الواو بل بكسرها، ذلك أن الهوية (بالفتح) لديها معانٍ أخرى بعيدة كل البعد عن معنى الهوية؛ الهوية من الهوى، "وهوي فلانٌ فلاناً فقد أحبه، فهو هو وهي هوية"²، أي هو محبٌ وهي محبةٌ لفلان، والهوية هي "البئر بعيدة المهواة، وعرشها سقفها المغمى عليها بالتراب فيغترّ به واطئهُ فيقع فيها ويهلك"³، أي بعيدة القعر وعميقته، أما الهوية بضمّ الهاء وفتح الواو فهي "تصغير هوة"⁴ أي الكوة أو الحفرة.

• التأسيس اللغوي للمفهوم الهوية:

يراد من التعريفات التي تنسب للمفاهيم والمصطلحات عادة معرفة موقعها من التراث اللغوي، ثم المعاني التي نسبت إليها باختلاف التخصصات والسياقات والمنظورات. ويأتي المعنى اللغوي قصد معرفة ما الذي أريدَ بلفظ ما في اللغة وكيف استخدمه أهل لغة معينة، أي كيف استخدمه العرب أو كيف جاء في المعاجم اللاتينية، بعد ذلك يتوزع مفهوم الهوية على وجهات نظر مختلفة أهمها الفلسفية، السيكلولوجية، الأنثروبولوجية والسوسيولوجية. ونشير إلى أننا لم نتمكن من العثور على لفظ الهوية بالمعنى الذي نسعى إلى عرضه—على حدّ حدود بحثنا—في باقي المعاجم الأساسية للغة العربية كلسان العرب، والوسيط، مختار الصحاح، المحيط وأساس البلاغة، لأنها لفظ مترجم من اللغة اللاتينية كما سنرى، من أجل ذلك سندرج ما وقعنا عليه من تعريفها في أهم المعاجم بالإنجليزية التي تعيد اللفظ بالضرورة إلى جذره اللغوي اللاتيني.

¹ علي حرب، مرجع سبق ذكره، ص 11.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2008، ص 1001.

³ جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الجزء الخامس عشر، مرجع سبق ذكره، ص 170.

⁴ المرجع نفسه، ص 170.

يعتبر معجم القرن الموسوعي Century Dictionary Encyclopedic Lexicon من أهم المعاجم في اللغة الإنجليزية وأقدمها، إذ لا يكفي عرض معاني الألفاظ بل يتجاوز ذلك إلى أصل الكلمات، تماثلها، تهجتها ونطقها إضافة إلى خصائصها الموسوعية مع أمثلة واقتباسات، وفيه نجد **تأصيل لفظ الهوية** باللاتينية يرجع إلى لفظ Id وهو اختصار للفظ: Idem والذي يعني باللاتينية "الشيء نفسه"، فتستخدم أولاً كجذر ضميري لضمير "هو" He ولفعل الكينونة التابع له "هو" Is، كما يستخدم أيضاً كلاحقة توضيحية suffix للتعبير عن ألفاظ التطابق مثل لفظ مطابق "Identic" ولفظ المرجع نفسه "Ibidem" فاللفظ يعني كذلك "نفس الشيء؛ نفس ما ورد أعلاه أو قبله: يستخدم لتجنب تكرار شيء مكتوب بالفعل [التي نستخدمها في الحالات المرجعية]"، وكذا لفظ الهوية Identity¹.

- لفظ الهوية الذي جاء في معجم القرن الموسوعي بالمعنى التالي: "التشابه المطلق؛ تلك العلاقة التي يحملها أي شيء لنفسه؛ التشابه بشكل فضفاض أو أساسي أو عملي. في الواقع، والهوية: حالة الكينونة نفسها، فهي تنسب فقط إلى الفرد، أو الشيء، أو الكائن، أو الحدث، أو وصف شيء ما أو شخص ما بأن له هوية يكون بمعنى [وضع علامة أو وصف بطريقة تظهر ماهية* الشيء المميز؛ تكون بمثابة وسيلة لتحديد الهوية]"².
- جاء كذلك في معجم بينغوين Penguin للغة الإنجليزية بأن الهوية هي: "حقيقة أو حالة كونك شخصاً أو شيئاً محدداً؛ حالة أو حالة الثبات دون تغيير؛ حالة التطابق والتماثل؛ وفي الرياضيات تعني بيان التساوي بين الكميات المعلومة والمجهولة وهي البطاقة الرسمية، والقرص وما إلى ذلك، مما يتم حوله أو ارتدائه لإثبات هوية الشخص"³.
- في معجم أوكسفورد Oxford المعاصر جاءت الهوية بالمعنى التالي: "الخصائص أو المشاعر أو المعتقدات التي تميز الأشخاص عن الآخرين: الشعور بالهوية الوطنية، الثقافية، الشخصية. وهي الحالة أو الشعور بالتشابه الشديد والقدرة على فهم بين أوب (شخصين)"⁴.

إذا فالهوية لغة بناء على ما سبق هي تعبير عن الحالة التي يكون بها الفرد مشابها لذاته في حالاته وخصائصه، فالهوية هي حامل لصفة يُتصف بها ولها أيضاً معنى ملموسا يثبت الهوية من الخارج كما تثبت حقيقة التطابق والتماثل من الداخل، فالهوية هنا محددة وثابتة لا تتغير، والتعريف الأخير يعطينا منظورا آخر للهوية، وهو منظور الشعور بالانتماء إلى معتقد أو خصوصية معنية اجتماعية أو سياسية أو نفسية على رأسها الهوية الشخصية والوطنية، كما أنها تقتض أن يشعر المنتسبون والمنتنون لتلك الهوية بالتماثل والتفاهم فيما بينهم. أما فيما يخص "التعريفات الاصطلاحية" للهوية، فإننا سنتركها لبحث عنها ونعرضها ضمن المطلوب اللاحق حين نعرض محل الهوية من التراث المعرفي الإنساني والاجتماعي ومختلف مداخل فهمها.

¹ William Dwight Whitney (Editor), Part X, Opcit, p 2947.

* يتداخل مفهوم الهوية مع مفهوم الماهية، فالهوية لغويا أن يكون الشيء هو وليس غيره وهو قائم على التطابق أو الاتساق في المنطق. والماهية أن يكون الشيء "ما هو" بزيادة حرف الصلة "ما" على الضمير المنفصل "هو". والمعنى واحد. قد يجعل البعض الماهية أكثر عمقا من الهوية وفي اللغات الأجنبية لكل لفظ منفصل ماهية Essence من اللاتينية Esse وهو فعل الكينونة. ولفظ "هوية" Identité من الضمير Id أي هو، حسن حنفي، مرجع سبق ذكره، ص 10.

² William Dwight Whitney (Editor), Part X, Opcit, p 2948.

³ George Norman Garmonsway and Jacqueline Simpson, Opcit, p 368.

⁴ Oxford, Oxford Advanced Learner's Dictionary, Oxford University Press, Oxford, UK, 2010, p 743.

• أطر الهوية: ذاكرة الزمان وذاكرة المكان.

ارتبطت مفاهيم عديدة بالهوية ومحاولات فهمها بما أنها أصبحت مفهوما "رائجا" تتنازع علوم مختلفة، إلا أن هناك مفاهيمها بعينها لاحظنا ارتباطها بشكل وثيق بالهوية وبعضها البعض كذلك؛ باعتبارها أطرا للمفهوم وتساهم في فهمه، حتى أننا إذا أمعنا النظر فيما سبق طرحه في الفصول السابقة حول العولمة وكونية الثقافة خاصة في شق خطابات القومية والمجالات التي ساهمت العولمة في التأثير عليها، وفيما سيلي، نجدها قد وردت كذلك؛ وهي: علاقة الهوية بكل من ذاكرتي الزمان والمكان، ورغم أنها محاور كبرى تشكل لوحدها أطروحات وإشكاليات معقدة إلا أننا سنحاول باختصار طرح علاقتها بالهوية.

وعلى الرغم من تناولها كموضوع تاريخي وفيزيولوجي بالدرجة الأولى في الغالب، إلا أن الذاكرة تعدّ من أهم المواضيع السوسيولوجية، خاصة بعد أن أسس لها عام الاجتماع الفرنسي موريس هالبفاكس Maurice Halbwachs عبر كتابيه "الأطر الاجتماعية للذاكرة" Les Cadres sociaux de la mémoire و"الذاكرة الجمعية" La mémoire collective، إذ تأثر طرحه هذا بأستاذه إميل دوركايم خاصة في إضافته للطابع الاجتماعي على مختلف الظواهر والمواضيع في الحياة اليومية، مؤسسا بذلك لـ "علم اجتماع الذاكرة". كتاباه اللذان ذاع صيتهما بعد أن كانا الإلهام الأول لأعمال بيار نورا Pierre Nora في "أماكن الذاكرة" Les Lieux Mémoire de وجاك لوغوف Jacques Le Goff في "التاريخ والذاكرة" Storia e memoria.

ترتبط الذاكرة بالنسبة لهالبفاكس بالدرجة الأولى بالأطر الاجتماعية للأفراد، فرغم أنه ميّز بين نمطين من التذكر فردي وجماعي، إلا أنه ركز على تكاملهما على أساس أن "كل ذاكرة فردية هي وجهة نظر تطل على الذاكرة الجمعية ... فأن ننسى فترة من حياتنا، هو أن نفقد الصلة بأولئك الذين كانوا يحيطون بنا في تلك الفترة"¹، ويقصد هالبفاكس بالذاكرة الجمعية الذاكرة ذات الطبيعة المشتركة، وهي عبارة عن ذكرياتنا التي يذكرنا بها المجتمع المحيط بنا، فمع أنها أحداث غنينا بها وحدنا إلا أنها تذكرنا بحقيقة أننا لسنا بمفردين.

ولأن كل هوية هي بحاجة إلى إطار تستند إليه لحفظ صورة الماضي واستعادتها فقد ناقش هالبفاكس أي المفهومين أكثر قدرة على استيعاب الشخصية الجمعية والفردية؛ التاريخ أم الذاكرة، مجيبا أنه على الرغم من تقارب معنى المفهومين وما يحيلنا إليه فإنها متعارضان على أساس أن الذاكرة: معيشة مستمرة، متنوعة، حية ومتجددة عبر الزمن، عكس التاريخ الذي لا يعدّ إلا توثيقا لجانب من التاريخ، غير مستمر وغير متنوع بل ذو طرف واحد، فيرى أن "التاريخ لا يبتدئ إلا في اللحظة التي تنطفئ فيها الذاكرة الاجتماعية... إن الجماعة حينما تتمثل ماضيها فإن ذاكرتها، وليس تاريخها هي ما يحتل الصدارة، فهي تشعر بحسب تعبيره، بأنها بقيت كما هي مدركة هويتها المخصوصة"²، هنا نجد هالبفاكس يميل على ربط الهوية بالذاكرة وليس التاريخ -مع عدم نفي أهمية التاريخ هنا- لأن الهوية تأخذ نفس خاصيات الذاكرة في استمراريتها ومعيشتها، فهي ليست فحسب تاريخا مكتوبا وموثقا بل جزء رئيسا في الحياة اليومية.

¹ زهير سوكاح، "مراجعة كتاب الذاكرة الجمعية لـ موريس هالبفاكس"، مجلة تين، المجلد 9، العدد 33، 2020، ص 177.

² المرجع نفسه، ص 177.

بيار نورا كذلك، وضمن مفاضلته بين التاريخ والذاكرة، ربط الهوية بالذاكرة خاصة ذاكرتي المكان والزمان، وفي شقيها الفردي والجماعي، فهو يرى أن الذاكرة عبارة عن "بقايا التجربة التي لا تزال تعيش في دفء التقاليد، في صمت العادات، في تكرار الأسلاف"¹، فنحن نتحدث كثيراً عن الذاكرة لأنه لم يتبق منها سوى القليل مقابل التاريخ الذي يتسارع، ومقابل الانزلاق السريع المتزايد للحاضر إلى ماضٍ تاريخي، واعتبر أن من الأحداث والتغيرات المتسارعة عبر الزمن ما ساهم في طمس الذاكرة مقابل التاريخ، وضرب مثلاً باختفاء ثقافة الفلاحين باعتبارها مستودعاً جوهرياً للذاكرة الجماعية مع ذروة النمو الصناعي، والحركة نحو الديمقراطية والثقافة الجماهيرية على نطاق عالمي، بالمقابل؛ من الأحداث والتغيرات ما ساهم في إعادة بعث الذاكرة وأماكنها في ظل عدم حضور التاريخ واستحالة توثيقه، وضرب مثلاً بالاستعمار ونهايته، الذي لم يكن متاحاً خلاله الاحتفاظ برأس المال التاريخي مقابل امتلاك احتياطات من الذاكرة أعادت الشعوب والأسر والمجموعات الاجتماعية بعثها باعتبارهم "شعوباً للذاكرة"².

هنا استدعى نورا مفهوم الهوية، معبرا عن الذاكرة بأنها حصن لها و بأننا ندعم هوياتنا على مثل هذه الحصون، فقد حمل نورا مهمة الحفاظ على الهوية من خلال الذاكرة كلا من الفرد والمجتمع حيث أن العبور من التاريخ الجامد إلى الذاكرة الحية من خلال تنشيط التاريخ، يتطلب من جهة من كل مجموعة اجتماعية أن تعيد تعريف هويتها خاصة أن كل مجموعة راسخة، سواء كانت مثقفة أم لا، متعلمة أم لا، تشعر اليوم بالحاجة إلى البحث عن أصولها وهويتها، ومن جهة أخرى؛ وإذا عجرت الذاكرة الجماعية على الحفاظ على الهوية، يقع على عاتق الفرد عبء الذاكرة بشكل مستمر وغير محسوس فـ "تفتيت الذاكرة العامة إلى ذاكرة خاصة... يمنح الجميع ضرورة التذكر وحماية زخارف الهوية؛ عندما لا تكون الذاكرة موجودة في كل مكان، فإنها لن تكون في أي مكان ما لم يتحمل المرء مسؤولية استعادتها من خلال الوسائل الفردية. كلما قلّت تجربة الذاكرة الجماعية، كلما تطلب الأمر من الأفراد أن يتعهدوا بأن يصبحوا أنفسهم أفراداً في الذاكرة"³، أي أن مهمة التأريخ لا يجب أن تبقى حكراً على "المؤرخين المحترفين"، ولا على الجماعات الاجتماعية بل إن مهمة التذكر تجعل من كل فرد مؤرخاً لهويته. وترتبط الذاكرة بالهوية من خلال عنصرين أساسيين:

• الهوية وذاكرة المكان:

للأماكن دور مهم في بناء الهويات والحفاظ عليها باعتبارها حاملاً للذاكرة الثقافية، خاصة منها الأماكن التذكارية التي تلعب دوراً مهماً في شحن الذاكرة *Powerful memory places*، كالمساجد والمواقع الأثرية، المتاحف، الشوارع التاريخية الشاهدة على أحداث حقبة ما...، والتي ترفق إليها أسماء تحدد هويتها حيث "أن أسماء الأماكن يمكن أن تكون أكثر من مجرد تمييز أو تحديد للمكان، وأكثر من علامة مستخدمة لتمييز المواقع في التفاعلات الاجتماعية، بل هي محرك لإيقاظ ذاكرة أو جغرافيا أخلاقية تربط المكان بسلوك يُقتدى به؛ بحيث يصبح مجرد ذكر اسم هذا المكان موقظاً للقصة الشهيرة ومتضمناتها الأخلاقية"⁴.

¹ Pierre Nora, "Between Memory and History: Les Lieux de Mémoire", *Representations*, No. 26, Special Issue: Memory and Counter-Memory, 1989, p 7, DOI: <https://doi.org/10.2307/2928520>.

² Ibid, pp 7-8.

³ Ibid, pp 15-16.

⁴ بول كورنتون، مرجع سبق ذكره، ص 26.

يعني هذا أن المكان يرتبط بالذاكرة مانحاً البناء الهوياتي سياقاً وروحاً ذات معنى؛ أين يتم تحديد إطار الهوية من خلال مصفوفة مكانية، فإذا ذكرنا على سبيل المثال بعض أسماء أمكنة الجزائر فإننا نربطها مباشرة بحدث يشكل جزءاً مهماً من الذاكرة الجزائرية، "جبال الأوراس" تذكرنا باندلاع الثورة الجزائرية، "شعبة الآخرة" بجبال خراطة تذكرنا بوحشية الاستعمار الفرنسي وأزمة القصبة تحيي ذكرى أندلسي الشتات.. وغيرها من أماكن الذاكرة الجزائرية.

• الهوية وذاكرة الزمان:

أبسط تعريف للذاكرة في اللغة العربية هو "قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها"¹، يعني ذلك أن أهم منبع للذاكرة هو الأحداث الواقعة في زمن محدد، وتكرار وقوع هذه الأحداث والتجارب تُشحن الذاكرة، وتمازجاً تشكّل التجارب في حياة الأفراد شخصياتهم، فإن التجارب في حياة الجماعات عبر الزمن تشكل هوياتهم. ومن أمثلة علاقة الهوية بذاكرة الزمان هو "إحياء الذكرى" من طرف الأفراد والجماعات الذي يعدّ بمثابة إنعاش لهوياتهم، لأن "الحاجة إلى إحياء الذكرى باتت ملحة، وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بأزمة هوية، فالذاكرة على حد تعبير هنري برغسون هي الماضي المباشر والمستقبل الوشيك، فعلى هذا الماضي نحن متكئون وعلى المستقبل نحن منعطفون؛ الذاكرة بهذا المعنى هي جسر الملتقى بين الماضي والحاضر والمستقبل"²، فالاحتفالات تسهم بطريقة ما في تنظيم الذاكرة عبر الزمان ومن ثم بناء الهوية، إذ تتوزع أحداث الذاكرة على توارخ معينة تتجدد الذاكرة كلما تجدد إحياءها، على غرار الأعياد الدينية والوطنية والعلمية. ويتفاعل كل من الزمان والمكان معاً في بناء الهويات وذاكرتها، لأنه من الصعب جدا فهم واستيعاب الزمن وأحداثه دون وضعه في سياقاته المكانية.

• فئات العناصر الخاصة بالهوية:

حدد أليكس ميكشيلي مختلف العناصر التي يمكن من خلالها تحديد الهوية وقسمها إلى فئات، سواء منها المادية، الفردية أو الجماعية وهي أربعة:

- **أولاً: عناصر مادية وفيزيائية:** وهي تلك التي تشمل على كل ما هو مادي من السات، سواء كان حيازة اسم شخصي أو مورفولوجيا تميز الجسد، أو الانتماء إلى تنظيم إقليمي أو اجتماعي أو اقتصادي.
- **ثانياً: عناصر تاريخية:** وتعني كل المميزات المتعلقة بتاريخ الفرد والجماعة وتأصيلها، كالعرق أو الإثنية، القرابة أو التنشئة الاجتماعية وما يترتب عنها من اكتساب لعادات أو تقاليد وعقائد وأديان.
- **ثالثاً: عناصر ثقافية نفسية:** والتي بدورها تشمل على خاصيات ثقافية خاصة الاجتماعي منها والنفسية خاصة الآتية منها كالأنظمة الثقافية، المعايير الجمعية والسات النفسية.
- **رابعاً: عناصر نفسية اجتماعية:** والتي تنطوي على أسس اجتماعية سواء كانت خاصة بالفرد وتتميزه عن غيره من الأفراد كاسمه، جنسه ودوره الاجتماعي أو بعلاقة ذلك الفرد مع الجماعات كسلوكياته، انتماءاته، توقعاته وكذا مدى تكيفه ضمنها³.

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مرجع سبق ذكره، 313.

² عبد الرحيم الحسنوي، "الذاكرة والهوية: إضاءة إستيمولوجية"، مجلة المستقبل العربي، العدد. 474، 2018، ص 34.

³ أليكس ميكشيلي، مرجع سبق ذكره، ص 18 - 20.

تبعاً لهذا فإن كل خاصية وسمة تميز الفرد عن الجماعة أو تميزه ضمن الجماعة فهي من هويته، بيئته الاجتماعية والجغرافية، تاريخه ثقافته، نشاطاته اليومية، أدواره... وكل الخاصيات من أكثرها تجريداً كالاقتصاد والأخلاق إلى أكثرها مادية كالحيازات الشخصية، فميكشيللي يرى أن الممتلكات المادية كالسيارة التي يملكها الفرد هي جزء من هويته مادام يشار إليه من خلالها وتعتبر عنه؛ حتى أننا في الحياة اليومية نشير إلى الأفراد والجماعات بهذه الخاصيات؛ صاحب السيارة تلك، ذلك "المتدين"، وتلك التي تقطن في "حي راق".

المطلب الثاني: الهوية في التراث المعرفي: مداخل فهم الهوية.

يُطرح موضوع الهوية على أصعدة علمية مختلفة مبتدؤها الفلسفة، لتصبح جزءاً مهماً من التراث المعرفي في علم الاجتماع وعلوم إنسانية واجتماعية أخرى، وفيما يأتي سنتناول مفهوم الهوية في الفكر الفلسفي وبالتحديد الفكر المنطقي، ثم ننتقل إلى أهم المفاهيم التي تعنى بالهوية، وأهمها الأطروحات التي تضعنا المقاربة السوسيولوجية للهوية ضمنها، ورغم أنها لم تكن موضوعاً منفصلاً في علم الأنثروبولوجيا إلا أنه يمكن العثور عليها ضمن التراث الأنثروبولوجي بما أنها خاصية إنسانية وجزء رئيس من موضوع الأنثروبولوجيا "ثقافة الأمم".

• المدخل الفلسفي: الهوية من وجهة نظر فلسفية.

تعتبر الهوية بالنسبة للفلسفة موضوعاً منطقيّاً بدرجة أولى، وهي تسمية أصح في الحقيقة من تسمية "فلسفياً"، فقانون الهوية يشكل القانون الأول من قوانين الفكر الإنساني التي يبحث علم المنطق فيها، والتي نادى بها أرسطو Aristotle على اعتبارها قوانين لا يستطيع الإنسان أن يفكر بدونها، تسمى قوانين الفكر الأرسطية، وهي قوانين: الهوية، عدم التناقض، والثالث المرفوع، وسيقتصر تطرقها للمدخل الفلسفي للهوية على هذه القوانين على أساس أنها بداية لعلم المنطق، على أن الهوية قد ذكرت في محطات فلسفية كثيرة لها علاقة بمسائل وقضايا الذات والوجود الإلهي، سواء عند الفلاسفة الأوائل أو عند الفلاسفة والمناطق المسلمين كابن حزم وابن رشد والكندي والفارابي.

✓ **قانون عدم التناقض** يتضمن ألا تتناقض في إثبات صفة لشيء ما ثم نكرها عليه في نفس الوقت؛ ويعبر عنه بلغة المنطق بالقول: لا نستطيع أن نقول A هي B ولا B في نفس الوقت فإما A أو B ، فلا نقول على سبيل المثال أن A أنثى ولا أنثى، إذ حسب هذا القانون تعتبر هذه العبارة "ليست صادقة".

✓ **قانون الثالث المرفوع** وهذا القانون ويثبت أن ما يمكننا أن نثبت له صفة ما أو نقيضها، لا يمكننا إثبات صفة أخرى غير الصفة الأولى أو نقيضها؛ فـ A هو B أو لا B ، ولا توجد صفة أخرى ثالثة، فنقول على سبيل المثال أن A ديني أو لا ديني، فإذا كنا نتحدث عن مدى دينية A فإنه ليس لدينا إلا أن نثبت أنه ديني أو لا ديني ولا صفة ثالثة يمكن أن ننسبها إليه، وأي صفة تنسب إليه في بالضرورة "غير صادقة".

✓ **نأتي الآن إلى قانون الهوية** الذي ينطوي على أن شيئاً ما أو فكرة ما هي ذاتها، ولن تكون شيئاً أو فكرة غيرها، وقانون الهوية يعبر عنه بتعابير متعددة، أهمها: $A=A$ ، وهو الشيء هو نفسه، وتدل جميع تعبيرات على "أن الهوية تعني أن للشيء ذاتية".

خاصةً يحتفظ بها دون تغيير، فالشيء إنما هو هو، فأنا الذي أمس، سأكونه غدًا... ومعنى ذلك أن الهوية تفترض ثبات الشيء¹، فأن نقول أن أ عربي العرق، فهو سيحتفظ بهذه الصفة دائماً أن أ=عربي العرق.

ويقول أرسطو صاحب هذه القوانين في الكتاب الرابع من "الميتافيزيقيا" معرفاً الهوية "إن قولنا عن الأشياء إنها في هوية يعني أنها كذلك بحكم طبيعتها وبطرق كثيرة منها: أنها واحدة سواء أكان ذلك من حيث النوع أم العدد، وأيضاً تلك التي جوهرها واحد يقال إنها في هوية.. وعلى ذلك تكون الهوية هي واحدة الوجود سواء أكان وجوداً لأكثر من شيء واحد أم لشيء واحد عندما يعالج على أنه شيء واحد في ذاته"². وفق هذا المنظور يرى أرسطو أن الهوية تعبر عن شكل من أشكال الثبات المخالف للتغير. وهذا المنظور بقي قائماً في أهم تعريفات الهوية التي تفترض ثباتها على مر الزمن والوجود، على غرار تعريف الهوية الذي نجده في موسوعة لالاند الفلسفية التي عرف فيها الفيلسوف أندريه لالاند André Lalande الهوية بأنها "ميزة فرد أو كائن، ويمكن تشبيهه بأنه هو ذاته في مختلف فترات وجوده"³، إذا تبقى هويته هي هي على مختلف عتبات الزمن التي يعيشها هذا الفرد أو الكائن.

بقي مفهوم الهوية والذاتية موصوفاً بالثبات وعدم التناقض حتى ناقضت ذلك الفلسفة المادية، فإذا كان أرسطو قد أكد شرطية قانون الهوية بالقول بعدم التناقض، فقد جاء جورج هيغل Georg W.F Hegel بفلسفته المادية والجدلية وحل هذا التناقض، وأسس لقول مادي عن الهوية وهو أنها متغيرة ومتحولة بفعل ما تتصف به المجتمعات اليوم من تغيرات وتناقضات، إذ اعتبر مبدأ أرسطو غير واقعي، ويكشف عن أهمية العلاقة التي تبرز التشابك والتداخل والتعارض بين الأفكار والأحداث⁴. معنى هذا أن هيغل رفض عدم التناقض، وبالتالي التأسيس لمبدأ التعددية في الهوية.

من أهم الذين الذي وصفوا المنظور الميتافيزيقي للهوية عند المثاليين (الأرسطيين) بـ "تحصيل الحاصل" هو حسن حنفي المتخصص في الهوية، حيث اعتبر قانونها من وجهة نظر الوضعيين مشكلة زائفة، إذ من الطبيعي أن يطابق الشيء ذاته، وألا ينفصم عنها في غيره "فماذا يعني أن يكون الشيء هو هو؟ وهل الشيء غير الشيء نفسه؟ ومن الذي افترض أن الشيء يمكن أن يكون على غير ما هو عليه؟ أليس هذا افتراض مشكلة ثم محاولة حلها؟"⁵، فهي ليست بهذه المثالية والثبات، ولأنها خاصية نفسية مرتبطة بالفرد والمجتمع، بالإنسان والجماعة، بل تتأرجح بين ما هو كائن فيه وما يريد أو ينبغي أن يكون عليه، بين ماضيه وحاضره ومستقبله، فصحيح أن الإنسان هو متطابق مع ذاته لكن بمجرد أن يبتعد ذاته نحو غيريته تبدأ الهوية في الانقسام هوية باقية وهوية تجديها، وهنا يكون الاعتراض. إذا فالهوية عند حنفي تقع ضمن منظور هيغل لها فهي "ليست موضوعاً ثابتاً أو حقيقة واقعة بل هي إمكانية حركية تتفاعل.. الهوية إذن ليست شيئاً معطى بل هي شيء يُخلَق"⁶.

¹ محمود محمد علي، المنطق السوري القديم بين الأصالة والتبعية: قضايا وإشكاليات، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص 23.

² النشار مصطفى، "جدل الهوية والاختلاف في الفلسفة الهيلينية"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، يوم الاطلاع: 2023-10-15، وقت الاطلاع: 14:50، الرابط: <https://www.mominoun.com/articles/%D8%AC%D8%AF%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%87%84>

³ أندريه لالاند، ترجمة: خليل أحمد خليل، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2012، ص 607.

⁴ ميمونة مناصرية، "الهوية بين الأنا والآخر: قراءة في التراث المعرفي"، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، المجلد 06، العدد 01، جوان 2019، ص 214.

⁵ حسن حنفي، مرجع سبق ذكره، ص 10.

⁶ المرجع نفسه، ص 23.

من خلال كل هذا نستنتج أن هناك معنيين للهوية من وجهة نظر فلسفية، الأول يراها في ثباتها والثاني يراها في حركتها وتفاعلها وكلاهما في الحقيقة لا يتعارضان مع ما أدرجناه في الفصلين السابقين من منظورات للهوية في علاقتها بالهوية، منظور ثبات الهوية على أصالتها وتشابها مع ذاتها فقط وهو منظور من يرون فيها تهديدا للخصوصيات الثقافية فيناهمونها، فوجود هوية ثابتة يساوي الأصالة ولا يمكن للهوية الثابتة أن تتساوى مع اللاأصالة، بالمقابل ومن منظور هيغل أي حركة الهوية فإنها تتفاعل مع سياقات ثقافية عالمية إلا أنها كلما اتجهت إلى غيرتها أي "الآخر" كان شعور الاعترا ب فلسفيا، والانحراف نفسيا.

• المدخل النفسي: الهوية من وجهة نظر سيكولوجية.

الشعور، الذات والانحراف بعض المفاهيم النفسية التي صادفناها فيما سبق من تناول الهوية لغويا وفلسفيا، ينقلنا هذا إلى عرض المدخل النفسي لفهم الهوية الذي يجدر بنا التعرّيج عليه.

تعرف الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA الهوية على أساس مفهوم الوعي، إذ أنها "الوعي بأن الشيء هو نفسه على الرغم من أنه قد يخضع للتحويلات"¹، فإن يعي الشخص أنه هو نفسه مهما وقعت عليه من تجارب وتغيرات أو تحولات فالوعي بأن الفرد ينتمي لجماعة اجتماعية معينة دينية، عرقية أو لغوية حتى لو خالط ذلك الالتئاء تحولات، فتلك سيكولوجيا هي الهوية. وتتضمن الهوية إحساسا بالاستمرارية، أو الشعور بأن الشخص * بأنه هو نفسه اليوم الذي كان عليه بالأمس أو العام الماضي - على الرغم من التغيرات الجسدية والتجارب المختلفة-، مثل هذا الإحساس مستمد من جهة من الأحاسيس الجسدية كصورة جسد المرء؛ ومن جهة الشعور بأن ذكريات الفرد وأهدافه وقيمه وتوقعاته ومعتقداته تنتمي إلى الذات، إذ تعبر إحساس المرء بذاته، والذي يكون من خلال:

- ✓ مجموعة من الخصائص الجسدية والنفسية والشخصية التي لا يتقاسمها الشخص مع شخص آخر بشكل كامل؛ كالجنس وشكل الجسد، الحالات النفسية والسمات الشخصية، حيث ينتج تفاعل هذه الخصائص هويته الذاتية وإحساسه بها.
- ✓ مجموعة من الالتئاءات (مثل العرق) والأدوار الاجتماعية التي تُنسب إليه².

يعني هذا أن جزء من الهوية الذاتية للفرد فطري كالجنس والعرق، وجزء آخر مكتسب بناء على التجارب الذاتية والسياقات الاجتماعية التي ينتمي إليها فتسمه بسماتها، كما أن لها مستوى داخليا ينضوي على مشاعر وأحاسيس وسمات ومستوى خارجيا كالخصائص الجسدية والسلوكيات والأدوار التي تتم تأديتها. فترتبط الهوية بالسلوك من جانب أنها تحدد إذا كان بإمكان الشخص تفعيل سلوك ما، إذ يعتبرها السلوكيون "الجزء الدائم والبارز من إدراك الفرد الداخلي لذاته، الذي يمثل الخطط الذهنية والفئات الاجتماعية التي تنقل معنى أو معاني محددة للسلوك"³، فالهوية تعني أن ينتمي الشخص إلى فئة اجتماعية

¹ Gary R. VandenBos (Ed), **A.P.A. dictionary of psychology**, 2nd edition, American Psychological Association, The United States of America, 2015, p 519, DOI: <https://doi.org/10.1037/14646-000>.

* استخدمنا هنا مصطلح الشخص بكثرة للتعبير عن الإنسان، لأنه مفهوم فلسفي وسيكولوجي ويشير إلى الالتئاء سواء إلى الذات أو إلى الجماعة. أنظر كتاب: الشخص، نصوص فلسفية من إعداد وترجمة محمد لهلاي وعزيز لزرقي، دار توبقال للنشر، المغرب، 2010.

² Gary R. VandenBos (Ed), *Op cit*, p 519.

³ Jack D. Simons, "From Identity to Enaction: Identity Behavior Theory", **Frontiers in Psychology**, Vol.12, 08-2021, p 4, DOI: <https://doi.org/10.3389/fpsyg.2021.679490>.

ومنظومة نفسية معينة تعطي لسلوكياته معنى وتجعلها مفهومة ومفسرة وأحياناً مبررة، وهو أكثر الأجزاء بروزاً من الإدراكات الداخلية للذات، يعني هذا أن إدراك الذات يعمل من الداخل فيبرز على شكل هوية تعطي للسلوكيات معناها. نضرب مثلاً بالشعور بالوطنية Patriotism فإن يدرك الشخص هذا الجانب في ذاته، وأنه مبذول للوطن يجعل من سلوك الاستجابة للنداء في حالة الحرب و"صنع المجد على أشلائه" (الموت) من أجل الوطن تعبيراً عن الهوية وأمرًا مبرراً وسلوكاً ذا معنى.

وهو ما تفترضه نظرية الهوية Identity theory، أن الأخيرة واحدة من الخصائص النفسية الأكثر تأثيراً في جوهر الفرد وتوجيهها لفعله، وتكون لها في هذه الحالة مستويان، الأول يتعلق بالجوهر أو الـ "أنا" فتكون الهوية موجودة لتوفير فهم الشخص لذاته على المستوى الفردي؛ والثاني يتعلق بالفعل ضمن وجود أشخاص آخرين ينتمي إليهم الشخص وينتمي معهم أي الـ "نحن"، والذي ينعكس على مدى استيعاب الدور المجتمعي لذلك الشخص ضمن فئة معينة أو مجموعة اجتماعية معينة¹، فالمستوى الأول متعلق بالكيفية التي يعرّف بها الفرد ذاته، والثاني متعلق بالكيفية التي يعرّف بها ذاته من خلال الآخرين.

في مراحل ما من تفاعل الشخص مع ذاته والآخرين، يمكن أن تصاب الهويات -بتعبير غوفمان-، والذي يترتب عنه أزمات واضطرابات للهوية من المنظور النفسي، تؤثر على ذاته من جهة وعلى أدواره من جهة أخرى نذكر منها:

✓ **أزمة الهوية Identity Crisis:** هي مرحلة من الحياة تتميز بالتجريب؛ القيم المتغيرة أو المتضاربة أو الناشئة حديثاً؛ وعدم الالتزام بأدوار الفرد المعتادة في المجتمع (في العمل والعلاقات الأسرية على سبيل المثال)، خاصة في الفترات التي تتميز بالتغيير أو عدم اليقين بشأن الذات، ويرى المتخصصون في هذا المجال أنها مرحلة طبيعية ومرغوبة أين تنضج الهوية ويستقر صاحبها.

✓ **اضطرابات الهوية Identity Disorder:** هناك أنواع مختلفة من الاضطرابات التي تصيب الهوية أهمها اضطراب الهوية الفصامي (DID) dissociative identity disorder، يعرف أيضاً بانقسام الشخصية وانفصالها، فهذا الاضطراب يعرّف بأنه "وجود فرد واحد أو أكثر؛ من هويات أو حالات شخصية متميزة يتحكم كل منها بشكل متكرر في سلوك الفرد"². والتي لوحظ من قبل المتخصصين أنها تتأثر وتزيد وتنقص حدتها حسب عوامل خارجية كالمحيط الاجتماعي للمضطرب.

✓ **الهوية مقابل ارتباك الهوية Identity versus Identity Confusion:** ارتباك الهوية هو المرحلة الخامسة من مراحل النمو النفسي الاجتماعي الثمانية** التي ذكرها إريك إريكسون Erik Erikson المختص في دراسة الهوية وأزماتها (الذي صاغ مفهوم "أزمة الهوية" سابق الذكر) من جانب سيكولوجي في مراحل عمرية مختلفة، فالتفاعل بين النفسي والاجتماعي، والتاريخي

* من عجز البيت الأول، المقطع الرابع من النشيد الوطني الجزائري.

¹ Jack D. Simons, Opcit, p 6.

² Gary R. VandenBos (Ed), Opcit, p 520.

** يرى إريكسون أن هوية الأنا تتحقق تدريجياً من خلال مواجهة الأهداف والتحديات خلال ثماني مراحل من التطور عبر العمر؛ وهي **الطفولة infancy**: الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة؛ **الطفولة المبكرة toddler stage**: الاستقلالية مقابل الخجل والشك؛ سن ما قبل المدرسة **preschool age**: المبادرة مقابل الشعور بالذنب؛ سن المدرسة **school age**: الإنجاز مقابل الدونية؛ **المراهقة adolescence**: الهوية مقابل ارتباك الهوية؛ **الشباب young adulthood**: الألفة مقابل العزلة؛ **منتصف العمر middle age**: الإنتاجية مقابل الركود؛ و**مرحلة البلوغ المتقدمة older adulthood**: الصلابة مقابل اليأس، Gary R. VandenBos (Ed), Opcit, p 381.

يعيد تشكيل الهوية ضمن ما يسمى اليوم "البحث عن الهوية"¹، فخلال مرحلة ارتباكها يواجه الفرد وفقاً نفسياً اجتماعياً، وهي فترة زمنية يتوقف فيها الشخص عن الانتماء أو وضوح الانتماء، ما يسمح بتجربة انتماءات وأدوار اجتماعية أخرى والتعرف على مجموعات مختلفة قبل تكوين هوية متماسكة تسمح له بالمساهمة في المجتمع؛ وبدلاً من ذلك، قد يتأذى الفرد مع مجموعات خارجية لتكوين هوية نقيضة أو قد يظل مرتبكاً بشأن إحساسه بالهوية.

ما الذي يوصلنا إليه كل ما سبق في فهم التفاعل بين الهوية ومخرجات العولمة والافتتاح على العالم؟ بما أن الهوية تحمل معنيين ومستويين الأول متعلق بالذات والثاني متعلق بتفاعله مع الآخر، وتأثره به وتأثيره عليه بوعي أو بدون وعي، هذا الآخر الذي يمثل محيط الفرد بداية من أقرب المستويات وأقلها تعقيداً كالأسرة والعائلة والمنطقة.. ووصولاً إلى المستوى العالمي الأكثر تعقيداً، خاصة في ظل الافتتاح المهول عليه، فإن هويات اليوم في عالم العولمة هي نتيجة لتفاعلات وانتماءات أكبر ضخمت مفهوم الآخر، انتماءات كونية أصبحت تعطي للأفراد معنى لسلوكياتهم خاصة الثقافية منها كما رأينا خاصة في الفصل السابق.

من جانب آخر، فإن التغيرات التي تفرضها العولمة وتداعياتها خاصة الثقافية، القيمة والأخلاقية، تصيب الأفراد غير الناضجة ذواتهم، بعدم اليقين تجاه هوياتهم على كل مستوياتها، من الهويات الذاتية إلى هوياتهم المتفاعلة من مجتمعهم، ما يمكن أن يسبب لهم أزمة هوية وعدم قدرة على التمتع والارتباك بين هوية محلية ووطنية بقيمتها وعاداتها ومختلف الأبعاد المشكلة لها مقابل هوية أخرى (سواء نقيضة أو لا) "جزئياً"، تعرّف عليها ومارسها، فإما: يتأذى معها ضد المحلي والوطني، يلتزم بهويته الأصلية، يكون هوية متماسكة مبنية على التجارب ولا تتضارب مع هويته الأصلية، أو يظل باحثاً عن الهوية ومرتبكاً بشأنها.

فمفهوم أزمة الهوية صاغه إريكسون بالأساس في ظل مرحلة تاريخية (1968) شهدت ظروفًا وتغيرات عالمية أثرت خاصة على الشباب ووعيهم بذواتهم، إذ تصاعدت حينها حركات الحقوق المدنية، وحركة القوة السوداء Black Power movement، والنسوية، ومختلف الحركات الاحتجاجية المناهضة للحرب، وللنظم السياسية والاجتماعية وغيرها مما صاغ مفهوم سياسيات الهوية² والتأكيد عليها، وأطر تفكير سوسيولوجيين وأنتروبولوجيين بنوا نظرياتهم حول الهوية على أساس تأزم الهوية وانقسامها بين هويات معيشة وأخرى عبارة عن مشروع على غرار مانويل كاستلز.

• المدخل الإنساني: الهوية من وجهة نظر أنتروبولوجية.

في تناوله للهوية من وجهة نظر أنتروبولوجية انطلق ماثيو أنجليكه Matthew Engelke من أعمال إريكسون حول أزمة الهوية، ومع أنها منسحبة لروح عصر الستينيات إلا أنها قابلة لفهم أزمات الهوية سواء في الزمن المعاصر أو يمكن إسقاطها على اهتمامات أنتروبولوجية كلاسيكية أو معاصرة؛ حتى أنه قدم قراءة تؤيد إسقاطنا لوجهة النظر السيكلوجية على الهوية والعولمة، إذ اعتبر العولمة تحولاً مهماً حدث في منتصف القرن العشرين؛ فيؤثر على الكيفية التي يتم بها فهم الذات والجماعة ويساهم بشدة في الدفع بمسألة الهوية، كما تساءل عن أثر الترابط المكثف "هل صرنا جميعاً متطابقين؟ هل تقضي العولمة على الفروق لتفسح المجال للتأثر؟"². كما أنه لا يمكن العثور على تراكم نظري أنتروبولوجي للهوية عند الآباء المؤسسين للأنتروبولوجيا، بيد

¹ Erik H Erikson, *Identity: Youth and Crisis*, W.W. Norton & Company Inc, New York\London, 1968, p 23.

² أنظر عنصر: أشكال الهوية عند مانويل كاستلز، المبحث الثاني من الفصل الثاني.

² ماثيو أنجليكه، ترجمة: عومرية سلطاني، كيف تفكر كأنتروبولوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2020، ص 171.

أن هناك لجوءاً إلى مفهوم الهوية من أجل إعادة تشكيل المفاهيم المؤسسة للأنثروبولوجيا - ثقافة، إثنية، شخصية - خاصة في ظل التطور في ميادين التواصل والحركة المتزايدة، وتسارع التبادلات وتزايدها والاتصالات ومختلف أشكال التهجين¹، (وهذه كلها أبعاد للعملة) التي "تشوش" على نقاء كل من الثقافة والإثنية والشخصية أو باختصار الهوية.

إذا يرتبط مفهوم الهوية بمفاهيم أنثروبولوجية ويتقاطع معها، الآخر، التعددية، الاختلاف، العرق، اللغة، الجسد... وغيرها من محاور ثقافية واجتماعية كبرى وفرعية، فالهوية أنثروبولوجيا تقدم من الجانبين اللذان ذكرناهما سابقاً من انتاء المرء للآخرين وإحساسه بذاته، أي الهوية كمجموعة من الانتماءات (العرق مثلاً)، والهوية كمجموعة من الخصائص الجسدية (كالجسد مثلاً)، وفيما يلي بعض التعريفات والإسهامات الأنثروبولوجية حول الهوية.

جاءت الهوية ضمن **موسوعة الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية** بأنها تشير إلى "القواسم المشتركة المرتبطة بالمجموعات أو الفئات" كما يشير المصطلح حسب هذه الموسوعة إلى كل من: **خصائص الفرد** والفردية، والاختلافات الأساسية التي تجعل الشخص متميزاً عن كل الآخرين، كما هو الحال في "الهوية الذاتية"، كما يشير بالمقابل إلى صفات **التشابه**، حيث يمكن أن يربط الأشخاص أنفسهم، أو يرتبطون بآخرين، بمجموعات أو فئات على أساس بعض السمات المشتركة البارزة، كما هو الحال في "الهوية العرقية"². ويذكر أن الاهتمام الأنثروبولوجي بالذات يسبق إلى حد كبير تبني مصطلح "الهوية"، فالذات يمكن أن نجد لها متجسدة في أعمال مارجريت ميد Margaret Mead وروث بنديكت Ruth Benedict وغيرها من أنثروبولوجيين مدرسة الثقافة والشخصية الذين بحثوا في مواضيع مثل الشباب والمراهقة والجنس أواخر ثلاثينيات القرن العشرين.

وضمن **معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا** جاءت الهوية مرتبطة بمفاهيم أخرى خاصة مفهوم **الإثنية**، "فبحسب المثال البنيوي الوظيفي للأنثروبولوجيا الاجتماعية الكلاسيكية، والموروث عن ألفرد رادكليف براون Alfred Radcliffe-Brown وبرونيسلاف مالينوفسكي Bronisław Malinowski، تشكل الإثنية التي تعرف بهيئتها الثقافية، الهوية المرجعية بامتياز، يفترض هنا أنّ الجماعة الإثنية هي واقع أساسي وشامل للحياة الاجتماعية"³، فتستمد هوية الأفراد حسب هذا التعريف من الإثنيات التي ينتمون إليها.

المفهوم الثاني الذي عرّف المعجم الهوية من خلاله هو مفهوم **العادة** (المعروفة سوسيولوجيا بالهايتوس)، كما يقع هذا التعريف داخل حدود زمانية-مكانية للهوية، ف"تعتبر الهوية أحد أشكال العادة، أو نمط حياة أو منظومة قيم أو مرجعية أو شيفرة أخلاقية"⁴، إذا فهي **نظام مؤطر لتفاعلات الفرد** وعامل انتماء لمنظومات قيمية وأخلاقية، وهذا التوجه يمكن أن ندرج تحته تعريفين محتمين للهوية، أحدهما لتشارلز تايلر Charles Taylor الذي أصرّ على اعتبار الهوية منبعاً أخلاقياً للذات

¹ بيار بونت وآخرون، ترجمة: مصباح الصمد، **معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت، 2011، ص 991.

² Alan Barnard and Jonathan Spencer (Ed), **Encyclopedia Of Social And Cultural Anthropology**, Routledge, London, 2002, p 441.

³ بيار بونت، ميشال إيزار وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 990.

⁴ المرجع نفسه، ص 991.

خاصة الذات الحديثة، معتبرا إياها ذات دور توجيهي للفرد إذ توقّر له إطارا يكون للأشياء معنى بفضلها يمكن أن نعرف الأشياء ذات المعنى من عدمها¹.

وأيا كلود ليفي ستروس في كتابه **الهوية**، الذي عرّفها فيه بأنها: "نوع من المكان الافتراضي الذي لا غنى لنا عنه، فهو بمثابة نقطة مرجعية لنا، ولشرح الأمور التي ليس لها في الواقع وجود حقيقي"²، اعتبرها إطارا مرجعيا تتم العودة إليه دائما عند إمكانية ضياع الهوية أو ارتباكها في المجتمعات -التقليدية خاصة-، تشير الهويات إلى تفوق المجموعة على الفرد، وهو يقصد بهذا الهوية العرقية التي "تظهر كملاذ أخير نطالب به عندما لا نعرف كيف نطالب بدور أو لقب أو تراتبية"³، فهو يميز إذن بين الهوية "المعطاة" عرقيا ضمن العلاقات الاجتماعية داخل المجموعة، والهوية التي تشير إلى الانتماء إلى مجتمعات يسعى دائما الأفراد إلى تعريف أنفسهم ضمنها، أو يضطرون إلى ذلك.

من الأنثروبولوجيين المعاصرين كذلك من تعمّق في دراسة الهوية على غرار الفرنسية جينييف فينسونهو Geneviève Vinsonneau، في كتاباتها* المختلفة التي تربط كلا من الهوية والثقافة والدين، إضافة إلى الهوية في ظل عولمة الاقتصاد والسياسية والثقافة، أين عرّفت الهوية على أنها "ديناميكية تطورية يعطي الفاعل الاجتماعي من خلالها معنى لوجوده؛ سواء فردياً أو جماعياً، وذلك من خلال عناصر تهمة في ماضيه، حاضره ومستقبله، هذه العناصر التي يمكن أن تكون من ضمن العادات الاجتماعية القديمة بالإضافة إلى الواقع الملموس"⁴، كما أن مفهوم الهوية في نظرها يحمل في طياته جدليات متعددة: جدلية جعل الفرد متشابها مع الآخرين في الهوية الجماعية وميّزا عنهم في الهوية الذاتية، وجدلية الثبات الظاهري للهوية مع تغيرها المستمر وديناميكيته، لذلك فالهوية لديها هي منظومة من التمثلات التي تختلف في المدة والمكان والظروف الاجتماعية. وبالتالي فإن وظائف الهوية هي وظائف وجودية، لأنها تتعلق بمعنى الوجود، وهي مفيدة بقدر ما تزود الفاعل بالوسائل اللازمة للتكيف مع العالم فتتناوب بين:

- ما نحن عليه: أي هوياتنا الكائنة التي تمثل ذاتنا.
 - ما يجب أن نكون عليه: أي هوياتنا المفروضة علينا من طرف النظام الاجتماعي.
 - ما نود أن نكون عليه: أي هوياتنا المرجوة أن نكون عليها والأدوار التي نريد لعبها دون أن يفرضها علينا النظام الاجتماعي⁵.
- وإذا لاحظنا فإنه ذات التقسيم الذي اعتمدته مانويل كاستلز في تفصيله للهويات الشبكية بين مشرعة، ومقاومة ومشروع.

¹ تشارلز تايلر، ترجمة: حيدر تاج إسماعيل، **منابع الذات: تكون الهوية الحديثة**، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2014، ص 75.

² Claude Levi Strauss, **L'identité**, P.U.F Editions, Paris, 1987, p 332 نقلا عن: شريفة بريجة وقويدر سيكوك، مفهوم الهوية: النشأة والتطور في تاريخ أوروبا الحديث مقارنة سوسيو- أنثروبولوجية، **مجلة أنثروبولوجيا**، المجلد. 07، العدد. 02، 2021، ص 131.

³ Denieul Pierre-Noël, "L'identité selon Claude Lévi-Strauss-de la substance à la structure", **Raison présente**, No.169, 1^{er} tri, 2009, pp 87-88, DOI: <https://doi.org/10.3406/raipr.2009.4144>.

* من أهم كتاباتها في المجال: الهوية الثقافية L'identité culturelle، الثقافة والسلوك Culture et comportement، العولمة والهوية الثقافية Mondialisation et identité culturelle.

⁴ Geneviève Vinsonneau, "Le développement des notions de culture et d'identité: un itinéraire ambigu", **Carrefours de l'éducation**, vol.14, no.2, 2002, p 4, DOI: <https://doi.org/10.3917/cdle.014.0002>.

⁵ Ibid, p 4.

ماذا هن المفهوم المجسد للهوية أنثروبولوجيًا؟ نستذكر هنا أعمال الأنثروبولوجي دافيد لو بروتون David Le Breton حول علامات الهوية، وكيف يمكن للجسد أن يشكل "ورشة" لها ومكانا لعرض الذات على حد تعبيره، إذ تتمحور دراساته حول الجسد وهويته، الوجوه والجلد وحتى الألم الذي يستشعره الجسد من منظور أنثروبولوجي، وتعتبر دراسته حول علامات الهوية وتحديدًا الوشوم والأقراط piercings، باعتبارها سبلا للانخراط في الجماعات الاجتماعية والاندماج إليها كما ربط هذه الانتماءات بالحدثة والاعتناق من الظروف التقليدية خاصة الدينية والاجتماعية والتغير الاجتماعي في كتاباته حول الجسد والحدثة.

تناولت دراسة لو بروتون مختلف "التعديلات" التي تُجرى على الجسد، وتعبّر عن علاقة الفرد به، من الوشم، والأقراط، التمديد (توسيع ثقب الأذن)، الحرق (حرق الجسد بشكل متعمّد معزز بالحبر أو الصبغة)، الحداث والقطع والتشجير¹، ومختلف التعديلات التي تحمل بالنسبة للفرد معاني هوياتية وطقوسا للانتماء إلى الذات وعرضها؛ وكذا محاولة الاختلاف عن الآخرين، بعدما كانت -خاصة الوشوم- تحمل معاني للمهامية.

كانت وصمة الجسد ترمز إلى العزلة عن الآخرين منذ المجتمع اليوناني القديم حتى منتصف القرن الماضي، فقد استشهد لو بروتون بكتابات مختلفة حول الوشوم، أين اعتبر وجود وشم على الفرد علامة مشبوهة، باستثناء بعض الوشوم التي كانت ترمز إلى الانتماء مثل وشوم "الرفقة" القديم الذي لا يزال يضعه بعض الرجال المسنين و"وشم الفوج" الذي نجده بين الرجال الذين خدموا في البحرية أو القوات الاستعمارية²، لكن هذه العلامات بعد ذلك وفي ظل التمزقات الأنثروبولوجية التي تحدث في مجتمعاتنا لم تصبح تعبيرا عن الهامش بل تعبيرا عن امتلاك الفرد لجسده وذاته وطبعه بعلامات شخصية يختارها الفرد دون الاكتفاء بجسد الذي لا يكفي لتجسيد هويته الشخصية فيستكملها.

ورغم أن هذا النوع من العلامات يعدّ مؤلماً -حتى أن لو بروتون وصفه بالمازوخية- إلا أن تغيير الفرد لجسده من خلال وضع وشم أو ثقب كحليّة حسبه هو شكل من أشكال استكشاف الذات، واستعادة التحكم في الجسد ومنه يستعيد الوشم التحكم في وجوده.. فهذا التغير في الجسد يرتبط في تصور صاحب العلامات بالتغير في قناعاته الأخلاقية وموقفه تجاه الحياة فالوشم أو الثقب لا يكفي بتغيير المظهر فحسب بل يتجاوز ذلك ليمثل قيمة إعادة امتلاك الذات، وحيازة ذات جديدة بدل المتقدمة؛ وهي تترجم أهمية اللحظة وقيمتها، وتعلن عن قوة الشخصية والتفرد بامتلاك علامات غير مشتركة مع عامة الناس. حتى أن الألم بالنسبة لأحد مبحوثي لو بروتون هو الذي يعطي قيمة لهذه العلامات كأنه طقس من طقوس العبور بين الهوية العرقية المعطاة والهوية الذاتية المتحكم فيها، وعلى حدّ قوله: "في اليوم الذي يمكنك فيه أن تقوم بذلك من غير ألم، لا يعود ثمة أي دلالة"³، فهذه الصدمات المؤلمة التي تصيب الجسد تعطيه المعنى الخاص به وتستهدف مباشرة الهوية، إذ تحطّم جزئياً النسيج المؤسس للحس بها، وكلما كانت أكثر حدّة كلما كانت أكثر قدرة على أن "تخرم حسّ الهوية"⁴، كما يقول لو بروتون.

¹ David Le Breton, *Signes d'identité. Tatouages, piercings et autres marques corporelles*. Éditions Métailié, Paris, 2002, p 8.

² Ibid, p 60.

³ دافيد لو بروتون، ترجمة: فريد الزاهي، *تجربة الألم: بين التحطيم والانبعاث*، دار توفيق للنشر، المغرب، 2017، ص 143.

⁴ المرجع نفسه، ص 110 - 111.

إذا من كل ما سبق ما الذي تعنيه الهوية أنثروبولوجيًا؟ تعرّف الهوية من وجهة النظر هذه من خلال العرق والإثنية والانتماء إليهما، العادات والشيفرات الأخلاقية والأطر الاجتماعية والانضواء تحتها، تعرّف من خلال الانتماءات الشخصية ومحاولة تأكيدها وعرضها كما هي فعليًا، كما يراد لها أن تكون اجتماعيًا، وكما يريد الفرد أن تكون وفق تصوّره لذاته، وهي مرتبطة بالفرد سواء من خلال ماضيه، حاضره أو مستقبله، داخله وخارجه. وإذا أسقطنا كلّ ما سبق على الهوية الجزائرية في مختلف مستوياتها فإن الانتماء إلى الأعراق المشكلة للأمة الجزائرية عربيًا وبربريًا، العادات والتقاليد والأعراف، الشخصية المميّزة للفرد الجزائري سواء بينه وبين ذاته أو مجتمعه، وصولاً إلى الوشوم التي تميّز الجذات الجزائريات كلّها عبارة عن مؤشرات هوياتية جزائرية من وجهة نظر أنثروبولوجية.

• المدخل الاجتماعي: الهوية من وجهة نظر سوسيولوجية.

نأتي في نهاية المطالب إلى المنظور السوسيولوجي للهوية، وقد أحرنا تناوله لأنه يشكل أهم مدخل لدينا، كما أنه يستخدم في تناول مسألة الهوية كل المداخل السابقة إضافة إلى مداخل أخرى كمدخل علم التاريخ وعلم السياسة؛ ولن نطيل في عرض التعريفات التي أدرجتها المعاجم والقواميس المتخصصة في علم الاجتماع لأنها رجعت في تعريفها للهوية بالأساس إلى أعمال منظرين وسوسيولوجيين تناولوا الهوية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

جاء في موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة أن الهوية -نقلاً عن فولتير- هي "ما يجعل الشخص هو نفسه، لذلك فهي ترادف التطابق"، فهي -بهذا المعنى- "وحدة الشخص (أو الجماعة)، وما يجعله هو نفسه، أو هو هو؛ أي ما يجعله مطابقاً لذاته، وما يمنحه استمرارية في الزمن. فهي ما يخص الشخص أو الجماعة، وما يميزها أيضاً"¹، وي طرح مفهوم الهوية حسب الموسوعة وعلى الصعيد السوسيولوجي إشكالات، تتعلق بالمعايير التي يمكن من خلالها تحديد الهوية من جهة والمستويات المرجعية لقياس تميزها عن هويات أخرى من جهة ثانية، وبموقعها بين الوحدة والثبات والتعدد والتحول، كما أنها متفرعة بين ثلاثة مقومات البعد الفيزيقي (الجسد) البعد الفكري (الكوجيطو*) والبعد الاجتماعي (الوضع)².

أما في معجم مصطلحات علم الاجتماع فقد ورد لفظ الهوية بالجمع بدل المفرد، ذلك أن فكرة الهوية تنطوي "على معاني متعددة: إنها تسمّي وتبرز (تُظهر)، وهي تقوم أو تميّز"³، أي تبرز وتميز الذات، وقد تناولها المعجم من خلال آراء أهم الدارسين للهوية كإيريك إيريكسون وغيره ممن يرون فيها إحساساً ذاتياً ومقويات للوحدة الشخصية والاستمرارية الذاتية، وعمليات التنشئة الاجتماعية، أو الجنوحية مثل أعمال غوفمان عن الوصم والتشويه، وكذا مفهوم الهايتوس، وغيرها من العمليات التي "يبذل الشخص فيها جهده للقيام بالتوليف بين القوى الداخلية والخارجية للفعل الذي يقوم به، أي بين ما هو لنفسه وبين ما يمثله بالنسبة للآخرين"⁴.

¹ محمد سبيلا ونوح الهرموزي، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة، منشورات المتوسط، ميلانو - بغداد، 2017، ص 528.
* الكوجيتو *Cogito*: وهو المبدأ الأول في فلسفة رينيه ديكارت René Descartes، وهي كلمة تعني أنا أفكر باللاتينية، إذ أن مبدأ ديكارت هو "أنا أفكر إذا أنا موجود" *cogito, ergo sum* حيث يؤكد ديكارت أن الفكر هو أساس هوية الشخص، لأنه الشيء الوحيد الذي لا يتخلله الشك.

² محمد سبيلا ونوح الهرموزي، مرجع سبق ذكره، ص 528.

³ جيل فيريول، ترجمة: أنسام محمد الأسعد، معجم مصطلحات علم الاجتماع، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2011، ص 100.

⁴ المرجع نفسه، ص 102.

معجم سوسولوجي آخر، وهو معجم بينغوين لعلم الاجتماع The Penguin Dictionary of Sociology تعرّف فيه الهوية بأنها "الشعور بالذات، بالشخصية، بأي نوع هو الشخص؛ تشتمل الهويات دائماً على التشابه والاختلاف"¹، يعني أن الفرد إذا كان جزائرياً فهو يتشابه مع الجزائريين ويختلف عن غير الجزائريين. وخلافاً لازدواجية التشابه والاختلاف، تظهر ازدواجية أخرى لرؤية الهويات بين اعتبارها ثابتة أو معطاة، وبين اعتبارها مرنة وقابلة للتغيير وأنها نستطيع اكتساب هويات جديدة؛ وهو ما يعرف باكتساب الهوية The acquisition of identity في علم الاجتماع².

الهوية حسب عينة من معاجم علم الاجتماع إذا تستمد معناها من المداخل السابقة فهي تصف المطابقة بين الفرد وذاته، ووحدته وكذا وجوده ضمن ديناميكية جماعية، إضافة إلى أبعاد التفكير والجسد والأدوار الاجتماعية، كما تصف الوحدة والتعدد، الأصالة والتجديد، التشابه والاختلاف. أما عن الهوية من حيث الإنتاجات السوسولوجية فنجد أن السوسولوجيين الأوائل بداية من ابن خلدون إلى من تعرّفهم بـ "المؤسسين" لم يتناولوا الهوية بوصفها مجالا من مجالات علم الاجتماع قائم بذاته، ومع ذلك يمكن الاجتهاد في العثور عليها في أعمالهم كما يمكن أن نقارب مفهوم الهوية من خلال أهم أطروحاتهم على رأسها أطروحات دوركايم وفيبر.

أولاً: البحث عن مفهوم الهوية عند ابن خلدون.

بمحاولة البحث عن مؤشرات الهوية في الفكر الخلدوني من خلال مقدمته، يمكننا الوصول إلى ثلاث أفكار: الهوية لفظاً وفلسفة ومعنى اجتماعياً.

الهوية كلفظ: فقد ظهرت في مقدمة ابن خلدون مرتين في نفس الموقع، في الفصل الثامن عشر الذي خصصه لعلم التصوّف ومفاهيمه، فقد تناول ملل المتصوّفين والمناطق المسلمين الذين أوردوا مفهوم الهوية للتعبير عن الوجود الإلهي، بين الذين يعتبرون ذواتهم مغايرة ومتباينة عن الذات الإلهية المنزهة، وبين الذي يعتبرون ذواتهم متحدة بالذات الإلهية، إذ ميّز بين المتصوّفة الأقدمين ومذهب أهل الحق كما وصفهم في وصفهم للذات الإلهية بأن لها **هوية** ووجوداً وصفات متباينة ومغايرة للمخلوقين، عكس المتصوّفة المتأخرين الذين يذهبون إلى "أنّ الباري تعالى مُتَّحِدٌ بِمُخْلُوقَاتِهِ فِي **هُوِيَّتِهِ** ووُجُودِهِ وَصِفَاتِهِ"³، فالهوية هنا جاءت للتعبير عن ذات الله ووحدانيته، إذ هذا العرب هنا حذو الفلاسفة الأرسطيين في تعريفهم للهوية ومرادفتها "للذات".

وأما الهوية بالمعنى الفلسفي الأرسطي المتعلّق بالمنطق فقد ذكرها ابن خلدون تحت مستى لغوي آخر ذكرناه سابقاً وهو "المطابقة"، على أساس أن اعتبار الشيء هو هو يعني تطابقه مع ذاته، وذلك لما تناول كتاب أرسطو "التصّ" الذي خصصه للمنطق، فجاء في كتابه الرابع من كتب النص الثانية؛ كتاب البرهان، أنه "التظر في القياس المنتج لليقين...وفي هذا الكتاب

¹ Nicholas Abercrombie, Stephen Hill and others, Opcit, p 190.

² Ibid, p 190.

³ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 521.

"يعني ابن خلدون بالنص هنا، كتاب الأورغانون Organon الذي تناول فيه أرسطو آراءه المنطقية، وكلمة أورغانون تعني الآلة باللاتينية باعتبار المنطق هو الآلة التي تُنضج الفكر وتعصمه من الخطأ.

الكلام في المعرفات والحدود، إذ المطلوب فيها إنما هو اليقين لوجوب المطابقة بين الحد والحدود لا تحتل غيرها¹، وهو الكتاب الذي ضمن فيه أرسطو قضايا الثلاث الأولية التي سمينها أعلاه قوانين الفكر الإنساني، حيث وضع فيه "الحدود أو التعريفات التي بها يتحدد "ما هو" الشيء، والبداهيات أو المبادئ المشتركة وهي التي نسميها اليوم مبدأ الذاتية ومبدأ الثالث المرفوع"²، ومبدأ الذاتية هنا هو قانون الهوية حسب ابن رشد وشرحه للبرهان.

أما الهوية بالمعنى الاجتماعي أي بعيدا عن اللفظ ومرادفات اللفظ من الفلسفة والمنطق، فنجدها عند ابن خلدون متضمنة في الانتساب والالتقاء وعلاقة أحوال البشر بأعراقهم، محيطهم الجغرافي والمناخي والاجتماعي وما أدرجه النسائون من أغاليط حول اختلاف الأمم وسماتها وشعارها، فأدرج ابن خلدون في تصويبه لسبل التمييز بين الأمم ما يلي: "إلا اعتقادهم أن التمييز بين الأمم، إنما يقع بالأنساب فقط، وليس كذلك فإن التمييز للجيل، أو الأمة، يكون بالنسب في بعضهم كما للعرب وبني إسرائيل والفرس، ويكون بالجهة والسمة، كما للزنج والحبشة والصقالبة والسودان، ويكون بالعوائد والشعار والنسب كما للعرب، ويكون بغير ذلك من أحوال الأمم وخواصهم ومميزاتهم"³، فإذا اعتبرنا أن الهوية كما ذكرنا سابقا هي أبعاد انتماء فيزيقية وفكرية واجتماعية، وأنها تتعلق بمقاييس مرجعية لقياس تميزها فإنه يمكننا أن نحدد أربع انتماءات تحدد الهوية الاجتماعية حسب قول ابن خلدون.

✓ **الهوية المتأتمية من الانتساب إلى العرق:** والتي يقصد بها ابن خلدون الانتماء إلى أصل عرقي معين سماه النسب وضرب مثلا بالعرب وبني إسرائيل والفرس، حيث أولى اهتماما كبيرا بنسب البشر ومدى تأثيره على طباعهم، أين يعني الانتماء إلى نسب معين الانتماء إلى عصبية وهو يقع ضمن التعريف الإثني للأمم والقوميات.

كما ذكر ابن خلدون في معرض حديثه عن الأنساب واختلاطها أن هذا النوع من الهويات -بتعبيرنا- يمكن أن يتناقض أو يتلاشى لأسباب منها تغيّر الولاءات، الشعور بعدم الانتماء إلى نسب مقابل نسب جديد، أو إلى توسع البلاد والتحول من للانتساب إلى العصبية إلى الانتساب إلى المواطن، فهناك حسب بن خلدون من البشر من "يغيرون" أنسابهم قائلا أن من القبائل والعصائب من يختارون أنساب أخرى يلهجون بها "إما خصوصية فضيلة كانت في أهل ذلك النسب من شجاعة أو كرم... فيزعمون إلى ذلك النسب... فمن ذلك ما يدعيه زناتة جملة أنهم من العرب"⁴، فالشعور بالانتماء إلى خصوصيات أخرى غير خصوصيات النسب الذي ينتمي إليه البشر (وهي العوائد والشعار في القول أعلاه) يدفعه إلى تغيير نسبه ما سميناه سابقا حسب علم الاجتماع باكتساب الهويات.

كما أن الانتساب إلى الأعراق إنما يتناقض مع الزمن واختلاط الأعراق والأنساب والحواسر، وتخالطه انتماءات أخرى على سبيل "تعدد الهويات"، مثلما وقع في صدر الإسلام مع الفتوحات الإسلامية والانتقال من الانتماء إلى حُمير ومضر على سبيل المثال إلى الانتماء إلى "دمشق" أو عاصمة ما، فيقول ابن خلدون: "وقد كان وقع في صدر الإسلام الانتماء إلى المواطن،

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 544.

² ابن رشد، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، شرح البرهان لأرسطو وتلخيص البرهان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984، ص ص 16-17.

³ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 115.

⁴ المرجع نفسه، ص 161.

فيقال: جند قنسرين جند دمشق، جند العواصم، وانتقل ذلك إلى الأندلس، ولم يكن ذلك لإطراح العرب أمر النسب، وإنما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عُرفوا بها، وصارت هم علامة زائدة على النسب يتميزون ... ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم، وفسدت الأنساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية¹، كما أن من الأنساب ما يمحوه التقادم ومرور الزمن والاحتكاك بأقوام أخرى ذات أعراق وأنساب وثقافات مختلفة ويتم الالتحام بينها إذ قال هنا ابن خلدون أنه "قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان...وما زالت الأنساب تسقط من شعب إلى شعب، ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والإسلام والعرب والعجم"².

✓ **الهوية المتأتمية من الانتساب إلى جهات العالم وسماهم:** فقد قسم ابن خلدون الأرض إلى أقاليم جغرافية، ولكل إقليم منها خصوصيته من تراب ورطوبة وغذاء وهواء، وكل منها يطبع على البشر خصوصية مرتبطة بتلك الجهة من جهات العالم، فخصص ثلاثة مقدمات من المقدمة، الثالثة، الرابعة والخامسة لوصف علاقة اختلاف أحوال البشر باختلاف الحصب والجوع والهواء وغيرها من ظروف مناطقية تؤثر الأبدان (أي هوية الجسد)، والأخلاق وحتى الدين فقد أورد قائلا: "واعلم أن أثر هذا الحصب في البدن وأحواله يظهر حتى في حال الدين والعبادة"³.

✓ **الهوية المتأتمية من الانتساب إلى أحوال الأمم وميزاتهم وجبلتهم:** ويعني بذلك ابن خلدون أن البشر يطبعون بالأحوال المحيطة بهم في زمانهم ومكانهم وما يتعودون عليه كنوع من الجبلية والتنشئة الاجتماعية والتطبع بطبائع الأمم على غرار العادة، فقد ذكر ابن خلدون لاحقا في تناوله لتعود أنماط الحياة من أكل وشرب وهواء مفهوم "العادة" والذي ذكرنا سابقا اعتباره أحد أهم المؤشرات الأنثروبولوجية لمفهوم الهوية ومقابلا لمفهوم الهايتوس أو العادة Habitus والذي يوضح بناء مفهوم الهوية، كما يساعدنا على فهم التحولات الاجتماعية المعقدة والمتواليات في حياة الأفراد⁴، حيث ذكر قائلا "... والسبب في ذلك العادة؛ فإن النفس إذا ألقت شيئا صار من جبلتها وطبيعتها لأنها كثيرة التلون"⁵، كما نلاحظ مجددا أن ابن خلدون ينزع إلى عدم استقرار الهويات ويصفها مرارا بأنها غير ثابتة وغير مستقرة أيضا، بل أنها تميل إلى الاختلاف وهي من سنن الله في خلقه وأحوال أممه، فيقول: "ومن الغلط الخفي في التاريخ الدهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأخيار بتبدل الأعصار ومزور الأيام... وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة في الأشخاص والأوقات والأمصار... والأقطار والأزمنة والدول"⁶.

حاولنا فيما سبق أن نستخرج بعض مؤشرات الهوية في مقدمة ابن خلدون، ومعناها لديه كما لاحظنا يتركز أكثر على تأثير الجماعة الاجتماعية على الفرد وأن الذات الفردية تذوب في الذات الجماعية، وأن الجماعة تطبع الفرد بمميزات وخصائص تستمد من النسب والجغرافيا والمعيش اليومي، كما أنها أحوال غير مستقرة بل ديناميكية وتحتل الاختلاف عبر الزمن والمكان.

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 159.

² المرجع نفسه، ص 159.

³ المرجع نفسه، ص 191.

⁴ جيل فيريول، مرجع سبق ذكره، ص 102.

⁵ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 120.

⁶ المرجع نفسه، ص 60.

وفيا يلي سنبحث عن الهوية ضمن أطروحتين الدوركايمية والفيريية، وهي أطروحات تقسم الهوية إلى جبهة مجتمعية وتكوين فردي، وقد استلهمنا هذا التقسيم من الديناميات التاريخية لتشكيل الهوية التي وضعها كلود دوبار في كتابه أزمة الهويات، كما أنه تقسيم لاحظنا تكرر في أغلب الأدبيات التي تتناول الهوية ومفارقاتها ومتقابلاتها، وسنعرض الأطروحتين تكمة للمدخل الاجتماعي كما يلي:

ثانيا: البحث عن الهوية ضمن الأطروحة الدوركايمية: الشكل الجماعي للهوية.

تضعنا المقاربة السوسيولوجية لمفهوم الهوية أمام أطروحة تستلهم من أعمال إميل دوركايم ما كان يدعو به "أساليب السلوك والإحساس والتفكير" عبر الانتماء الاجتماعي، إذ يؤكد هذا المنظور على أن الهوية تتشكل عبر مجموع القيم والمعايير وكل ما يكتسبه الفرد من مجتمعه، تدعى هذه الأشكال من الهوية حسب دوبار بالأشكال **الجماعية**، التي تفترض وجود جماعات تعيد إنتاج الماثل عبر الأجيال، وهي أكثر أشكال الهوية قدما أو تقليدية، وأهم ثلاث نظريات نستذكرها هنا سواء تناولت مفهوم الهوية مباشرة أو بطريقة غير مباشرة هي: التنشئة الاجتماعية وروح الخضوع للنظام عند دوركايم؛ والتوازن بين الـ"أنا" والـ"نحن" عند نوربرت إلياس Norbert Elias.

✓ التنشئة الاجتماعية وروح الخضوع للنظام: إميل دوركايم.

رغم أن دوركايم لم يكتب بشكل صريح ومباشر حول الهوية، إلا أن من أعماله ما يمكن أن نفهم من خلالها المنظور الجماعي للانتماء، فهو تقليدياً؛ السوسيولوجي الذي يشير إليه المعلقون عند البحث عن تفسير شامل للتنشئة الاجتماعية، وتتلخص أفكاره عن الجماعية في فكرتين أساسيتين: تعريفه للتنشئة الاجتماعية، والعلاقة بين الفرد والمجتمع.

تعدد الدارسون للتنشئة الاجتماعية عبر مختلف التخصصات بين علم النفس، علم النفس الاجتماعي، علم الاجتماع على غرار جورج هربرت ميد George Herbert Mead والأثروبولوجيا على غرار رالف لينتون Ralph Linton، الذين عرفوا التنشئة من وجهة نظر تعطي للفرد أولوية على المجتمع في العلاقة بينها وأنه محورها، فالتنشئة "عملية تعلم ما يجب على الفرد فعله للآخرين وما يحق له أن يتوقعه منهم"، "تدريب الفرد لمكانة معينة في المجتمع"، "غرس المهارات والمواقف اللازمة للعب أدوار اجتماعية معينة"، "اكتساب وصقل المهارات المهمة لتلبية متطلبات الحياة الجماعية"¹، وغيرها من التعريفات الفردية، إلا أن دوركايم تناول التنشئة الاجتماعية باعتبارها عملية تهتم بالجماعة كما تهتم بالفرد بل إنها لا تتعلق في المقام الأول بالتعلم أو الاستيعاب الفردي إنما هي عبارة عن "حمل وولادة كائن جديد ذو طبيعة اجتماعية"² إذ تمثل العلاقة بين المجتمع والفرد الحد الفاصل لديه في تعريفه للتنشئة، هذا الاختلاف مهم لأنه على عكس النظرة الفردية للتنشئة الاجتماعية، يضع نهج دوركايم الشمولي Holistic العلاقة بين الفرد والمجتمع في المقدمة.

من أهم تعريفات الهوية التي أدرجناها سابقا هو اعتبارها "شيفرة أخلاقية"؛ ففي كتابه **التربية الأخلاقية** اعتبر دوركايم النظام الأخلاقي للمجتمعات نظاماً مؤطراً لسلوكيات أفرادها، وسمى الانتماء إلى الهوية الأخلاقية للمجتمع ما روح الخضوع للنظام،

¹ Guy van de Walle, "Durkheim and Socialization", *Durkheimian Studies/Études Durkheimiennes*, vol.14, 2008, p 40, DOI: <https://doi.org/10.3167/ds.2008.140105>.

² Ibid, p 40.

ف "كل الأفعال التي نصفها عادة بأنها خلقية تشترك في صفة أنها قواعد محددة مسبقاً حسب مقاييس موضوعة تحدد لنا السلوك"¹، هذه القواعد تكون إما ديناً، عرفاً، أو ضميراً جمعياً أو عادة جمعية أخلاقية، وهي عبارة عن إلزام أو أمر جوهره خارجي عن الفرد، تدفعه إلى التصرف بطريقة "نشعر فيها أننا لسنا أحراراً في تغييرها حسب أهوائنا.. فليس في استطاعتنا أن نتحكم في أن تكون أو لا تكون ولا في أن تكون على غير ما هي"²، فهي تحصر السلوك وتضعه في صيغة ثابتة بعيدة عن النزوات أو التكييف الفردي، معتبراً أن النظام الاجتماعي ليس محددًا لسلوكيات الأفراد من جانب اجتماعي فحسب بل محددًا لخاصية هوياتية مهمة وهي الشخصية، بالضبط مثلما تضع الانتماءات المختلفة حدوداً ترسم الشخصية الفردية وتطبعها بطابعها، فيرى دوركايم أن للنظام "دور كبير في تكوين أهم ما يتصف به الإنسان، ألا وهو شخصيته"³؛ وهي الفكرة الأولى.

والفكرة الثانية تتضح في آخر عمل علمي له في حياته وهو مقال "ثنائية الطبيعة البشرية" عام 1914، أين يمكننا أن نعثر على المنظور الجماعي للهوية بالنسبة له الذي أوضع فيه دوركايم عن عدم إمكانية تصوّر الفرد دون الآخرين وضمنهم لأنه من الطبيعة البشرية، فكتب حول رؤيته الفلسفية لها باعتبار الفرد كائناً مزدوجاً؛ ومن معاني ازدواج هنا هو وجود العلاقة التأسيسية بين الأفراد والمجتمع، **بين الهوية الشخصية والارتباط الاجتماعي** "ولن يكون هناك أنا حقاً بدون علاقة مع الآخرين"⁴، أي لن تكون هناك هويات شخصية دون وجود رابط اجتماعي بين الذوات الفردية، وهو شيء مشابه لما أسماه كانط واستشهد به دوركايم التواصل الاجتماعي غير القابل للانفصال.

ويرى الباحثون في الإنتاج الدوركايمي أن المقال في الواقع هو سؤال تعريف الهوية، حيث كان دوركايم مهتماً لفترة طويلة بالعلاقة بين الهوية والارتباط بجماعة ما، سواء في الحالات الطبيعية أو صحّة لهذه العلاقة مثل الأخلاق والتنشئة والدين أو أشكالها المرضية على غرار الانتحار، على اعتبار أن دراساته تتبع قاعدة منهجية تردّ كل ما هو اجتماعي إلى الاجتماعي بالضرورة وليس إلى الفردي.

✓ التوازن بين الـ"أنا" والـ"نحن": نوربرت إلياس.

المقاربة السوسيولوجية الثانية للهوية من وجهة نظر جماعية هي مقاربة نوربرت إلياس الذي هدف في تناوله لمجتمع الأفراد The Society of Individuals إلى فهم التوازن بين هوية الـ"أنا" وهوية الـ"نحن"، وربما هو من قلة السوسيولوجيين الذين أدرجوا مفهوم الهوية بشكل صريح في مطارحاته.

يرى إلياس أن الحياة الاجتماعية مركبة بين أفراد وجماعات، ويمثل لنا المفهوم تعبيراً "عن أن كل إنسان في هذا العالم الفسيح، كائن مستقل يتحكم بنفسه ذاتياً، أو على الأقل؛ يجب أن يكون كذلك. إلى ذلك وفي نفس الوقت يكون كل إنسان،

¹ إميل دوركايم، ترجمة: السيد محمد بدوي، التربية الأخلاقية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص 24.

² المرجع نفسه، ص 29.

³ المرجع نفسه، ص 49.

⁴ Giovanni Paoletti, "Durkheim's 'Dualism of Human Nature': Personal Identity and Social Links", *Durkheimian Studies/Études Durkheimiennes*, vol.18, 2012, p 64, DOI: <https://doi.org/10.3167/ds.2012.180105>,

في نواح معينة، مختلفاً عن الناس الآخرين¹، فيتشارك الفرد مع أمثاله من البشر في خصائصهم العامة ويختلف عنهم في ما يميزه، وقد عبّر عن هذه الميزات والخصوصيات بهوية الـ "أنا"، بينما عبّر عن التشابهات بهوية الـ "نحن"، في شكل من أشكال استخدام المفاهيم في المجتمعات المعاصرة، إذ أن هوية الـ أنا والـ نحن لطالما ميّزت المجتمعات على قدمها لكن التعبير عنها في عصرنا هذا انضوى تحت مفهوم الهوية.

إن مقارنة إلياس للهوية توصف بالجماعية لاعتباره أن الميل إلى الفرد وأولويته، ليس من البداهة في شيء إذ لطالما كانت الأولوية للهوية الـ نحن في مراحل باكراً من التاريخ، فتصور فرد لا ينتمي إلى أي مجموعة، منزوع منه أي رباط أو علاقة اجتماعية كالانتماء إلى العشيرة أو القبيلة أو الدولة، ومعطاة له قيمة كبيرة حتى أصبحت روابطه الجماعية قليلة الأهمية له نسبياً، هو أمر في الواقع الاجتماعي وفي نظره مستبعد وخارج عن أي إمكانية.

"لا يمكن لعالم الاجتماع اليوم أن يغلق نفسه أمام حقيقة أن البشرية المتوزعة في دول عديدة كوحدة مجتمعية واحدة وليس الدول منعزلة عن بعضها ... ولا يمكن تشخيص هذه العمليات [يقصد التوازن بين الأنا والنحن] وتلك التحولات البنوية ولا شرحها وتفسيرها اجتماعياً بشكل واف إلا بالعودة بها إلى إطار العالمية... فإننا نسير باتجاه مرحلة لا تكون فيها الدول منفردة، بل رابطة دول العالم كلها كوحدة مجتمعية حاسمة"² يقول إلياس، هذا يعني تدرّج تفكير إلياس من الفرد إلى الجماعة وصولاً إلى العالم، فقد وصل في تنظيره للهوية الجماعية إلى مفهوم العالمية، وتجاوزت محاولة الحدود القومية أو حدود الدول بالمفهوم الويستفالي، فيرى أن الهوية كالأظاهرة اليوم—وعلى علماء الاجتماع الالتفات لهذا—أصبحت تنظر بمنظور أوسع من جماعة تحدها أي حدود.

وفق هذا التصور أو الافتراض فإن لكل فرد انتماءً أساسياً يجعل منه عضواً في جماعته سواء كانت هذه الجماعة ثقافة؛ أمة، إثنية أو حتى اتحاداً³ كما يقول دوبار بمعنى أن هذا الشكل من التفسيرات السوسيولوجية للهوية يأخذ بعين الاعتبار "الذات" الفردية ضمن "الغير" الجماعية، وهي عبارات رغم أنها تعطي انطباعاً بأن الذات تذوب في الجماعة إلا أنها في الواقع تتضمن إلغاءً صريحاً ومطلقاً للفرد وهويته، وإخضاعه بصفة مطردة للإرادة الجمعية، وقد انتقد دوبار هذا التوجه خاصة ما جاء عن دوركايم حول اعتبار "الوعي البدائي هو بالكامل وعي خارج عن الذات"، ورغبة إلياس في إيجاد توازن بين الـ أنا و الـ نحن وتجاوز التعارض بينهما.

ثالثاً: البحث عن الهوية ضمن الأطروحة الفيبرية: الشكل التطويقي للهوية.

الشكل الثاني من أشكال المقاربات السوسيولوجية للهوية وصفه دوبار بالتطويقية، وهو مفهوم صاغه للتعبير عن الحركة التي تتصف بها الهوية، "ومؤداها أن الهوية ليست نتاج تنشئة الفرد واستبطانه لقيم المجتمع، ولجاذبية أنظمتها القيمية، بل حصيلة لمسارات تكونه، وللوضعيّات والتجارب التي تعرض له في علاقته مع الآخرين"⁴ هذا النوع من الهويات يُتصف بالدينامية والتحول وإعادة التشكيل والبناء من أجل ذلك وصفه دوبار بهذا الوصف.

¹ نوربرت إلياس، ترجمة: هاني صالح، مجتمع الأفراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2014، ص 189.

² المرجع نفسه، ص 197.

³ كلود دوبار، مرجع سبق ذكره، ص 21.

⁴ محمد سيلا ونوح الهرموزي، مرجع سبق ذكره، ص ص 528 – 529.

✓ سيرورة العقلنة: ماكس فيبر.

وأهم أمثلة الشكل التطويعي للهوية تتمثل في سيرورة العقلنة لماكس فيبر، الذي رغم أنه لم يورد لفظ الهوية في أعماله إلا أنه ناقش أشكال العلاقات والفعل الاجتماعي وأنماطه. اعتبار فيبر ذا منظور تطويعي للهوية لا يعني أنه يلغي وجود جماعات اجتماعية بعاداتها وتقاليدها وقيمتها، كما أنه لم يبلغ اعتبارها كأهم منطلقات تشكل أنماط الفعل الاجتماعي والمعنى ومصادره، بل التطويعية لا تخضع فحسب إلى الذات مقابل الجماعية بل تخضع لمدى الرجوع إلى الذات العقلانية الواعية في تحديد السلوكيات والأفعال الاجتماعية، وقد استخدم مفاهيمها صاغها تونيز حول أشكال الجماعات والمجتمعات*. وقد انطلق فيبر في فهمه لسيرورة العقلنة بتوصيفه لأهم شكلين للعلاقات الاجتماعية، من الجماعات إلى أن يصل إلى التطويعي، **الشكل الأول** يعبر عن العلاقات الاجتماعية المبنية على الشعور الذاتي بالانتماء إلى نفس الجماعة، ويعبر **الشكل الثاني** عن العلاقات الاجتماعية المبنية على التراضي أو على تنسيق المصالح المعللة عقليا¹. ويتم التدرج من أكثر أشكال الفعل تقليدية إلى أكثرها عقلانية عبر أربعة مفاهيم صاغها فيبر، أين يعبر الفعل هنا عن سلوك وتفاعل اجتماعي مصدره الذات أو الجماعة، والشعور أو العقل أو درجات متفاوتة منها:

- **تقليدي:** من خلال العادة التي درج عليها الشخص؛
- **انفعالي، شعوري خاصة:** وذلك بفعل تأثيرات راهنة وحالات شعورية؛
- **عقلاني قيمي:** من خلال الاعتقاد الواعي في قيم أصيلة أخلاقية أو جمالية أو دينية، أو ذات تفسير آخر، لا غنى عنها لأي سلوك معين بحث ولا علاقة لها بالنجاح؛
- **عقلاني غائي:** من خلال توقعات سلوك الأشياء في العالم الخارجي وسلوك الأشخاص الآخرين، وباستخدام تلك التوقعات بوصفها شروطا أو وسيلة لغايات عقلانية مرجوة ومتوقعة لأنها نجاح لصاحبها².

فصادر الفعل عنده تنطلق مما يكتسبه الفرد تقليديا باعتباره جزءاً من مجتمع معين يستمد منه المعنى؛ كرد فعل لمثيرات تعود عليها الفرد في حياته اليومية، نسميها هنا *الهوية التقليدية*، ثم يتدرج المعنى ليصبح ذا مصدر انفعالي وشعوري لا ينفصل عن التقليدية من جهة كما يعطي للذات قدراً من المصدرية في الفعل، أين يقف هذا السلوك بين الحدود التقليدية الخارجية والحدود الشعورية الداخلية نسميها *الهوية الانفعالية*، ثم يتراجع دور التأثيرات الخارجية والحالات الشعورية ويزيد دور العقل والوعي، الوعي أولاً بقيمة الاعتقادات وأهميتها فيسلك الفرد سلوكيات تتماشى وتلك الاعتقادات غير القابلة للمساءلة من طرفه لا شيء سوى لأنه واعٍ بقيمتها سواء كانت تخدم أغراضه وغاياته أم لا، مثل اتباع أوامر دينية أو أخلاقية، نسميها *الهوية العقلانية/القيمية*، فإذا الأولوية لدى الفرد انتقلت من الوعي بالاعتقادات إلى الوعي بالغايات وأن مصادر الفعل تصبح الغايات والقناعات الذاتية المطلقة والمحددة عقلياً بعيداً عن الشعور أو التقاليد وقريباً من الغائية المطلقة، ونسمي الهوية المترتبة عن هذا السلوك *الهوية العقلانية الغائية*.

* أنظر عنصر: التدفق الثقافي الكوني والثقافات القومية، المبحث الأول من الفصل الثاني.

¹ كلود دوبار، مرجع سبق ذكره، ص 60 - 63.

² ماكس فيبر، ترجمة: صلاح هلال، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص 53 - 54.

إلا أن فيبر يدافع عن أطروحة السيرورة التاريخية لتشكيل الهوية التي تتضمن تغلب الشكل التطويحي العقلاني على الجماعاتي التقليدي للهوية على أن سيرورة العقلنة التي تَمَسُّ الهوية لا تلغي تدامج الشكليات معاً. وتغلب الشكل التطويحي في تفكير فيبر ناتج عن عقلنة مختلف أنماط الفعل أو المعنى، ونضرب مثلاً بالدين أولاً باعتباره أهم بعد من أبعاد الهوية، وثانياً باعتباره واحداً من أهم الكلمات المفتاحية في التفكير الفيبري، فهو يرى أنّ أول ما يميز الأشكال الجماعية هو في البدء سيطرة الفكر السحري كقدرة كاريزمية، ثم الأديان المحلية التي تبقى محدودة بحدود ثقافات معينة وآلهة معينة وجغرافيات وأمم معينة، وصولاً إلى "اختراع" الأديان الكونية الكبرى؛ ك لحظة أساسية في العقلنة الدينية وكشكل هوياتي غير مسبوق¹، تنتقل تأثيراته إلى أبعاد أخرى سياسية وثقافية.

✓ الهوية السائلة: زيغمونت باومان.

ومن بين أهم من تأثروا بتفسير الهوية بالعقلانية الذرائعية الفيبرية هو زيغمونت باومان، خاصة في دراساته حول علاقة الهوية بالعملة، والذي ينطلق في تحليله للهوية اجتماعياً من مفهومي مارتن هيدغر الذي يميّز فيها بين "الشيء الجاهز المعطى Vorhanden، والشيء القابل للاستعمال والتشكيل Zuhanden ويفترض باومان أن الحداثة الغربية تخصصت في تحويل الأشياء من مجرد الحضور الجاهز المعطى إلى الحضور القابل للاستعمال والتشكيل"²، أين تمثل الأولى الهوية الجماعية التي يرى باومان أنها مبنية على "الأمن" الذي يعد به الانتماء إلى الجماعات ممثلاً شكل الهوية في عصر الصلابة، والثانية تمثل الهوية التطويحية المبنية على "الحرية" التي تعد بها الفردانية معبرة عن الهوية في عصر السيولة.

كما يرى باومان أن طرح موضوع الهوية بكثافة في عصر العملة ناتجة عن تأزمها، فلما كانت الهوية صلبة ومحددة لم تكن تستدعي الملاحظة، لكنها لما أصبحت قابلة للتشكيل وسائلة، تمت ملاحظة أزمتها، قائلاً أن "المرء لا يرى ما هو مرئي للغاية؛ لا يلاحظ المرء ما هو 'هناك دائماً'. يتم ملاحظة الأشياء عندما تختفي أو تفلس: يجب أن تخرج أولاً من "المعطى" الروتيني حتى يبدأ البحث عن جوهرها والأسئلة حولها"³، كما اعتبرها نتيجة حتمية للعملة، وأضاف أنه ربما بدلاً من الحديث عن الهويات الموروثة أو المكتسبة؛ أي بمفهومها الجماعاتي، قد يكون أكثر انسجاماً مع حقائق العالم الآخذ في العملة أن نتحدث عن الهوية في شكلها النشط نشاطاً لا ينتهي، وغير المكتمل دائماً ومفتوح النهاية وهو بمثابة "الأثر الجانبي" لضغوط العملة والفردانية والتوترات التي تولدها.

المطلب الثالث: الهوية في عصر الإنترنت: ميلاد الهويات الافتراضية.

من أهم أدوات العملة التي ذكر باومان سابقاً أنها حوّلت مفهوم الهوية وأعطته صبغة قابلة لإعادة التشكيل، وقدرةً للأفراد والجماعات على إعادة ضبط هوياتهم؛ هي الإنترنت، التي خلقت نوعاً جديداً من الهويات تعددت تسمياتها وصفاتها بين: الهويات عبر الخط، والهويات الافتراضية، إلا أن مردّها واحد وهي أنّها هوية خلقتها الإنترنت والتقنية.

¹ كلود دوبار، مرجع سبق ذكره، ص 62 - 64.

² حجاج أبو جبر، "هل من مكان للهوية في عالم معولم؟ استكشاف "الهوية السائلة" عند زيغمونت باومان"، مجلة تبين، المجلد 11، العدد 41، 2022، ص 154، المعرف الرقمي: <https://doi.org/10.31430/LGHL7405>.

³ Zygmunt Bauman, "Identity in the globalizing world", *Social Anthropology*, Vol. 9, Issue. 02, 2001, p 121, DOI: <https://doi.org/10.1017/S096402820100009X>.

• الهوية الافتراضية: اختراع المفهوم.

يرتبط اختراع مفهوم الهوية الافتراضية بأعمال المتخصص في الاتصال ووسائله؛ الأمريكي هاورد راينغولد Howard Rheingold، والذي بحث في حقل العوالم التفاعلية عبر الإنترنت، وكيف يمكن أن تنشأ ضمنها علاقات وهويات على غرار العالم الفعلي، فقد صاغ من أجل ذلك مفهوم **المجتمعات الافتراضية** معتبرا إياها "تجمعات اجتماعية تنشأ من شبكة الإنترنت، عندما يستمر عدد كافٍ من الأشخاص في مناقشات عامة لفترة معتبرة، وبقدر كافٍ من الشعور الإنساني، من أجل تشكيل شبكات من العلاقات الشخصية ضمن الفضاء الإلكتروني"¹، إذا فاللحظة التي يتجمع فيها مستخدمون داخل عالم الإنترنت، يتفاعلون مع بعضهم البعض، ويربطون علاقات يصفون عليها خصائصهم الشخصية والإنسانية؛ هناك يتشكل مجتمع افتراضي.

والهوية ضمن المجتمعات الافتراضية كما تصوّر ها راينغولد، تذوب حدودها بنفس الطريقة التي تذيب بها وسائل الإعلام الحدود الاجتماعية المتعلقة بالزمان والمكان²، وتصبح مزيجا بين ما هو فعلي وما هو افتراضي. والمفارقة حول التواجد ضمن المجتمع الافتراضي هو أن البعض يستخدمون طرق التواصل غير الشخصية مثل الاتصالات الإلكترونية لتفادي الاحتكاك الاجتماعي المباشر؛ إلا أنهم يصبحون شخوصين للغاية مع بعضهم البعض من خلال هذه الاتصالات، وربما بطريقة أكثر حميمية وشخصية مما هي عليها في الحياة الفعلية، يخلقون من خلالها علاقات وتفاعلات اجتماعية، إذ يعد كلٌّ من التقيضين: ارتداء "الأقنعة" والكشف عن الذات جزأين مهمين من قواعد الفضاء الإلكتروني، والذي يخلق ما يشبه لعبة تركيب للهوية تنتج عنه أنواع هوياتية عديدة: الهويات الجديدة، والهويات الزائفة، والهويات المتعددة وغيرها³، وكلها يقع تحت إطار الهويات الافتراضية.

تعرف **الهوية الافتراضية** بأنها: "هويات اجتماعية يفترضها أو يقدمها الأشخاص في الاتصالات عبر الكمبيوتر والمجتمعات الافتراضية تتضمن عادةً أوصافاً نصية للذات والصور الرمزية، وهي عبارة عن أحرف محققة بيانياً يتحكم فيها المستخدمون"⁴، أين تستخدم الذات التمثيل الرقمي لها لتبني الهوية الافتراضية التي تسعى من خلالها إلى استيعاب الهوية الشخصية الخاصة بها فيتحوّل التعبير عن الهوية من السؤال 'من أنا بالنسبة إليك؟' إلى السؤال 'أنا على الإنترنت؟' ومن بهدف إضفاء تحسينات وتعديلات تؤدي إلى محاولة خلق اتزان الذاتين غير المتصلة وتلك المتصلة بالإنترنت⁵. يعني ذلك أن الهوية الافتراضية تعبر عن التواجد الفردي والجماعي للمستخدمين عبر الإنترنت، والذي يتطلب امتلاك خاصيات هوياتية كالاسم والصورة يعبر من خلالها المستخدمون عن ذاتهم. ويعني ذلك أيضا أن هناك فرضيتين لعلاقة الهوية الافتراضية بالهوية الفعلية:

الأولى: تعتبر الإنترنت "ورشة هوية" Identity Workshop، أي يمكن من خلالها خلق هويات موازية لهوياتنا، وهو مفهوم صاغته إيمي براكان Amy Bruckman في دراستها لعوالم افتراضية اشتهرت في بداية التسعينيات، أين كان هناك

¹ Howard Rheingold, *The Virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier*, The MIT Press, Cambridge, 2000, p xx.

² Ibid, p 151.

³ Ibid, p 152.

⁴ Philip Brey, Johnny Hartz Søraker, "Philosophy of Computing and Information Technology", in: *Handbook of the Philosophy of Science, Philosophy of Technology and Engineering Sciences*, Edited by: Anthonie Meijers, North-Holland, 2009, p 1389.

⁵ لوتشيانو فلوريدي، مرجع سبق ذكره، ص 105.

143 لعبة متعددة المستخدمين تعتمد على ثلاثة عشر نوعًا مختلفًا من البرامج على شبكة الإنترنت، استخدمت للتعبير عن هذه العوالم مصطلح "MUD"، الذي يرمز إلى Multi-User Dungeon، أي الحصن متعدد الاستخدامات، وهي غرف دردشة تنشأ ضمنها حياة افتراضية عندما يقوم مستخدم ما بتسجيل الدخول لأول مرة إلى MUD، يخلق شخصية افتراضية؛ يختار لها اسمًا وجنسا، ويكتب وصفًا لشخصيته¹، بحيث تمثل هذه الخصائص مكونات هويته الافتراضية. وقد شكل هذا ظاهرة آنذاك لأن للعديد من اللاعبين يعتبرون الـ MUDding بديلاً لجميع الأنشطة الاجتماعية الأخرى أين يصبح الواقع الافتراضي أكثر "واقعية" من الحياة الحقيقية، وهو بالضبط ما وصفه جان بودريار بالواقعية المفرطة.

ومفاد هذه الفرضية أن الفضاء الإلكتروني سيحرر الناس من أجسادهم، ويطمس الخطوط الفاصلة بين الإنسان والتكنولوجيا، ويُحتمل أن يتطور ذلك ليصل إلى مرحلة "ما بعد الإنسان"²، فالتقنيات الجديدة من شأنها أن تغير بشكل جذري الطريقة التي يفكر بها الناس بخصوص الهوية وينزعون عنها خاصية ثباتها نهائياً مقابل خاصية ديناميكيته، وتتسم الهوية الافتراضية حسب هذا المنظور بـ:

✓ أنها يمكن أن تكون مختلفة عن هويات العالم الحقيقي المقابلة لها؛

✓ أن الأفراد يمكن أن يتخذوا هويات افتراضية متعددة في سياقات وإعدادات مختلفة؛

✓ أنها يمكن استخدامها للتأكيد على جوانب مختلفة من شخصيتهم أو إخفاءها؛

✓ وأنها عادةً لا تعتمد على تجسيد المستخدم أو موقعه في الحياة الواقعية أو تشير إليه³.

بالعودة إلى السوسيولوجيا، فإن ما سبق وطرحه من تطور يشهده مفهوم الهوية الافتراضية هو عبارة عن محاولات مستمرة لاقتراب الافتراضي من الفعلي أو على الأقل الاتصاف بخصائصه، والذي يمكن الاقتراب منه نظرياً باستحضار مقاربتين تفسران هذه الفرضية: الواقعية المفرطة لجان بودريار والحياة الثانية على الشاشة لشيري توركل Sherry Turkle.

• الواقعية المفرطة عند جان بودريار:

يرتبط اسم السوسيولوجي والفيلسوف جان بودريار بالظواهر المتعلقة بوسائل الاتصال والاتصالات الحديثة، وكيف تساهم في خلق صور مصطنعة عن الواقع سمّاها الواقعية المفرطة أو فوق-الواقع Hyperreal، وقد استخدم لفظ "فوق" لأن ما تصوّره هذه الوسائل ليس الواقع الحقيقي بل حتى أنه يلغيه ويعوّضه بصورة تريد وسائل الاتصال وتقنياته المتطورة أن تسوّقها، ونموذج ذلك مقالاته حول حرب الخليج^{*}، ويستند بودريار إلى أطروحة الواقعية المفرطة ليتقدم بفرضية: أن "المجتمع

¹ Amy Bruckman, "Identity Workshop: Emergent Social and Psychological Phenomena in Text-Based Virtual Reality", Ph.D dissertation, MIT Media Laboratory, Cambridge, Massachusetts, 1992, p 4.

² Alice E. Marwick, "Online Identity", in: **A Companion to New Media Dynamics**, collective book, Edited by: John Hartley AM and others, Blackwell Publishing Ltd, 2013, p 357, DOI: <https://doi.org/10.1002/9781118321607.ch23>.

³ Philip Brey, Johnny Hartz Søraker, Op cit, p 1389.

* كتب بودريار ثلاثة مقالات مهمة حول حرب الخليج مشككا في الرواية الإعلامية حولها، قبلها أثناءها وبعدها، وكتب كتابه: حرب الخليج لم تقع (بالفرنسية: *La Guerre du Golfe n'a pas eu lieu*) جمع فيه مقالاته التي نُشرت في صحيفة ليبراسيون Libération الفرنسية، والصحيفة البريطانية الغارديان The

المعولم الذي خلقت حوله وسائل الإعلام الجماهيري الرقمي قدراً كبيراً من الرموز المشبعة بالمعاني الذاتية المرجعية، هو عالم زالت منه علاقة الدال بالمدلول وباتت الدلالة فيه والمعاني غريبة عن الواقع، الذي صار واقع هذه المعاني لا واقعه هو بالذات. وعليه يعتبر بودريار أن العالم أصبح مجرد صورة نقلا عن صورة نقلا عن صورة... ومجموعة من عمليات الاصطناع... وعليه فإننا نعيش اليوم في عالم فوق-الواقع، هو العالم التكنولوجي الافتراضي¹، بحيث تقترب الصورة المصطنعة من الحقيقية لدرجة محاولة محوها من ذاكرة الوجود كما تسعى الهويات الافتراضية تعويض الفعلية منها.

فالهوية الافتراضية حسب هذه المقاربة هي هوية مصطنعة من قبل وسائل الاتصال الإلكترونية، وهي فوق-هوية يمكن أن تلغي أو تعوّض الهوية الفعلية مادامت قوة الوسيلة الإعلامية والرموز التي تدسّها في المعاني تتجاوز قوّة الواقع.

• الحياة الثانية على الشاشة عند شيري توركل:

والتي تناولتها السوسيولوجية شيري توركلي دراستها للعلاقة والتفاعل بين الإنسان والتقنية، خاصة في الوقت الذي انتشرت فيه الألعاب والعوالم الافتراضية على الإنترنت مثل عالم "الحياة الثانية"، والذي بنت توركل على التفاعلات الاجتماعية ضمنه تحليلاتها^{**}، فبالنسبة لها "أن نستخدم الإنترنت يعني أن نبتدع ذاتنا على نحو يمنح الناس الفرصة للتعبير عن جوانب متعددة وغالبا ما تكون غير مكتشفة عن الذات واللعب بهويتهم وتجربة جوانب جديدة منها..²، فالهوية الافتراضية هي إحدى الكيفيات التي يمكن أن تتجلى بها الذات على شبكة الإنترنت، أين تجاوزت الدراسات النفسية والاجتماعية النظر إلى التواجد في المجتمعات الافتراضية أو ضمن الحياة على الشاشة Life on Screen على أنه انتماء تقني بقدر ما هو تواجد اجتماعي ونفسي، والتي تتيح لهم الفرصة لابتدعوا هويات جديدة لأنفسهم.

الفرضية الثانية تنفي إمكانية أن تحل الهويات الافتراضية محل الهويات الفعلية أو تنافسها، وأن فكرة "ورشة الهوية" لا تمثل مقارنة مناسبة لفهم الهوية في عصر وسائل الاتصال الإلكترونية، لأن العالم الافتراضي لا يخلق هوية جديدة بل يكتيف الهويات الفعلية لتتماشى مع خصائص هذا العالم وتصبح امتداداً لها، ويناهض منظرون فرضية ورشة الهوية لأسباب أهمها أن:

- ✓ معظم المستخدمين لم يخلقوا ذواتاً مختلفة جذرياً عن ذواتهم الفعلية بل اختاروا بدلاً من ذلك شخصيات متشابهة نسبياً معها.
- ✓ استخدام وسائل الاتصال الإلكترونية لم يذب حدود الهوية الجنسية أو العرقية، بل إن أشكال التمييز مثل العنصرية والتحيز الجنسي بقيت قائمة بنفس الطريقة التي تعطى بها الحدود الاجتماعية والثقافية والعرقية معنى في العالم الفعلي، فقد لاحظت

Guardian بين جانفي ومارس 1991، وعنوانه تعبير مجازي عن أن ما وقع في حرب الخليج ليس مطلقاً ما صوّرت وسائل الإعلام، بل هو صورة مصطنعة تغطي وحشيتها الحقيقية، وكل ما عرفه المتفرجون هو العروض الإعلامية الانتقائية والمصطنعة وليس ما حدث بالفعل.

¹ جان بودريار، ترجمة: جوزيف عبد الله، المصطنع والاصطناع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ص ص 17-18.

^{**} شيري توركل (1948): عالمة اجتماع أمريكية من أهم كتبها: "الذات الثانية" The Second Self (1984)، "الحياة على الشاشة: الهوية في عصر الإنترنت" Life on the screen: Identity in the age of internet (1995)، و"وحيدون معاً: لماذا نتوقع أكثر من التكنولوجيا وأقل من بعضنا البعض" Alone Together: Why We Expect More from Technology and Less from Each Other (2011).

² Sherry Turkle, **The Second Self: Computers and the Human Spirit**, Twentieth Anniversary Edition- The MIT Press, Massachusetts, 2005, p 13.

أبحاث حول الدردشة النصية في كثير من الأحيان خطابًا متحيزًا لجنس أو للغة معينة، فالمستخدمون حتى وإن لم يتمكنوا من رؤية من يتحدثون إليه لا يزالون أشخاصًا فعليين ومعتقداتهم تبقى راسخة.

✓ هناك توجه من طرف وسائل الاتصال الإلكترونية والمنصات ومواقع التواصل الاجتماعي للالتزام بهوية واحدة ثابتة، بدلاً من السماح للمستخدمين بتزييف الهويات أو تعددها¹. يطلب فيسبوك على سبيل المثال من المستخدمين تقديم اسمهم الحقيقي، حيث يهدف من خلال ذلك مسؤولو الموقع المحافظة على سياسة "الهوية الواحدة".

ف نجد مؤسس فيسبوك مارك زوكربيرغ Mark Zuckerberg يؤكد خلال مقابلة أجريت معه عام 2009 ثلاث مرات في دقيقة واحدة أن فيسبوك لم يوجد -كما يجادل كثيرون- ليعطي فرصة للمستخدمين لتعدد أوجههم وهوياتهم بين عمل و"متعة" على حد قوله، قائلاً أن: "الأيام التي كان لديك فيها صورة [يريد بها شخصية] مختلفة لأصدقائك أو زملائك في العمل، وللأشخاص الآخرين الذين تعرفهم، ربما تقترب من نهايتها بسرعة كبيرة... إن امتلاك هويتين لنفسك هو مثال على الافتقار إلى النزاهة"²، ففصل الهوية الفعلية عن الافتراضية حسب سياسيات الموقع وحتى أخلاقياً يعتبر أمراً مرفوضاً.

ما الذي نريده من هتين الفرضيتين؟ نريد أن نوضح أن وجود هويات افتراضية موازية يعطي إمكانية فعلية للتحرر من الربط الفعلي للهوية بأرض ونسب وإقليم أو عرقية، لأن توسع نطاق الهوية ضمن عالم لا حدود وطنية له يسهل التحرر منها، وهو مضمون الفرضية الأولى الذي تعادل فيها الهوية الافتراضية البحتة الهوية العالمية، ولكن ما تشهده مؤخرًا مواقع التواصل والسحب الشبكية هو عودة قوية للهويات الفعلية المحلية كما رأينا في الفصل الثاني بخصوص العودة إلى المحلي، فكل ما يظهر لنا من معلومات وبيانات مرتبط بالغة المحلية وعنواننا الشبكي، ف "نعود للغات الفردية للتأثير مع أننا نمر حالياً بطور تفضيل استخدام اللغة الإنجليزية حصرياً أو الإنجليزية المعولة، فإن كنت اليوم في برشلونة فستتلقى نتائج بحث باللغة الإسبانية الكتالونية"³، وهو مضمون الفرضية الثانية الذي تعادل فيها الهوية الفعلية البحتة الهوية الوطنية؛ التركيب بينهما أي بين الافتراضي والفعلي هو العامل الذي يطرح مسألة الهوية الوطنية ضمن العالم الافتراضي وإلى أي قطب ستتنصرف الهوية، إلى الوطني منعزلة عن العالم، أم إلى العالمي منفصلة عن الوطن أم إلى مزيج بينهما؟ هذه المسألة التي تحيلنا إلى أشكال الهوية في العالم الافتراضي.

• أشكال الهوية في الحياة الافتراضية:

في إطار هذه التعدد الذي تشهده الهوية، واختلاف التمثلات التي يمثل بها المستخدمون في الفضاءات الافتراضية، صاغ باحثون أشكالاً مختلفة من الهوية الافتراضية كل منها يعبر عن زاوية نظر، وأهم تقسيمين يمكن أن نوردتهما هو تقسيم يوضح طرق عرض الذات رقمياً وآخر متعلق بمدى تحول الهوية وانتقالها من المحلي إلى العالمي، وما ينبج عنها من أشكال للهوية.

¹ Alice E. Marwick, Opcit, pp 357-258.

² David Kirkpatrick, *The Facebook effect: the inside story of the company that is connecting the world*, Simon & Schuster, New York, 2010, p 199.

³ ميلاد دويهي، "الهوية في حقبة الرقميات الإنسانية"، في: *الهويات الرقمية إمكانية التعبير عنها وتعقبها*، كتاب جماعي، جون بول فورمنترو وآخرون، ترجمة: عصام الحيا، منشورات ضفاف، الرياض، 2016، ص 41.

في مختلف دراساتها حول الهوية الافتراضية والرقمية، وتحديدًا في دراسة لها تحت عنوان "الهوية الرقمية في ظل التأثير الثقافي من التعبير عن الذات إلى توحيدها" خلصت المتخصصة في سيميائية الإعلام والاتصال والهويات الرقمية فاني جورج Fanny Georges إلى أن التعبير عن الذات ضمن العالم الافتراضي وتحديدًا مواقع التواصل الاجتماعي يتم وفقًا لأربع فئات رئيسية: فئة الاسم المستعار، فئة المؤهلات (مراكز الاهتمام، المهنة، تاريخ الميلاد)، فئة الجانب الاجتماعي (الأصدقاء، المجموعات، الفريق)، فئة الموقع (عنوان الإنترنت، الخرائط في بيئات ثلاثية الأبعاد)¹، فالهوية الافتراضية حسب جورج يتم "تقليلها" Identity is reduced لتصبح معرفة بخصائص أقل. ثم بعد أن يخلق المستخدم لذاته الهوية الافتراضية هوية رقمية²، يخلق اسم، وبيانات شخصية وعلاقات اجتماعية وموقع جغرافي رقمي، تتكون ثلاثة أنواع من الهوية الافتراضية عبر فيسبوك:

✓ **الهوية التصريحية declarative identity:** تمثل البيانات التي يقدمها المستخدم عمدًا، والتي يعرّف بها نفسه ووصفه لها، تاريخ ميلاده، عمله، أصدقاؤه، علاقته.

✓ **الهوية النشطة active identity:** تعبر هذه الهوية عن مختلف النشاطات التي يقوم بها المستخدم ضمن العالم الافتراضي، كمنشورات موقع فيسبوك، طلب الأصدقاء، تنزيل مقاطع الفيديو استخدام التطبيقات الاستماع إلى الموسيقى، والتي تجيء عادة كإشارات تصريحية لأنشطة المستخدم أو إشعارات Notifications، أو تشكل جزءًا من سجل نشاط المستخدم، على سبيل المثال، "x و y أصبحا صديقين الآن"، "لقد قام x بتنزيل التطبيق z".

✓ **الهوية المحسوبة calculated identity:** هي هوية تتكون من أرقام، والمنتشرة في الملف الشخصي للمستخدم مثل عدد الأصدقاء، عدد المجموعات التي ينضم إليها، عدد الإعجابات والتعليقات على منشور وصورة معينة دون غيرها².

تظهر هذه الهويات شكلًا من أشكال التأثير الاجتماعي للعالم الفعلي على الممارسات الرقمية، إذ يتكون هذا التأثير من قواعد اللعبة الاجتماعية التي تنقلها ضمنيا بنية الهوية الافتراضية، فإذا كانت الهوية التصريحية تعبر عن الهوية الفردية للمستخدم فإن الهويتين الباقيتين تعبران على الهوية الاجتماعية في تفاعلاتها وعلاقاتها المؤطرة والمحددة نوعيًا وكميًا.

التقسيم الثاني من أشكال الهوية الافتراضية للباحثة التونسية سهام النجار في إطار بحث لها حول "الممارسات الاجتماعية المرتبطة بالإنترنت، وعلاقتها بتغير الهويات والروابط في المجتمعات المغاربية، حيث سعت عبرها إلى إبراز دور شبكة التواصل الاجتماعي فيسبوك في تعزيز الروابط الاجتماعية بين الجماعات المهاجرة... عبر البحث عن العناصر الهوياتية التي تعتمد عليها الجماعات المهاجرة للتعريف بنفسها عبر شبكات التواصل الاجتماعي"³، وقد ركزت على المهاجرين لتبحث في الكيفيات التي

¹ Fanny Georges, "L'identité numérique sous emprise culturelle De l'expression de soi à sa standardisation", **Les Cahiers du numérique**, Vol.7, No.1, 2011, p 38.

² "تقصد جورج بالهوية الرقمية: مجموعة الآثار (الكتابات، محتوى الصوت أو الفيديو، الرسائل في المنتديات، معرفات الاتصال، أعمال الشراء أو الاستشارة، وما إلى ذلك) التي تتركها وراءنا، بوعي أو غير وعي، عند تصفحنا للشبكة وتصفحنا للتبادلات التجارية أو العلاقاتية. Ibid, p 32.

³ Fanny Georges and others, "Sémiotique et visualisation de l'identité numérique: une étude comparée de Facebook et Myspace", **HALL open science**, HAL Id: hal-00410952, 2009, p 3, DOI: <https://hal.science/hal-00410952>.

³ كلثوم بيهون، مرجع سبق ذكره، ص 73.

يمكن أن يساهم بها فيسبوك في الحفاظ على الهويات المحلية والوطنية رغم الهجرة، وقد توصلت الباحثة بعد تحليلها لمضامين فيسبوكية المهاجرين مغربيين إلى ثلاثة أشكال الهويات الافتراضية وهي:

✓ **هوية متجذرة Rooted expatriates:** تمثل هوية المستخدمين المهاجرين الذين يعتزون بأصولهم أين يعرضون اعتزازهم بهوياتهم الأصلية عبر حساباتهم على موقع فيسبوك.

✓ **هوية ثنائية القطب Bipolar Diasportions:** تمثل هوية المستخدمين المرتبطين بوطنهم الأصلي وفي نفس الوقت البلد المستقبل.

✓ **هوية عالمية Cosmopolitans:** تعرض انفتاحها على مختلف الثقافات العالمية وتشير الباحثة في هذا الصدد إلى حدوث انتقال نوعي من هوية مغلقة إلى هوية متحركة ثم هوية هجينة¹.

يحلينا هذا التقسيم إلى مفهوم الهجانة والهويات الهجينة المميّزة للفضاءات الثالثة التي تترجم بين ثقافتين مختلفتين*، فحتى دون وجود هجرة فعلية للمستخدمين، فإن العولمة التي تغذيها الإنترنت وعوالمها تمكننا من ملاحظة الأشكال السابقة من الهوية، هوية تمثل مستخدمين مازالوا مرتبطين بثقافتهم وهوياتهم الأصلية بل ويدافعون عنها ويسوّقون لها عبر مواقع التواصل، هوية تمثل مستخدمين مزجوا بين هوياتهم الأصلية وهويات احتكوا بها ضمن هذه المواقع، وهوية مستخدمين انفصلوا عن هوياتهم الأصلية وتبنوا هويات معولمة.

المبحث الثاني: الهوية الوطنية الجزائرية.

بعد التعرّف والإحاطة بمفهوم الهوية، نتعمّق أكثر لمحاولة التعرف على أهم أشكالها وهي الهوية الوطنية، لأنها الشكل الهوياتي الجامع لكل الخصوصيات التي يمكن أن تتعرّض لعملية العولمة، على أساس أن القومية بمعانيها البدئية، الحداثيّة، العرقية والجغرافية تنحصر في مفهوم الوطن؛ من أجل ذلك سيتناول هذا المبحث مفهوم الهوية الوطنية والتنظير لها، كما سيعرض مرجعيات الهوية الوطنية الجزائرية باعتبارها نموذج الدراسة.

المطلب الأول: تشكل الهويات الوطنية: من الهويات الذاتية إلى الهويات الوطنية.

عندما نلاحظ كل ما سبق وأن قيل بشأن الهوية نلاحظ أن الكلام عن الهوية يعني أن ننتمي، سواء إلى ذاتنا، إلى جماعة اجتماعية أو إلى وحدات أكبر كالأمم والأوطان، لذلك فمعرفة سيورة تشكل الهوية الوطنية يبدأ أولاً بمعرفة معنى الانتماء.

الانتماء في اللغة العربية يعني الانتساب، أي أن تعرّف الشيء من خلال نسبه، وجاء في لسان العرب أننا عندما نقول "نمّيته إلى أبيه نبياً ونبياً وأميته" يعني عزوته ونسبته؛ وانتمى هو إليه: انتسب؛ وفلان ينتمي إلى حسب وينتمي يرتفع إليه"²، لذلك يُنظر إلى الانتماء إلى الأمم على أنه يمتد إلى ما هو أبعد من العضوية الرسمية من خلال اشتراط العلاقات المتبادلة بين الأعضاء Membering، مثل التعبير عن الالتزام والولاء والغرض المشترك، وتقاسم السمات المشتركة، كالهوية الوطنية التي

¹ كلثوم بيلجون، مرجع سبق ذكره، ص 73 - 74.

² أنظر عنصر: انتشار الثقافات الهجينة، المطلب الثاني، المبحث الأول من الفصل الثاني.

² جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الجزء الرابع عشر، مرجع سبق ذكره، ص 297.

تثبت شعور الانتماء للأمة¹، وهذا يوضح العلاقة المتبادلة والمعززة بين الانتماء إلى الأمة وبين اعتبار ذلك شكلاً من أشكال الهوية. ولا نصل إلى الانتماء واكتساب هويات وطنية دون المرور بضرورة لتشكّلها وتمثّل في:

• من الهوية الذاتية إلى الهويات الوسطى:

إن لكل فرد هويته التي تعكس مجموعة تصورات، أفكار، معتقداته، نمط شخصيته وتوقعاته عن نفسه وعن الآخرين، ومن خلال ذلك يمكننا تعريف الهوية الذاتية على أنها "بناء عقلي يؤشر على تصورات الفرد عن ذاته عبر الماضي والحاضر والمستقبل"²، أي أن البناء الهوياتي للذات يقوم أولاً على مبدأ التفرد، فهويتنا الذاتية تجعل منا نحن ولسنا أفراداً آخرين، وثانياً على مبدأ الاستمرارية في الزمن فحتى إذا طرأت على هوياته تغييراً إلا أن الجوهر ثابت فتكون الهوية الذاتية خاصية لا تمحى، إذ عبّر عن هذا الفيلسوف رودولف كارناب Rudolf Carnap بـ "الهوية الجينية"، قائلاً: "إنّ الفرد يكبر ويشيخ، ومع ذلك يبقى هوية تكوينية بالنسبة إلى نفسه"³، إلا أن تصوّره عن ذاته قد يتغيّر إذا طرأت عليه تغييرات في بناء هويته، وهو يتماشى مع الفرضية الراضية للشكل الصارم للهوية الذاتية، على سبيل المثال: معتنقو الإسلام بعد الإلحاد؛ والذين سيصبح تصوّره الديني عن ذواتهم أنهم عباد لله؛ المخلوقون من طرفه بعد أن كان تصوّره لاديني عن أنفسهم وأنهم مجرد نتيجة لتطور طبيعي.

والتفكير في الهوية الذاتية أو هوية الوحدة محم لفهم الهويات الوطنية لأنه "يجب بالضرورة أن يمر كل تفكير لاحق في الهوية بهذا الأمر، لأنه يتعلق تحديداً بمن تنسب إليه... بمعنى الهوية التي بفضلها نشير في المقام الأول إلى الأفراد الذين يمكننا بعد ذلك من تحديد الهوية.. بالنسبة إلى أفراد آخرين من الفئة نفسها"⁴. حيث يتفاعل الأفراد مع الآخرين في ضوء هويتهم الذاتية فتفهم الهوية بذلك في إطار العلاقة بالآخر على أساس بعدين اثنين: الأول يتصل بصاحب الهوية identified والثاني يتمثل في الآخر الذي يحدد له هويته identifier، وبذلك يكون تفاعل الفرد مع أفراد آخرين أو مجتمعه بداية لخلق مستويات متوسطة من الهوية والتي تظهر عبر اندماجهما في سياقات المجتمع على اختلافها مشكلة بذلك هويات وسطى تقف بين الهوية الذاتية والوطنية.

وتعرف الهويات الوسطى أيضاً بهوية الجماعة Group Identity والتي تشير إلى هوية مجموعة اجتماعية تتشارك سمات معينة تحدد هوية مجموعتهم، وهذه السمات تعني شيئاً ذا معنى بالنسبة لهم فيعرفون أنفسهم من خلالها، ويشير إليها دوركايم بالهوية المشتركة أين يرى أنه يوجد في داخلنا كائنات أحدهما اجتماعي والآخر فردي، إذ يجسد الكائن الاجتماعي: أنظمة من الأفكار والمشاعر والعادات التي تعبر ليس عن شخصيتنا الفردية بل عن الجماعة أو الجماعات التي ننتمي إليها، وتأخذ الأنظمة صيغة العقائد الدينية والمعتقدات الأخلاقية والتقاليد القومية أو المهنية والآراء الجمعية⁵. وتمثل أهم هذه الهويات في تلك التي

¹ Eleanor Knott, "Nationalism and belonging: introduction", *Nations and Nationalism*, vol.23, No. 2, 2017, p 3, DOI: <https://doi.org/10.1111/nana.12297>.

² أحمد زايد، المواطنة: الهوية الوطنية والمسؤولية الاجتماعية، دار العين للنشر، القاهرة، 2018، ص 136.

³ ديفيد سبارتي، ترجمة: زواوي بغورة، "الهوية وإحراجاتها: من الهوية الشخصية إلى الاعتراف الاجتماعي"، مجلة تبين، المجلد. 11، العدد. 41، 2022، ص 181، المعرف الرقمي: <https://doi.org/10.31430/FZUO9632>.

⁴ المرجع نفسه، ص 178 – 179.

⁵ أليكس ميكشيلي، مرجع سبق ذكره، ص 100.

تنبثق عن الانتماء إلى مؤسسة اجتماعية ما مهما كان نوعها، إلا أننا سنعرض أهم الهويات الوسطى التي ستطبع على الفرد خصائص فاعلة في هويته الوطنية، بداية من أصغر وحدة وهي الأسرة إلى أكبرها وهو الدين، وسنعرضها كما يلي:

• **الهوية الأسرية:** وهي تعبر عن الانتماء إلى أسرة معينة، وتشكل الهوية الأسرية الجذر الأساسي لكل هوية على أساس أن الأسرة هي المؤسسة الأولى لأهم عملية تشكيل لهوية الأفراد؛ وهي التنشئة الاجتماعية، والتي يظل الفرد طيلة حياته منتمياً إليها رغم انتمائه الموازي إلى هويات أخرى؛

• **الهوية القبلية أو الهوية القرابية:** المؤسسة الاجتماعية الثانية الأوسع هي النظام القرابي، وهي تتشكل عبر الانتماء إلى جماعة قرابية سواء كانت روابطها نتيجة لدم أو لمصاهرة؛ ما نستطيع التعبير عنه بالمفهوم الخلدوني "العصبية القبلية"، وتقوم الهوية القبلية على الإيمان الراسخ بأن القرابة تلعب دوراً هاماً في البنى الاجتماعية؛ وهذا الشكل من الهوية لا يكون بالضرورة مرتبطاً بالمجتمعات التقليدية بل نجده مرتبطاً حتى بالمجتمعات الحديثة؛ وهو ما يعكس أهميتها، وهذا الشكل من الهويات الوسطى يدعم المفهوم البدئي (الأصلي) Concept Primitive للأهم والقوميات القائم على علاقات القرابة.

• **الهوية الإثنية:** وهي الهوية التي تنعكس في الانتماء العرقي أو السلالي أو اللغوي أو الثقافي والتي تعكس تعصبا أو ميلاً نحو تأكيد الهوية الثقافية عبر الرموز (الأزياء، الطقوس المختلفة...)¹، وهذا الشكل يغذي المفهوم الرمزي-العرقي Ethnodynamic Concept للأهم والقوميات؛ ويمكن من خلاله تفسير العاطفة التي يمتلكها الفرد تجاه إثنيته مقارنة بانتماءات أخرى.

• **الهوية المكانية (الإقليمية):** تتشكل بالانتماء إلى مكان معين أو منطقة جغرافية بعينها (قرية أو مدينة). على أن ينتمي الشخص إلى هذه المنطقة لفترة طويلة من الزمن وعبر ما ينتقل إليه من ثقافة حول هذه المنطقة وحول خصائصها²، وهذا الشكل يغذي المفهوم المكاني Territorial Concept للقومية.

• **الهوية الدينية:** يمتلكها الفرد بانتمائه إلى ديانة معينة ويحرص فيها على اتباعها، واستخدام رموز كثقافة وممارسة، "وقد تكون هذه الديانة عاطفة فردية ونفسية قبل أن تكون ظاهرة اجتماعية مشتركة، غير أنها لا تحيا وتأخذ جسماً إلا في المجتمع، إذ إن احتكاك الفرد بالفرد يزيكها وينشرها، ويجعل لها كيانه خاصاً مستقلاً عن إرادة الفرد"³، وهذا ما ينقل الهوية الدينية من كونها هوية ذاتية إلى وسطى كما ذكرنا سابقاً.

وهناك أشكال أخرى من الهويات الوسطى وهي: **الهوية الطبقية** وتتحدد عبر الانتماء إلى طبقة اجتماعية معينة، حيث يتشبع الفرد بخصائص تلك الطبقة ليس من الجانب الاقتصادي فحسب كما جاءت به أطروحة صراع الطبقات لدى كارل ماركس بين الطبقتين البورجوازية والبروليتارية، بل يتعدى الأمر ذلك إلى خصوصيات ورساميل اجتماعية وثقافية ورمزية؛

¹ أحمد زايد، المواطنة: الهوية الوطنية والمسؤولية الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 141.

² المرجع نفسه، ص 141.

³ يوسف شلحت، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، دار الفرائي- ANEP، لبنان، 2003، ص 44.

والهوية المهنية التي تتحقق هذه الهوية بالانتماء إلى مهنة معينة والتوحد مع ثقافة المهنة والالتزام بقاموسها اللغوي من خلال الاحتفاظ برموز معينة ومفردات لغوية معينة، وأساليب سلوكية ذات طابع خاص بالمهنة أو الحرفة¹. كما نلاحظ هنا أن الهويات الوسطى تتنوع بين ما هو جماعي وما هو تطويحي، فمنها ما ينتمي إليه الفرد آليا بفرضه عضوا في أسرة ما، نظام قروي، أو إثنية ما، ومنها ما ينتمي إليه الفرد كحصيلة لمكتسباته وتطويعه لانتماءاته الذاتية كالمهنية وبدرجة معينة الدينية.

• من الهويات الوسطى إلى الهوية الوطنية:

لا تشكل الهويات الوسطى سوى هويات جزئية ينتمي إليها الفرد مكرسا جزء من معيشته اليومي، والانتساب إلى ثقافتها الفرعية وممارسة طقوسها، وبتفاعل وتراكب كل أو جزء من أشكال الهويات هذه يتوسع مفهوم الانتماء ليشمل الانتماء إلى الوطن الجامع للأسر، القبلات، الأعراق، الجغرافيا.. فيكون هنا الحديث عن **الهوية الوطنية**.

الهوية الوطنية ليست إلا بناء اجتماعيا؛ فظروفها تتغير تبعا للظروف النفسية والاجتماعية، أين يعبر معظم الناس عن درجة معينة من الهوية الوطنية؛ ومع ذلك، فإن التعبير عنها يزداد في المواقف التي يصبح فيها الانتماء إلى أمة بارزا بشكل خاص، كما هو الحال أثناء الأحداث الرياضية الدولية، أو عندما يكون هناك تهديد محتمل للهوية الوطنية للفرد، كما هو الحال أثناء الحروب أو صراع الثقافات. وفيما يلي سندرج تعريفات مختلفة لها، بداية بتعريف قاموسي وموسوعي لها أو من خلال ما أورده أهم الدارسين لها أو يمكننا تسميتها المنظورات التي صاغها هؤلاء، خاصة منهم من بحث في الأمم والقومية، وذلك كما يلي:

عرّفها أحد **قواميس أكسفورد** بأنها: "الصورة العامة لمجتمع متخيل (أطلق عليه فير اسم "مجتمع المشاعر")، وهو ما يبرز مُتخيل الوحدة الذي ينعكس رمزياً في العلم، والنشيد الوطني، والطقوس المميزة، ويتم تمثيله ثقافياً بشكل أساسي من خلال الأساطير التاريخية والشعبية. القانون الثقافي (بما في ذلك الصور الرمزية)، الذي يتم بناؤه ونقله سردياً بواسطة المؤسسات الاجتماعية، ولا سيما النظام التعليمي ووسائل الإعلام (لا سيما في الأخبار الوطنية وفي الأحداث الإعلامية)، وهي تمثيلات جوهرية تسعى إلى استنباط التماهي الفردي مع الهوية المشتركة المفترضة والتي تفترض أنها تتجاوز الأبعاد الأخرى للهوية مثل الطبقة والعرق"².

• **بندكت أندرسون 1983:** في إطار صياغته لمفهومه الجماعات المتخيلة، لم تخلُ تحليلات أندرسون من تناول الهوية الوطنية (أو القومية كما جاءت في ترجمة الكتاب)، وقد اعتبر أن "الانتماء" يشكل جزءاً مهماً من حياة الأفراد وتكوين شخصياتهم، حتى أنه قبل أن يصل إلى مفهوم هوية موحدة للأمم؛ تناول الهويات الوسطى خاصة الدينية، اللغوية والطبقية، ليصل إلى أن "الانتماء إلى القومية... من نوع الانتماءات التي تتضمن تعريفا للذات والهوية وولاء شخصياً ومحبة واستعدادا للتضحية"³.

¹ أحمد زايد، المواطنة: الهوية الوطنية والمسؤولية الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 141.

² Daniel Chandler and Rod Munday, **A Dictionary of Media and Communication**, Oxford University Press, New York, 2011, p 290.

³ بندكت أندرسن، مرجع سبق ذكره، ص 12، [مقدمة: عزمي بشارة].

الهوية الوطنية من منظور أندرسون إذا هي شعور قوي لدرجة أنه يشكل دافعا رئيسا للتضحية حتى بالأرواح من أجل الوطن، وهذا الشعور لا يمكن أن توفره أنواع أخرى من الانتماءات التعاقدية إلا الانتماء المبني على المحبة أو المصلحة القومية، ف"في عصر يجري فيه تأكيد طابع القومية شبه المرضي وترجع أصولها إلى الخوف من الآخر وكراهيته، من المفيد أن نذكر أنفسنا بأن الأم تلهم الحب الذي غالبا ما يكون حبا عميقا منطويا على التضحية بالنفس... وإذا ما كانت القومية علاقة انتماء إلى جماعة متخيلة فمن الطبيعي أن تتضمن الحب إذا ما كانت القومية علاقة انتماء إلى جماعة متخيلة فمن الطبيعي أن تتضمن الحب"¹، فالجماعة المتخيلة هنا هي الأمة المجتمعة على الانتماء إلى وطن محدد وذو سيادة، والحب والولاء هنا يمثلان الوطنية.

• هنري تاجفيل Henri Tajfel وجون تيرنر John Charles Turner 1986: يقدم منظور وتعريف كل من تاجفيل وتيرنر مفهوما سوسيو-نفسيا للهوية الوطنية إذ جاء في إطار نظريتها للهوية الاجتماعية وعلاقتها بالسلوكيات المترتبة عن الانتماء إلى جماعة اجتماعية معينة، والمتمثلة في وجود "مجموعة من الأفراد يعتبرون أنفسهم أعضاء في نفس الفئة الاجتماعية، ويتشاركون بعض المشاركة العاطفية في هذا التعريف المشترك لأنفسهم، ويحققون درجة معينة من الإجماع الاجتماعي حول تقييم قدراتهم الاجتماعية... وأن هويتهم تحدد مدى تشابه أو اختلاف أفراد آخرين عنهم"²، فإن الهوية الوطنية هي شكل من أشكال هوية الشخص أو شعوره بالانتماء إلى أمة ما، وهي من الناحية النفسية وعي بالاختلاف، والشعور والاعتراف بـ"نحن" و"هم"، فتصبح الهوية الوطنية مجموعة المعاني التي تمتلكها أمة معينة والتي تميزها عن الأمم الأخرى.

وقد استمد باحثون آخرون تعريفهم للهوية الوطنية من منظور تاجفيل وتيرنر أين اعتبروا مناقشة "الهوية الوطنية" ممكنا على مختلف مستويات تشكل الجماعات، على مستوى الأفراد، أو الجهات الفاعلة الجماعية (النخب السياسية أو الثقافية)، أو الكيانات السياسية المغلقة (الدول أو الأمم)، فيعرفونها من خلال هذا بأنها "شعور بالانتماء إلى الأمة ككل"، على أن يكون مفهوم الأمة واسعا بما يكفي ليشمل جوانب مختلفة - وطنية أو إقليمية أو سياسية أو مجتمعية أو ثقافية أو عرقية أو دينية (بما في ذلك الإيمان بالمصير المشترك) من ناحية أخرى، يجب أن يسمح تصور الهوية الوطنية أيضا بالتمايز فيما يتعلق بأشكال الانتماء الجغرافي الأخرى مثل المحلي والإقليمي وفوق الوطني.³

• أنتوني سميث 1991: والذي رأينا من قبل منظوره الرمزي العرقي للقومية، فهو يرى أن الهوية الوطنية توحد عناصر عديدة كالثقافة والتراث والدين والقوانين والقيم، فبحسبه: "تتضمن الهوية الوطنية بعض الإحساس بالمجتمع السياسي، والتاريخ، والإقليم، والوطن، والمواطنة، والقيم والتقاليد المشتركة"⁴، وقد أكد فيها على دور الأساطير والذكريات والقيم والتقاليد والرموز باعتبارها عوامل تميز قوية وتذكيرا بالثقافة الفريدة ومصير المجتمع العرقي، لذلك، فإن النهج الرمزي العرقي وفقًا لسميث، يركز بشكل خاص على المكونات الذاتية subjective components للهوية الوطنية.

¹ بنديكت أندرسن، مرجع سبق ذكره، ص 39.

² Henri Tajfel and John C. Turner, "The Social Identity Theory of Intergroup Behavior", in: **Psychology of Intergroup Relation**, collective book, Edited by: Stephen Worchel and William G. Austin, Hall Publishers, Chicago, 2004, pp 15-16.

³ Rossalina Latcheva, "Measuring National Identity", in: **Encyclopedia of Quality of Life and Well-Being Research**, Edited by: Alex C. Michalos, Springer, Dordrecht, p 3941 DOI: https://doi.org/10.1007/978-94-007-0753-5_4143.

⁴ Anthony D. Smith, **National Identity**, Opcit, p 9.

• تصنيفات الهوية الوطنية في عصر العولمة:

ومن خلال ما سبق من تعريفات نلاحظ أن هناك تصنيفات للهوية الوطنية، تتمثل عادة في: هوية وطنية إثنية مقابل هوية وطنية مدنية Ethnic Versus Civic، إلا أن العولمة وافتتاح المجتمعات وهجانة الأمم فرض أشكالاً جديدة من الهويات الوطنية، تختلف حول ما إذا كان للمواطنين ارتباطات قوية أو ضعيفة بهويتهم الإثنية In-groups وما إذا كانوا منفتحين مع مجموعات إثنية أخرى الخارجية Out-groups أم لا، وقد سبق وأن تناولها عالم الاجتماع روجرز برويكر Rogers Brubaker في دراساته حول القوميات وهوياتها، وهي تتمثل في: المؤمة، المدنية، متعددة القوميات والهجنة¹، ويمكننا تقديمها بإسقاطها على التعريفات والمنظورات السابقة كما يلي:

✓ **الهوية الوطنية الإثنية Ethnic:** وتسمى أيضاً "المؤمة" Nationalized والتي تتضمن انتماءً عرقياً، اجتماعياً وثقافياً إلى مجموعة عرقية حيث يتم مشاركة القيم والتقاليد والمواقف المشتركة داخل المجموعة التي تقوم على نظامها هذه الدولة، كما تسعى سياسياً إلى تعزيز "أمة أساسية" Core nation، وتميّز الدول المغلقة على نفسها من وجود جماعات خارجية ضمنها، ومن أبرز القائلين بها هو أنتوني سميث.

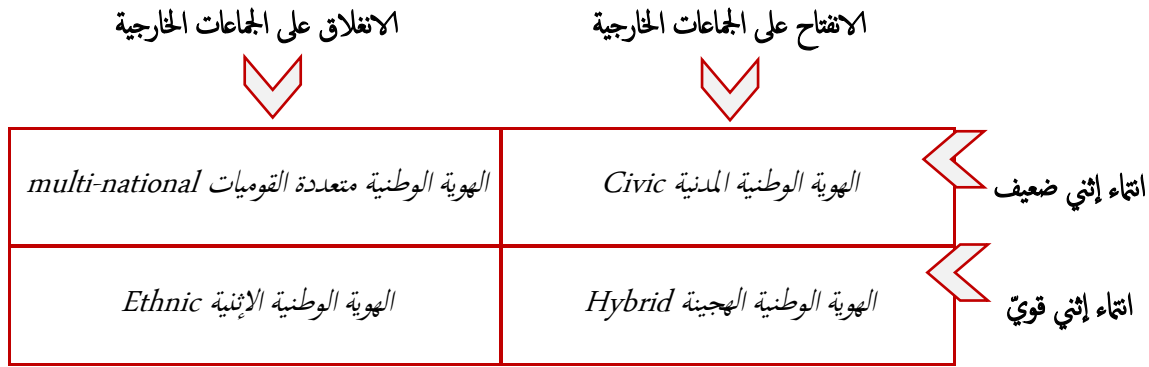
✓ **الهوية الوطنية المدنية Civic:** وهي هوية وطنية تعاكس في مضمونها الهوية الوطنية الإثنية إذ تعني أنه لا توجد عرقية معينة يتم الانتماء إليها بل إن الدولة يملكها جميع المواطنين، بغض النظر عن انتمائهم العرقي، وأنه لا توجد ثقافة مهيمنة، فيمثل هذا النوع من الهويات الدول الأكثر انفتاحاً على الجامعات الخارجية والأقل ارتباطاً بالجماعات الداخلية، ذلك لأنهم يعتمدون في المقام الأول في تعريف أنفسهم على "مكان إقامتهم" Residency.

✓ **الهوية الوطنية ثنائية أو متعددة القوميات bi-or multi-national:** وهي هوية وطنية يتم ضمنها تقاسم منابع الانتماء ثقافياً وملكية الدولة سياسياً من قبل مجموعتين أو أكثر من المجموعات الإثنية؛ والتي تختلط لاجتماعها عادة في مكان جغرافي واحد وتجمع بينها علاقات تاريخية أو ثقافية، فلا يكون لإثنية معينة هيمنة على أخرى، كما لا تكون الدولة منفتحة على مجموعات خارجية لأن مجموعاتها قد تحددت بالفعل.

✓ **الهوية الوطنية الهجينة hybrid:** هذا النوع من الهويات الوطنية يبنى على أساس الانتماء إلى أمة أساسية، ولكن مع ضمان حقوق الأقليات، وتكون هذه الهوية منتشرة بكثرة في الدول الحديثة وكذا التي شهدت هجرات كبرى، بحيث يقبل المواطنون الطبيعة غير المتجانسة لمجتمعهم ويعترفون بأهمية حقوق الأقليات.

ويمكننا في الشكل الموالي أن نلخص تصنيف الهويات الوطنية في ظل الانفتاح أو الانغلاق، وحسب مدى الانتماء إلى الجماعات الإثنية، وهو في الحقيقة شكل يعبر بطريقة مباشرة عن تصنيف الهويات الوطنية في عصر العولمة، على أساس أنها في أبسط تعريف لها: مساراً للانفتاح على الخارجي وتوسيعاً لمفهوم الانتماء.

¹ Holley E. Hansen and Vicki L. Hesli, "National Identity: Civic, Ethnic, Hybrid, and Atomised Individuals", *Europe-Asia Studies*, Vol. 61, No. 1, Glasgow, January 2009, p 3, DOI: <https://doi.org/10.1080/09668130802532894>.



الشكل رقم (06): تصنيف الهويات الوطنية في عصر العولمة.

• مقارنة الهوية الوطنية نظريا:

أن نتحدث عن تفسير نظري يعني أن نحاول استدعاء مفاهيم مختلفة من التراث الذي أنتج ضمن هذا الحقل الاجتماعي، والتي يمكن من خلالها قراءة المفهوم المراد تفسيره، وفيما يخص مفهوم الهوية الوطنية باعتبارها شعورا بالانتماء إلى جماعة أكبر تضي المعنى على أفعال الأفراد وسلوكياتهم؛ فإننا يمكن أن نستشفها من خلال المفاهيم التالية:

أولا: مفهوم العصبية عند ابن خلدون.

يعني ابن خلدون بالعصبية الرابط الذي يجمع أفراد وجماعات سواء كان الرابط دما، مصاهرة أو ولاء وانتسابا ونعرة، وهو شعور يعبر عن الانتماء وما ينجر عنه من ممارسات واعتقادات، وقد حدد مدى قوة هذا الانتماء بمدى "اختلاط الأنساب"، فالعصبية حسب ابن خلدون يوازي مفهوم الهوية الوطنية الإثنية المميزة للمجتمعات "المؤممة" التي لا يمكن أن تتكافأ مجموعات العرقية إذ يقول أن "الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج في المتكون؛ والمزاج في المتكون لا يصلح إذا تكافأت العناصر؛ فلا بُدَّ من غلبة أحدها وإلا لم يتم التكوين. فهذا هو سرُّ اشتراط الغلب في العصبية"¹، بالمقابل فإن اختلاط الانساب وما سببه الانتماء إلى المواطن يوازي الهوية الوطنية الهجينة المذكورة آنفا.

ثانيا: مفهوم روح الاجتماع عند غوستاف لوبون Gustave Le Bon.

وهذه الروح تمثل تعاقدا نفسيا واجتماعيا عاما للجماعة، إذ توحيها في اتجاه واحد يكون لدى أفرادها روحا مميزة خاصة بهم، تعدّ كفرز للجماعات وفقا لظروفهم النفسية، الاجتماعية، الدينية والأخلاقية، وربما يعتبر مفهوم روح الاجتماع أشهر ما صاغه لوبون؛ إلا أن هناك مفاهيم أخرى تقع في قلب الهوية الوطنية وهي روح العرق والروح القومية، إذ نلاحظ أن منظوره للروح المميزة للأمم إنما مرتبط بعرقها، ف"الأمم، وهي لا كبير تأثير للعقل فيها، مسيرة بأخلاق عرقها، أي بمجموع المشاعر والاحتياجات والعادات والرغبات التي هي دعائم روحها الأساسية، وتمت هذه الروح القومية على الأمم بثبات دائم... والعرق هو حجر الزاوية الذي يقوم عليه توازن الأمم"²، ثم تعمق أكثر في وصف هذه الروح ليعتبرها موروثا من جهة ومصدرا لصفات جمعية جامعة ومتوارثة من جهة أخرى، فهنا وضع ما يمكن أن نعتبره تعريفا مباشرة للهوية الوطنية وكيف تتأق من الروح القومية، حيث أضاف أنه "من ركام خفي موروث تتكون صفات الخلق التي يتألف من مجموعها ما لإحدى الأمم من روح قومية، ومن

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 160.

² غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعير، الشان النفسية لتطور الأمم، دار المعارف، مصر، 1950، ص 10.

تلك الصفات تتركب مجموعة ثابتة من المشاعر والتقاليد والمعتقدات مشترعة في غضون الأجيال لضرورات تخضع لها حياة كل أمة¹، متفقاً بهذا مع المفهوم الرمزي العرقي للأمم والتصنيف الإثني للهوية الوطنية.

ثالثاً: مفهوم الضمير الجمعي عند إميل دوركايم.

في دراسته للتقسيم الاجتماعي للعمل صاغ دوركايم مفهوم الضمير الجمعي Common conscience باعتباره مجموعة من المعتقدات والأفكار والتوجهات الأخلاقية التي تشترك فيها الجماعة ويتحقق من خلالها التماسك والتضامن، ويرى دوركايم أن "الضمير الجمعي والتماسك الاجتماعي يكمن سببه في توافق معين لجميع الضائر الفردية، إذ لا يجذب جميع أعضاء المجموعة بشكل فردي إلى بعضهم فقط لأنهم يتشابهون مع بعضهم البعض، ولكن أيضاً لأنهم مرتبطون بما يمثل شرطاً لوجود هذا النوع الجماعي؛ ولا يقتصر الأمر على أن مواطنين ما يحبون بعضهم بعضاً ومفضلين بعضهم البعض على الغرباء، ولكنهم يحبون كذلك وطنهم"²، فالضمير الجمعي بهذا المعنى وخاصة لما استدعى دوركايم مفهومي الوطن والغريب، يعبر بشكل مباشر عن هوية وطنية تتمظهر على المستويين الفردي والجماعي، وهوية وطنية تشكل عاملاً جوهرياً في تحديد تشابه واختلاف الجماعة عن جماعات أخرى.

رابعاً: مفهوم الشعور الجماعي* عند ماكس فيبر.

يعد "الشعور الجماعي" Community of sentiment كما صاغه فيبر نوعاً من الاشتراك في الانتماء إلى مجموعة مميزة ومحدودة، إلا أن منطق الانتماء عنده مختلف عما رأيناه مع سابقه، فهو لا يتشكل من وجود إحساس مشترك بين الأفراد بل "عندما يقومون بتوجيه سلوكهم بصورة ما تبعاً لبعضهم بناءً على هذا الإحساس فتنشأ علاقة اجتماعية بينهم... وعندما يتم رصدها (الجماعية) بوصفها شعوراً محسوساً بالانتماء لبعضهم"³، فقد رفض فيبر المفاهيم البيولوجية للعرق لأنه لا معنى اجتماعي لها، ولا يمكن مساواة الأمة بممارسات مثل اللغة أو الدين أو العرق أو عضوية الدولة، وذلك لأن الهوية الوطنية يمكن أن تعتمد على أي من هذه الممارسات أو كلها، ولأن الأفعال/المشاعر المشتركة أو المشابهة لا تكفي وحدها لتشكيل ممارسات اجتماعية، بل إن المعاني التي ينسبها الأفراد إلى مثل هذه الممارسات وكيفية توجيه أنفسهم لبعضهم البعض في أدائها هي التي تحدد انتماءهم وهويتهم الوطنية⁴، وهذا متضمن في كتاباته عن المجتمع العرقي وناتج بطبيعة الحال عن منظوره التطويحي للهوية.

خامساً: مفهوم الإرادة العامة عند مارجريت جلبرت Margaret Gilbert.

تبلور المفهوم في وقت مبكر من خلال أفكار روسو عن العقد الاجتماعي باعتباره اتفاقاً ضمناً بين الأفراد حول الطريقة التي ينظم بها مجتمعهم وانضوائهم تحتها، ثم تطورت فكرة الإرادة الجمعية في أعمال مارجريت جلبرت^{**}، التي كرست آراءها لبلورة

¹ غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، مرجع سبق ذكره، ص 16.

² Emile Durkheim, Opcit, p 105.

* بالألمانية كما صاغها فيبر: Zusammengehörigkeitsgefühl.

³ ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، مرجع سبق ذكره، ص 78.

⁴ John Breuilly, "Nation, Nation-State, and Nationalism", in: **The Oxford Handbook of Max Weber**, Edited by: Edith Hanke and others, Oxford University Press, New York, 2020, p 191.

^{**} فيلسوفة اجتماعية بريطانية ولدت سنة 1942، ركزت في كتاباتها على الذات الجمعية وكيف يمكن أخلاقياً العيش معاً، من خلال كتاباتها الممتدة بين سنتي 1982 إلى غاية 2022.

مفهوم الذات الجمعية أو الإرادة الجمعية، فتشير من خلالها إلى مسألة مشاركة الفرد في نوع خاص من الالتزام سميته: *الالتزام المشترك*، يجمع الأفراد تحت الضمير "نحن" ويدفعهم إلى الالتزام به بطريقة ما، فأحد أهم الإجابات عن السؤال: كيف يتشكل الالتزام المشترك؟ بالنسبة لها؛ هو "أن يكون كل فرد من الأفراد المعنيين مستعداً للتفكير في مجموعة الأشخاص ذات الصلة على أنهم "نحن"... الشعور بالانتماء معاً أو إلى حالة ذاتية من التماهي مع الأعضاء الآخرين في مجموعة معينة تندرج أيضاً ضمن هذه الفئة"¹، ومضيفة لتتعمق أكثر في وصف الهوية الوطنية أن "المرء يُظهر تماهيه مع مجموعة معينة إذا كان المرء مستعداً لاستخدام الهوية، الصفة الإسمية لنا فيما يتعلق بفعل يمكن أن ينسب إلى الأفراد ككل، ويكون عرضة للشعور بالفخر، أو الذنب، وما إلى ذلك، فيما يتعلق بما فعله نحن"²، فبغض النظر عن الأمة والعرق، يقع هذا المنظر ضمن التصنيف المدني للهوية الوطنية إذ بمجرد تشارك أفراد لرقعة جغرافية وحياة سياسية فإن محلّه هو الانتماء لهذه الإرادة الجمعية.

تجتمع هذه المقاربات الوجيزة حول فكرة وجود بنية عميقة تقف خلف الخصوصية الكامنة في المجتمعات الانسانية، وتتجاوز تباينات الأفراد عن طريق ترسيخ مبدأ الوحدة والتنوع، بمعنى أن المشترك في هوية (الهويات الوسطى) لا يلغي الهويات الجزئية بل يحيط بها ويحتويها، فالهوية الوطنية هي نوع قوي من الانتماء يوفر إحساساً بالوحدة لأولئك الذين يتم تصورهم كأعضاء في الأمة والحدود، فضلاً عن الشعور بالاختلاف عمن يُنظر إليهم على أنهم غرباء، فإن الانتماء إلى الأمة هو شعور شخصي وحميم بأنك في وطنك مما يولد ارتباطاً عاطفياً (أو حتى أنطولوجياً) كمشروع مستمر للانتماء إلى المجموعات والأماكن.

المطلب الثاني: الهوية الوطنية الجزائرية في الدراسات السوسيو-تاريخية.

ترتبط مسألة الهوية الوطنية الجزائرية ارتباطاً وثيقاً بالدراسات التاريخية كما الاجتماعية، على اعتبار العلاقة التي وضعتها بين الهوية والذاكرة كعيش والهوية والتاريخ كمصادر وتوثيقات، من أجل ذلك سنتناول فيما يلي موضع الهوية الجزائرية بمختلف أبعادها، تصنيفاتها ومداخلها ضمن بعض الدراسات الجزائرية على سبيل طرح نماذج لا حصرها، والتي دجت في تناولها للهوية بين الاجتماع والتاريخ، ولا يعني ذلك بطبيعة الحال الابتعاد عن السوسولوجيا بل إننا نسلك مسلك ابن خلدون في حقيقة أن التاريخ "خبرٌ عن الاجتماع الإنساني"؛ أي عمران العالم وما يحدث فيه من أحوال، فاستدعائنا للتاريخ مرافقاً لعلم الاجتماع ليس إلا بحثاً عن معالم تاريخية شكّلت -من منظورات مختلفة- أبعاد الهوية الوطنية الجزائرية. كما أن ما جعلنا نركز على هذه الدراسات هو تناول أصحابها للهوية الجزائرية ضمن السياق العولي وفي ظل الانفتاح على الثقافات العالمية، فهي تخدم موضوع الدراسة وتوجهها البحثي.

1. مولود قاسم نايت بلقاسم 1975: الإثنية والأصالة.

يعتبر الفيلسوف والمؤرخ مولود قاسم نايت بلقاسم من أهم الدارسين للشخصية الجزائرية وإثنتها، فعبر مختلف دراساته حدد نايت بلقاسم معالم الشخصية الوطنية الجزائرية، التي أرجع تشكيلها إلى قرون طويلة، بداية من الإطار الجغرافي الذي

¹ Margaret Gilbert, "A Real Unity of Them All", *The Monist*, Vol. 92, No. 2, Illinois, April 2009, p 269.

² Ibid, p 230.

* مفهوم الإثنية لدى نايت بلقاسم مرادف لمفهوم الهوية، فالإثنية بالنسبة له مبدأ قديم تقابله ثنائية الـ *Identité et authenticité* ومفادها أن الإنسان يكون هو، وتعني حسبه "الوعي الحاد بالذاتية والشخصية"، فشخصية الأمة هي هويتها، وإثنتها تعبر عن مرجعياتها، وقد حددا بثلاثية: اللغة والدين والتقاليد. أنظر: مولود قاسم نايت بلقاسم، *إثنية وأصالة*، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية - مطبعة البعث، قسنطينة، 1975.

تحددت معالمه الكبرى خلال التطور الذي شهدته الجزائر في حقبة من التاريخ تزيد على عشرين قرناً، والذي جعل من الطابع الوطني يبرز ويتأكد باستمرار بالإضافة إلى المقومات الأخرى للأمة الجزائرية، ورأى أنها بدأت في التجلي منذ القرن الأول الهجري، وهذه المقومات هي: الوحدة الثقافية، واللغوية، والقيم الروحية¹، بمعنى أنه يؤسس للشخصية الجزائرية عن طريق مقومات ثلاثة: دينية روحية، اللغة واللسان، الثقافة الوطنية. لذلك نجده في موضع آخر من دراساته، يقتبس من فيلسوف القومية يوهان غوتليب فيخته Johann Gottlieb Fichte رأيه بشأن وجود الأمم، وأن أمة ما تعتبر "موجودة" إذا ما وجدت إنيته وشخصيتها التي تتكون من: الدين، اللغة وحب الوطن، فلا يمكن تصوّر "متدين ولا يحب وطنه ولغته.. ولا محبا للغته دون وطنه ودينه، ولا محبا لوطنه دون دينه ولغته"²، ثم حدد بناءً على ذلك معالم الهوية الوطنية الجزائرية بأنها:

أ. **العنصر الديني:** إذ أن التمسك بالدين والأخلاق هو أساس الأمم، سواء كان الفاعل هنا مؤسسات الحكومة أو الأفراد، وسواء كان مُثلاً أو ممارسات، على ألا يتم استغلال الدين وامتهانه ليعخدم طغياناً أو مصالحاً دنيوية بدعوى المصالح الساقية.

ب. **العنصر اللغوي:** والذي تم التأكيد عليه بقوة على اعتبار اللغة رمزا لوجود الأمة، وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصلية أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعباً أصيلاً أو مجرد أشتات، فهي حامل لشحنات عاطفية، تصورات، مفاهيم، ذكريات مشتركة، طبائع، عادات وتقاليد.. وغيرها مما يشاركه الأفراد من تصورات تعبر عنها اللغة.

ج. **عنصر حب الوطن:** وهو العنصر الثالث للشخصية وحياة الأمة، والذي يتمثل في مظاهر عديدة أهمها الكفاح من أجله ومن أجل لغته وعاداته وثقافته والتشبث بها، لأن خلود الأمم يتطلب خلود الوطن و"الحب لا يتعلق إلا بالخالديات"³.

أما عن التبادل بين القومي والكوني، أي علاقة الهوية والعولمة في سياقها الخاص بالمجتمع الجزائري، فنجد مطروحا بقوة عند نايت بلقاسم في دراساته حول **الإنية والأصالة**، أين تناول وجهتي النظر حول الانفتاح على العالم أو الانغلاق عليه، حيث وضعنا أما فريقين اثنين، ووصفها بالمغالاة والوقوع في الشطط، فعبر عن الراضين لانفتاح (العولمة) ومناهضتها بالمتوقعين المغلقين الذين يدعون باسم المحافظة على التقاليد بالانغلاق التام على العالم وعد السباح "بتسريه" إلى الداخل، أما مؤيدوها فقد وصفهم بالمغامرين المسوخين الذين يدعون باسم التقدمية والعالمية إلى الانفتاح المطلق على العالم أو بتعبير غيدنز "الإزالة الكلية للتقليدية".

وقد التزم هو اتجاهها وسطا على أساس أنه المخرج الوحيد للإنسانية في ظل أزمتها الحضارية وتهديد بنائها البشري بالانهيار⁴، فعلى عكس التصور الراسخ للدولة القوية بأنها الدولة المؤثرة بشخصيتها يلح نايت بلقاسم بأن الدول القوية المتقدمة والمتينة الأركان هي "الدول التي تكافح بكل صرامة وحزم وعزم كل ما قد يضر بتماسك شخصيتها وسلامة مجتمعاتها"⁵، وهذه

¹ مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، الجزء الأول، شركة دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 45.

² مولود قاسم نايت بلقاسم، **إنية وأصالة**، مرجع سبق ذكره، ص 54.

³ المرجع نفسه، ص 54 - 63.

⁴ المرجع نفسه، ص 544-545.

⁵ مولود قاسم نايت بلقاسم، "الإنية والأصالة"، محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة، الجزائر، 19-10 أوت 1970، ص 14.

المكافحة تقتضي من جهة التشبث برواسخ الأمة ومن جهة أخرى الانفتاح بذكاء على العالم، فنجد أنه وقف موقف التحويلين بأن على الدول الوقوف في منتصف طريق الثقافتين العالمية والوطنية فيتخذ كل مجتمع تجارب ناجحة لعوالم أخرى، فكان شعاره في هذا الصدد "الجمع بين الإثنية والأصالة مع التفتح والعالمية".

2. محمد العربي ولد خليفة 2016: الهوية كمسألة وطنية.

تناول محمد العربي ولد خليفة مفهوم الهوية مستعينا بما أنتجته العلوم الاجتماعية، باعتباره متخصصا في علم النفس الاجتماعي بعد الفلسفة، إذ حتى وإن صُنفت أعماله ضمن الحقل التاريخي، فمن المهم الذكر أنه استخدم في فهمه للهوية أدبيات ضمن الحقلين السوسيولوجي والأنثروبولوجي حول الثقافتين، تشكل الثقافات، السلخ الثقافي Deculturation (الذي اقتبسه من أعمال نيت بلقاسم)، التنشئة، الأنساق البينية.. وغيرها، فوجه عنايته بالمفهوم في علاقته بالثقافة واللغة والاندماج والدولة والمجتمع، إذ ارتبط بالنسبة لديه ارتباطا وثيقا بالمسألة الثقافية وأدواتها وخاصة اللغة¹.

وقبل أن يختص بتناول الهوية الوطنية الجزائرية، قدم ولد خليفة تحليلا للهوية الفردية للجزائري في علاقتها وتفاعلها مع المجتمع، وكيف أنها تؤسس لتلك الهوية الوطنية، فاعتبر أن للجزائري "قيمة" تكمن في السعي لأجل جعل الهوية الذاتية تتطابق مع منظومة القيم السائدة في المجتمع، ورغم أن هوية الفرد متأرجحة بين تطابقه واختلافه عن الآخرين، إلا أنه في حالة الالتزام بالقيم الجماعية فإنه يسعى إلى إظهار التفوق في التطابق مع الهوية الوطنية Premium inter pares²، فالمناسبات دينية كانت أو وطنية تعتبر لحظات يسعى الجزائري من خلالها إلى إظهار أكبر التزام ممكن بمطابقة قيمه الذاتية مع القيم المجتمعية الجزائرية. ومواصلا تناوله للهوية الذاتية للجزائري في تفاعلها مع الأنساق الثقافية، الاجتماعية والسياسية للجماعة، قسم ولد خليفة الذات إلى ثلاثة مستويات:

- **الذات المثالية:** الذات المثالية هي ذات تزرع فيها الجماعة بذورها، من خلال ما ينسب لتلك الجماعة من مكانة وشرف، والذات الجزائرية تكتسب مثالياتها مما سجله التاريخ من أمجاد واحتفظت به الذاكرة، يظهر ذلك من وصف الجزائريين لنواتهم الفردية بـ "أبناء الشهداء" و "أحفاد المجاهدين" وغيرها من أحداث حقيقية كانت أو متخيلة أو مزيج منها.
- **الذات الاجتماعية:** وتعبّر عن الصورة التي ترغب الذات أن تكون عليها كهوية فردية أو كجزء من هوية جماعية، فالجزائري تغلب عليه الرغبة في أن يتماثل ما "يقوله عنه الآخرون" مع الصورة التي يريد أن يكون عليها، وكلما زاد هذا التماثل زاد الرضا والاستقرار، وكلما تناقص زاد السخط والرغبة في التغيير.
- **الذات الواقعية:** تقع هذه الذات بين التصنيفين السابقين، أي تتوسط المكانة والشرف اللتان يشعر بهما الجزائري اتصالا بتاريخه، ورغبته في أن يكون اليوم كما يرغب، وتتأرجح بينهما تبعا للظروف الاجتماعية والسياسية وحسب الوضعية العلائقية للفرد الجزائري بأمنته، إضافة إلى مقارنته بالشعوب الأخرى خاصة في ظل التقنية التي فتحت أفقه على العالم³.

¹ محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، موف للنشر (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية)، الجزائر، 2016، ص 113.

² المرجع نفسه، ص 126.

³ محمد العربي ولد خليفة، من التحرير إلى التولية الوطنية الديمقراطية والاجتماعية: رهانات وتحديات، موف للنشر (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية)، الجزائر، 2017، ص ص 29 - 30.

بعدها انتقل إلى علاقة الهوية ومعالم ارتباطها بالسياسة والثقافة لاعتبارها أداتين أساسيتين في تمييز "نحن" (المجموعة الوطنية) على "هم" (المجموعات غير الوطنية، الأجانب..)، فتصبح **الهوية الوطنية** "دلالة على هوية المجموعة الجغرافية أو التاريخية وعندئذ تصبح أداة للإدماج أو الإقصاء.. وهي محصلة بناء تاريخي، ثقافي، وجداني يتجسد في سمات جامعة"¹، هذه السمات التي حافظ الجزائريون من خلالها على كيانهم حتى رغم غياب "الدولة" وإنكار الاستعمار وجود أمة جزائرية، ورغم محاولاته بل وتركيزه على هدم كل ما يتعلق بأصالة الجزائر وخصوصيتها، فبقاء المجتمع الجزائري متماسكا يرجع أساسا إلى رسوخ هويته والتفاف الجزائريين حول أبعادها؛ والتي حددها ولد خليفة في:

أ. **الإسلام:** بمعناه الوطني، والذي أضفى على مقاومة الجزائريين للاستعمار الفرنسي طابعا جهاديا؛

ب. **العربية:** ثقافة ولسانا وليس عرقا؛

ج. **الوطنية:** بمعنى حب الوطن والولاء المبذول له.

هذه الأبعاد والتشبث بها لعب دورا حاسما في تاريخ الجزائر خاصة في الحقبة الكولونيالية، وأعطى الهوية الوطنية وظائف سياسية-ثقافية، بل وروحية وحضارية، وهي:

• **الأولى:** ضمان الاستمرارية التاريخية للأمة، والانتماء إلى مرجعياتها، وقد ازداد الشعور التلقائي بالانتماء إلى الأمة شدة وعمقا بعد الاحتلال ولذلك عمل الغزاة بأساليب تقتلح ذلك الإحساس؛ بالعزل والدس والتغيير.

• **الثانية:** تحقيق التجانس والانسجام بين السكان، بين مختلف جهات الوطن والتعايش والإثراء المتبادل بين ثقافته الفرعية، رغم تهافت أطروحات ما عرف بعلم السكان الأصليين L'indigenophilie الذي حاول ويحاول توزيع "الأهالي" على تقسيمات إدارية صغيرة نسبيا (الكائنات) تجمع أعراق متميزة ومتباغضة بسبب اختلاف العرق والسلالة.

• **الثالثة:** المحافظة على المرجعية المشتركة والكيان المتميز للمجتمع الجزائري، وقد برزت فعالية هذه الوظيفة أثناء الاحتلال، فأصبحت الهوية هي الجنسية والجنسية هي الهوية، ما يحيل إلى رسوخ الهوية والتقبل الطوعي لوحدة المرجعية الجماعية².

ماذا عن اعتبار الهوية الجزائرية هوية تركيكية وامتزاجية؟ وماذا عن الهوية الجزائرية في ظل العولمة؟ السؤالان يحيلان إلى التشابه والاختلاف اللذان تحتلها الهوية، لكن السؤال الأول يتناول الهوية من الداخل في تفاعلها مع التمايز الثقافي الداخلي، والثاني يتناولها من الخارج في تفاعلها مع الثقافة الكوكبية.

تنشأ الهوية في عصرنا هذا على صورة بناء اجتماعي من الصعب تحديد "مدى نقائه"، فمن الصعب وجود هوية ذات بعد واحد خاصة فيما يتعلق بالعرق والإثنية، وكما العرب والبربر، كتب المؤرخون عن تسكن العرب واليهود في ولايات عديدة جزائرية منها الأغواط، كما جاء في دراسات كلير لالو* Claire Lalou حول تعايش اليهود بالأغواط وتبنيهم للهوية العربية

¹ محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، مرجع سبق ذكره، ص 130 وص 147.

² المرجع نفسه، ص ص 228 - 229.

* من يهود الأغواط، زوجة جان كلود لالو Jean Claude Lalou، أحد الشاهدين على حياة اليهود في الأغواط، حفيد عمدة المدينة في ثلاثينيات القرن الماضي إبان الاستعمار الفرنسي، كتبت رسالة تخرجها حول حياة اليهود في الجزائر محددة نموذجها على مدينة الأغواط، أنظر: Claire Lalou, "Histoire et mémoire des Juifs de Laghouat: 110 ans de vie juive à Laghouat, 1852-1962," Master's Thesis.

الإسلامية¹، إذ تعمل الهوية الوطنية على التقليل من التمايز بين الأفراد والجماعات "وتسعى إلى إدماجهم في هوية موحدة تقلل من الفوارق الثقافية والاجتماعية فلا وحدة وطنية بدون هوية مشتركة ومقبولة إراديا من أغلبية كبيرة من النخب العاملة والسياسية وعامة الناس وفي هذه الحالة لا يضيرها أن تطالب جماعة أو تنظيم بهوية فرعية بعنوان خصوصيات محلية وتمسك بالاستثناء الثقافي L'exception culturelle.. أي تمايز الهوية والخصوصية الوطنية تجاه طوفان التفوق الثقافي وأمواج الشمولية Globalisme"².

فأخذ الثقافات الفرعية المحلية بعين الاعتبار، وتكوين هوية وطنية بناءً على تذويبها في بوتقة واحدة يجعل منها هوية جامعة، متنوعة ومن الصعب تفكيكها، عكس الهويات الوطنية المبنية على إقصاء الثقافات الفرعية مقابل ثقافة مهيمنة ما يؤدي عادة إلى صراعات داخلية ومطالب لتأكيد الهويات الفرعية.

قوة الهوية الوطنية تظهر في قدرتها على مواجهة المد الثقافي العالمي الساعي إلى محو الخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري، بنفس المنطق الذي سعى به الاستعمار الفرنسي إلى محور في شكل من أشكال الكولونيالية المعاصرة، فيرى ولد خلفية أنه رغم حتمية الانفتاح على العالم، إلا أن "ذاتنا العربية الإسلامية وخصائصنا المحلية، ينبغي أن تبقى ناصعة وجلية في حداثته منتجة وليس حداثته استهلاكية"³، وذلك يجعل من فرز ما تنقله العولمة خاصة الثقافية والإعلامية إلينا أمرا لا مناص منه، وهو لا ينطبق فقط على القيم الجزائرية الموروثة بل حتى القيم الحديثة التي تبناها المجتمع الجزائري.

3. ناصر الدين سعيدوني: الهوية كحدد للمسألة الثقافية في الجزائر.

تناول ناصر الدين سعيدوني مفهوم الهوية ضمن مجموعة من المفاهيم التي رأى أنها قاعدية في ضبط وتحديد وكذا فهم المسألة الثقافية في الجزائر، وفي إطار دراساته التاريخية للشخصية الجزائرية وانتمائها الحضاري اعتبر الهوية أهم تعبير للشخصية الجزائرية الكامنة في الذاكرة الجمعية المكتسبة عبر الزمن، فعرف الهوية الوطنية على أنها "الانتماء إلى جماعة أو إلى أمة ذات خصائص ومميزات اجتماعية وثقافية ونفسية وسلوك في الحياة يسمح لأفرادها بالاندماج والانسجام في جماعة واحدة... وهي لا تنفص عن نفسها إلا في إطار الارتباط بالجماعة والتعبير عن عاطفة الانتماء"⁴، وقد اعتمد في تحليله للهوية الوطنية الجزائرية على مصادر تاريخية أهمها: المنظور الإصلاحي والمواثيق المؤسسة للدولة الجزائرية.

نقصد بالمنظور الإصلاحي؛ منظور جمعية العلماء المسلمين، والتي "أدت دورا أساسيا في بلورة الهوية الجزائرية وتحديد مرجعيات ثقافية الشعب الجزائري، التي خلقتها مقولة «الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا» فالإسلام واللغة العربية هما في تصور جمعية العلماء المسلمين وجهان ملازمان للهوية الوطنية"⁵، وهذا الترسخ لمعالم الهوية الوطنية كان له دور حاسم في إحباط سياسية الإدماج الفرنسية فلم يكن مجرد شعارات بل تمثل في العمل الإصلاحي للجمعية، سواء في المؤسسات

¹ محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، مرجع سبق ذكره، ص 149.

² محمد العربي ولد خليفة، من التحرير إلى التولية الوطنية الديمقراطية والاجتماعية: رهانات وتحديات، مرجع سبق ذكره، ص 16.

³ محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، مرجع سبق ذكره، ص 582.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 47.

⁵ المرجع نفسه، ص 119.

التعليمية، الحملات الدعوية وغيرها من النشاطات التي تجعل من الإسلام واللسان العربي وحب الوطن واقعا معيشا وجزءا من الحياة اليومية، ورغم وصف هذه الرؤية بأنها "جامدة وساكنة" لعدم قبولها الإدماج والتهجين إلا أن الجمعية واصلت في اعتبار منظورها ذي بعد استراتيجي، مبدؤه أن أصالة الشخصية الجزائرية أداة قوية لإلغاء المشاريع الاستعمارية الرامية لمحو الوجود الجزائري.

أما الطرح الثاني الذي عرّف من خلاله سعيدوني الهوية الوطنية الجزائرية ومقوماتها هو الطرح الرسمي عبر النصوص والمواثيق التي أسست لبناء الدولة الجزائرية على غرار الميثاق الوطني 1976، والذي يؤكد أن الجزائر كيان تكون عبر التاريخ، ومقوماته الثقافية واللغوية والروحية ليست حديثة العهد، وأن الجزائر أمة وليست تجمعا متنافرا لشعور ذات أعراق وأصول مختلفة ومتعددة بل هي وحدة وشخصية واحدة، فقد تحدت مقومات الهوية الوطنية الجزائرية من خلال الميثاق في الإسلام بالأساس لأنه يشكل قاعدة الوحدة الثقافية واللغوية والروحية للجزائريين، وأن اللغة العربية كذلك عنصر أساسي للهوية الوطنية إذ "لا يمكن فصل شخصيتنا عن اللغة الوطنية التي تعبّر عنا"¹، وهنا حدد سعيدوني العوامل التي أدت إلى اكتساب الجزائر هويتها العربية الإسلامية، رغم ما يشاع من تنافر داخلي بين مكوناتها الروحية، الإثنية واللغوية، والتي أجمّلها في:

- أ. العامل الديني: وهو ممثل في العقيدة الإسلامية المرتبطة بكل من لغة القرآن والثقافة العربية، والتي شكّلت أساس لحمّة للجزائريين سهلت امتزاجهم، فالإسلام في الجزائر يعبر عن مضمون شعبه ويكرس هويته وينتفي فكرة الأقليات بالمفهوم الذي كان يكرسه الاستعمار الفرنسي ولا يزال العالم الغربي اليوم يدعمه.
- ب. العامل الاجتماعي: وهو متعلق بنمط الحياة وأسلوب العيش، فالهوية الجزائرية اليوم هي نتيجة لتعمّق بفعل التعارف والتواصل والنسب والتصاهر، خاصة أن هناك تشابه بالأساس بين حياة البدو البربر* والأعراب الهلاليين، والذي كان عاملا في انصهار العناصر السكانية، وتلاحق شكل عقدا معنويا للوحدة، زاد منه العامل الديني كما ذكرنا سابقا.
- ج. العامل الإثني: هذا العامل يقول بالأطروحة التي أقر سعيدوني بثبوتها العلمي، وهي أن للبربر طبيعة سامية، وهي القائلة أيضا بأن البربرية انحدرت مثل العربية من أصل واحد وهو العربية القديمة التي يعود أصلها إلى المشرق العربي محمد الحضارات، وهو ما يترسّ القربة الإثنية بين العرب والبربر في تفاعل إيجابي بين الطرفين.
- د. العامل الجغرافي: ساهم التواصل الجغرافي بين العرب والبربر إثر قدوم العرب فاتحين إلى انتشار الإسلام كما اللغة العربية في الحواضر والمراكز العمرانية في الفترة الإسلامية، وحتى الريف والمنطق الجبلية بدرجة معينة²، فهذا التقارب الجغرافي أسس لتثاقف بينهما كرس المرجعيتين الإسلامية واللسان العربي.

¹ ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 225 - 227.

* ربما في تسمية أحد أهم المجموعات البربرية "الشاوية" دليل على أن غط عيشهم كان رعويا مثلما كان غط عيش العرب، ونجد ذلك عند ابن خلدون الذي أرجع أصل تسميتهم بالشاوية إلى كلمة (رجل شايي أو شاوي) قائلا: "فالتقلب في الأرض أصلح بهم ويسمون شاوية، ومعناه القائمون على الشاء والبقر... وهؤلاء من البربر"، أنظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 151.

² ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 343 - 349.

إن أهم أزمة أصابت الهوية الوطنية الجزائرية هي استثمار المستعمر في النعرات الإثنية والقبلية ضمن سياسة فرق تسد، ذلك أن السبيل الوحيد لإضعاف الجزائر هو إضعاف التفاف مواطنيها حول هويتهم. فقد تمّ التركيز على المناطق التي يستعمل سكانها اللهجات البربرية، مثل القبائل، الأوراس وميزاب والهقار، ذلك على اعتقاد الاستعمار أنه تأجيج لعقيلة السكان الأصليين، و"قد برز تركيزهم أكثر على منطقة القبائل، لأنها حسب اعتقادهم أكثر تقبلاً، والأمكن تأثيراً على باقي المناطق في الجزائر، كما أنها حيث تعد إقليماً مميزاً بخصائصه من حيث اللغة والعادات والتقاليد، والتي تجعل من الفرد القبائلي حسب اعتقادهم، متمسكاً باستقلاليتته، ومعتزاً بانتائيه القبلي، ورافضاً الاندماج مع غيره"¹، ذلك على غرار ما قام به كل منه العقيد يشو bechoo colonel الذي أكد: على ضرورة صياغة كل الأعراف القبلية في شكل أحكام، وكذلك المستشار لوتورنو Letourneau conseiller الذي أكد هو الآخر في رسالته المؤرخة في 14 نوفمبر 1869م للسلطات الفرنسية على: "أن فكرة إحياء العرف القبلي قد فرضت نفسها، وشقت طريقها للتطبيق في شكل أحكام موحدة وموثقة على نصف مليون من البربر(القبائل)"².

وحتى اليوم لا يزال الواقع الجزائري الثقافي واللغوي في نظر سعيدوني متأثراً بإرث الاستعمار الفرنسي في حركة عكسية لمشروع الدولة الوطنية الجزائرية وما اختزنه الشعب³، ومتأثراً بالمواقف التي تهدف إلى تدعيم التعددية أو الثنائية الثقافية وتحجيم إرثها العربي الإسلامي، وهذا لم يأت من فراغ بل هو ناتج لسياسة انتهجتها فرنسا، كانت سياستها قائمة على "تحقيق هدف استراتيجي تمثل في إلغاء الوجود التاريخي للمجتمع الجزائري، وتدمير أسسه المادية ومقوماته الحضارية"⁴، لذلك نلاحظ أن أغلب الحملات التهجينية الفرنسية شملت تنصيراً وفرنسة، بغرض تفخيخ موضوع الهوية الوطنية؛ هذا من الداخل، أما من الخارج وفي علاقة الهوية الوطنية مع العالم، يرى سعيدوني أن "الهوية التي تنغلق على نفسها غير موجودة إلا في أذهان من يتصدون لمسألة الهوية من منظور أيديولوجي خارج معطى التاريخ بحيث يحاولون فصل الهوية أو الذات عن العالم ومتغيراته والأوضاع التي تعيش فيها"⁵، فالهوية بالمعنى النقي، غير القائمة على التنوع لا تعدد لا وجود لها في عالم منفتح على بعضه البعض.

في النهاية نلاحظ أن دراسات سعيدوني تعيد تشكيل الهوية الوطنية الجزائرية إلى عوامل تاريخية وزمنية، سمحت بتشكيل تفاعلات، علاقات وسلوكيات اجتماعية وثقافية، وقد لعبت الثورة الجزائرية والهوية دورين متبادلين إذ خدمت الثورة الهوية الوطنية بأن أعادت تأكيد عناصرها ومرجعياتها، وخدمت الهوية الثورة بأن ساهمت إلى جانب السلاح والسياسة كأسلوب دفاع ثقافي عن الذات، فإذا كان هناك سبيل لمناقضة الاستعمار ومناهضته فتوظيف الهوية الوطنية خير سبيل. كما لم يقتصر تناول الهوية الوطنية الجزائرية على هؤلاء الباحثين، بل لا يكاد يخلو بحث تاريخي أو سوسيو-ثقافي من الإشارة إليها على الأقل، واعتبارها مسألة جوهرية في ماضي، حاضر ومستقبل الأمة الجزائرية، فكانت جزءاً مهماً من كتابات ومقالات، خطابات ومواثيق وقوانين.

¹ ناصر الدين سعيدوني، في الهوية والانتماء الحضاري، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 173 - 174.

² المرجع نفسه، ص 183.

³ ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 172.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، في الهوية والانتماء الحضاري، مرجع سبق ذكره، ص 173.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 48.

ماذا عن الدراسات السوسولوجية؟ لم تخلُ الدراسات وأعمال بعض السوسولوجيين الجزائريين من تحليلات للهوية الوطنية؛ نذكر منها أعمال:

4. عبد الغني مغربي: الثقافة والشخصية الجزائرية،

التي اعتبر من خلالها أن الهوية شكلت جزءاً مهماً من الشخصية الجزائرية التي تمت المحافظة عليها؛ رغم ما طرأ عليها من عنف مادي ورمزي من طرف المستعمر، والذي طال خاصة الجانب الديني من الهوية إلا أن ذلك لم يغير من هوية الجزائريين شيئاً، فرغم استعمار استيطاني دام 132 سنة، إلا أن المجتمع يحتفظ بإسلامه فحسب بل كانت هذه المرجعية أيضاً بمثابة قوة دافعة للجزائريين لاستعادة سيادتهم وهويتهم التي تمت محاولة سحوبها منهم بقوة السلاح وبسياسات الخواء الثقافي التي طبقت على الجزائريين إلى غاية الاستقلال¹. ويرى مغربي أن أهم مفهوم سوسولوجي يمكن من خلاله فهم الكيفية التي تكونت بها الشخصية الجزائرية هو مفهوم **الثقافة**، بالإضافة إلى المكون الأول الذي شكل الهوية الوطنية الجزائرية من وجهة نظر ثقافية وهو مكون ثقافة المجتمع الأصلي الجزائري قبل الإسلام أي المجتمع البربري، فهناك ثلاث موجات ثقافية شهدتها الجزائر وتكونت من خلالها شخصيتها، وحتى وإن كانت الموجات متصلة ببعضها البعض إلا أنه يمكننا عرضها كما يلي:

• **موجة الثقافة الأولى:** وهي الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ومنه الجزائر في القرن السابع للميلاد، والذي لم يؤثر في الشخصية الجزائرية قبل الاستعمار فحسب بل ساهم إلى حد كبير في بقاء الجزائريين متحدين في وجه الاستعمار، وهنا سمي مغربي الإسلام "أفيونا"، أفيون كان بمثابة السلاح، فإسلام الشعب، إسلام المقاومة، أيديولوجية الحرية كما نفذها النبي محمد ﷺ وألهمت الأمير عبد القادر على وجه الخصوص والمقاومين عموماً²، لم يجعل من الإسلام ديناً فحسب بل غط تفكير واستراتيجيا، ونمطا للاجتماع.

• **موجة الثقافة الثانية:** وهي مرتبطة بالأولى، فهي تتعلق بالتمازج بين العرقين العربي والبربري وكذا اللغتين العربية واللهجات البربرية فلم يعد هناك بمرور الزمن، ومع التفاعلات الاجتماعية بينها إمكانية الحديث عن "عرق نقي" بل هناك أكثر فأكثر بربر مستعربون وعرب بربرية Berbères arabisés et Arabes berbérisés، هذا التمازج تم في الاتجاهين، تعريب البربر عن طريق اتخاذهم العربية لساناً لهم، فمن المثير للاهتمام هو أن غالبية الجزائريين الذين يتحدثون البربرية لا يرفضون اللغة العربية الحرفية، والأكثر من ذلك أنهم يدعون إسلامهم بفخر، وكذا اتجاه العرب إلى اللسان البربري حين أجبر الاستعمار العديد من المتحدثين باللغة العربية الذين يعيشون في السهول على الهجرة إلى المناطق الجبلية (أو الصحراوية) ونتيجة لذلك أصبحوا بربري اللسان³، لذلك يأخذ مغربي بفرضية عدم وجود عرقية خالصة، والتي هي فرضية تتماشى مع دينامية الشعوب والأمم.

• **موجة الثقافة الثالثة:** وهي الاستعمار الفرنسي للجزائر، الذي يعتبر في جانبه الهوياتي نوعاً من "التحلل الثقافي" deculturation التي قصد بها مغربي عملية تتألف قسري وسلي بالضرورة، إلى الحد الذي يؤدي إلى تعطيل العلاقات

¹ Abdelghani Megherbi, *Culture et Personnalité Algérienne de Massinissa à Nos Jours*, ENAL-OPU, Alger, 1986, p 29.

² Ibid, pp 29 – 31.

³ Ibid, p 76 et p 86.

الاجتماعية للمجتمع الأصلي المتوازن نسبيا، فلم يكن فحسب ممارسة عسكرية وسياسية بل أن الاستعمار في الجزائر شكّل ظاهرة اجتماعية وتاريخية فريدة من نوعها، لأنه لم يهدف فقط إلى الاستيلاء على الثروة الوطنية، بل أيضا على الفضاء. وبعبارة أخرى، فهو "استعمار استيطاني"¹، لذلك فإن تداعياته ومحاولات تحليله للثقافة الجزائرية كان من أهم ما تعرّضت له الهوية الوطنية الجزائرية من إعادة تشكيل، والذي ساهم كرد فعل دفاعي في إعادة ربط الجزائريين ببلدهم وتشبّثهم بها. ولا تزال آثار هذه الموجة مؤثرة على هوية الجزائريين، فمغربي يرى أن المستعمر قد ترك قبل أن يغادر البلاد قسراً، "أغماً زمنية رهيبية"، بعضها ينفجر على شكل "الخواء الثقافي" Le vide culturel الذي عانت وتعاين منه البلاد حتى بعد الاستقلال²، ويغذي أزمة الهوية الجزائرية ومحاولات تفكيكها من الداخل إلى يومنا هذا. وهنا، نجد أن دراسة مغربي تفسّر لنا جليا الخلفية السوسولوجية التي أصبح من خلالها كل من الإسلام واللغات الجزائرية وخاصة العربية، والوطنية كشعور وممارسة المرجعيات الأكثر وضوحا للهوية الوطنية الجزائرية.

5. علي الكنز: الهوية الجزائرية وقضاياها.

السوسولوجي الثاني الذي تناول موضوع الهوية الجزائرية، هو الأستاذ علي الكنز، حيث ضمنها خاصة في كتابه "حول الأزمة"، وضمن مقالاته خاصة ما جاء ضمن كتاب "الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر"، إذ حلل وناقش الهوية العربية بما فيها الجزائرية في ضوء الدين واللغة والذاكرة، بربطها بالجانب السياسي للدول على وجه الخصوص، حيث أحاطت أبحاثه بقضايا الوطن والأمة العربية والإسلامية، وفي دراسته للهوية كان قد تناولها في علاقاتها بما يلي:

- أ. **بالدين:** ذلك كون "البعد الديني قد ساهم دوماً، بشكل أو بآخر، في تبلور الهوية الجماعية وبأن انتشاره لم يرتبط في كل زمان ومكان بفترات الانحطاط أو بالتطور الاقتصادي والاجتماعي"³، يقصد بذلك الكنز أنه حتى في فترات عصيبة تعيشها الأمم على غرار الاستعمار في حالة الجزائر فإن الدين بقي مكوناً مهماً للهوية الوطنية.
- ب. **بالثقافة والمثقفين:** ومن جانب آخر ربط الكنز اكتساب مجتمع ما هويته الخاصة، فللمثقفين قدرة على إنتاج وإعادة إنتاج المعاني الاجتماعية، "أي مجموعة أفكار ذات دلالات اجتماعية في مقدورها تكوين وتوجيه كل أو جزء من المجتمع المدني الذي تتوحد فيه هذه المجموعة أي أنها تساعد على تكوين وتوجيه ممارسة اجتماعية ... وهيكله قنوات المعاني التي تكون النسق الرمزي للمجتمع والذي يعطيه هويته الخاصة"⁴. وتتخلص أفكار الكنز حلول الهوية في:
 - احتفاؤه باللغة العربية، وتأكيده على أن المجتمعات إلا بلغاتها الأصلية؛
 - تأكيده على عدم الفصل بين قضايا الهوية والاقتصاد والتنمية؛

¹ Abdelghani Megherbi, Opcit, pp 91 – 92.

² Ibid, p 30.

³ علي الكنز، "الإسلام والهوية: ملاحظات للبحث"، في: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، كتاب جماعي، تحرير: رياض زكي قاسم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ص ص 190 – 191.

⁴ علي الكنز، حول الأزمة: 5 دراسات حول الجزائر والعالم العربي، ذاكرة الأمة، الجزائر، 2015، ص 36 – 37.

• ازدواجية الوعي التاريخي الجزائري، وحالة التمزق اللغوي عامل يكتبل الابداع والتجديد، ويدعو هنا إلى التعريب التدريجي والترجمة واعتماد رؤية جديدة نحويًا ولغويًا للغة العربية¹. ولم تخلُ أبحاثه أيضًا من مفهوم العولمة، الذي رأى أنه مركزي لفهم التحولات السياسية، الاقتصادية والثقافية للأمم، فيرى أن العولمة وأدواتها ومؤسساتها ساهمت في تآكل أشكال مختلفة من العلاقات الاجتماعية، أين حلت مفاهيم أخرى محل التضامن العضوي بتعبير دوركايم، كما ساهمت في عودة أشكال تقليدية من التضامن على غرار التضامن العرقي والإثني والتضامن الديني في البلدان الإسلامية²، أشكال التضامن هذه تحدد الكيفية التي تواجه بها الأمم تداعيات العولمة إذ تستخدم بالضرورة أدواتها الأكثر قوة على المواجهة، ومن هذا المنطلق ركز الكنز على العامل الديني باعتباره حاضرا دائما وواسع الانتشار، كما يمس كافة الفئات الاجتماعية والمجالات الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية.

المطلب الثالث: مرجعيات الهوية الوطنية الجزائرية.

يعتبر هذا المبحث نتيجة للمبحث السابق، إذ كنّا قد بينّا أهم الدراسات التاريخية، السوسيو-تاريخية والسوسيولوجية التي تناولت الهوية الوطنية الجزائرية من منظورات مختلفة، والتي توضحت من خلالها لدينا أهم مرجعياتها. وتأكيدا على الجانبين الاجتماعي والتاريخي، نستدعي الجانب التشريعي أو الرسمي كذلك، إذ حدد الدستور الجزائري ما يمكن قراءته على أنه مرجعيات للهوية الوطنية الجزائرية، في بابه الأول المخصص للمبادئ العامة التي تحكم المجتمع الجزائري، وهو نتيجة بطبيعة الحال لتراكم كانت واضحة معالمه منذ استقلال الجزائر، فحددت مواد آخر دستور جزائري (مشروع) ما يلي:

- المادة الأولى: الجزائر جمهورية ديمقراطية شعبية، وهي وحدة لا تتجزأ.
- المادة 2: الإسلام دين الدولة.
- المادة 3: اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، تظل العربية اللغة الرسمية للدولة.
- المادة 4: تمازيغت هي كذلك لغة وطنية ورسمية... بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني.
- المادة 6: العلم الوطني والنشيد الوطني من مكاسب ثورة أول نوفمبر 1954 وهما غير قابلين للتغيير³.

كما يعيد الدستور ليؤكد لاحقا في المادة 223 من الباب السادس أن أي تعديل دستوري للدولة لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يمس هذه المرجعيات باعتبارها ثوابت للدولة الجزائرية، إذ نصت المادة أنه لا يمكن لأي تعديل دستوري أن يمس: الإسلام باعتباره دين الدولة، العربية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية للدولة، تمازيغت كلغة وطنية ورسمية، وكذا ما تعلق بسلامة التراب الوطني، وحدته ورموزه⁴، إذ بقيت كلها (ما عدا تمازيغت) ثابتة منذ أول دستور في الجزائر عام 1963.

¹ بوزيد بومدين، "علي الكنز: الوعي بالهوية والأزمات في البلدان النامية"، في: قراءات في المنجز العلمي والسوسيولوجي لـ علي الكنز (1946 – 2020)، كتاب جماعي، إشراف: مصطفى كحل، القبية، الجزائر، 2023، ص ص 22 – 23.

² علي الكنز، حول الأزمة: 5 دراسات حول الجزائر والعالم العربي، مرجع سبق ذكره، ص 16.

³ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية"، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 82، 30 ديسمبر 2020 الموافق ل 15 جمادى الأولى 1442 هـ، الجزائر، ص 7.

⁴ المرجع نفسه، ص ص 46 – 47.

حسب هذه المواد، فإن الأبعاد المحددة للمجتمع الجزائري هي كل من **البعد الديني** المتمثل في دين الإسلام، **البعد اللساني** المتمثل في لغته العربية كلغة وطنية بالدرجة الأولى إضافة إلى البربرية بكل أطرافها اللسانية، **والبعد الوطني** المتمثل في الانتساب إلى للأمة الجزائرية بتاريخها، ومكتسباته المادية ولا مادية المميزة للشخصية الجزائرية؛ وجغرافيةً بوحدة التراب التي لا تتجزأ.

وتختلف أو بالأحرى تتعدد التقسيمات التي يتخذها الباحثون في دراسة الهوية الوطنية الجزائرية، إذ يضيف البعض مرجعيات كالعرق والإثنية، التاريخ، التراث.. وغيرها ويستغني عن أخرى كذلك، إلا أننا حددنا هذه المعالم كنتيجة للبحثين النظري وكذا الميداني، كما أنها مرجعيات تشمل كذلك العرق، فلا حديث عن تنوع لغوي دون الحديث عن تنوع عرقي، والتاريخ والتراث، فلا حديث عن بعد وطني دون تناول مكوناته التاريخية والثقافية ومنه فسوف نعرض مرجعيات الهوية الوطنية الجزائرية كما يلي:

• الدين الإسلامي كمرجعية للهوية الوطنية الجزائرية:

إذا كان هناك عامل مشترك في كل الدراسات التي تناولت الهوية الوطنية الجزائرية ما ذكرنا منها وما لم نذكر، ومهما كان منطلقها، فهي مرجعية الدين الإسلامي، إذ تجمع الدراسات وكذا الواقع المعيش أن الإسلام يشكل محورا مهما في تكوين شخصية الفرد، الجماعة والأمة الجزائرية.

نكاد لا نجد حقيقة أرسخ في شتى المجتمعات من وجود "ديانة" مهما كانت درجة أوليتها أو تطورها، إذ يعزى ذلك أحيانا إلى أن الدين غريزة إنسانية تحمل على التدين عفوا وضرورة، أو أن الإيمان بدين ما والإيمان بالحياة الأخرى هو نتاج للأحلام ومحاولة تفسيرها، أو أن انتشار الدين إلى محاولة تفسير الإنسان للظواهر الطبيعية¹، ومهما كان مفهوم الدين هنا، سواء المعرف بما فوق الطبيعي والغامض أو المعرف بفكرة الله أو الكائن الروحي كما يقول دوركايم، الأخير الذي يعرف الدين على أنه: كل مشكل من أجزاء؛ ونسق معقد إلى هذا الحد أو ذاك من الأساطير والعقائد والاحتفالات، وهو ما رآه تعريفاً "إيجابيا" للدين بعيدا عن الميتافيزيقا والألوهية، ذلك أن الظواهر الدينية في نظره تندرج ضمن فئتين أساسيتين وهما كل من **المعتقدات** التي هي في أساسها تعبير عن الرأي، **والشعائر** التي هي في الأساس أنماط فعل محددة²، فالأولى تتكون من التصورات التي يمتلكها الفرد والجماعة والثانية تعبر عن الممارسات، وكلهما يشكلنا مؤشرين يمكن من خلالها قياس وفهم الظاهرة الدينية.

قدم الإسلام إلى الجزائر في القرن السابع للميلاد كما ذكرنا سابقا، عندما قدم العرب فاتحين إلى بلدان المغرب، وكان العنصر الجامع بين البربر والعرب رغم ما شهدته الاحتكاك الأول بينما من صراعات على غرار مقاومة الكاهنة، إلا أن الإسلام توطد في الجزائر، وتعاقت عليها الدويلات الإسلامية، منها ما قام في الجزائر ومن الجزائر ومنها ما كان نتيجة لتوسع وبسط دول وقوى إسلامية أخرى نفوذها وامتدادها إلى الجزائر، حتى الحكم العثماني في الجزائر. وقد عرفت الجزائر أشكالا مختلفة من التدين، كل شكل منها وُجد وتكرس من خلال تماهيه مع الظروف الاجتماعية، السياسية والثقافية في التي مَرَّ به تكوين المجتمع الجزائري خاصة منها التأثر بالشرق، الاستعمار الفرنسي وما بعده، وتتمثل أهم ثلاثة أشكال في:

¹ يوسف شلحت، مرجع سبق ذكره، ص 25.

² إميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية: المنظومة الطوطمية في أستراليا، مرجع سبق ذكره، ص ص 59 - 60.

أ. الإسلام الصوفي:

انتشر الإسلام الصوفي في العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، فهو ليس شكلا مميزا للإسلام في بلاد المغرب، ولا في البلاد العربية، ومع ذلك فإن لكل منطقة خصوصيتها فيه، والتي نتجت عن تمازج الطريقة الصوفية بالخصائص الاجتماعية والتاريخية والسياسة فيها، وهو ما ميّز الإسلام الصوفي في الجزائر.

التصوّف كما وصفه ابن خلدون هو علم وطريقة فـ"أصله أنّ طريقة هؤلاء القوم، لم تنزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانتقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال، وجاء والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"¹، إذ يرى أن مصدره هو القرآن والسنة وسلف الأمة وتابعيها الذي كان عاما الإقبال على العبادة عندهم، وأن ما شهده التصوّف من تحول في معناه وجوهره هو نتاج لما أضافه عليه المتأخرون منهم فاختلط الكلام وتشابهت العقائد والنحل بكثير من المغالطات. وكان هذا الخلط قد برزت آثاره في الصوفية في الجزائر كذلك، التي اكتسبت من حيث الشعائر والممارسات، وكذا العقائد والتصورات خصوصية معينة، كان للتاريخ، الاجتماع، الثقافة والسياسة تأثيرا كبيرا عليها، إذ يظهر الاختلاف بين الإسلام الصوفي في الجزائر عن غيرها وكذا تميز طريقه عن أخرى، ويمكن إرجاع ذلك إلى عاملين اثنين على في الغالب:

• تدهور الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية التي كان سببها حالة الضعف والانحطاط والتخلف عن الماضي وعن العصر التي شهدتها العالم الإسلامي، وانحدار القيم الدينية والأخلاقية في مجتمعاته، ما جعل الجزائريين يميلون إلى التصوف كحالة من العودة إلى الإسلام الصحيح والنقي الذي يؤكد على توازن الجانب الروحي والأخلاقي.

• الخطر الأوروبي على السواحل الجزائرية، وهو التهديد الذي كان لابد من مقاومته وبالأخص بعد تخاذل الحكام والولاة في رده، فقد شهدت الكثير من شواطئ الجزائرية هجمات من الإسبان على وجه الخصوص خلال القرن (16/17م)²، وامتدت هذه المقاومة إلى مقاومة الاستعمار الفرنسي كذلك حيث ساند الزوايا بعلمائها وشيوخها الثورة الجزائرية، فأغلب الثورات الشعبية كانت قد انطلقت من الزوايا (الأمير عبد القادر 1832م، بوبغلة 1845م ثورة الدرقاوة ثورة بوزيان 1848، الزعاطشة، لالة فاطمة نسومر 1851 الحداد المقراني 1871، أولاد سيدي الشيخ 1864) أو بدعم منها خاصة ماديا مثل زاوية الطريقة الرحمانية "الهامل" ببوسعادة (المسيلة).

نذكر من هذه الثورات ثورة الأمير عبد القادر لاعتباره مؤسسة الدولة الجزائرية الحديثة، والذي كان في وصفه صوفيا كما جاء في تعريف ابن خلدون، بحيث لو بحثنا في رسائله إلى القبائل وخطاباته وطرق تعيينه للمقاتلين في ثورته ضد الاستعمار نجدها مشبعة بمرجعية الهوية الدينية الإسلامية، حتى أن كاتبه الخاص سي قدور بن رويلا أورد في وصفه أنه "لا يحب الدنيا، فهو يتنعد عنها بقدر ما يسمح له بذلك... وهو لا يغادر المسجد إلا نادرا فهو لا يشرب ولا يأكل ولا يلبس إلا حسب ما يأمر به الدين..³

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 517.

² بيران بن شاعة، "تشكل الهوية الدينية في الجزائر"، مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الأغواط، المجلد. 8، العدد. 2، 2014، ص 35.

³ محفوظ قداش، ترجمة: محمد المعراجي، جزائر الجزائريين: تاريخ الجزائر 1830-1954، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص 86.

أما عن طرق تعيينه للمقاتلين في صفوفه، ميزته الأساسية فنلاحظ أنها كانت تمتسكهم بدينهم، فقد كتب مراسلا القبائل المحيطة بمدينة المعسكر والقبائل التي بينه وبينها صلات أنه يجب على المقاتلين "أن يمتثلوا في كل أعمالهم إلى المبادئ المقدسة وتعاليم كتاب الله وأن يقيموا العدل كل فيما يخصه طبقا لشريعة النبي بإخلاص وحياد للقوي وللضعيف وللشريف والتقي... [مضيفا] لن أعرف قانونا آخر إلا القرآن ولن أقاد إلا لمبادئ القرآن وبالقرآن وبه وحده..¹"، أما عن موظفي الدولة بعد بيعته فقد اشترط أن يتم اختيارهم مما ساء محفوظ قداش "الأرسطوقراطية الدينية" أي من بين المرابطين والقادة الدينيين، إذ أن قادة الزوايا أو أعضاء عائلاتهم كانوا محترمين من طرف القبائل لأخلاقيهم الطيبة واستقامتهم وتربيتهم الجيدة وتقواهم، وليس الأمر منطبقا على حدود ولايته فقط بل كل نزيه جزائري، فكتب الوزير الأول كان وهرانبا، ورئيس الخزينة الخاصة كان أسودا، وموظفه الخاص الزين كان قبائليا- أسودا، لذلك فإن توظيفهم جامع بين عنصر الدين والوطنية في الدولة كان خيارا بالنسبة لسياسة الأمير عبد القادر "مكرسا لبناء جيش قادر وحده على الدفاع عن جنسية الجزائر والدولة الجزائرية"².

وهذا على الأغلب ما كان النقطة الفارقة في الإسلام الصوفي الجزائري، أنه اختلط بالروح الوطنية الجزائرية، ما أعطاه صبغة خاصة ميزتها عن الصوفية في المشرق مثلا، فإذا كانت الصوفية هناك ترمز وتدعو إلى الانعزال والسكينة الروحية والجسدية فإن الإسلام الصوفي في الجزائر دعا إلى القتال في سبيل الله والوطن، والذي بدوره كان السبب الذي ركز هجوم الاستعمار على الدين ومؤسساته إما بتخريبها أو بتشويه صورتها ومعناها الحقيقي، وإضافة معاني الدجل والشرك إليها خاصة عندما سيطرت تحت إمرتها المؤسسات الدينية وأماكن العبادة بشكل رسمي، واستغلت بعض من يحسبون على الصوفية، فأصبحت الطريقة هنا محسوبة ومقترنة بالسياسة بدل الدين، وبالانقياد إلى السلطة بدل مقاومتها، وبالممارسات الشريكة بدل العودة المطلقة إلى الكتاب والسنة.

على ذكرنا الطريقة، وهي منهج الصوفية الذين جعلوا لأنفسهم طرقا يتبعونها تميز رؤيتهم عن رؤى أخرى ومنهجهم عن مناهج أخرى للوصول إلى الله، فقد انتشرت في الجزائر خلال حكم الدولة العثمانية لظروف مختلفة وعوامل اجتمعت أدت إلى انتشارها على رأسها الظروف الاقتصادية، السياسية والاجتماعية كتدهور الأوضاع خاصة ضعف الأجهزة السياسية وتحول السيطرة على تجارة البحر المتوسط إلى دول أوربا الغربية، وأهم الطرق في الجزائر هي: القادرية (تتفرع عنها الشاذلية ومؤسسها جد الأمير عبد القادر) والرحمانية (الأكثر انتشارا في الجزائر إبان القرن 19) والتيجانية.

ب. الإسلام الإصلاحية:

بعد التضييق الذي شهدته الزوايا والإسلام الصوفي معها، وبعد التصور المغالط الذي نسب إليه سواء سياسيا أو روحيا، وتراجع دوره من جهة في مناهضة الاستعمار ومن جهة أخرى في الالتزام به كتدين صحيح، كان لزاما على آخرين استلام رسالة الإصلاح في الجزائر. وفي بداية القرن العشرين وضمن نشوء طليعة لمناهضة الاستعمار؛ الماركسي منها

¹ محفوظ قداش، مرجع سبق ذكره، ص 88 - 89.

² المرجع نفسه، ص 96.

(الشيوعيون)، الوطنيون منها، برز المناهضون الثقافيون الدينيون ممثلين في جميع العلماء المسلمين كحركة الإصلاح، والتي حملت لواء مناهضة الاستعمار والتدجين الذي يدعو إليه دينيا، ثقافيا، اجتماعيا وسياسيا.

ظهرت حركة النهضة الإصلاحية في المشرق في الفترة التي كان الإسلام الصوفي هو الأبرز في الجزائر، وهناك برزت أساء عديدة ترمز إليها مثل: جمال الدين الأفغاني وشكيب أرسلان ومحمد عبده، بالإضافة إلى جامعة الزيتونة التي كان الجزائريون على ارتباط بها نظرا للتقارب الجغرافي، كما وقد كان لبعض الجزائريين فرصة متابعة دروسهم في المشرق كذلك واستلام رسالة الإصلاح، وبعد عودتهم إلى الجزائر سواء من المشرق أو الزيتونة أو الحجاز أسسوا مدارس وجرائدا، ونواد لينشطوا ضمنها محاضراتهم فبرز رجال من الإصلاح الجزائري ممن أسسوا ونشطوا وأصدروا، على غرار:

- عبد الحميد ابن باديس الذي استقر كمعلم في قسنطينة سنة 1914 وفي 1925، وأصدر جريدة المنتقد وفيما بعد "الشهاب".
- الطيب العقبي الذي عاد من الحجاز سنة 1920 واستقر في سيدي عقبة وأسس جريدة وجاء للإقامة في مدينة الجزائر ابتداء من 1929 حيث تميز بمحاضراته في نادي الترقى، كما كان يرأس تحرير جرائد الجمعية لاختصاصه بالصحافة.
- البشير الإبراهيمي العائد من الشرق سنة 1922، ودرس في سطيف ثم التحق بمجموعة "الشهاب".

والتحق هؤلاء الرجال العديد من المعلمين والعديد من المثقفين الآخرين ومنهم مبارك الميلي ومحمد العيد والسعيد الهبري والعربي التبسي¹، حيث ساهموا في نشر مظاهر الإصلاح لدى الجزائريين من خلال المساجد والنوادي ومختلف النشاطات، والتي تم وضعها في إطار رسمي عبر تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931، فكان بناء نخبة تتحلى بالعلم والأخلاق والفضيلة وحب الوطن والدفاع عنه ضد المستعمر وحفاظا على الأمة ومرجعياتها وهويتها أهم رهانات الجمعية، على رأسهم ابن باديس الذي يؤمن أن شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب، من قال حاد عن أصله أول قال مات فقد كذب، كما كانت الوطنية والقومية واضحيتين في خطابه فيقول في مجلة الشهاب لسنة 1937: "... ولأننا جزائريون نعمل للم شمل الأمة الجزائرية وإحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة والانفتاح في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية"²، فالإسلام والانتساب إلى اللسان العربي مع المحافظة على الأصل وكذا الانفتاح على العالم كانت مقومات الهوية الوطنية الجزائرية.

وفي الفترة التي كان الإسلام الإصلاحي منتشرا في الجزائر خاصة في المناطق الشرقية من الوطن، ورغم دعمهم في البداية للعلماء باعتبار منطلقهم الموحد وهو الإسلام، إلا أن الطرفين سرعان ما انشقوا عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأسسوا جمعية أخرى وهي "جمعية علماء السنة الجزائريين" في 15 سبتمبر 1932، مكونة من رجال الزوايا والمنشقين من الطرفين، وهنا نصل إلى نقطة فارقة ومهمة، والتي كان توضيحها هو الغرض من عرض شكلي الإسلام تاريخيا، وكذا هي نقطة مهمة في فهم ما يحدث من أزمات وجدالات معاصرة بين الاتجاهين الصوفي والإصلاحي (السلفي) في الجزائر.

¹ محفوظ قداش، مرجع سبق ذكره، ص 289.

² سعد بوجلو، "معالم الهوية الوطنية الجزائرية لدى ابن باديس"، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، المجلد. 04، العدد. 01، جانفي 2023، ص 79.

برز الاختلاف بين الصوفية والإصلاحيين بعد أن سيطر العلماء على المشهد الديني في الجزائر، وبعد أن أعلنوا جهاراً أن هدفهم هو تنقية الإسلام من البدع وتكريم الأولياء وتقديسهم، الأساس الذي تقوم عليه الطرق فقد أصبحت الطرق الصوفية في هذه المرحلة أقل تأثيراً لعدة ظروف من أهمها الهجوم الواسع والخطاب المنغم بالسخط على ممارساتها التي أصبحت توصف بالتخلف والجهل، والأكثر من ذلك تجنيدها للصالح الفرنسي إذ صرح ضباط الشؤون الأهلية الفرنسية بأن "القادرية والرحمانية والشاذلية، لم تعد تهدد النظام الاستعماري منذ سنوات وبأن الملاحظين يمكنهم أن يسجلوا بأن العديد من المقدمين والشيخوهم وسطاء بين الإدارة الفرنسية والأهالي مما ينقص من شأنهم لدى الأهالي"¹.

وأحد أهم الخطابات الساخطة خطاب الإصلاحي الطيب العقبي الذي ذكرنا سابقاً أنه تلقى تكوينه الإصلاحي بالحجاز، إذ كان محسوباً على التيار السلفي داخل الجمعية، وقد عبر عن رفضه وكرهه للممارسات الصوفية كما أصر على محاربتها قائلاً "لا أخاف أحداً إلا الله... ولا أخاف أحداً ولا أستسلم لأصنامكم ولن أطوف قط بضريح... ولن أضع قماشي على قبر وأحج إلى مقابر، ولا أقدم أضاحي لأحد... ولا أخاف الموتى ولا أعبدكم فكل ذلك شرك"²، بالمقابل كان إتهام الصوفية لجمعية العلماء المسلمين أنهم "فئة مغرورة تنشر الوهاية وتزيّتها في قلوب العامة السذج وقامت بالدعاية لنشرها في حفلاتهم ودروسهم"³، وبقي المنظوران هذين قائمين إلى اليوم في حالة تضاد يخيم على المشهد الديني في الجزائر ويتجدد مع مناسبات مختلفة على غرار المولد النبوي الشريف.

نعود إلى الأستاذ علي الكنز في دراسته للإسلام والهوية أنه وصف الشكلين السابقين من الدين في الجزائر؛ فالإسلام الصوفي بالنسبة لديه وخاصة في المرحلة المعاصرة يعتبر إسلاماً "غير المرئي بسبب طقوسه الدينية التي تحميه... لأنه مفتوح فقط لأتباع الأصوليين، إنه إسلام المجموعات الطرقية القريبة من الصوفية... هذا النوع يحاول الابتعاد عن الحياة اليومية والاعتزال داخل الحياة الروحية"⁴، أما الإصلاحي فقد ساء "الإسلام الأرثوذكسي" أو التقليدي أو إسلام رجال الدين الذي نتج تاريخياً عن جمعية العلماء المسلمين، حيث أنه إسلام مرتبط بالمعارف الدينية والممارسة المعرفية للنصوص الدينية، ولا يرفض أن يستعمل من طرف الدولة، كما أنه مرتبط بالمعارف فهو منتشر بين المدرّسين والمربين.

ولا يتوقف الكنز هنا بل أنه يرى أن هناك شكلاً آخر للإسلام في الجزائر وهو الإسلام الشعبي الذي قصد به الكنز "التدين الشعبي ذو الخصائص التوفيقية والوظائف الاسترضائية، علاقته ضعيفة بالتأويل النصي المكتوب وهو أكثر تفتحاً من أنواع الإسلام الأخرى حيث يتكيف مع دعاة التغيير الاجتماعي، أنه إسلام لغة الحياة العملية، وبالنسبة للطبقات الشعبية يعتبر هذا الإسلام هو منظم الاندماج داخل الحركة الاجتماعية"⁵، فلا هو تدين مرتبط بالسلطة والسياسة، ولا هو تدين معرفي خاص برجال الدين، بل هو تدين يمثل غالبية الجزائريين، وبما أنه الشكل الأكثر عرضة للتأثر بموجات التغيير الاجتماعي

¹ فيليب لوكا وجون كلود فنان، ترجمة: محمد يحياتن وآخرون، جزائر الأثروبولوجيين: نقد السوسولوجيا الكولونيالية، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال - وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002، ص 28.

² بيران بن شاعة، مرجع سبق ذكره، ص 38.

³ المرجع نفسه، ص 39.

⁴ علي الكنز، حول الأزمة: 5 دراسات حول الجزائر والعالم العربي، مرجع سبق ذكره، ص 107.

⁵ المرجع نفسه، ص 106.

ليس الداخلي منه فحسب بل الخارجي كذلك، فإن تأثيره وتأثير المدينين به -وهم الأغلبية كما أشرنا- بموجة العولمة والتدفق الثقافي الذي يصاحبها مشعبا بممارسات وتصورات منافية للدين الصحيح هو من أكبر الأزمات التي يمكن أن تهدد هذه المرجعية الهوياتية، وسواء من حيث التضاد بين الصوفية والسلفية داخليا أو مقاومة المد العولي خارجيا، تلعب التقنية والانفتاح على العالم من خلالها هنا دورا محوريا سواء في الحد منها أو من حيث تأجيحها وتصعيدها.

أما من حيث المذاهب فرغم أنه لا توجد إحصائيات ثابتة ورسمية، إلا أن الغالبية العظمى من الجزائريين المسلمين هم على مذهب أهل السنة والجماعة، كما يذهب معظمهم بفقهاء المذهب المالكي بالإضافة إلى المذهب الحنفي والإباضي بوادي ميزاب¹، على أن حرية ممارسة العبادات مضمونة دستوريا في الجزائر وتدرس في إطار احترام القانون أين "تضمن الدولة حماية أماكن العبادة من أي تأثير سياسي أو إيديولوجي"².

• اللغة الوطنية كمرجعية للهوية الوطنية الجزائرية:

في بدايات القرن العشرين وخلال دراسته لأدوار ووظائف الممارسات والتفاعلات بين الأفراد والجماعات، درس الأنثروبولوجي برونسيلاف مالينوفسكي "اللغة" ووظيفتها، ورجع إلى أنها تلعب أدوارا أخرى مهمة غير الأدوار التواصلية، فهي التي تؤسس لروابط الهوية المشتركة بين الناس وأطلق عليها مصطلح المشاركة الوجدانية، أين انتبه إلى وجود عبارات في اللغة لا تعني بالضبط الكلمات التي تتكون منها بل إنها تنجز وظيفة اجتماعية بالأساس، مثل: التحية والاستفسار عن الصحة الذي لا يشير إلى المدلول السطحي للسؤال، بل غرضه التعبير عن حاجة اجتماعية تتمثل في خلق الروابط وتمتينها، فاللغة بهذا تتجاوز دورها التواصل المحض ذي الطبيعة البراغماتية إلى أدوار أخرى نفسية وعاطفية ذات طابع هوياتي بامتياز، فيعيدنا هذا إلى قول فيخته "الذين يتكلمون اللغة نفسها ينتمون إلى جسد واحد وهم كل طبيعي لا يمكن فصله"³، واللغات هي صور وجود الأمم بمعارفها وأفكارها ومعانيها ف"الشعوب تفقد حياتها ويمحي كيانها عندما تفقد لغتها ويتحول أهلها إلى ناطقين بلغة غيرها"⁴، فللمكون اللغوي دور أساسي في تعريف الأمم وإعطائها هويتها المميزة.

تحوز اللغة كمرجعية للهوية الجزائرية قدرا عاليا من الأهمية، سواء في ماضيها القديم في العلاقة بين العرب بالبربر، تاريخها الاستعماري الذي استغل ذلك ليفرق لمة الجزائريين، وحاضرها الذي تشكل فيه المسألة اللغوية نقاشا يعاد فتحه كل مرة ويمتد ليصبح نقاشا عرقيا. وضمن تطور تاريخي طويل المدى؛ وضمن عدد كبير من الهجرات والتوسعات، الفتوحات والاستعمارات -التي تعد شكلا باكرا من أشكال العولمة-، منها مجيء الفينيقيين وتأسيسهم مراكز للتجارة على سواحل قرطاج 814 ق.م، الفتوحات الإسلامية 670-710م وما أعقبها من هجرة الهلاليين إلى المغرب، وكنتيجة لهذه الموجات من التثاقف والأحداث

¹ للمزيد حول المذاهب في الجزائر تاريخيا وتحديدا المذهب المالكي، أنظر: مسعود فلوسي، "المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد. 01، العدد. 01، 2004.

² الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية"، مرجع سبق ذكره، المادة 51، ص 14.

³ محمد الكوخي، سؤال الهوية في شمال إفريقيا، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 124.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 42.

التاريخية التي مرّت على الجزائر، أصبح المشهد اللغوي الجزائري يتكوّن من لغات، ولهجات والتراكيب اللغوية، يمكننا عرضها كما يلي:

أ. **اللغة العربية الفصحى:** من بين أهم العوامل المؤثرة في تشكل المشهد اللغوي في الجزائر كما ذكرها هو الإسلام، والذي أفرز قدومه ظاهرة ثقافية تسمى الاستعراب أو التعريب الذاتي، أي اكتساب اللسان العربي عن رغبة ذاتية وتقبل ذاتي نتيجة التفاعلات الاجتماعية والانتماء الروحي إلى الإسلام، وأخذت هذه العملية محطات عديدة أهمها:

- **الأولى:** لما قدم العرب المسلمون فاتحين إلى بلاد المغرب والذي انتشرت من خلاله "اللغة العربية في المدن التي أصبحت مع مرور الوقت بيئات يغلب عليها الطابع العربي مثل مدن قسنطينة، ميلة، سطيف، بلزمة، تيبهت وتلمسان وتنس، وإن ظل اللسان البربري سائدا في الأرياف"¹، أين اختلط اللسانان معا وبدأت اللغة العربية في الانتشار في هذه المرحلة لأسباب عديدة أهمها أنها لغة الدين الإسلامي، فكان الذي يدين بدين الإسلام يستعرب لسانه كليا أو جزئيا بالضرورة.
- **الثانية:** التغرية الهلالية في القرن الحادي عشر، والتي قدم من خلالها ما يتراوح بين 15000 و 25000 من العرب، والذين قصدوا البوادي لتشابه نمط حياتهم السابق بنمط الحياة فيها، واختلطوا بأهلها وساهموا من خلال ذلك في نشر اللسان العربي، رغم أن العديد من المؤرخين رأوا أن قدومهم أحدث فوضى في النظام السكاني الجزائري.
- **الثالثة:** الشتات الأندلسي في بلاد المغرب والجزائر بين القرنين الرابع والخامس عشر إلى السابع عشر، والذين ساهموا بنشر العربية في مدن ذات لسان بربري لم تكن قد وصلت إليها العربية سابقا، أي الساحلي منها على غرار: آرزو، تنس، شرشال، آزفون وبجاية².

فكانت هذه المراحل بمثابة تثاقف ذاتي نشر اللسان العربية في المدن الكبرى، ثم البوادي ثم المدن الساحلية، وتواصلت حركة الاستعراب في الجزائر وامتزاج العرقين واللسانين العربي والبربري في المرحلتين العثمانية والفرنسية، وإعادة ترتيب السكان ضمن حملات الفصل لاستخلاص الجباية، وعلاقة القبائل العربية (قبائل المخزن) مع البايك خاصة في مناطق الوسط وشمال الأوراس، زادت من امتزاج اللسانين، وفي المرحلة الاستعمارية التالية ورغم محاربة الاستعمار للسان العربي وزرع الشقاق بين العرقين إلا أن تطبيق قوانين مثل الأندجينا، والمحرقات والتجويج والتهجير زاد من وحدة وانتظام صفوف العرب والبربر مقابل الاستعمار، حين اضطر البربر إلى ترك الجبال والتوجه نحو تجمعات المدن الكبرى، واضطر العرب بدورهم إلى قصد الجبال للجهاد أو اللجوء من السياسات التصفية الاستعمارية، وصارت لغتهما ولسانها هو "الدارجة الجزائرية" أو العامية التي تجمع بين

¹ ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 338.

* سميت تغرية وليس وفودا أو حتى هجرة لأن قدومهم كان قسرا إلى بلاد المغرب، يقول أحمد توفيق المدني: "إنما هم أحفاد العرب الذين قدموا مهاجرين أيام الدولة الحمادية الصنهاجية وقد أراد الخليفة الفاطمي المستنصر أن ينتقم من أمراء صنهاجة الذين اعترفوا بخلافة بني العباس، وأراد أن يتخلص من العرب الذين كانوا يتوافدون من جزيرتهم على مصر... فأمرهم بمغادرة البلاد والذهاب إلى بلاد المغرب... فكان قدومهم نقمة في طيها نعمة، لأن قدومهم أوقع في بادئ الأمر اضطرابا في البلاد، إلا أنه قد وُجد توطيدا أبديا قدم الإسلام والعرب في هذه الأوطان"، أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة الإسلامية بالجزائر، الجزائر، 1931، ص 129.

² ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 338 - 339.

عربية فصحي وألفاظ بربرية، والتي أصبحت "لغة كل الاهالي المسلمين في أرض الجزائر سواء كانوا من العرب أو البربر أو غيرهم واللغة العربية الفصحى هي اليوم عندهم جميعا لغة النهضة والتفاهم العلمي والاجتماعي"¹. ومما جعل اللغة العربية الفصحى تحافظ على قيمتها وكذا اعتبارها مرجعية أساسية للهوية الجزائرية:

- عمقها التاريخي والجغرافي، فهي أقدم اللغات المنطوقة والمكتوبة منذ مئات السنين في قسم كبير من قارتي آسيا وأمريكا خاصة عن طريق الإسلام، فالعامل الديني ساهم في نشرها والمحافظة عليها حيث حدّ قوة من عامل العرق مقابل عامل العقيدة.
- أنها بقيت على العموم هي نفس اللغة التي كتبت بها العلوم قديما حتى القرن الرابع عشر ميلادي فلم تمنع فتن، ولا تفكك سياسي أو عدوان خارجي من بقائها على حالها.
- استقلاليتها من ناحية اللسان والكلام؛ قابليتها للتعبير والمطاوعة والمرونة التي تميز اللغات السامية بما فيها البربرية المتداولة في شمال إفريقيا².

وغيرها من الأسباب الدينية، التاريخية، الجغرافية، الاجتماعية الإثنية التي جعلت اللغة العربية الفصحى مكونا هوياتيا يعرّف به الأفراد الجزائريون أنفسهم، أين تمثل اللغة الأولى للدولة، في مراسيمها، موافقها وبياناتها، خاصة أن الدستور الجزائري يلح على تعميم استعمالها في شتى الميادين العلمية والتكنولوجية والتشجيع على الترجمة إليها، هذا وطنيا، وحتى عالميا تعتبر العربية الفصحى اللغة التي يُنطق بها باسم الجزائر في المحافل والمجالس الدولية، ولكل ما سبق ننتهي إلى قول ابن خلدون: "اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها، أو المختلطين لها، ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية"³.

ب. تمازجت وتفرعاتها اللهجية الجهوية: رغم السجلات الدائرة حول مدى اعتبارها لغة بالمعنى النحوي والصرفي للغات، فإن البربرية (تمازجت باللغة الدستورية)، ورغم وجود أطروحات مثبتة علميا بأن اللسان البربري هو مثل المصري ذو أصل حامي (غير متوسطي) وأنه واللغة العربية من أصل سامي- حامي واحد، إلا أن المثبت أيضا أن البربر سبقوا العرب في التواجد في الجزائر، ولسانهم أسبق من اللسان العربي فيها.

وللبربرية عدة تفرعات جهوية فهي ليست واحدة، إضافة إلى اللهجات التي لا تزال موجودة بقوة وهي: لهجة منطقة جبال الأوراس (تشاويث، لهجة زناتية)؛ لهجة منطقة القبائل بالقبائلية (ثقباليث)؛ لهجة منطقة شنوة (تشنويث، لهجة قريبة للزناتية)، وكذا مجموعة أصغر بمنطقة ندرومة بتلمسان يتحدثون لهجة قريبة للشلوحية (لهجة أطلسية)⁴، انتهى الراصدون للهجات البربرية إلى إحصاء ثلاث عشرة لهجة بربرية صغيرة خاصة بمناطق معينة أغلبها غير موجود حاليا لمخالطتهم العميقة للعرب وهي: تاقورايت، آرزيو، بني سنوس (ناسوسنت)، تاسمسيلت (الونشريس)، تازناتيت (تيميمون)، تاديكلت (عين صالح)، تاقراقرانت (بورقلة)، توغرت، قصر بسمغون، إضافة إلى المجموعتين الصحراويتين الكبيرتين وادي ميزاب: والتوارق

¹ أحمد توفيق المدني، مرجع سبق ذكره، ص 142.

² محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، مرجع سبق ذكره، ص 358 - 359.

³ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 415.

⁴ ميمونة مناصرية، "هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة من منظور أساتذة جامعة بسكرة"، مرجع سبق ذكره، ص 297.

(تاماشيك)، بكاف الهقار (تامراست) وكاف أجبر (جانت)¹. وقد تمّ دستوريا إعلان تمزيغ لغة رسمية ووطنية مع الحرص على ترقيتها وتطويرها، بكل هذه التوسعات اللسانية.

وانحسار استخدام أغلب هذه اللهجات ليس ناتجا -كما يؤمن البعض من يدعم أطروحة السكان الأصليين والاحتلال الإسلامي للمغرب- عن سياسية الدولة في رفض التعدد والاستعراب القسري، وعزل اللهجات البربرية، بل أن الواقع الجزائري وتفاعل الجزائريين عبر الزمن أوجد جنسا عربيا -بربريا من حيث الأصول العرقية لكنه يعبر عن نفسه بلسان عربي دارج لا ينافي أو يعادي اللسان البربري في تكامل لبنية المجتمع الجزائري، "بأصولها البربرية وهويتها العربية وعقيدتها الإسلامية التي لا تتنكر للبربرية بل تحتويها بصفاتها أحد المكونات الرافدة للشخصية الجزائرية"²، أما عن انحسار اللسان فراجع لأسباب الاستعراب التي ذكرناها سابقا، وإلى أن القبائل البربرية كانت معزولة في الجيوب الجبلية المعزولة فلم تتفاعل مع غيرها من العرب، ولم تنقل لغتها أو تعد إنتاجها بالشكل الذي يحافظ عليها.

ج. الدارجة الجزائرية: The dialect تعني "واحدة من أساليب الكلام المترابطة، والتي تعتبر منحدره من أصل مشترك؛ أو لغة يُنظر إليها من خلال علاقتها باللغات الأخرى من نفس العائلة؛ فهي اللغة الخاصة بمنطقة أو طبقة معينة، كما أنها لغة متميزة عن اللغة الأدبية المقبولة عموماً، أو الخطاب العلمي للمتعليمين"³، بما أنها اللغة التي يستخدمها مجموعة من الأشخاص من نفس المنطقة والطبقة في حياتهم اليومية، بحيث يوفر لهم اتّماؤهم إلى تلك المنطقة وفي تلك الفترة من الزمن قدرة على فك شيفرة هذه اللغة، فهي مزيج من اللغة الأم ولغات أخرى أو اللغة الغالبة وما خالطها من لغات عبر الزمن، فالدارجة الجزائرية إذاً هي الأسلوب اللغوي الذي يستخدمه الجزائريون عموماً في حياتهم اليومية كلغة شعبية، وهي مزيج مستمد من العربية الفصحى، البربرية بلهجاتها، الفرنسية ولغات أخرى، فيمكننا أن نلاحظ على اللهجة الجزائرية أنها:

- تحوير لهجي للعربية الفصحى، مع إضافة حروف معينة للتعبيرات معينة للنفي مثلاً تضاف الميم في البداية والشين في نهاية الكلمات (لم أكتب = مكتبتش)، ولوصف فعل المفرد تضاف نون الجماعة في البداية بدل الألف (أكتب = نكتب)، وغيرها من التحويرات التي تُبقي الكلمات نفسها لكن تضيف عليها (أو تحذف) خصوصيات معينة.

- هي نتاج لتراكيب لغوية وصوتية مما مرّ على الجزائر أو وفد إليها من مصطلحات وأصوات، فحرف القاف يختلف نطقه في المناطق الجزائرية، ونطقه يتراوح بين حرفي القاف والكاف وما بينهما (ف) وهو من العربية غير الفصحى كما يقول ابن خلدون^{*}، والتركية نتاجاً للعلاقة مع الدولة العثمانية كلمات: قهواجي، خزانجي، تبسي (الطبق) Tepsi.. والاسبانية

¹ ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 352.

² المرجع نفسه، ص 353.

³ William Dwight Whitney (Editor), Part VI, Opcit, p 1590.

* يقول ابن خلدون في المقدمة: "وما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الأقطار شأنهم في النطق بالقاف؛ فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار، كما هو مذكور في كتب العربية، أنه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى. وما ينطقون بها أيضاً من مخرج الكاف، وإن كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الأعلى كما هي، بل يجيئون بها متوسطة، الكاف والقاف، وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق؛ حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال ومختصاً بهم لا يشاركون فيها غيرهم. حتى إن من يريد التعرّب والانتساب إلى الجيل والدخول فيها يحاكمهم في النطق بها"، انظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 635.

كنتاج للعلاقة مع الدولة الأموية في الأندلس والشتات الأندلسي في الجزائر بابور Babor، دورو Duro، بلوزة Blusa وغيرها الكثير والتي أثرت حتى على نطق بعض الحروف من العربية كالتاء بدل الطاء (الطاقة = التافة)، والفرنسية كنتاج للاستعمار الفرنسي، حيث غزت الكلمات الفرنسية سليمة أو المعربة اللهجة الجزائرية (السوق = مارشي le marché) التي خالطت اللسان الجزائري حتى أصبحت تطبق عليها قواعد النحو والصرف العربيين وإضافة "ال" التعريف (المارشي)، وجمعها جمعا مؤنثا سالما (المارشيات).

• نلاحظ أيضا أن اللهجات والأصوات الجزائرية تتأثر بمدى اقترابها أو ابتعادها عن حدود الدول المجاورة، فلهجات أهل الشرق أقرب إلى التونسية والجنوب الشرقي أقرب إلى الليبية ولهجة أهل الغرب أقرب إلى لهجة المغرب الأقصى، ذلك أن اللهجة هنا لا تتأثر بالحدود الجغرافية بل بالحدود الثقافية، وربما لكل هذه الأسباب تتصف اللهجة الجزائرية بأنها من أصعب اللهجات في الوطن العربي، ذلك أن لديها خصوصيات عديدة لم تشهدها دارجة عربية أخرى.

ويقول ابن خلدون عن اختلاط لغات الأم، أن اختلاط وتمازج اللسان العربي بالبربري في بلاد المغرب الكبير خلق لغة أخرى تعتبر مزيجا بينهما فقال: "أما إفريقيّة المغرب، فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم لوفور عمرانها بهم، ولم يكد يخلو عنهم مصر ولا جيل؛ فغلبت العجمّة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم، وصارت لغةً أخرى ممتزجة"¹، هذه اللغة الممتزجة هي في هذه الحالة الدارجة.

د. اللغات الأجنبية: تشكل اللغات الأجنبية جزءاً مهماً من المشهد اللغوي في الجزائر، خاصة اللغة الفرنسية منها لأسباب تاريخية، فعلى الرغم من اعتبار اللغة العربية رمزا وطنيا ووضوح مواقف شخصيات الحركة الوطنية وزعماء الإصلاح والمناضلين باسم الجزائر بشأنها، إلا أن تجذر اللغة الفرنسية بدأ من قنوات بعض أفراد النخب الجزائرية المثقفة باللغة الفرنسية أن الوطنية الجزائرية لا تستلزم بعدا حضاريا وثقافيا عربيا ورفضهم حقيقة أن الظاهرة الاستعمارية الفرنسية هي ظاهرة هادمة للحضارة وقاهرة للهوية، وكان هدفهم في النضال ضد المستعمر نابعا من الرغبة في المساواة مع الفرنسيين والأوروبيين واكتساب ميزاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فكان نتاجا لذلك تجاوز مسألة اللغة العربية باعتبارها مكونا للهوية الجزائرية.

وقد سعى الداعمون لهذا التوجه من جزائريين وفرنسيين إلى "إضفاء صبغة وطنية وشرعية نضالية على النخب الفرنكو-جزائرية، هدفها توطين الثقافة الفرنسية بين الجزائريين، وإعطائها صبغة محلية. وفي هذا السياق، اجتهد كثير من الدراسات الفرنسية من أجل تجاوز غياب الجانب الثقافي الأصيل في مواقف هذه النخب، وأغفلت تنكرها لأصالة الشعب الجزائري، وعملت على دمجها في سيرونة التاريخ الجزائري خلال الفترة الاستعمارية"²، هذه السياسة التي آتت أكلها رغم وعي الجزائريين بأن اللغة تعد أحد أهم مظاهر المقاومة إلا أن اعتمادها في الأنظمة التعليمية، ورماس الحركات السياسية والخطابات والمواثيق أدى إلى تكريسها والاكتفاء بالعربية كمرجعية نظرية للجزائر.

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 637.

² ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 46.

واستمر المشهد إلى ما بعد الاستقلال الجزائري بجعلها اللغة الأساسية في الإدارات والمعاملات والتعليم، خاصة أن الاستعمار كان قد عمل على إبعاد النخب المعربة من المجالات العلمية والعملية، ورغب تفعيل التعريب وإنشاء لجنة وطنية للتعريب، وقوانين تعميم استعمال اللغة العربية، ونشاطات مثقفين ورجال مثل نايت بلقاسم إلا أن هناك معوقات حالت دونه أهمها: "غياب مشروع وطني يؤسس للمجتمع والدولة في الجزائر اعتمادا على اللغة العربية؛ انعدام خطة محكمة لتنفيذ التعريب وتحوله إلى مبادرة تطوعية وردة فعل ثورية آنية؛ ضعف الوعي بالدور اللغوي لدى النخب المعربة، الاستلاب اللغوي الذي اتسم به الفرنكفونيون"¹. مع ذلك فإن هناك موجة اتجاه قوي نحو التعريب خاصة في الأجيال اللاحقة التي أصبحت العربية فيها أداة التعبير الشعبي ووسيلة للتفاعلات الاجتماعية.

أما اللغة الإنجليزية فوروّدها إلى الجزائر ومخالطتها بألفاظها للسان الجزائري، هو نتيجة مباشرة لمجموعة من العوامل، منها ما هو علمي وأكاديمي، منها ما هو تقني، ومنها ما هو تاريخي وسياسي، وتتمثل هذه العوامل في:

- العولمة اللغوية للغة الإنجليزية باعتبارها اللغة الأولى للتواصل فعليا ورقميا والانفتاح على العالم؛ حتمية تعلم اللغة الإنجليزية في ظل توسع استخدامها العلمي والأكاديمي؛
- وكذا ما تشهده الجزائر مؤخرا من توجه نحو اللغة الإنجليزية مقابل اللغة الفرنسية، ليس فقط على مستويات عليا من الإدارات والمصالح كالتعليم العالي والبحث العلمي، لكن حتى مستوى الأنظمة التعليمية من خلال تعميم التدريس للغة الإنجليزية على جميع الأطوار بما فيها الطور الابتدائي، حيث تم الأمر رئاسيا باعتماد اللغة الإنجليزية، بدء من الطور الابتدائي²، وتثبيت تعليمها ابتداء من السنة الثالثة، وكذا فتح تخصص أستاذ التعليم الابتدائي للغة الإنجليزية بالمدارس العليا³، وهذا ما يعبر عن المسعى السياسي والثقافي للانعتاق من اللغة الفرنسية.

• الوطنية كمرجعية للهوية الوطنية الجزائرية:

تعني الوطنية الالتزام الناتج عن الانتماء إلى أمة ووطن معين كشعور وممارسة⁴، فالشعور متعلق بحب الوطن والتشبث بخصوصياته ومكوناته، والرغبة في أن يُعرّف الفرد هوياتيا من خلاله، والممارسة متعلقة بالحفاظ على تلك المكونات، تكرسها والكفاح من أجلها، ومن أهم تفسيرات الوطنية كشعور وممارسة: أنها شكل من أشكال التفاعل في المجتمعات التي انهارت فيها الأنماط التقليدية للتنظيم الاجتماعي؛ نتيجة تغيرات اجتماعية، كذلك التي يحدثها الاستعمار⁴، فالوطنية رد فعل عكسي تجاه محاولات تجريد أمة ما من وطنها وكل ما يرمز إليه، لذلك يمثل الاستعمار الفرنسي للجزائر نقطة فاصلة أقامت فكرة الوطنية الجزائرية على غاية موحدة وهي بعث الدولة الجزائرية والمحافظة على ثوابتها واسترداد العناصر المكونة لهويتها، فترتبط الوطنية في الجزائر ارتباطا وثيقا بتاريخها. فهي المكون الهوياتي الذي يلغي اختلافات المكونين السابقين، فحتى في اختلاف المرجعية الدينية،

¹ ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 498 - 502.

² رئاسة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "بيان مجلس الوزراء ليوم الأحد 91 جوان 2022"، مجلس الوزراء، الجزائر، 2022، ص 3.

³ رئاسة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "بيان مجلس الوزراء 2023-05-28"، مجلس الوزراء، الجزائر، 2023، ص 4.

* أنظر المطلب الأول من الفصل الثاني.

⁴ Nicholas Abercrombie, Stephen Hill and others, Opcit, p 260.

وحتى عند عدم الاتفاق حول المسألة اللغوية في الجزائر، يبقى شعور الوطنية تعبيرا عن إرادة الجماعة المكونة من أفراد تجمعهم الرغبة في العيش معا.

ويرتبط الانتماء إلى الأمة الجزائرية بالانتماء إلى بعديها الزماني والمكاني، حتى وإن ظهر على أنها عاملين خارجيين لا يرتبطان بالشعور بالحب تجاه الوطن، إلا أن رجوعنا إلى تعريفات الهوية والهوية الوطنية على أنها "التوليف بين القوى الداخلية والخارجية"، يثبت أن الارتباط بعوامل خارجية ترمز إلى الوطن يزيد من الشعور بالوطنية، ويقولنا العوامل الخارجية تعني ما نتج عن الزمان من تفاعل مع الأحداث أنتج رموزا كالعلم الوطني والنشيد ومن تاريخ اجتماعي وثقافي وسياسي، وما نتج عن المكان من توقع استراتيجي ومواقع تراثية وأماكن للذاكرة ووحدة تراثية لا تتجزأ، وربما يعتبر حمل العلم الوطني في المناسبات المختلفة حتى لو تكن تاريخية دليلا على اعتبار هذه الرموز الوطنية أدوات تثبت الهوية الوطنية الجزائرية.

ونجد الدستور الجزائري ينظم شعور الوطنية في علاقة واجبات حقوق متبادلة بين الجزائري ووطنه، فمقابل توفيرها مختلف الحقوق وكذا السلطة والسيادة إذ أن "الشعب مصدر كل سلطة، والسيادة الوطنية ملك للشعب كله"¹، فإن على المواطن أيضا أن "يحمي ويصون استقلال البلاد وسيادته وسلامة ووحدة شعبها وجميع رموز الدولة وتراثها الوطني"²، وهذه العلاقة التبادلية للحق والواجب بين الدولة والمواطن تحيلنا إلى مفهوم يرتبط بالوطنية، فإذا كانت الوطنية شعورا والتزاما فإن الصفة المتأتية عن هذا الشعور هي **المواطنة**. والتي تعني "صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماءه إلى وطنه"³.

وتتجلى قيم المواطنة فيما هو أخلاقي قبل ما هو سياسي، فرغم أنها رابطة تنمو بالوعي السياسي الذي يحدد هوية المواطنين ويجمعهم على التساوي عرقيا، لغويا وثقافيا، فهي تقوم على عقد وطني تتوافق عليه الجماعة مهما كان شكل هويتها الوطنية مدنيا، عرقيا أو مناطقيا، وأهم هذه القيم هي:

- **الولاء:** يعني الولاء في هذا السياق العمل على المحافظة على الدولة وأمنها وهويتها داخليا وخارجيا، وعدم التفريط في واجب الإخلاص نحو الوطن، وهو عقد اجتماعي توافقي إرادي، أي أنه غير محدد بإجبار بل بنوع من الاعتراف، فالولاء للوطن "ليس غيابا أو تغييبا للهوية أو الذات، بل هو إقرار بالهوية الثقافية للذات أو المواطن، وإقرار بموضوعية للسلطة التي يدين لها بالولاء"⁴، فالولاء ركن من أركان الانتماء الجوهري الذي تُفسر من خلاله الوطنية كشعور والمواطنة كممارسة.
- **السيادة:** ذكرت المادة الدستورية السابقة أن المواطن منوط بحماية سيادة بلاده، ذلك أن الدولة دون سيادة هي دولة عاجزة عن تحقيق واجباتها وإيفاء المواطنين حقوقهم، والمحافظة على السيادة من منطلق الوطنية لا يعني السيادة السياسية فقط بل تمتد إلى سيادة على مكونات الهوية الوطنية، التاريخ والدين واللغة التي يجب على المواطن الحفاظ عليها، فمرجعية اللغة مثلا تحتل مكانة مهمة في تكوين الشخصية الجزائرية "من منطلق أن السيادة السياسية لأن شعب من الشعوب

¹ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية"، مرجع سبق ذكره، المادة 07، ص 7.

² المرجع نفسه، المادة 79، ص 18.

³ شريف الدين بن دوية، نهاية المواطنة: من قيد الجغرافيا إلى إطلاق الافتراض، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 26.

⁴ المرجع نفسه، ص 35.

تنتفي في غياب سيادة ثقافية فالنسق اللغوي هو الذي يسمح لأمة ما بالتواصل وتشكيل هوية سياسية ويسمح لها ببلورة هويتها الذاتية¹.

• **المشاركة:** وتعني "القيام بعمل تطوعي من جانب المواطن مع غيره من المواطنين، بهدف تأثيره على اختيار السياسات العامة وإدارة الشؤون العامة، أو اختيار القادة السياسيين..²"، كالانتخاب مثلا أو غيره من الممارسات التي يشارك من خلالها المواطن بدافع الوطنية، إذ يؤدي الشعور الوطني دورا محميا في تفعيل الوعي بالذات، وفي الرغبة والقدرة على المشاركة السياسية أو الوجدانية اللتان تعتبران حقا وواجبا.

• **الدفاع عن الوطن:** مقابل اعتبار الحريات والحقوق التي يتمتع بها المواطن، واعتباره مصدرا للسيادة، فإنه ملزم بواجبات يقوم بها، فمادة أخرى من الدستور الجزائري، وضمن فصل الواجبات المتعلقة أيضا بالمشاركة، يجيء "التزام المواطن إزاء وطنه وإجبارية المشاركة في الدفاع عنه"³ كواجبين مقدسين ودائمين، والدفاع هنا بمعناه العام، الدفاع عن الحدود والخصوصية والتاريخ والثقافة والتراث خاصة في ظل التعدي عليه في ظل عدم حمايته على صعيد دولي، ففكرة الوطنية الجزائرية إنما قامت في بادئ الأمر وتأسست على رهان المحافظة على الثوابت ومصصلحة الشعب ووحدته، والسعي إلى استرداد عناصره الهوياتية وتقويتها.

وعلى الرغم من كل ما أشير إليه من قيم ومميزات للوطنية والمواطنة في الجزائر، إلا أن الملاحظ أن هناك تحديات قائمة وواقعية أمامها في الجزائر، وأهمها:

✓ **المناطقية والولائية:** رغم أن الدستور ينص "نظريا" على أنه "يحق لكل مواطن يتمتع بحقوقه المدنية والسياسية...أن يتنقل بحرية عبر التراب الوطني"⁴، إلا أن مظاهر المناطقية والجهوية لا تزال سمة بارزة ترافق الخدمات، المناصب، خطط التنمية...وهذه الظاهرة باتت تترجم أقوالا وأفعالا بين السكان الأصليين لمنطقة أو ولاية ما وبين القادمين، وهذا ما يترجم غياب حس المواطنة فيما يتعلق بوحدة الوطن، ويهدد العلاقة بين أفرادهم وعلاقتهم به⁵.

✓ **الطائفية والأزمة الإثنية:** هذا التحدي هو نتيجة لما سبق وأن طرحناه في المرجعيتين الأولى والثانية، إذ وعلى الرغم من أن الجزائر ليست طائفية بالمعنى الذي يقسم الوطن جذريا بين سنة وشيعة على سبيل المثال، إلا أن هناك مظاهرا تشي ببروزها على غرار أعمال العنف بين اتباع المذهب المالي والإياضي بريان بغرداية، المواجهات بين المسلمين والمتنصرين بتيزي وزو بمنطقة القبائل⁶، الصدامات بين الفرق والمناهج الإسلامية (الطرقية الصوفية والسلفية)، وغيرها من المظاهر؛ وعلى حد سواء الأزمة الإثنية التي لا تفتأ تتم تغذيتها بين العرقين العربي والبربري رغم اختلاطها لمئات السنين.

¹ ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، مرجع سبق ذكره، ص 47.

² شريف الدين بن دوبة، مرجع سبق ذكره، ص 40.

³ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية"، مرجع سبق ذكره، المادة 80، ص 19.

⁴ المرجع نفسه، المادة 49، ص 13.

⁵ منير مباركة، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة وحالة المواطنة في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ص 217 - 218.

⁶ المرجع نفسه، ص 221.

خلاصة:

خُصص هذا الفصل لعرض ومناقشة ومحاولة فهم أبعاد المتغير الثاني من الدراسة الحالية وهو الهوية الوطنية الجزائرية، ومن خلاله ولوضع الهوية الوطنية الجزائرية كنموذج لها في سياقاتها الفردية، الجماعية والمجتمعية والعالمية، مهدنا بالمرور أولاً بمعنى الهوية، من مستويات لغوية واصطلاحية مختلفة ووفق علاقتها بمفاهيم أخرى تمهد لنا فهم الهوية الوطنية. وللاقترب من ذلك نظرياً عرضنا أهم المداخل التي يمكن النظر إلى الهوية من خلالها بدءاً بأكثرها تجريداً وهي الفلسفة وانتهاءً إلى أكثرها وضعيةً وهو علم الاجتماع، ولأن الإنترنت بدأت عصراً اجتماعياً جديداً أنتج انزياحاً كبيراً نحوها ونقل مفاهيم عديدة إلى نطاق الافتراض بما فيها مفهوم الهوية -كما أنها تشكل جانباً جوهرياً من هذه الدراسة-، عرجنا على مفهوم الهوية الافتراضية وأهم أشكالها في عصر الإنترنت.

الهوية الوطنية هي شكل مهم من أشكال الهوية يجمع هويات الفرد والجماعة والمجتمع وصولاً إلى الأمة، وهي بالأساس موضوع الجزء الثاني من الفصل، الذي تدرّج في توضيح الكيفية التي ينتقل من خلالها الفرد من الانتماء إلى حدود ذاته إلى الانتماء إلى حدود وطنه، فانتقلنا إلى الوطن محل دراستنا؛ الجزائر وهويتها، التي بحثنا عنها ضمن مختلف الدراسات والأطروحات السوسيو-تاريخية حتى وصلنا إلى استخلاص أبعادها: الدين الإسلامي، اللغات الوطنية، والوطنية الجزائرية، وهي الأبعاد التي ستشكل المحاور الكبرى للفصول اللاحقة، فإذا كان ما سبق وطرحناه؛ توضيحاً للهوية في ثباتها، فكيف يمكننا القبض عليها في تحوّلها الرقمي؟ وإذا كانت أبعاد الهوية الوطنية الجزائرية في عصر الصلابة، عصر الهوية الوطنية الجماعية محددة بهذا الشكل، فكيف يمكننا رسم هذه الأبعاد ضمن هوية تطوعية في عصر العولمة؟ وضمن حياة شبكية فيسبوكية يفترض أنها توازي الحياة الفعلية؟ هذا ما سيتم البحث عنه في فصول الجانب التطبيقي من الدراسة.

الإحصاء الميداني للدراسة

الفصل الرابع:

التعريف بميدان وعينة الدراسة

مضمون الفصل:

تمهيد.

المبحث الأول: التعريف بموقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك".

المطلب الأول: موقع "فيسبوك": تأسيسه، ديموغرافيته، وآثاره.

- تأسيس موقع فيسبوك: من كتاب الوجوه إلى الميتافيرس.
- الآثار الاجتماعية لاستخدام موقع فيسبوك.
- ديموغرافيات مستخدمي موقع فيسبوك.

المطلب الثاني: تقنيات عرض الهوية الافتراضية عبر موقع "فيسبوك".

- الاسم على فيسبوك.
- الصورة الشخصية.
- المعلومات الأساسية.
- الأصدقاء، العائلة والحالة العائلية.
- الفلسفة والتوجهات.
- الفنون والهوايات والاهتمامات.
- **المطلب الثالث:** حالة موقع فيسبوك في الجزائر.
- الحالة الرقمية في الجزائر.
- ديموغرافية موقع فيسبوك الجزائري.

المبحث الثاني: التعريف بعينة الدراسة.

المطلب الأول: عرض ومناقشة بيانات الهوية الشخصية لعينة الدراسة.

المطلب الثاني: عرض ومناقشة بيانات الهوية الافتراضية لعينة الدراسة على موقع فيسبوك.

- أنماط وسلوكيات استخدام مفردات عينة البحث لموقع فيسبوك.
- بيانات الهوية لمفردات عينة البحث على موقع فيسبوك: الصورة، الاسم، البيانات الشخصية.
- هوية مفردات عينة البحث بين الافتراضي والفعلي.

خلاصة.

تمهيد:

"وفي معادلة الهوية تكتسي الأحداث أهمية، وكذلك الظروف، والمنظور، والمكان..
لأنها تحدد بالمقارنة مع الآخر.."

ماثيو أنجليكا، كيف تفكر كإنثروبولوجي، ص 173.

"..الشعور بالوجود كما لو كنت هناك مع شخص آخر أو في مكان آخر. الشعور
بأنك حاضر حقا مع شخص آخر، هو الحلم النهائي للتكنولوجيا الاجتماعية.."

مارك زوكربيرغ، خطاب المؤسس، 2021.

Mark Zuckerberg, **Founder's Letter**, 2021.

تتطلب دراسة الظاهرة الاجتماعية، سواء كان الهدف من ذلك قياسها وتفسيرها أو فهمها؛ وضعها في سياق محدد يضبط الظروف المحيطة بالظاهرة، ويجعل من أبعادها قابلة للتفسير والتحليل وذات معنى، فيحدد هذا السياق عادة بالمكان الذي تحدث فيه الظاهرة ويثبت فيه الحضور سواء فعليا أو افتراضيا، أي: ميدان الدراسة، وكذا الخصائص الذاتية، الآراء والمنظورات التي تصف أو تصدر عن المبحوث وهو موضوع الدراسة. وفي هذا الجزء من العمل، سنقوم بتقديم ميدان الدراسة الحالية، وهو موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك ومختلف ما يتعلق به من التقنيات التي تتيح للمستخدمين عرض ذواتهم وهوياتهم الافتراضية، كما سنقوم بعرض وتحليل خصائص عينة الدراسة، وهنا سيشتمل عرضها وتحليلها على جانبين:

- **الأول** متعلق بالبيانات التي تحدد الهوية الشخصية للمبحوثين والتي جاءت في المحور الأول من الاستمارة (محور البيانات الشخصية)؛ حيث سنحاول من خلالها لاحقا تحليل وتفسير ومناقشة، العلاقة والمدى الذي تؤثر من خلاله هويات المبحوثين الذاتية والوسطى على هويتهم الوطنية.
- **والثاني** متعلق بالبيانات التي تحدد هوية المبحوثين الافتراضية عبر فيسبوك كما جاء في المحور الثاني من الاستمارة (بناء الهوية الافتراضية عبر فيسبوك).

فيكون هذا الجزء من العمل متسلسلا من العام إلى الخاص، بداية من موقع فيسبوك كظاهرة عالمية وعولمية، حالة فيسبوك في الجزائر وفي الأخير، عرض ما يتعلق بعينة بحثنا.

الكلمات المفتاحية للفصل: فيسبوك؛ مواقع التواصل الاجتماعي؛ الهوية الذاتية؛ الهوية الوسطى؛ الهوية الافتراضية.

المبحث الأول: التعريف بموقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك".

منذ إنشائه عام 2004 والعديد من الدراسات تتخذ من موقع فيسبوك موضوعاً لها عبر مختلف التخصصات، إذ لا يزال يُعنى بالدراسات سواء الأجنبية أو المحلية كما لاحظنا سابقاً، فلماذا موقع فيسبوك؟ ما مدى قابليته لاستيعاب مفهوم الهوية؟ وما هي حالته في الجزائر؟ جاء المبحث الحالي ليجيب على هذه الأسئلة.

المطلب الأول: موقع "فيسبوك": تأسيسه، ديموغرافيته، وآثاره.

يعتبر موقع فيسبوك موضوع دراستنا أحد أهم مواقع التواصل الاجتماعي، فهو يتوسط جميع أنواعها من حيث التراء الإعلامي من جهة، ومن حيث الحضور الاجتماعي من جهة أخرى، ويجمع بين كل من الإفصاح عن الذات Self-Disclosure بالكشف المقصود أو غير المقصود عن المعلومات الشخصية التي تتوافق مع الصورة التي يرغب المرء في عرضها عن نفسه، وبين عرض الذات Self-Presentation بالكشف عن معلومات يتحكم من خلالها في الانطباعات التي يشكلها الآخرون عنه؛ من أجل هذا يشكل موقع فيسبوك ميداناً ملائماً للبحث للقبض على مؤشرات مفهوم الهوية باعتباره مجالاً لعرض الذات والإفصاح عنها، والمزج بين التراء الإعلامي ومنه عوامة المعلومات وبين الحضور الاجتماعي ومنه عوامة الهويات.

1. تأسيس موقع فيسبوك: من كتاب الوجوه إلى الميتافيرس.

تأسس موقع فيسبوك عام 2004 على يد كل من مارك زوكربيرغ وزملائه: داستن موسكوفيتش Dustin Moskovitz، كريس هيوز Chris Hughes، إدواردو سافرين Eduardo Saverin، في جامعة هارفارد في كامبريدج - ماساتشوستس في الولايات المتحدة الأمريكية¹، والذين يمثلون حالياً أهم المستثمرين في مجموعة ميتا Meta. انطلق موقع فيسبوك في البداية كخدمة ويب، تحت تسمية "thefacebook.com"، وقد كان مخصصاً للطلبة في جامعة هارفارد فقط كخدمة إنترنت داخلية تتيح لهم إنشاء صفحة ملف شخصي Profile تحتوي على معلوماتهم الشخصية الغرض منها الحفاظ على الاتصال فيما بينهم، وكانت المتطلبات الوحيدة للولوج هي: امتلاك عنوان بريد إلكتروني مهني ينتهي بـ harvard.edu، وأن يتجاوز عمر المستخدم 18 عاماً²؛ وسرعان ما وسع المؤسسون الموقع ليشمل جامعات أخرى من رابطة اللبلاب Ivy League واستمر هذا النمو بعد انتقال الشركة إلى بالو ألتو، كاليفورنيا، حيث تمت إضافة شبكات

¹Barney Warf (Editor), Opcit, p 367.

² يرجع أصل تسمية الموقع إلى ما يعرف بكتاب الوجوه، وهي الترجمة الحرفية لكلمة فيسبوك، وكتاب الوجوه دليل تنشره بعض الكليات والجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو عبارة عن كتب رسمية أو غير رسمية توصف الطلاب أو أعضاء هيئة التدريس أو الموظفين... بهدف مساعدة الطلاب على التعرف على بعضهم البعض وعلى هيئات الجامعة، ويتضمن ذلك صورهم وبياناتهم الشخصية وسيرهم الذاتية المختصرة بالصيغة الورقية، ثم انتقل الكتاب ليكون منشوراً على الإنترنت التي قدمت له عدداً من الميزات الجديدة، بما فيها حماية كلمة المرور ومعلومات أكثر تفصيلاً وفهرسة وبحث أكثر تقدماً وقدرة للأشخاص على تحميل وإدخال المعلومات والصور.

² Niels Brügger, "A brief history of Facebook as a media text: The development of an empty Structure", **First Monday**, Vol. 20, No.5, 2015, p 3, DOI: <https://doi.org/10.5210/fm.v20i5.5423>

"رابطة اللبلاب أو Ivy League مصطلح يشير إلى رابطة رياضية أمريكية تضم ثلثي جامعات بحثية خاصة في شمال شرق الولايات المتحدة، وأصبح يستخدم عادة خارج السياق الرياضي للإشارة إلى كليات النخبة ذات الدلالة على التميز الأكاديمي والانتقائية في القبول والنخبوية الاجتماعية، أعضاؤها: جامعة برينستون، جامعة براون، جامعة كولومبيا، جامعة كورنيل، جامعة دارتموث، جامعة هارفارد، جامعة بنسلفانيا، وجامعة ييل؛ وقد سميت هكذا لأن التظاهرات تضمنت زرع "نبات اللبلاب" كطقس احتفالي.

جامعية ومدارس ثانوية وشبكات عمل إضافية؛ وفي عام 2006 أصبح فيسبوك متاحًا للجميع¹، ثم تم بعد ذلك إضافة عناصر جديدة تسهل التعبير والتفاعل؛ ولتفادي الطابع السردى في ذكرها سنعرضها كرونولوجيا كما سيأتي:

• شهر أوت عام 2006، تم تحديث الموقع بإتاحة مساحة تسمح للمستخدمين بالتدوين على صفحة ملفهم الشخصي تحت تسمية "المدونة" أو "الملحوظات" Notes، إما عن طريق الكتابة مباشرة فيه أو عن طريق استيراد منشورات من مدونة خارج عالم فيسبوك؛ كما تمت إضافة منطقة كتابة صغيرة "حالي" Status لإخبار الآخرين بما كان المستخدم يفعله وفي نفس العام تم إطلاق مواقع الويب المعروفة باسم "صفحات الشبكة" والتي تُسمح للسياسيين الذين يترشحون للانتخابات النصفية في الولايات المتحدة في نوفمبر 2006 من خلالها بإنشاء صفحات ملفات شخصية استعدادًا للانتخابات، كما تم إطلاق تطبيق فيسبوك للهاتف المحمول.

• في جوان عام 2007، تمت إتاحة نشر الفيديوهات على فيسبوك Facebook Video، مما يسمح للمستخدمين بإضافة مقاطع فيديو إلى صفحة ملفاتهم الشخصية؛ وفي نوفمبر من نفس العام 2007، أصبح من الممكن لأي شخص إنشاء صفحات ملفات شخصية ليس فقط للأفراد ولكن أيضًا المطاعم والشركات والمؤسسات والمدافعين أو المناهضين لقضية ما.. وغيرهم، ومنه تم إطلاق خدمة "المتجر" Marketplace مما أتاح للمستخدمين الإعلان عن أشياء يريدون شراءها أو بيعها²، والجديد هنا هو أن فيسبوك قدم طريقة جديدة لإنشاء شبكات لا تستند إلى العلاقات المتبادلة بين طرفين من مالكي الملف الشخصي ولكن على علاقة أحادية الطرف.

• أبريل عام 2008، تم إدخال ميزة الدردشة التي تتيح للمستخدمين التواصل مع أصدقائهم في الوقت الفعلي، وإعادة تصميم صفحات الملف الشخصي (أنظر الملاحق من 09 إلى 12) ثم أصبح من الممكن إنشاء أنواع جديدة من الصفحات، بغض النظر عن صفحات الملف الشخصي.

• في الثلاث سنوات اللاحقة تمت إضافة العديد من عناصر التعبير والتفاعل الخاصة بالفيديو، ففي بداية عام 2009 إطلاق أول فيديو مباشر متدفق، تضمن تنصيب الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما (بالتعاون مع قناة CNN)، في أوت 2010، تم افتتاح خدمة "البث التلفزيوني" المباشرة Facebook Live، وفي جويلية 2011، أصبحت الدردشة المرئية الشخصية متاحة عبر خدمة "مكالمات الفيديو" بالتعاون مع تطبيق Skype³.

• أما بخصوص رموز التفاعل، أطلق فيسبوك أول رمز تفاعلي عام 2006 وهو رمز الإعجاب Like، ليتطور مع تطور فيسبوك إلى رموز تعبيرية أخرى تعبر عن الحزن، والفرح والحب وغيرها⁴.

• بعدها طرأت العديد من التحديثات على موقع فيسبوك، حيث تم إطلاق فيسبوك للرسائل Facebook Messenger والاستحواذ على شركات أخرى في مجالات التكنولوجيا والتواصل الاجتماعي، حيث استحوذت شركة فيسبوك على شركة

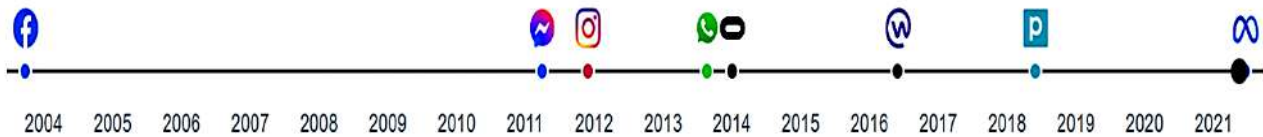
¹ Barney Warf (Editor), Opcit, p 3.

² Niels Brügger, Opcit, pp 5–6.

³ Ibid, pp 6-8.

⁴ Meta, "Our History", About Meta, accessed: 08-07-2023, at: 15:52, URL: <https://about.meta.com/company-info/>.

إنستغرام Instagram عام 2012؛ واتساب WhatsApp عام 2013، أوكولوس Oculus عام 2014، وأطلقت تطبيقاتها الخاصة التابعة لها بداية بـ "مكان العمل" Workplace عام 2016 وهو "يستخدم ميزات مألوفة مثل المجموعات والردشة وبث الفيديو المباشر لجعل الناس يتحدثون ويعملون معاً"¹؛ فهو تطبيق تنظيبي يوفر إمكانية التعاون عبر الإنترنت والمراسلة النصية ومكالمات الفيديو ومشاركة البيانات لتسهيل الاتصال في مكان العمل، كما أطلقت عام 2018 الشركة أرضية للاتصال عبر الفيديو مزودا بجهاز يدعى Portal، ثم أعلنت عن التوقف عن بيعه.



الشكل رقم (07): تطور شركة فيسبوك من كتاب الوجوه إلى الميتافيرس.

المصدر: . <https://about.meta.com/company-info/>, accessed on: 08-07-2023, at: 15:52, URL: Meta, "Our History", **About Meta**,

وفي إطار توجه الشركة إلى نقل تجربة التواصل الاجتماعي من ثنائية البعد 2D إلى البعد الثالث 3D، أعلن عام 2021 عن تغيير اسم الشركة إلى تسمية Meta إلا أن اسم تطبيق فيسبوك بقي كما هو، كما حافظ على نفس تقنياته وخصائصه، مع دعمها بإمكانية نقل تجربة التواصل الاجتماعي إلى منظور مجسد أكثر فأكثر؛ فقد توسعت الشركة في مجال "الميتافيرس" Metaverse، وهي تقنية طوّرت في بداياتها عام 2003 للاستخدام في ألعاب الفيديو المتصلة بالإنترنت، والتي توصف بأنها "حياة ثانية"، وبقي قيد عالم الألعاب حتى أطلقت شركة فيسبوك عالماً افتراضياً عام 2019 باسم Horizon World أي عالم الأفق².

وكلمة ميتافيرس هي متكونة من شقين، Meta التي تعني "ما وراء" وVerse المقطوعة والمختصرة من كلمة Universe، ومنه فالكلمة تشير إلى عبارة "ما وراء العالم"، وقد استخدم هذا اللفظ في رواية خيالية بداية التسعينيات لنيل ستيفنسون Neal Stephenson تحت عنوان "تحطم الثلج" 1992 تتفاعل فيها الشخصيات (الأفاتار كما جاء في الرواية) ضمن فضاء افتراضي ثلاثي الأبعاد مشابه للعالم الحقيقي، ويمثل هذا الما وراء في منصة افتراضية ثلاثية الأبعاد قائمة على الإنترنت تتيح للمستخدمين التفاعل في عالم مشترك كنوع من "الكون الافتراضي" الذي يشمل الألعاب والشبكات الاجتماعية وبيئات العمل والبيئات التعليمية؛ حيث يعتمد على تقنيات مثل: الواقع الافتراضي Virtual Reality والواقع المعزز Augmented Reality^{**}.

¹ Meta, "About Workplace", **help center**, accessed: 08-07-2023, at: 22:33, URL: <https://www.facebook.com/help/work/>.

² أشرف محمد زيدان وسيف السويدي، **العالم ما وراء التقليدي «ميتافيرس»**، دار الأصالة، إسطنبول، 2022، ص ص 35-36.

*** الواقع الافتراضي:** استخدام النمذجة والمحاكاة الحاسوبية للتمكن من التفاعل مع بيئة بصرية اصطناعية ثلاثية الأبعاد، فهو مصمم لعزل المستخدمين عن العالم الفعلي، عادةً عبر جهاز ساعة رأس وساعات رأس مصممة لمثل هذه الأنشطة، إذ تتبع الشاشة أي اتجاه يتحرك فيه المستخدم مما يمنحه عرضاً بزاوية 360 درجة للبيئة الافتراضية وشعوراً بالانفصال عن العالم الفعلي بأنه بالفعل ضمن العالم الافتراضي.

**** الواقع المعزز:** هو نسخة تفاعلية محسنة لبيئة العالم الحقيقي يتم تحقيقها من خلال العناصر المرئية الرقمية والأصوات والمحفزات الحسية الأخرى عبر تقنية التصوير المجسم، وهو مصمم لإضافة عناصر رقمية على مناظر العالم الفعلي ولكن بتفاعل محدود.

Reality وتكنولوجيات البيئة الافتراضية¹، كل ذلك يرمي إلى إتاحة الحصول على تجربة شبيهة بالواقع الفعلي مع القدرة على التحرك بحرية والتفاعل مع الأشياء والمستخدمين الآخرين؛ ويتطلب الولوج إلى هذا العالم ما يلي:

- **بيئة ثلاثية الأبعاد 3D Environment**: يجب أن تحتوي ميتافيرس على بيئة افتراضية ثلاثية الأبعاد يمكن للمستخدمين استكشافها والتفاعل معها بطريقة واقعية.
 - **التفاعل في الوقت الفعلي Real-time Interaction**: لإنشاء تجربة تفاعلية مشتركة، يجب أن يكون المستخدمون قادرين على التفاعل مع بعضهم البعض في الوقت الفعلي. يتطلب هذا اتصال إنترنت مستقرًا.
 - **الصور الرمزية القابلة للتخصيص Customizable Avatars**: يجب أن يكون المستخدمون قادرين على إنشاء وتخصيص الصورة الرمزية الخاصة بهم، وهي شخصية افتراضية تمثل المستخدم في ميتافيرس.
 - **الاقتصاد الافتراضي Virtual Economy**: يجب أن يكون لدى المستخدم نظام اقتصادي افتراضي يمكن للمستخدمين من خلاله شراء سلع وخدمات افتراضية أو بيعها أو تبادلها باستخدام عملة افتراضية.
 - **المجتمع الافتراضي Virtual Community**: يجب أن يكون لدى ميتافيرس مجتمع افتراضي نشط حيث يمكن للمستخدمين التفاعل والتواصل الاجتماعي وتشكيل مجموعات والتواصل مع الأشخاص الذين لديهم اهتمامات مماثلة.
 - **الوصول الشامل Universal Access**: يجب أن يكون ميتافيرس متاحًا لجميع المستخدمين دون قيود جغرافية باعتباره عالمًا مفتوحًا وشاملاً². من أجل ذلك يوفر موقع فيسبوك الإعدادات السابقة الذكر لتمكين المستخدمين من عرض هوياتهم الافتراضية لحياتهم الثانية عبر الخط، وجعل الحدود الفاصلة بين هوياتهم الفعلية والافتراضية شفافة إلى حد بعيد.
2. الآثار الاجتماعية لاستخدام موقع فيسبوك:

يسمح فيسبوك للمستخدمين كما رأينا بإنشاء حساب شخصي يربطه بجماعة اجتماعية شبكية، فبغض النظر عن استخداماته الاقتصادية والتسويقية، يبقى أهم دافع لاستخدامه هو التواصل الاجتماعي، إذ يلبي استخدامه نوعين من الحاجات: حاجات الانتماء التي تتضمن قبول الفرد ضمن جماعة اجتماعية، والشعور باتصاله بهم، خاصة بالنسبة إلى الذين تكون حياتهم الاجتماعية خارج نطاق الإنترنت "غير مرضية"³، فيكونون قادرين على تعويض عدم الرضا عبر حياة أكثر اجتماعية داخل نطاق الإنترنت؛ وحاجات عرض الذات التي سنأتي على التفصيل فيها؛ وفي كليهما إشباع لأهم الحاجات الإنسانية التي أشار إليها أبراهام ماسلو Abraham Maslow وهي حاجة الحب وإشباع العاطفة والانتماء؛ الحاجة إلى التقدير بالوصول إلى احترام الآخرين لذات الفرد والوصول إلى السمعة أو المكانة، والاهتمام والأهمية؛ والحاجة إلى تحقيق الذات التي تعبر عن الميل إلى الرغبة في أن يصبح المرء أكثر فأكثر على الصورة المثالية التي يتصورها⁴. وفيما يلي نأتي على ذكر بعض الآثار الاجتماعية المترتبة عن استخدام موقع فيسبوك:

¹ John Mikkelsen, **The Metaverse: A New Virtual World**, independently published (Copyright©John Mikkelsen), No publishing place, 2023, p 3.

² Ibid, p 6.

³ Barney Warf (Editor), Opcit, p 369.

⁴ Maslow Abraham H, "A theory of human motivation", **Psychological Review**, Vol. 50, No. 5. 2013, p 8, DOI: <https://doi.org/10.1037/h0054346>.

• في المجتمعات الشبكية، يتم التمييز بين الروابط الاجتماعية القوية والضعيفة عن طريق مدى الترابط بين عقد الشبكة كما رأينا في نظرية مانويل كاستلز، فإذا كانت الروابط الاجتماعية الأقوى هي تلك التي تتطلب استثماراً أكبر للوقت، الشدة، التقارب العاطفي، والإفصاح المتبادل عن الذات، فإن عدد العلاقات التي يمكن للناس الحفاظ عليها يكون محدوداً؛ يسمح فيسبوك للمستخدمين بالحفاظ على الروابط الاجتماعية الضعيفة بتحقيقه لخصائص استثمار الزمان والمكان والإفصاح وعرض الذات بشكل أسهل مما يمكن أن يكون عليه الأمر في الحياة الفعلية، وبالتالي، فهو "يتيح للمستخدمين الحفاظ على علاقاتهم مع المقربين وتعزيزها وكذا إدارة عدد كبير جداً من العلاقات الضعيفة"¹، فيعزز حاجة الفرد للانتماء واستقراره ضمن جماعته الاجتماعية؛

• جعل موقع فيسبوك الناس أقرب من خلال اختصار المسافة الجغرافية، ومنه تتوفر الأخبار والمعلومات من جهة والثقافة من جهة أخرى، يساهم موقع فيسبوك في عملية التثاقف ونقل الخصائص العالمية إلى المحلي والعكس إذ يساهم الموقع في التسويق للثقافات المحلية وافتتاحها على العالم؛ كما ساعد ضمن مواقع التواصل الاجتماعي في تغيير النظرة إلى مجتمعات كانت تشكل حولها صور نمطية Stereotypes، مثل المجتمعات المسلمة وممارساتها الدينية إذ يتم استخدامها لنشر الرسائل الدينية والأخلاقية من طرف أشخاص، جهات دينية، جماعات ومجتمعات، هذه المجتمعات "المتخيلة" الناشئة تظهر دينياً التنوع الذي يشمل رجال الدين، الصوفية، الموضة والفنانين والناشطين، والمؤثرين²، مظهر الدين كممارسة وكمط حياة.

في المقابل، يترتب عن استخدام الموقع آثار سلبية داخل نطاق الإنترنت وتمتد إلى خارجها باعتبارها نسفاً مفتوحاً:

✓ رغم ما توفره أغلب مواقع التواصل الاجتماعي من ضمانات للخصوصية ومكافحة الانتحال ونشاط الحسابات المزيفة، على غرار ما يوفره الفيسبوك من سياسة للخصوصية تراعي كلا من الموثوقية authenticity، الحماية safety والخصوصية privacy، والتي تضمن إلى حد كبير عدم انتحال هويات الآخرين. إلا أن إمكانية اختراع هويات مزيفة يعتبر وارداً وملاحظاً بشكل كبير فيمكن للفرد إنشاء حساب باسم وصورة ومعلومات متخيلة لشخصية رمزية، ويمكن لنفس الشخص أن ينشئ أكثر من حساب ومنه أكثر من هوية.

✓ أثناء محاولته تمكين روابطه الاجتماعية عبر موقع فيسبوك، قد يواجه المستخدم انفصالاً عن الواقع وقطعاً للروابط الإنسانية لصالح الافتراضية، يمكن أن يمتد إلى اغتراب عن الحياة الفعلية بجميع مكوناتها، اجتماعياً، ثقافياً، سياسياً وتاريخياً، وتصبح حياته عبر الخط حياته الأولى، يمارس عبرها طقوس هويته وانتماءه الافتراضي، لكن تلك الهوية في مرحلة ما تتحول إلى اغتراب آخر عندما تنقسم الذات وتنشظى بين فعلي وافتراضي.

✓ يشجع موقع فيسبوك المستخدمين على أن يكونوا أكثر "علنية" بشأن حياتهم الشخصية وتسلط الضوء على كل الأشياء التي تحدث في حياتهم اليومية، موضوعاتهم المفضلة، الموسيقى والشعر والصور وغيرها³، فيهدد ذلك الحدود القائمة بين المجالين العام والخاص (الشخصي) للمستخدم، إضافة إلى سلبات اجتماعية أخرى مثل: إدمان الاستخدام وما ينجر

¹ Barney Warf (Editor), Opcit, p 371.

² Bouziane Zaid and others, "Digital Islam and Muslim Millennials: How Social Media Influencers Reimagine Religious Authority and Islamic Practices", **Religions**, Vol. 13, No. 335, 2022, p 3, DOI: <https://doi.org/10.3390/rel13040335>.

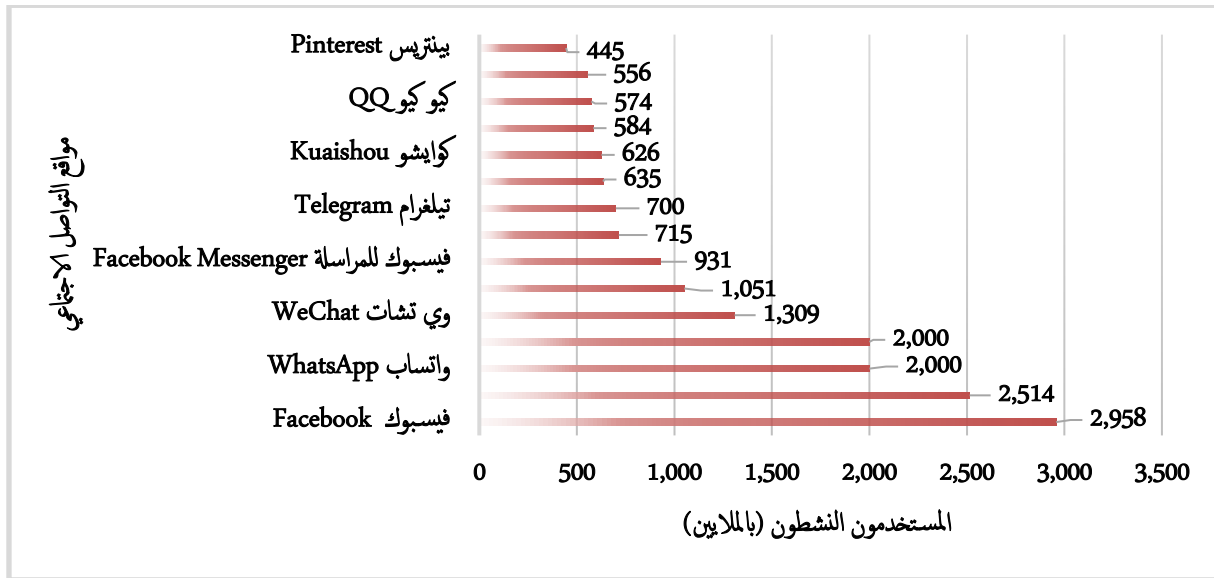
³ Md. Tarekul Islam, "The Impact Of Social Media On Muslim Society: From Islamic Perspective", **International Journal of Social and Humanities Sciences (IJSHS)**, Vol. 3, No. 3, 2019, p 105.

عنه من انخفاض الأداء، تضيق للوقت، والحد من القدرة على التفاعل الاجتماعي ومهاراته، وعلى رأس نتائج سوء استخدام الموقع؛ تهديد الجانب القيمي للمستخدم خاصة في المجتمعات المحافظة، عبر الترويج وتسهيل التعرض والانخراط في الممارسات اللاأخلاقية.

3. ديموغرافيات مستخدمي موقع فيسبوك:

في مجتمع ما تعتبر الإحاطة بالمران البشري لأفراده خطوة أساسية لمحاولة تفسير ظواهره وتفاعلاته، وهو ما ينطبق على مواقع التواصل الاجتماعي باعتبارها اجتماعا بشريا، إذ يعتبر المستخدمون فيها ومختلف نشاطاتهم وتفاعلاتهم المحرك الرئيس لها، لذلك فإن معرفة تركيبة موقع فيسبوك البشرية ومختلف نشاطاتهم عليه؛ تقدم صورة عنه، والتي يمكن أن تتضح من خلال آخر تحديث للإحصائيات المتعلقة بديموغرافيات مستخدمي موقع فيسبوك، أوجزناها في النقاط التالية:

- ابتداءً من الربع الثالث من عام 2022، ما يقرب ثلاثة مليارات مستخدم نشط شهرياً من ينشطون على موقع فيسبوك، مما يجعله التطبيق الأكثر استخداماً في العالم، كما أن أكبر عدد من المستخدمين يعود إلى دولة الهند، فمن أصل المليارات الثلاث، 329 مليون مستخدم هم هنديون وهو ما يقرب من 23.88% من سكان الدولة؛ مقابل 239 مليون مستخدم أمريكي¹، رغم أنه الموقع الأقل انتشاراً في آسيا، وذلك في الغالب راجع إلى وجود مواقع محلية للتواصل الاجتماعي كالصينية والكورية منها، كما أن الموقع محظور أم تم تقييده في بعض الدول -كما رأينا سابقاً- كالصين وكوريا الشمالية وبنغلاديش وإيران، والشكل أدناه يوضح المستخدمين النشطين لموقع فيسبوك مقارنة بمواقع التواصل الاجتماعية الأخرى.



الشكل رقم (08): مواقع التواصل الاجتماعي الأشهر عالمياً شهر جانفي 2023 مرتبة حسب عدد المستخدمين النشطين شهرياً.

المصدر: من إعداد الطالبة بناءً على: Stacy Jo Dixon, "Most popular social networks worldwide as of January 2023, ranked by number of monthly active users", **Statista**, published: 24-02-2023, accessed: 01-07-2023, at: 22:41, URL:

<https://www.statista.com/statistics/272014/global-social-networks-ranked-by-number-of-users/>.

¹ Jack Shepherd, "33 Essential Facebook Statistics You Need To Know in 2023", **The Social Shepherd**, Updated on: 26-06-2023, accessed: 20-06-2023, at: 23:17, URL: <https://thesocialshepherd.com/blog/facebook-statistics>.

يرجع هذا الترتيب في الغالب إلى أن موقع فيسبوك يعد أقدم موقع تواصل مقارنة بالأخرى المذكورة في التصنيف أعلاه، كما أنه يجمع الخصائص والميزات التي يقدمها كل موقع، فيتيح على سبيل المثال نشر الصور والفيديوهات الطويلة والقصيرة مماثلاً لكل من إنستغرام، بينتريس، يوتيوب... وإرسال الرسائل والملفات على غرار واتساب، تلغرام ووي-تشات، كما يتيح نشر الأخبار والمنشورات مثل تويتر على سبيل المثال.

• كيف يتوزع مستخدمو موقع فيسبوك عالمياً حسب متغير المنطقة الجغرافية؟ يمكننا توضيح ذلك من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم (02): توزيع مستخدمي موقع فيسبوك النشطين حسب المنطقة الجغرافية*.

النسبة المئوية	عدد المستخدمين (بالمليون)	المنطقة الجغرافية	القارة
%26.86	208.6 مليون	أمريكا الشمالية	القارة الأمريكية
	121 مليون	أمريكا الوسطى	
	13.5 مليون	منطقة الكاريبي	
	261.2 مليون	أمريكا الجنوبية	
%12.24	80.8 مليون	أوروبا الغربية	القارة الأوروبية
	58.4 مليون	شمال أوروبا	
	73.2 مليون	جنوب أوروبا	
	63 مليون	أوروبا الشرقية	
%11.93	107.1 مليون	شمال أفريقيا	القارة الأفريقية
	66.1 مليون	غرب إفريقيا	
	18.9 مليون	وسط أفريقيا	
	46.4 مليون	شرق إفريقيا	
	29.9 مليون	جنوب إفريقيا	
%48.96	111.1 مليون	غرب آسيا	القارة الآسيوية وأوقيانوسيا
	5.8 مليون	آسيا الوسطى	
	496.3 مليون	جنوب آسيا	
	415.2 مليون	جنوب شرق آسيا	
	50.7 مليون	شرق آسيا	
	22.2 مليون	أوقيانوسيا	

المصدر: من إعداد الطالبة بناءً على:

Simon Kemp, "Facebook Users, Stats, Data & Trends", **Datareportal**, Page updated: 11-06-2023, accessed: 01-07-

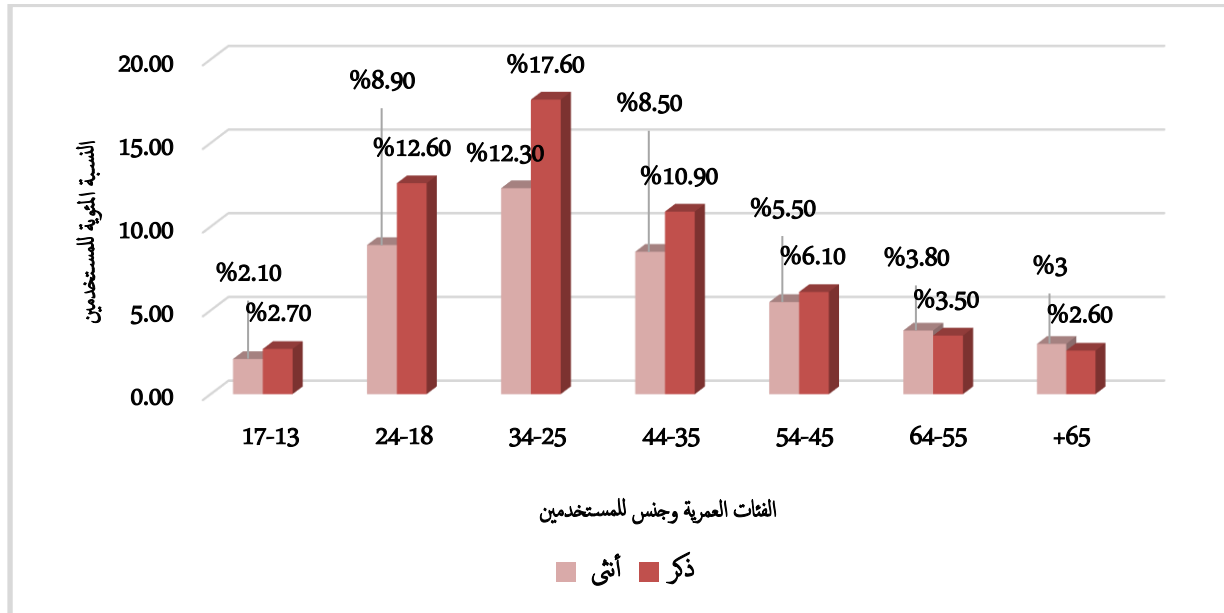
2023, at: 13:39, URL: <https://datareportal.com/essential-facebook-stats> .

يمكن تفسير بيانات الجدول أعلاه بالمتغيرات: الديموغرافية والاقتصادية والرقمية، فالارتفاع الملحوظ في نسبة مستخدمي فيسبوك في القارة الآسيوية القريب من النصف، راجع إلى أن سكان القارة يشكلون أكثر من نصف سكان العالم، وباستثناء

* يستند هذا التقسيم الجغرافي إلى ما يعرف بـ "مخطط الأمم المتحدة الجغرافي" The United Nations Geoscheme، كما أن النسب في الجدول تستند على بيانات جمهور الإعلان على موقع فيسبوك لشهر أبريل لعام 2023.

القارة الإفريقية من التفسير بالمتغير الديموغرافي تأتي القارة الأمريكية ثم الأوروبية. وهي القارات التي يسهل ربط سكانها بالإنترنت ومنه موقع فيسبوك، أما القارة الإفريقية وبالعودة للمتغير الاقتصادي فرغم أن سكانها يشكلون ثاني أعلى نسبة سكان في العالم (1,4 مليار نسمة) إلا أن عدم القدرة على الاتصال بالإنترنت نتيجة عيش حوالي 460 مليون فرد -أي ما يقرب من الثلث- في القارة تحت خط الفقر المدقع في عام 2022¹، وهو الذي يقوم إلى المتغير الرقمي، إذ حسب تقرير للأمم المتحدة صدر لإدارة الإنترنت تعاني القارة الإفريقية من فجوة رقمية (عدم الارتباط بالإنترنت) بلغت الـ60% بسبب مزيج من الافتقار إلى إمكانية الوصول، عدم القدرة على تحمل التكاليف التقنية والافتقار إلى التدريب على المهارات²، وهو ما يفسر في الغالب تذييل المستخدمين في قارة إفريقيا لنسب استخدام فيسبوك جغرافيا.

• بالنسبة لتوزيع مستخدمي فيسبوك عبر العالم حسب العمر والجنس للربع الأول من سنة 2023، فالرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 25 و34 عامًا يشكلون أعلى نسبة للمستخدمين بنسبة 17,60%، كما يعتبر متوسط أعمار المستخدمين 32 سنة، في حين تتوزع فئات السن والجنس الباقية كما يوضحه الشكل التالي:



الشكل رقم (09): توزيع مستخدمي فيسبوك عالميا ابتداءً من جانفي 2023 حسب متغيري السن والجنس.

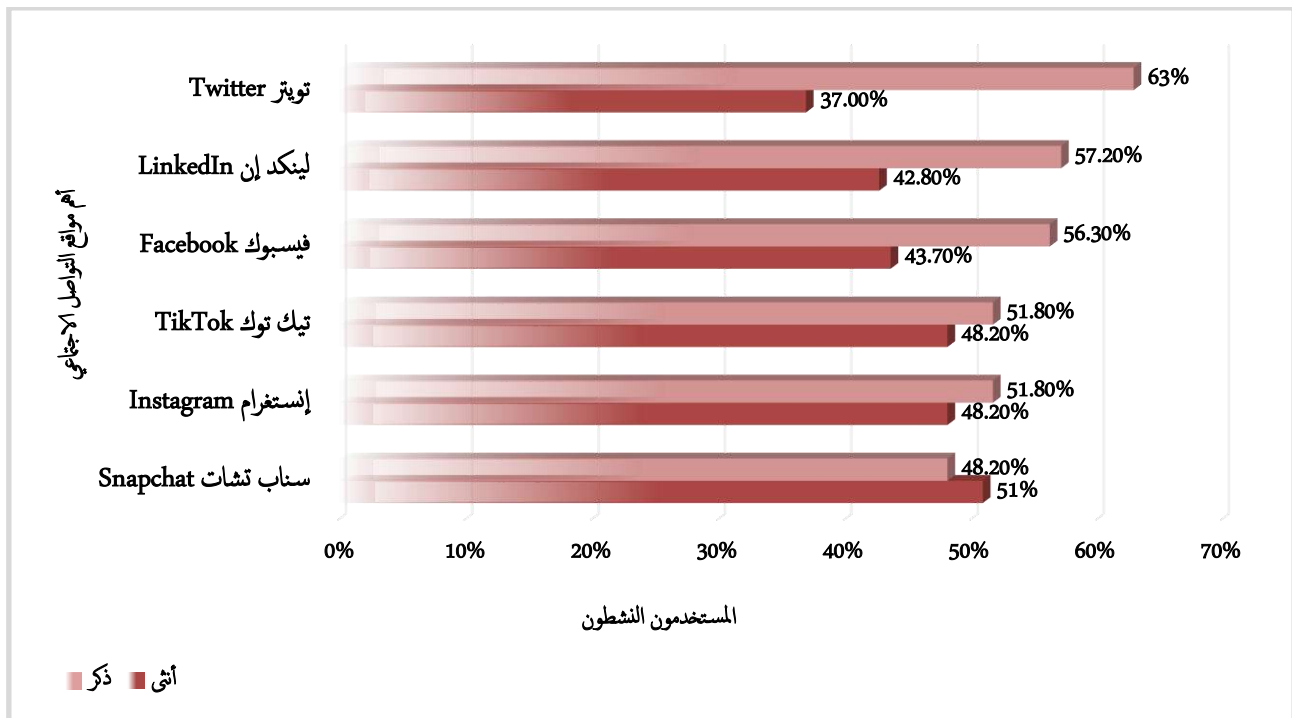
المصدر: من إعداد الطالبة بناءً على: Stacy Jo Dixon, "Distribution of Facebook users worldwide as of January 2023, by age and gender", **Statista**, published: 24-02-2023, accessed: 30-06-2023, at: 15:37, URL: <https://www.statista.com/statistics/376128/facebook-global-user-age-distribution/>.

¹ Saifaddin Galal, "African countries with the highest share of global population living below the extreme poverty line in 2022", **Statista**, published: 28-04-2023, accessed: 03-07-2023, at: 21:10, URL: <https://www.statista.com/statistics/1228553/extreme-poverty-as-share-of-globa>.

² United Nations Department of Economic and Social Affairs, "With 2.7 billion people still offline, what does Africa's resilient digital future look like?", **Africa Renewal**, published: 29-11-2022, accessed: 03-07-2023, at: 21:27, URL: <https://www.un.org/africarenewal/magazine/november-2022/27>.

نلاحظ أن عدد المستخدمين من جنس الذكور يتجاوز عدد المستخدمين من جنس الإناث كما هو ملاحظ في الشكل، فبداية من عمر الـ 13 إلى عمر الـ 54 يتجاوز عدد الذكور الإناث، وحسب آخر إحصائية (أفريل 2023) لتوزيع مستخدمي فيسبوك حسب الجنس، بلغ عدد الذكور نسبة 56.80%، بينما بلغ عدد الإناث نسبة 43.20%¹، يمكن أن يأخذ ذلك تفسيرات عديدة، أهمها ما يتعلق بطبيعة ما يوفره موقع فيسبوك من إعدادات مقابل مواقع تواصل أخرى "أكثر ترفيها"، خاصة القائمة على الصور والفيديوهات Image-based، والتي توفر إعدادات تحسين الصور وتعديلها.

فإذا بحثنا في توزيع جمهور كل موقع من مواقع التواصل الاجتماعي ابتداءً من جانفي 2023 حسب متغير الجنس، نجد أن جنس الإناث يميلون إلى مواقع التواصل الاجتماعي التي تقوم على الصور والفيديوهات والتي تدعم خاصية ترشيح الصور (الفيلتر) وتحسينها، وعلى رأسها سناب تشات وإنستغرام، في حين أن جنس الذكور يتجهون نحو المواقع التي تحمل الصبغات الرسمية والإخبارية، فنلاحظ أنه كلما زادت رسمية الموقع وابتعاده عن الترفيه وخصائص تحسين الصور، كلما زاد عدد مستخدميه من الذكور، والعكس، وبما أن موقع فيسبوك ليس مخصصاً بالأساس لعرض الصور وتحسينها فإنه يجذب فئة الذكور بشكل أكبر من النساء؛ وهو ما يوضحه الشكل التالي:



الشكل رقم (10): توزيع جمهور مواقع التواصل الاجتماعي عالمياً ابتداءً من جانفي 2023 حسب متغير الجنس.

المصدر: من إعداد الطالبة بناءً على: Stacy Jo Dixon, "Gender distribution of social media audiences worldwide as of January 2023, by platform", **Statista**, Published: 24-02-2023, accessed: 04-07-2023, at: 23:38, URL:

<https://www.statista.com/statistics/274828/gender-distribution-of-active-social-media-users-worldwide-by-platform/>.

¹ Stacy Jo Dixon, "Distribution of Facebook users worldwide as of January 2023, by age and gender", **Statista**, published: 24-02-2023, accessed: 30-06-2023, at: 15:37, URL: <https://www.statista.com/statistics/699241/distribution-of-users-on-facebook-worldwide-gender/>.

أما بالنسبة لنشاط الموقع الفعلي، فيزور موقع فيسبوك 1.62 مليار مستخدم في المتوسط يوميا، أي أن أقل من ربع سكان العالم بقليل هم مستخدمون نشطون يوميا للموقع، كما يقوم 400 مستخدم جديد بالتسجيل كل دقيقة، وفي ذات اللحظة، يتم كتابة أكثر من 510 ألف تعليق يُدرج، و293 منشور يُنشر 136 صورة تُحمّل، ويُضغَط زر الإعجاب 4 ملايين مرّة¹، وهي أرقام مرشحة للارتفاع نظراً لأن الموقع يتوسع؛ ومن الجدير بالذكر أن هذه الأعداد لا تخلو من وجود حسابات وهمية، حيث بلغ عدد الحسابات التي اتخذت إدارة فيسبوك إجراءات الحذف في الربع الأول لسنة 2023، 426 مليوناً، حيث انخفضت عن تلك التي سجلت في الربع الرابع من عام 2022 والتي بلغت 1.3 مليار حساب².

المطلب الثاني: تقنيات عرض الهوية الافتراضية عبر موقع "فيسبوك".

أن نتكلم عن فعل العرض الاجتماعي للهويات، يعني أن نأتي بالذكر على أفكار السوسيولوجي الأمريكي إرفينغ غوفمان Erving Goffman في نظريته للتحليل الدرامي، التي ضمنها في كتابه "عرض الذات في الحياة اليومية"، حيث تناول فيه أهمية التفاعل الاجتماعي مستخدماً مفاهيم وتقنيات "المسرح" لتصوير ذلك، وقد لخص تصوره لذلك بمقولة للسوسيولوجي الأمريكي روبرت إزرا بارك³ Robert Ezra Park أن "الجميع يلعب دوراً دائماً وفي كل مكان بوعي أو بدون وعي؛ في هذه الأدوار نعرف بعضنا البعض في هذه الأدوار نعرف أنفسنا، بمعنى بما وبشكل ما يمثل هذا القناع المفهوم الذي شكلناه عن أنفسنا.. الذات التي نود أن نكونها.. في النهاية يصبح لدورنا طبيعة ثانية وجزء لا يتجزأ من شخصياتنا"⁴، حيث اعتبر لعب الأدوار فعلاً ثقافياً يبحث من خلاله المؤدي عن هوية، على أساس أن الهوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الذات على أساس أن المرحلة الأولية لتشكيل الهويات تبدأ من اكتساب الفرد لهوية ذاتية. وفي مقابل مسرح الحياة الفعلية، أوجد عصر الإنترنت التمثيل عبر مسرح مواقع التواصل الاجتماعي هويات لأمحدودة لذوات لأمحدودة عبر إنشاء هويات افتراضية⁵، ومنه فإننا سنستدعي في تناول تقنيات عرض الهوية الافتراضية عبر بعض مفاهيم نظرية غوفمان الدرامية، والتي تتمثل في:

1. الاسم على فيسبوك **Name on Facebook**: مع أول انضمام للمستخدم إلى موقع فيسبوك يتعين عليه اختيار اسم لحسابه يظهر به للآخرين مع قابلية تغييره مرات معدودة وفي مدة يجب أن تتجاوز الستين يوماً، يعرف هذا الاسم باسم

¹ Stacy Jo Dixon, Opcit.

² Meta, "Fake Accounts", **Facebook Transparency Center**, accessed: 03-07-2023, at: 15:41, URL: <https://transparency.fb.com/reports/community-standards-enforcement/fake-accounts/facebook/>.

³ أنظر كتاب إزرا بارك حول العرق والثقافة: Robert Ezra Park, **Race and Culture**, The Free Press, The United States of America, 1950.

⁴ Erving Goffman, **The Presentation of Self in Everyday Life**, University of Edinburgh Social Sciences Research Centre, Edinburgh, 1956, p 1.

⁵ يذكر أن مفهوم الهوية الافتراضية قد ظهر في أعمال غوفمان، حين أدرجه عام 1963 وفي كتابه "وصمة: ملاحظات حول إدارة الهوية المهدورة" الذي سلط فيه الضوء على مختلف أشكال الإقصاء الاجتماعي في الحياة اليومية، فضل غوفمان استخدام مفهوم الهوية الاجتماعية بدل مفهوم الوضع الاجتماعي لتوصيف الفئات التي ينتمي إليها الأفراد والتي تؤخذ فيها السمات الشخصية، إذ قصد بالهوية الاجتماعية الافتراضية: السمات المحتملة التي تمنح للفرد وتنسب إليه، في حين أن السمات التي يمكن إثبات امتلاكها في الواقع تعرف بالهوية الاجتماعية الفعلية، أنظر:

Erving Goffman, **STIGMA: Notes on The Management of Spoiled Identity**, Simon and Schuster Inc, New York, 1963, p 2.

المستخدم أو الاسم على فيسبوك، من أجل ذلك يحدد موقع فيسبوك شروطا لاختياره وهو ما يعرف بـ "سياسة الاسم الحقيقي على فيسبوك"، حيث يطالب الموقع باستخدام الأسماء التي يستخدمونها في الحياة اليومية، كما يمكن استخدام الألقاب التي تعد اختصارا للاسم الحقيقي، أو الاسم قبل الزواج، الأسماء المستعارة Nicknames والألقاب المهنية وغيرها¹، وبذلك يعتبر اسم المستخدم من أهم المعدات التعبيرية التي تستخدم لعرض الهوية على فيسبوك.

2. **الصورة الشخصية Profile Picture:** تعد صور الملف الشخصي من أهم تقنيات عرض الهوية عبر موقع فيسبوك، فهي أهم تقنية لخلق انطباعات عن المستخدم وتوجهاته، خاصة أنه في الفضاء الافتراضي ينشأ الاعتراف بالفرد من خلال الصورة الشخصية التي تُعرض على المستخدم الآخر وعلى حكم الآخرين في الشبكات الاجتماعية²، ومنه فيحرص المستخدم أن تكون الصورة معبرة عما يريد أن تكون عليه ذاته الثانية. كما يوفر فيسبوك من خلال ما يعرف بالـ "أفاتار" Avatar فرصة أخرى للمستخدم ليضيف تمثيلا مصورا له ذو طابع أكثر شخصية وشبها منه، فيخبرك أنه "يمكنك إبراز شخصيتك للآخرين من خلال تخصيص الأفاتار الذي تحدده! ويمكنك تغييره في أي وقت" (أنظر الملحق رقم: 14).

3. **المعلومات الأساسية Basic Information:** ومن أهم التقنيات على موقع فيسبوك لعرض الهوية هي قسم المعلومات الأساسية في الملف الشخصي أين يقدم المستخدمون معلوماتهم الشخصية، ويتضمن هذا القسم النطاقات التالية: مكان الإقامة، مسقط الرأس، الجنس، تاريخ الميلاد، الاهتمامات، اللغات، وإضافات حول المستخدم يضيفها ليعرف بها نفسه كما يراها هو (About)، يقدم المستخدمون علامات الهوية الأساسية المستخدمة لبناء الوصف الذاتي الخاص بهم؛ أين تشكل هذه النطاقات صفات عادة ما تكون ثابتة لهوية الفرد، وتتضمن معلومات عن بعض المؤشرات الاجتماعية المستخدمة لاستخلاص استنتاجات حوله، كاتمائه الجغرافي والثقافة القاعدية التي ينتمون إليها واللغات التي يتحدثون بها.

4. **الأصدقاء، العائلة والحالة المدنية Friends and Family, Relationship Status:** تعد العلاقات الاجتماعية مؤشرا رئيسيا لعرض الذات، حيث يوفر التفاعل مع الآخرين معنى لهوية الفرد، من أجل ذلك يتيح فيسبوك مبدئيا تسعة خيارات لحالة العلاقة لمستخدميه بداية من العزوبة إلى مختلف درجات وأنواع العلاقات كالخطبة، الزواج، الطلاق.. وغيرها مما يمثل سوسيولوجيا "الحالة المدنية" للفرد.

5. **الفلسفة والتوجهات Philosophy and Views:** يمكن فيسبوك المستخدمين من استخدام طريقة ثانية لعرض الهوية وهي بيان الآراء والأفكار، حيث يوفر فضاء لعرض فلسفة المستخدم عبر سؤاله الثابت "بم تفكر؟"، والذي يوفر نطاقا ينشر من خلاله أفكاره على جمهور افتراضي محدد مسبقا، يذكر أن موقع فيسبوك قبل تحديثاته الأخيرة بداية من الفاتح من سبتمبر عام 2022، كان يوفر نطاقات يختار المستخدمون من خلالها تعريف الآخرين بمختلف مواقفهم وهي: الدين الذي يدينون به، المواقف السياسية التي يتبعونها (أنظر الملحق رقم: 13) عناوين تواجدهم والشخصيات الملهمة

¹Facebook, "What Names Are Allowed on Facebook?", Facebook Help center, accessed: 20-06-2023, at: 21:44, URL: https://m.facebook.com/help/1090831264320592/?helpref=hc_fnav.

² إلزا غودار، ترجمة: سعيد بركاد، أنا أوسيلفي إذا أنا موجود تحولات الأنا في العصر الافتراضي، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، 2019، ص 119.

والاقتباسات المفضلة¹، لكنه احتفظ بالأخيرة فقط مقابل التخلي عن نطاقات الدين والسياسة والتوجه الجنسي والعنوان، حرصا من الموقع على "تسهيل الاستخدام وحفظ الخصوصية".

6. **الفنون والهوايات والاهتمامات Arts, Hobbies and Interests**: تعمل هذه التقنية على إبراز مواقف وميل المستخدم حول مجالات مختلفة كالموسيقى والكتب والأفلام والتلفزيون والألعاب، والتي يعبر المستخدم من خلالها عن جوانب تعريف الذات وما يعجبه أو يكره (أنظر الملحق رقم: 15).

يمكن أن تقارب كل هذه التقنيات لما يعرف بالواجهة أو الجبهة الأمامية Front حسب مفاهيم إرفينغ غوفمان و"التي تشير إلى جزء من أداء الفرد والذي يعمل بانتظام وبطريقة عامة وثابتة لضبط مواقف أولئك الذين يراقبون الأداء"²، إذا فالجبهة تعني المعدات التعبيرية التي يستعين بها المستخدم عن قصد أو عن غير قصد أثناء عرضه لهويته.

المطلب الثالث: حالة موقع فيسبوك في الجزائر.

يعتبر موقع "فيسبوك الجزائري" الحد المكاني للدراسة الحالية، من أجل ذلك سنقوم في هذا الجزء من العمل بالتعريف بحالة الموقع في الجزائر عبر مختلف الإحصائيات التي توضح عدد وطبيعة مستخدميهم؛ وممارساتهم الافتراضية التواصلية، حسب دراسات علمية اتخذت كذلك من موقع فيسبوك الجزائري ميدانا لها، إضافة إلى ما تمكنا من الوصول إليه من إحصائيات.

1. الحالة الرقمية في الجزائر:

قبل عرض البيانات المتعلقة باستخدام موقع فيسبوك في الجزائر، سنخرج على الحالة الرقمية، والتي من خلالها يمكننا تصور مدى انخراط الفرد الجزائري في العالم الرقمي، ومنه الانفتاح على العالم وثقافته باعتبار التقنية هنا حاملا للمعنى الثقافي.

تشير الإحصائيات أدناه إلى المدى الذي يستخدم به الجزائريون* الإنترنت وعلى وجه الخصوص استهلاكها، وتظهر مؤشرات التحول الرقمي في الجزائر، والمبنية على 17 مؤشر أداء رئيسي** KPIs ضمن أربعة مجالات (البنية التحتية، الأنظمة، المنتجون والمستهلكون)، أن الجزائر لا تزال تعاني من مؤشرات فجوة رقمية على مستوى مجالات البنية التحتية، التنظيم وإنتاج الإنترنت، إلا أنها تسير في اتجاه سد الفجوة فيما يخص مؤشرات التحول الرقمي المتعلقة بالاستهلاك وهي كل من: استخدام الإنترنت، استخدام الهاتف النقال، واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي³، وقد لاحظنا أعلاه ارتفاع المؤشرات المتعلقة بالاستهلاك بالقدر الذي يمكننا من استخلاص عدم وجود ما يمكننا تسميته بـ "الفجوة الاتصالية"، فرغم غياب الوسائل والبنية التحتية إلا أن المستخدم الجزائري متصل بالعالم؛ وذلك يؤكد منطلق مناهضي العولمة في أن عولمة الاتصال ووسائله قد تمت

¹ Nevfel Boz, "Digital Identity and Self-Presentation In The New Media"[English Summary], Ph.D. Dissertation, Faculty Of Communication, **Marmara University** Istanbul, June 2012, p 5.

² Erving Goffman, **The Presentation of Self in Everyday Life**, Opcit, p 13.

* عدد السكان الجزائريين حسب موقع داتا ريبورتال datareportal هو 45.26 مليون جزائري.
** مؤشرات الأداء الرئيسي KPIs Key performance indicators: مقياس كمي يقيس الأداء بدلالة الزمن وبالمقارنة مع هدف محدد مسبق؛ سواء كان الأداء خاصا بمؤسسات، مشاريع، برامج، منتجات وغيرها.

³ Ismail Chaib & Amine Lefkir, "Dzigital Transformation In Algeria", **Digital Arabia Network & Deutsch-Algerischer Akademiker und Studierender Verein e.V**, Berlin/Algiers, 2020, p 16.

كسلعة استهلاكية، لكن دون عوامة أنظمتها والقدرة على تسييرها؛ بناء التحتية؛ ووسائل إنتاجها، ما يعيدنا إلى منظور أولريتش بك للعوامة في أنها أداة للمتخطين العابرين للحدود من أجل "فرض قواهم واتجاهاتهم وهوياتهم"، وفي الجدول الموالي نلخص فيما يلي حالة التحول الرقمي ومدى عمق الفجوة الرقمية التي تميز حالة الرقمنة في الجزائر.

الجدول رقم (03): حالة الرقمنة في الجزائر نهاية 2020.

المجالات	المؤشرات KPI	التقييم
الاستهلاك	استخدام الإنترنت	Internet usage
	استخدام المحمول	Mobile usage
	استخدام مواقع التواصل الاجتماعي	Social media usage
	الشراء عبر الإنترنت	Online purchase
الإنتاج	براءة الاختراع	Patent
	إنشاء المشاريع الناشئة	Startup creation
	التمويل	Funding
	رأس المال البشري	Human capital
	مشاركة المرأة في التكنولوجيا	Women in tech
الأنظمة	الرؤية	Vision
	تقديم الخدمات الإلكترونية	Provision of E-Services
	سهولة ممارسة الأعمال	Ease of doing business
	القوانين والأنظمة	Laws & regulation
البنية التحتية	التغطية	Coverage
	الاتصال	Connectivity
	القدرة على تحمل التكاليف	Affordability
	البنية التحتية للاستقبال	Hosting infrastructure

المصدر: من إعداد الطالبة بناءً على: Ismail Chaib & Amine Lefkir, "Digital Transformation In Algeria", **Digital Arabia**

Network & Deutsch-Algerischer Akademiker and Studierender Verein e.V, Berlin/Algiers, 2020, p 16.

وخلال الثلاثي الأول لسنة 2023 بلغ عدد المتصلين النشطين بالإنترنت أو ما يعرف بالحظيرة الإجمالية لمشاركي الإنترنت في الجزائر 50,183 مليون مشترك، بين كل من مشاركي الإنترنت بالهواتف النقالة (45,287,320 مليون) والثابتة (4,895,218 مليون)¹؛ بمعنى أنه خلال الثلاثي الأول من سنة 2023 بلغ عدد مشاركي الإنترنت عبر الهاتف النقالة 90,25% من مجموع مشاركي الإنترنت في الجزائر مقابل 09,75% من مشاركي الإنترنت الثابت، هؤلاء المستخدمون غالباً ما يتم اتصالهم بالإنترنت عبر مواقع التواصل الاجتماعي. وقد بلغ عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي 23.95 مليون مستخدم²، أي أن

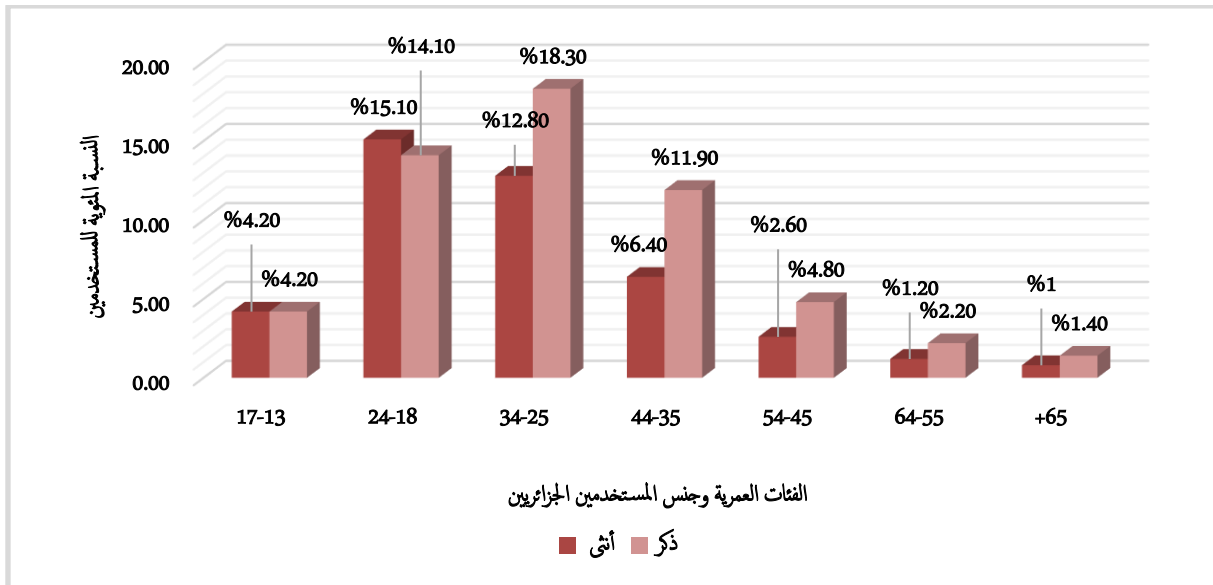
¹ سلطة ضبط البريد والاتصالات الإلكترونية، "مرصد سوق الإنترنت في الجزائر - الثلاثي الأول 2023"، سلطة ضبط البريد والاتصالات الإلكترونية، الجزائر، 2023، ص 2، رابط التحميل: <https://www.arpce.dz/ar/file/a904i2>.

² Simon Kemp, "DIGITAL 2023: ALGERIA", **Datareportal**, Page updated: 13-02-2023, accessed: 23-07-2023, at: 13:45, URL: <https://datareportal.com/reports/digital-2023-algeria>.

نصف عدد الجزائريين وما يعادل 52.90% منهم يستخدمونها بشكل نشط في حياتهم اليومية، ما يعني كذلك أن ثلاثة أرباع مستخدمي الإنترنت الجزائريين وما يعادل 74,63% من إجمالي قاعدة المستخدمين يستخدمون على الأقل واحدا من مواقع التواصل الاجتماعي.

2. ديموغرافية موقع فيسبوك الجزائري:

يستخدم موقع فيسبوك في الجزائر ما يقارب 31 مليون و700 ألف مستخدم نشط حسب إحصائيات جوان 2023، أي 68% من السكان الجزائريين¹، وهو الموقع الأكثر استخداما ويليه موقع يوتيوب، بعدد مستخدمين بلغ 22.70 مليون مستخدم، غير أن الأرقام المنشورة من طرف شركة ميتا Meta تشير إلى أن عدد المستخدمين في الجزائر انخفض بمعدل 1.7 مليون حساب (-7.3%) حسب الوصول المحتمل لإعلانات فيسبوك بين عامي 2022 و2023²، وفيما يلي سنعرف أهم ديمغرافيات فيسبوك الجزائري بدايةً بتمثيل بياني لتوزيع مستخدمي موقع فيسبوك الجزائريين حسب متغيري الجنس والسن:



الشكل رقم (11): توزيع مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك الجزائريين حسب متغيري الجنس والسن ابتداءً من شهر جوان 2023.

المصدر: من إعداد الطالبة بناءً على: NapoleonCat, "Facebook users in Algeria June 2023", NapoleonCat, Published: 06-2023, accessed: 23-07-2023, at: 00:21, URL: <https://napoleoncat.com/stats/facebook-users-in-algeria/2023/06/>.

أغلبية مستخدمي موقع فيسبوك في الجزائر هم من فئة الذكور بنسبة 57% مقابل 43% لفئة الإناث؛ كما أن المستخدمين الذين تتراوح أعمارهم بين 25 و34 عامًا هم الفئة الأكبر تكراراً من المستخدمين، إذ يبلغ عددهم 9 ملايين و700 ألف مستخدم، أي بنسبة 31,20% من مجموع المستخدمين؛ ويسجل أعلى فرق بين فئتي الذكور والإناث هو بين المستخدمين الذين تتراوح أعمارهم بين 35 و44 عامًا، حيث يتقدم الذكور بقراءة 4 ملايين مستخدم³، في حين تبدأ فئة الإناث في تجاوز

¹ NapoleonCat, "Facebook users in Algeria June 2023", NapoleonCat, published: 06-2023, accessed: 23-07-2023, at: 19:59, URL: <https://napoleoncat.com/stats/facebook-users-in-algeria/2023/06/>.

² Simon Kemp, "DIGITAL 2023: ALGERIA", Opcit.

³ NapoleonCat, Opcit.

نسبة فئة الذكور بداية من الفئة العمرية 55-64، بينما تتساوي الفئتان في النسب في الفئة العمرية الأولى بين 13 و 17 سنة. ونلاحظ أن النسب* الكبرى من مستخدمي موقع فيسبوك متركزة ضمن الفئات الممتدة بين سن الـ 18 والـ 44، أي مرحلة الشباب، وهي إحصائيات يمكن أن تفسر بتناسبها مع تقسيم إجمالي سكان الجزائر حسب الفئة العمرية، إذ تمثل فئة الشباب في الجزائر الفئة الغالبة، أما التقسيم حسب الجنس فيمكن أن يفسر بـ:

• اتجاه فئة الذكور - كما أشرنا إلى ذلك سابقا، إلى المواقع ذات الطابع الأقل ترفيها عكس الإناث اللواتي نجدن تتوجهن إلى مواقع ذات أدوات أكثر ترفيها، فإذا نظرنا إلى تطبيق مثل سناب تشات في الجزائر نجد نسب المستخدمين الجزائريين التي تقدر بـ 54,60% وأعلى من نسب المستخدمين الجزائريين التي تقدر بـ 44,30%.

• ابتعاد فئة الإناث عن موقع فيسبوك لأنه يتطلب لاستخدامه الإدلاء بمعلومات أو مؤشرات حول هوية الفرد، خاصة أن لديه سياسية معينة متعلقة بهوية مستخدميه الذين يخفون هوياتهم بأسماء مستعارة أو صور تم تحميلها من محركات البحث، أو حالات التفويض للمعلنين الذين يعرضون إعلانات حول القضايا الاجتماعية أو الانتخابات أو السياسة كالهيات والأحزاب، إذ يجبرهم على إرسال إثباتات هوية لتأكيد الاسم أو استعادة الوصول إلى الحساب سواء حكومية مثل بطاقة الهوية الوطنية، رخصة السياقة، جواز سفر، شهادة الميلاد، أو غير حكومية مثل بطاقة الطالب، بطاقة المكتبة، شهادة جامعية.. وغيرها من الوثائق التي يجب أن تحتوي على كل من: الاسم وتاريخ الميلاد معا، أو الاسم والصورة الشخصية معا¹، وهنا تضطر المستخدمين إلى الإدلاء بمعلوماتهم ووثائقهم الشخصية وبالتحديد صورهم وهو ما يعتبر أمرا مرفوضا عند أغلب الجزائريين لاتسام الصورة بطابع التقديس.

يذكر أن أعداد حسابات الجزائريين عبر فيسبوك تتناقص بداية من سنة 2021، ويمكن أن يفسر ذلك بحرص الموقع على إزالة الحسابات الوهمية والمكرر (أكثر من حساب لنفس المستخدم) إذ أزال الموقع 130 حسابا، 221 صفحة و 35 مجموعة في الجزائر في ذات السنة²، وذلك بسبب عدم أصالتها إضافة إلى أسباب متعلقة بعدم احترام قوانين الموقع كما سنرى لاحقا؛ في حين لم تتوفر أي بيانات أخرى متعلقة بالمستويات الدراسية، الديانة، المواقف السياسية، أماكن الإقامة (حضري، ريفي، شبه حضري)، ذلك نتيجة أن المستخدمين غير مرغومون على الإدلاء ببياناتهم المتعلقة بالجوانب المهنية والعلمية، ونتيجة حذف الإطارات المتعلقة بالبيانات السياسية، الجغرافية، الدينية والسياسية كما رأينا سابقا.

المبحث الثاني: التعريف بعينة الدراسة.

في هذا الجزء من العمل سنقوم بعرض البيانات المتعلقة بالخصائص الشخصية والافتراضية لمفردات عينة البحث، كما جاءت متسلسلة في تقنية البحث.

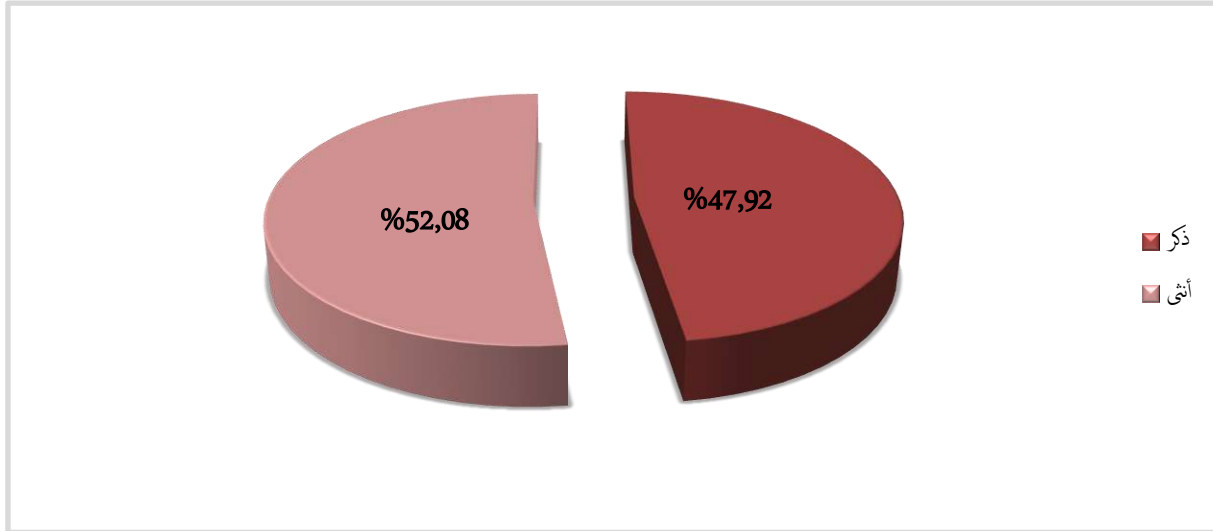
* الأرقام المنشورة لهذه الخصائص لا تضاف دائما إلى إجمالي عدد المستخدمين، لذلك قد لا تصل النسب المعروضة هنا إلى 100%، Simon Kemp, "DIGITAL 2023: ALGERIA", Opcit.

¹ Meta, "Confirm Your Identity: Types of IDs that Facebook accepts", **help center**, accessed: 26-07-2023, at: 18:02, URL: <https://www.facebook.com/help/contact/515009838910929>.

² Ibid.

المطلب الأول: عرض ومناقشة بيانات الهوية الشخصية لعينة الدراسة.

سننطلق فيما يلي بعرض بيانات الهوية الشخصية للمبحوثين، والتي ستعطي إطارا يحدد هوية البحث من خلال هويتهم الذاتية، إضافة إلى فهم وتفسير أبعاد ومؤشرات الدراسة المرتبطة بالهوية الوطنية ومدى تأثرها بالأفكار العولمية عبر الموقع.



الشكل رقم (12): توزيع عينة الدراسة حسب متغير جنس المبحوثين.

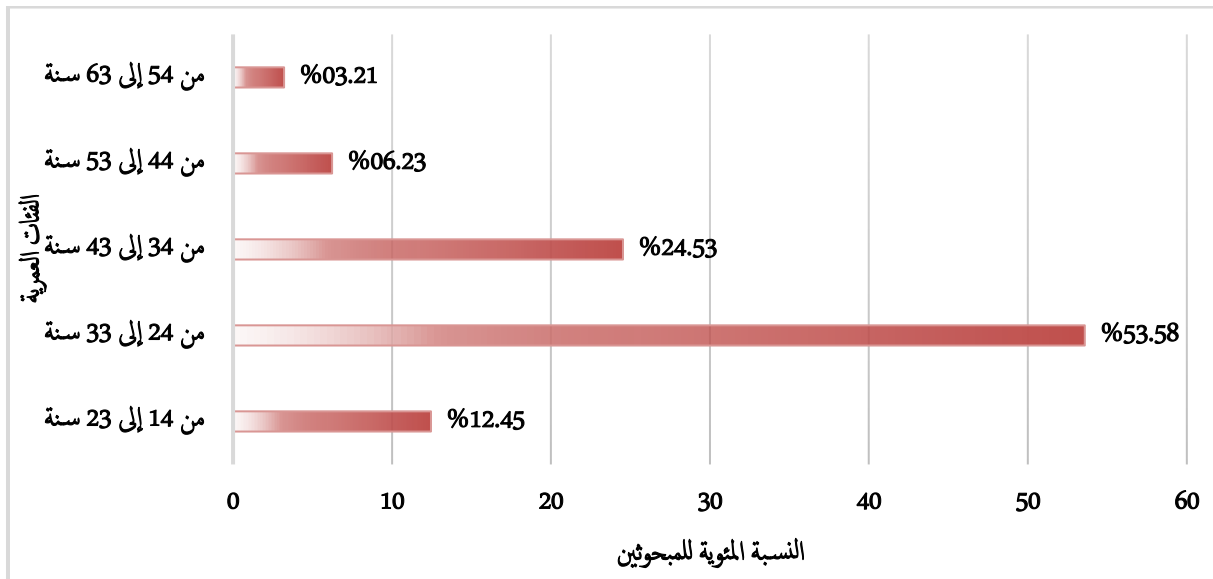
توضح الدائرة البيانية أعلاه توزيع عينة الدراسة حسب متغير جنس أفراد عينة الدراسة، إذ تظهر الفرق الطفيف بين فئتي جنس الذكور وجنس الإناث، إذ يتجاوز عدد الإناث عدد الذكور بـ 22 مبحوثا فقط (04,15%)، إذ تمثل فئة الإناث 52,08% بينما تمثل فئة الذكور 47,92%.

تتجه العديد من الدراسات اليوم إلى القول بعدم ضرورة تقسيم مجتمعات البحث وعيناتها على أساس متغير الجنس، على غرار سارانتاكوس الذي وصف هذا التقسيم بـ "التمييز الجندي"، إلا أن مجتمعا مثل المجتمع الجزائري ما يزال مرتبطا بخصوصيات دينية واجتماعية وثقافية، لا يزال للتقسيم على أساس متغير الجنس معنى فيه، يحتمل تفسيرات وتأويلات سوسيولوجية، وممكن من خلاله استنطاق متغيرات وظواهر أخرى مختلفة باختلاف السياق المتناولة فيه. ونلاحظ من خلال الشكل البياني أن نسبة المبحوثات تتجاوز نسبة المبحوثين بقليل، رغم أن الفرق لا يحمل دلالة إحصائية لعدم تجاوزه 5% إلا أننا يمكن أن نفسر هذا الاختلاف البسيط من خلال التوجه المستمر للمرأة نحو العالم الافتراضي وموقع فيسبوك على وجه الخصوص، لاعتباره الموقع الأكثر شهرة في الجزائر، ويؤكد كذلك ما تناولناه في الحالة الرقمية في الجزائر التي تتميز بمشاركة عالية للمرأة في التكنولوجيا Women in tech، فمجرد الانضمام إليه تكون المستخدمة قادرة على الاطلاع على كل ما يمكن أن توفره الإنترنت من معلومات وأخبار وجوانب ترفيهية.

إضافة إلى أنه أصبح متنفسا للمستخدم الجزائرية خاصة من الجانب العلائقي سواء: من حيث توفيره لمجال للتواصل والتقارب من محيطها العائلي، المهني والاجتماعي عموما؛ أو العكس، أي من حيث الابتعاد عنه، حيث نلاحظ إقبال المستخدمة الجزائرية على الصفحات والمجموعات التي توفر للنساء مساحة للفضضة والبوح بمشاكلهن ومشاكلهن الشخصية من الأكثر عمومية إلى أكثرهن حميمية، والتي تلجأن إلى موقع فيسبوك في طرحها دون الكشف عن هوياتهن Anonymously، خاصة بالنسبة إلى المواضيع الخاصة التي تتفادين طرحها في محيطهن الذي عادة ما يشكل مصدرا لتلك المشاكل، فتبحث عن غرباء

لمشاركهم تلك المواضيع، وهنا سنستخدم مفهوم "الكلفة الأخلاقية"¹، والذي يعني أن الفرد مطالب بأن يكون على درجة معينة من "المثالية" في محيط يعترف به. فكلما كانت المرأة تنتمي إلى حلقة ذات اعتراف قوي في محيطها كلما زادت كلفتها الأخلاقية، وكلما ابتعدت وكانت مجهولة انخفضت الكلفة وزادت حريتها الأخلاقية، لذلك فإمكانية عدم الكشف عن الهوية ومنه قدرة المستخدمة على الحديث حول مشاكلها أو ما تعاني منه بحرية في العالم الافتراضي، يجعل موقع فيسبوك فضاءً مناسباً لسد هذه الفجوة (أنظر نماذج في الملحق رقم: 16)، هذا الاتجاه المتزايد لتواجد المرأة فيه هو ما يمكن أن يفسر تواجد المرأة المكثف والاختلاف الطفيف بين نسبي الجنسين في العينة.

يمكن أيضاً تفسير الاختلاف من جانب آخر، وهو جانب مرتبط بتكوين عينة البحث نفسها، فإذا ربطنا متغير الجنس مع متغير آخر كالمستوى التعليمي للمبحوثين نجد أنه متغير يؤثر في نسبة ظهور كل من جنسي الإناث والذكور في عينة الدراسة، حيث أخذ متغير الجنس اتجاه المتغير التابع مع متغير المستوى التعليمي، والذي يشكل ارتفاعه -كما سنرى لاحقاً- سبباً يمكن أن يفسر من خلاله الارتفاع في نسبة المبحوثات (أنظر الملحق رقم: 17). ف 54,15% من مبحوثينا الجامعيون هم من فئة الإناث، وهي الفئة الغالبة فعلياً على مجموع الطلبة المسجلين في الجامعة الجزائرية فقد تجاوز عددهم من الإناث عدد الطلبة المسجلين من الذكور بـ 30% عام 2018²، والأمر الذي يؤكد ارتباط الجنس بالمستوى التعليمي في عينتنا هو أن جدول الارتباط بينهما يوضح أن الفئة المدعمة لفئة الإناث من المبحوثين هي فئة الجامعيين، والفئة المدعمة لفئة الذكور هي فئة ذوي المستوى المتوسط، فكلما زاد المستوى التعليمي زادت نسبة الإناث مقارنة بنسبة الذكور والعكس صحيح.



الشكل رقم (13): توزيع عينة الدراسة حسب متغير سن المبحوثين.

يوضح التمثيل البياني أعلاه توزيع عينة الدراسة حسب سن مفردات عينة الدراسة، حيث يظهر لنا من خلال الأعمدة أن الفئة الغالبة على عينة الدراسة هي فئة المبحوثين الذين تتراوح أعمارهم بين 24 و 33 سنة بنسبة 53,58% أي أكثر من

¹ للاطلاع أكثر على مفهوم الكلفة الأخلاقية وعلاقته مع كل من الاعتراف والهوية من منظور أليساندرو بيزورنو في مقابلة معه تحت عنوان "الهوية والفعل الجماعي"، أنظر: فيليب كابان وجان فرانسوا دورتييه، ترجمة: إيان حسن، علم الاجتماع: من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، دار الفرق، سوريا، 2010.

² سباتي حاتم وقندوز محمود، "إحصائيات عن الجامعة الجزائرية 1962-2018"، مجلة منارات للدراسات العلوم الاجتماعية، المجلد 01، العدد 02، 2019، ص 8.

نصف عينة البحث، تليها فئة المبحوثين الذين تتراوح أعمارهم بين 34 و 43 سنة، وذلك بنسبة 24,53%، تليها فئة المبحوثين الأقل سناً، والذين تتراوح أعمارهم بين الـ 14 والـ 23 سنة بنسبة 12,45%، ثم تليها فئة المبحوثين الأكبر سناً والذي تتراوح أعمارهم بين 44 و 53 سنة بنسبة 06,23%، وفي الأخير جاءت نسبة المبحوثين الذين تتراوح أعمارهم بين 54 و 63 سنة كأكبر فئة عمرية وأقل نسبة، والتي بلغت 03,21%. وقد اعتمد تقسيم الفئات العمرية للمبحوثين على أساسين، أولهما إحصائي استند إلى أكبر وأصغر قيمتين في القيم المتحصل عليها من إجاباتهم، ثانيهما أننا حاولنا أن تمثل كل واحدة من الفئات عقدا من العقود التي تعبر عن جيل من أجيال المبحوثين بداية من "جيل الستين" وصولاً إلى جيل بداية القرن الحادي والعشرين، ذلك أن "لكل مرحلة عمرية حقائقها، تجاربها وأسرارها، لكن مفهومنا التبسيطي للهوية يجب عتاً أن هذا الاختلاف يمكن أن يظهر تحولات مهمة في الشخصية"¹، كما يلح إدغار موران في تناوله للهوية الشخصية.

وليس الجيل هنا بمعنى متوسط الفترة الزمنية بين ولادة الوالدين وولادة ذريتهم- أي 20 إلى 31 سنة- بل الجيل بالمعنى الذي أشار إليه كارل مانهايم Karl Mannheim، والذي استخدم مصطلح "الجيل" بمعنى "الفوج" Cohort، وفيه تعبير عن "الأشخاص ضمن مجموعة سكانية محددة والذين يواجهون نفس الحدث المهم خلال فترة زمنية معينة"²، مانهايم الذي يعتبر من قليل السوسيولوجيين الذين أعطوا أهمية لفئات العمرية البيولوجية باعتبار أن لها أثراً عميقاً في عمليات التغير الاجتماعي، ذلك لأنه يرى أن لطبيعة الوقت المعيش والتاريخ علاقة بالتغير الشخصي والاجتماعي، وأن موقع الأجيال الجغرافي والثقافي؛ ومشاركتهم في التيارات الاجتماعية والفكرية في زمانهم ومكانهم يؤثر ويؤطر أنماطاً محددة من السلوك والشعور والفكر، كما أن مفهوم الجيل قد تغير مع التسارع الذي يشهده العالم بفعل تطور التكنولوجيا ومنه، فلم يعد للجيل معنى بيولوجياً بحتاً بل اصطبغ بمعنى اجتماعي، من أجل ذلك قسّمنا العينة إلى عشرينيات عاشت نفس الفترة وعاشت نفس الأحداث، فيكون لذلك التقسيم معنىً سوسيولوجياً من جهة وتكنولوجيا كذلك.

يمكن أن نفسر النتائج الموضحة في الشكل والقائلة بأن غالبية أفراد العينة هم من الفئة العمرية الممتدة بين 24 و 33 سنة أنها بالفعل نفس الفئة الغالبة على مجموع مستخدمي موقع فيسبوك من الجزائريين، إذ تتواجد بشكل أكبر عبر صفحات فيسبوك ومجموعاته، حيث تمثل فئة الشباب الفئة الأكثر ارتباطاً بالعالم الافتراضية والأكثر إقبالاً عليها؛ خاصة جيل التسعينيات الذي شكل غالبية أفراد المعروف بالجيل Z Generation Z.

ولفهم علاقة الفئات العمرية بالمجتمع وسياقاته أكثر، يمكننا أن نفسر النتائج من خلال أحد أهم تقسيمات الأجيال اجتماعياً ورقبياً، والذي يشمل المجال العمري لعينة الدراسة، إذ أن بداية ونهاية الأجيال سائلة ومرنة، إلا أننا اعتمدنا على دراسة الباحثة راسا ليفيكايته Rasa Levickaitė حول تواجد هذه الأجيال عبر مواقع التواصل الاجتماعي، والتي تبدأ من الجيل X الذي يبدأ من أوائل سنة 1960 وصولاً إلى الجيل Z الذي ينتهي إلى سنة 2010، هذه التقسيمات تعتبر استجابة طبيعية للتغير السياسي والاجتماعي والتكنولوجي العالمي والمحلي. ويمكننا توضيح ذلك في الجدول التالي:

¹ إدغار موران، النهج - إنسانية البشرية الهوية البشرية، مرجع سبق ذكره، ص 105.

² Jane Pilcher, "Mannheim's Sociology of Generations: An Undervalued Legacy," *The British Journal of Sociology*, Vol. 45, No. 3, Sept 1994, p 483, DOI: <https://doi.org/10.2307/591659>.

الجدول رقم (04): فئات الأجيال X، Y و Z.

الجيل	الميلاد	ضمن البيئة الرقمية	ضمن البيئة التاريخية	ضمن السياق والبيئة الجزائرية
الجيل X	من أوائل 1960 إلى 1974.	شهد نشأة الكمبيوتر المنزلي، وظهور ألعاب الفيديو، والإنترنت كأداة للأغراض الاجتماعية والتجارية.	شهد أحداثا سياسية وعسكرية كنتائج للحرب العالمية، وما تلاها من أحداث للحرب الباردة..	شهد هذا الجيل مرحلة ما بعد الاستقلال الجزائري، وما صاحبها من تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية ولغوية.
الجيل Y	من منتصف ونهاية 1970 إلى بداية التسعينيات	ظهور وسائل الإعلام الجديدة وتقنيات الاتصال الفوري، صعود استخدام الإنترنت.	الابتعاد عن الأنظمة السياسية والاقتصادية المخططة والتوجه نحو الرأسمالية.	مرحلة شهدت صراعات إيديولوجية، طرحت ضمنها مسألة التنوع الثقافي والسياسي في الجزائر.
الجيل Z	من بداية ومنتصف 1990 إلى أواخر العقد الأول من 2000	سيطرة تامة للإنترنت، ينظر هذا الجيل إلى العالم بدون حدود زمنية ومكانية.	الجيل الأول الذي عايش الانتقال نحو القرن الحادي والعشرين.	يلقب بجيل "العشرية"، والتي أثرت في تكوين شخصيته الاجتماعية السياسية، شهد دخول الإنترنت إلى الجزائر، ليتحول إلى جيل رقمي في الاتصالات والتفاعل الاجتماعي.

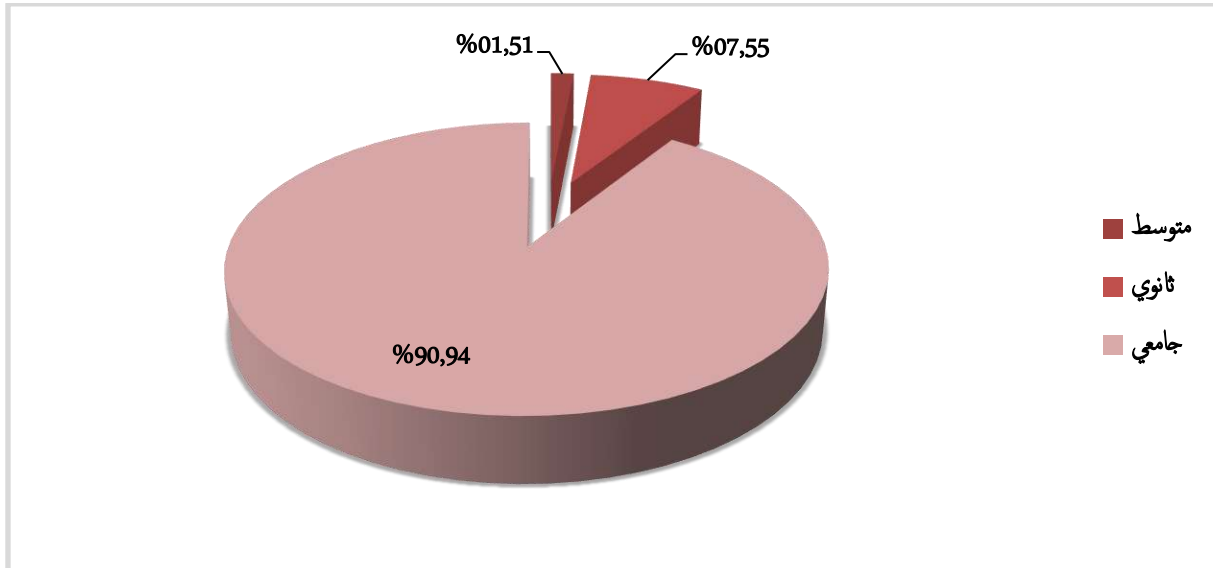
✓ **الجيل X:** (1960 - 1974) يعرفون أيضا بالجيل العاشر نسبت إليهم هذه التسمية لأن X رمز يشير إلى متغير غير معروف أو إلى رغبة في عدم التعريف، فهم جيل يعبر عن تناقضات وتدفقات سياسية واجتماعية، كما يعتبر هذا الجيل تكنولوجيا جسرا بين الجيل السابق له واللاحق فقد كانوا حاضرين في بداية الإنترنت وألعاب الفيديو والذكاء الاصطناعي.

✓ **الجيل Y:** (1975 - بداية 1990) يعرف أيضا بجيل الألفية Millennials، سمي هكذا للتفريق بينهم وبين الجيل السابق ومن السمات المميزة لجيل الألفية في جميع أنحاء العالم أنهم نشأوا في عصر التحولات التكنولوجية الكبرى، لا سيما تلك المرتبطة بصعود الإنترنت من أهمه مارك زوكربيرغ وزملاؤه، ومؤسسو العديد من مواقع التواصل الاجتماعي كإنستغرام وتيك توك، كما أنهم جيل أكثر تهجينا والأقل تجانسا والذين نشأوا مع ثقافة أقل تجانسا واتجاهها نحو التنوع.

✓ **الجيل Z:** (1993 - 2010): يسمى Z مواصلة لتسمية الجيلين السابقين، وكذا لأنه جيل رقمي بالكامل تتعلق كافة اتصالاته وتفاعله الاجتماعي بالإنترنت والتقنية عموما فسمي بجيل "المقرئين" Zoomers على اعتبار تنشئته المرتبطة بسهولة التعامل مع التقنية، وقد سمي أبناء هذا الجيل بالمواطنين الرقميين؛ جيل الإنترنت، IGeneration¹، وغيرها من التسميات التي توثق رباطه بالتكنولوجيا، كما أنه الجيل الذي يمثل الحد الأدنى لإمكانية التسجيل عبر فيسبوك، فأصغرهم هو بعمر 13 سنة، وهو الحد الأدنى العمري المقبول لفتح حساب فيسبوكي، ويمثل الجدول التالي تلخيصا للفئات سابقة الذكر، مع تكييفها مع السياق الجزائري.

¹ Rasa Levickaitė, "Generations X, Y, Z: How Social Networks Form The Concept Of The World Without Borders (The Case Of Lithuania)", LIMES: Cultural Regionalistics, Vol. 3, No. 2, 2010, p 173, DOI: <https://doi.org/10.3846/limes.2010.17>.

هكذا فإن لكل جيل خلفياته الاجتماعية والتاريخية، ومدى انخراطه في عالم الإنترنت وانغماسه في مواقع التواصل الاجتماعي، ومنه توقعه بين القيم المحلية الراسخة والقيم العالمية الوافدة. والملاحظ أن كل جيل بداية من أجيال السبعينيات والثمانينيات ووصولاً إلى جيل التسعينيات، يمتلك نزعة "نوستالجية" (الحنين إلى الماضي) فيلقب كل جيل زمنه بالزمن الذهبي وجيله بالجيل الذهبي محاولاً إعادة بعث تجاربه وثقافته، مستخدماً في ذلك موقع فيسبوك (أنظر الملحق رقم: 18)، كل هذا يمكن أن نستنتج من خلاله منظورات الأجيال المتعاقبة للهوية الوطنية الجزائرية عبر موقع فيسبوك.



الشكل رقم (14): توزيع عينة الدراسة حسب متغير المستوى التعليمي للمبحوثين.

توضح الدائرية النسبية أعلاه توزيع عينة بحثنا حسب متغير المستوى التعليمي للمبحوثين، ويظهر من خلالها أن الغالبية العظمى للمبحوثين من المستخدمين مستواهم جامعي بنسبة تقدر بـ 90,94%، تليها نسبة المبحوثين من المستوى الثانوي، والمقدرة بـ 7,55%، وبنسبة 1,51% تأتي في الأخير نسبة المبحوثين من ذوي المستوى التعليمي المتوسط. ومن الملاحظ أثناء مرحلة البحث الاستكشافي من الدراسة وبحثها البيبليوغرافي، ميل أغلب الدراسات السوسيولوجية سواء الدراسات السابقة أو غيرها إلى اختيار الطلبة الجامعيين كمجتمعات بحث وقواعد سبر لإجراء المعاينة، على اعتبارها نموذجاً يمثل الفئة الشبانية الجزائرية، إلا أننا حاولنا أثناء السحب الأخذ بعين الاعتبار فئات لمستويات تعليمية أخرى بما أن مسألة الهوية لا تخص فئة بعينها بل أن كل مؤشر إضافي قد يكون له معنى وتأويلاً سوسيولوجياً؛ ويمكن أن نفسر هذه النتائج كما يلي:

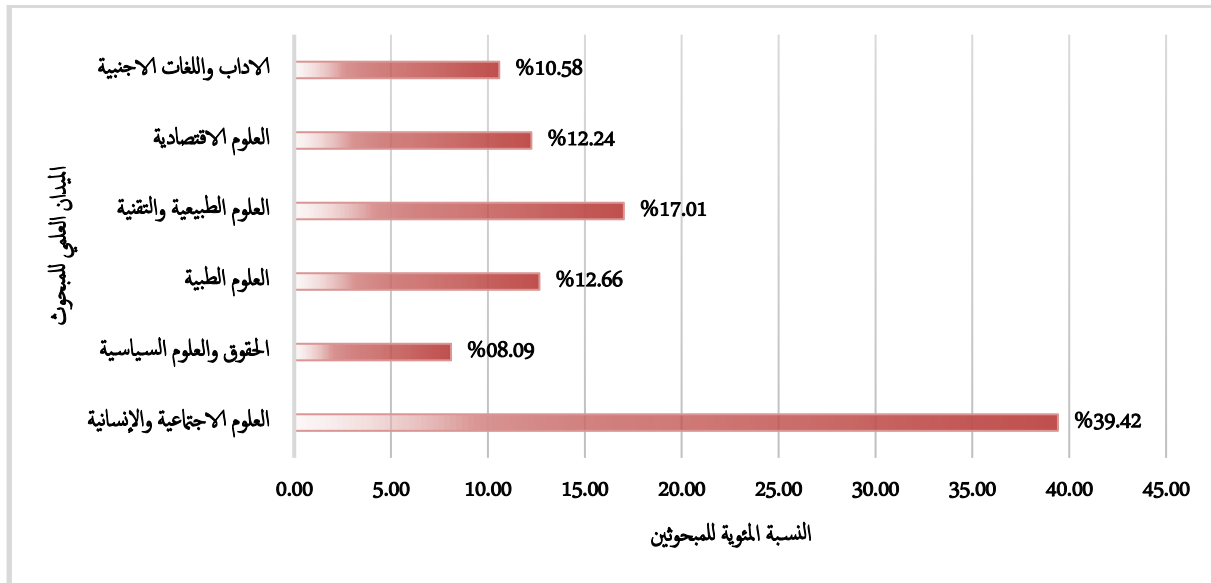
✓ **طريقة سحب العينة:** فإجراء المعاينة عن طريق السحب الموجه وطريقة كرة الثلج زاد من نسبة وإحتمالية ظهور الطلبة الجامعيين في العينة، فمن جهة استهدفنا العناصر التي نعتقد أنها تمثل مجتمع البحث المستهدف والتي يسهل الوصول إليها من طرفنا، ومن جهة أخرى أن هؤلاء الأفراد والعناصر مروا بتقنية البحث عبر محيطهم وجاعاتهم الشبكية على موقع فيسبوك وساعدوا في بناء عينة الدراسة.

✓ **أن المستخدمين الجامعيين هم أكثر إقبالا وتجاوبا مع البحوث العلمية:** فالمستخدمون الجامعيون يعتبرون الأكثر دراية وإحاطة بالغرض من البحوث العلمية وإجراءاتها المنهجية والميدانية، وبذلك هم أكثر استجابة مع تقنياتها والأقل تخوفاً من استغلال نتائجها لأغراض غير علمية، خاصة أن هناك جماعات شبكية أكاديمية ومهنية تتخذ من صفحات موقع فيسبوك مجالا لها

لتبادل الأخبار والمعارف، خاصة المجموعات المتعلقة بطلبة الدكتوراه وطلبة ما بعد التدرج عموماً، وهذا يعيدنا إلى حقيقة أن موقع فيسبوك بالأساس بدأ كفضاء خاص بطلبة الجامعات والمواضيع المتعلقة بهم.

✓ أن الفئة العمرية الغالبة على عينة الدراسة تقتضي أن يكون أغلبهم جامعيون: بلغ عدد الطلاب الذين تخرجوا من المؤسسات الجامعية الجزائرية منذ الاستقلال إلى غاية السنة الجامعية 2020-2021، وما يزيد عن 5 ملايين متخرج يحسب على فئة الجامعيين الجزائريين، إذ أن ما يعادل 52% من مجموع شباب الجزائر المنتمين إلى نفس الفئة العمرية هم من الطلبة¹، فالجامعيون يمثلون نسبة كبيرة من الفئة الشابة الجزائرية والفئة الشابة الناشطة على موقع فيسبوك وهي نسبة تقترب بالفعل من نسبة الطلبة الجامعيين في نفس الفئة العمرية 24-33 من عينتنا، والتي تمثل النسبة الكبرى منها كما رأينا سابقاً، ف 55,60% من هذه الفئة هم طلبة جامعيون أو جامعيو المستوى.

لا يفوتنا أيضاً أن عينة البحث تحتوي على فئتي ذوي المستويين المتوسط والثانوي ولو بنسب ضئيلة، والتي يمكن أن نفسر- وجودها ضمن مستخدمي موقع فيسبوك بأنه موقع سهل الاستخدام ولا يتطلب معرفة عميقة بالتكنولوجيا، ومفتوح لمختلف الفئات العمرية بداية من 13 سنة. وتتركز الفئات خاصة فئة ذوي المستوي منها في الفئتين العمريتين الأولى بنسبة 12,12% ويمثلون التلاميذ الذين لا يزالون يزاولون التعليم الثانوي، والأخيرة بنسبة 23,53% ويمثلون الطلبة الذين لم يواصلوا تعليمهم الجامعي.



الشكل رقم (15): توزيع عينة الدراسة حسب متغير الميدان العلمي للمبحوثين.

تمثل الأعمدة البيانية توزيع عينة الدراسة حسب متغير الميدان العلمي للمبحوثين الجامعيين، ونلاحظ من خلاله أن 39,42% من المبحوثين متخصصون أكاديمياً في العلوم الاجتماعية والإنسانية، تليها فئة المبحوثين المتخصصون في العلوم الطبيعية والتقنية بنسبة 17,01%، ثم فئة المتخصصين في ميدان العلوم الطبية بنسبة 12,66%، وغير بعيدة منها نسبة المبحوثين

¹ حاتم بن كحول، "وزير التعليم العالي والبحث العلمي يكشف: 5 ملايين طالب تخرجوا من الجامعات الجزائرية منذ الاستقلال"، جريدة النصر، نشر في: 11-10-2021، يوم الاطلاع: 10-08-2023، وقت الاطلاع: 17:18، الرابط: <https://www.annasonline.com/index.php/2014-08-09-10-33-20/2014-08-23-11-15-15/186121-5-177>.

الذين تخصصوا في ميدان العلوم الاقتصادية بنسبة 12,24%، بعدها تتقارب النسب، فتأتي فئة المبحوثين المتخصصين في ميدان الآداب واللغات الأجنبية بنسبة 10,58%، والحقوق والعلوم الإنسانية كأقل نسبة بلغت 08,09%.

يدخل في تفسير ما هو متعلق بالتخصصات الجامعية واختيارها العديد من المتغيرات، معدل البكالوريا المقبول في التخصصات الجامعية، التخصص الجامعي كإسهال ثقافي للطلاب، مدى قابلية التوظيف Employability بعد أن يختار الطالب التخصص الجامعي، التفضيلات الشخصية؛ فبالنسبة للتفسير المتعلق بمعدل القبول في التخصصات الجامعية فهي تفسر النتيجة الأولى الملاحظة من الشكل وهي أن غالبية أفراد العينة هم من المتخصصين في العلوم الإنسانية والاجتماعية (علم الاجتماع، علم النفس..)، تليها تخصصات العلوم الطبيعية والتقنية (البيولوجيا، الجيولوجيا، العلوم والتكنولوجيا)، حيث أن معدلات القبول فيها لا تكون مرتفعة كما لا يتطلب جُلّها وجود معدلات موزونة محسوبة* بل تخضع إلى المعدل العام المحصل عليه في امتحان البكالوريا الذي يبلغ الحدود الدنيا، لذلك من السهل التخصص فيها، كما يذكر أن هذه التخصصات شهدت إقبالا واسعا من طرف الحاصلين على معدلات من 9.50 حتى 12.50 عندما تم تخفيض معدل النجاح في البكالوريا بسبب تداعيات جائحة كورونا.

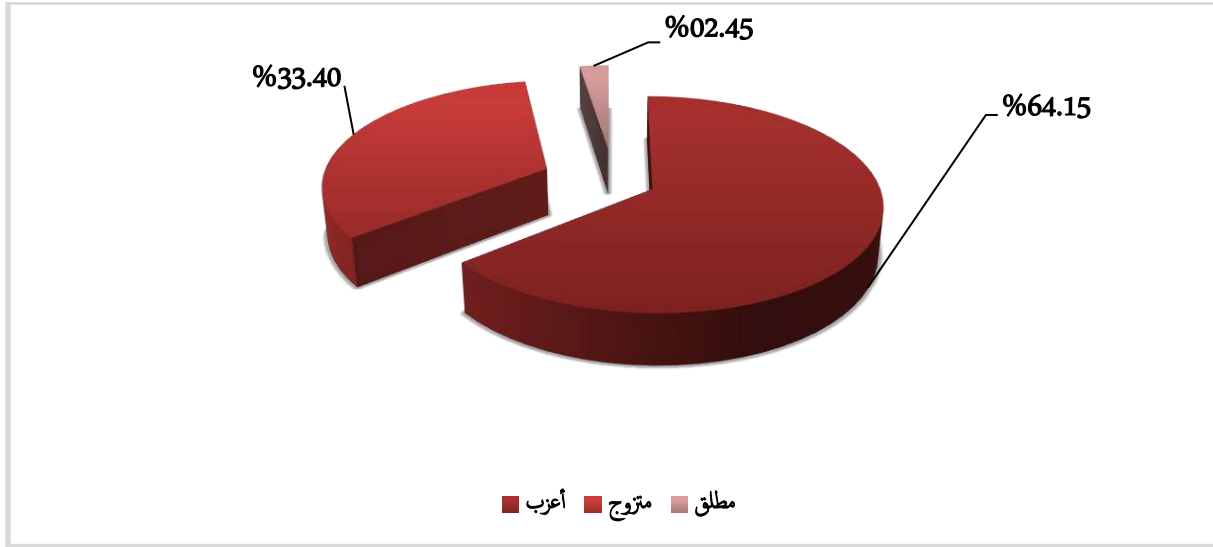
المتغير الآخر الذي يؤثر في اختيار الطلبة لتخصصاتهم هو قيمة التخصص العلمية والاجتماعية، ومدى مساهمته في إكساب الطالب رأسمال ثقافي واجتماعي وحتى رمزي، حيث يفترض الطالب من خلال اختياره توقعًا جيدًا في الحياة المهنية والاجتماعية، على غرار التخصصات الطبية مثل الطب، طب الأسنان، الصيدلة والبيطرة، التي تحمل قيمة كبيرة جعلت منه التخصص الأكثر طلبًا من قبل الطلبة المتحصّلين على البكالوريا بمعدلات عالية، إضافة إلى المنح الخارجية وإمكانيات مواصلة التكوين بالخارج، وكذا ضمان مناصب شغل سواء في القطاعين العام والخاص وعلى العاتق الشخصي، وهو من المتغيرات التي جعلت ميدان العلوم الاقتصادية في المرتبة الرابعة لاعتباره من أكثر التخصصات قابليةً للتوظيف، خاصة من حيث تنوع فرص العمل خاصة المشاركة في المسابقات الإدارية التي تختص بها قطاعات مختلفة مدنية أو حتى عسكرية، وإمكانية التدريس في المؤسسات الجامعية، العمل في المؤسسات الاقتصادية المختلفة، إطلاق مشاريع شخصية.. وغيرها.

يؤثر في اختيار التخصص العلمي كذلك توجيه الأسرة لأبنائها نحو تخصصات معينة كمحاولة لإعادة الإنتاج أو بالمقابل كمحاولة للتسلق الاجتماعي إذا ما أردنا استخدام مفاهيم بيار بورديو فتنقسم الآراء من جهة بين الرغبة في إرضاء الوالدين وعدم امتلاك الطالب للقدرة على صياغة اختياراته وفقًا للمزاوجة بين قدراته العلمية ومشاريعه المهنية المستقبلية؛ وعدم امتلاكه لنظرة كافية وموحدة حول الفروع والتخصصات الجامعية؛ وكذا عدم مقدرة المادية لتحمل تكاليف الدراسة الجامعية، وبين التفضيلات الشخصية من جهة أخرى وميولاته المقتنع بها بالنسبة للطلبة المخططين لمسارهم المهني والاجتماعي.

ولا تستثنى العوامل الافتراضية من التأثير في هذا الجانب من الهوية الذاتية للفرد أيضًا، إذ يساهم موقع فيسبوك بدوره في توجيه الطلبة نحو التخصصات الجامعية، فإضافة إلى المجموعات والصفحات التي ينشئها الطلبة الذين سبق لهم التخصص،

* المعدل الموزون المحسوب: هو المعدل ما بين المعدل العام المحصل عليه في البكالوريا المزود بمعامل وعلامة أو علامات المادة أو المواد الأساسية.

ويعرضون من خلالها تجاربهم وآراءهم، نجد صفحات متخصصة في توجيه الطلبة، على غرار صفحة "وجهني" التابعة لموقع للتوجيه الجامعي في الجزائر، حيث توفر الصفحة خدماتها كالتوجيه وتقديم نصائح، والإجابة على الأسئلة الشائعة حول التخصصات العلمية، كما توفر فضاءاً للملتحقين الجدد بالنقاش والتساؤل وتكون منطلقاً لتشكيلهم لجماعات شبكية علمية وأكاديمية (أنظر الملحق رقم: 19)، فنجد الطلبة الجدد رغم معدلاتهم المرتفعة وجمالهم تماماً لهوية أصحاب الصفحة وهوية المشتركين فيها يشعرون في نصائحهم وتوجيهاتهم، ما يقدم لنا ظاهرتين سوسيولوجيتين قابلتين للدراسة، فقدان الطلبة الجديدة للبوصلة التي تحدد مساراتهم ومستقبلهم، والثقة الموضوعة في العالم الافتراضي والغرباء الافتراضيين.



الشكل رقم (16): توزيع عينة الدراسة حسب متغير الحالة المدنية للمبحوثين.

يوضح الشكل البياني توزيع عينة الدراسة حسب متغير الحالة المدنية للمبحوثين، إذ تتنوع العينة بين فئة العازبين كأعلى نسبة بلغت 64,15%، تليها نسبة المبحوثين من فئة المتزوجين والتي بلغت 33,40%، ثم فئة المبحوثين المطلقين كأقل نسبة والتي بلغت 2,45%. ويمكن لنا أن نفسر نتائج الشكل البياني أعلاه من زاويتين: الأولى متعلقة بمجتمع البحث الأكبر وهو المجتمع الجزائري وتركيبته الديموغرافية من حيث متغير الزواج ومعدلاته؛ والثانية متعلقة بتركيبة عينة البحث وعلاقة متغير الحالة المدنية مع متغيرات البيانات الشخصية الأخرى إذا ما أخذت الحالة المدنية اتجاه المتغير التابع.

✓ من الزاوية الأولى: تشكل فئة العازبين النسبة الأكبر من المبحوثين في عينة بحثنا؛ فتقرب من مجموع ثلثها، وهي نتيجة يمكن أن نعتبرها منطقية إذا ما علمنا أن جل مفردات العينة هم من فئات عمرية صغيرة نسبياً، أي أقل من معدل العمر عند الزواج الأول لدى الجزائريين حسب آخر البيانات المقدمة من الديوان الوطني للإحصاء بالنسبة لسنة 2020، والتي بلغت سنة 2008 عمر 32,9 بالنسبة للرجال و29,1 بالنسبة للنساء سنة¹، فالمبحوثون الذين تتراوح أعمارهم بين 14 سنة و33 سنة يشكلون 66,25% من عينة البحث.

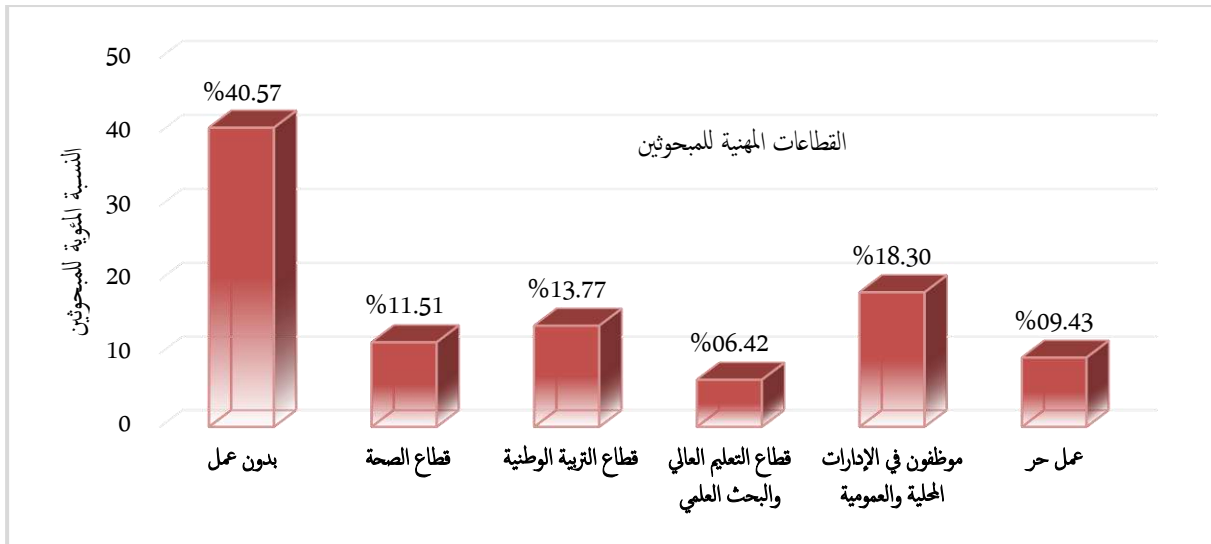
كما يذكر أن حجم الزيجات في الجزائر يسجل انخفاضاً متواصلاً بداية من سنة 2013 إذ انتقل من 10,1 حالة زواج نسمة إلى 6,41 حالة زواج لكل 1000 سنة 2020، لأسباب عديدة أغلبها متعلق بالنظام الاجتماعي والمعيقات الاقتصادية

¹ الديوان الوطني للإحصائيات، "حوصلة إحصائية 1961-2020: الديموغرافيا"، الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر، 2020، ص 57، رابط تحميل التقرير: https://www.ons.dz/IMG/pdf/CH1_Demographie1962_2020Ar.pdf.

والاجتماعية، وكذا أسباب ديموغرافية، والتي نجد على سبيل المثال أن تقرير الديوان الوطني للإحصائيات قد فُتّر من خلالها هذا الانخفاض المستمر للزيجات، فتناقص عدد السكان في ضمن الفئة العمرية 20 - 34 سنة -والتي تمثل الفئة التي تقع فيها 80% من حالات الزواج في الجزائر-، ساهم في تناقص العدد الإجمالي لحالات الزواج في الجزائر حيث انخفض من 10.606 مليون عام 2015 إلى 10.997 عام 2019، كما استشرّف الديوان كذلك أن الانخفاض سيتواصل حتى الأفق 2025-2030، في حالة عدم وجود عوامل أخرى قد تتداخل مع هذه الظاهرة¹.

✓ **من الزاوية الثانية:** إذا ما ربطنا بين كل من متغير الحالة المدنية ومتغيرات البيانات الشخصية الأخرى، نجد أن هناك دلالات إحصائية بينه وبين متغيرات: السن، وعمل المبحوث، فمن ناحية السن -وهو مرتبط بالزاوية الأولى- نجد ما يوضحه الجدول في الملحق رقم: 20، والذي نلاحظ من خلاله أنه كلما اتجهنا نحو الفئات العمرية الأقل تقل نسبة الزواج، والعكس كلما اتجهنا إلى فئات عمرية أكبر كلما زادت نسبة الزواج، فـ 93.94% من الفئة العمرية الأولى و 78.52% من الفئة العمرية الثانية هم من فئة العازبين، بالمقابل 75.76% من الفئة الرابعة و 82.35% من الفئة الخامسة هم من فئة المتزوجين، وهنا نلاحظ أن هناك علاقة منطقية طردية بين صغر سن المبحوثين وبين عزوبيتهم وبين كبر سنهم وزواجهم.

أما من ناحية **عمل المبحوث** فقد لاحظنا أن المبحوثين العازبين يشكلون النسب العليا من فئات الذين لا يزالون عملا معيناً، أو يزالون أعمالاً حرّة، فيشكل العازبون في الفئة الأولى 76.28%، وفي الفئة الثانية 62%، بالمقابل يشكل المتزوجون بالنسبة للذين يشغلون مهنة مستقرة نسباً عالياً، فأعلى نسبة للمتزوجين جاءت مدعمة بفئتين هما: المبحوثون الذين يشغلون وظائف في قطاع التعليم العالي والبحث العلمي بنسبة 55.88%، وفئة المبحوثين الذين يشغلون وظائف في الإدارات العمومية بنسبة 50.52%. يعني ذلك أن هناك علاقة بين استقرار عمل المبحوث وحالته المدنية، فكلما اتجهت حالته إلى الاستقرار الوظيفي ومنه الاستقرار في الرأسمالين الاقتصادي والاجتماعي ارتفعت نسبة انتائهم إلى فئة المتزوجين والعكس.



الشكل رقم (17): توزيع عينة الدراسة حسب متغير القطاع المهني الذي يشغله المبحوثون.

¹ ONS, "Démographie Algérienne 2019 (N°890/Bis)", Office National des Statistiques, Algeria, 2020, p 4, URL: https://www.ons.dz/IMG/pdf/demographie2019_bis.pdf.

بعد كل من متغيري المستوى التعليمي والميدان العلمي، نتناول في الأعمدة البيانية أعلاه القطاع المهني الذي يشغله المبحوثون، فرغم أن أغلبية عينة البحث هم بدون عمل بنسبة 40,57%، إلا أن باقي المبحوثين الذي يشغلون وظائف وأعمالا يتوزعون على قطاعات مختلفة ومتنوعة كما يلي: يجيء الموظفون والذين يشغلون قطاع الإدارات المحلية والعمومية الجزائرية في المرتبة الأولى بنسبة 18,30%، ثم تجيء نسبة فئة المبحوثين الذي ينشطون في قطاع التربية والتعليم والتي بلغت 13,77%، تليها نسبة المستخدمين الذي يشغلون قطاع الصحة والتي بلغت 11,51%، وقد تذيّل كل من المبحوثين الذين يزاولون أعمالا حرة والذين ينشطون في قطاع التعليم العالي والبحث العلمي ترتيب عينة البحث بنسبتي 09,43% و 06,42% على التوالي.

إن تقسيم الفئات في الشكل أعلاه هو تقسيم يقترب إلى حد كبير من تقسيم المديرية العامة للتوظيف العمومية والإصلاح الإداري الجزائرية، إذ تقسم قطاعات النشاط في الجزائر إلى الداخلية والجماعات المحلية، التربية الوطنية، الصحة العمومية، التعليم العالي، المالية، التكوين والتعليم المهنيين، العدل، وقطاعات أخرى، ولأن عينتنا شملت وظائف تقع في إطار هذه النشاطات بالضبط تم اعتماد هذا التقسيم مع تكييفه مع مدخلات تقنية البحث.

الغرض من هذا المتغير، فلأن العمل والمجال المهني عموما يعتبران من أهم الميادين التي يختص بها علم الاجتماع، على اعتبار العمل مجالا اجتماعيا بظواهره، تفاعلاته وعلاقاته، وأحد أهم سياقات تشكل الهويات أو تأزمها، فنرى السوسيولوجي كلود دوبار Claude Dubar على سبيل المثال في نقاشاته حول أزمة الهويات، يختص بالبحث في أزمة الهويات المهنية، ذلك لأنه يرى أنه لكل مهنة هويتها، وهوية المهنة هي "نموذج الهوية الجماعية التي تفترض... وجود جماعة يمكن ضمنها نقل طرائق الفعل والإحساس والتفكير التي تمثل في الآن ذاته قيما جماعية ومعالماً شخصية"¹، وبذلك فهمنة الفرد تؤثر على هويته الذاتية والشخصية ومنظوره إلى مكونات الهوية الأخرى وصولاً إلى الهوية الوطنية ومرورا بالهويات الوسطى*، وهو الغرض الذي أردنا الوصول إليه من خلال إدراج مؤشر المهنة في بحثنا هذا. ويظهر الشكل نتيجتين مهمتين:

✓ **الأولى** أن أغلبية أفراد العينة هم من فئة المبحوثين بدون عمل، ويمكن أن يفسر ذلك بنتيجة سابقة، وهو أن أغلبهم من فئة عمرية صغيرة، أي لا يملكون من جهة شرط السن المطلوب للتوظيف في أغلب القطاعات الخاصة والعمومية وكذا الحرة، فإذا ربطنا بين متغيري العمل والسن نجد أن فئة غير العاملين مدعومة من فئة المبحوثين الذين ينتمون إلى الفئة العمرية من 14 إلى 23 سنة بنسبة 84.85%، وهي مرحلة عمرية يكون أغلب أفرادها طلبة أو لا يملكون إثباتات مثل الشهادات أو الإجازات أو مستوى التكوين المطلوب.

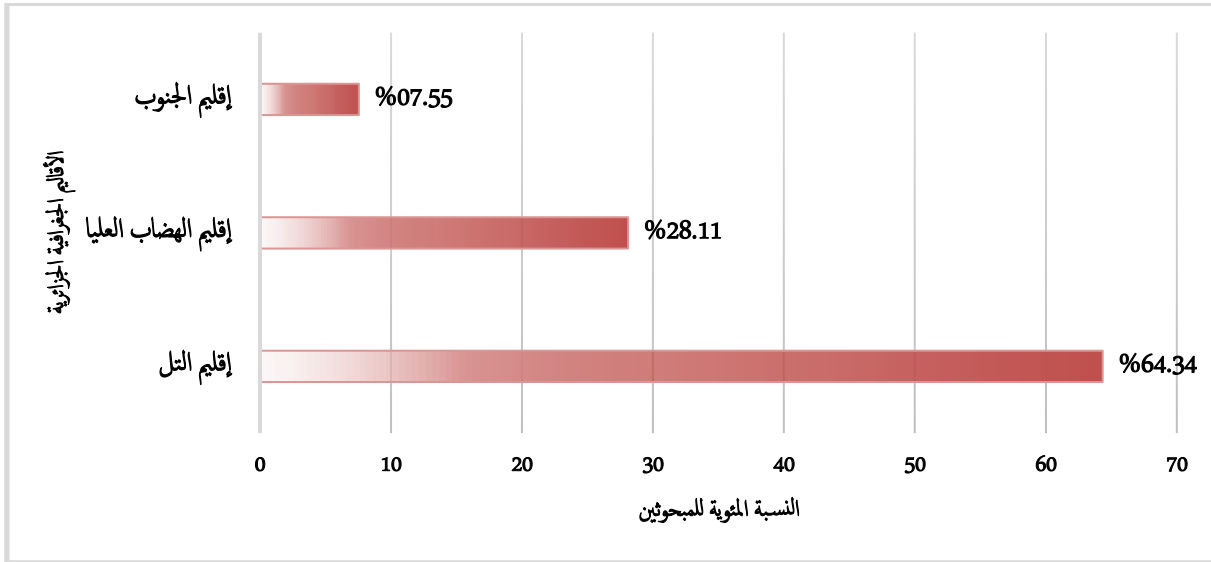
وعند ربطنا كذلك لمتغير عمل المبحوث مع متغير مكان الإقامة وجدنا دلالة إحصائية تستدعي للاهتمام، وهي أن فئة غير العاملين مدعومة من فئة المبحوثين الذين يقطنون في المناطق الريفية بنسبة 71.43%، في حين أن فئات المبحوثين الذين يقطنون في مناطق حضرية وشبه حضرية تدعم فئات المبحوثين الذين ينشطون في باقي القطاعات حتى الأعمال الحرة منها، ففئة المناطق الحضرية يدعم مبحوثوها فئات الذين ينشطون في قطاعات مثل الصحة والإدارات العمومية بنسبتي 12.88%

¹ كلود دوبار، مرجع سبق ذكره، ص 208.

* راجع المطلب المتعلق بسيروية تشكل الهوية الوطنية، المطلب الأول المبحث الثاني ضمن الفصل الثالث.

و20.45% على التوالي، وفئة المناطق شبه الحضرية يدعم مبحوثوها فئات الذين ينشطون في قطاعي التربية الوطنية والتعليم العالي بنسبتي 17.92% و 10.38% على التوالي، يعني ذلك أن لمكان إقامة أفراد العينة تأثيرا على القطاع المهني والعمل الذي يزاولونه، وأنه كلما كان المبحوث منتما إلى المجال الحضري الريفي قلت فرص العمل لديه والعكس، وهو في الحقيقة من أهم العوامل المؤثرة في الجغرافيا البشرية والاجتماعية وتوزيع السكاني في الجزائر كما سنرى لاحقا.

✓ النتيجة الثانية هي أن أهم ثلاثة قطاعات يشغلها المبحوثون هي قطاعات: الإدارات العمومية والمحلية بإداراتها البلدية، المالية، القانونية، الأمنية، الاتصالية، العمرانية وما يندرج تحتها من دواوين ومديريات¹، قطاع الصحة من طب وصيدلة والصناعة الصيدلانية، وقطاع التربية الوطنية من تعليم وإدارة وإشراف تربوي، وهي بالفعل أهم ثلاثة قطاعات في الجزائر حسب المديرية العامة للوظيفة العمومية والإصلاح الإداري في إحصاءاتها مطلع سنة 2020، فيمكن أن يفسر الظهور المكثف لهذه القطاعات في عينة البحث بأنها قطاعات نشطة وحيوية.



الشكل رقم (18): توزيع عينة الدراسة حسب متغير المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها المبحوثون.

بالانتقال إلى المتغيرات الجغرافية أو بالأحرى الجغرافيا الاجتماعية، يأتي التمثيل البياني أعلاه ليمثل توزيع عينة الدراسة حسب المنطقة الجغرافية (الأقاليم) التي ينتمي إليها المبحوثون، ونلاحظ من خلاله أن أغلب مفردات العينة ينتمون إلى إقليم التل الجزائري بنسبة 64,34%، ثم تليها نسبة المبحوثين الذين يتركزون في إقليم الهضاب العليا الجزائرية بنسبة 28,11%، وفي الأخير تأتي فئة المبحوثين الذين ينتمون إلى إقليم الجنوب الجزائري بنسبة 7,55%.

إن الغرض من هذا السؤال، ومتغير الجغرافيا هو من جهة محاولة للكشف عن المدى الذي يمكن أن تؤثر به الجغرافيا على الثقافات ثم الهويات، والذي يحيل إلى المعنى المناطقي للقوميات ومن جهة أخرى محاولة لنقل الاهتمام بالعالم الإنساني الفردي مقابل التركيز على التشكيل الجماعي للمشاهد الهوياتي في الجزائر، فوحدة التحليل تنتقل من المفردة إلى المنطقة أو الإقليم

¹ أنظر: وزارة الداخلية والجماعات المحلية، "تنظيم وزارة الداخلية والجماعات المحلية"، موقع وزارة الداخلية والجماعات المحلية، يوم الاطلاع: 2023-08-15، وقت الاطلاع: 02:31، الرابط: <https://www.interieur.gov.dz/index.php/ar/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B2%D9>.

على اعتبار متغير الجغرافيا، والذي رأينا فيما سبق أنه أول أبعاد العولمة وأكثرها ثباتاً ورسوخاً، والعامل الأول لانتشار الثقافات الهجينة في ظلها، ثقافاً وكروليةً وهجانةً¹.

وقد تم تقسيم الأقاليم التي ينتمي إليها المبحوثون تقسيماً أفقياً، ذلك أن هذا التقسيم يخضع إلى الطبيعة الجغرافية في الجزائر، التي تطبع على سكان كل منطقة خصائصها، فاخترنا أن تكون كل فئة من المبحوثين كما وصفها الجغرافي بول فيدال دو لابلاش Paul Vidal De La Blache مؤسس علم الجغرافيا البشرية، فئة من الأفراد "يعيشون جنبا إلى جنب في منطقة وضعت عليهم تدريجياً طابعها"¹.

وإذا رجعنا إلى المقدمة نجد ابن خلدون قد تناول بشكل سابق لعصره علاقة الجغرافيا بالعمران البشري، وأن البيئة والشمس والهواء والرطوبة عوامل تقسم العالم إلى أقاليم يقل أو يكثر عمرانها، يقوى أو يضعف أهلها، تتحد أو تتفكك عصبياها حسب العوامل الجغرافية، ونجده قد قسم هذه الأقاليم وأقسامها ومناطقها عرضيا، فالجغرافيون كما عاصرهم "يُسَمُّونَ كُلَّ قِسْمٍ مِنْهَا إِقْلِيماً، فَانْقَسَمَ الْمُعْمُورُ مِنَ الْأَرْضِ كُلُّهُ عَلَى هَذِهِ الْأَقَالِيمِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا آخِذٌ مِنَ الْقَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ عَلَى طَوْلِهِ"²، وهو التقسيم الذي اتخذناه، من غرب الجزائر إلى شرقها حسب الجغرافيا والتضاريس والمناخ. وسنوضحه في الجدول الموالي:

الجدول رقم (05): تقسيم الأقاليم الجزائرية.

المساحة الجغرافية	نسبة السكان	الولايات	الإقليم	
%04	%63	الجزائر العاصمة، البليدة، بومرداس، تيبازة، البويرة، المدية، تيزي وزو، بجاية، الشلف، عين الدفلى.	الشمال-وسط	إقليم التل
		عنابة، قسنطينة، سكيكدة، جيجل، ميله، سوق أهراس، الطارف، قالمة.	الشمال-شرق	
		وهران، تلمسان، مستغانم، عين تموشنت، غليزان، سيدي بلعباس، معسكر.	الشمال-غرب	
%09	%28	الجلفة، الأغواط، المسيلة.	الهضاب العليا-وسط	إقليم الهضاب العليا
		سطيف، باتنة، خنشلة، برج بوعريج، أم البواقي، تبسة.	الهضاب العليا-شرق	
		تيارت، سعيدة، تسمسيلت، نغامة، البيض.	الهضاب العليا-غرب	
%87	%09	غرداية، بسكرة، الواد، ورقلة + تقرت، المغير، ولاد جلال، المنيعه.	الجنوب-شرق	إقليم الجنوب
		بشار، تندوف، أدرار + تميمون، بني عباس، عين صالح، برج باجي مختار.	الجنوب-غرب	
		تمنراست، إليزي + عين قزام، جانت.	الجنوب الكبير	

المصدر: من إعداد الطالبة بناءً على:

JORADP, "Loi n° 10-02 du 16 Rajab 1431 correspondant au 29 juin 2010 portant approbation du Schéma National d'Aménagement du Territoire N° 61", Journal Officiel De La République Algérienne, Alger, 2010, p 04 et 75.

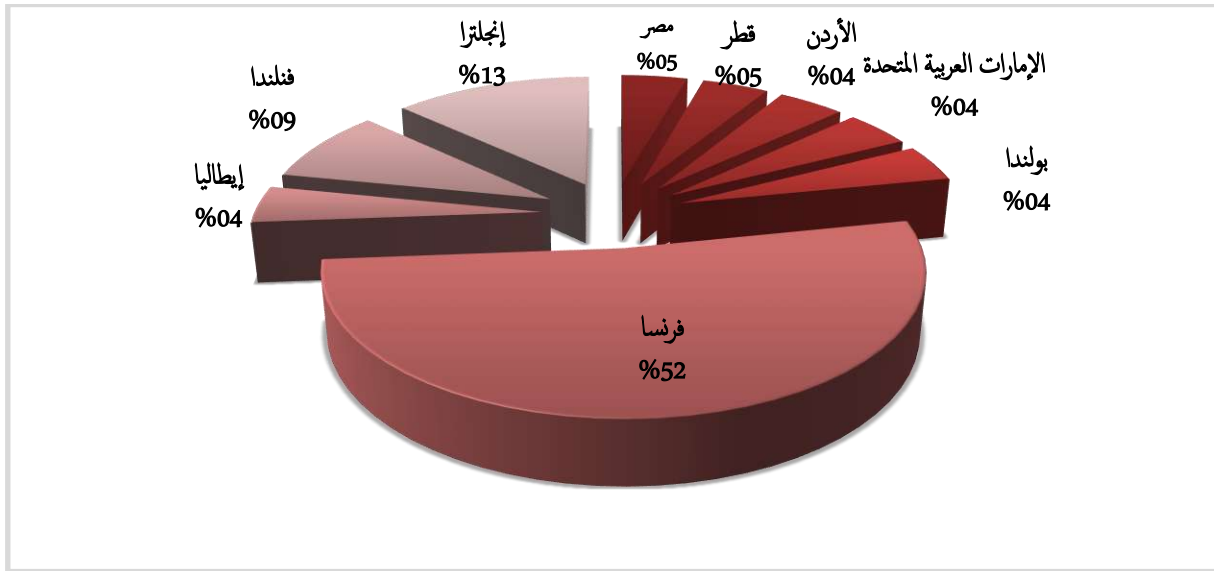
^{*} راجع المطلب المتعلق بالعولمة والثقافة الكونية ضمن الفصل الثاني.

¹ Paul Vidal De La Blache, Translated by: Millicent Todd Bingham, Principles of Human Geography, Constable and Company Ltd. London, 1926, p 17.

² عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 83.

لقد شملت عينتنا مفردات من 58 ولاية جزائرية بالتفاوت بينها، وتم تقسيمه إلى أقاليم اعتمادا على المخطط الوطني لتهيئة الإقليم SNAT، وهي: التل، الهضاب العليا، والجنوب (الصحراء)، هذا التقسيم الذي نجد أثرا له في الفكر الخلدوني أيضا، فقد تناول الجزائر ضمن الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة التي قسم من خلالها جغرافية العالم، وسماها المغرب الأوسط، وبدأ في تعداد بلادها بداية بشكل عرضي من الغرب إلى الشرق، وبداية من التل (الساحل) إلى القطعة الجوفية (الهضاب) إلى الصحاري التي وصفها بأنها منطقة تجوال للعرب، فجاء في المقدمة وصفا لجزائر اليوم أنها "بلاد المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان، وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هنيئ ووهزان والجزائر... ثم يتصل ببلاد الجزائر من شرقها بلاد بجاية في ساحل البحر، ثم قسنطينة في الشرق منها... ومترفعاً إلى جنوب المغرب الأوسط بلد أشير، ثم بلد المسيلة ثم الزاب وقاعدتها بسكرة تحت جبل أوراس... والقطعة الجوفية جبل دزن ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل أوراس وتيسة والأوتيس. وعلى ساحل البحر بلد بونة.."¹، هذا التقسيم الذي تبعه ابن خلدون بأن هذه الأقاليم منها منحرف ومعتدل وهواء كل منها يؤشر في ألوان البشر وحتى أحوالهم وأخلاقهم.

بملاحظة النتائج المتحصل عليها في الشكل أعلاه، نجد أننا يمكن أن نفسرها من خلال عامل أساسي وهو الديموغرافيا وتوزيع السكان في الجزائر، الذي يخضع لعدة عوامل طبيعية (المناخ، النباتات والتربة، الثروات الطبيعية، مصادر المياه...) وبشرية (المواصلات، المرافق الاجتماعية والاقتصادية)² وتاريخية مثل الموجات الديموغرافية الوافدة إلى الجزائر بعد سقوط غرناطة حيث استقر الوافدون في المدن الساحلية والكبرى كتلمسان، بجاية، الجزائر مسيلة وتيارت. فوجد عينة بحثنا تقترب أو تكاد تتطابق مع نسبة السكان في كل إقليم في الجزائر والموضحة في الجدول أعلاه، فهي في هذه الحالة أقرب لأن تكون عينة حصرية، كما يعطينا هذا تصورا عن المدى الذي يشكل به موقع فيسبوك مجالا افتراضيا موازيا للمجالات والأقاليم الفعلية.



الشكل رقم (19): توزيع عينة الدراسة حسب متغير بلد إقامة (للجزائريين المقيمين خارج الجزائر) المبحوثين.*

¹ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 91.

² أنظر مقال: عميرة جوييدة، "إشكالية التوزيع السكاني في الجزائر"، مجلة الباحث، المجلد 3، العدد 1، ديسمبر 2011.

"يذكر أن المجموع العام في هذا التمثيل البياني ليس عدد المبحوثين ككل، بل عدد المبحوثين المقيمين خارج الجزائر والذين يبلغ عددهم 24 مبحوثا بنسبة 4,53%، حيث يقابل التكرار 24 مبحوث النسبة الكاملة 100%، والملاحق رقم: 21 يفصل في توزيع عينة البحث بين الجزائريين المقيمين داخل الجزائر مقابل خارجها.

بالبقاء مع المتغيرات الجغرافية، ومع الانتقال من الجغرافيا المحلية إلى الجغرافيا العالمية، تمثل الدائرة النسبية أعلاه توزيع عينة الدراسة حسب متغير بلد إقامة المبحوثين، وهو متغير يمثل الجزائريين المقيمين خارج الجزائر والمتنوعة بين دول عربية وأخرى أجنبية، فتأتي فئة المقيمين بفرنسا الأولى بنسبة 52%، تليها نسبة المبحوثين المقيمين بالجزائر بنسبة 13%، ثم فئة المبحوثين المقيمين بفرنلندا بنسبة 09%، وبالتساوي تأتي فئة المقيمين بكل من مصر وقطر بنسبة 05%، وفي الأخير نسبة المقيمين بكل من الأردن، الإمارات العربية المتحدة، بولندا وإيطاليا بنسبة 04%.

تم إدراج السؤال المتعلق بالدولة محل إقامة المبحوث لغرض معرفة المدى الذي يمكن أن تتأثر به هويته الوطنية الجزائرية في ظل إقامته خارج حدودها الجغرافية والثقافية، ومدى تأثير احتكاكه بثقافات مختلفة على ثقافته الأصلية، فالهجرات كانت ولا تزال واحدة من أهم أدوات العولمة، ورغم أن نسبة المقيمين بالخارج لا تتعدى 04,53% إلا ظهورها بهذا الشكل يمكن أن تكون له دلالة إحصائية مع متغيرات ثقافية وهوياتية أخرى.

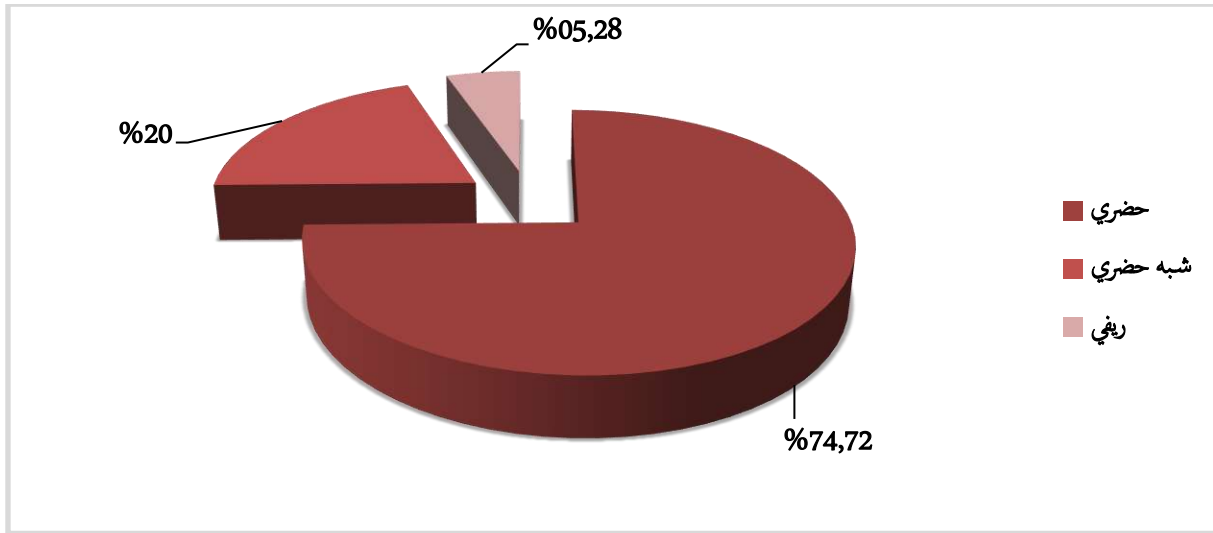
نلاحظ أن أكثر من نصف المبحوثين المهاجرين من الجزائريين قاطنون في فرنسا، وهي نتيجة متوقعة بالاستناد إلى الخلفية التاريخية بالضبط الاستعمارية التي تربط البلدين؛ فتاريخيا حيث بدأت نهاية القرن التاسع عشر، وتسارعت قبيل وخلال الحرب العالمية الأولى لغرضي التشغيل والتجنيد في الصفوف الفرنسية، وقد تواصلت وتحديدا في الشمال، بالإضافة إلى باريس، ليون، سانت إتيان ومرسيليا، وتسارعت بعد عام 1945 وخلال "ثلاثين سنة مجيدة"، وانخفض بشكل حاد من عام 1974 إذ تم حظر الهجرة بالاشتراك بين السلطات الفرنسية والجزائرية¹. وتواصلت موجات الهجرة إلى فرنسا سواء الشرعية منها وغير الشرعية حتى بلغت الجالية الجزائرية في فرنسا النسبة الأكبر مقارنة بباقي المهاجرين من كل دول العالم إلى فرنسا، حيث يمثل الجزائريون نسبة 12,50% من مجموع المهاجرين في فرنسا، بعدد يبلغ حسب الديبلوماسية الفرنسية 623145 جزائرياً لديهم بطاقة إقامة فرنسية في عام 2020، هذا فضلاً عن حاملي الجنسية المزدوجة الفرنسية والجزائرية²، وتفسر النسب سبب ظهور نسبة كبيرة للمبحوثين المقيمين في فرنسا ضمن عينة البحث مقارنة بدول عربية أخرى أو أجنبية.

وقد كانت الهجرات الجزائرية إلى فرنسا موضوعا للعديد من الكتب والدراسات التاريخية وسوسيولوجية التي توصف الظروف التاريخية والاجتماعية لهذه الهجرات، ومن منطلقات إيديولوجية مختلفة نذكر منه كتاب بنيامين ستورا Benjamin Stora صاحب الكثير من الأعمال حول القومية والثورة الجزائرية "جاؤوا من الجزائر: الهجرة الجزائرية إلى فرنسا (1912-1992)"³ الذي تناول تاريخ الهجرة الجزائرية من الزاوية السياسي، أين وضع المؤلف الكيفية التي نظم بها العمال الجزائريون أنفسهم منذ السنوات الأولى من هجرتهم إلى فرنسا، من خلال إنشاء نجمة شمال إفريقيا عام 1926 وغيرها من الأحداث وصولا إلى بداية التسعينيات، وغيرها من الدراسات الكثيرة.

¹ Pierrette Meynier and Gilbert Meynier, "L'immigration algérienne en France: histoire et actualité", **Confluences Méditerranée**, Vol. 2, No. 77, 2011, p 219, DOI: <https://doi.org/10.3917/come.077.0219>.

² الديبلوماسية الفرنسية، "فرنسا والجزائر"، الموقع الرسمي لوزارة أوروبا والشؤون الخارجية، يوم الاطلاع: 16-08-2023، وقت الاطلاع: 16:16، الرابط: <https://www.diplomatie.gouv.fr/ar/dossier-pays/afrique-du-nord-et-moyen-orient>.

³ See: Benjamin Stora, **Ils venaient d'Algérie. L'immigration algérienne en France (1912-1992)**, Edition Fayard, La France, 1992.



الشكل رقم (20): توزيع عينة الدراسة حسب متغير مكان إقامة المبحوثين.

بالانتقال إلى الجانب الحضري من البيانات الشخصية، حيث تمثل الدائرة النسبية توزيع عينة الدراسة حسب متغير مكان إقامة المبحوثين، ونلاحظ من خلاله أن ما يقارب ثلاثة أرباع العينة يقيمون في مجالات حضرية بنسبة 74,72%، تليها نسبة المبحوثين الذين يقيمون في مجالات شبه حضرية بنسبة 20%، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذين يقيمون في مجالات ريفية بنسبة 05,28%.

لاحظنا أيضا وجود علاقة بين الإقامة في مجال الحضري وبين توفر فرص للدراسة أو العمل حتى أننا لاحظنا أن المقيمين في المجال الحضري المزاويلين لمهن معينة تتجاوز نسبتهم عدد المقيمين في هذا المجال من الذين لا يعملون، فالإقامة هنا تؤثر في مجالات الحياة العلمية والمهنية، وقد لاحظنا على سبيل المثال أنه عند ربط متغير مكان الإقامة مع متغيري الميدان العلمي والقطاع المهني الذي يشغله المبحوث، وجدنا أن هناك تدعيا من فئات المتخصصين في المجال الطبي، فهناك تدعيم بنسبة 86,89% من طرف الطلبة الذين يدرسون ضمن ميدان العلوم الطبية، وتدعيم بنسبة 83,61% من طرف فئة المبحوثين العاملين في قطاع الصحة.

كما دعمت فئة العاملين في قطاع التعليم العالي والبحث العلمي فئة القاطنين في مجالات شبه حضرية بنسبة 32,35% وذلك في الأغلب راجع إلى عدد الجامعات والمراكز الجامعية عبر الوطن، بينما دعمت فئة غير العاملين فئة القاطنين في المجال الريفي بنسبة 09,30%، وهو ما يعطينا تصورا عن المدى الذي أثر به بالفعل مكان إقامة المبحوث عن مساراتهم الحياتية والمهنية. التفسير الآخر، والأكثر منطقية هو كثرة السكان في المناطق الحضرية في الجزائر، فيشير معدل التحضر في بلد ما إلى نسبة إجمالي السكان الذين يعيشون في بيئة حضرية، والذي بلغ في الجزائر عام 2022 نسبة 74,77%، كما يوضحها الشكل في الملحق رقم: 22، والذي نلاحظ من خلاله أن نسبة التحضر التي يظهرها التمثيل البياني تكاد تتطابق مع نسبة المبحوثين القاطنين في البيئة الحضرية ضمن عينتنا. من جانب آخر؛ فإننا نستبعد أن تكون تغطية الإنترنت عاملا مؤثرا في ظهور العينة بهذا الشكل إذ أنها لم تعد محدودة بالمجالات الحضرية فحسب بل تجاوزتها إلى المجالات شبه الحضرية والريفية، فكما ذكرنا سابقا أنه في نهاية مارس 2023 بلغت حظيرة مشتركي الإنترنت في الجزائر 50,183 مليون مشترك، وإذا لاحظنا خارطة التغطية

بشبكة الإنترنت اللاسلكية في الجزائر بداية من الجيل الثاني إلى الرابع نجدها توزع على كامل التراب الوطني، خاصة متعامل موبيلس (اتصالات الجزائر للهاتف النقال) (أنظر الملحق رقم: 23).

المطلب الثاني: عرض ومناقشة بيانات الهوية الافتراضية لعينة الدراسة على موقع فيسبوك.

يجيء هذا المطلب بغرض تحديد خصائص الهوية الشبكية لدى المبحوث، والتي تعبر عن هويته الذاتية ولكن في سياق الشبكة، وكيف يمكن أن يعرض هذه الهوية عبر موقع فيسبوك، إضافة إلى تحديد بعض معالم أنماط استخدام المبحوث له وستأتي في العرض والمناقشة مثلما جاءت في تقنية البحث.

أولاً: أنماط وسلوكيات استخدام مفردات عينة البحث لموقع فيسبوك.

يمكننا من خلال هذا الجزء من العمل تحديد أنماط وسلوكيات استخدام المبحوثين لموقع فيسبوك، من خلال معرفة الوقت الذي يقضونه على موقع فيسبوك، وكذا منظورهم إليه بين الإيجاب والسلب، الشبكات الافتراضية التي ينتمون إليها حسب اهتمامهم ولغاتهم وغيرها مما يمكننا من تكوين صورة عن جزء من هوياتهم على فيسبوك.

الجدول رقم (06): العلاقة بين متغير السن والوقت الذي يقضيه المبحوثون في استخدام فيسبوك.

المجموع	الوقت الذي يقضيه المبحوث مستخدماً فيسبوك				الفئات العمرية للمبحوثين	
	أقل من ثلاث ساعات	من ثلاث ساعات إلى ست ساعات	من ست ساعات إلى تسع ساعات	أكثر من تسع ساعات		
66	25	26	08	07	من 14 إلى 23 سنة	التكرار
%100	%37.88	%39.39	%12.12	%10.61	من 14 إلى 23 سنة	النسبة المئوية
284	115	128	30	11	من 24 إلى 33 سنة	التكرار
%100	%40.49	%45.07	%10.56	%03.87	من 24 إلى 33 سنة	النسبة المئوية
130	80	35	11	04	من 34 إلى 43 سنة	التكرار
%100	%61.54	%26.92	%08.46	%03.08	من 34 إلى 43 سنة	النسبة المئوية
33	25	08	0	0	من 44 إلى 53 سنة	التكرار
%100	%75.76	%24.24	\	\	من 44 إلى 53 سنة	النسبة المئوية
17	13	04	0	0	من 54 إلى 63 سنة	التكرار
%100	%76.47	%23.53	\	\	من 54 إلى 63 سنة	النسبة المئوية
530	258	201	49	22	المجموع	التكرار
%100	%48.68	%37.92	%09.25	%04.15	المجموع	النسبة المئوية

نلاحظ من الجدول أعلاه أن 48.68% من المبحوثين يقضون وقتاً أقل من ثلاث ساعات مستخدمين موقع فيسبوك بتدعيم من فئة المبحوثين الذين ينتمون إلى الفئة العمرية 54 - 63 سنة وذلك بنسبة 76.47%، بالمقابل من جهة النسب الصغرى في الجدول فإن 04.15% من المبحوثين يقضون وقتاً يتجاوز التسع ساعات مستخدمين موقع فيسبوك، وذلك بتدعيم من فئة المبحوثين الذين ينتمون إلى الفئة العمرية 14 - 23 سنة بنسبة 10.61%.

إن أول نتيجة تتبادر لنا من الجدول هي أنه كلما اتجهنا نحو الفئات العمرية الأكبر سناً قلّت الفترة الزمنية لاستخدام فيسبوك، وكلما اتجهنا نحو الفئات العمرية الأصغر سناً زادت الفترة الزمنية للاستخدام، وهذا يعني أن هناك علاقة إحصائية

بين عمر المبحوث ومدى استخدامه للموقع؛ ويمكن أن تفسر النتائج بمدى فراغ وانشغال المبحوثين في حياتهم اليومية عن استخدام موقع فيسبوك، فالمبحوثون الأكبر سناً هم الذين يدعمون فئات المتزوجين وفئات الذين يشغلون وظائف، مما يجعل البقاء متصلاً لوقت طويل أمراً صعباً نظراً للانشغالات المنوطة بهم بالمقابل فإن التعرض الكثيف لأصحاب الفئة الأولى يمكن أن يكون مرتبطاً بالإشباع التي يوفرها موقع فيسبوك لهم، ومختلف الشبكات التي يمكن أن ينضموا إليها خاصة الترفيهية منها، وهي من أهم سمات المجتمعات الشبكية، نقصد بذلك الطابع التفاعلي والاستجابة لرغبات المستخدمين.

ومهما كانت الإشباع التي يوفرها موقع فيسبوك للمستخدمين من أعمار صغيرة، فإن تبريرنا للفئات الأكبر سناً بالانشغال لا يلغي انشغال الفئة الأصغر سناً، التي تدعم فئة التلاميذ وكذا الطلبة؛ إذ يفترض أن لديهم التزامات وأعباء بالمدرسة والجامعة تجعل من الاتصال لأكثر من تسع ساعات أمراً غير متاح إلا إذا فسرنا ذلك بتقصيرهم أو تسريحهم، كما أن التعرض الكثيف لموقع فيسبوك يمكن أن يرتبط بالعديد من المشكلات النفسية والسوسيونفسية، يفترض أنها تتناقض مع مفهوم "التواصل" مثل العزلة، الوحدة، الخوف من فوات الشيء The Fear of Missing Out الذي يعرف بالFOMO والذي يعني التخوف من أن يكون للآخرين تجارب وخبرات لا يريد المرء ويخاف أن يفوتها، والسؤال المتكرر "ماذا لو؟". هذا الشعور الذي زادت مواقع التواصل منه التي تسبب مجموعة متنوعة من التأثيرات على الصحة النفسية والعقلية والتطلع إلى الرفاهية وعدم الرضا عن الحياة، إذ يطلع المستخدمون على تجارب الآخرين التي تجعلهم غير مكثفين بحياتهم الفعلية¹، حيث توصلت دراسة للباحثة شانتيل إيلام بيرنارد Chantelle Elam Bernard أنه كلما تم تعرض الفئات صغيرة السن من المستخدمين لمواقع التواصل كلما ساهم ذلك في شعورهم بالوحدة والاعترا ب عن الواقع²، فالمستخدمون يشعرون بأنهم يفوتون بالضرورة الكثير مما يحدث في هذا العالم من أماكن وتجارب.

يمكن أن تفسر النتيجة كذلك بوعي المبحوثين الأكبر سناً بمدى الضرر النفسي والاجتماعي الذي يمكن أن يسببه استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، حيث تثبت العديد من الدراسات علاقة كبر سن المبحوث بقصر الوقت الذي يقضيه مستخدماً مواقع التواصل الاجتماعي، توصلت على سبيل المثال الباحثة ماريان مراد أنيس في دراستها المتضمنة لمسح على 500 مستخدم لموقع فيسبوك من مختلف الأعمار أنه كلما صغر سن المبحوث كلما زادت كثافة تعرضه لموقع فيسبوك³، قصر الوقت هذا مرتبط بإدراك المستخدمين الأكبر سناً للآثار الناجمة عن الاستخدام المفرط للموقع ما يجعلهم يحدون من ساعات التعرض إليه ولضامينه، ففي دراسة أخرى تضمنت 782 مشاركاً تتراوح أعمارهم بين 25 و75 عاماً، توصل الباحثون إلى أن

¹ Dominik Neumann, "Fear of Missing Out", in: **The International Encyclopedia of Media Psychology**, Edited by: Jan Van den Bulck, John Wiley & Sons, Inc, 2020, pp 1–3, DOI: <https://doi.org/10.1002/9781119011071.iemp0185>,

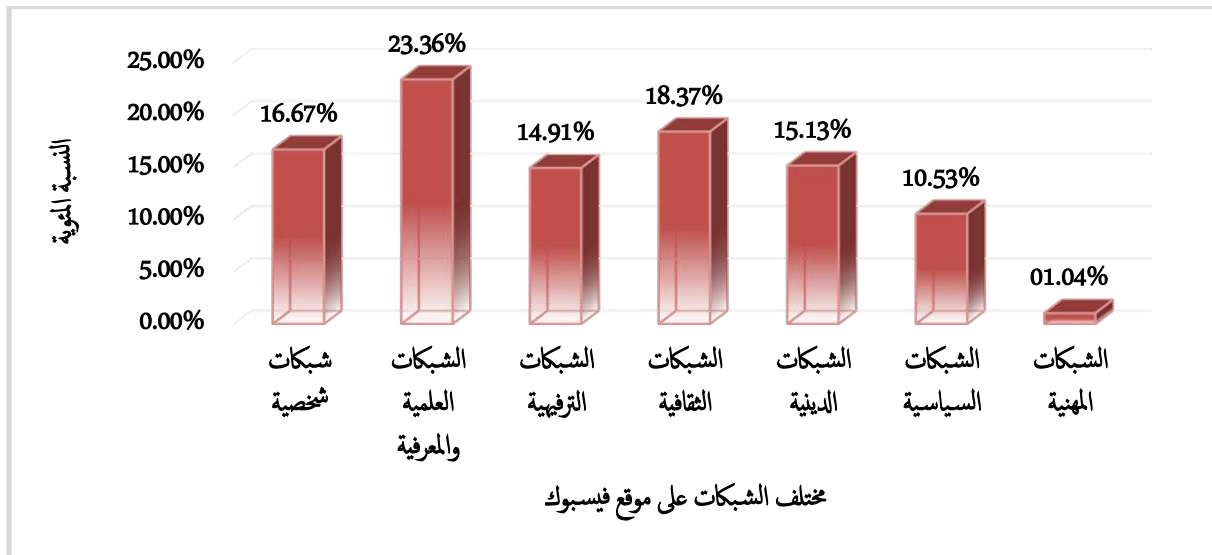
² Chantelle Elam Bernard, "Lonley Zs: Examining The Relationships Among Time Spent On Social Networking Sites, The Fear of Missing Out (Fomo), And Loneliness Among Undergraduate College Students", Ph.D. Dissertation, School of Behavioral Sciences, **Liberty University**, Lynchburg, Virginia, 2020, p 96.

³ ماريان مراد أنيس، "علاقة متغيري السن والنوع بكثافة التعرض لمواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك- تويتر- اليوتيوب- المدونات)"، **المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والإعلان**، العدد. 09، يناير 2017، ص 406.

العمر خفف العلاقة بين الوقت اليومي الذي يقضيه الشخص على وسائل التواصل الاجتماعي والتأثير السلبي¹، أي أن العمر هنا يلعب دوراً حاسماً في العالم الافتراضي، والغالب أن ذلك يعود للوعي والخبرات التي يكتسبها الأفراد بمرور الزمن.

وإذا عدنا إلى مقارنة الدراسة، نجد أن في توصيفها لخصائص الأفراد في المجتمع الشبكي أن "استخدام الشبكات أصبح يهيمن على حياتهم، والوقت الذي يقضونه على شبكات البث والهاتف والإنترنت ما بين خمس إلى سبع ساعات من وقتهم يومياً في المتوسط .."²، فرغم أن التوصيف مضي عليه أكثر من عقد من الزمان، إلا أن ظاهرة استهلاك هذه الشبكات للوقت مازالت قائمة وممكنة ملاحظتها إذ أن امتلاء الحياة اليومية بالتكنولوجيا، الإنترنت وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي جعلت الأفراد أكثر استقلالية عن الآخرين كما جعلتهم أقل اجتماعية.

يذكر أن شركة ميتا أخذت بعين الاعتبار وعلى عاتقها مسؤولية تسيير المستخدمين وإدارتهم لوقتهم على فيسبوك، فقد صرح مسؤولو الأبحاث وإدارة المنتجات في الشركة أن مسؤولية مساعدة الأشخاص على فهم مقدار الوقت الذي يقضونه على منصاتهم تقع على عاتقهم، وذلك عن طريق أدوات تمكنهم من تعيين تذكير يومي لتنبيههم عندما يصلون إلى مقدار الوقت الذي يريدون قضاءه على موقع فيسبوك (أنظر الملحق رقم: 25)، تحت شعار "تحكم في الوقت الذي تقضيه على فيسبوك"³، ما يمنحهم مزيداً من التحكم في وقتهم اليومي، خاصة أن الشركة صرحت بدرايتها التامة بالآثار السلبية الناجمة عن فرط الاستخدام والتعرض، حتى أنها التزمت ببرنامج عالمي لمنع الانتحار، بما في ذلك المساعدة في الكشف الاستباقي عن حالات الانتحار بالتعاون مع منظمات الصحة العقلية مثل منظمة Save.org، وبلاستفادة من تجارب الأشخاص الذين لديهم خبرة شخصية في التفكير أو محاولة الانتحار.



الشكل رقم (21): توزيع عينة الدراسة حسب متابعتهم لمختلف الشبكات على موقع فيسبوك.

¹ Xin Yao Lin and others, "Age Differences In The Relationship Between Daily Social Media Usage And Affect", *Innovation in Aging*, Vol. 4, No. 1, 2020, p 410, DOI: <https://doi.org/10.1093/geroni/igaa057.1320>.

² Jan van Dijk, Op cit, p 1.

³ Ameet Ranadive and David Ginsberg, "New Tools to Manage Your Time on Facebook and Instagram", *Meta*, published: 01-06-2023, accessed: 20-08-2023, at: 14:05, URL: <https://about.fb.com/news/2018/08/manage-your-time/>.

يتضح لنا من خلال التمثيل البياني أعلاه أن أغلب الباحثين من عينة البحث يتابعون الشبكات العلمية والمعرفية بنسبة 23.36%، تليها الشبكات الثقافية بنسبة 18.37%؛ ثم الشبكات الشخصية (أي الاكتفاء بالمراسلات مع الأصدقاء وتبادل الملفات والصور والروابط) بنسبة 16.67%؛ وبعدها الشبكات الدينية بنسبة 15.13%؛ فالشبكات الترفيهية بنسبة 14.91%؛ ثم بعدها الشبكات السياسية بنسبة 10.53%، وفي الأخير وبنسبة قليلة تعادل 01.04% تأتي الشبكات المهنية.

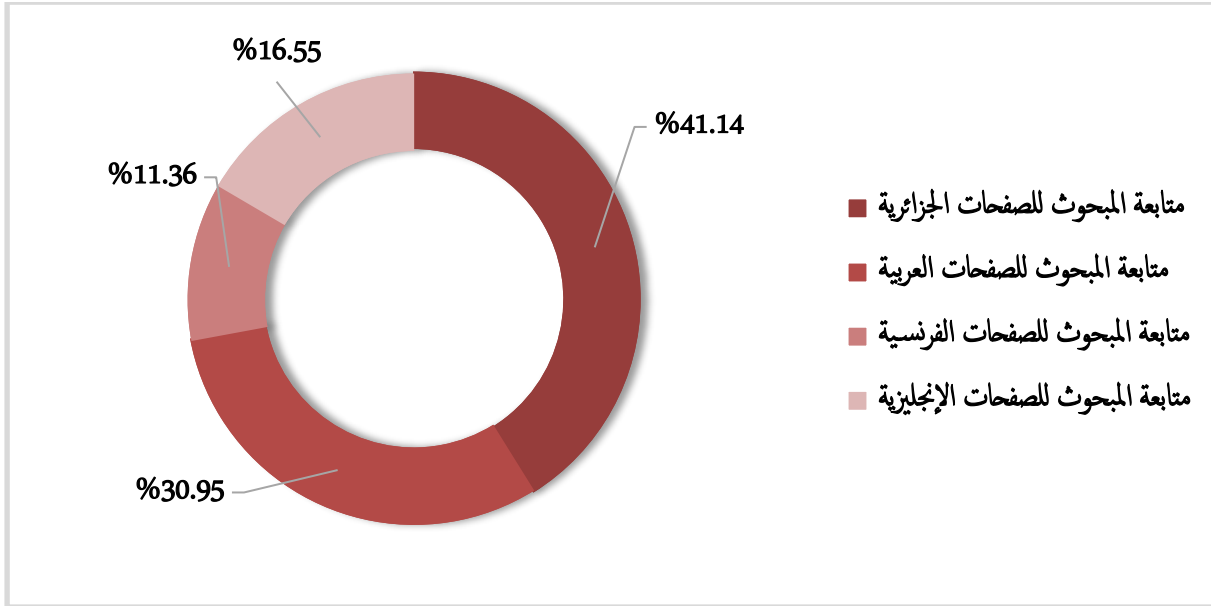
أطلقنا على المجموعات والصفحات عبر فيسبوك تسمية "الشبكات"، ذلك أنها تتوفر على خاصيات مفهوم الشبكة بمنظور كاستلر، فهي مجموعات من عقد وروابط وتدفقات، تشكل جماعات تجمعها نفس الاهتمامات إذ تعمل الإنترنت ومواقع التواصل على كما يرى منظرو المجتمع الشبكي أنها تجدد معنى الجماعة، بل وتحمل معنى أكثر من غيرها من الجماعات "لأن الانخراط فيها يكون طوعاً وغير مستند إلى عوامل عرضية واعتباطية تخص التقارب الجغرافي أو الاشتراك في العرق والنسب.. كما أنها أقل ترابعية وتمييزاً وإقصاءً وإدناءً من الجماعات التقليدية"¹، فكما نلاحظ بوفر موقع فيسبوك شبكاتاً لمختلف اهتمامات المستخدمين من بداية من المهني منها وصولاً إلى الترفيه.

وتعد الشبكات العلمية والمعرفية أكثر الشبكات انخراطاً من قبل الباحثين، ذلك أن أغلبهم من ذوي المستوى الجامعي الذي يتطلب اطلاعاً دائماً ومحدثاً على الأخبار والتحديثات في المجال، كما يتطلب أيضاً تبادلاً للمعارف والخبرات والدراسات، حيث نلاحظ أثناء الاستخدام اليومي وجود صفحات متخصصة في نشر الكتب والدراسات عبر تخصصات مختلفة، ومجموعات متخصصة في التحديثات الخاصة بطلبة الدكتوراه على سبيل المثال، إضافة إلى أن الموقع أصبح وسيلة اتصال بين الأساتذة والطلبة خاصة بعد جائحة كورونا التي لعب فيسبوك دوراً هاماً خلالها في الحفاظ على الاتصال بينهما.

كما تمثل الثقافة جزءاً مهماً من المجالات على الموقع نذكر منها الأمثال الشعبية التي وجدت في الفضاء الافتراضي مجالاً للانتشار "فمختلف الوسائط الرقمية التي ظهرت في عصر العولمة باتت تعمل بشكل إيجابي في توظيف هذه الأمثال بكل تفرعاتها ومضامينها من أجل خدمة التراث الشعبي.. دون عوائق فكرية أو جغرافية أو إثنية تقف في وجه انتقال مثل ما من بينته الأم إلى بيئة أخرى جديدة خاصة الفيسبوك [الذي] شكل نقطة تحول كبيرة في التلقي والتفاعل مع هذه الأمثال"²، فقد أصبحت العادات والتقاليد، تنتقل محلياً بين المناطق والولايات داخل الجزائر، وعالمياً إلى المنطقة العربية ثم العالم ككل، (وهو ما سيتم قياسه خاصة في الفصل السابع من الدراسة)، ونلاحظ أيضاً أن هناك ميلاً للانخراط في الشبكات الدينية، إذ أصبح الموقع أحد أهم مصادر المعرفة الدينية والثقافة الإسلامية كما سنرى في الفصل اللاحق، ذلك إضافة إلى غيرها من الشبكات الترفيهية، السياسية والمهنية.

¹ دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 198.

² رضا عامر، "حضور التراث الشعبي الجزائري عبر شبكات التواصل الاجتماعي وتطبيقات الهاتف النقال"، مجلة آفاق علمية، المجلد 10، العدد 02، 2018، ص ص 127 - 128.



الشكل رقم (22): توزيع عينة الدراسة حسب جنسية الصفحات التي يتابعونها على موقع فيسبوك.

يقدم لنا التمثيل البياني أعلاه تصورا عن هوية الصفحات التي يتابعها المبحوثون بكثرة، وكما نلاحظ منه أن هوية أغلب الصفحات التي يتابعها المبحوثون هي الهوية الجزائرية بنسبة 41%، تليها الصفحات العربية بنسبة 30.95%، ثم بنسبة أبعد قليلا منها تأتي الصفحات الأجنبية، حيث حلت الصفحات الإنجليزية أولا بنسبة 16.55% ثم الصفحات الفرنسية في الأخير بنسبة 11.36%.

إذا كان الشكل السابق يقدم لنا تصورا عن المجالات والاهتمامات التي يتركز حولها المبحوثون، فالشكل أعلاه يقدم لنا تصورا عن اللغات التي يتركزون حول صفحاتها، حيث نلاحظ أنهم وضمن نطاق مفتوح لا حدود له هو "الإنترنت" يبقى أفراد العينة منخرطين في صفحات تعبر عن لغتهم وذلك ما يقع في إطار ما سماه كاستلر هويات المقاومة، فرغم أن هذه النتيجة لا تبدو ذات معنى إلا أن لها رمزية، فهي تعتبر رد فعل دفاعي ومعارضة لهيمنة اللغات الأجنبية على الإنترنت وهو نوع من مصادر المعنى والهوية من خلال تكريس اللغة كرمز ثقافي متجذر.

ملاحظة أخرى هو اتجاه المستخدمين إلى اللغة الإنجليزية، فقد تجاوزت في الاستخدام والمتابعة اللغة الفرنسية التي كان من المتوقع ألا تكون الأخيرة، لكن النتيجة تتفق مع بعض الدراسات التي وصلت إلى أن المستخدمين الجزائريين لموقع فيسبوك يتجهون بقوة إلى اللغة الإنجليزية، فيبدو أن الجزائريين وجدوا في الفضاء الإلكتروني، وعلى الأخص فيسبوك بمجموعاته وصفحاته مساحة مشتركة لممارسة اللغة الإنجليزية¹، بل تجاوز الأمر ذلك إلى ما يعرف بالـ Anglification أي تعديل الكلمات والأسماء والعبارات بلغات مختلفة لتسهيل تهجتها أو نطقها أو فهمها باللغة الإنجليزية، فيقال بدل "أتحدث" مثلا "n'speaky".

¹ Karima Hocine, Opcit, p 93.

الجدول رقم (07): آراء المبحوثين حول إيجابيات موقع فيسبوك.

المجموع	آراء المبحوثين حول إيجابيات موقع فيسبوك				إيجابيات موقع فيسبوك المقترحة	
	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق بشدة		
530	112	333	66	19	التكرار	الافتتاح الثقافي والتعرف على
%100	%21.13	%62.83	%12.45	%03.58	النسبة المئوية	ثقافات أخرى عبر العالم
530	177	293	48	12	التكرار	ربط علاقات مع أفراد تجمعك معهم
%100	%33.40	%55.28	%09.06	%02.26	النسبة المئوية	نفس الاهتمامات
530	263	243	14	10	التكرار	سهولة وسرعة انتقال المعلومات
%100	%49.62	%45.85	%02.64	%01.89	النسبة المئوية	والبيانات (أخبار، صور..)
530	133	276	89	32	التكرار	توفير فضاء لحرية التعبير والنشر
%100	%25.09	%52.08	%16.79	%06.04	النسبة المئوية	
2120	685	1145	217	73	التكرار	المجموع*
%100	%32.31	%54.01	%10.24	%03.44	النسبة المئوية	

ماذا عن التصورات التي يحملها المبحوثون عن إيجابيات موقع فيسبوك؟ يأتي الجدول أعلاه ليؤصف آراءهم حول الإيجابيات التي يمكن لموقع فيسبوك أن يتميز بها، ونلاحظ من خلاله أن أكثر من نصف المبحوثين يوافقون على العبارات الإيجابية المقترحة حول موقع فيسبوك بنسبة 54.01%، خاصة عبارات أن فيسبوك يشكل أداةً للافتتاح الثقافي والتعرف على ثقافات أخرى عبر العالم بنسبة 62.83%؛ تليها عبارة أن فيسبوك يساعد على ربط علاقات مع أفراد تجمع المبحوث معهم نفس الاهتمامات بنسبة 55.28%؛ ثم عبارة أن فيسبوك يوفر فضاءً لحرية التعبير والنشر بنسبة 52.08%، كما وافق بشدة ثلث مفردات العينة على العبارات التي اقترحناها أي بنسبة 32.31%، خاصة فيما يخص العبارة المتعلقة بمدى توفير موقع فيسبوك لفضاء لحرية التعبير والنشر.

أهم ما يبرزه لنا الجدول هو اتفاق المبحوثين على أغلب الإيجابيات المطروحة، بالخصوص أن الموقع يثري الافتتاح الثقافي للمستخدمين المبحوثين ويساهم في تعريفهم على ثقافات عالمية، ما يقع ضمن وجهة النظر الثانية حول دور المعلومات والإنترنت وتشكيلها لعولمة معلوماتية في ظل التواصل الكوني، ووجهة النظر هذه هي أن "عولمة المعلومات والاتصالات سبيل للافتتاح على العالم"، فعلى سبيل الافتتاح على ثقافات العالم أجب مبحوثون كثيرون أنهم أصبحوا يشركون مظاهر ثقافية عالمية في حياتهم اليومية والعائلية، فلا يبقى التأثير مرتبطاً بالمستخدم فحسب بل بمحيطه كذلك مثل المبحوثة رقم 518؛ والتي أجابت أنها من خلال فيسبوك تقوم بـ "متابعة الطبخ عبر بعض الصفحات، أصبحت أعده أنا أيضاً وقد لاقى ذلك استحسان العائلة".

كما لاحظ مبحوثون أن هناك انفتاحاً كبيراً ليس على الثقافات الغربية فحسب بل حتى الآسيوية والإفريقية أي ثقافات تعتبر مقارنة بالثقافة الغربية ثقافات هامشية على غرار الثقافة الكورية فالمبحوث 113 لاحظ "انتشار مظاهر الثقافة الكورية بين فئة أجيال ألفا مثلاً"، وجيل ألفا هو الجيل اللاحق لجيل Z سابق التناول، وأجابت المبحوثة 13 أنها من خلال فيسبوك

* ملاحظة: خانة المجموع هنا لا تمثل مجموع المبحوثين بل مجموع إجاباتهم، ونفس الأمر في الجداول التي تتناول الأسئلة المغلقة متعددة الإجابات.

وعالميته تعلمت "اللغات خاصة الانجليزية والكورية"، بل أبعد من ذلك أجاب المبحوث 83 أن فيسبوك ساهم في تعريفه على ثقافات متنوعة "مثل ثقافة دول القوقاز و أدغال افريقيا".

ساهم كذلك الموقع من وجهة نظر المبحوثين في جمعهم بمن يشبهونهم في الاهتمامات، عبر مختلف الشبكات التي يوفرها ومواضيعها، حتى أن خوارزميات الموقع تركز على ذلك، من خلال استخدام بيانات الهوية الافتراضية للمستخدم على فيسبوك، فيستخدم تقنية الذكاء الاصطناعي لتقديم توصيات مخصصة حول أنواع المجموعات التي قد يكون شخص ما مهتماً بالانضمام إليها أو المشاركة فيها، وتقتصر التقنية المجموعات بناءً على المعلومات التي يتم الإدلاء بها، والتي تركز في الغالب على جمع المستخدم بمن يشبهونه وهي: المعلومات الجغرافية، لاقتراح مجموعات بها أعضاء بالقرب من المستخدم؛ المعلومات الديموغرافية، مثل اللغة والعمر، لاقتراح مجموعات ذات أعضاء متشابهين؛ المجموعات التي انضم إليها شخص من أصدقائك بالفعل أو شارك فيها والصفحات التي تابعوها، والفيديوهات ومختلف النشاطات والتفاعلات..¹

كما ساهم في توفير منبر للتعبير والنشر وعرض الذات كما يريد لها المبحوث أن تُعرض، وهو ما أدلى به بالضبط المبحوث 473، حيث صرح قائلاً "عبر على رأيي من خلال الفيس بوك باعتباري شخص علاقاته الاجتماعية محدودة وحضوره الواقعي ضعيف، الفيسبوك منبري الوحيد"، المنبر أو بتعبير إرفينغ غوفمان المسرح، ففيسبوك يشكل مسرحاً مثالياً يتلقى من خلاله المستخدمون الانطباعات التي يطمحون إليها كما يحيطون ذواتهم الافتراضية بجواهر ينتقونها ويحددونها مسبقاً. ووافق المبحوثون بشدة على أن الموقع سهل وسريع من انتقال المعلومات والبيانات حيث اختصر وظائف عدة تطبيقات أخرى في إرسال الصور والبيانات، وكذا سرعة في إيصال آخر الأخبار والتحديثات تجاوزت سرعة القنوات الإعلامية، فأصبح أول رد فعل عند انتشار خبر ما هو "ابحث عبر فيسبوك ما الذي يحدث".

الجدول رقم (08): آراء المبحوثين حول سلبيات موقع فيسبوك.

المجموع	آراء المبحوثين حول سلبيات موقع فيسبوك				سلبيات موقع فيسبوك المقترحة	
	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق بشدة		
530	156	178	176	20	التكرار	نشر ثقافة تناقض الخصوصية الثقافية الجزائرية
%100	%29.43	%33.58	%33.21	%03.77	النسبة المتوقعة	
530	143	213	151	23	التكرار	ضعف الارتباط بالواقع والشعور بالاعتزاز نحوه عند مقارنته مع أمكنة أخرى من العالم
%100	%26.98	%40.19	%28.49	%04.34	النسبة المتوقعة	
530	217	192	98	23	التكرار	توفير فضاء للصراعات العرقية، الإيديولوجية والدينية
%100	%40.94	%36.23	%18.49	%04.34	النسبة المتوقعة	
530	231	221	62	16	التكرار	الترويج للثقافة الاستهلاكية
%100	%43.58	%41.70	%11.70	%03.02	النسبة المتوقعة	
2120	747	804	487	82	التكرار	المجموع
%100	%35.24	%37.92	%22.97	%03.87	النسبة المتوقعة	

¹ Facebook, "How does Facebook suggest groups for me to join? ", **help center**, accessed: 21-08-2023, at: 22:19, URL: https://www.facebook.com/help/382485908586472/?helpref=uf_share.

بالمقابل ماذا عن التصورات التي يحملها المبحوثون عن سلبيات موقع فيسبوك؟ يمثل هذا الجدول درجات موافقة المبحوثين عن العبارات المقترحة بشأن السلبيات التي يمكن لموقع فيسبوك أن يتصف بها، أو أن يؤثر بها سلبا على الهوية الوطنية الجزائرية في مختلف أبعادها، ونلاحظ من خلالها أن 37.92% من مفردات العينة يوافقون على العبارات المقترحة وبالأخص عبارات أن موقع فيسبوك يساهم في الترويج للثقافة الاستهلاكية بنسبة 41.70%؛ وأنه يساهم في ضعف الارتباط بالواقع والشعور بالاغتراب نحوه عند مقارنته مع أمكنة أخرى من العالم بنسبة 40.19%، كما وافق بشدة 35.24% من المبحوثين على العبارات المقترحة، خاصة أولئك الذين اختاروا سلبيتي أن فيسبوك يساهم في الترويج لثقافة استهلاكية بنسبة 43.58%؛ وقريب منها نسبة الذين وافقوا بشدة على أن الموقع يوفر فضاء للصراعات العرقية، الإيديولوجية والدينية بنسبة 40.94%.

بالمقابل وفي اتجاه رفض المبحوثين للعبارات المقترحة نلاحظ أن ما نسبته 22.97% لا يوافقون عليها، خاصة عبارة أن فيسبوك يضعف الارتباط بالواقع ويزيد من الشعور بالاغتراب نحوه عند مقارنته مع أمكنة أخرى من العالم بنسبة 28.49%، بينما لم يوافق على العبارات بشدة سوى 03.87% من المبحوثين مع تقارب في نسب العبارات التي يرفضونها بشدة ضمن نسب في حدود نطاق 03 إلى 04%.

إن العبارة التي اتفق عليها المبحوثون بل اتفقوا بشدة هي العبارة المتعلقة بالثقافة الاستهلاكية، وأن موقع فيسبوك روج لها بين الجزائريين إذ نقل إليهم هذه النزعة التي تكون في الأغلب حاجة لم يكن يلقي لها بالا لولا الترويج لها عبر هذه المنصات، فلم يعد المتلقي للمضامين المروجة لأنماط الحياة والرفاهية يضع حدا بين حاجاته الأساسية والحاجات الزائفة، وهما من أهم مفاهيم العولمة اليوم، فالاحتياجات الأساسية Basic needs تتعلق بالاحتياجات الأساسية التي لا يوجد غنى عنها، والتي توصف بأنها "لا يمكن شراؤها" ويعتبر عالم النفس أبراهام ماسلو مؤسس هذه العبارة؛ أما الاحتياجات الزائفة False needs فتربط بشكل عام بالاستهلاكية وتتناقض مع الاحتياجات الأساسية إذ تصبح الاحتياجات الزائفة أساسية بسبب إيديولوجيات الاستهلاكية ووضع قوة السلع في قالب معين من المبادئ¹، فيمكن أن يكون منتجا ما منتجا عاديا حتى يتبناه فيسبوك ويعلن له عبر مستخدميه وصفحاته، فتتحول بذلك بعض المنتجات التي تعتبر كإلالية إلى أساسية، فيعمل المؤثرون على سبيل المثال على خلق حاجة مزيفة إليها ونقلها من عدم التداول إلى التداول الشائع Trend، فتغرس فيهم رغبة تجربتها واستهلاكها.

من أهم السلبيات التي اتفق عليها المبحوثون هو ضعف الارتباط بالواقع في الجزائر والشعور بالاغتراب نحوه، وذلك عند مقارنته مع العالم، سواء كان ما يروج عنه صورة حقيقية وفعلية أم مجرد زيف، فمواقع التواصل هنا تساهم في تصوير وتكريس الانطباع أن "الآخر" و"هناك"، أفضل بكثير من "نحن" و"هنا"، ويمكن أن نفهم ذلك من خلال المفهوم الذي صاغه جان بودريار في إطار مفاهيم ما بعد الحداثة؛ الصورة الزائفة Simularum، ففي مقاله "الصورة الزائفة والمحاكاة" Simulacra and Simulation وصف هذا الزيف بأنه "الصورة البعيدة كل البعد عن الشيء والواقع الأصلي.. والتي تتولد عبر نماذج لواقع ليس له أصل أو حقيقة"² والتي تتشكل كما يشير بودريار عبر وسيلة من وسائل الإعلام الرقمية -على غرار فيسبوك،

¹ أنابيل موني وبيتي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص 35-36.

² المرجع نفسه، ص 198.

غير أن الباحثين لم يوافقوا على أن الموقع رغم كل ما سبق ينشر ثقافة لا تتوافق مع خصوصيات المجتمع الجزائري، فهذه السلبيات لا تعني تخليهم عن ثقافتهم بل تعني أنهم يدخلون ثقافات أخرى عليها يمكن أن تتناقض معها في بعض التفاصيل لكنها لن تزيحها ولا تلغيها.

كما اتفق الباحثون بشدة، من خلال تجاربهم وما يلاحظونه أن فيسبوك يوجب الصراعات في الجزائر؛ العرقية، الإيديولوجية والدينية خاصة أن الجزائر تتمتع بتنوع في الجوانب الثلاثة، وهو بالضبط الجانب المحلي لتأثير الإنترنت على ثقافة الأمم كما ذكرنا في الفصل الثاني من الدراسة، فهذا الصراع يقع في إطار "إعادة إحياء المحلي" الذي يوفر له موقع فيسبوك أرضية، فتؤثر هذه السمة السلبية من خلاله على وحدة الجزائر، إذ تبدأ محاولات تفكيك الوحدة والهوية الوطنية من الأسفل.

وقد أجاب أحد المستجوبين الذين تمت مقابلتهم عن رؤيته وملاحظاته قائلا: "أرى أن الفيسبوك يزيد من حدة الصراعات الجهوية والعرقية لأنه يتيح الفرصة للجميع بأن يدلوا برأيهم بحرية مطلقة فتتحول هذه الميزة من نعمة إلى نقمة، والملاحظ أن هذا الصراع ينتشر وتزيد حدته في المناسبات السياسية كالانتخابات وكذا في المنافسات الرياضية خاصة كرة القدم كأن يهزم فريق (أ) من الصحراء أمام فريق (ب) من الوسط فيبدأ الصراع الجهوي بين الطرفين ثم يحدث بعدها الانفعال والتحيز كل إلى جهمته، الخطير في الأمر أن الفيسبوك إذا انتشرت فيه فكرة، صورة، فيديو، صراع معين حتى وإن انطفئ في وقت ما تبقى آثاره مسجلة لتعود إلى الواجهة في فرص أخرى وهذا الأمر يحدث بشكل متكرر ما قد يهدد الوحدة الوطنية الجزائرية"¹، فتصبح الإيجابية القائلة بأن فيسبوك هو منبر للجميع سلبية في هذه الحالة مادامت غير مؤطرة بوعي للمستخدمين. نكون بهذا قد كونا صورة عن الكيفية التي يتواجد بها أفراد عينة البحث على الموقع وينشطون فيه، أوقاتهم ميولاتهم، اهتماماتهم وآراؤهم حوله، وفي الجزء التالي سنتعرف على المدى الذي يعرضون به ذواتهم الافتراضية ويفصحون عنها.

ثانيا: بيانات الهوية لمفردات عينة البحث على موقع فيسبوك: الصورة، الاسم، البيانات الشخصية.

يأتي هذا الجزء من العرض والتحليل لأجل معرفة المدى الذي يظهر به الباحثون عبر موقع فيسبوك، سواء من خلال الإفصاح عن ذواتهم أو عرضهم لها، والذي حددنا له مؤشرات ثلاثة، الصورة، الاسم والبيانات الشخصية.

الجدول رقم (09): العلاقة بين متغير الجنس واستخدام الباحثين لأسمائهم الحقيقية على فيسبوك.

الجموع	استخدام المبحوث لاسمه الحقيقي على فيسبوك		متغير الجنس	
	لا يستخدمه	يستخدمه		
254	42	212	التكرار	ذكر
100%	16.54%	83.46%	النسبة المئوية	
276	96	180	التكرار	أنثى
100%	34.78%	65.22%	النسبة المئوية	
530	138	392	التكرار	المجموع
100%	26.04%	73.96%	النسبة المئوية	

¹ إجابة المستجوب رقم 05 على السؤال رقم 16 من مقابلة البحث.

تشير معطيات الجدول أعلاه الذي يوضح العلاقة بين متغير الجنس ومدى استخدام المبحوث لاسمه الحقيقي أن 73.96% من المبحوثين يستخدمون أسماءهم الحقيقية بدعم من فئة الذكور بنسبة 83.46%، بالمقابل فإن 26.04% من المبحوثين لا يستخدمون أسماءهم الحقيقية بدعم من فئة الإناث بنسبة 34.78%.

من أهم مكونات هوية الأفراد والأشياء هي التسمية أين "يمثل الاسم رهان الذاكرة والهوية... إن نحو اسم شخص هو إنكار لوجوده، وإيجاد اسم شخص معين هو إخراجهم من النسيان وبالتالي إثبات هويته"¹ فعليا وافتراسيا، فأول ما يلاحظ حول المستخدم لموقع فيسبوك هو اسمه، لأنه يبرز ويقدم صورة جلية عن متغيرات عديدة ومختلفة حول هويته، جنسه، حقيقية هويته، حتى بلده في بعض الأحيان، فهو الأداة التي يتم البحث عن المستخدم من خلالها.

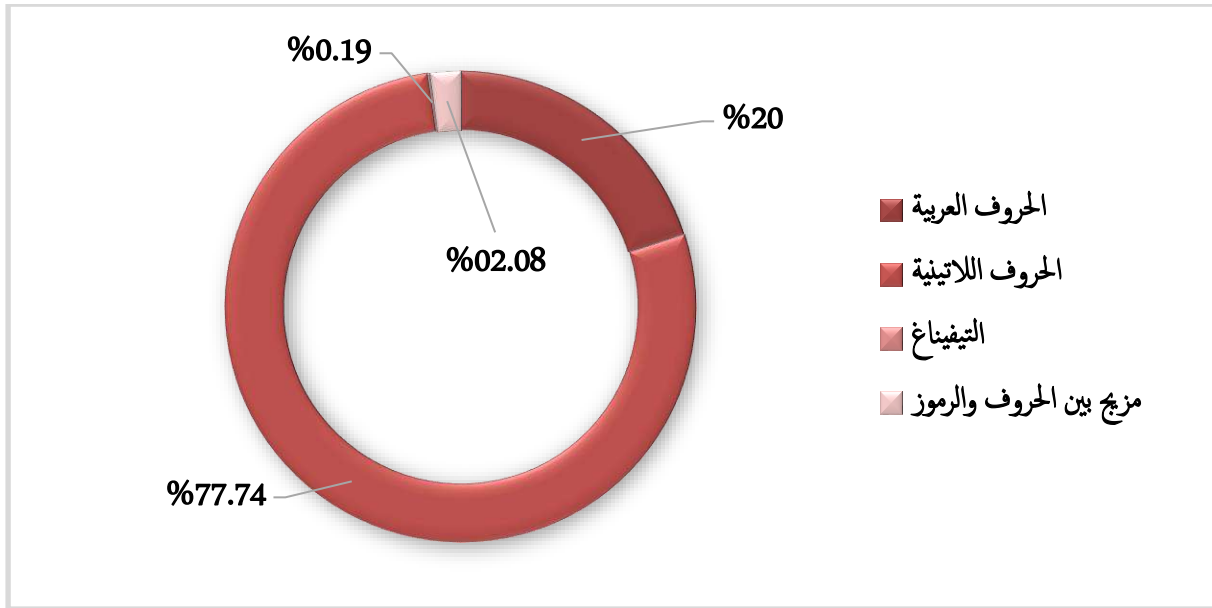
من أجل ذلك يحدد موقع فيسبوك شروطا لاختياره وهو ما يعرف بسياسة الاسم الحقيقي على الفيسبوك² Facebook's real name policy حيث يشترط الموقع مع مرور الزمن استخدام الأسماء التي يستخدمونها في الحياة اليومية، أي أسماءهم الحقيقية، كما يمكن استخدام الألقاب التي تعد اختصارا للاسم الحقيقي أي Moh بدل Mohamed، أو الاسم قبل الزواج، الأسماء المستعارة Nicknames والألقاب المهنية، ونلاحظ أن أغلبية المبحوثين يستخدمون أسماءهم الحقيقية؛ يمكن أن يفسر ذلك من خلال جانبين:

✓ **الأول** هو أن الموقع يطالب في حالات عديدة المستخدمين بإثبات هوياتهم الحقيقية، أحيانا بسبب الشكاوى وأحيانا بشكل عشوائي، إذ يحرص فيسبوك على الحد من عدد الحسابات المزيفة والحسابات المضاعفة، فيضطر أغلب المبحوثين إلى إثبات صحة أسمائهم وتطابقها مع وثائقهم الرسمية؛

✓ **والثاني** هو الرغبة في الظهور والوضوح، إذ يميل المبحوثون إلى أن يكونوا واضحين بشأن هوياتهم على فيسبوك وأن أسماءهم عليه تطابق أسماءهم في الواقع خاصة أن 75.07% من الذين يستخدمون أسماءهم الحقيقية صرحوا بأن هويتهم على موقع فيسبوك هي امتداد لهوياتهم الفعلية. هذا وأن الموقع لا يقتصر على الشبكات الشخصية فحسب، بل كما رأينا سابقا أن أغلب الشبكات التي ينضم إليها المبحوثون هي شبكات علمية ومعرفية ومهنية مرتبطة بدراساتهم أو تكوينهم، وهذا يجعل من وضوح أسمائهم ومنه هوياتهم أمرا ضروريا ومسلمات، وما يؤكد هذا هو استخدامهم في كتاباتهم لأسمائهم الحروف اللاتينية ليسهل العثور عليهم ومعرفة هويتهم خاصة إذا كانوا يتعاملون مع مستخدمين من غير الناطقين باللغة العربية، وهو ما يوضحه الشكل التالي:

¹ عبد الرحيم الحسناوي، مرجع سبق ذكره، ص 29.

² Facebook, "What Names Are Allowed on Facebook?", **Help Center**, accessed: 22-08-2023, at: 18:29, URL: https://m.facebook.com/help/1090831264320592/?helpref=hc_fnav.



الشكل رقم (23): توزيع عينة الدراسة حسب اللغة التي يستخدمها المبحوثون لأسمائهم على موقع فيسبوك.

نلاحظ من الرسم البياني أن أغلبية المبحوثين يستخدمون الحروف اللاتينية في كتابة أسمائهم على فيسبوك، بنسبة تعادل 77.74%، تليها نسبة المبحوثين الذين يستخدمون الحروف العربية بنسبة 20%، ثم نسبة الذين يمزجون بين الحروف والرموز بنسبة 2.08%، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذي يستخدمون الرموز البربرية أو ما يعرف بتيفيناغ بنسبة 0.19%.

يستخدم أغلب المبحوثين الحروف اللاتينية لكتابة أسمائهم على فيسبوك، أين انقسمت التبريرات إلى ثلاثة أقسام: القسم الذي يرى بسهولة الوصول إليه محليا وعالميا إذا ما استخدم الرموز الأكثر رواجاً على شبكة الإنترنت وأن ذلك لا يغير من هوياتهم شيئاً، وقسم المبحوثين الذين أنشئت حساباتهم منذ مدة طويلة أين لم يكن حينها كتابة الاسم باللغة العربية متاحاً ولم يغيروها لاحقاً، وقسم الذين يتبعون التيار ببساطة إذا وجدوا أن أغلبية المستخدمين يعتمدون اللاتينية فتأثروا بهم فاعتمدوها حتى أن أحد المبحوثين (رقم 62) اعتبرها نوعاً من أنواع التبعية كما تمت إجابته عن نوع من المساءلة لنفسه عن سبب تسميته لحسابه بالحروف اللاتينية قائلاً "حقيقة يمكن أنها أثر الاستعمار وخصوصاً اليوم أصبحت اللغة تعتبر شيئاً يتميز به الإنسان.. لحد الآن لا أعلم لماذا لاتيني وليس العربي".

وقد أجاب كل المبحوثين (100%) أنهم يستخدمون اللغة العربية اعتزازاً بها، كما أنها تمثل هويتهم الحقيقية من جانب الوطنية ومن جانب الدين الإسلامي، فتكررت الإجابات من قبيل "عروبي هي هويتي" و"العربية لغة القرآن الكريم" و"سجل أنا عربي"، كما يميل بعض المبحوثين إلى استخدام رموز يرون أنها تمثلهم باعتبار الاسم على الفيسبوك من أهم المعدات التعبيرية عن الهوية، وينضوي تحت ذلك كتابة مبحوث واحد لاسمه بحروف التيفيناغ أو الحروف البربرية، ويمكن أن يفسر ذلك بجداعة إضافة رموز التيفيناغ إلى موقع فيسبوك أو لأن المستخدمين يتجنبونه لصعوبة وصول المستخدمين الآخرين إليهم.

كما يظهر الجدول أن عدم استخدام المبحوثين لأسمائهم الحقيقية مرتبط بجنسهم، فالمبحوثات لا تفضلن استخدام أسمائهن الحقيقية، وقد صرحن أنهن لا تفعلن ذلك لأنهن تتجنبن المضايقات على الموقع، كالتهرش والتشهير مثلاً بنسبة 56.25%، كما

تسعين إلى إخفاء هوياتهن الحقيقية إما بأسماء مزيفة 12.50%، أو بأسماء مستعارة تعرفن بها في الواقع في محيطهن الضيق بنسبة 27.08%، فحتى إذا ابتعدت المبحوثة عن محيط لا تريد التواجد فيه أو التخلي عنه فإن اسمها الحقيقي يمكن أن يكشف هويتها.

هذا ما يعرف بـ "التشويه عبر الشبكة"، إذ "تمثل بعض أنواع الاتصال إشكاليات معينة وتؤثر في سمعة الأشخاص، تتعلق بتصرفات المعارف المتصلين على المواقع العلائقية.. [والذي] يشغل جانباً متزايداً نظراً لتطور مواقع الشبكات الاجتماعية، فالمضامين التي ينشرها "الأصدقاء" أو "المتصلين" للمستخدم قد تؤثر على رصيد سمعته الشخصية، فصور الإجازات أو السهرات مثلاً قد ينشرها آخرون على الفيسبوك.. حتى وإن لم يتم هذا النشر دون علم المستخدم إلا أنه يصبح بهذه الطريقة متاحاً لأطراف خارجية، فيفقد الفرد من قدرته على التحكم بهويته الرقمية"¹، فيمكن أن تكون مستخدمة ما غير رغبة في إظهار جانب معين منها لمحيطها، إلا أن ذكر اسمها في منشور ما وهو ما يعرف بالإشارة Tag، يمكن أن يكشف هويتها، وهذا ما يمكن أن نفسر به تخفي المبحوثات وراء أسماء غير أسمائهن الحقيقية.

الجدول رقم (10): العلاقة ما بين متغير الجنس واستخدام المبحوثين لصورهم الحقيقية على فيسبوك.

المتغير الجنس	استخدام المبحوث لصورته الحقيقية على فيسبوك		المجموع
	لا يستخدمها	يستخدمها	
ذكر	التكرار	168	254
	النسبة المئوية	66.14%	33.86%
أنثى	التكرار	60	276
	النسبة المئوية	21.74%	78.26%
المجموع	التكرار	228	530
	النسبة المئوية	43.02%	56.98%

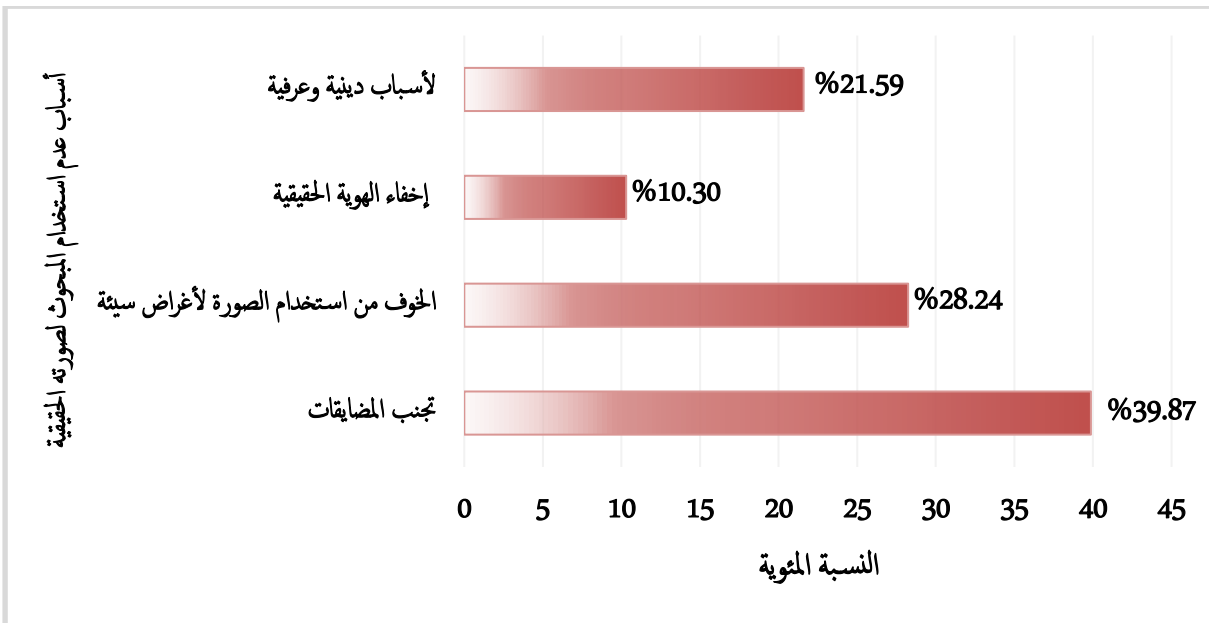
نلاحظ من خلال معطيات الجدول الممثل للعلاقة ما بين متغير الجنس واستخدام المبحوث لصورته الحقيقية على فيسبوك، أن 56.98% من المبحوثين لا يستخدمون صورهم الحقيقية على حساباتهم الشخصية على موقع فيسبوك، وذلك بتدعيم من فئة الإناث بنسبة 78.26%، بينما يستخدم 43.02% من مفردات العينة صورهم الشخصية بتدعيم من فئة الذكور بنسبة 66.14%.

تضاف نتيجة هذا الجدول إلى النتيجة السابقة وتؤكد عليها، غير أنها تعبر عن جانب أكثر تجسداً للهوية وهو الصورة، يمكن الاستنتاج من النسب أعلاه أن المبحوثين يميلون بنسبة إلى عدم الإفصاح عن هويتهم المورفولوجية وتعويضها بصور أخرى يجدونها أكثر تعبيراً عن ذواتهم، قد تكون صوراً لشخصيات محبة كلاعبي أو ممثلين، أو أفراداً من عائلاتهم خاصة الأولاد أو الوالدين، كما ينتشر استخدام صور رموز وطنية كالأعلام والمناظر الطبيعية في الجزائر. كما يظهر الجدول أن

¹ إمانويل كيسو وبينديكت راي، "اقتصاد الاهتمام والحياة الخاصة"، في: الهويات الرقمية إمكانية التعبير عنها وتعبها، مرجع سبق ذكره، ص 167.

مفردات العينة من المبحوثات، هن الأكثر تحفظها على صورهن الشخصية، ويمكن أن نقرأ ذلك بأن سيرورة عرض الهوية على موقع فيسبوك تخضع للسياق الاجتماعي بنفس الطريقة التي يخضع بها عرض الهوية في الحياة الفعلية، خاصة باستنطاق ذلك بمتغير الجنس الذي يلعب دورا مهما في فهم الظاهرة الاجتماعية في المجتمعات التي ما تزال محافظة كالمجتمع الجزائري حيث ما يزال منطق الاستتار والخصوصية وربما التقديس الذي يؤلى للمرأة قائما، فهي يمكن أن تتواجد في العالم الافتراضي لكن بقواعد العالم الفعلي.

يذكر أن سرقة واستخدام صور المستخدمين لفتح حسابات مزيفة بأسماهم وصورهم الشخصية ظاهرة منتشرة، وقد حاول الموقع الحد منها عبر إطلاق خاصية حارس صورة الملف الشخصي Profile Picture Guard، التي بدأت في الهند ولم تعمم بعد على باقي المستخدمين في العالم، والتي تحرص على منع الآخرين من تنزيل صورة الحساب الشخصي، أو مشاركتها أو إرسالها عبر رسائل على فيس بوك، وعدم قدرة الأشخاص المجهولين من غير الأصدقاء على وضع إشارة Tag لأي شخص في الصورة، بما في ذلك أنفسهم، بالإضافة إلى منع الآخرين من أخذ لقطة شاشة Screenshots (أنظر الملحق رقم: 26). وتبريرا لعدم وضع صورهم الشخصية، أخذت إجابات المبحوثين أربعة اتجاهات يوضحها الشكل التالي:



الشكل رقم (24): توزيع عينة الدراسة* حسب أسباب عدم استخدام المبحوثين لصورهم الحقيقية على موقع فيسبوك.

نلاحظ من الأعمدة الممثلة لأسباب عدم استخدام المبحوثين لصورهم الحقيقية على موقع فيسبوك، أن 39.87% يرفضون استخدام صورهم لأجل تجنب المضايقات على الموقع، أما 28.24% منهم فلا يستخدمونها خشية استخدام الصورة لأغراض سيئة كالتعديل عليها باستخدام البرامج الرقمية مثل فوتوشوب أو لأغراض مثل السحر وما يتعلق به، ثم تأتي نسبة المبحوثين الذين لا يستخدمونها لأسباب دينية (تحریم الصور أو ذوات الأرواح) أو العرفية اجتماعية بنسبة 21.59%، وفي الأخير نسبة الذين يريدون إخفاء هوياتهم بنسبة 10.30%.

* عينة البحث من أجابوا أنهم لا يستخدمون صورهم الحقيقية على موقع فيسبوك.

يُمْتَنَعُ المبحوثون عن استخدام صورهم الشخصية تجنباً للمضايقات التي قد يتعرضون لها من جراء عرضها على العامة، خاصة فئة الإناث منهم، ومصدر هذه المضايقات يمكن أن يكون غرباء، متمرنين، ومتحرشين أو أفراداً من محيط المبحوثين الاجتماعي، والمبحوثات خاصة، حيث يعتبر وضعهن لصورهن نوعاً من التمرد على محيطهم الذي قد يصمهن بوصف "المدنس" بسببها، ونجد مثلاً على ذلك في إجابة المبحوثة رقم 86 التي صرحت بأن المضايقات تردّها من محيطها نفسه قائلة: "غالباً لأجل المجتمع المحيط، مازال نشر الصور ظاهرة غريبة يمكن أن تصنّفني في خانة لا أريدها.. أنا أكثر كسلاً من أن أقاتل لأجل هذا الحق".

وهذا يحيلنا إلى السبب الثاني لعدم وضع الصور وهو الجانب الديني والعرفي الذي لم يخلُ التواجد ضمن العالم الافتراضي منها، بل تم نقل هذه القيم إليه وبقيت تؤطر الممارسات الرقمية للمبحوثين على غرار تأطيرها له في الواقع الفعلي، فأجاب مبحوثون أن الصور محرّمة لأنها تتضمن ذوات أرواح، وأن هناك فتاوى تحرم نشر الصور على مواقع التواصل الاجتماعي، كما أجابت مبحوثات أن المجتمع والعادات والتقاليد تمنعهن من وضع صورهن على العلن؛ فتصبح "الحُرمة" نوعاً من الضبط الديني والاجتماعي.

ويتخوّف المبحوثون من التعامل مع الصور الشخصية بشكل سيئ، كالتعديل عليها أو فبركتها أو حتى استخدامها في ممارسات كالسحر والشعوذة، والأمر لا يقتصر على فئة الإناث بل تجاوزهن التخوف ليصل إلى المستخدمين من الذكور، حتى أن بعض مبحوثينا تراجعوا عن وضع صورهم لهذا الغرض، فأجاب المبحوث رقم 15 قائلاً "كنت أضع صورتي الحقيقية لكن وجدت البعض يستخدمها لأغراضه الشخصية دون إذني فحذفتها"، فبعض المبحوثين أدركوا بالفعل العواقب المحتملة للظهور العلني على فيسبوك ومدى الانزعاج والارتباك اللذان قد يثيرهما إظهار صورهم عليه.

برر مبحوثون آخرون أنهم يريدون إخفاء هوياتهم خاصة على موقع فيسبوك، إذ يعتبر إظهار صورهم الشخصية عبر مواقع وشبكات تواصل أخرى أمراً ممكناً، ماعداً فيسبوك؛ باعتباره الموقع الأكثر شعبية في الجزائر، فوجد المبحوثة 77 تصفه بالموقع سيئ السمعة وتقول "رغم أنني استخدم الصورة في مواقع أخرى ينذر التعامل بها والوصول إليها محلياً، إلا أن سمعة الفيس بوك لا تسمح كثيراً"، الملاحظ هنا أيضاً هو وصف موقع فيسبوك بـ "المحلي" مقارنة بمواقع تواصل أخرى "عالمية" وهذا يمكن أن يعطي صورة عن المدى الذي أصبح موقع فيسبوك به يوازي الحياة الفعلية. كما يستخدم 30.19% من المبحوثين الأفاتار، كرمز رقمي يعبر عن هوياتهم المورفولوجية، خاصة فئة الإناث اللاتي بلغت نسبة من يستخدمنها 37% أين وجدنا في هذه الخاصية بديلاً عن عرض صورهن الحقيقية وتعويضها برموز تعبّر عنهن، ورغم ما يتبادر لنا هنا من تناقض مفاده أن الأفاتار يعتبر نسخة مطابقة في بعض الأحيان عن المستخدمين، إلا أن تفسير ذلك يمكن أن يرجع إلى وجود هامش للحرية عند تصميمها بحيث تضيف عليها المبحوثات خصائص تجعلها غير مطابقة لهويتها المورفولوجية عكس الصور، كما أن نفترض كذلك أن الضبط الاجتماعي المحيط بالصورة الحقيقية للمستخدم أكبر من الضبط الاجتماعي المحيط بالأفاتار المستمد منها.

الجدول رقم (11): مدى إظهار الباحثين لبياناتهم الشخصية عبر صفحاتهم على موقع فيسبوك.

المجموع	مدى إظهار الباحثين لبياناتهم الشخصية		البيانات الشخصية	
	لا يظهرها	يظهرها	التكرار	النسبة المئوية
530	155	375	التكرار	النسبة المئوية
%100	%29.25	%70.75	التكرار	النسبة المئوية
530	233	297	التكرار	النسبة المئوية
%100	%44	%56	التكرار	النسبة المئوية
530	198	332	التكرار	النسبة المئوية
%100	%37.36	%62.64	التكرار	النسبة المئوية
530	203	327	التكرار	النسبة المئوية
%100	%38.30	%61.70	التكرار	النسبة المئوية
2120	789	1331	التكرار	النسبة المئوية
%100	%37.22	%62.78	التكرار	النسبة المئوية

الجدول أعلاه، يوضح مدى إظهار الباحثين لبياناتهم الشخصية الممثلة لهوياتهم على موقع فيسبوك، ونلاحظ من خلاله أن 62.78% من الباحثين يظهرون بياناتهم خاصة منها المتعلقة بالبيانات الشخصية الخاصة بالمهنة والدراسة بنسبة 70.75%، ثم البيانات الشخصية المتعلقة بمكان الميلاد والإقامة بنسبة 62.64%، والبيانات الشخصية المتعلقة بتاريخ الميلاد بنسبة 61.70%، بالمقابل فإن 37.22% لا يظهرون بياناتهم خاصة بالبيانات الشخصية المتعلقة بالحالة المدنية والعلاقات الاجتماعية بنسبة 44%.

نلاحظ أن أغلب الباحثين لا يمانعون في إظهار بياناتهم الشخصية عبر فيسبوك، لكن إذا ركزنا فإننا سنلاحظ أن إظهار البيانات من عدمه مرتبط بدرجة خصوصية هذه البيانات من جهة ومن جهة أخرى مدى اعتبارها بيانات متاحة في الحياة الفعلية أم لا، إذ نلاحظ أنه كلما كانت البيانات خاصة بالحالة المدنية والعلاقات الاجتماعية، وتاريخ الميلاد (العمر) كلما اتجه الباحثون إلى إخفاءها. بالمقابل كلما كانت عامة يستطيع الكل معرفتها في الحياة اليومية كلما اتجهت إلى العلن مثل مكان الإقامة والبيانات المهنية والأكاديمية، وهذا التدرج بين الظهور والاختباء "لأن استعراض الذات لا يعني التخلي عن حق التحكم في صورة الفرد، بل تعد دليلاً على وجود رغبة يمكننا وصفها تقريبا بالاستراتيجية في التأثير في الآخرين من خلال إظهار بعض معالم الهوية أو إخفاءها تقع هذه المفارقة في صلب النقاشات حول الخصوصية"¹، كما أن إخفاء البيانات المتعلقة بالحالة المدنية على وجه التحديد يمكن أن يُقرأ على أنه فرصة للإعطاء المبحوث هامشاً من حرية التصرف عبر العالم الافتراضي، وذلك بطمس معالم هويتهم الذاتية الفعلية مهما كانت حالتهم المدنية، فعدم الإفصاح يسمح له بالتصرف وعرض ذاته والتفاعل وفقاً لذلك خاصة إذا كان يستخدم هوية افتراضية (الاسم والصورة) مستعارة.

¹ دومينيك كاردون، "الهوية بصفاتها استراتيجية علائقية"، في: الهويات الرقمية إمكانية التعبير عنها وتعبها، مرجع سبق ذكره، ص 94.

كما وجدنا علاقة إحصائية عند ربطنا لمتغير إظهار البيانات الشخصية من عدمه باعتبار المبحوثين لهويتهم على فيسبوك امتدادا لهوياتهم الفعلية، فالذين يعتبرونها امتدادا يدعمون فئة الذين يظهرون بياناتهم المهنية بـ 78.22%، ثم بياناتهم الجغرافية بـ 67.72%، بياناتهم العمرية بـ 66.14% وفي الأخير بياناتهم العلائقية بـ 61.42%.

البيانات الأكثر إفصاحا من طرف مفردات عينة البحث هي البيانات المهنية والأكاديمية، وهي المهمة الأساسية التي أنشئ من أجلها الموقع، فقد أصبح موقع اليوم ضرورة للتواصل المهني كما الاجتماعي رغم وجود مواقع وشبكات متخصصة في ذلك مثل لينكدإن LinkedIn إلا أن لفيسبوك ميزة أنه يحقق الربط بين جانبي المستخدم المهني والاجتماعي، كما أن المؤهلات هذه تعتبر من أهم الرساميل الثقافية التي يعتبر عرضها نوعا من استراتيجيات التمتع وربط علاقات والانخراط في شبكات ذات نفس الاهتمامات عبر الموقع.

إن تاريخ الميلاد ومكانه يحيلان إلى أهم محددات الهوية الذاتية للفرد، فنجدهما في كل الوثائق التي تجسد الهوية على الورق، أو حتى على الشبكة، فأول ما يطلب من المستخدمين إدخاله عن التسجيل في مواقع التواصل إضافة إلى الاسم هو تاريخ الميلاد وتحديد الموقع الجغرافي، فعلى أساس المكان والعمر يتم تصنيف المستخدمين كما رأينا سابقا، فأغلب مبحوثينا يظهرون كلا من بيانات مكان الميلاد وتاريخه ما يمكن أن يفسر على أنه محاولة التمسك بوجودهم الفعلي، كما يخفي المبحوثون بياناتهم حول حياتهم الشخصية ولا يفضلون إظهارها والبوح بعلاقاتهم وحياتهم العاطفية، فهم كما نلاحظ يتعاملون مع بياناتهم الشخصية على فيسبوك بنفس الطريقة ومدى الكشف والإخفاء الذي يتعاملون به معها في الواقع، أو لنقل بتعبير غوفمان أنهم يبقون حياتهم الخاصة والشخصية في كواليس موقع فيسبوك بينما يعرضون حياتهم العامة على مسرحه.

ثالثا: هوية مفردات عينة البحث بين الافتراضي والفعلي.

في هذا الجزء سنتناول الجانب المتعلق بهوية المبحوثين عبر فيسبوك، زيفها، تعددها وتشظيها عبر ومدى اعتبار المبحوثين للموقع جزء أو امتدادا لهويتهم الفعلية، لغرض ربطها لاحقا بالأسئلة المتعلقة بأبعاد الهوية الوطنية الجزائرية.

الجدول رقم (12): العلاقة بين سنة الانضمام إلى فيسبوك وعدد الحسابات التي يملكها المبحوثون عبره.

المجموع	عدد الحسابات التي يملكها المبحوث عبر موقع فيسبوك		سنة انضمام المبحوث إلى فيسبوك	
	أكثر من حساب	حساب واحد		
182	68	114	التكرار	من 2005 إلى 2010
100%	37.36%	62.64%	النسبة المئوية	
274	87	187	التكرار	من 2011 إلى 2015
100%	31.75%	68.25%	النسبة المئوية	
74	19	55	التكرار	من 2016 إلى 2022
100%	25.68%	74.32%	النسبة المئوية	
530	174	356	التكرار	المجموع
100%	32.83%	67.17%	النسبة المئوية	

معطيات الجدول أعلاه توضح العلاقة بين متغير بين سنة الانضمام إلى فيسبوك وعدد الحسابات التي يملكها المبحوثون عبره، حيث أن 67.17% يمتلكون حسابا واحدا بدعم من فئة المبحوثين الذين انضموا إلى موقع فيسبوك حديثا أي بين سنتي 2016 و 2022 بنسبة 74.32%، بينما يمتلك 32.83% من المبحوثين أكثر من حساب بدعم من فئة المبحوثين الذين كانوا من أوائل المنضمين إلى الموقع أي بين سنتي 2005 و 2010 بنسبة دعم تبلغ 37.36%.

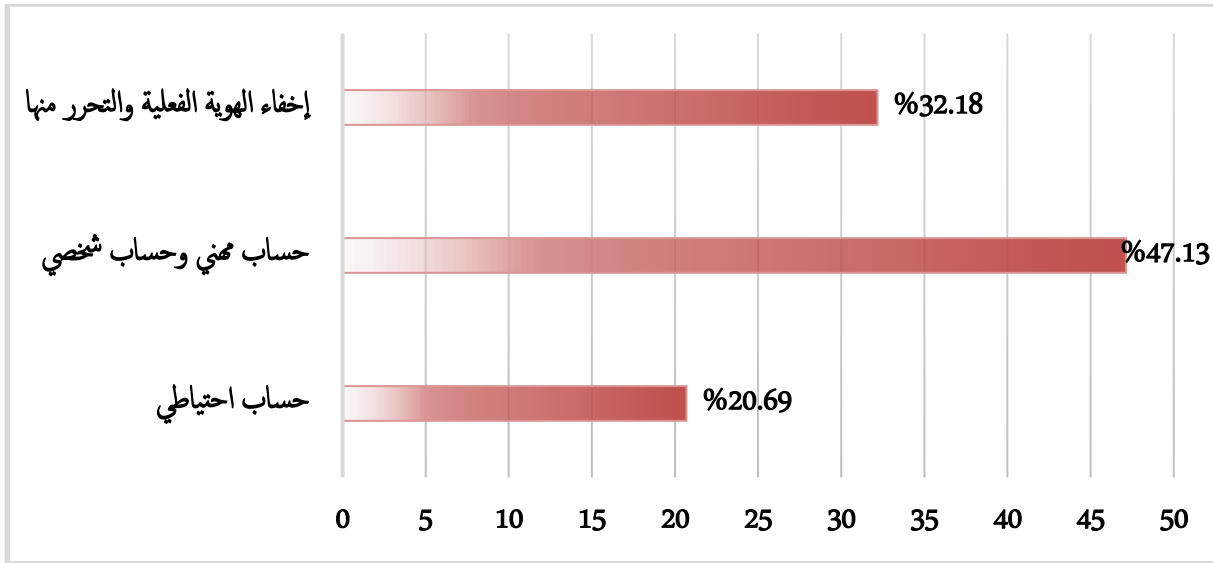
نلاحظ من الأرقام أن أغلبية المبحوثين يمتلكون حسابا واحدا، خاصة أولئك الذين انضموا حديثا إلى موقع فيسبوك، يفسر الأمر في الغالب بأن الموقع كثف مراقبته وإزالته للحسابات غير الأصلية سواء المزيفة أو المكررة، خاصة بداية من سنة 2017، أين بدأ في حذف ما لا يقل عن 580 مليون حساب في كل ربع من نفس السنة ما لم يثبت صاحب الحساب هويته، وقد كان أقصى عدد حسابات تم حذفه هو مليارين و 200 مليون حساب في الربع الأول من سنة 2019، ليصل إلى حذف مليار و 300 مليون حساب في الربع الرابع من سنة 2022¹، هذا يمكن أن يفسر ارتفاع نسبة المبحوثين الذين يملكون حسابا واحدا من حديثي الانضمام إلى الموقع.

كما أننا إذا طرحنا على الموقع سؤالا حول سياساته بخصوص تعدد الحسابات "هل يمكنني إنشاء عدة حسابات على فيسبوك؟" سيجيبك بالرفض وأن فيسبوك "هو مجتمع يستخدم فيه الأشخاص هوياتهم الأصلية.. يعد الاحتفاظ بأكثر من حساب شخصي واحد أمرا مخالفا لمعايير مجتمع فيسبوك"².

ونلاحظ بالمقابل أن أوائل المنضمين إلى الموقع هم أكثر من تتعدد حساباتهم، ويرجع سبب ذلك أنهم مع مرور الزمن يرغبون في تجديد هوياتهم الافتراضية والتخلي عن هوياتهم السابقة، أو أنهم أضعوا كلمات السر أو تمت قرصنتهم مما يمنعهم من الولوج إليها، فأجاب المبحوث 39 قائلا "ليس لدي سبب وجيه لأنني أمتلك حسابا نشطا وحسابا أنشأته سابقا لمشروع عمل وحسابا قديما غير نشط"، والمبحوث 91 والذي يملك 6 حسابات باسمه أجاب قائلا: "حساب للعائلة والاصدقاء وحساب لزملاء العمل لا أدخل إليه كثيرا والحسابات الأخرى قديمة لم أعد أدخل إليها فتتعدد بهذه الطريقة حسابات المبحوثين حتى وإن كانت غير نشطة". فيمكن أن نفهم من هذا أن تعددها لا يعني بالضرورة تعدد الهويات إذ أن أغلبها غير نشط. والملاحظ أن 20.69% من المبحوثين يعددون احتياطا وخوفا من أن تضيع حساباتهم أو تتم قرصنتها، وهذا يقدم لنا تصورا عن المدى الذي أصبح به ضياع الحسابات والبقاء مبتعدين عن الاتصال بموقع فيسبوك "مخيفا"، إضافة إلى هذا، تختلف أسباب امتلاك المبحوثين لعدة حسابات إلا أننا وجدناها تتلخص في ثلاثة اتجاهات يمثلها الشكل التالي:

¹ Stacy Jo Dixon, "Actioned fake accounts on Facebook worldwide from 4th quarter 2017 to 4th quarter 2022", **Statista**, published: 09-03-2023, accessed: 23-08-2023, at: 12:50, URL: <https://www.statista.com/statistics/1013474/facebook-fake-account-removal-quarter>.

² Facebook, "Can I create multiple Facebook accounts?", **Help Center**, accessed: 23-08-2023, at: 13.12, URL: <https://www.facebook.com/help/975828035803295>.



الشكل رقم (25): توزيع عينة الدراسة حسب أسباب امتلاك المبحوثين لأكثر من حساب على موقع فيسبوك.

تمثل الأعمدة البيانية أعلاه أن ما يقارب نصف عينة البحث، أي 47.13% من المبحوثين يمتلكون أكثر من حساب بسبب تعدد أهدافهم من استخدام فيسبوك بين جانب مهني وجانب شخصي، تليها نسبة المبحوثين الذين يعدّدون حساباتهم بغرض إخفاء هوياتهم الفعلية والتحرر منها بنسبة 32.18%، وفي الأخير تأتي فئة المبحوثين الذين تتعدد حساباتهم احتياطاً ومخافة ضياع الحساب أو نسيان كلمة سرّه بنسبة 20.69%. ويمكن أن يكون للمهنية هنا معنيان كما لاحظنا من الإجابات:

• **المعنى الأول** هو المهنية من جانب الرغبة في فصل الجانب الاجتماعي عن الجانب الرسمي للمبحوث وتركيزه على أداء مهامه سواء كانت تسويقاً أو نشرًا للدروس دون الالتقاء بجماعات الأصدقاء والمقرّبين، كما يجيب في نفس السياق المبحوث رقم 82 "الحساب الأصلي خاص بالأهل والأصدقاء والحساب الاحتياطي (غير محدد الجنس) مخصص أكثر للعمل والبحث في المجموعات لأتقادي تضييع وقتي في الدردشات وأهتم أكثر بالبحث عما أريد".

• **والمعنى الثاني** يخص التخفي والظهور بهوية أخرى غير الهوية الحقيقية للمبحوث سواء من أجل متابعة محيط عمله دون معرفة هويته أو لأسباب أكاديمية مثل إجراء البحوث كنوع من أنواع الملاحظة بالمشاركة المستترة، وهنا بالفعل يجيبنا المبحوث رقم 77 أنه يعدد حساباته ليقوم ببحوثه دون ترك أثر خلفه مثل نقرة خاطئة على زر الإعجاب فأجاب قائلاً: "لأسباب أكاديمية في الغالب، أحتاج للتسلل بصفتي شخصاً آخر إلى مجتمعات ما (أحياناً شريحة من المنحرفين يتعذر معها استخدام هويتي الحقيقية) أحياناً أخرى لأتقادي أخطاء التلصص باستخدام حسابي الأصلي كترك جام بالخطأ + لأفعل أشياء أخرى دون أن يعلم محيطي (ليست أشياء سيئة بالطبع لكنني أعيش فقط على ما لا يعرفه الآخرون عني كما يقول بيتر هاندكه)"، ونلاحظ من هذه الإجابة وغيرها الرغبة الكبيرة في بقاء المبحوثين متخفين عن محيطهم المقرب.

ف 32.18% من المبحوثين يرغبون في الاختباء وراء حسابات مزيفة للتحرر من هوياتهم، والمقصود هنا هو التحرر من الكلفة الأخلاقية التي توضع على عاتقهم من طرف المقرّبين الذين يعترفون بهم كما ذكرنا ذلك سابقاً، فقد تلقينا إجابات عديدة على غرار إجابة المبحوث رقم 144 "أحس بنوع من الحرية لما يكون حسابي خالي من معارفي"، خاصة أن موقع فيسبوك

يعرض على الأصدقاء المقربين من المستخدم تعليقاته ومختلف نشاطاته التي لا ينبغي أن يظهرها لهم، وأحيانا يريد الباحثون أن "يرتاحوا" من وجود أصدقاء يتواصلون معهم رغم أنه الغرض الأساسي من الانضمام إلى الموقع، يشبهون بذلك وصف الباحثة شيري توركل للأفراد الذين يعيشون في العالم الافتراضي حيث وصفتهم بأنهم "وحيدون معاً"، وأنهم يتوقعون من التقنية ما لا يتوقعون من بعضهم البعض، ويلجؤون إليها بدل لجوئهم إلى بعضهم البعض.

وقد توصلت إحدى الدراسات السابقة كذلك إلى أن هناك رقابة اجتماعية تفرض من خلال الأعراف الاجتماعية والثقافية، والتي تتحكم في السلوكيات المقبولة، وتعتبر ضرورية وبمجرد الابتعاد عنها، التخفي منها أو حتى الهجرة الفعلية بعيدا عن تلك المجتمعات تمنح المستخدمين حرية أكبر في عرض ذواتهم على مواقع التواصل الاجتماعي¹، لذلك غالبا ما يعدّل الباحثون في إتاحة ظهور منشوراتهم وتحديثاتهم بين جواهر خاصة وعامة، والجدول اللاحق سيتناول هذا الجانب من المطلب.

الجدول رقم (13): العلاقة بين متغير عدد حسابات الباحثين على موقع فيسبوك وإتاحتهم لظهور منشوراتهم.

المجموع	إتاحة المبحوث لظهور منشوراته				عدد الحسابات التي يملكها المبحوث عبر موقع فيسبوك	
	الأصدقاء فقط <i>Friends</i>	العامة <i>Public</i>	أصدقاء محدون <i>Costum</i>	حسب مضمون المنشور		
356	164	111	10	71	التكرار	حساب واحد
%100	%46.07	%31.18	%02.81	%19.94	النسبة المئوية	
174	53	71	02	48	التكرار	أكثر من حساب
%100	%30.46	%40.80	%01.15	%27.59	النسبة المئوية	
530	217	182	12	119	التكرار	المجموع
%100	%40.94	%34.34	%02.26	%22.45	النسبة المئوية	

الجدول الحالي يوضح العلاقة بين عدد حسابات الباحثين على موقع فيسبوك وإتاحتهم لظهور منشوراتهم عبره، على موقع فيسبوك، ف 40.94% يتيحون لأصدقائهم فقط متابعة منشوراتهم وتحديثات حساباتهم، بدعم من فئة الذين يملكون حسابا واحدا بنسبة 46.07%، بينما يتيح 34.34% من المبحوثين منشوراتهم للعامة بدعم من فئة الذين يمتلكون أكثر من حساب بنسبة 40.80%، وكنتيجة أخرى، يكتيف 22.45% من المبحوثين جمهور منشوراتهم حسب مضمون المنشور بدعم من فئة الذين يمتلكون أكثر من حساب بنسبة 27.59%.

إذا اعتبرنا مجددا أن الصفحة الشخصية للمستخدمين هي مسارهم فإن هناك عروضاً متاحة لكل الجمهور بغض النظر هل هم أصدقاء أم لا، وعروض لا يجب أن يشاهدها إلا الأصدقاء، عروض يشاهدها بعض الأصدقاء فقط ممن يختارهم المستخدم، وعروض يجب أن يشاهدها الكل إلا بعض الأصدقاء لأنهم غير معنيين بها أو معنيون جدا بها، وعروض لا يجب أن يشاهدها أحد بعد الآن فتم إعادتها إلى الكواليس بتخصيص إتاحتها للمستخدم نفسه فقط.

¹ Nastaran Khoshsabk, Opcit, p 169.

وقد لاحظنا أن أغلب المبحوثين يفضلون أن تتاح صفحاتهم الشخصية لأصدقائهم فقط وألا يطلع عليها أو يشارك مضامينها كل منظم إلى موقع فيسبوك، خاصة من طرف الذين لديهم حساب واحد فقط يعرب عن هوياتهم على الموقع إذ أنهم يظهرون بكل وجوههم وجوانبهم التي لا يفضلون أن يطلع عليها الغرباء، بالمقابل فإن نسبة مرتفعة من المبحوثين يتيحون كل مضامينهم لكل الجماهير دون تخصيص، خاصة الذين يمتلكون أكثر من حساب ويفسر ذلك غالبا بأنهم ينشطون في أحد الحسابات التي يتخفون خلفها وأن هوياتهم مجهولة فيسمحون للجميع بالاطلاع على مضامينهم ما داموا مجهولي الهوية، كما لاحظنا أن هناك نسبة معتبرة من المبحوثين الذين يكتفون إتاحة منشوراتهم حسب مضمون المنشور خاصة للذين لديهم أكثر من حساب، فهم يكتفون الإتاحة حسب هويتهم في حساب دون غيره وحسب جمهور واحد من حساباتهم دون غيره.

كما لاحظنا أن فئة الإناث تتجنب إظهار مضامينها للعامة وتخصه للأصدقاء فقط بنسبة 48.55% عكس فئة الذكور الذين تميل حساباتهم لأن تكون متاحة للجميع بنفس النسبة تقريبا وهي 48.03%، وتؤيد هذه النتيجة سابقاتها مما يتعلق بمتغير الجنس إذ تميل الإناث إلى الكتمان والإخفاء عكس فئة الذكور؛ كل هذا يظهر مدى التشدد والتشطي الذي يظهر عليه المبحوثون في مراقبة عدد كبير من الحسابات والهويات وخيارات الإتاحة وتحديد الجماهير بإشراك بعضهم وإقصاء البعض الآخر كما يظهر مدى الجهد الذي يبذلونه لتسيير هوياتهم على الموقع، لذلك يرتبط استخدام مواقع التواصل بحالات نفسية عديدة كالقلق والتوتر والاكتئاب. وفيما يأتي إحدى إجابات المستجوبات التي عبرت عن معاشتها لهذا التشدد لما سألناها عن تعدد حساباتها:

"بحسب طبيعة الحساب، يأتي الحساب الرسمي كصورة مقارنة جدا للواقع الفعلي أو أحاول أن أجعلها كذلك والسبب أنني لا أريد رفع سقف التوقعات ومن ثم أشعر أنني أقل تقديرا في نسختي الواقعية بالمقارنة مع حساب على الفيسبوك.. ومن جهة أخرى ليس لدي خيار آخر إذ يحوي الحساب على عدد معتبر من الأقارب والزملاء هم أشبه بالمراقبين، هذه الرقابة تتحول إلى مساءلة إذا ما أردت التعبير عن أفكار جريئة لم أعتد التعبير عنها في الواقع، كنت قد خصصت سابقا حسابا للأقارب وآخر للأصدقاء **لأتملص** من هذه المساءلة وأكون أكثر حرية لكنني بعد خمس سنوات قمت بدمج الحسابين والسبب أنني خشيت على نفسي من **انقصام في الشخصية**، إذا أصبح الحساب أشبه بقناع أرتيديه عند تسجيل الدخول أكون شديدة التحفظ ومراقبة الذات إذا دخلت إلى حساب العائلة ثم شديدة الحرية إذا دخلت إلى حساب الأصدقاء، أردت أن أكون أكثر تصالحا مع ذاتي وأن أنشئ حسابا **يعبر عني** كما أنا بدون المغالاة في إظهار هوية أمتنع فيأرض الواقع عن اظهارها، بقية الحسابات التي لا تحمل هويتي اتخذها **لأسباب أكاديمية وعملية** لا يظهر فيها انعكاس للهوية"¹.

تقدم لنا هذه الإجابة تصورا شاملا لأحد المبحوثين بعيدا عن لغة الأرقام، إذ تظهر فيها الخلفيات المختلفة لتعدد الحسابات ونتائج ذلك، من آثار نفسية واجتماعية، إذ تمكنا من معرفة المدى الذي يمكن أن يؤثر فيسبوك في الحالة النفسية للمستخدم،

¹ إجابة المستجوب رقم 06 على السؤال رقم 10 من مقابلة البحث.

تذبذب تقدير الذات، التصالح مع الذات، الانقصاص في الشخصية، والحالة الاجتماعية كذلك؛ المراقبة الاجتماعية، التملص من المساءلة، عرض الذات.. وغيرها.

الجدول رقم (14): العلاقة بين تبرير المبحوثين لتعدد حساباتهم عبر فيسبوك وبين اعتبارهم لهوياتهم الافتراضية امتدادا لهوياتهم الفعلية.

المجموع	اعتبار المبحوث لهويته على فيسبوك امتدادا لهويته الفعلية		تبرير المبحوث لتعدد الحسابات التي يملكها	
	لا يعتبرها امتدادا	يعتبرها امتدادا	التكرار	احتياطا خشية الحظر أو الضياع
36	13	23	النسبة المئوية	التكرار
%100	%36.11	%63.89	النسبة المئوية	النسبة المئوية
82	22	60	التكرار	حسابان واحد شخصي وآخر مهني
%100	%26.83	%73.17	النسبة المئوية	النسبة المئوية
56	13	43	التكرار	إخفاء الهوية الفعلية والتحرر منها
%100	%23.21	%76.79	النسبة المئوية	النسبة المئوية
174	48	126	التكرار	المجموع*
%100	%27.59	%72.41	النسبة المئوية	النسبة المئوية

يمثل الجدول وصفا للعلاقة بين تبرير المبحوثين لتعدد حساباتهم عبر فيسبوك باعتبارهم لهوياتهم الافتراضية امتدادا لهوياتهم الفعلية، ونلاحظ من خلاله أن 72.41% يعتبرون هوياتهم على موقع فيسبوك امتدادا لهوياتهم الفعلية بتدعيم من فئة المبحوثين الذين يرمون من استخدام حسابات متعددة إلى إخفاء الهوية الفعلية والتحرر منها، بالمقابل فإن 27.59% من المبحوثين لا يعتبرون هوياتهم على موقع فيسبوك امتدادا لهوياتهم الفعلية بتدعيم من فئة المبحوثين الذين يعددون حساباتهم خشية الحظر أو الضياع بنسبة 36.11%.

نبدأ بالمبحوثين الذي يعتبرون فيسبوك مجرد موقع للتواصل الاجتماعي، ويفصلون بين حياتهم الفعلية وحياتهم الافتراضية، فلا هي جزء منها ولا هي امتداد لها، والمفارقة أن ثلثهم رغم ذلك يخشون ضياع أو نسيان كلمة السر للولوج إليه. وبالتركيز على الفئة الثانية أي فئة المبحوثين الذين يعتبرون هوياتهم على الموقع جزءا وامتدادا لهوياتهم الفعلية، نجد أنهم يريدون التملص عن هذه الهويات والتحرر منها، فيمثل فيسبوك بالنسبة لهم الفضاء الذي يمارسون فيه الجزء الخفي من ذاتهم، أو مكانهم الثالث الافتراضي Virtual Third Place، والمكان الثالث هو تسمية لمجموعة كبيرة ومتنوعة من الأماكن العامة التي تحتوي مجموعات منتظمة، طوعية، غير الرسمية ومتوقعة فيما وراء عوالم المنزل والعمل فالفضاء الأول هو المنزل المكان الأكثر أهمية على الإطلاق والمكان الثاني هو مكان العمل**.

* المجموع في هذا الجدول يمثل فئة المبحوثين الذين أجابوا أنهم يملكون أكثر من حساب.
** أنظر عنصر: انتشار الثقافات الهجينة، المطلب الثاني، المبحث الأول من الفصل الثاني.

الجدول رقم (15): إجابة بعض المبحوثين عن المدى الذي يعتبرون به موقع فيسبوك جزءاً من هوياتهم الفعلية.

رقم المبحوث	إجابة المبحوث
77	لا أظن أنني أزيّف نفسي، اضع صوري اذا وضعت بدون فلتز تقريباً، لا أكتب اشياء لا افهمها لأدعي العلم او المكانة ، لا اضع محتوى يصب خارج اهتامي لاثير اعجاب من يهتمون به
116	فيه بعض تمثلات هذه الهوية من اهتمامات وفضاءات نعبر فيها عما يشكل كينوتتنا
141	هوية واحدة لا تتجزأ.. فإذا تجزأت أصبحت انفصاما
167	لا أحاول أن أكون "الشخصية المثالية" في الفيسبوك، ما أنا عليه في الواقع يظهر من خلال الفيسبوك، جدية في أحيان كثيرة، مرحة أحياناً، مثقفة، متعلمة، جاهلة لأمر كثيرة...، وهكذا، وهذا ما تظهره منشوراتي.
193	هو فضاء للتعبير عن الهوية
237	ما في القلب في الفيسبوك
268	I have only one personality
458	للاستفادة والتعلم ونشر اشياء مفيدة في الدين احياء سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
504	A mon avis, quand on est sûr de soi, on n'a pas à chercher à paraître autrement.
510	أعتقد أنني أسكب نفسي بأفكارها وآرائها وطموحاتها في المنشورات والتعليقات.

بالفعل يمكن أن يكون فيسبوك سبباً لمشكلات نفسية عديدة، لكنه يساهم في التنفيس والمساعدة في حلّ مشكلات عديدة أخرى أهمها الانخراط في جماعات تُشعر المستخدم بالانتماء إليها وعدم رغبة في تزيف هويته بل إظهارها كما كانت حالتها بدل التركيز على استعراض المعدّل والمنتقى منها، وقد اخترنا في الجدول أعلاه بعض الإجابات وأدرجناها كإضافة كما جاءت من طرف المبحوثين رغم تكمّلها مسبقاً، ذلك أن إدراجها يقدم تصوراً مثالياً عن منظور المبحوثين لهوياتهم الافتراضية، وكيف يعتبرون موقع فيسبوك كفضاء افتراضي ثالث ومتنفّس بالنسبة لهم، سواء من جانب التعبير عن آمالهم وأحلامهم أو بوحهم بأحداث وأسرار يتجنّبون البوح بها لمعارفهم الفعلين، أو مشاركتهم لأفكارهم وآرائهم وتمثلاتهم، أو تعبيرهم عن انتماءاتهم الهوياتية الدينية واللغوية، كما يحاولون تقدير صورة حقيقية عن أنفسهم دون التزييف وتشطّطٍ وادعاء للمثالية التي يرون أن المجتمع "يجبرهم" عليها.

خلاصة:

"أعيش فقط على ما لا يعرفه الآخرون عني" - بيتر هاندكه، هو اقتباس استخدمه أحد الباحثين في إحدى إجاباته فأردنا أن نختم بها هذا الفصل، إذ أننا قمنا في هذا الفصل بالكشف عما لم تكن نعرفه عن أفراد عينة الدراسة، مجيبين على السؤال: من هم أفراد عينة الدراسة؟ وما هي معالم هويتهم على موقع فيسبوك؟

وقد تعرّفنا خلال هذا الفصل، على تأسيس موقع فيسبوك كواحد من أهم مواقع التواصل الاجتماعي، ومسار تطوره من عرضه لوجوه الطلبة في هارفرد إلى عرضه لذوات ثلاثة مليارات مستخدم حول العالم، كما تعرّفنا على آثاره الاجتماعية وتموقع المستخدمين فيه حسب بياناتهم الديموغرافية، الزمانية والمكانية والكيفيات التي يعرضون من خلال فيسبوك وتقنياته هوياتهم الافتراضية. بعد ذلك تم إسقاط كل ما سبق على الجزائر إذ تعرّفنا على حالتها الرقمية وتموقعها ضمن عالم الإنترنت وعملة المعلومات، كما تعرّفنا على ديموغرافيات موقع فيسبوك الجزائري كليا وكيفيا من خلال عرض أهم الممارسات الرقمية التي تقع في إطار الهوية الوطنية الجزائرية وأبعادها تمهيدا لما سيأتي من مباحث وفصول.

ومجددا تم إسقاط كل ما سبق ذكره من حالة فيسبوك العالمي والجزائري على عينة البحث إذ تم عرض ومناقشة بيانات الهوية الشخصية للباحثين، والتي تتمثل معالمها في: تساوي تقريبي للجنسين الذكر والأنثى، وأغلبية للجامعيين، الشباب، العازبين كما شملت العينة تنوعا جغرافيا، علميا، عمليا ومجاليا وحتى عالميا، فهي عينة متنوعة يمكن أن نناقش من خلال بياناتها وإجاباتها أبعاد الهوية الجزائرية لاحقا، فهي توفر إطارا هوياتيا مناسباً للتحليل. لاحقا تم عرض بيانات الهوية الافتراضية للباحثين ومناقشتها بناءً على تقنيات عرض الهوية على الموقع، حيث تم التعرف على أنماط استخدامهم، عرضهم وإفصاحهم عن هوياتهم من خلاله وتموقعهم بين هويتهم الفعلية والافتراضية؛ ذلك أن الموقع يوفر لهم مساحة مثالية لعرض الهوية، وكل درجة من مرحلة من مراحلها الذاتية، الوسطى إلى الهوية الوطنية.

كما نستخلص كذلك من هذا الفصل، أو بالأحرى نكتشف المستوى الثقافي واللغوي للباحثين من خلال إجاباتهم، رغم اختلاف جنسهم ومستواهم العلمي، تخصصاتهم، انتمائهم الجغرافي واللغات التي يعبرون بها عن ذواتهم، وهذا يقدم لنا صورة عن مدى وعيهم وجديتهم بخصوص ما يدلون به من إجابات، وكذا صورة عن مناسبة لغة تقنية البحث لمستوى أغلبية الباحثين، ما يضاعف تطلعاتنا لما سيدلون به من إجابات في الفصول اللاحقة.

الفصل الخامس

مرجعية الحرين عبر موقع فيسبوك

تحليل ومناقشة بيانات الفرضية الأولى

مضمون الفصل:

تمهيد.

المبحث الأول: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: القيم الدينية.

المطلب الأول: تدين المبحوثين من خلال مدى التزامهم بالقيم الدينية في تفاعلها مع موقع فيسبوك.

المطلب الثاني: مدى مقاومة المبحوثين للمد العولمي الديني عبر موقع فيسبوك.

المطلب الثالث: مدى تأثر المبحوثين بالمد العولمي الديني عبر موقع فيسبوك.

المبحث الثاني: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: التدفق الكوني للأديان وطقوسها الاحتفالية.

المطلب الأول: موقع فيسبوك كمسرح لعرض الهوية الدينية.

المطلب الثاني: العولمة الدينية من الخارج إلى الداخل.

المطلب الثالث: العولمة الدينية من الداخل إلى الخارج.

خلاصة.

تمهيد:

"الدين أمر اجتماعي جدًا..".

إميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية، ص 29.

"التدين الشعبي.. إسلام لغة الحياة العملية، يتكيف مع دعاة التغيير الاجتماعي والنسبة للطبقات الشعبية يعتبر هذا الإسلام هو منظم الاندماج داخل الحركة الاجتماعية".

علي الكنز، حول الأزمة، ص 107.

في الفصل السابق تعرّفنا على هوية المبحوثين الفعلية وكذا الافتراضية وكيف يتم عرضها عبر فيسبوك، وقد شمل ذلك عرض ومناقشة بياناتهم في إطار شكلين من أشكال الهوية، الهوية الذاتية بمعرفة خصائصهم الشخصية وتصوّراتهم وتمثّلاتهم لها عبر فيسبوك، وهوياتهم الوسطى وانتماءاتهم الطبقية والمهنية والجغرافية..، وذلك تمهيدا للانتقال إلى عرض ومناقشة الشكل الثالث وهو الهوية الوطنية.

وفي هذا الفصل سيتم عرض ومناقشة البيانات المتوصل إليها عبر مسألة المبحوثين حول فئتين سبق وأن عرّفنا مفهوم الدين من خلالها من منظور دوركايم: التصوّرات التي يمتلكها الفرد والجماعة والممارسات وكيف يمكن أن تتّظهر في علاقتها بالعملة عبر فيسبوك، وذلك من خلال مؤشرات ناتجة عن التحليل المفهومي والإجرائي للدين في هذه الدراسة؛ وهي القيم الدينية في تأثرها بالعملة وتأثيرها فيها، التعبير عن الطقوس الاحتفالية الدينية عبر فيسبوك، ومدى التمسك بالدين الإسلامي في ظل الانفتاح على الأديان العالمية، كل ذلك من خلال محاولة ربطها ببعضها البعض وكذا ربطها بمؤشرات أخرى أظهرت دلالات إحصائية، للخروج بتصوّر عام حول المدى الذي أثر به فيسبوك كفضاء عولمي على البعد الأول من الهوية الوطنية الجزائرية من الداخل أو من الخارج، وتكيفه مع التغيّر الاجتماعي بتعبير علي الكنز، ومنه اختبار الفرضية الأولى من الدراسة القائلة بـ:

يرتبط تأثير موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك كأداة للعملة على البعد الديني للمستخدمين الجزائريين عكسيا بمدى التزامهم ووعيهم بانتمائهم الديني.

الكلمات المفتاحية للفصل: الدين؛ الإسلام؛ القيم الدينية؛ المناسبات الدينية؛ الأديان العالمية.

المبحث الأول: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: القيم الدينية (منظومة القيم الدينية للمبحوثين عبر موقع فيسبوك باعتباره نسقا عولميا).

ما الذي نعنيه بالقيم الدينية هنا؟ نعني بها الضوابط التي تحكم وتؤطر قنوات، سلوكيات وممارسات الأفراد في مجتمع معين، فهي مكتسبة إذ يكتسبها الفرد من خلال انتمائه إلى الهوية الدينية لذلك المجتمع، ولكنها أيضا قابلة للتأثر بالتغير الاجتماعي وثباتها نسبيا؛ ذات صبغات مختلفة فيمكن أن تكون القيم الدينية ذات أبعاد عقائدية، أخلاقية أو اجتماعية؛ وهي معيارية يتم الحكم على السلوك الإنساني من خلالها. وتشكل القيم الإسلامية في الجزائر، كما رأينا سابقا المصدر الرئيس والمفترض للقيم الدينية في المجتمع الجزائري بغض النظر عن شكل التدين الذي يتبعه الأفراد.

وسنعمل في هذا المبحث على عرض ومناقشة بيانات ممثلة في أنواع مختلفة من الجداول الإحصائية والأشكال البيانية، تتناول علاقة المنظومة القيمية ذات الأساس الديني -سواء على أساس التصورات أو الممارسات- في تفاعلها عبر موقع فيسبوك مع القيم العولمية "الدخيلة"، إذ سيتم تحليل تجلي البيانات في ضوء ما تم التقدم به نظريا في علاقة الهوية بالعولمة وفي الأهمية التي يكتسبها البعد الديني في الجزائر.

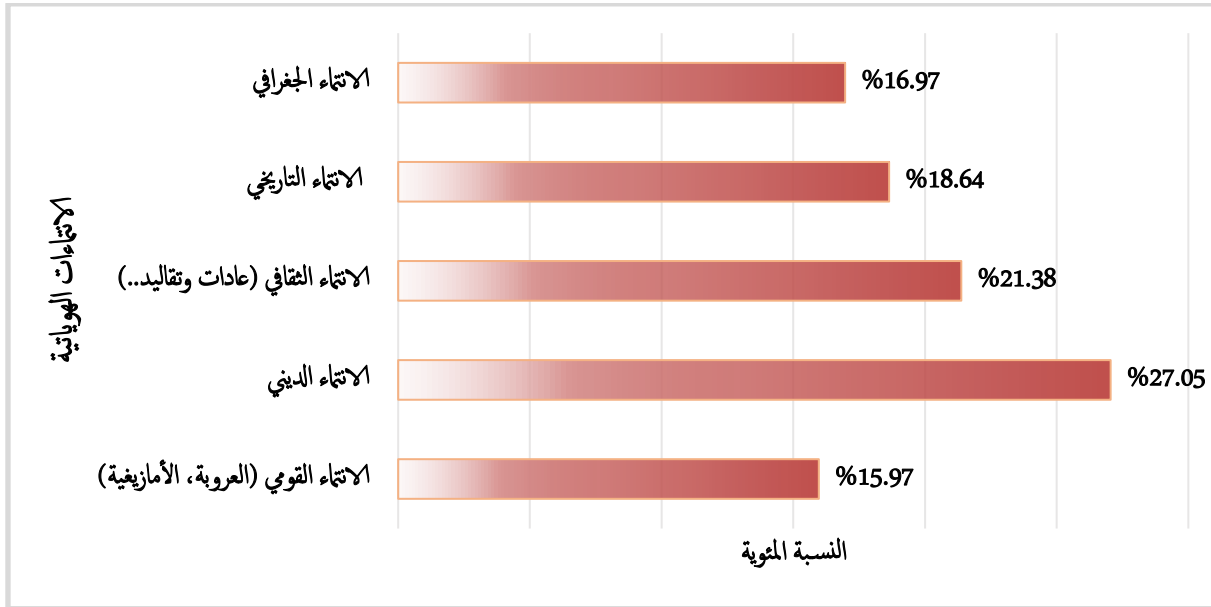
ذكرنا فيما سبق، وبالتحديد في علاقة الثقافة بعولمة المعلومات* أن الإنترنت اليوم تسعى إلى جعل الهويات الوطنية جزءا من هوية العالم والعكس أيضا بإخراج الخصوصيات المحلية من حدودها وإدخال السمات العالمية إلى الداخل، فيما يمكن تسميته "المد العولمي" المتبادل، بما فيها القيم الدينية التي تحاول العولمة تخطيطها فيؤدي ذلك إلى حالة من التشطي السلوكي والأخلاقي، لذا يبحث هذا الجزء من العمل عن المدى الذي أثر وتأثر به تدين الجزائريين بمختلف مظاهر هذا المد، وقد لاحظنا أن إجابات المبحوثين لم تأخذ اتجاهها واحدا فحسب بل توزعت على توجهات مختلفة في علاقة الدين بالنسق العولمي، بين مقاومين له وبين متأثرين به، لذلك سيكون عرض البيانات ومناقشتها في هذه الجزء من العمل موزعا على ثلاث نقاط رئيسية، حيث سنقوم بعرضها ومناقشتها تباعا وبشكل متسلسل بالانتقال المتبادل بين الفعلي والافتراضي وبين المحلي والكوني:

- **الأولى** توضح لنا تدين المبحوثين من خلال معرفة المدى الذي يلتزمون به بالقيم الدينية الإسلامية، ومعرفة مدى انضباطهم بهذه القيم في حياتهم اليومية ثم عبر الشبكة، وكذا منظورهم للتأثيرات الإيجابية والسلبية للعولمة على الدين من خلال فيسبوك، وذلك كتمهيد للنقطتين التاليتين؛
- **الثانية** توضح مدى مقاومة المبحوثين للمد العولمي وعدم تأثرهم به رغم استخدامهم لأهم أدواته وهو ما يخدم أطروحة "عولمة المعلومات والاتصالات هي سبيل للانفتاح على العالم مع المحافظة على الأصالة"؛
- **الثالثة** توضح بالمقابل مدى تأثر المبحوثين بالمد العولمي، وهو ما يخدم أطروحة "عولمة المعلومات والاتصالات هي تهديد للهوية ونزع للخصوصيات الدينية".

* أنظر: عنصر "الإنترنت والعودة إلى الحدود الثقافية القومية"، المطلب الثالث من المبحث الأول، الفصل الثاني.

المطلب الأول: تدين المبحوثين من خلال مدى التزامهم بالقيم الدينية في تفاعلها مع موقع فيسبوك.

من أهم الملاحظات التي انطلقت منها الدراسة الحالية هي مشاركة المستخدمين لمعتقداتهم الدينية عبر موقع فيسبوك، حيث تساعد إمكانياته التقنية وما سبق وطرحناه من تقنيات لعرض الذات على تسهيل التواصل الاجتماعي للمثل والقيم الدينية الإسلامية ضمنه، وسيوضح لنا من خلال هذا المطلب حالة البعد الديني للهوية الوطنية لعينة البحث؛ بقصد التعرف على هويتهم الدينية وما الذي يمثل هذا البعد بالنسبة لهم فعليا ثم البحث عنه في تفاعله ضمن الحياة الافتراضية مع موقع فيسبوك.



الشكل رقم (26): توزيع عينة الدراسة حسب انتماءاتهم الهوية.

يمثل الشكل البياني توزيع عينة البحث حسب انتماءاتهم الهوية، أي الانتماء الذين يعرف من خلاله المبحوثون أنفسهم أكثر من غيره من الانتماءات، ويتضح لنا من خلاله أن الانتماء الديني هو الأكثر تكرارا من طرف المبحوثين، يليه الانتماء الثقافي بنسبة 21.38% (تم اختياره من طرف 60.38% من المبحوثين)، الانتماء التاريخي بنسبة 18.64% (تم اختياره من طرف 52.64%)، الانتماء الجغرافي بنسبة 16.97% (تم اختياره من طرف 47.92%)، وفي النهاية الانتماء القومي بنسبة 15.97% (تم اختياره من طرف 45.09%).

سننطلق في تحليل الفرضية الأولى مما يوضحه الشكل أعلاه، إذ يوحي لنا بأن العينة التي نتعامل معها، هي جماعة اجتماعية تركز في تعريفها لهويتها الوطنية على الانتماء الديني بالمقارنة مع الانتماءات الهوية الأخرى، التي برغم أهميتها في تكوين الشخصية الجزائرية إلا أن الانتماء الديني يعتبر أهمها، وقد سبق وأن وضحنا أن البعد الديني يعد الركيزة الأساسية للهوية الوطنية الجزائرية تاريخيا، خاصة أنه امتد ليشمل ويؤثر على مختلف القيم المجتمعية حتى أصبح الدين وما ارتبط به جزءا من العادات والتقاليد الجزائرية، وهو ما لاحظته عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو في دراسته لسوسيولوجية المجتمع الجزائري، على الرغم من أنه قسم مضمونها على أساس يظهر المجتمع الجزائري متعددا ومختلفا في هويته معتبرا أن "كل مجموعة تلمس هويتها

وتشكلها على أساس الاختلاف¹، فقد انتهى إلى أن الإسلام يجمع ويهذب تصرفات الجزائريين لأنه يتفق تماما مع روح الحضارة الجزائرية².

توصلت إحدى دراستنا السابقة إلى اعتبار الدين هو أمر مقدس جدا، حتى لو لم يكن المبحوثون ملتزمون ببعض تعاليمه، إلا أنه كعقيدة أمر غير قابل للمناقشة³، أو الجزائرية التي تناولت النموذج الجزائري؛ فتوصلت إلى أن الانتماء الديني يشكل محورا مهما إذا لم يكن أهم محور لهوية العينة المدروسة على اختلاف أطرها، إذ خلصت إلى أن الانتماء الديني يساهم في المحافظة على الهوية المحلية للجزائريين في وجه العولمة⁴، وأن الأغلبية منهم يتمسكون بشعائر الدين الإسلامي كمعز للهوية الوطنية خاصة في قدرته على استيعاب القيم الوافدة والتكيف معها بما يتماشى مع القيم الدينية للمجتمع الجزائري⁵. وعلى اختلاف أعمار وجنس ومختلف البيانات الشخصية للمبحوثين التي أجرينا بينها وبين الانتماء الديني يبقى الأخير أهم عامل للانتماء ضمن مفردات عينة الدراسة.

نلاحظ من خلال الشكل أيضا أن أفراد العينة يميلون إلى تعريف أنفسهم من خلال الانتماءات التي تتركز الوحدة الوطنية أكثر من الانتماءات التي تتركز التنوع، فإذا لاحظنا ترتيب الانتماءات بداية من الديني، الثقافي، التاريخي، الجغرافي ثم القومي نجد أنهم يتعدون أكثر عن الانتماءات التي تشكل عادة صراعات أو اختلافات في الجزائر، ويقترّبون من الانتماءات الأكبر، فالإسلام يشمل كافة الجزائريين مهما بلغت درجة تديتهم، عكس الانتماءات المنطقية والعرقية التي تُحدد ضمن دوائر أقل شمولية وما يحيط بها من ثقافة وتاريخ.

الجدول رقم (16): تقييم المبحوثين لمدى التزامهم بالتعاليم الدينية الإسلامية (أداء الفرائض والالتزام بالقيم).

المجموع	تقييم المبحوثين لمدى التزامهم بالتعاليم الدينية الإسلامية				التعاليم الدينية الإسلامية	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما		
530	05	09	57	459	التكرار	الالتزام بأداء الفرائض الدينية (فريضة الصلاة، الصوم..)
%100	%0.94	%01.70	%10.75	%86.60	النسبة المئوية	
530	05	09	194	322	التكرار	الالتزام بالقيم الأخلاقية الدينية (غض البصر، تجنب الألفاظ الفاحشة..)
%100	%0.94	%01.70	%36.60	%60.75	النسبة المئوية	
1060	10	18	251	781	التكرار	المجموع
%100	%0.94	%01.70	%23.68	%73.68	النسبة المئوية	

يوضح الجدول أعلاه تقييم المبحوثين لمدى التزامهم بالقيم الدينية الإسلامية (عقائدية، أخلاقية واجتماعية)، والذي يعرض بشكل مركب كلا من الالتزام بأداء الفرائض الدينية (فريضة الصلاة، الصوم..)، وكذا الالتزام بالقيم الأخلاقية الدينية (غض

¹ Pierre Bourdieu, *Sociologie de l'Algérie*, Que sais-je?, 8^{ème} édition, Presses Universitaires de France (Puf), Paris, 2006, p 5.

² Ibid, p 68.

³ إيمان محمد عز العرب، مرجع سبق ذكره، ص 203.

⁴ ميمونة مناصرة، مرجع سبق ذكره، ص 388.

⁵ سلمية فيلاي، مرجع سبق ذكره، ص 204.

البصر، تجنب الألفاظ الفاحشة..)، ومن خلال النسب الكبرى أو الاتجاه العام في الجدول نلاحظ أن أغلب المبحوثين أجابوا باتجاه الإيجاب أي من دائما إلى أحيانا، وقد أجاب 73.68% منهم بأنهم دائما ما يلتزمون بالقيم الدينية الإسلامية، تليها نسبة المبحوثين الذين أجابوا أنهم أحيانا ما يلتزمون بها والتي تقدر بـ 23.68%، في حين أجاب 01.70% منهم أنهم نادرا ما يلتزمون بالقيم الدينية الإسلامية وفي الأخير جاءت نسبة المبحوثين الذين لا يلتزمون أبدا بها بنسبة 0.94%.

أما عن القراءة الإحصائية للنسب الداخلية في الجدول، فنجد أن 86.60% من المبحوثين دائما ما يلتزمون بأداء الفرائض الدينية على غرار الصلاة، وتتناقص النسبة مع الاتجاه إلى الجانب السلبي، أي عدم أداء الفرائض وذلك بنسبة 0.94%، وإذا انتقلنا إلى القيم الإسلامية المتعلقة بالالتزام بالقيم الأخلاقية الدينية على غرار غض البصر، نجد نسبة الذين يلتزمون بها دائما تتناقص، إذ وصل الفرق بينهما إلى 137 مبحوثا (26%)، فنجد أن 60.75% من المبحوثين أجابوا أنهم دائما ما يلتزمون بها و 36.60% منهم أجابوا أنهم أحيانا ما يلتزمون، وتتناقص النسبة مع الاتجاه إلى الجانب السلبي بنفس النسب التي اتجهت بها إجابات المبحوثين حول الالتزام بأداء الفرائض الدينية.

أول نتيجة يقدمها لنا الجدول هي أن أغلبية مفردات عينة الدراسة يصفون أنفسهم بأنهم ملتزمون بالتعاليم الدينية الإسلامية سواء من حيث الممارسات الدينية والالتزام بأداء الفرائض أو من حيث اتباع القيم الأخلاقية التي تنظم سلوكياتهم الفردية والجماعية، خاصة الأولى منها، كما يمكن تفسير ذلك أيضا بأن العينة المدروسة، تمثل حالة التدين في الجزائر سواء في الممارسات أو في أهمية الدين في الحياة الاجتماعية السياسية كذلك، ويمكننا من أجل إثبات ذلك الرجوع إلى بعض الإحصائيات والنتائج التي توصلت إليها استطلاعات الرأي حول هذا، على غرار النتائج التي توصل إليها البارومتر العربي ضمن استطلاع الرأي الممثل للرأي العام في الجزائر، عن طريق دراسة كيفية طبقت بمقابلات وجهًا لوجه، عددها 2332 مقابلة بأمكان سكن المبحوثين، بهامش خطأ بلغ 2%، ونسبة تعاون من المبحوثين بلغت 76.70%، وأبرزها استطلاع الدورة الخامسة 2018-2019 والسابعة 2021-2022، اللذان توصلا إلى ما يلي:

- بلغت نسبة التدين عند المبحوثين من الجزائريين 80% بين سنتي 2018-2019، و 85% بين سنتي 2021-2022، يلاحظ هذا التغير بصورة خاصة في أوساط الشباب؛ ولا تتفق النتائج عند البحث حول الهوية الذاتية، إنما تتناول أيضاً الممارسة الدينية للمستجوبين، وقد طرأت زيادة في نسبة الذين أجابوا بأنهم يتفاعلون مع النصوص الدينية بشكل يومي على غرار قراءة القرآن مرة واحدة على الأقل يوميا، فقد زادت نسبتهم من الجزائريين من 40% في الفترة 2018-2019 إلى 45% في الفترة 2021-2022، وهي نسب لم تكن متوقعة من طرف البارومتر نفسه، إذ انطلق في التقرير السابع من تساؤل مفاده: عما إذا كانت المنطقة العربية وشمال إفريقيا بما فيها الجزائر ستصبح أقل تديناً في السنوات المقبلة؟¹.
- أما عن علاقة الدين بالسياسة والقوانين المسيّرة للبلاد، ف 42% ممن تمت مقابلتهم رأوا بضرورة أن يكون للقادة الدينيين تأثير على قرارات الحكومة، كما يرى 43% منهم أن قوانين البلاد يجب أن تستند إلى تعاليم الشريعة الإسلامية (15%)

¹ البارومتر العربي، "الشباب العربي يتصدرون عودة المنطقة إلى الدين"، البارومتر العربي، تاريخ النشر: 27-03-2023، يوم الاطلاع: 27-11-2023، وقت الاطلاع: 12:19، الرابط: <https://www.arabbarometer.org/ar/2023/03>.

بشكل كامل، 28% في الغالب الأعم، 39% يرون بضرورة المناصفة بين أحكام الشريعة وإرادة الشعب)، كما أجاب أكثر من نصف المستجوبين أي 51% بضرورة وجود دور للدين في الحياة اليومية الاجتماعية كانت أو اقتصادية¹.

وما يدعم هذه النتيجة ويفسرهما سوسيولوجيا هو أن ما سميناه سابقا بالتدين الشعبي، هو نمط التدين الغالب على أشكال التدين في المجتمع الجزائري، والذي يعني "المعتقدات والممارسات الدينية التي تستقل نسبيا عن المؤسسة الرسمية... يرتكز هذا النمط من التدين بالأساس على التقيد بالفرائض الدينية واحترام الطقوس والتقاليد، والتفاعل مع العادات المحلية، لكنه لا يشكل خطة أو برنامجا سياسيا اجتماعيا ملزم التطبيق... فهو يتعامل مع المؤسسات الدينية وتتعامل معه على شكل أئمة وفقهاء، ولا يتعامل مع الدين كمجموعة من التعريفات بل كمجموعة من الوظائف الحياتية"²، فلا هو الشكل الأول من التدين المذكورة سابقا أي التدين الصوفي، ولا هو الشكل الثاني أي التدين الإصلاحية، بل تدين قائم على أداء الفرائض الأساسية كالصلاة والصيام، حتى مع إمكانية عدم الالتزام بالقيم الأخلاقية كغض البصر، والألفاظ النابية وغيرها.

إذ نلاحظ من الجدول أن نسبة الذين أجابوا أنهم دائما ما يؤدون فرائضهم تناقصت بـ 137 مبحوث فيما يخص الالتزام بالقيم الأخلاقية الدينية، وذلك باعتراف بعض المبحوثين الذين ورغم أن الدين يعبر عن أهم انتماءاتهم إلا أن الالتزام بأخلاقه أصبح يعتبر تدينا في عصر الانفتاح على العالم وثقافته، فمن إجابات المبحوثين (رقم 64): "في كل يوم أجتهد لغض البصر والابتعاد عن الشهوات وكل يوم أفشل ومع ذلك لازلت أحاول"، إضافة إلى إجابة المبحوث رقم 120: "الإسلام هو منهجي وعقيدتي.. وتقصيري في الطاعات أو وقوعي في الخطأ لا ينقص من تشبثي بالإسلام بل هو سبب لأجتهد دوما للعودة إلى المحضن الأصل الإسلام".

الجدول رقم (17): علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين بتقييمهم لمدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية.

المجموع	تقييم المبحوثين لمدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية				الانتماء الهوياتي الديني للمبحوث	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما		
405	01	01	32	371	التكرار	وجود انتماء هوياتي ديني
%100	%0.25	%0.25	%7.90	%91.60	النسبة المئوية	
125	04	08	25	88	التكرار	عدم وجود انتماء هوياتي ديني
%100	%03.20	%06.40	%20	%70.40	النسبة المئوية	
530	05	09	57	459	التكرار	المجموع
%100	%0.94	%01.70	%10.75	%86.60	النسبة المئوية	

يربط الجدول أعلاه علاقة ارتباط بين الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين أي تعريفهم لأنفسهم من خلال انتمائهم الديني بتقييمهم لالتزامهم بأداء الفرائض الدينية، أي المدى الذي تؤثر به خلفيتهم الهوياتية على التزامهم بأداء الفرائض الدينية، ويتضح لنا من خلال الأرقام أن أغلبية المبحوثين أجابوا بأنهم دائما ما يلتزمون بأداء الفرائض الدينية بنسبة 86.60%، بتدعيم من فئة

¹ الباروميتر العربي، "الجزائر: التقرير القطري"، الباروميتر العربي - الدورة الخامسة، 2019، ص 12.

² علي الطالب مبارك ومزوار بلخضر، "الهوية وأنماط التدين في الجزائر"، الحوار الثقافي، المجلد. 06، العدد. 02، سبتمبر 2017، ص 4.

المبحوثين الذين يعرفون أنفسهم من خلال انتمائهم الديني بنسبة 91.60%، بينما نرى أن 10.75% من المبحوثين أحيانا ما يلتزمون بأداء الفرائض الدينية بتدعيم نسبته 20% من فئة المبحوثين الذين ليس لديهم انتماء هوياتي ديني، وتبقى نسبة المبحوثين تتناقص في الاتجاه السالب مع تدعيم دائما من فئة الذين لا يعرفون أنفسهم من خلال انتمائهم الديني الإسلامي.

يتضح من هذا الجدول وجود علاقة طردية بين وجود انتماء هوياتي ديني للمبحوثين وبين التزامهم بأداء الفرائض الدينية، إذ كلما زاد اعتزاز المبحوث بهويته الدينية وانتمائه لها زاد التزامه بأداء ما يفرضه عليه هذا الدين، والذي يؤكد هذه النتيجة هو علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين والمكون الثاني للتعاليم الدينية الإسلامية أي مدى التزامهم بالقيم الأخلاقية الدينية والذي يوضح، كذلك وجود علاقة طردية بين المتغيرين ما ثبت حقيقة أنه كلما اعتبر المبحوث الدين أساسا لهويته، كلما زاد التزامه بتعاليمه (أنظر الملحق رقم: 27 و 28).

كما أن الملاحظ أن الالتزام بالتعاليم الدينية لم يتأثر بأي متغير من متغيرات البيانات الشخصية كالسن والجنس والمستوى التعليمي، والتخصصات العلمية أو مكان الإقامة وبلدها، والذي يعني أنها صفة ثابتة لدى مفردات عينة الدراسة على اختلاف هوياتهم الذاتية أو الوسطى، ما يدفعنا إلى التساؤل حول مدى تأثير هذه التعاليم عند انتقالها إلى عالم موقع فيسبوك، وكيف يمكن أن يتغير ثباتها إذا ما ارتبطت بمتغيرات الهوية الافتراضية وتلك المتعلقة بإتاحة هذا الفضاء لمضامين أو ممارسات يمكن أن تحدث تغيرا عليها.

بالعودة إلى تفسير نتائج الجدول، فسندخل مما أساء البعض بالعودة المفاجئة للدين، أو العودة إلى المقدس، إذ كما رأينا في تحليل الجدول السابق هناك رجوع نحو الدين والتدين، فقد شهد العالم العربي والإسلامي منذ سبعينيات القرن الماضي تصاعدا، غير معهود للدين وهو التصاعد الذي تمثل بصورة خاصة فيما يعرف "بالصحوة الإسلامية"، التي تمثلت في الإقبال غير المعهود للشباب العربي والإسلامي على الدين، وفي تشبته به¹، فيما يمكننا أن نشبهه بهوية المقاومة Resistance Identity التي صاغها مانويل كاستلز، كتعبير عن معارضة منطق الهيمنة الذي كانت المجتمعات العربية والإسلامية تتعرض له من استعمار، ومقاومة للإقصاء الذي تتعرض له في المرحلة ما بعد الاستعمارية، هوية المقاومة التي عادة ما تقوم على تنظيم صفوف هؤلاء "المهمشين" حول السمة الهوياتية التي يتم إقصاؤهم بسببها كالعرق أو اللغة أو الدين، الأخير الذي كان السمة الهوياتية التي تتم اضطهادهم وتمييزهم من خلالها، وكان محفوظ قداش قد وصف السبب العميق للاحتلال الفرنسي بأنه "انتقام الصليب من الهلال"²، وهذا ما يمكن أن نقرأ من خلاله النسب المرتفعة للالتزام بالتعاليم الدينية في علاقتها بالانتماء الديني.

ويمكن تفسير ذلك أيضا إحصائيا، إذا يعد الجزائريون من أكثر شعوب العالم مواظبة على أداء الصلاة يوميا في العالم، حسب استطلاع شمل 102 دولة وامتد من سنة 2007 إلى سنة 2018، أجراه مركز البحث بيو Pew Research Center، يقيس من خلاله أربعة مؤشرات للالتزام الديني: الانتماء الديني، وتكرار الصلاة، وتكرار التواجد في الأماكن الدينية أو الحضور، ومدى أهمية الدين للشخص، عن طريق مقابلة ما لا يقل عن 250 مشاركا في الاستطلاع، وأهم نتائجه أن:

¹ علي الطالب مبارك ومزوار بلخضر، مرجع سبق ذكره، ص 2.

² محفوظ قداش، مرجع سبق ذكره، ص 7.

- أكثر من 99% منهم أجابوا بأن لديهم انتماءً أساسيا إلى دينهم (الإسلام في حالة الجزائر)¹؛
- الجزائر تقع ضمن الفئة التي أجاب مبحوثوها أن الدين يلعب دورا محوريا في حياتهم بنسبة 73%، ويتزايد كلما زاد عمر المبحوثين ليصل إلى 81%؛
- تمثل الجزائر الدولة العربية الأولى والإسلامية الثانية بعد أفغانستان التي أجاب 89% من مبحوثيها أنهم يؤدون صلاتهم يوميا وبشكل منتظم². وهو ما يؤكد أن هناك بالفعل علاقة بين الانتماء الديني وأهميته وبين المواظبة على الفرائض الدينية خاصة منها الصلاة.

الجدول رقم (18): علاقة جنس المبحوثين بمدى اطلاعهم على المضامين اللاأخلاقية عبر موقع فيسبوك.

المجموع	مدى اطلاع المبحوثين على المضامين اللاأخلاقية				جنس البحوث	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	النسبة المئوية
254	100	109	43	02	التكرار	ذكر
%100	%39.37	%42.91	%16.93	%0.79	النسبة المئوية	ذكر
276	178	80	18	0	التكرار	أثى
%100	%64.49	%28.99	%06.52	/	النسبة المئوية	أثى
530	278	189	61	02	التكرار	المجموع
%100	%52.45	%35.66	%11.51	%0.38	النسبة المئوية	المجموع

يربط هذا الجدول علاقة بين متغير الجنس كمتغير معبر عن الهوية الذاتية للمبحوثين بمدى اطلاعهم على المضامين اللاأخلاقية عبر موقع فيسبوك، ويتبين لنا من خلاله أن غالبية المبحوثين لا يتابعون أبدا المضامين اللاأخلاقية عبر موقع فيسبوك بنسبة 52.45% بدعم من فئة المبحوثين من جنس الإناث بنسبة 64.49%، تليها نسبة المبحوثين الذين نادرا ما يتابعون هذه المضامين بنسبة 35.66% بدعم من فئة المبحوثين من جنس الذكور بنسبة 42.91%، بعدها فئة الذين أجابوا بأنهم أحيانا ما يتابعون هذه المضامين بنسبة 11.51%، بدعم من فئة الذكور بنسبة 16.93%، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذين دائما ما يتابعون هذه المضامين بنسبة 0.38% بدعم من فئة الذكور بنسبة 0.79%.

النتيجة الرئيسة لهذا الجدول هو أن الذكور من المبحوثين هم أكثر اطلاعا على المضامين اللاأخلاقية عبر موقع فيسبوك، ويقولنا لأخلاقي نقصد المضامين التي تعتبر مشاهدتها دينيا وقيما أمرا مرفوضا، على غرار المواد الجنسية وما يرتبط بها من قول أو عمل، كالصور والفيديوهات والبتوث المباشرة التي تحتوي مضامين وألفاظ خادشة للحياء. وهي نفس النتيجة التي توصلت إليها بعض الدراسات السابقة بأن الذكور هم أكثر متابعة لهذه النوعية من المضامين مقارنة بالإناث³، فالذكور هم الأكثر متابعة للمواد اللاأخلاقية من الإناث حسب دراسات أجريت على مواقع عالمية للمضامين الجنسية، كما أنهم أكثر تعرضا للاستهداف

¹ Pew Research Center, "The Age Gap in Religion Around the World", **Pew Research Center**, June 13, 2018, p 64, download link: <https://www.pewresearch.org/religion/wp-content/uploads/sites/7/2018/06/ReligiousCommitment-FULL-WEB.pdf>,

² Ibid, p 21.

³ وادم العيد، مرجع سبق ذكره، ص 225.

من طرف خوارزمياتها، فتتقدر الدراسات الحالية أن انتشار استخدام هذا النوع من المواد مرتفع عند الرجال (حوالي 60-98%) مقارنة بالنساء (حوالي 30-90%)¹، كما ينتشر هذا المحتوى بسهولة بين الذكور مقارنة بالإناث لافتتاحهم على بعضهم البعض فيما يخص تجاربهم (وربما هو الافتتاح الذي جعلهم يجيبون على السؤال بصراحة)، بينما تعتبر الإناث أكثر تحفظا حول تجاربهن الخاصة لأنهن أكثر عرضة للحكم عليهن عند تصريحهن بمشاهدة هذه المضامين.

وما يؤكد هذا التفسير هو تبرير الباحثين من الإناث والذكور لمشاهدتهم هذه المضامين، فبينما برر 37.70% من الباحثين الذكور أنهم يشاهدونها لأن أمر "عادي" مرتبط بحريتهم الشخصية، و22.95% بأنهم يدمنون هذه المضامين، بررت 50% من الإناث أنهن شاهدنها كنوع من الفضول المترتب عن تمرير خوارزميات فيسبوك لها على حساباتهن، رغم أن هذا المضمون لم يكن من اهتماماتهن، إلا أن تواجدهن داخل نفس فقاعة الترشيح Filter bubble مع كثيرين ممن يشاهدن هذا المضمون يحله مقترحا عليهن أوتوماتيكيا، ومنهن من تعين هذه الحقيقة وتسعين إلى تجنبها، حيث أجابت الباحثة رقم 96 حول تعرضها أحيانا لهذه المضامين: "أحيانا للتبليغ عنها وأحيانا لمعرفة آليات صدها لتجنب أولادي مشاهدتها"، فالغرض من السؤال المتعلق بمتابعة المضامين اللاأخلاقية هو معرفة الدور الذي يلعبه فيسبوك في التسويق للعديد من المفاهيم والقيم العولمية المتعلقة أساسا بالاستهلاك وخلق اللذة:

- **الإغراق الثقافي The cultural dumping:** الذي يشير إلى "إغراق السوق أو المشهد الثقافي [وفي حالة دراستنا السوق الافتراضية] بالمواد الثقافية التي تنتمي إلى مكان آخر، وهو مصطلح سلبي، ويرجع هذا بشكل رئيسي إلى التهديد الذي تمثله هذه المادة على الثقافة المحلية"²، إذ يتم إغراق السوق الافتراضية الفيسبوكية بمواد ثقافية لا أخلاقية أصبحت جزءا مهما من الثقافة الاستهلاكية للمستخدمين وتهدد بشكل مباشر القيم الأخلاقية للمجتمع الجزائري؛
- **توقع اللذة The anticipation of pleasure:** المتعلق كذلك باستهلاك المنتجات واستنفاد الخبرات "إذ تبني اللذة المتوقعة بناء على الخبرة المسبقة والتي يتم اكتسابها من الإعلام وما يشبه ذلك، وبالتالي يهدف الأشخاص إلى تجريب المسرحيات البهيجة التي عاشوها من قبل في مخيلتهم على أرض الواقع"³. فحتى إن لم يكن المستخدم مهتما بهذا النوع من المضامين فإن تكرار تعريضه إليها من طرف خوارزميات موقع فيسبوك يحيله إلى مشاهدتها خاصة إذا كان التزامه بتعاليم الدين ضعيفا، وهي تعرف بخوارزميات الرغبة Algorithm of desire، فقد أجاب أكثر من ثلث الباحثين الذي يتابعون هذه المضامين أي 32.18%، أنهم بدأوا في متابعتها بسبب الفضول لما مرّرتها خوارزميات فيسبوك على حساباتهم. يأخذ موقع فيسبوك اليوم حيزا مهما من الحياة اليومية للأفراد، حتى سمي عصرنا الحالي عصر فيسبوك The Age of Facebook، إذ اقتحم جل المجالات خاصة المجال الاجتماعي مشكلا عالما موازيا للعالم الفعلي، من جانب آخر يشكل الدين

¹ Rafael Ballester-Arnala and others, "Pornography Consumption in People of Different Age Groups: an Analysis Based on Gender, Contents, and Consequences", *Sexuality Research and Social Policy*, Vol. 20, 2023, p 266, DOI: <https://doi.org/10.1007/s13178-022-00720-z>.

² أنابيل موني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص 58.

³ المرجع نفسه، ص 112.

مكونا اجتماعيا وهوياتيا رئيسا خاصة بالنسبة للمجتمع الجزائري، من أجل ذلك تنتشر العديد من الصفحات ذات المحتوى الديني الإسلامي عبر فيسبوك خاصة في ظل انقطاع صلة الشباب بالدين منذ التعليم الثانوي، إذ يبقى تلقي المعرفة الدينية بعدها اختياريا. إضافة إلى تراجع دور الأسرة التربوي الديني وضعف دور المساجد ووظيفتها التربوية التعليمية؛ انتشار الكثير من الصفحات الفايسبوكية مجهولة المصدر والتي تدعو إلى الخرافات والبدع أو طمس تعاليم الدين الإسلامي، وانتشار الفكر الغربي واللا ديني نتيجة تأثير العولمة على الذهنيات والممارسات والسلوكيات¹.

الجدول رقم (19): علاقة مكان إقامة المبحوثين بمدى اعتبارهم لموقع فيسبوك كمصدر للثقافة الإسلامية.

المجموع	اعتبار المبحوث لفيسبوك كمصدر للثقافة الإسلامية		مكان إقامة المبحوث	
	لا يعتبره مصدرا	يعتبره مصدرا	التكرار	النسبة المئوية
396	221	175	التكرار	النسبة المئوية
%100	%55.81	%44.19	التكرار	النسبة المئوية
106	53	53	التكرار	النسبة المئوية
%100	%50	%50	التكرار	النسبة المئوية
28	12	16	التكرار	النسبة المئوية
%100	%42.86	%57.14	التكرار	النسبة المئوية
530	286	244	التكرار	النسبة المئوية
%100	%53.96	%46.04	التكرار	النسبة المئوية

يمثل الجدول ارتباطا بين متغير مكان إقامة المبحوثين بمدى اعتبارهم لموقع فيسبوك كمصدر للثقافة الإسلامية، ويتضح لنا من خلاله أن 53.96% من المبحوثين لا يعتبرون موقع فيسبوك مصدرا للثقافة الإسلامية، بدعم من فئة المبحوثين الذين ينتمون إلى المجال الحضري بنسبة 55.81%، بينما 46.04% من عينة البحث يعتبرون فيسبوك مصدرا للثقافة الإسلامية بدعم من فئة المبحوثين الذين ينتمون إلى المجال الريفي بنسبة 57.14%، وفي منتصف النسب أي 50% بالضبط تساوى كل من المبحوثين الذين يرون في الموقع مصدرا للثقافة الإسلامية والذين لا يرونه كذلك، وكلاهما يتدعمن من فئة المبحوثين الذين ينتمون إلى المجال شبه الحضري.

النتيجة الأساسية التي يقدمها الجدول هي العلاقة العكسية بين الانتماء إلى المجالات الحضرية وبين اعتبار موقع فيسبوك كمصدر للثقافة الإسلامية، والعكس؛ أي العلاقة العكسية بين الانتماء إلى المجال الريفي وبين عدم اعتبار موقع فيسبوك كمصدر لها، وهي نتيجة مهمة لأن التنظيمات المادية للأشياء على غرار مكان السكن، والانتماء إليه تعد من أهم عناصر الهوية حسب أليكسي مكشيللي، والتي يمكن من خلالها تحديد هوية مجتمع ما، جماعة أو فرد لأن تفسير الظواهر يقتضي بالضرورة العودة إليها، فيمكن أن يفسر بأن المنتمين للمجال الريفي هم أقل امتلاكاً للمرافق التعليمية والثقافية وغيرها من المصادر الرئيسية للثقافة الدينية، فحتى إذا امتلكوا الأساسيات القاعدية للدين الإسلامي، يبقى تجديد المعارف والاطلاع المكثف مرتبطا بالقدرة على الوصول إلى المعلومة والاحتكاك بها، وهو ما وقره موقع فيسبوك للمبحوثين، خاصة إذا عرفنا أن 50% منهم برروا اعتبارهم

¹ رفاة الوليد، "دور الفايسبوك في نشر الوعي الديني لدى الأفراد: دراسة على بعض الصفحات الفايسبوكية المتخصصة"، مجلة الإعلام والمجتمع، المجلد 06، العدد 02، ديسمبر 2022، ص ص 257-258.

لفيسبوك كمصدر للثقافة الإسلامية بأنه مصدر سهل وسريع للوصول إلى المعلومة الدينية و43.75% منهم برروا ذلك بأنهم يتابعون شيوخا وأئمة وأشخاصا يثقون في معرفتهم الدينية، ويغنونهم عن مصادر أخرى للثقافة الإسلامية.

وتتنوع الصفحات الفيسبوكية الدينية من خلال منشوراتها والقائمين عليها، فوسائل الإعلام الجديدة "تمكن الشباب من بناء هويتهم الدينية بناء على المعلومات المتاحة على الإنترنت، والتي يسعون من خلالها إلى تحقيق التوازن بين معتقداتهم الدينية وثقافتهم الشعبية، لأنها تتيح لهم التفاوض مع الآخرين في بيئة تحتوي على وجهات النظر فضلا عن سهولة الوصول إلى المعلومات"¹، فتصبح هويتهم مزيجا من معتقداتهم وثقافتهم بالشكل الذي يصبح الدين به جزءا محما من حياتهم اليومية ممارسة وسلوكا.

كما يمكن تفسير نتيجة الجدول من منطق آخر، وهو أن المبحوثين المنتمون إلى المجال الريفي هم أكثر اهتماما بالاطلاع على المعارف الدينية وأكثر رغبة في الحصول على ثقافة إسلامية، خاصة إذا علمنا أن 85.71% من المنتمين إلى هذا المجال كانوا قد أجابوا بأن انتماءهم الهوياتي الأساسي هو الانتماء الديني مقابل 74.24% من المنتمين إلى المجال الحضري، فلأن الدين يلعب دورا محوريا في حياتهم اليومية يسعون عن طريق فيسبوك إلى معرفة المزيد عنه خاصة أن 46.43% منهم (وهي أعلى نسبة مقارنة بالمجالين الآخرين) يرون أن موقع فيسبوك يوفر منبرا للدعوة إلى الدين الإسلامي الصحيح. ويمكن فهم المزيد عن سبب اعتبار المبحوثين موقع فيسبوك مصدرا للثقافة الإسلامية من خلال الملحق رقم 29.

الجدول رقم (20): آراء المبحوثين حول أدوار موقع فيسبوك السلبية والإيجابية تجاه البعد الديني للمستخدمين.

المجموع	آراء المبحوثين حول الأدوار السلبية والإيجابية لموقع فيسبوك على البعد الديني.				أدوار موقع فيسبوك على البعد الديني للمستخدمين.	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	النسبة المئوية
530	16	57	251	206	التكرار	النسبة المئوية
%100	%03.02	%10.75	%47.36	%38.87	النسبة المئوية	النسبة المئوية
530	09	41	268	212	التكرار	النسبة المئوية
%100	%01.70	%07.74	%50.57	%40	النسبة المئوية	النسبة المئوية
530	28	82	287	133	التكرار	النسبة المئوية
%100	%05.28	%15.47	%54.15	%25.09	النسبة المئوية	النسبة المئوية
530	12	39	294	185	التكرار	النسبة المئوية
%100	%02.26	%07.36	%55.47	%34.71	النسبة المئوية	النسبة المئوية
530	19	36	300	175	التكرار	النسبة المئوية
%100	%03.58	%06.79	%56.60	%33.02	النسبة المئوية	النسبة المئوية
2650	84	255	1400	911	التكرار	النسبة المئوية
%100	%03.17	%09.62	%52.83	%34.38	النسبة المئوية	النسبة المئوية

¹ أميرة محمد سيد أحمد، "دور الصفحات الدينية على مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي الديني لدى الشباب"، المجلة العلمية لبحوث الصحافة، العدد 3، ص 187.

* خانة المجموع هنا لا تمثل مجموع المبحوثين بل مجموع إجاباتهم، ونفس الأمر في الجدول التي تتناول الأسئلة المغلقة متعددة الإجابات.

إن العبارات المقترحة في الجدول اللاحق هي عبارات ترددت مرارا عند طرحنا سؤال سلبيات وإيجابيات موقع فيسبوك على البعد الديني للمستخدمين ضمن المقابلات الاستكشافية السابقة للدراسة الميدانية، وأول ملاحظة يمكن الوصول إليها هو عدد العبارات السلبية التي أفاد بها المستجوبون مقابل العبارات الإيجابية، وهو ما يقدم انطبعا أوليا عن رأي مفردات البحث فيما يمكن أن يعززه أو يقوّضه موقع فيسبوك تجاه البعد الديني للهوية الوطنية الجزائرية، وبما أن الجدول هو عرض مركب للعبارات وليس تقاطعا لها، فسيتم التركيز على تحليل النسب الداخلية للجدول، إذ يمثل الجدول أعلاه جدولا مركبا يظهر آراء المبحوثين حول الأدوار السلبية والإيجابية لموقع فيسبوك على البعد الديني للمستخدمين حسب مقاييس الشدة، ويتضح لنا من خلاله ما يلي:

- يرى المبحوثون أن موقع فيسبوك يساهم أحيانا في التحرر المطلق من الضوابط الأخلاقية والقيمية، وذلك بنسبة 47.36%، كما يرى منهم 38.87% أنه دائما ما يساهم في ذلك، لتقل النسبة كلما اتجهنا إلى رفض العبارة، ف 10.75% منهم يرون أن الموقع نادرا ما يساهم في ذلك، و 03.02% ينفون تماما أن الموقع يساهم في التحرر من الضوابط الأخلاقية والقيمية المسيّرة للمجتمع الجزائري.
- يساهم موقع فيسبوك بالنسبة للمبحوثين أحيانا في غرس أساليب الحياة التي لا تتماشى والخصوصية الإسلامية للمجتمع الجزائري وذلك بنسبة 50.57%، في حين ترى نسبة كبيرة منهم تقدر بـ 40% أن الموقع يلعب دائما هذا الدور، وتتناقص النسبة بعد ذلك في اتجاه رفض العبارة، إذ أن 07.74% منهم يرون أنه من النادر أن يلعب فيسبوك هذا الدور السلبي، في حين أن 01.70% ينفون تماما هذه السلبية، وهي أقل نسبة للرفض في النسب الداخلية للجدول.
- أجاب 54.15% من المبحوثين أن موقع فيسبوك يساهم أحيانا في توفير فضاء للتطرف الديني والدعوة إليه، كما يرى 25.09% أن الموقع دائما ما يساهم بهذه السلبية تجاه البعد الديني للمستخدمين وهي أقل نسبة تأييد (دائما) في النسب الداخلية للجدول، 15.47% يرون أن الموقع نادرا ما يساهم في تكريس هذه السلبية، في حين أن 05.28% منهم يرون أن فيسبوك لا يساهم أبدا في تكريس هذه السلبية.
- نسبة 55.47% من عينة الدراسة يرون أن فيسبوك يساهم أحيانا في توفير فضاء لنشر معارف إسلامية خاطئة، بينما يرى 34.71% منهم أن الموقع يساهم في ذلك دائما، لتتناقص النسبة إلى 07.36% ممثلة للمبحوثين الذين يرون أنه من النادر أن يساهم فيسبوك في توفير فضاء لنشر معارف إسلامية خاطئة، و 02.26% ممثلة للذين يرفضون العبارة بشكل مطلق.
- يتضح لنا من خلال الجدول كذلك أن أكثر من نصف المبحوثين يرون أن لموقع فيسبوك أحيانا دور إيجابي على البعد الديني للمستخدمين وذلك باعتباره منبرا من منابر الدعوة إلى الدين الإسلامي بنسبة 56.60%، وهي أكبر نسبة للتأييد في النسب الداخلية للجدول وأكثر من ثلثهم أي 33.02% يرون أن للموقع دائما دور إيجابي على البعد الديني للمبحوثين من خلال اعتباره منبرا للدعوة إليه، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذي ينكرون على الموقع هذا الدور بنسبة 03.58%.
- أكثر عبارة تم تأييدها هي تلك المتعلقة بأن فيسبوك يساهم في غرس أساليب حياة التي لا تتماشى والخصوصية الإسلامية للمجتمع الجزائري، وهي نتيجة مباشرة للثقافة الذي يحدث عبر التقنية عموما ومواقع التواصل الاجتماعي تحديدا، إذ تنتقل

السمات وأساليب الحياة دون ضرورة التنقل الفعلي للأفراد، السلبي في الأمر هو انتقال سمات لا تتماشى مع المجتمع الجزائري وقيمه، خصوصا إذا ما علمنا أن نسبة كبيرة من الباحثين يتابعون صفحات أجنبية عالمية تطرح بالضرورة قيما وافدة، وربما أهم ما يمكن طرحه كمثال هو ما يتعلق باستهلاك صورة الجسد Body image والصورة المثالية المسوقة عنه عبر موقع فيسبوك، لأنه كما رأينا سابقا يعتبر الجسد من أهم مكونات الهوية خاصة من وجهة نظر أنثروبولوجية، وأي تأزم في تصوّر الجسد يعني تأزما في الهوية.

فهذه السلبية تمس من جهة الخصوصية الدينية الإسلامية للجزائريين الذين يتشبعون بأساليب تشيع حاجات زائفة كما يقول بودريار، ومن جهة تمس الخلفية الهوياتية للمستخدم الذي يشعر بالاغتراب تجاه واقعه وأساليبه ويبدأ في الانخراط عبر جسده وأساليب التعامل معه في سواء في نمط اللباس أو الجسد نفسه، وهي صيغة من صيغ الانخراط في الجماعات الاجتماعية والانتماء إليها وكذا الانعتاق من "الظروف التقليدية" خاصة الدينية والاجتماعية منها كما يقول لو بروتون. وهي مرتبطة كذلك بالسلبية الأقرب نسبة لها أي التحرر المطلق من الضوابط الأخلاقية والقيمية، إذ يساهم فيسبوك في الترويج لممارسات لأخلاقية واستعراض علني للحياة الخاصة وانتشار ازدواجية المعايير الدينية والقيمية بين أصيل ودخيل، خاصة أن النظم الأخلاقية لمجتمع هي بالضرورة "نتاج اجتماعي لعوامل اجتماعية، ويعتمد النظام الأخلاقي على البناء الاجتماعي للمجتمع الذي يوجد في إطاره وليس هناك نظام أخلاقي وتحد لكل المجتمعات ولكن لكل مجتمع نظامه الأخلاقي الذي يحتاجه والذي يتحدد من خلال ما هو مرغوب فيه اجتماعيا"¹.

من السلبيات التي أيد أكثر من نصف الباحثين أنها أحيانا ما تمثل سلبية لموقع فيسبوك هي كونه يوفر فضاء لنشر معارف إسلامية خاطئة، كالتناوى التي لا سند لها، الأحاديث النبوية غير الصحيحة والمكذوبة، قصص تاريخية إسلامية مختلفة، وتفسيرات ذاتية للقرآن والظواهر القرآنية، صفحات فيسبوك "باتت بمثابة الأرض الخصبة لترويج الإشاعات التي تتعلق بالرموز الدينية، ويغلب عليها الخلط الفكري والنقاشات الحادة والمشاحنات، حيث لا توجد وحدة فكرية أو على الأقل خطوط رئيسية مشتركة فيما يتم نشره على تلك الصفحات، و تتبع منهج الغلو والإفراط في عرض بعض القضايا الدينية"².

وكرد فعل على هذا النوع من المنشورات والمضامين، أنشئت صفحات مضادة ومنشورات عديدة تحاول محاربة المعارف الإسلامية الخاطئة بالمصادر والسند الصحيح (أنظر الملحق رقم: 30)، وهو ما أوضحه أحد المستجوبين الذين قابلناهم قائلا: "حسب رأي هذا الأمر خطير جدا لأنه أدخل معتقدات خارجة عن الدين الإسلامي في بعض الأحيان تكون عبارة عن صفحات وإشهارات مقصودة تستهدف عقيدة المسلمين كتلك الأفكار في شكل (ستحصل على 50000 حسنة إن فعلت كذا وكذا) فهي مجرد أفكار كاذبة يروج لها ليصبح المسلم يراها حقيقة ويغفل عن تعاليم دينه الصحيحة"، ليضيف بخصوص محاربة هذه الظاهرة: "في ظل السلبيات المنتشرة عبر موقع الفيسبوك أصبحت بعض المبادرات في شكل مجموعات وصفحات دينية وكذا فيديوهات لمشايخ وأئمة يحاولون نشر الوعي الإسلامي للتصدي إلى الأفكار الشائكة التي أصبحت تهدد الدين الإسلامي، حيث أن العديد من القائمين على هذا الأمر يحاولون نشر أفكار الدين الإسلامي بشكل مبسط وبأسلوب سلس

¹ العيد ورام، مرجع سبق ذكره، ص 201.

² أميرة محمد محمد سيد أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 183.

خاصة في ظل إنتشار الفتاوى والأحاديث المغلوطة وعلى سبيل المثال لا الحصر فيديوها الشيخ رشيد بن عطاء الله التي أصبحت مؤخرا تشكل مصدرا للثقافة الإسلامية في الجزائر".¹

أما العبارة المتعلقة بالتطرف، فكانت أكثر عبارة تمت الإجابة عليها بنادرا وأبدا، رغم أنها ظاهرة منتشرة وربما يكمن سبب انتشارها في عدم فهم المتطرف لحد واضح بين المفاهيم الصحيحة المحافظة وبعض التفسيرات المتطرفة لها، والذي يتوقّر له فضاء واسعاً يمكنه للوصول إلى جمهور عريض ونشر أفكاره، خاصة في ظل التحديات القانونية والتشريعية التي تواجه متابعة ومحاربة جريمة التطرف في الجزائر و"صعوبة تحديد المسؤول المباشر عن المضمون المتطرف، إضافة إلى ضعف المنظومة القانونية المتعلقة بالفضاء السيبراني وعدم خوضها في الكثير من المسائل المرتبطة بالمحتوى الإلكتروني والآليات القانونية المناسبة، وكذا عدم استيعاب التشريعات والأنظمة القانونية للجرائم المستحدثة عبر الوسائط الإلكترونية".²

على أن ظاهرة التطرف التي يحاربها موقع فيسبوك مقترنة بإيديولوجية مالكيها (أشخاص ومنظمات ولوبيات)، فتناول قضايا لا تتماشى مع قناعاتهم يعتبر بطريقة أو بأخرى تطرفاً، على غرار محاربة المضامين الداعمة للقضية الفلسطينية ومحاربة الحسابات التي تروج لها على أساس أنها "دعوة للتطرف والإرهاب"، وتتجاوز ذلك إلى معاداة السامية والكراهية وغيرها. ورغم تسجيل العديد من التجارب التي أثبتت أن موقع فيسبوك يوظف خوارزميات مضادة للإسلام وانتشاره عبره، والمعروفة بخوارزمية فيسبوك المعادية للإسلام Facebook's anti-Islam algorithm، إلا أن الموقع يحتوي على العديد من الصفحات الرسمية وغير الرسمية التي تعمل على نشر الإسلام الصحيح سواء باللغة العربية أو باللغات الأجنبية، وهي عبارة إيجابية أيدها ثلث الباحثين ورأى نصفهم أنها صحيحة أحيانا، فلو بحثنا على سبيل المثال على عبارة رسالة الإسلام The message of Islam على الموقع، ستظهر النتائج وجود أكثر من 150 صفحة فقط ناهيك عن المجموعات والحسابات الشخصية، فالتطور السريع لتكنولوجيا المعلومات، وخاصة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، قدمت تحولا في طرق إيصال الدعوة (التعاليم الإسلامية أو انتشار القيم الإسلامية)، من الأساليب التقليدية إلى الأساليب المعاصرة³، فقد ساهمت إلى جانب الدعوة؛ في اقتصاد موردي الزمان والمكان، فتصل الرسالة إلى كل أنحاء العالم وفي أي وقت ممكن.

المطلب الثاني: مدى مقاومة المبحوثين للمد العولمي الديني عبر موقع فيسبوك.

نأتي إلى الجزء الثاني من هذا المبحث، والمتعلق بالمدى الذي يقاوم به المبحوثون المد العولمي الذي يبثه موقع فيسبوك على البعد الديني، وذلك تمهيدا للتحقق من صحة الفرضية المطروحة، ويتمثل مضمون هذا المطلب في جداول ارتباطية وأشكال بيانية تربط بين القيم والتعاليم الإسلامية ومختلف المتغيرات التي رأيناها في المطلب الأول وبين متغيرات متعلقة بتداعيات فيسبوك على هذه القيم والتعاليم والتي تحمل بطبيعة الحال دلالات عولمية.

¹ إجابة المستجوب رقم 5، على سؤالها رقم 14 و15.

² بوقرة رضوان ورقاد حنان، "مواقع التواصل الاجتماعي وخطاب التطرف قراءة في الرهانات والاستراتيجيات"، مجلة بحوث ودراسات في الميديا الجديدة، المجلد.

1، العدد. 4، 2022، ص 37.

³ Restu Adi Nugraha and others, "Islamic Da'wah through Social Media as a Means of Political Education", **Advances in Social Science - Education and Humanities Research**, Vol. 418, 2020, p 263.

الجدول رقم (21): علاقة متابعة المبحوثين للشبكات الدينية عبر فيسبوك بتقييمهم لمدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية.

المجموع	تقييم المبحوثين لمدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية				متابعة المبحوث للشبكات الدينية عبر فيسبوك	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	النسبة المئوية
276	00	01	19	256	التكرار	يتابع الشبكات الدينية
%100	/	%0.36	%06.88	%92.75	النسبة المئوية	
254	05	08	38	203	التكرار	لا يتابع الشبكات الدينية
%100	%01.97	%03.15	%14.96	%79.92	النسبة المئوية	
530	05	09	57	459	التكرار	المجموع
%100	%00.94	%01.70	%10.75	%86.60	النسبة المئوية	

يمثل الجدول أعلاه علاقة متابعة المبحوثين للشبكات الدينية عبر فيسبوك بتقييمهم لمدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية، حيث توضح لنا الأرقام -وكما رأينا سابقا- أن 86.60% من المبحوثين ملتزمون بأداء الفرائض الدينية، بدعم نسبة 92.75% من طرف المبحوثين الذين يتابعون عبر فيسبوك الشبكات الدينية، أما المبحوثون الذين أحيانا من يلتزمون بالفرائض الدينية، فنسبتهم 10.75% بدعم من فئة الذين لا يتابعون الشبكات الدينية بنسبة 14.96%، وتتواصل نسبة الملتزمين بالفرائض الدينية في التناقص مع تدعيم دائما من طرف المبحوثين الذين لا يتابعون الشبكات الدينية.

ولا يتعلّق الأمر بالفرائض الدينية فقط، بل كذلك بالقيم الأخلاقية، حيث وجدنا أيضا علاقة إحصائية تتعلق بالمدى الذي يمكن أن تؤثر به متابعة الشبكات الدينية على فيسبوك بالتزام المبحوثين بالقيم الأخلاقية، ويظهر لنا من خلال الأرقام أن أغلبية المبحوثين دائما ما يلتزمون بهذه القيم بنسبة 60.75%، بدعم من فئة المبحوثين الذين يتابعون عبر فيسبوك شبكات دينية بنسبة 64.49%، تليها فئة المبحوثين الذين أحيانا ما يلتزمون بالقيم الأخلاقية الدينية بنسبة 36.60%، بدعم من فئة المبحوثين الذين لا يتابعون أو لا ينتمون إلى شبكات دينية عبر فيسبوك قدره 40.16%، وتتواصل نسبة الملتزمين بالقيم الأخلاقية الدينية في التناقص مع تدعيم من طرف المبحوثين الذين لا يتابعون الشبكات الدينية.

النتيجة الرئيسة لهذا الجدول هي وجود علاقة إحصائية بين متابعة المبحوث للشبكات الدينية وتقييمه لأدائه لفرائضه، بحيث كلما زادت متابعة الشبكات الدينية زاد التزام المبحوث بأداء فرائضه، الدينية والعكس، فالعديد من الشبكات الدينية عبر فيسبوك تساهم في تعزيز الجانب الديني للمستخدمين، ويمكن أن يفسّر هذا بأن ما تقدمه الشبكات من مواد وموضوعات تفيد المستخدم في تنمية المعرفة الدينية التي تساعد المستخدمين على الالتزام بفرائضهم وتذكيرهم بضرورتها، خاصة إذا كانت المعلومات المتوفرة في هذه الشبكات بسيطة اللغة المستخدمة، وكذا استخدامها لاستراتيجيات اتصالية وإقناعية تزيد من التزام الطالب بفرائضه، التي تفيد متصفحها فيما يشكل عليه في أمور دينه، كما تجمع "فكرة الصفحات ورؤيتها على أسس معلوماتية دقيقة، مع توظيفها لأكثر من وسيلة في عرض موادها، والعمل على إزالة المظاهر المخالفة للشريعة، فهي تعد مركزا للفتوى، ومنبرا إعلاميا دينيا، ومكانا عالميا دينيا فهي بمثابة مكان للتعليم والتوعية الشاملة التي يستفيد منها جميع أفراد المجتمع.." ¹، وتوجد ثلاثة أنواع من الشبكات التي تؤثر الممارسات الدينية في الجزائر سواء كانت مجموعات أو صفحات، وتمثل في:

¹ أميرة محمد محمد سيد أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 187.

- **شبكات المنوعات الدينية:** تضمن مجموعة من المواعظ والحكم والأمثال من السيرة والأحاديث النبوية الصحيحة، وهو نوع الصفحات الذي اعتبر بسببه نصف الباحثين أي 50%، موقع فيسبوك مصدرا للثقافة الإسلامية على أساس أنه مصدر سهل وسريع وكذا بسيط للوصول إلى المعلومة الدينية؛
- **شبكات المشايخ والدعاة:** يكون الدعاة والمصلحون معروفون في الوطن العربي بصفة عامة وفي الجزائر على وجه الخصوص، حيث تقوم صفحاتهم على نشر كل ما له علاقة بتعاليم الدين الإسلامي، وهو نوع الصفحات الذي يبرر من خلاله الباحثون اعتبارهم للموقع كمصدر، ذلك أنهم يتابعون من خلاله شيوخا وأشخاصا يثقون في معرفتهم الدينية بنسبة 45.08%؛
- **الشبكات الرسمية:** وهي الصفحات الخاصة برجال الدين والأئمة أو خاصة بالهيئات والمؤسسات الرسمية كوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، والمجلس الإسلامي الأعلى وصفحات الزوايا والمساجد وغيرها، وهو أقل أنواع الصفحات متابعة، وأقلها استخداما في التبرير لاعتبار الموقع مصدرا للثقافة الإسلامية، إذ جاءت في الأخير نسبة الباحثين الذي برروا اختيارهم بأنهم يتابعون من خلاله صفحات المؤسسات الدينية ودور الفتوى وذلك بنسبة تعادل 04.92% (أنظر الشكل الممثل لهذه الإحصائيات في الملحق رقم: 29).

الجدول رقم (22): تقييم الباحثين مدى التزامهم بالقيم الأخلاقية الدينية بزيارتهم للمواقع أو الصفحات التبشيرية.

المجموع	زيارة الباحث للمواقع أو الصفحات التبشيرية		تقييم الباحثين مدى التزامهم بالقيم الأخلاقية الدينية	
	لا يزورها	يزورها	التكرار	دائما
155	114	41	النسبة المتوقعة	أحيانا
%100	%73.55	%26.45	التكرار	
100	67	33	النسبة المتوقعة	نادرا
%100	%67	%33	التكرار	
03	00	03	النسبة المتوقعة	المجموع
%100	/	%100	التكرار	
258*	181	77	النسبة المتوقعة	
%100	%70.16	%29.84		

يمثل الجدول أعلاه علاقة بين تقييم الباحثين مدى التزامهم بالقيم الأخلاقية الدينية بزيارتهم للمواقع أو الصفحات التبشيرية، ومن خلال نتائجه نرى أن 70.16% من الباحثين لا يزورونها رغم أن فيسبوك يرسل إليهم إشعارات مموله بها وبمضامينها، وذلك بتدعيم قدره 73.55% من طرف الباحثين الذين دائما ما يلتزمون بالقيم الأخلاقية الإسلامية، في حين أن 29.84% منهم يزورونها، بدعم من فئة الذين هم نادرا ما يلتزمون بالقيم الأخلاقية الدينية قدره 100%. وقد تأكدت نتيجة هذا الجدول عن ربطنا لذات المتغير التابع بمدى تقييم الباحثين مدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية ومن خلال نتائجه نرى أن 70.16% من الباحثين لا يزورون هذه المواقع أو يطلعون على مضامينها، وذلك بتدعيم قدره 72.12% من طرف الباحثين الذين دائما ما

*ملاحظة: المجموع هنا يمثل عدد الباحثين الذين أجابوا بأن موقع فيسبوك يرسل إليهم إشعارات مموله للمواقع والصفحات التي تدعو إلى الأديان الأخرى (التبشير).

يلتزمون بالقيم الإسلامية بأداء الفرائض الدينية، بالمقابل فإن 29.84% من المبحوثين يزورون بالفعل هذه المواقع بدعم قدره 100% من فئة الذين هم نادرا ما يؤدون فرائضهم الدينية.

النتيجة الأساسية للجدول هي وجود علاقة بين التزام المبحوث بالقيم الأخلاقية للدين الإسلامي وبين ابتعاده عن زيارة المواقع التبشيرية والاطلاع على مضامينها، خاصة أن موقع فيسبوك يوفر أرضية مناسبة جدا للتبشير، خاصة داخل الدول الإسلامية الملتزم مواطنوها، والتي تتخذ دستوريا الدين الإسلامي دينها الوحيد، وهو ما أدلى به أحد القساوسة المبشرين قائلا أن "وسائل التواصل الاجتماعي هي ببساطة وسيلة مريحة لنشر رسائل الإنجيل: يمكننا أن ننفق كم من ملايين الدولارات لمحاولة تسلي شخص ما إلى بلد ما، وكما من الأشخاص يمكن أن يقودوا إلى المسيح؟ قليل جدا... ولكن [لأن الناس لديهم] هواتف محمولة، سوف تصل إلى أولئك الذين لا يستطيعون الوصول إلى الرسائل التبشيرية بطريقة أخرى"¹. ففي إحدى الدراسات العلمية المسيحية أجاب 65% من مبحوثيها أنهم يشاركون إيمانهم ومعتقداتهم الدينية المسيحية عبر الإنترنت عمداً من أجل نشرها، إذ يشجع المبشرون نشر تجمعاتهم واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي للترويج لها، كما اعتمدت الجماعات الدينية أيضاً وسائل التواصل الاجتماعي والإنترنت كأدوات تبشيرية رسمية، وهي واحدة من دراسات ومقالات كثيرة تبحث في استخدام فيسبوك كأداة للتبشير، حتى من طرف أكثر الطوائف تحفظاً على التقنية واستخدامها.

هذه الصفحات التي تكون في الغالب الأعم صفحات ممولة Sponsored تعمل على التبشير بالدين المسيحي، تستهدف بالخصوص المستخدمين الجزائريين مع نسبة وصول تقترب من المليون ونصف مستخدم وتفاعل من أزيد من 5000 مستخدم، والتي تهدف بالأساس إلى تبشير الجزائريين بالرسالة المسيحية، عن طريق إقناعهم بأنه دين للتسامح مع الآخرين، خاصة فيما يتعلق بمواضيع حساسة في الدين الإسلامي على غرار الجنس والحب، وأن المسيحية أكثر تفتحا من الدين الذي يعتنقونه، مع شعارات جذابة مثل "غدا أجمل"، "لا يوجد قلب في العالم حنون كقلب المسيح، وكل من لا يسكن في ذلك الوطن فهو لا يزال مغترباً" و"رسالة الإنجيل هي رسالة الحب"، ودعوات لإعمال العقل وترك مساحة للروح كي تفكر (بعض نماذج الصفحات الممولة في الملحق رقم: 31)، وظاهرة التبشير الرقمي هذه هي تطوّر لظاهرة سابقة الوجود مع وسائل الإعلام التقليدية عرف بالتبشير التلفازي Televangelism، أي استخدام التلفاز من أجل نشر الرسائل الإنجيلية.

تجدر الإشارة إلى أن الأديان التي يروج لها فيسبوك لا تقتصر على الدين المسيحي فحسب أو على الديانات السماوية، بل يتجاوز الأمر إلى اليهودية والبوذية وما يعرف بالدين الإبراهيمي الجديد، أو التبشير للكنيسة الشيطانية Satanism، وقد التزمنا هنا بديانة واحدة من الأديان العالمية كمنهج، على اعتباره الدين الأكثر انتشاراً في العالم عموماً والجانب المصدر للعملة على وجه الخصوص.

¹ Pamela Jo Brubaker and Michel M. Haigh, "The Religious Facebook Experience: Uses and Gratifications of Faith-Based Content", **Social Media + Society**, Vol. 3, No. 2, April 2017, p 2, DOI: <https://doi.org/10.1177/2056305117703723>.

* على سبيل المثال، أنظر دراسة تحت عنوان: "المؤمنون يتحولون إلى التبشير عبر فيسبوك"، "Mormons Turn to Facebook Evangelism"، على موقع جريدة التلغراف، رابط المقال: <https://www.telegraph.co.uk/technology/facebook/9369477/Mormons-turn-to-Facebook-evangelism.html>

المطلب الثالث: مدى تأثير المبحوثين بالمد العولي الديني عبر موقع فيسبوك.

يأتي هذا المطلب لمحاولة مناقشة أطروحة مضادة لأطروحة المطلب السابق، والمتعلقة بالمدى الذي يمكن أن يتأثر به المبحوثون بالمد العولي عبر موقع فيسبوك على أساس أن عولمة المعلومات والاتصالات هي تهديد للهوية ونزع للخصوصيات الدينية، خاصة أنه أصبح جزءاً مهماً من الحياة اليومية للمستخدمين، ف 48.68% من عينة هذه الدراسة يستخدمون موقع فيسبوك لثلاث ساعات أو أقل يومياً، و 51.32% منهم أي أكثر من نصفهم، يستخدمونه لأكثر من ثلاث ساعات إلى أكثر من تسع ساعات يومياً، وهي فترة زمنية طويلة كافية لاعتبار فيسبوك أحد مصادر الهوية في شكلها التطويحي كما تمت مقارنتها في الفصل الثالث على اعتباره مصدراً غير تقليدي للفعل الاجتماعي.

وإذا تحدثنا عن المد العولي، فإننا نشير بالضرورة إلى مختلف السمات الثقافية التي يحملها هذا المد، مستندين إلى ما ساء أولريتش بك الثقافات الثالثة التي يرى أنها نتيجة لتمازج وتأثيرات ثقافية عولمية، ووصفه بأنه نتاج ثقافي مضمونه "قليل من هذا وقليلاً من ذاك"، فالجدول الموالي يحاول عرض المدى الذي يؤثر به تأثير المبحوث بالسمات الثقافية العالمية على اطلاعه على مضامين لأخلاقية.

الجدول رقم (23): علاقة تأثير المبحوثين بانتقال سمات ثقافية عالمية عبر فيسبوك بمدى اطلاعه على المضامين اللأخلاقية عبره.

المجموع	مدى اطلاع المبحوثين على المضامين اللأخلاقية				مساهمة الفيسبوك في نقل سمات ثقافية عالمية إلى المبحوث	
	أبداً	نادراً	أحياناً	دائماً	التكرار	يساهم
374	183	139	50	02	التكرار	يساهم
%100	%48.93	%37.17	%13.37	%00.53	النسبة المتوقعة	
156	95	50	11	00	التكرار	لا يساهم
%100	%60.90	%32.05	%07.05	/	النسبة المتوقعة	
530	278	189	61	02	التكرار	المجموع
%100	%52.45	%35.66	%11.51	%00.38	النسبة المتوقعة	

يعرض الجدول أعلاه علاقة مساهمة موقع فيسبوك في نقل سمات ثقافية عالمية إلى المبحوث وتأثره بها، بمدى اطلاعه على اللأخلاقية التي يعرضها الموقع، ونلاحظ من خلاله أن 52.45% من المبحوثين لا يطلعون أبداً على المضامين اللأخلاقية بدعم من فئة المبحوثين الذين لم يساهم موقع فيسبوك في نقل سمات عالمية إليهم نسبته 60.90%، تأتي بعدها نسبة المبحوثين الذين نادراً ما يطلعون على هذه المضامين والتي تقدر بـ 35.66%، بدعم من فئة الذي يساهم موقع فيسبوك في نقل سمات ثقافية إليهم بنسبه 37.17%، ثم الذين أحياناً ما يشاهدونها بنسبة 11.51%، بدعم كذلك من فئة المبحوثين الذي تأثروا بالسمات العالمية التي ينقلها فيسبوك بنسبة 13.37%، وفي الأخير نسبة المبحوثين المقدرة بـ 00.38% وهي تعبر عن الذين دائماً ما يطلعون على المضامين اللأخلاقية بدعم من فئة المتأثرين بالسمات الثقافية العالمية بنسبة 00.53% مقابل انعدام نسبة المبحوثين الذين لم يتأثروا بهذه السمات.

ما يقدمه لنا الجدول هو النتيجة التالية: كلما زاد تأثير السمات العالمية التي ينقلها فيسبوك على الباحثين، زادت نسبة اطلاعهم على المضامين اللاأخلاقية، ويرجع ذلك إما لأن هذه المضامين هي نفسها السمات المنتقلة، أو أنها الأفكار التي تجعل من مشاهدة هذه المضامين أمراً مقبولا، خاصة إذا عرفنا أن 32.86% من الباحثين الذين تأثروا بهذه السمات العالمية، يعتبرون أن متابعة هذه المضامين أمراً عادياً وحرية شخصية، وهو ما يؤكد نتائج دراسات عديدة تثبت أن موقع فيسبوك يساهم في إدخال سمات ثقافية تضرب بشكل مباشر العنصر القيمي للمستخدمين الجزائريين، "فقد نتج عن الاستخدام المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي (الغيس بوك) وبشكل سريع مشكلات اجتماعية وأخلاقية كثيرة أرجعها عدد من علماء النفس والمتقنين إلى الاستخدام السيء لوسائل الاتصال الحديثة"¹، على غرار الافتتاح المطلق على الآخر ذي القيم المناقضة للقيم الدينية المحلية، تفضيل الآلة على الإنسان والانفصال عن العلاقات الحقيقية الواقعية، الاجتماعية عموماً وخاصة الأسرية منها بما تتضمنه من تواصل وتجاوز يفترض أنه يساهم في نقل السمات الثقافية المحلية.

وهنا نستذكر دراسة شيري توركل حول الحياة المعاصرة في ظل التقنية التي تتوقع فيها الكثير من التقنية وقليلاً من بعضنا البعض، وتعتبر الإنترنت فيها ملاذاً لحياة ثانية يريد المستخدمون اللجوء إليها للفرار من القيم الواقعية. ترى توركل أننا عندما نعيش جزءاً من حياتنا في "أماكن افتراضية"، فقد تكون هذه الحياة هي حياتنا الثانية أو على الأقل حياة مشتركة مع حياتنا الفعلية، وتعتبر مواقع تواصل الاجتماعي من أهم هذه الأماكن الافتراضية، والتي تنشأ في إطارها علاقة مضطربة بينهما ما هو صحيح "هنا" في الحياة الفعلية وما هو صحيح "هناك" في المحاكاة ومواقع الشبكات الاجتماعية مثل الفيسبوك²؛ فيمكن اعتبار أن ما تخلقه السمات الثقافية العالمية الواردة على أفراد العينة عن طريق موقع فيسبوك تسبب نوعاً من الاضطراب بين المعايير والقيم الدينية الصحيحة في العالم الفعلي، وبين ما هو صحيح ومتاح في الحياة الافتراضية الفيسبوكية للمبحوث المنفتحة بإطراد على العالم.

إن الانخراط المفرط في عالم فيسبوك حسب توركل يجعل المستخدمين يعتقدون أنهم يعرضون ذواتهم كما هي في الحقيقة، لكنهم ينتهون إلى أن تكون حساباتهم الشخصية عرضاً لشخص آخر تماماً غالباً ما يكون "خيالاً عن هويتهم التي يريدون أن يكونوا عليها"، وإذا علمنا أن 71.92% من الذين انتقلت إليهم سمات عالمية عبر فيسبوك، يعتبرون هذا الأخير امتداداً لحياتهم الفعلية، فإننا نستذكر استنتاجهما بأن فيسبوك يوفر مكاناً افتراضياً للتواصل دون وجود مطالبات بأي التزامات واقعية³، إذ يوفر بذلك فضاءً لممارسة ما تم اكتسابه من سمات عالمية دون اعتبار أنفسهم مطالبين بالتقيد بالالتزامات الدينية الواقعية. وما سيأتي من جداول وأشكال بيانية، فهي مصممة لتعمل على إظهار العلاقة التي نفترض وجودها والقائلة بأن أنماط استخدام موقع فيسبوك والتعرض للمضامين العولمية من شأنه أن يؤثر على القيم الدينية لعينة الدراسة، سواء عبر متغير الزمن أي من خلال أقدمية المبحوث في استخدام موقع فيسبوك أو متغير كثافة التعرض أي عدد الحسابات التي يملكها.

¹ العيد ورم، مرجع سبق ذكره، ص 250.

² Sherry Turkle, *Alone Together: Why We Expect More from Technology and Less from Each Other*, Basic Books, New York, 2011, p 153.

³ Ibid, p 153.

الجدول رقم (24): علاقة فترة انضمام المبحوثين لموقع فيسبوك بتلقيهم إشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى من طرفه.

المجموع	تلقى المبحوث لإشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى من طرف فيسبوك		فترة انضمام المبحوث لموقع فيسبوك	
	لم يتلقى إشعارات	يتلقى إشعارات	التكرار	النسبة المئوية
182	77	105	التكرار	من 2005 إلى 2010
%100	%42.31	%57.69	النسبة المئوية	
274	143	131	التكرار	من 2011 إلى 2015
%100	%52.19	%47.81	النسبة المئوية	
74	52	22	التكرار	من 2016 إلى 2022
%100	%70.27	%29.73	النسبة المئوية	
530	272	258	التكرار	المجموع
%100	%51.32	%48.68	النسبة المئوية	

يربط لنا الجدول أعلاه علاقة بين فترة انضمام المبحوثين لموقع فيسبوك كمتغير مستقل بتلقيهم إشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى من طرف الموقع كمتغير تابع، إذ يتضح لنا من خلال الجدول أن العينة منقسمة تقريبا إلى قسمين، 51.32% من المبحوثين لم يتلقوا إشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى من طرف فيسبوك بدعم نسبته 70.27% من فئة المبحوثين الذين انضموا إلى فيسبوك من 2016 إلى 2022، كما أن 48.68% من أفراد عينة البحث لم يسبق وأن تلقوا إشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى، بدعم من فئة المبحوثين الذين انضموا إلى فيسبوك بين سنتي 2005 و 2010 نسبته 57.69%.

النتيجة الأساسية التي يقدمها هذا الجدول تتمثل في أنه كلما زاد المبحوث أقدمية في استخدام موقع فيسبوك زادت إمكانية تلقيه لإشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى، وتعتبر طول فترات الاستخدام والتلقي متغيرا مهما ومرتبيا بفكرة سوسيولوجية متعلقة بتبني الثقافات، والتي تحدث عنها عالم الاجتماع الأميركي المتخصص في الاتصال إفريت روجرز Everett Rogers حيث تناول في نظريته انتشار الابتكارات الطريقة التي يساهم بها الاتصال في نشر الأفكار عبر مرور فترات من الزمن، فيعرف الانتشار على أنه "العملية التي يتم من خلالها نقل الابتكار عبر قنوات معينة مع مرور الوقت بين أعضاء النظام الاجتماعي فهو نوع خاص من التواصل، تكون رسائله معنية بوجود أفكار جديدة"¹، فالانتشار حسب هذه النظرية هو نوع من أنواع التغير الاجتماعي، يُعرف بأنه العملية التي يحدث من خلالها التغير في بنية ووظيفة النظام الاجتماعي، وذلك عندما يتم اختراع أفكار جديدة، ونشرها، وتبنيها أو رفضها.

فطرح أفكار جديدة، ونقلها عبر وسيلة اتصالية، وعبر الزمن سواء ليتم تبنيها أو رفضها هو بالضبط ما يقدمه الجدول، إذ يتم طرح ونشر ومحاولة الإقناع بأفكار جديدة متعلقة بأديان أخرى وكلما زادت المدة الزمنية، زادت محاولات إقناع المبحوث بها على أنها شكل من أشكال التغير الاجتماعي، وهي نتيجة وصلت إليها إحدى الدراسات السابقة كذلك إذ استنتج الباحث أن "التبني يحدث بعد مراحل عديدة يجتازها المستخدم للوسائل الجديدة ويعدها يتقبل هذه التقنية ومن ثم يرتبط هذا التقبل

¹ Everett M. Rogers, *Diffusion of Innovations*, 3^{ed} Edition, The Free Press, New York, 1983, p 5.

ومستواه بحجم الاستخدام، حيث كلما كان التبني أو التقبل كبيراً زاد حجم الاستخدام وهو ما ينطبق على حجم استخدام موقع الفاييس بوك¹، هذا التبني الذي يتم وصفه كذلك فيما ذكرناه سابقاً بـ "اختراع التقاليد" إذ تسعى الإنترنت إلى غرس قيم ومعايير من خلال التكرار، ويتم إظهارها على أنها "تقاليد جديدة" أكثر افتتاحاً وأكثر تماشياً مع متطلبات العصر، وتحاول بذلك تعويض التقاليد الأصلية للأمم. وبالانتقال من طول فترة الاستخدام إلى كثافته*.

سنحاول فيما يلي معرفة المدى الذي يؤثر به الاستخدام المفرط لموقع فيسبوك سلباً على قيمهم الدينية وعلى تأثرهم بالأديان الأخرى ومحاولة الدعوة إليها على حدّ سواء.

الجدول رقم (25): علاقة عدد الحسابات التي يملكها المبحوثون بمدى اطلاعهم على المضامين اللاأخلاقية عبر فيسبوك.

المجموع	اطلاع المبحوث على المضامين اللاأخلاقية عبر فيسبوك			عدد الحسابات التي يملكها المبحوث	
	أبداً	نادراً	أحياناً		
356	205	114	37	التكرار	حساب واحد
%100	%57.58	%32.02	%10.40	النسبة المئوية	
174	73	75	26	التكرار	أكثر من حساب
%100	%41.95	%43.10	%14.95	النسبة المئوية	
530	278	189	63	التكرار	المجموع
%100	%52.45	%35.66	%11.89	النسبة المئوية	

يوضح الجدول علاقة عدد الحسابات التي يملكها المبحوثون بمدى اطلاعهم على المضامين اللاأخلاقية عبر فيسبوك، إذ يظهر لنا أن 52.45% من المبحوثين لا يطلعون أبداً على المضامين اللاأخلاقية والمنافية للقيم الأخلاقية الإسلامية بدعم من فئة المبحوثين الذين يمتلكون حساباً واحداً قدره 57.58%، كما يظهر الجدول أن 35.66% من المبحوثين نادراً ما يطلعون على هذه المضامين، ولكن الآن بدعم من فئة المبحوثين الذين يملكون أكثر من حساب (من حسابين إلى 8) بنسبة 43.10%، وكأقل نسبة وهي 11.89% جاءت فئة المبحوثين التي أحياناً ما يطلعون على المضامين اللاأخلاقية عبر فيسبوك، بدعم كذلك من فئة المبحوثين الذين يمتلكون أكثر من حساب بنسبة 14.95%.

قبل تناول النتيجة الأساسية للجدول، ننطلق من النتيجة التي تظهر في الاتجاه العام له، فأكثر من نصف المبحوثين لا يطلعون أبداً على المضامين اللاأخلاقية رغم أنها متاحة لهم، ويمكن أن يفسر ذلك بأن إتاحة فيسبوك لهذه المضامين وحدها ليست كافية لخلق اللذة والقيام بإغراق ثقافي، خاصة إذا علمنا أن أغلب اللذين يرفضون الاطلاع على هذه المضامين، يرجعون

¹ وادم العيد، مرجع سبق ذكره، ص 126.

* كنا في الفصل الرابع قد بينا بالأساس وجود علاقة إحصائية بين فترة الانضمام إلى فيسبوك وعدد الحسابات التي يملكها المبحوث، أنظر: الجدول رقم 12 الذي يوضح العلاقة بين متغيري عدد الحسابات التي يملكها المبحوثون مع سنة انضمامهم لموقع فيسبوك.

ذلك إلى خلفياتهم الدينية، فتكررت إجابات "حرام" عند المبحوثين اللذين أجابوا بأنهم لا يطلعون عليها (رغم أن تقنية البحث لم تطلب منهم ذلك)، في حين أجاب المبحوث 485: "حرام مشاهدتها يحل غضب الله على من شاهدها".

النتيجة الأساسية لهذا الجدول هي أنه كلما قلّ عدد حسابات المبحوث قلّ اطلاعه على المضامين اللاأخلاقية والعكس، إذ أن امتلاك أكثر من حساب يوفر للمبحوث فرصاً أكثر للمستخدم أن يطلع على المزيد من المضامين على اختلافها بحرية، أكبر وتعمق دون أن تطلق عليه الأحكام، فإذا كنا في البداية قد اعتبرنا موقع فيسبوك مسرحاً يمكن المستخدم من عرض هويته، فإنه عند تواصله مع الآخرين يحاول توجيه الانطباعات التي تتخذ إزاء عرضه عن طريق تغيير وتعديل سلوكياته، مظهره وطرقه في التفاعل كما في الأداء المسرحي، فيبقى دائماً حريصاً على أن تبلغ ذاته الانطباعات المرغوبة، لذا فإنه يحاول الابتعاد عما يفسد الانطباعات تجاهه بعرض ما هو مثالي فقط.

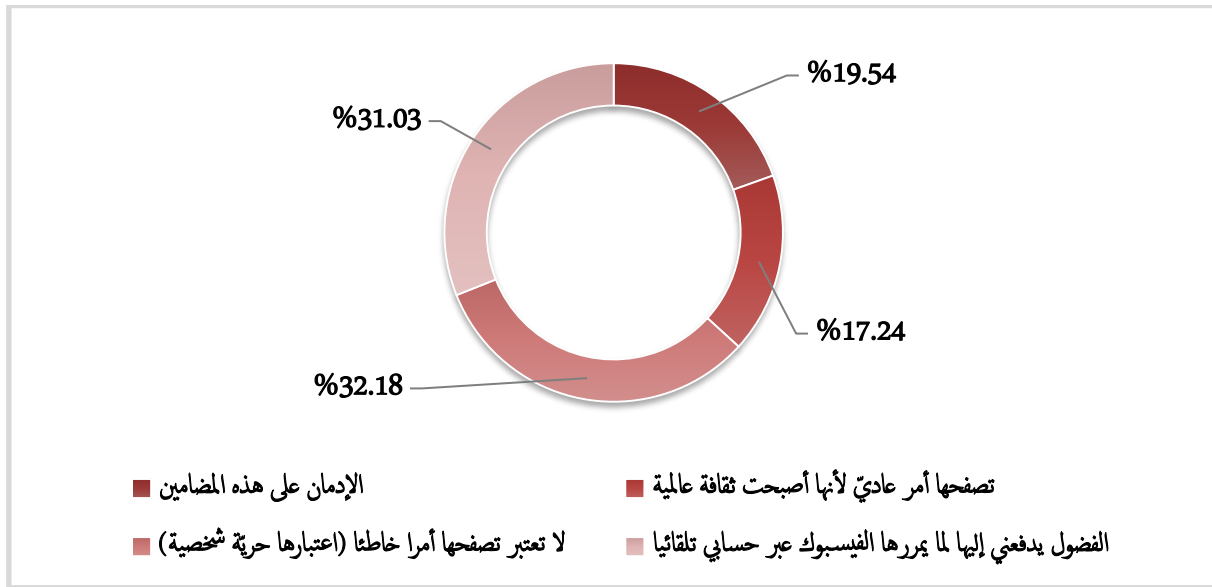
والذي أكد لنا هذه النتيجة هو ربطنا لتبرير المبحوثين تعدد حساباتهم بمدى اطلاعهم على المضامين اللاأخلاقية، فوجدنا أن الذين برروا تعدد حساباتهم بأنهم يسعون إلى إخفاء هوياتهم، مدعومون بنسبة 100% من طرف الذين دائماً ما يطلعون على هذه المضامين، يعني هذا أنه بمجرد توفر فضاء لإخفاء المبحوث هويته فإنه يتجه لمشاهدة هذه المضامين كنوع من التنصل من الرقابة والضبط الاجتماعيين، فنجد أن الذين يمتلكون أكثر من حساب يبررون ذلك بعبارات توضح محاولات التنصل هذه أبرزها ما يلي: أجاب المبحوث 131: "نعم، لفعل أشياء لا أستطيع فعلها باسمي الحقيقي"؛ المبحوث 144: "أحس بنوع من الحرية لما يكون حسابي خالي من معارفي؛ المبحوث 302: "سياسة الفيسبوك تعلم الأصدقاء بكل تفاعلاتي"؛ المبحوث 325: "لأسباب إخفاء الهوية والمراقبة والظهور بحرية أثناء التواصل"، وهي كلها تبريرات تصب في محاولات مفردات عينة البحث للممارسة أو مشاهدة ما لا يمكن لهم ممارسته أو فعله وسط محيط ضابط ومراقب.

ومن جانب آخر، وهو متعلق بالمدى الذي يتعرض له المبحوث من خلال فيسبوك للصفحات التبشيرية، فإننا وجدنا علاقة إحصائية بين عدد الحسابات التي ستخدمها المبحوث ومدى تعرضه لها، ويتضح من خلال الجدول الملحق رقم: 33، والذي يوضح علاقة عدد الحسابات التي يملكها المبحوثون بتلقيهم لإشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى من طرف فيسبوك، ويتضح من خلاله أن 51.32% من المبحوثين الذين لم يسبق وأن تلقوا إشعارات دعوية من طرف فيسبوك لأديان أخرى، وذلك بتدعيم من فئة المبحوثين الذين يمتلكون حساباً واحداً نسبته 55.62%، بينما 48.68% من المبحوثين تلقوا بالفعل إشعارات تدعو لأديان أخرى، وذلك بتدعيم نسبته 57.47% من طرف فئة المبحوثين الذين يمتلكون أكثر من حساب فيسبوكي.

فتعدد الحسابات بهذا المعنى هو سبب في كثرة ما قد يتلقاه المبحوث من مضامين تبشيرية في حالة امتلاك حساب واحد، وحتى وإن كانت الحسابات المتعددة منشأة لمجرد الابتعاد عن العائلة أو الأصدقاء أو المحيط الفعلي الذي ينتمي إليه المبحوثون كما أجابوا، أي دون إرفاق المستخدم لتلك الحسابات بأي اسم واضح أو صورة أو بيانات شخصية، فإنه يبقى مستهدفاً من إشعارات فيسبوك التي تحاول تحديد هويته الافتراضية، وهو ما حدث لأحد المستجوبين الذي لاحظ الترويج والإعلان لألعاب وطقوس احتفالية مسيحية على حسابه الاحتياطي "...أو تلقي إشعارات تروج لأديان أخرى (كلعبة الكتاب المقدس) التي تروج لأفكار المسيح وساهم الفيسبوك في الترويج لها عن طريق الإشهار، فأصبح وصول الجزائري للمحتويات

المنشورة عبر الفيسبوك الخاصة بالأعياد والمناسبات بشكل مستمر يشكل خطرا على معتقداته كأن يصبح الاحتفال بـ "الهالوين" أمرا عاديا في نظر الكثير، في ظل هذه الأخيرة وغيرها من الأمثلة أرى أن الفيسبوك ساهم بشكل كبير في الترويج للممارسات دينية لا تتماشى والخصوصية الإسلامية للمجتمع الجزائري خاصة وأن الإنحياز في هذا الموقع ليس له حدود...¹.

إذا بحثنا عبر فيسبوك على "أقنعة الهالوين" أو "أشجار كريسماس" في الجزائر على سبيل المثال، سيحيلنا الموقع إلى متجر فيسبوك Marketpalce عن الأماكن التي يمكن من خلالها اقتناء أقنعة وملابس خاصة بعيد الهالوين، وكذا أشجار وزينة الاحتفال بالميلاد المجيد في الجزائر، فلا يساهم الموقع فقط في نشر الأفكار التي لا تتناسب والهوية الإسلامية للمجتمع الجزائري، بل ومحاولة تجسديها.



الشكل رقم (27): توزيع عينة الدراسة حسب تبرير المبحوثين لمتابعهم مضمين لأخلاقية عبر فيسبوك.

يوضح الشكل البياني أعلاه تبرير المبحوثين الذين أجابوا بأنهم يتابعون المضمين للأخلاقية عبر موقع فيسبوك ولو بشدة قليلة، وهم يمثلون تقريبا نصف عينة الدراسة (أي 47.55%)، وتمثل أكبر نسبة المبحوثين الذين لا يعتبرون تصفحها أمرا خاطئا أي اعتبارها حرية شخصية بنسبة 32.18%، بعدها مباشرة جاءت نسبة المبحوثين الذين اطلعوا عليها كشكل من أشكال الفضول لما يمررها موقع فيسبوك عبر حسابهم تلقائيا وذلك بنسبة 31.03%، بعدها جاءت نسبة المبحوثين الذين أجابوا بأنهم أدمنوا هذه المضمين بنسبة 19.54%، وقريبا منها في الأخير نسبة الذين يعتبرون تصفحها أمر عاديا لأنها أصبحت "ثقافة عالمية" بنسبة 17.24%.

يعرض لنا هذا الشكل الأسباب التي برر من خلالها المبحوثون الذين أجابوا بأنهم يطلعون على المضمين للأخلاقية، وتنوعها بين أسباب ذاتية وأخرى تقنية، فأغلب المبحوثين الذين يشاهدون المضمين للأخلاقية برروا ذلك بأنها حريتهم الشخصية، فهم لا يعتبرون تصفحها أمرا خاطئا، بل أن منهم من يعتبر مشاهدتها جزءا مهما في تنشئته وتوعيته وتحديد معارفه في هذا المجال، وسبيلا لعدم الوقوع في أخطاء فعلية مادام الوقوع في أخطاء افتراضية متاحا، أجاب المبحوثان رقم 63 و100

¹ من إجابة المستجوب رقم 4، على سؤال مقابلة البحث رقم 12.

على التوالي: "حتى لا أكون منعزلا عن ما هو مستحدثا"؛ "لأن تصفحها جزء من بناء الوعي وعدم الوقوع في خطر الرغبة في الممنوع أو المجهول"، وهذا يعيدنا إلى أهم تفسيرات الهوية في شكلها التطوبي المنفصل عن قيم الجماعة وعاداتها وتقاليدها، وهو التفسير العقلاني الغائي، فلأن هؤلاء المبحوثون يبررون مشاهدتهم لهذه المضامين فإن الأولوية لديهم قد انتقلت من الوعي بالاعتقاد (الدين) إلى الوعي بالغاية (التثقيف والتحرر) وأن مصادر الفعل لديهم أصبح مرتبطا بقناعاتهم الذاتية بعيدا عن الدين ونواحيه، وقد سمينا الهوية المترتبة عن هذا السلوك الهوية العقلانية الغائية، وينطبق التفسير على المبحوثين الذين أجابوا بأنها أصبحت ثقافة عالمية، إذ بنزعهم عنها الطابع المحلي (الجزائري)، نزعوا عنها الخصوصية الدينية لذلك المحلي (الإسلام).

ثاني أعلى نسبة من التبريرات تتمثل في أن إطلاع المبحوثين على هذه المواد ما هو إلا نتاج لفضول أو لصدفة ناتجة عن خوارزميات فيسبوك، والتي تعمل على نشر مضامين على شكل فقاعات ترشيح، أي أنه كلما شاهد مستخدم مضمونا ما تحصر الخوارزميات على إعادة عرضه واقتراحه على الجماعة الشبكية ذاتها، وفقاعة الترشيح Filter Bubble هو المصطلح الذي اقترحه المختص في القانون والعلوم السياسية والناشط على شبكة الإنترنت إيلي باريزر Eli Pariser، حيث يتتبع "الجيل الجديد من مرشحات الإنترنت الأشياء التي يبدو أنك تحبها، الأشياء الفعلية التي فعلتها.. إنها محركات تنبؤ، تخلق وتنقح باستمرار نظرية عن هويتك"¹، فأراد بالمصطلح وصف الكيفية التي تشكل بها خوارزميات الإنترنت باستمرار نظرية عن هوية المستخدم، فتعرض عليه مضامين خاضعة لمجال اهتماماته واهتمام المحيطين به، وذلك حسب تاريخ تصفحه وكذا تصفحهم للمضامين، إضافة إلى جنسه، سنه، جنسيته ولا سيما موقعه الجغرافي، لتخلق لكل جماعة شبكية عالما من المعلومات الخاص بها. وقد أجاب المبحوث رقم 2 بأنه سبق وأن تصفح هذه المواد "لاعتبارات تقانية تتعلق بسياسات الفيسبوك التي تظهر الصفحات عند تعليق أحد الأصدقاء على منشوراته".

وعندما نتحدث عن المضامين اللاأخلاقية، نحن بالفعل نتحدث عما يصدره موقع فيسبوك من افتتاح مطلق على مضامين مصدرها الغرب وليبراليته، لكن الأمر -وهي نتيجة من نتائج عولمة الأفكار أيضا- أصبح منطبقا كذلك على المضامين الجزائرية ذات الوصول العالي High Reach التي ينشرها من يعرفون بـ "المؤثرين"، وهي فئة من صانعي المحتوى الجزائريين، ورغم أن هناك منهم من يساهم في تقديم محتويات ذات قيمة دينية، ثقافية، اجتماعية وعلمية تاريخية عالية، إلا أن هناك فئة منهم توصف بأنها مثيرة للجدل خاصة من الذين انتشروا مؤخرا عبر مواقع تواصل اجتماعي أخرى على غرار تيك توك TikTok، ويعيدون أو يعاد نشر مضامينهم عبر موقع فيسبوك.

تعد مضامين هذه الفئة أكثر تأثيرا على المستخدم الجزائري من تأثير المضامين الأجنبية، ذلك أنها تنقل نفس الأفكار المنحلة ولكن بلغة وصيغة وتعبيرات محلية مفككة شيفرتها لدى أغلب المستخدمين الجزائريين، كما أن وصولها العالي المدعم من طرف خوارزميات فيسبوك يزيد من انتشارها حتى ضمن حسابات المستخدمين غير المهتمين بها، كما أنها تسوق سواء لدى الجزائريين أو غيرهم لصورة غير حقيقية عن الفرد الجزائري، خاصة ما هو متعلق بما يعرف بالمباشر Live الخاص بفئة معينة من صانعات المحتوى إن صحت التسمية التي تسوق لصورة لأخلاقية بإطراد عن المرأة الجزائرية شكلا أو مضمونا.

¹ Eli Pariser, Opcit, p 10.

وعند سؤالنا عينة بحثها عن هؤلاء المؤثرين ورأيهم في مدى نقلهم لصورة صحيحة عن الجزائر، أجب 67.36% منهم بالرفض، أي أنهم لا يعتبرون هؤلاء المؤثرين وجها للثقافة والقيم الجزائريين، ذلك أنهم ينقلون صورا مشوهة وغير واقعية، سواء كانت مفرطة في المثالية أو مفرطة في التغليب، وفيما يلي عينة عن إجابات بعض المبحوثين المرتبطة بالأخلاق والدين، فأجاب المبحوث رقم 31 أن: "أغلب المؤثرين هي قوالب جاهزة من العولمة العالمية"؛ ورقم 34: "هم يتأثرون بثقافات الأخرى ويطبقونها على الواقع الجزائري"، أما المبحوث رقم 469 فأجاب: "لأن أغلب المؤثرين في الحقيقة حتى هم متأثرون بالثقافات الأخرى وينقلون واقع معيشي مترف يجعل الجيل الصاعد ينهر بهم ويقلدهم تقليدا أعمى مثلا ظاهرة الترنادات على حساب القيم وتعاليم الدين الإسلامي والعادات والتقاليد"، كما يضيف المبحوث رقم 194: "بكل بساطة أغلب المؤثرين محتوهم منحط لا أخلاقي وتافه، حتى أن مستوهم الثقافي والأخلاقي جد متدني.."، والمثال الأخير هو إجابة المبحوث رقم 189: "شوهوا صورتها - أي الجزائر- فأغلبهم لهم محتوى غير أخلاقي خاصة النساء". فهذه أمثلة توضح إدراك بعض المبحوثين أن ما يسوقه فيسبوك الجزائري هو في الحقيقة تسويق لأفكار غير محلية بالأساس، فالموقع هنا يستغل المستخدم الجزائري نفسه سواء كان مؤثرا أم متأثرا- ضد الخصوصية الأخلاقية والقيمة الجزائرية.

المبحث الثاني: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: التدفق الكوني للأديان وطقوسها الاحتفالية.

في هذا الجزء من الدراسة، سوف نقوم بعرض ومناقشة بيانات مؤشر التدفق الكوني للأديان وطقوسها الاحتفالية، بمعنى أننا سنقوم بعرض المدى الذي يستخدم به موقع فيسبوك كمسرح عرض هوية المبحوثين الدينية من خلال عرض طقوسهم الدينية واحتفالاتهم، وهل يساهم بهذا موقع فيسبوك بنقل الهوية الدينية إلى الخارج، وبالمقابل هل يساهم في نقل هوية الأديان العالمية وقيمها الدينية إلى الداخل. من أجل ذلك، ومثل المبحث الأول توزعت إجابات المبحوثين وكذا الارتباطات ذات الدلالة الإحصائية في ثلاثة نقاط أساسية سيتم تناول البيانات وعرضها ومناقشتها من خلالها:

- **الأولى:** تتعلق بالمدى الذي يتخذ من خلاله المبحوثون موقع فيسبوك كفضاء لعرض هويتهم الدينية من خلال مشاركتهم واهتمامهم بما هو متعلق بالمناسبات الدينية.
- **الثانية:** تتعلق بما أسميناه العولمة الدينية من الداخل إلى الخارج، أي المدى الذي يساهم فيسبوك في نشر ما هو متعلق بالمناسبات الدينية إلى خارج موقع فيسبوك الجزائري.
- **الثالثة:** وهي معاكسة للفكرة السابقة، أي تتعلق بالعولمة الدينية من الخارج إلى الداخل، بمعنى البحث في المدى الذي يساهم فيسبوك في إدخال ما هو متعلق بالطقوس الاحتفالية غير من خارج إلى داخل موقع فيسبوك الجزائري.

المطلب الأول: موقع فيسبوك كمسرح لعرض الهوية الدينية.

أحد أهم تعريفات الهوية الوطنية التي ذكرناها سابقا، هي أنها المُنْتَخِل الذي يحيل إلى الوحدة وينعكس رمزيا في عدة ممارسات منها الطقوس المميزة لذلك المجتمع، من أجل ذلك عمدنا إلى معرفة المدى الذي تستغل به عينة دراستنا موقع فيسبوك بصفحاته، مجموعات وحساباته الشخصية كمسرح أو مجال لعرض هوياتهم الدينية عن طريق مشاركة معلومات وطقوس احتفالية

وما تعلق بمختلف المناسبات الدينية، إذ تمثل هذه المناسبات وإحياء ذكراها إحدى أهم أماكن الذاكرة التي تحفظ علاقة الهوية بذاكرة الزمان وتنعش هوياتهم.

الجدول رقم (26): آراء الباحثين حول اعتبار موقع فيسبوك مسرحاً لعرض الهوية الدينية.

المجموع	آراء الباحثين حول اعتبار موقع فيسبوك مسرحاً لعرض الهوية الدينية				أدوار موقع فيسبوك تجاه البعد الديني للمستخدمين	
	أبداً	نادراً	أحياناً	دائماً	التكرار	النسبة المئوية
530	92	99	216	123	التكرار	اهتمام الباحث بنشر معلومات تتعلق بالمناسبة الدينية
%100	%17.36	%18.68	%40.75	%23.21	النسبة المئوية	
530	117	105	184	124	التكرار	اهتمام الباحث بمشاركة الأصدقاء طقوس الاحتفال بالمناسبة الدينية
%100	%22.08	%19.81	%34.72	%23.40	النسبة المئوية	
530	136	118	163	113	التكرار	تصحيح الباحث للمعتقدات الخاطئة بشأن المناسبة الدينية
%100	%25.66	%22.26	%30.75	%21.32	النسبة المئوية	
530	343	91	65	31	التكرار	دخول الباحث في جدال مع أشخاص من مذاهب أخرى حول الاحتفال بالمناسبة
%100	%64.62	%17.17	%12.26	%05.85	النسبة المئوية	
2120	688	413	628	391	التكرار	المجموع
%100	%32.45	%19.48	%29.62	%18.45	النسبة المئوية	

يمثل الجدول أعلاه عرضاً لآراء الباحثين حول اعتبار موقع فيسبوك مسرحاً لعرض الهوية الدينية، وهي عبارات متعلقة بالمناسبات الدينية الإسلامية وما هو مترتب عنها من احتفالات وتدايعات، وقد تمت صياغتها اعتماداً على المقابلات الاستكشافية، وستتم قراءة النسب الداخلية للجدول كما يلي:

• يوضح لنا الجدول أن 40.75% من الباحثين أحياناً ما يهتمون بنشر معلومات تتعلق بالمناسبة الدينية، و 23.21% منهم دائماً ما يستغلون موقع فيسبوك لنشر هذه المعلومات، بعدها نسبة الباحثين الذين هم نادراً ما يهتمون بذلك بنسبة 18.68% في حين تمثل أقل نسبة لهذه العبارة في الباحثين الذين لا يهتمون أبداً بنشر هذه المعلومات بنسبة 17.36%، فنسبة الذين أجابوا من ناحية الإيجاب أي بأنهم يساهمون عن طريق فيسبوك في نشر معلومات عن المناسبات الدينية دائماً وأحياناً بلغت 63.96%.

• يهتم 34.72% من الباحثين بمشاركة الأصدقاء طقوس الاحتفال بالمناسبة الدينية أحياناً، كما يهتم 23.40% منهم دائماً بذلك، 19.81% نادراً ما يفعلون ذلك، في حين أن 22.08% منهم لا يهتمون أبداً بنشرها ومشاركتها.

• يستغل أحياناً 30.75% من الباحثين الموقع لتصحيح المعتقدات الخاطئة بشأن المناسبة الدينية، بينما 25.66% لا يفعلون ذلك أبداً، وتقرب منها نسبتا الذين يفعلون ذلك دائماً بنسبة 22.26%، والذين هم نادراً ما يفعلون ذلك بنسبة 21.32%.

* ملاحظة: خانة المجموع هنا لا تمثل مجموع الباحثين بل مجموع إجاباتهم.

• العبارة الأخيرة في الجدول هي دخول المبحوثين في جدال مع أشخاص من مذاهب أخرى حول الاحتفال بالمناسبة، وقد أجاب 64.62% بأنهم لم يدخلوا أبدا في هذا النوع من الجدالات، وتبقى النسبة تتناقص لتصل إلى 05.85% وهي نسبة المبحوثين الذين يدخلون دائما في هذا النوع من الجدالات.

لكل مجتمع مهما اختلفت ديانتها، احتفالات خاصة بها، فكما يرى دوركايم "لا يمكن أن يوجد مجتمع لا يشعر بالحاجة إلى إقامة وتعزيز المشاعر الجماعية والأفكار الجماعية التي تشكل وحدته وشخصيته، وذلك بفواصل منتظمة. لكن، لا يمكن الحصول على هذه الاستعادة للقوى المعنوية إلا بالاجتماعات واللقاءات والتجمعات التي يعيد فيها الأفراد معا.. تأكيد مشاعرهم المشتركة؛ ومن هنا تأتي الطقوس التي لا تختلف في طبيعتها وغايتها والنتائج التي تؤدي إليها والوسائل المستخدمة فيها عن الطقوس الدينية المحضة"¹، فالاحتفالات الدينية بطقوسها وشعائرها، اجتماعاتها ولقاءاتها أو حتى تمييزها عن غيرها من الأيام، هي سلوكيات جمعية مكرسة لنظام هذه الجماعات، وهي لا تخلو من الاجتماعي، إذ أنها عبارة عن تقويم زمني ينظم إيقاع النشاط الجمعي. فالدين كما يقول دوركايم أمر اجتماعي جدا.

بالنسبة للجزائر، ولأن الدين الإسلامي بغض النظر عن نوع التدبير فيه يشكل جزءا مهما من الهوية الوطنية، وهوية مبحثنا كما رأينا سابقا، فالاحتفالات الدينية تأخذ مكانة بنفس أهمية الدين فهي واحدة من أشكال التعبير عنه سواء ماديا أو لا ماديا، وهي متنوعة، تأخذ من كل منطقة خصوصياتها فيمتزج بذلك الديني بالاجتماعي، وأهم هذه الاحتفالات والأعياد: عيدي الفطر والأضحى، وما ارتبط بهما من تقويمات شهرية (شهر رمضان، ليلة القدر..) وأيام (يوم عرفة، التروية، أيام التشريق..)، والمناسبات الأخرى مثل رأس السنة الهجرية، عاشوراء، ذكرى المولد النبوي الشريف، حتى يوم الجمعة، وغيرها من المناسبات الدينية "بما تتضمنه من شعائر دينية وعادات اجتماعية وممارسات مختلفة تشكل إعادة الإنتاج للدين وإبقائه حاضرا في حياة الناس عبر الأجيال من جهة وما تحققه من تقوية للروابط العائلية وتعزيز العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى"²، التي تمتلك خصوصية دينية، ثقافية واجتماعية تضيفها عليها الشخصية الجزائرية.

وليست الطقوس هنا مقتصرة على مظاهر الفرجة والفرح، بل كل ما يجعل تاريخنا معينا سواء يوما، أسبوعا، أو شهرا مختلفا دينيا عن سائر الأيام، يقول دوركايم "نحن لا نستطيع تصوّر الزمن إلا شرط تمييز أوقات مختلفة فيه"³، فنحن نقصد بتناولنا لمفهوم "مناسبات الدينية" كل الاحتفالات وطقوسها (الاحتفال بالعيدين وبالمولد النبوي الشريف، تخصيص يوم الجمعة...) أو الشعائر الممارسات الدينية (الصلوات، حلقات الذكر والخطب، المشي نحو المساجد..).

وكل احتفال ديني يتطلب وجود فضاء أو مسرح اجتماعي تعرض فيه الذات والجماعة طقوسها الاحتفالية، لذلك فإن أكثر فضاء تظهر فيه خصوصية الاحتفال الديني هو الأمكنة التي تتغير ملامحها وفقا لتلك المناسبة، الشوارع، البيوت،

¹ إميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية: المنظومة الطوطمية في أستراليا، مرجع سبق ذكره، ص 541.

² مطرف عمر وبن معمر بوخضرة، "الأعياد والمناسبات الاحتفالية في المجتمع الجزائري بين العادات الاجتماعية والمظاهر الفرجوية - دراسة أنثروبولوجية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد. 52، ديسمبر 2019، ص 388.

³ إميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية: المنظومة الطوطمية في أستراليا، مرجع سبق ذكره، ص 29.

الساحات والمساجد وغيرها، والتي نلاحظ فيها عادة تشابك الأفضية العمومية والخاصة وتحولها إلى أفضية ثقافية ودينية، هذا ضمن المجالات الفعلية، وبنفس هذا المنطق تتحول المجالات الافتراضية إلى فضاءات ثقافية أو مسرحا لعرض الهوية الدينية للمستخدمين على غرار موقع فيسبوك الذي يستم استغلاله لعرض معلومات ومعارف عن المناسبات الدينية، ومظاهر الاحتفال بها خاصة من طرف أولئك الذين يعتبرون موقع فيسبوك امتدادا لهويتهم الفعلية. ويتم عرض الهوية الدينية أو مشاركة الاحتفالات والممارسات عن طريق فيسبوك بطريقتين:

- نشر معلومات تتعلق بتلك المناسبة على سبيل التذكير بها وعلى سبيل استغلال للموقع لنشر المعرفة الدينية، وكذا نشر القصص، حكم ومواعظ وعبر متعلقة بالمناسبة الدينية؛
- نشر المظاهر والطقوس الاحتفالية والممارسات الخاصة بمناسبة معينة ومنطقة معينة على سبيل عرض الذات الدينية والتصورات التي يمتلكها المستخدم تجاه المناسبة أو على سبيل التثقيف.

وقد كان موقع فيسبوك ومقاطع الفيديو الدينية المنشورة عبره سببا في انتقال جزء من المشهد الديني في الجزائر إلى العالمية، في شكل من أشكال العولمة الدينية من الداخل إلى الخارج (المطلب اللاحق) نذكر منها مقاطع الفيديو الخاصة بصلاة العيد بولاية غرداية الجزائرية وتنقل المصلين في أفواج نحو المساجد وساحات الصلاة التي تجاوزت عدد مشاهداتها مئات الآلاف، وتجاوزت نطاق موقع فيسبوك إلى مواقع أخرى وصفحات عالمية على غرار موقع روسيا اليوم RT، ومقطع فيديو نشره الإمام وليد محساس عبر صفحته على فيسبوك لارتقاء قطة على كتفه أثناء صلاة التراويح، والذي تجاوز حدود المئة مليون مشاهدة عالميا وساهم في نشر صورة عن ممارسة شعيرة الصلاة وتلاوة القرآن، كما ساهم في دخول العديدين إلى دين الإسلام أو على الأقل التفكير في ذلك.

ولا يكفي الموقع أحيانا بتقديم فضاء للاحتفال بل يشارك فيه عن طريق تهنئة المستخدمين بالمناسبات الدينية، عن طريق الصور المرفقة برسائل التهنئة، مثل "عيد مبارك... يهنئ فريق فيسبوك المسلمين في جميع أنحاء العالم بمناسبة عيد الأضحى ويقدر حرصهم على أعمال الخير والتضحية التي تقرب المسافات بين الجميع" (أنظر الملحق رقم: 34). ولا يمكننا أن نتجاوز حقيقة أن هناك نسبا مرتفعة في الاتجاه السلبي، أي في عدم الاهتمام بنشر ومشاركة معلومات حول المناسبات ولا الطقوس الاحتفالية بها، يمكن أن يفسر ذلك من جانبين:

- **الأول:** أن هناك من المبحوثين من يحتفلون ويهتمون بهذه المناسبات لكنهم لا يفضلون مشاركة خصوصياتهم واحتفالاتهم عبر فيسبوك، فلا يميلون إلى الإفصاح عن ذواتهم ولا إلى عرضها، وتؤكد من ذلك بأنه عند ربطنا بين مدى اعتبار فيسبوك امتدادا لهويات المستخدمين وبين اهتمامهم بمشاركتهم لطقوسهم الاحتفالية عبره، وجدنا أن الذين لا يشاركون أبدا طقوسهم (22.08%) مدعومون من طرف فئة المبحوثين الذين لا يعتبرون هويتهم على موقع فيسبوك امتدادا للفعلية بنسبة 30.20%، وهي أعلى نسبة تدعيم من طرف الذي يفصلون بين هويتهم الافتراضية والفعلية.

- **الثاني:** هو أن من المبحوثين من لا يحتفلون أو يهتمون بالمناسبات الدينية فعليا، أو غير ملتزمين بالأساس بالتعاليم الدينية الإسلامية والقيم الأخلاقية، فلا يوجد مضمون لشعيرة أو ممارسة ما يشاركونها عبر صفحاتهم، فلما ربطنا إحصائيا بين تأثير التزام المبحوثين بأداة الفرائض الدينية وبين مشاركتهم للطقوس، وجدنا أن الذين لا يشاركونها أبدا مدعومون بنسبة 60%

من لا يلزمون أبداً بأداء فرائضهم، ويمكن تفسير هذه العلاقة سوسولوجيا يقول دوركايم "إذا كنا نجد اليوم شيئاً من الصعوبة في تخيل ما يمكن أن تتكون منه هذه الاحتفالات وهذه الأعياد في المستقبل، فلأننا نعبّر مرحلة تحوّل وضخالة أخلاقية. فأشياء الماضي الكبيرة، تلك التي كانت تستثير حماسة آبائنا، لم تعد تستثير الحمية عينها لدينا، إما لأنها دخلت في الاستخدام اليومي إلى درجة أننا لم نعد نعيها، أو لأنها لم تعد تستجيب لتطلعاتنا الراهنة"¹، والمعنى من هذا هو وجود علاقة بين التغير الاجتماعي والأخلاقي وتدهوره على الحماسة تجاه الاحتفالات الدينية.

الجزء الثاني من الجدول يتضمن الجدالات الدينية والعقائدية التي لاحظنا أنها تزيد في فترات المناسبات الدينية، ويمكننا أن نستنتج من النسب أنه رغم ارتفاع نسبة المبحوثين الذين أحيانا ما يصححون المعارف الدينية الخاطئة بشأن المناسبات الدينية إلا أنهم لا يدخلون في جدالات حول شرعية الاحتفال بالمناسبة بسبب ذلك، وهذا يعني أن محاولة تصحيح المعارف ليست السبب -الوحيد- في الجدالات القائمة عبر فيسبوك بل أسباب أخرى، يرجح أن تكون الخلفيات الدينية للمستخدمين التي تعتبر تجسيدا للحالة الدينية في الجزائر، والصدامات بين الإسلام الصوفي والإسلام الإصلاحي الذي يشتد في المناسبات الدينية خاصة الموصوفة بالبدعية والشركية وغير المتفق حول جواز الاحتفال بها من عدمه على غرار الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وما يرتبط به من ممارسات.

فلهذه الجدالات خلفيتها التاريخية إذ تعود تحديداً إلى الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تجاه الممارسات الاحتفالية عن المتصوفة والمرابطين، وعلى رأس ما ركزت عليه الجمعية من ممارسات ما يصطلح عليه بالحضرة، التي تم تقديسها ورفع سندها إلى الصحابة رضي الله عنهم، مستشهدين بالعديد من الأحاديث، على غرار ما يزعمونه مرويا عن رسول الله ﷺ: "ليس بكريم من لا يهتز عند ذكر الحبيب...سبق المهتزون بذكر الله...يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفاف"²، والحضرة هي نوع من الحركة والاهتزاز المصاحبة لاجتماع الذاكرين لله تعالى على وجه مخصوص وكيفية معلومة، أذكراها دائرة بين الهيلة (لا إله إلا الله) واسم الجلالة (الله)، واسم الهوية (هو)، حيث التزمها المتصوفون وابتدعون لكل فرقة منهم حركة وأذكارا.

وتصاحب هذه النشاطات الاحتفالية ما يسمى "بالزردة"، وهي من الأمور التي تكون مختصة بالطرق الصوفية، وعادة ما تكون لإحياء ذكرى ميلاد شخص يعتقدون ولايته أو وفاته، أو لأجل غرض من الأغراض المختلفة، ويُطلق عليها أسماء مثل (المجموع)، والتي وصفها الشيخ بشير الإبراهيمي **بأعراس الشيطان** "وحرمت فيها العديد من التصرفات، كآكل الطعام الذي يعد في تلك المناسبات، معتبرة الموالد مواسم شركية لا تختلف عن تلك الاحتفالات التي كان يقيمها العرب في الجاهلية للآلات والعزى وغيرها من الأصنام"³.

¹ إميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية: المنظومة الطوطمية في أستراليا، مرجع سبق ذكره، ص 542.

² مالكي جمال وهزشي بن جلول، "المظهر الإصلاحي للنشاطات الاحتفالية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال جريدة البصائر 1935 - 1956 دراسة تاريخية أنثروبولوجية"، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد 18، العدد 01، جانفي 2022، ص 656 - 657.

³ المرجع نفسه، ص 658.

فلاحظ في المناسبات الدينية عبر فيسبوك تراشقا في المنشورات والتعليقات تتضمن تكفيرا وإخراجا من الملة، وقد تجاوز ذلك إلى إنشاء صفحات ومجموعات يجتمع فيها المتبعون لجانب معين، نذكر مثالين يضمن أعدادا كبيرة من المتابعين والأعضاء، مجموعة: "الرد على الصوفية والأشاعرة والماتريدية"¹ التي تضم 46 ألف عضو، تقابلها مجموعة أخرى: "أدلة الصوفية في الرد على الوهابية والسلفية"² التي تضم 67 ألف عضو، وغيرها من الشبكات عبر فيسبوك التي تساهم في احتدام الجدالات بين مستخدمي فيسبوك الجزائريين.

يعتبر إذا موقع فيسبوك فضاء موازيا للفضاء الفعلي ومسرحا لعرض الهوية الدينية، ليس فقط من جانبها الطقسي والاحتفالي بل حتى الجانب العقدي، كيف ذلك؟ يكون ذلك باعتبار المستخدمين من أحد شكلي التدين لموقع فيسبوك فضاء للجهاد في سبيل نشر الإسلام الصحيح مقابل الإسلام الخاطي، يقول غوفمان في وصف شخصية المؤدي على المسرح الاجتماعي أنه "عندما يكون مقتنعا تماما بعرضه، ويقتنع جمهوره بذلك العرض يمكن أن يقتنع هو بصدق أن العرض الذي يقوم به هو حقيقة -ويبدو أن هذه هي الحالة النموذجية-"³، فحتى وإن كانت أفكاره خاطئة فإن موافقة الآخرين عليها واقتناعهم بها وتجمهرهم حولها، يزيد من تمسكه بموقفه ومنه زيادة حدة الجدل، فيكون دور الموقع في هذه الحالة هو توفير حلبة النزال بين الفريقين، والذي سيؤثر بطبيعة الحال على الوحدة الدينية ويزيد من احتمالية التفكك من الداخل.

المطلب الثاني: العولمة الدينية من الداخل إلى الخارج.

العولمة بتعريفها البسيط تتمثل في الانفتاح على العالم ومنه، فإذا كان انتقال السمات الثقافية من الخارج إلى الداخل قويا بفعل قوة العولمة وأدواتها، فإن رد الفعل تجاه ذلك يكون ممثلا إذا وجد انتماء وطني قوي، وهو ما نفترض صحته، وانطباقه على السمة الدينية، وفيما يلي من ارتباطات إحصائية سنحاول التأكد من المدى الذي يتحكم به الانتماء الديني في الاهتمام بنقل السمة الدينية الجزائرية نحو الخارج.

الجدول رقم (27): علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين باهتمامهم بنشر معلومات تتعلق بالمناسبة الدينية.

المجموع	اهتمام المبحوث بنشر معلومات تتعلق بالمناسبة الدينية				الانتماء الهوياتي الديني للمبحوث	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما		
405	57	69	177	102	التكرار	وجود انتماء هوياتي ديني
%100	%14.07	%17.04	%43.70	%25.19	النسبة المئوية	
125	35	30	39	21	التكرار	عدم وجود انتماء هوياتي ديني
%100	%28	%24	%31.20	%16.80	النسبة المئوية	
530.00	92.00	99.00	216.00	123.00	التكرار	المجموع
%100	%17.36	%18.68	%40.75	%23.21	النسبة المئوية	

¹ رابط المجموعة: <https://www.facebook.com/groups/403447514581635>.

² رابط المجموعة: <https://www.facebook.com/groups/3397722660240013>.

³ Erving Goffman, *The Presentation of Self in Everyday Life*, Opcit, p 13.

يمثل الجدول علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين باهتمامهم بنشر معلومات تتعلق بالمناسبة الدينية، ومن خلاله نلاحظ أن 40.75% من المبحوثين أحيانا ما يهتمون بنشر معلومات تتعلق بالمناسبة الدينية، بدعم نسبته 43.70% من الذين لديهم انتماء هوياتي ديني، بعدها تهيء فئة المبحوثين الذين يهتمون دائما بنشر معلومات تتعلق بالمناسبة الدينية بنسبة 23.21%، بدعم من فئة المبحوثين الذين يعترفون أنفسهم من خلال انتمائهم الديني نسبته 25.19%، بالمقابل فنجد أن 18.68% من المبحوثين أحيانا فقط ما يهتمون بنشر هذه المعلومات، بدعم من فئة المبحوثين الذين ليس لديهم انتماء ديني هوياتي بنسبة 24%، ويتدعيم من نفس الفئة قدره 28% جاءت في الأخير فئة المبحوثين الذين لا يهتمون أبدا بنشرها النوع من المعلومات بنسبة 17.36%.

النتيجة الأساسية لهذا الجدول هي أن الانتماء الديني القوي للمبحوث يدفعه إلى نشر ما هو متعلق بالمناسبة الدينية من معلومات، ويمكن أن نفسر هذا بأن انتماءه يدفعه إلى أخذ محممة نشر هذه المعرفة على عاتقه، أو أن نشرها هو أحد سبل عرض هويته الدينية، فبنفس الطريقة التي يتلقى بها المستخدمون إشعارات تدعو لاعتناق أديان أخرى كما رأينا وسنرى، يساهم المبحوثون عبر موقع فيسبوك في نشر ما هو متعلق بالإسلام ودعوة الآخرين إليه.

ففيما يخص عينة بحثنا؛ فإن ممن يمتلكون أصدقاء من غير الدين الإسلامي وجدنا أن 35% يهتمون بنشر معلومات تتعلق بالمناسبات الدينية، كما أن 40.32% منهم -أي الذين يمتلكون أصدقاء من غير الدين الإسلامي- يهتمون وينشرون ويشاركون أصدقاءهم عبر فيسبوك طقوس احتفالهم بهذه المناسبات، ما يعني أن هذه المعلومات والطقوس الاحتفالية، يمكن أن تصل من الداخل إلى الخارج ليس بالضرورة من أجل الدعوة إلى دين الإسلام، بل من أجل المشاركة في تشكيل الثقافة الكونية بالتأكيد على الهوية الدينية، خاصة أن المنتسبين للدين الإسلامي لطالما تعرضوا للاضطهاد والإهانة بسبب دينهم أو بالأحرى بالصورة المنسوبة إليه.

وهذا ما يجعل من الهوية أو الانتماء الهوياتي الديني ممحما بالنسبة للجزائريين، إذ أن الإسلام تاريخيا كان من أكثر عناصر الهوية الوطنية الجزائرية تأزما سواء من طرف الاستعمار الفرنسي، أو من خلال أحداث العشرية الأخيرة من القرن العشرين، فحتى وإن تعددت انتماءات الجزائري إلا أن الانتماء الديني يبدو أنه الأهم على الأقل ضمن عينة الدراسة، ففي هذا المرحلة كما يرى أمين معلوف كانت قد تحددت تراتبية انتماءاتهم "فحين يكون المرء قد تعرض للاضطهاد بسبب دينه... فهو لا ينسى هذه الإساءات.. وغالبا ما ينزع المرء إلى التماهي مع أكثر انتماءاته تعرضا للتجريح.. وإذ ذاك يسيطر هذا الانتماء المستهدف على الهوية بكاملها ويولد تضامنا لدى الأشخاص الذين يتقاسمون فيجتمعون ويتحركون ويشجع بعضهم بعضا، ويهاجمون "الفريق الآخر" ويصبح تأكيد الهوية بالضرورة فعلا شجاعا..."¹، فمحاولة التعريف بالإسلام وشعائره يمكن اعتبارها اجتماعا وتحركا للتأكيد على هذه الهوية.

¹ أمين معلوف، ترجمة: نهلة بيضون، الهويات القاتلة، الطبعة الرابعة، دار الفارابي، بيروت، 2016، ص ص 38-39.

من جانب آخر، وعند ربطنا لمتغيري مدى اعتبار المبحوثين لهويتهم على فيسبوك امتدادا لهويتهم الحقيقية باهتمامهم بنشر معلومات تتعلق بالمناسبة الدينية، وجدنا بينهما علاقة إحصائية، إذ انه كلما زاد اعتبار المبحوث لهويته الفيسبوكية امتدادا لهويته الواقعية كلما زاد اهتماما بمشاركة معلومات حول المناسبات الدينية، ف 63.96% من المبحوثين يهتمون بنشر هذه المعلومات أحيانا إلى دائما، بدعم نسبته 70.08% من طرف المبحوثين الذين يعتبرون هويتهم على فيسبوك امتدادا للفعلية، بالمقابل فإن 36.04% من المبحوثين يميلون إلى عدم النشر حول المناسبة الدينية بدعم نسبته 51.67% من طرف الذي لا يعتبرون هوياتهم الفيسبوكية امتدادا لهوياتهم الفعلية. فأن يعتبر المبحوث صفحته وحسابه على الموقع جزءاً من ذاته الفعلية يعني أن يشارك عبره جزءاً من خصائص تلك الذات.

فقد اتخذ المبحوثون من موقع فيسبوك فضاء جديداً لإمكانية نشر المحتوى الديني خارج نطاق المؤسسات المنوطة بذلك وأدوارها التقليدية، مكرسا دور وسائل الإعلام في التثقيف، فقد توصلت بعض الدراسات إلى أن المستخدم ومضامينه التي ينشرها، يقدم بوصلة دينية جديدة للمتلقين على نطاق عالمي؛ برز أثرها بقوة في فترة جائحة كورونا، الذي نقل العديد من الممارسات إلى المنصات والعوالم الرقمية بما فيها ممارسة الإسلام الذي تحول إلى ممارسة ضمن الثقافة الرقمية، كل هذا يقع ضمن أطروحة "رقمنة الإسلام" و"أسلمة المنصات الرقمية"، حيث أصبح موقع فيسبوك متجذرا بعمق في نشر المعارف الدينية وحتى الدعوة الإسلامية.

وقد أظهرت بعض الأبحاث أن "هناك فعالية للمستخدمين في إيصال الرسائل الدينية بالصيغ والأساليب الحديثة، إذ أن لديهم القدرة على إحداث تغييرات في المواقف والسلوكيات، الأمر الذي يمكن من إحداث تغيير ليس فقط في فهم الإسلام، بل الأهم من ذلك، في ممارسته"¹. وهذا ما يدفعنا للقول بأن موقع فيسبوك عن طريق مستخدمين من عينة البحث يساهمون في عولمة المعرفة وكذا الممارسات الخاصة بمناسبة معينة نحو الخارج مشاركين بذلك في تشكيل التصور العالمي عن خصوصية البعد الديني للهوية الجزائرية.

الجدول رقم (28): علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين بحظرهم للمواقع أو الصفحات التبشيرية.

المجموع	حظر المبحوث للمواقع أو الصفحات التبشيرية		الانتماء الهوياتي الديني للمبحوث	
	لا يحظرها	يحظرها	التكرار	النسبة المئوية
200	58	142	التكرار	وجود انتماء هوياتي ديني
%100	%29	%71	النسبة المئوية	
58	40	18	التكرار	عدم وجود انتماء هوياتي ديني
%100	%68.97	%31.03	النسبة المئوية	
258	98	160	التكرار	المجموع
%100	%37.98	%62.02	النسبة المئوية	

¹Bouziane Zaid and others, " Digital Islam and Muslim Millennials: How Social Media Influencers Reimagine Religious Authority and Islamic Practices", **Religions**, Vol.13, No.335, April 2022, p 11, DOI: <https://doi.org/10.3390/rel13040335>.

يوضح الجدول علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين بحظرهم للمواقع أو الصفحات التبشيرية، ونلاحظ من خلاله وجود علاقة إحصائية بينها إذا أن 62.02% من المبحوثين يحظرون المواقع والصفحات التبشيرية بالأديان الأخرى التي يرسلها موقع فيسبوك، وذلك بدعم قدره 71% من طرف المبحوثين الذين يعتبرون انتماءهم الهوياتي انتماءً دينياً، بينما 37.98% من المبحوثين لا يحظرون الصفحات والمواقع التبشيرية على فيسبوك بدعم من الذين لا يمتلكون انتماءً هوياتياً دينياً والذي يبلغ قدره 68.97%.

يأتي هذا الجدول كتأكيد للعلاقة في الجدول السابق، حيث يوضح أنه كلما زاد ارتباط المبحوث بدينه وانتمائه إليه وتعريف نفسه من خلاله، كلما زاد ابتعاده عن المضامين التبشيرية بحظرها وحضر مضامينها، أجابنا أحد المستجوبين على السؤال المتعلق بالتبشير: "حسب تجربتي السابقة الذكر ومع انخراطي في صفحات إلحادية، أرى أن الفيسبوك مجرد وعاء، وعاء لا ينضب من المعلومات و التوجهات والآراء، كل ما يمكن تخيله موجود،، حرفياً كل شيء، يمكن أن يكون منصة دعوة للإسلام كما يمكن أن يكون العكس... الأمر متعلق بالمستخدم فحسب، بعد توقفي عن الانخراط في تلك الصفحات الإلحادية لم يحدث أن عرض علي موقع فيسبوك أمراً مشابهاً.. وبالتالي لا أهتم بهذا الوعاء في الدعوة إلى ما يخالف الإسلام لكنه يوفر لك الطريق إلى ذلك إذا أردت أن تسلكه. الأمر متعلق بك وبفضولك وبما تمليه على الخوارزميات"¹، فحتى عن تجربته الإبحار ضمن هذه الصفحات يدرك أن الأمر متعلق به هو وبمدى قدرته على مقاومة الأفكار التبشيرية أو حتى الإلحادية.

والذي يؤكد لنا ذلك هو أن 70.75% من المبحوثين الذين يقومون بحظر الصفحات التبشيرية إذا مررها فيسبوك على حساباتهم تلقائياً، هم ممن أجابوا أن موقع فيسبوك يساهم دائماً في التحرر المطلق من الضوابط الأخلاقية والقيمية، و 68.70% من الذين يحظرون الصفحات هم ممن أجابوا أن موقع فيسبوك دائماً يساهم في غرس أساليب حياة التي لا تتماشى والخصوصية الإسلامية للمجتمع الجزائري. وينتهي هذا المطلب إلى نتيجة أولية مفادها أن التأثير بالمضامين العولمية في بعدها الديني، مرتبط بجاهزية المستخدمين من أفراد العينة إلى تلقيها والتفاعل الإيجابي معها، وهذه الجاهزية مرتبطة بمدى التزامهم بالأوامر والنواهي الأخلاقية والممارساتية للدين الإسلامي، إضافة إلى وعيهم بخصوصيتهم كمجتمع مسلم، وسلبيات فيسبوك على هذه الخصوصية.

المطلب الثالث: العولمة الدينية من الخارج إلى الداخل.

أول ما سننطلق به التحليل في هذا المطلب هو علاقة الصفحات التبشيرية وما تبثه من أفكار بامتلاك المبحوث لأصدقاء من غير الدين الإسلامي، والذي سيعتبر المتغير الوسيط بين زيارة الصفحات التبشيرية وتقييم المبحوثين لمدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية، إذ عن ربطنا لعلاقات بين استهداف فيسبوك للمبحوثين بمدى امتلاكهم لأصدقاء من غير الدين الإسلامي نتج ما يلي:

¹ إجابة المستجوب رقم 5، على السؤال رقم 12 من مقابلة البحث.

الجدول رقم (29): علاقة تلقي إشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى بامتلاك المبحوثين لأصدقاء من غير الدين الإسلامي.

المجموع	امتلاك المبحوث لأصدقاء من غير الدين الإسلامي		تلقي المبحوث لإشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى من طرف فيسبوك	
	لا يمتلك	يمتلك	التكرار	النسبة المئوية
258	127.00	131	التكرار	النسبة المئوية
%100	%49.22	%50.78	التكرار	النسبة المئوية
272	187	85	التكرار	النسبة المئوية
%100	%68.75	%31.25	التكرار	النسبة المئوية
530	314	216	التكرار	النسبة المئوية
%100	%59.25	%40.75	التكرار	النسبة المئوية

يوضح الجدول علاقة تلقي إشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى بامتلاك المبحوثين لأصدقاء من غير الدين الإسلامي، ويظهر الجدول أن 59.25% من المبحوثين لا يمتلكون أصدقاء من غير الدين الإسلامي، بدعم من الذي لا يتلقون إشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى، بالمقابل فإن 40.75% من المبحوثين يمتلكون أصدقاء من غير الدين الإسلامي بدعم من فئة المبحوثين الذين يتلقون إشعارات روابط مواقع تدعو لأديان أخرى قدره 50.78%.

قبل البدء في التحليل، نستدعي مفهوماً مهماً صاغه دارن بارني ليقارب أفكار مانويل كاستلز ويعطي مثالا ملموسا عنها مرتبطا بعصر المعلومات، وهو مفهوم "الجماعة الشبكية" أو شبكة من الأصدقاء، يمثل فيها كل صديق عقدة موصولة بصديق آخر على الأقل، لكنها موصولة عادة بأخرين كثر هم كذلك مترابطون على نحو مستقل أو عبر طرف آخر. والاتصال المنتظم بين هؤلاء الأصدقاء، إما بالكلام وإما عبر نشاط آخر، وسواء كان مباشراً أم بوساطة تقنية ما، هو الرابط الذي يصل بينهم، وما يمر بينهم من ثروة وصداقة حميمة وتأييد وحب وعون هو الدفع¹، فامتلاك أصدقاء على موقع فيسبوك لا يحصر الشبكة ضمن حساب شخصي واحد بل ترتبط الشبكات فيما بينها لتشكّل شبكة أكبر، خاصة أن الموقع يحرص دائماً على ربط المستخدم بأصدقاء أصدقائه Friend of friends سواء في طلبات الصداقة أو إتاحة الولوج إلى مضامين الصفحة الشخصية. لذا فإن امتلاك صديق واحد من غير الدين الإسلامي، أو من ثقافة مغايرة عموماً يعتبر اختراقاً ثقافياً لشبكة الأصدقاء، وخلقاً لإمكانية انتقال أفكاره إلى شبكات أكثر وخلق دفع ثقافي أكبر.

يعني هذا أن تلقي أفراد العينة لإشعارات تدعوهم لاعتناق أديان أخرى يزيد من نسبة إمكانية امتلاكهم لأصدقاء من غير الدين الإسلامي، فسواء كان وجود هؤلاء الأصدقاء نتيجة لهذه الصفحات أي تم التعرف عليهم من خلالها، أو أنها السبب في أن فكرة وجود أصدقاء غير مسلمين والانفتاح عليهم أصبحت فكرة مطروحة ومقبولة، فهذه الصفحات تساهم في انفتاح المستخدم من أفراد العينة على أصدقاء غير مسلمين، ذلك أن امتلاكهم والاحتكاك المباشر بهم، خاصة في فضاء يعتبر فضاءً ثالثاً بالنسبة للمستخدمين يعرضون من خلاله ذواتهم، ويشكّل امتداداً لهوية الأفراد الفعلية (كما رأينا في الفصل الرابع) ومصدراً

¹ دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 39.

لها، يجعلهم يتأثرون بخصوصياتهم الثقافية والهوياتية، خاصة أن 55.28% من هؤلاء يرون أن من أهم إيجابيات موقع فيسبوك هو جمعهم بأشخاص وأصدقاء يشاركونهم ذات الاهتمامات والميولات، وتؤكد هذه النتيجة عند ربط المتغير التابع في الجدول أعلاه بمتغيرات أخرى أظهرت وجود دلالات إحصائية أهمها:

- الزيارة الفعلية للمبحوثين للمواقع والصفحات التبشيرية، إذ أن هناك بالفعل علاقة بين زيارة المبحوث للمواقع التبشيرية وامتلاكه لأصدقاء غير مسلمين، إذ وجدنا أن 58.44% ممن يزورون المواقع التبشيرية لديهم هذه الفئة من الأصدقاء ويحتكون بها و52.49% من المبحوثين الذين لا يزورون هذه المواقع لا يمتلكون أصدقاء من هذه الفئة.
- وفي علاقة أخرى ربطناها، وجدنا أنه كلما زادت عدد حسابات المبحوث، زادت نسبة امتلاكه لأصدقاء غير مسلمين، فإذا كان تعدد الحسابات عند 31.18% من المبحوثين غرضه التحرر من هوياتهم الفعلية، وامتلاك هويات افتراضية تخفي حقيقتهم فإن 50% من هؤلاء يمتلكون أصدقاء غير مسلمين.
- ذلك وعند ربطنا لعلاقة امتلاك المبحوثين لأصدقاء من غير الدين الإسلامي بتقييمهم لمدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية، لاحظنا أن 86.60% من المبحوثين يلتزمون بأداء الفرائض الدينية بدعم قدره 92.04% من فئة المبحوثين الذين لا يمتلكون أصدقاء من خير الدين الإسلامي، وبينما تنخفض نسبة الذين لا يؤدون فرائضهم الدينية يتجه التدعيم إلى فئة الذين يمتلكون أصدقاء من غير الدين الإسلامي، فنجد أن الذين يلتزمون بها أحيانا وهم 10.75%، مدعومون من فئة المبحوثين الذين يمتلكون هؤلاء الأصدقاء بنسبة 14.81%، كما أن الذين هم نادرا وأبدا ما يلتزمون بفرائضهم الدينية مدعومون كذلك من نفس الفئة بنسبتي 04.17% و02.31% على التوالي بالمقابل ينعدم الدعم تماما من طرف فئة الذين لا يمتلكون أصدقاء من غير الدين الإسلامي (أنظر الملحق رقم: 32).

يعني هذا أن مدى الالتزام بأداء الفرائض الدينية مرتبط بمدى امتلاكهم لأصدقاء من غير الدين الإسلامي، لا يعني هذا أن الذين يمتلكون هذه الفئة من الأصدقاء هم غير ملتزمين بأداء الفرائض، ولكن الجدول يظهر علاقة إحصائية ذات دلالة بين المتغيرين، فامتلاك أصدقاء من غير الدين الإسلامي يؤثر بطريقة أو بأخرى على هذا الالتزام.

وليس قولنا "من غير الدين الإسلامي" أننا نعني بها بالضرورة غير المدينين بالإسلام من الأجانب، ولا من المسيحيين فقط، إذ انتشرت مؤخرا فكرة الإلحاد عند المستخدمين الناطقين باللسان العربي، حتى أن منهم من يجتمعون في جماعات شبكية تهدف إلى نشر رسائل أديان أخرى أو رسائل لادينية، "فخطر الفكر الإلحادي عبر هذه الوسائط الاتصالية الجديدة لا يكمن فقط في الدعوة إلى فكرة الإنكار الوجودي عن طريق التشكيك في العقيدة، وإنما تجاوزه إلى تبين مختلف النظريات العلمية الزائفة للتدليل على ما يعتقد أنه الصواب للدعاية للإلحاد، بل وإلى محاربة الأديان ومنها الدين الإسلامي على وجه الخصوص عن طريق ربطه العنف والإرهاب"¹، على غرار صفحة "شبكة الملحنين العرب" عبر موقع فيسبوك التي تعمل على نشر الإلحاد بين العرب مستغلة انخراط الشباب الواسع عبره على نشر أفكارهم على أوسع نطاق، حيث تظهر إحدى الدراسات

¹ زكية منزل غرابية وآسيا شكريب، "الإلحاد الجديد عرب شبكات التواصل الاجتماعي صفحة "شبكة الملحنين العرب" على الفيسبوك أمودجا - دراسة تحليلية"، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية - جامعة زيان عاشور الجلفة، المجلد 8، العدد 1، مارس 2023، ص 409.

التحليلية لهذه الصفحة أن أهدافها الظاهرة والضمنية تتمثل في تشويه صورة الإسلام والمسلمين؛ الدعوة إلى التحرر من الالتزام به؛ الطعن في صحة القرآن والشريعة الإسلامية بمختلف مصادرها مع وجود نسبة لمشاركة المضامين والمنشورات في الحسابات الشخصية ليطلع عليها الأصدقاء¹، فهي ليست صفحة إحادية بالمعنى الصريح بل صفحة معادية للإسلام وتعاليمه وتسعى إلى الانتشار ضمن شبكات موقع فيسبوك وكذا ضمن شبكاته الشخصية.

وقد جذب انتباهنا إجابة إحدى المستجوبات اللائي قابلناهن، والتي كانت لها تجربة مضادة لصفحات الإلحاد عبر موقع فيسبوك، إذ أجابت: "بدايتي مع موقع فيسبوك كانت اندفاعية جدا، انخرطت في عشرات المجموعات التي تدعو للإلحاد وعملت بجهد لنقاش الملاحدة ودعوتهم إلى الاسلام، كنت مراةة وكان بالنسبة لي موقعا للتواصل مع الآخر الأجنبي وتحقيق غاية سامية، وقد تواصلت مع أشخاص من مختلف الأعراق و الجنسيات و التوجهات والايديولوجيات والميول الجنسية أشخاص ينذر تواجدهم في محيطي، كان الأمر أشبه بالسحر، كان الموقع نافذة منفصلة تماما عن محيطي لدرجة أنني لسنوات لم أملك أصدقاء من الجزائر ولم أرى غاية لذلك .. لكن في المقابل بدا لي أنني استنفذ طاقتي مع توافد أعداد كبيرة من المخالفين لي أدركت حجم مضیعة الوقت والوهم، وهم الاصلاح في وقت أنا فيه مجرد غرة..²، فالانخراط وزيارة المواقع التبشيرية واللاينية، والانضمام إلى شبكات منفصلة عن الخصوصية الإسلامية للمجتمع الجزائري، حتى وإن كانت ذات أغراض تخدم هذا العنصر الهوياتي، إلا أن المستخدمين سيتأثرون بطريقة غير مباشرة بهذه الأفكار، حتى إن رأت المستجوبة هنا أنها "أشبه بالسحر".

نتيجة كل ما سبق هي أن التعرض للمضامين التي يحتويها ويعمل على نشرها موقع فيسبوك، يساهم في نشر أحد أهم الأفكار العولمية، والمتجسدة في مصطلح الثقافة المغيرة Alien Culture الذي "يستخدم كمضاد للثقافة الأصلية ليشير إلى الممارسات أو الأشياء التي يتم تقديمها أو إقامتها بثقافة أخرى. ويقدم هذا المصطلح الممارسات الجديدة التي يتم فرضها على الثقافة الأخرى"³، فموقع فيسبوك إذا يساهم في نشر ثقافة دينية مغيرة للثقافة الدينية الجزائرية، ويزيد هذا التأثير كلما زاد انخراط المستخدم في الشبكات المروجة لهذه الثقافة وتقبله لمضامينها.

الجدول رقم (30): علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الفرنسية عبر موقع فيسبوك بامتلاكهم لأصدقاء من غير الدين الإسلامي.

المجموع	امتلاك المبحوث لأصدقاء من غير الدين الإسلامي		متابعة المبحوث للصفحات الفرنسية عبر موقع فيسبوك	
	لا يمتلك	يمتلك	فيسبوك	
183	97	86	التكرار	يتابعها
%100	%53.01	%46.99	النسبة المتوية	
347	217	130	التكرار	لا يتابعها
%100	%62.54	%37.46	النسبة المتوية	
530	314	216	التكرار	المجموع
%100	%59.25	%40.75	النسبة المتوية	

¹ زكية منزل غرابة وآسيا شكريب، مرجع سبق ذكره، ص 421.

² إجابة المستجوب رقم 6، على السؤال رقم 11 من مقابلة البحث.

³ أنابيل موني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص 115.

يمثل الجدول علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الفرنسية عبر موقع فيسبوك بامتلاكهم لأصدقاء من غير الدين الإسلامي، ونلاحظ من خلاله أن 59.25% لا يمتلكون أصدقاء من غير الدين الإسلامي، بدعم قدره 62.54% من طرف المبحوثين الذين لا يتابعون الصفحات الفرنسية، بالمقابل فإن 40.75% يمتلكون أصدقاء غير مسلمين بدعم من فئة المبحوثين الذين يتابعون الصفحات الفرنسية عبر فيسبوك وذلك بنسبة 46.99%.

كنا قد لاحظنا عن ربط المتغيرات المتعلقة بالانفتاح على الآخر من جانب الدين، مع المتغيرات المتعلقة بالجانب اللغوي، الممارسات اللغوية للمبحوثين والصفحات الناطقة باللغات الأجنبية على فيسبوك وجود دلالات إحصائية مختلفة، فافترضنا أنه من خلال معرفة اللغات التي يستخدمونها أو الصفحات والشبكات التي يتابعونها يمكن قياس ما أسمينا العولمة من الخارج إلى الداخل.

النتيجة الأساسية لأول جدول نحاول من خلاله عرض ومناقشة تلك العلاقات؛ هي أن هناك علاقة طردية بين متابعة المبحوث لصفحات فرنسية عبر موقع فيسبوك وبين امتلاكه لأصدقاء غير مسلمين، ويمكن تفسير ذلك بأن متابعة المبحوث لصفحات فرنسية (والأمر منطبق على الإنجليزية أيضا) تزيد من فرصة تعرّف المبحوثين على أصدقاء أجانب أكثر من جهة، والذين هم في الغالبية أفراد يدينون بغير دين الإسلام، وكذا تزيد من نسبة اقتراح موقع فيسبوك لأصدقاء مرتبطين بهذه الصفحات من جهة أخرى، فموقع فيسبوك عادة ما يقترح على المستخدم أصدقاء تحت عنوان: "أشخاص قد تعرفهم"، أين يتم اقتراح أصدقاء بناءً على:

- **الأصدقاء المشتركين** إذ يكفي أن يمتلك مستخدم واحد صديقا حتى اقتراحه على باقي شبكة الأصدقاء؛
- **معلومات الملف الشخصي** كمكان العمل أو الميلاد أو الدراسة؛
- **نشاط المستخدم على فيسبوك** على غرار متابعة الصفحات، الانضمام إلى المجموعات الإعجاب بصورة أو منشور...¹، وغيرها من النشاطات التي تساعد خوارزميات فيسبوك في حصر دائرة الأصدقاء المقترحة، فهذه التقنية تبرر كذلك ارتفاع عدد غير المسلمين لدى مبحوثينا اللذين يهتمون ويتابعون الصفحات الفرنسية.

الجدير بالذكر أننا وجدنا أن متابعة المبحوثين للصفحات الأجنبية يؤثر على امتلاك أصدقاء من غير الدين الإسلامي بنفس الطريقة التي يؤثر بها بلد إقامتهم، فقد وجدنا أن 83.33% من المقيمين خارج الجزائر (83.33% من هؤلاء مقيمون في دول أجنبية غير عربية) يمتلكون أصدقاء عبر فيسبوك من غير الدين الإسلامي (أنظر الملحق رقم 35)، يعني هذا أنه كلما يزيد التواجد الفيزيقي ضمن سياقات أجنبية من الاحتكاك مع الآخر غير المسلم، يزيد التواجد الافتراضي ضمن هذه السياقات منه كذلك، وهو ما يعني أن التشاؤم عبر فيسبوك هو أمر واقع وملحوس.

¹ Meta, "How does Facebook use my information to show suggestions in People You May Know?", **help center**, accessed: 25-12-2023, at: 01:46, URL: <https://www.facebook.com/help/1059270337766380>.

الجدول رقم (31): علاقة استخدام المبحوثين للغة الإنجليزية في الحياة اليومية على موقع فيسبوك بتلقيهم لإشعارات تدعو لأديان أخرى من طرفه.

المجموع	تلقي المبحوث لإشعارات مواقع تدعو لأديان أخرى من طرف فيسبوك		استخدام المبحوث للغة الإنجليزية في الحياة اليومية على الفيسبوك	
	لم يتلق إشعارات	يتلقى إشعارات	التكرار	يستخدمها
124	51	73	النسبة المئوية	لا يستخدمها
%100	%41.13	%58.87	التكرار	
406	221	185	النسبة المئوية	المجموع
%100	%54.43	%45.57	التكرار	
530	272	258	النسبة المئوية	
%100	%51.32	%48.68		

يوضح الجدول أعلاه علاقة استخدام المبحوثين للغة الإنجليزية في الحياة اليومية عبر موقع فيسبوك بتلقيهم لإشعارات مواقع تدعو لأديان أخرى عبره، ويتضح لنا من خلاله أن 51.32% من المبحوثين لم يتلقوا إشعارات من هذا النوع، بدعم نسبته 54.43% من فئة المبحوثين الذين لا يستخدمون اللغة الإنجليزية في حياتهم اليومية عبر موقع فيسبوك، بالمقابل فإن 48.68% من المبحوثين سبق وأن تلقوا إشعارات من طرف فيسبوك للدعوة لأديان أخرى، بدعم من فئة الذين يستخدمون اللغة الإنجليزية للتعامل اليومي عبره بنسبة 58.87%.

النتيجة الرئيسية لهذا الجدول هي أنه كلما زاد تعامل المبحوثين باللغة الإنجليزية عبر موقع فيسبوك يوميا، سواء في رسائلهم، تعليقاتهم أو منشوراتهم، كلما زاد تلقيهم لإشعارات تدعوهم لأديان أخرى وبالأساس المسيحية، ويمكن تفسير ذلك بأن استخدام لغات معينة يجعل من خوارزميات موقع فيسبوك تزيد من استهدافها لهؤلاء المستخدمين، ذلك أن استخدامها يزيد من إمكانية تلقي الأفكار والممارسات الدعوية للأديان الأخرى، فهمها وربما التأثير بها، خاصة أن الأمر منطبق كذلك على اللغة الفرنسية بنسبة كبيرة إذ أن نسبة الذين يتلقون هذه الإشعارات من المستخدمين للغة الفرنسية عبر فيسبوك هو 47%.

فإذا بحثنا في الطريقة التي يوزع بها موقع فيسبوك المحتويات المقترحة، سواء الممولة أو غير الممولة، نجد أنها خاضعة لما يعرف بالتميط الخوارزمي Algorithmic Profiling الذي يعني "التسجيل والتصنيف المنهجي والهادف للبيانات المتعلقة بالأفراد.. إذ تساعد تقنيات مراقبة البيانات المتطورة (المراقبة القائمة على الآثار الرقمية) في تعزيز أنشطة التمييط هذه"¹، ومن بين أهم هذه البيانات هي اللغة المستخدمة حيث تأخذ خوارزمية فيسبوك بعين الاعتبار لغة النشر للمستخدمين وتستهدف من خلالها حساباتهم، وفيما يلي العناصر الرئيسية التي تلعب دورا عندما يتعلق الأمر باستهداف اللغة عبر فيسبوك:

¹ Moritz Büchi and others, "Making sense of algorithmic profiling: user perceptions on Facebook", **Information, Communication & Society** Vol.26, No.4, 2023, pp 1-2, DOI: <https://doi.org/10.1080/1369118X.2021.1989011>.

• **واجهات التصفح Navigation Interfaces:** أي الواجهتان الرئيسيتان لمتصفح الويب الخاص بالمستخدم وواجهة فيسبوك نفسها، فإذا كان فيسبوك بلغة معينة ومتصفح الويب كذلك، فمن المرجح أن يتم تعرضه لمحتوى بتلك اللغة، كما أنه في حال كان المستخدم يتعامل بلغتين لغته الأصلية (لنفترض أنها العربية) واللغة الإنجليزية فإن احتمال وجود محتوى باللغة الإنجليزية سوف يميل إلى الزيادة.

• **اللغات المدرجة في الملف الشخصي The Languages Listed In The Profile:** من العناصر المهمة جدًا التي يتم أخذها بعين الاعتبار هي اللغات التي يدخلها المستخدم في ملفه الشخصي، فإذا حدد المستخدم أنه يتحدث لغة ما فإن الخوارزمية تأخذ في الاعتبار أنه من المحتمل أن يفهم المحتوى الذي يتم بثه باللغتين لغة واجهة فيسبوك التي افترضنا أنها اللغة العربية واللغة الثانوية المدرجة في الملف.

• **المحتويات المتابعة Commitment To Content:** يعد التفاعل الذي ينشئه المستخدم عبر فيسبوك عنصرًا مهمًا في التحكم في المحتويات المقترحة والممولة، فإذا ضغط المستخدم زر الإعجاب على فيديو اقترحه فيسبوك، أو شاركه صديق من صفحة ناطقة باللغة الإنجليزية، فإن ذلك يؤثر على الخوارزمية¹.

فالعلاقة التي تربط بين الاستخدام والتأثر وبين الصفحات التبشيرية في هذه الحالة هي اللغة المستخدمة ذلك أن القدرة على استخدام لغة ما تحيل إلى الانفتاح على ناطقيها، بما أن اللغة حاملة لثقافة ووعي وقيم، ف"مهما تطورت وسائل الاتصال والتخاطب والتبليغ فإن اللغة - أية لغة - ستبقى العلامة الأكثر ظهورًا وتمييزًا للكيانات الثقافية.. إذا كانت اللغة ليست العلامة الوحيدة على الهوية والانتماء، فإنها تستعمل إلى اليوم كأداة لرسم حدود الانتشار الثقافي للأمة، ويمكن بواسطتها تعيين مناطق الاحتكاك والتماس بين الثقافات وإرادة توسيعها بالوسائل القديمة (الاحتلال والهيمنة المباشرة)، أو غير المباشر الاحتواء الاقتصادي والتكوين والوسائل الإعلامية"²، فاستخدام لغة معينة يعني أن سمة ثقافية من السمات المميزة لأمة "أخرى" قد انتقلت إلى الفرد، وعن طريقها يتم انتقال سمات أخرى والانفتاح عليها بما فيها السمة الدينية، وهو ما يمكن أن يفسر به استهداف خوارزميات موقع فيسبوك للمتحدثين والمستخدمين باللغة الإنجليزية يوميًا عبره.

هناك نتيجة أخرى ملاحظة متعلقة بلغة تمزيغت، فعند ربطنا للغة المستخدمة من طرف المبحوث وتلقيه للإشعارات التبشيرية، وجدنا علاقة إحصائية بين الذين يستخدمون البربرية (برموزها، بالحروف العربية أو اللاتينية) وجدنا أن 54.55% من الذين يتلقون الإشعارات هم ممن يعتمدون تمزيغت في استخدامهم اليومي لموقع فيسبوك، وربما يمكن تفسير هذه النتيجة بأن فيسبوك كأداة عولمية يعيد إنتاج أفكار التفرقة الاستعمارية المتعلقة بإحياء العرف القبلي الرامي لتفكيك الوحدة الدينية للمجتمع الجزائري. خاصة أنها استخدمت التبشير كمرادف للفرنسة وكأداة للهيمنة الفرنسية، عندما "قَدَّر بعض علماء الأجناس والعساكر أنه من الممكن اعتماد البرابر لتدعيم الفرنسية وحتى القيام بالتمسيح.. فاستعمل الوسائل التالية: تحريك عقلية الصف، وإصلاح

¹ Francis Devoy, "The mystery of Facebook language targeting", **Adviso**, accessed: 24-12-2023, at: 18:02, URL: <https://www.adviso.ca/en/blog/tech-en/mystery-facebook-language-targeting/>.

² محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، مرجع سبق ذكره، ص ص 9-10.

بعض القوانين وبرنامج العلمنة وتشجيع البربرية على حساب العربية وإعادة تسمية القرى في بلاد القبائل (مشلي عوض عين حمام وميرابو عوض ذراع بن خدة...) ¹؛ ويُقصد بعلماء الأجناس والعساكر في قول محفوظ قداش الأنثروبولوجيين والإثنولوجيين الفرنسيين الذين زودوا أهل القانون والسياسية والعسكر بالحجج العنصرية لتأكيد الفوارق وتأسيس الانفصالات وخلق وتوسيع الهوة بين العرب والبربر.

هذه الهوة التي صوّرها المؤرخ شارل روبر أجرون Charles-Robert Ageron، والتي تجعل من القبائلي مطابقا للمثل الإمبريالي: تم العثور على "متوحش طيب" يتأشى والخطط الإدماجية عن طريق الغرس، الإقناع والترويج "الأسطورة القبائلية". فالقبائلي الموصوف هنا "يبدو كحليف مقدر في الكفاح الاستعماري الذي أمسى ضد العرب، فلقد وجد الفرنسيون في بنية الجبلي القبائلي القاطن في الشمال الشرقي الصفات التي تحته إلى دفع التشابه بعيدا عن التفاصيل، فهناك من رأى فيه مسيحيا قد أسلم بالقوة، وهناك من قضى بانحداره من السلتيين Celtes ². فيتم على هذا الأساس استهداف الناطقين بالبربرية تحت شعار حقوق الأقليات التي يكفلها موقع فيسبوك وتشجيع هوية مقاومة ومشروع تقاوم الهويات المشرعة بتعبير كاستز.

من جانب مقابل وعند حديثنا عن الانفتاح على الأديان الأخرى والأشخاص المدينين بها، فإن العولمة الدينية من الخارج إلى الداخل يمكن أن تكون على عكس المتوقع ناجعة في تقوية العنصر الديني للمستخدمين، فعند تناوله لفصل ما أسماه بالـ "الإسلام الحي"، وانحسار الإسلام مقابل نهضته، رأى روجيه غارودي أن الانفتاح على الأديان أو ما سماها هو الروحانيات الكبيرة ليست مسألة انتقائية يختار الفرد الخضوع إليها أو بمقابل ذلك الانطواء "بل العكس؛ إننا إذ نعرف إيمان الآخرين معرفة أعمق، نكون قادرين على نعي وعمق نوعية إيماننا الخاص. إن مسلما يعرف النصوص المقدسة في الهند والصين، نصوص زرادشت والتوراة، والتقاليد الروحية الكبيرة في إفريقيا وأمريكا الهنود الحمر في الشمال، يمكن ألا يفهم على نحو أفضل ماهية كلية التنزيل القرآني فحسب.. بل يمكنه أن يباشر مع الناس القادمين من إيمان آخر حوارا سمحا وجريئا، حوارا أسرا" ³. فيرى غارودي أن الانفتاح على دين الآخر يعطي المسلم القدرة على الاقتراب من الآخر، مضيفا أن "الانطواء على الذات الخائف علامة من علامات الضعف فهذا الانطواء لم يكن سمة من سمات الإسلام في بداياته إذ أن افتتاحه على العالم هو الذي ساهم في نشره دون أن يفقد هويته" ⁴، رغم أن احتكاكه بثقافات وحضارات كانت آنذاك وإلى اليوم قوية ونافذة كالبيزنطية والفارسية وأديان واسعة الانتشار كالمسيحية والهندوسية.

أحد أهم سبل هذا الانفتاح على الآخر هو موقع فيسبوك، الذي كان موضوعا لدراسات وكتابات* عديدة تدرس تحوُّله إلى "كنيسة افتراضية" فهناك نماذج عديدة من الصفحات العامة المرتبطة بالطائفة الكاثوليكية على سبيل المثال، والمعروفة بأنها

¹ محفوظ قداش، مرجع سبق ذكره، ص ص 234-235.

² فيليب لوكا وجون كلود فاتان، مرجع سبق ذكره، ص 42.

³ روجيه غارودي، ترجمة: وجيه أسعد، الإسلام، الطبعة 2، منشورات ANEP، الجزائر، 2001، ص 98.

⁴ المرجع نفسه، ص 98.

* على سبيل المثال كتاب "كنيسة فيسبوك: كيف يعيد الأشخاص المتصلون تعريف المجتمع" لكاتبه جاس رايس، أنظر: Jesse Rice, **The Church of Facebook: How the Hyperconnected Are Redefining Community**, David C Cook, the United States of America, 2009.

أكثر الطوائف تزامنا في المسيحية، ومع ذلك انتقل نشاطها إلى العالم الافتراضي، وقد لاحظت إحدى الدراسات العلمية التي تناولت موقع فيسبوك كفضاء ديني ثالث، أن مرتادي هذه الصفحات لا يكتفون بالنشر والتحدث حول دينهم بل يمارسون معتقداتهم عبر الموقع وبالتالي، فإن الإمكانيات التي أتاحتها وسائل الإعلام الرقمية تمنح هؤلاء الأفراد والجماعات وسائل ذات تمكنهم من ممارسة شعائر دينهم¹. هكذا يبرز موقع فيسبوك كفضاء بديل لفضاءات سابقة أساسية في البناء الاجتماعي للمعاني والممارسات الدينية، ويساهم في التعريف والوعي بدين الآخر الذي يساهم بدوره في معرفة الدين الإسلامي معرفة أعمق أو فتح حوار مع ذلك الآخر.

¹ Moisés Sbardelotto, "Facebook as a Third Space of Digital Catholicism: The "Catholic" in Circulation and Reconstruction", In: **The Third Spaces of Digital Religion**, edited by: Nabil Echchaibi and Stewart M. Hoover, Routledge, New York, 2023, p 95.

خلاصة:

من أجل التحقق من صحة الفرضية الأولى القائلة بارتباط تأثير موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك كأداة للعملة على البعد الديني للمستخدمين الجزائريين عكسيا بمدى التزامهم ووعيهم باتّباعهم الديني، والإحاطة بمؤشرات التي تضمنها المحور الثالث من تقنيات البحث؛ جاء هذا الفصل.

انطلقنا في عرض ومناقشة البيانات في المبحث الأول بمؤشر القيم الدينية، في سبيل الكشف عن منظومة القيم الدينية للمبحوثين أولا، وتكوين صورة عن مدى ارتباطهم بالبعد الديني للهوية الوطنية الجزائرية وتعريف ذاتهم من خلاله خارج إطار فيسبوك ثم عبره مفترضين إياه نسقا عولميا، فكان لزاما علينا في البدء تحديد موقع الانتماء الديني للمبحوثين مقارنة بباقي الانتماءات الهوية الثانية الأخرى، وكذا مدى التزامهم بهذا الانتماء عن طريق الالتزام بأوامر الدين من فرائض ونواهي مما يجب اجتناب التعرض له (المضامين اللااخلاقية)، لنعرج بعد ذلك على محاولة الكشف عن تفاعل هذا الانتماء مع متغيرات أخرى على غرار الهوية الذاتية لمفردات العينة (البيانات الشخصية)، وقد تضمن المبحث كذلك عرض منظورهم إلى الدور الذي يلعبه موقع فيسبوك تجاه الهوية الدينية من أجل الكشف عن مدى وعيهم بآثاره السلبية والإيجابية ومنه مقاومتهم للأولى واستغلالهم للثانية، وهما موضوعا المطالبين الأخيرين من المبحث واللذان يعبران بشكل مباشر عن مضمون الفرضية المصاغة.

المبحث الثاني جاء لعرض ومناقشة بيانات مؤشرا لتدفق الكوني للأديان وطقوسها الاحتفالية، أي عرض الهوية الدينية للمبحوثين عبر موقع فيسبوك -على اعتبارنا إياه مسرحا- في ظل التدفق الثقافي الكوني. فتناول المبحث الثاني ثلاثة مطالب موضوع أولها المدى الذي يعتبر به المبحوثون موقع فيسبوك فضاء لعرض هويتهم الدينية سواء ما تعلق بمعارفها أو طقوسها الاحتفالية وهذا تمهيدا للمطلب الذي يليه والذي يتناول استخدام موقع فيسبوك كأداة عولمية من أجل الهوية الدينية، ومساهمة المبحوثين من خلاله في التعريف بهذه الهوية، أما المطلب الثالث فقد جاء لعرض وجهة النظر النقيضة، أي اعتبار فيسبوك كأداة عولمية ضد الهوية الدينية وإدخالها لسمات ثقافية مناقضة للخصوصية الإسلامية للمجتمع الجزائري.

كما لم يقتصر عرض وتحليل البيانات على المحور الثاني من التقنيات، بل تجاوزه إلى مؤشرات عديدة من باقي المحاور، والتي أمدتنا بارتباطات ذات دلالات إحصائية وسوسيولوجية، سواء ببياناتهم الشخصية أو ببيانات الهوية الافتراضية، إضافة إلى مؤشرات لغوية وثقافية، وهو دليل على مدى ارتباط مؤشرات البعد الديني للهوية الوطنية الجزائرية بالأبعاد اللغوية والوطنية، واعتبار الهوية الوطنية الجزائرية كلاً مركباً من هذه المرجعيات.

الفصل السادس

مرجعية اللغة عبر موقع فيس بوك

تحليل ومناقشة بيانات الفرضية الثانية

مضمون الفصل:

تمهيد.

المبحث الأول: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: الواقع اللغوي في الجزائر عبر فيسبوك.

المطلب الأول: الوضعية اللغوية للمبحوثين بين اللغات الوطنية واللغات العالمية من خلال فيسبوك.

المطلب الثاني: موقع فيسبوك كفضاء لتمظهر الواقع اللغوي الوطني للمبحوثين.

المبحث الثاني: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: العولمة اللغوية واختراع اللغات الجديدة عبر فيسبوك.

المطلب الأول: تبديل الرموز كممارسة لغوية اتصالية لدى المبحوثين: التبديل بين اللغات.

المطلب الثاني: استخدام الرموز، الملصقات والميمات كممارسة لغوية اتصالية لدى المبحوثين.

المطلب الثالث: اختراع المبحوثين للغة جزائرية فيسبوكية قائمة على التشفير وفك التشفير.

خلاصة.

تمهيد:

"إن طريقة تشكيلنا الدقيق لهويات شعب آخر هو مهم في حد ذاته، إننا
نقوم بعملية رأب الصدع بين الشاهد اللغوي الضئيل وشواهد أخرى
متاحة لنا"

جون جوزيف، اللغة والهوية، ص 7.

تعد اللغة وعاءاً فكرياً للأُم وثقافتها، ففيها تعبير عن تقدم أمة ورقياً مقابل تأخرها وانحطاطها، وهي كما يعتبرها بعض الدارسين لها سلوك اجتماعي؛ يواكب تطوّر المجتمعات ويختص بالتعبير عنها، فنجد لكل عصر لغة تمثّله، ونجد القواميس والمعاجم تنقح وتحدّث مضامينها حسب متطلبات العصر، وقد برزت في عصرنا هذا إضافة إلى تطوّر اللغات وانتقالها من منطقة أخرى بسبب العولمة- لغة أخرى تتماشى وخصوصيته التقنية، وهي اللغة والممارسات اللغوية الاتصالية اللغوية كتبديل الرموز وتبديل اللغات ومزجها. وكما انتقلت العديد من الممارسات الهوياتية الاجتماعية والدينية كما رأينا سابقاً إلى عالم فيسبوك، فإن ممارسات لغوية تميّز الواقع الجزائري انتقلت إلى هذا العالم بدورها، على غرار الشيفرات اللغوية المميزة للجزائريين (codes) والصدام بين اللسانين العربي والبربري الذي يتجاوز اللسان أحياناً إلى المشاريع الثقافية والأفضلية العرقية، من أجل ذلك فقد جاء هذا الفصل لتناول وعرض ومحاولة تحليل وتفسير كيفية تظهر هذه الممارسات والظواهر على عينة الدراسة.

وكنا قد تناولنا في الفصل الخامس البعد الأول من أبعاد الهوية الجزائرية كما حددناها، ومواصلة لعرض البيانات وتحليلها، سيتم في الفصل الحالي عرض ومناقشة بيانات الفرضية الثانية المتعلقة بالبعد اللغوي للهوية الوطنية الجزائرية، وذلك من خلال المؤشرات التي تم تحديدها على اعتبارها نتيجة مباشرة للعولمة، أدواتها ونتائجها وهي: مؤشر: الواقع اللغوي الجزائري الجديد عبر فيسبوك وما ارتبط بهذا المؤشر من وضعية لغوية للمبحوثين بين لغاتهم الفعلية ولغاتهم الافتراضية، لغاتهم الوطنية واللغات العالمية عبر فيسبوك، ومؤشر الصدام اللغوي بين اللسانين العربي والبربري في الجزائر، وهذا تمهيداً لمؤشر: لغة الرموز الافتراضية الجديدة كمزج الحروف بالأرقام، العربية بحروف أجنبية، الأجنبية بحروف عربية، الرموز التعبيرية والملصقات، وما ارتبط بهذا المؤشر من أنماط الاستخدام وأغراضه، كل ذلك من أجل اختبار الفرضية الثانية من الدراسة القائلة بـ:

يساهم موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك باعتباره أداة عولمية في تكريس آثارها على المستخدمين المبحوثين بتجسيد
الصدام اللغوي الوطني وخلق أساليب لغوية جديدة.

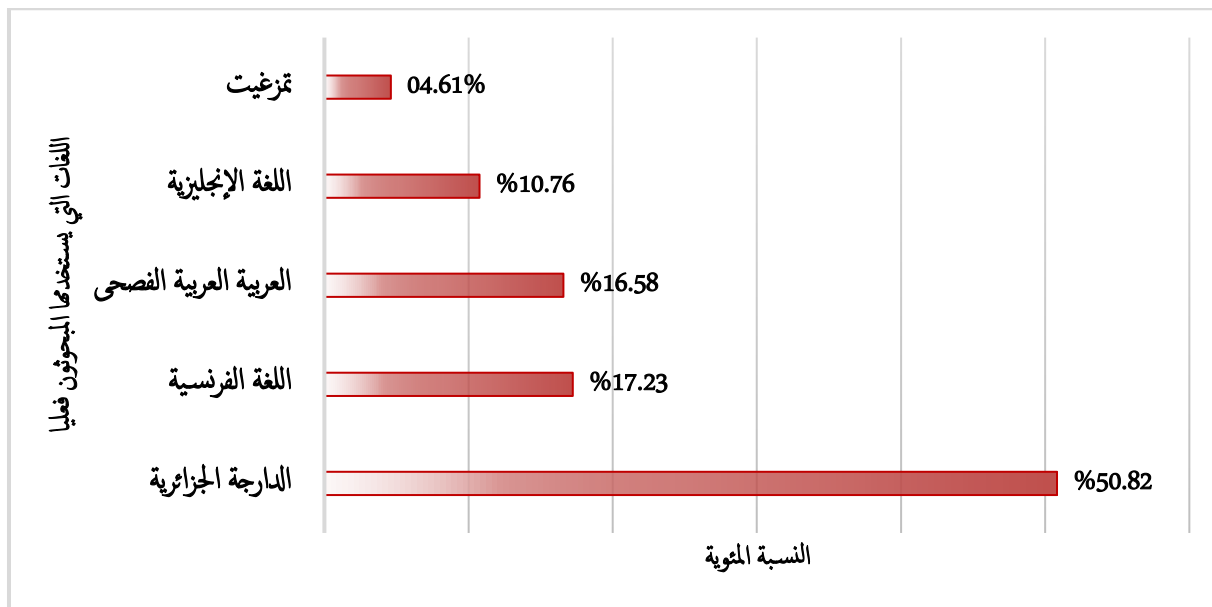
الكلمات المفتاحية للفصل: اللغة؛ اللغات الجزائرية؛ اللغات العالمية؛ لغة الرموز؛ تبديل الرموز؛ الصدام اللغوي.

المبحث الأول: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: الواقع اللغوي في الجزائر عبر فيسبوك.

على غرار ما سبق من مكونات وخصوصيات هوياتية جزائرية يضمتها موقع فيسبوك وتطوع عليها العولمة طابعها، يعتبر البعد اللغوي من أكثر الأبعاد التي يمكن من خلالها قياس مدى تأثر أو مقاومة الأفراد للمد العولمي، ذلك أن اللغة ليست مجرد أصوات بل "اللغة في جوهرها مرآة صقيلة، تنعكس على أديها عادات الإنسان، وقيمه، وتقاليده، وتبلور فيها أنظمة المجتمعات ومثلها"¹، حتى أننا وبشكل لا واعي نحكم على الأفراد ومستوياتهم، طبقاتهم.. من خلال أساليب الكلام واللغة التي ينطقون بها، ما يعبر عنه بيار بورديو بالرأسال اللغوي. لذلك فإن مضمون هذا المبحث يتمثل في عرض ومناقشة البيانات المتعلقة بالعولمة اللغوية التي تطبع أفراد عينة البحث ودور فيسبوك فيها، إضافة إلى مناقشة الافتراض القائل بأن فيسبوك ساهم في خلق والتكريس للغات جديدة تنزع من أفراد أمة معينة خصوصيتها وتمنح المستخدمين بغض النظر عن خلفياتهم الهوياتية لغة واحدة وهي لغة "القرية العالمية".

المطلب الأول: الوضعية اللغوية للمبحوثين بين اللغات الوطنية واللغات العالمية من خلال فيسبوك.

سننطلق في المبحث قبل عرض ما تعلق بالممارسات اللغوية الاتصالية لأفراد عينة الدراسة، بوضعيتهم اللغوية عبر الموقع، على غرار اللغات التي يستخدمونها في حياتهم اليومية عبره ومدى تأثرها بخصوصياتهم الهوياتية، أو بأنماط استخدامهم لموقع فيسبوك، وسنبداً أولاً بعلاقة هذه اللغات بخصائصهم الفعلية من خلال ما وجدناه من دلالات إحصائية، لكن قبل ذلك، ما هي اللغات التي يستخدمها المبحوثون في حياتهم الفعلية؟



الشكل رقم (28): توزيع عينة الدراسة حسب اللغة التي يستخدمها المبحوثون في حياتهم اليومية الفعلية.

يمثل الشكل البياني أعلاه توزيع عينة البحث حسب اللغة التي يستخدمها المبحوثون في حياتهم اليومية الفعلية، ونلاحظ من خلاله أن ما يتجاوز نصف عينة الدراسة، أي 50.82% منهم يستخدمون الدارجة الجزائرية في تعاملاتهم اليومية الفعلية، تليها فئة المبحوثين الذين يستخدمون اللغة الفرنسية بنسبة 17.23%، فاللغة العربية الفصحى بنسبة 16.58%، وبعدها نسبة

¹ محمد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كل أمة روح ثقافتها، دار الشباب للطباعة والنشر، باتنة، 1989، ص 8.

المبحوثين الذين يستخدمون اللغة الإنجليزية بنسبة 10.76%، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذين يستخدمون تمزيغت بنسبة قدرها 04.61%. هذا فيما يخص اللغات والألسن الأكثر استخداما من ضمن عدد الإجابات، أما فيما يخص كل لغة على حدة فالنتائج كانت كالتالي:

نسبة 87.36% من أفراد عينة الدراسة يستخدمون في حياتهم اليومية الفعلية الدارجة الجزائرية، بينما أجاب 12.64% منهم أنهم لا يستخدمونها؛ أجاب 29.62% من المبحوثين أنهم يستخدمون اللغة الفرنسية في حياتهم الفعلية بينما أجاب 70.38% أنهم لا يستخدمونها؛ أجاب 28.49% من المبحوثين أنهم يستخدمون اللغة العربية الفصحى في تعاملاتهم اليومية الفعلية، بينما أجاب 71.51% أنهم لا يستخدمونها؛ بعدها تجيء اللغة الإنجليزية التي أجاب 18.49% من أفراد عينة الدراسة أنهم يستخدمونها في حياتهم اليومية الفعلية، بالمقابل فإن ما نسبته 81.51% منهم أجابوا أنهم لا يستخدمونها؛ في الأخير جاءت نسبة استخدام المبحوثين لتمزيغت في حياتهم اليومية والتي قدرت بـ 07.92%، بالمقابل جاءت فئة المبحوثين الذين لا يستخدمونها كأعلى نسبة عدم استخدام؛ والتي يقدر بـ 92.08%، وهي نسب أدرجت هنا تمهيدا لمحاولات تفسير النتائج الواردة فيما سيلي من جداول وأشكال وعلاقات تظهر خصوصية كل لغة سواء أخذت اتجاهها متغيراً أو تابعا.

نستنتج من الشكل أعلاه أن غالبية مفردات عينة الدراسة يستخدمون الدارجة الجزائرية في حياتهم اليومية أكثر من غيرها من اللغات والألسن، ولو أنها في الأصل وبالأساس تحوير لهجي للعربية الفصحى مع مزيج من التداخلات اللغوية الناتجة عن موجات الثقافة التي شهدتها الجزائر بما فيها الإسبانية، التركية، الفرنسية، هذا إضافة إلى التداخل مع البربرية قبلها وحدث تبادل اصطلاحي ولهجي بين اللسانين العربي والبربري، ويمكننا أن نعتبر هذه النتيجة منطقية وأن نفسرها بالتعريف البسيط لمصطلح "لهجة"، فيعرفها معجم الغني على سبيل المثال: "لغة الإنسان التي فطر عليها وتعودها"¹، فاللهجة هي الصيغة اللغوية التي يتحدثها عامة الشعب في الحياة اليومية مقارنة باللغات الفصيحة، لذلك نجد الجزائريين يستخدمونها في أغلب تعاملاتهم اليومية بغض النظر عن سياقات تواجدهم، أكاديمية كالدروس والمحاضرات، إعلامية، علمية وحتى دينية على غرار الدروس المسجدية.

تأتي بعدها اللغة الفرنسية التي خالطت اللسان الجزائري مع الاستعمار، وبقي تأثيرها قائما حتى في المرحلة ما بعد الاستعمارية نتيجة لفرنسة مختلف القطاعات إلى يومنا هذا، ووجود عوامل معيقة لسياسات التعريب في الجزائر*، كما يمكننا فهم هذه النتيجة عند ربطها بمتغيرات أخرى، أولها المتغير الجغرافي، فعند ربطنا إحصائيا لعلاقة المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها المبحوث باللغة التي يستخدمها في حياته الفعلية توصلنا إلى نتيجة مفادها أنه: في حين أن الدارجة تتوزع على كامل مناطق الوطن بنفس النسبة تقريبا، فإن اللغة الفرنسية تتركز بالأساس وبنسبة 35.48% عند فئة المبحوثين المنتمين لمنطقة التل، في المقابل فإن اللغة العربية الفصحى تتركز لدى فئة منطقة الجنوب بنسبة 40%.

¹ عبد الغني أبو العزم، معجم الغني الزاهر، مؤسسة الغني للنشر، مصر، 2013، ص 3332.
* أنظر عنصر: اللغة كمرجعية للهوية الوطنية الجزائرية، المطلب الثالث، المبحث الثاني من الفصل الثالث.

ويمكن أن تتم قراءة هذه النتيجة من خلال حقيقة أن التمرکز الاستعماري كان يركّز على المدن الكبرى المتواجدة بمنطقة التل وقد كان التهجير من مناطق التل الحصبية وطردهم نحو المناطق الوعرة والهامشية من أهم السياسات الاستعمارية، "حيث اقترح مندوب فرنسا أنه لابد من تعمير التراب الجزائري وطرد العرب والبربر إلى الصحراء"¹، وتعويضهم استيطاناً بالجاليات الفرنسية أساساً، والأوروبية عموماً بمنحهم إغراءات تتركز على الأراضي التي تم انتزاعها من الفلاحين الجزائريين، وصاحب استيطانهم نشاطات ثقافية تضمن بقاء اللسان الفرنسي، على غرار المدارس الفرنسية، الكنائس...، من أجل ذلك نجد اللسان الفرنسي متمركزاً في هذه المنطقة، حيث أعيد إنتاجه كإسالة لغوي فيها. مقارنة بمناطق الهضاب والصحراء التي تركز فيها السكان الجزائريون.

حتى في المرحلة المعاصرة إذ بقيت آثار الاستعمار الفرنسي اللغوي قائمة بفعل عدة عوامل منها القرب الجغرافي، وجود عدد كبير من المفرنسين الجزائريين، الهجرة إلى فرنسا ووجود جاليات كبيرة من الجزائريين فيها، إضافة إلى السياسات الفرنسية الطامحة إلى إبقاء اللسان الفرنسي في مستعمراته السابقة، خاصة مع ملاحظة اتجاه فرنسا للتأثر بالعمولة اللغوية، فـ "من أجل التصدي لانكماش اللغة الفرنسية، قادت فرنسا حملة داخلية وأخرى خارجية، وكانت لكل واحدة منها صلة باللغة العربية في الجزائر... بخاصة أن ربط هذه الأخيرة ثقافياً ولغوياً بفرنسا... [عن طريق منابر مثل] مؤتمر وزراء التعليم المشتركين في استعمال اللغة الفرنسية مؤتمر وزراء الشباب والرياضة للبلدان المستعملة للغة الفرنسية، علاوة على القمتين الأهم، القمة الفرنسية الأفريقية والمنظمة الفراكفونية. وتجدر الإشارة إلى أن الجزائر ليست عضواً في المنظمة، لكن توجه دعوات إلى رئيسها لحضور قممها، ويمنح أبنائها منحة دراسية منها"²، إذا فموقع التواصل فيسبوك يواصل ما بدأت به الاستعمارات في إبعاد الأم عن لغاتها، وهو استنتاج يقع في صلب نظرية المجتمع الشبكي إذ يصف دارن بارني العمولة في أحد أشكالها وجوانبها بأنها "سلالة خبيثة أتت من صلب الاستعمار... وهي مرادفة لطمس الخصوصيات القومية والثقافية"³.

جاءت اللغة العربية الفصحى في المرتبة الثالثة، حيث تتحدث بها فعلياً فئة قليلة من المبحوثين، ويمكن تفسير ذلك بأن الاستخدام اليومي للغة يميل إلى الابتعاد عن الرسمية مقابل العامية، وقد وجدنا علاقة إحصائية قوية بين سن المبحوثين واستخدامهم للغة العربية الفصحى، بحيث كلما اتجهنا إلى الفئة الأكبر سناً زاد استخدامها، وكلما اتجهنا إلى الفئة الأصغر سناً قلّ استخدامها مقابل لغات أخرى خاصة الدارجة والإنجليزية، فالمبحوثون الأكبر سناً (بين 54 و63 سنة) أجابوا أنهم يستخدمون الفصحى في حياتهم اليومية بنسبة 64.71% بالمقابل المبحوثون الأصغر سناً (بين 14 إلى 23 سنة) الذين لا يستخدمونها بنسبة 80.30%، وهذا يفسّر بأن الأجيال الجديدة تنأى عن استخدام الفصحى مقابل الدارجة الجزائرية واللغات الأخرى، الأولى لأنها أسهل فهماً وتواصلاً، أما الثانية فقد بررت هذه الفئة بالتحديد الابتعاد عن استخدامها بأنهم "يواكبون اللغات العالمية" وذلك بنسبة 55.88%.

¹ جريدة عميرة، مرجع سبق ذكره، ص 195

² شامة خير الدين، "إشكالية اللغة العربية في الجزائر بين مخلفات الاستعمار وضغط العمولة"، في: اللغة والهوية في الوطن العربي - إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، كتاب جامعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، ص 132 - 134.

³ دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 38.

إحدى هذه اللغات العالمية هي اللغة الإنجليزية، التي تدخل شيئاً فشيئاً اللغة التواصلية اليومية للجزائريين بفعل مجموعة من الأسباب، الانفتاح التقني على العالم، اعتبارها اللغة الأولى من حيث قدرة البشر عبر العالم التكلم بها، اعتبارها لغة للنشر والبحث العلميين، لكن نسبتها تبقى منخفضة مقارنة باللغة الفرنسية مثلاً رغم الجهود المتواصلة اجتماعياً وسياسياً إلى تعويضها بالإنجليزية، ذلك أن عبور لغة إلى مجتمع ما وثباتها فيه يتطلب زمناً كافياً لترسيخها في المعيش اليومي للأفراد.

ويمكن تفسير تدني نسبة المبحوثين الذين يستخدمون تمزيغت في حياتهم اليومية من وجهات نظر مختلفة، إما لانحسار استخدامها واقتصارها على الجزائريين الذين ما يزالون متمركزين في المناطق الناطقة بهذا اللسان، ذلك أن هناك جزائريين من ذوي أصول بربرية لكنهم لا يتحدثونها بفعل اختلاطهم باللسان العربي، ولأن محيطهم الاجتماعي لا يتحدثها فيضطرون إلى استخدام الدارجة الجزائرية لسهولة فهمها لدى الجميع.

ويمكن تفسير ذلك بأن اللسانين العربي والبربري يمتزجان ويتفاعلان مع الزمن فيتبني كل واحد منها ألفاظ الآخر وتتراجع الفوارق بينهما تحت عنوان: اللغة الجزائرية، خاصة أن هذا التمازج يتجلى بوضوح "من خلال قاموس الأمازيغية، حيث نجد فيه 60% من الألفاظ العربية، والدراسات تثبت أن هناك تشابهاً كبيراً في البنية الصرفية والدالية، كما يوجد قواسم كثيرة في العدد والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث، والفعل والفاعل...، فهناك كلمات أخذتها [تمزيغت] دون إحداث أي تغيير عليها، وبعضها الآخر دخل عليها تغيير على مستوى الصوت مثلاً: لقرآن، ييليس، ليسلام، لكتاب، لفرايض، لأغراض لبورهان لمخلوقات، لمورصلين، لوضو، لجنابت، لهيام، لبحور، اموسلم، اكافري ... تركاع، تسجاد"¹.

كما يمكن أن يفسر ذلك بتكوين عينة الدراسة، حيث فإذا افترضنا أن كل المبحوثين من الولايات: بجاية، تيزي وزو، البويرة (القبائلية)، باتنة، خنشلة (الشاوية)، تيبازة (الشلوحية)، غرداية (الميزابية) يتحدثون البربرية، فإن نسبتهم لا تتعدى مجتمعين 14.52%، ونجد بالفعل أنه بالرغم من تمكن 17.55% من مبحوثينا من تحدث تمزيغت إلا أن 07.92% فقط يستخدمونها في حياتهم اليومية. أما الآن، ما هي اللغات التي يستخدمها المبحوثون في تفاعلهم عبر موقع فيسبوك؟ وما هي المتغيرات التي تؤثر في ذلك؟

يمثل الجدول التالي ربطاً لعلاقة اللغة التي يستخدمها المبحوثون في الحياة الفعلية باللغة التي يستخدمونها عبر موقع فيسبوك، والذي نرد من خلاله نعرف العلاقة بين اللغات التي يستخدمها المبحوث فعلياً بتلك التي يستخدمها عبر فيسبوك، ونجيب من خلاله على السؤال: هل يفرض فيسبوك على المبحوث أن يغير هويته اللغوية أم أن الافتراضية منها هي امتداد للفعلية؟ ويتضح لنا من خلاله وجود علاقة بين المتغيرين ذوي الاتجاه التابع والمستقل، إذ نلاحظ وجود نوعين من القراءات، الأولى متعلقة بنسب الجاميع، والثانية متعلقة بالنسب الداخلية للجدول.

¹ بوعلام العربي بوعمران ونعمة عيوش، "آيات تنمية الوعي بالتعدد اللغوي ضمن إطار الدولة الواحدة: العربية والمأزغية نموذجاً"، في: التسامح اللغوي في الجزائر ودوره في ترسيخ ثقافة العيش معاً بسلام، كتاب جماعي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2020، ص 39.

الجدول رقم (32): علاقة اللغة التي يستخدمها الباحثون في الحياة الفعلية باللغة التي يستخدمونها عبر موقع فيسبوك.

المجموع	اللغة المستخدمة عبر موقع فيسبوك					اللغة المستخدمة في الحياة الفعلية	
	الدارجة الجزائرية	اللغة العربية الفصحى	تمزيغت	اللغة الفرنسية	اللغة الإنجليزية		
888	371	234	14	157	112	التكرار	الدارجة الجزائرية
%100	%41.78	%26.35	%01.58	%17.68	%12.61	النسبة المئوية	
326	98	134	04	50	40	التكرار	اللغة العربية الفصحى
%100	%30.06	%41.10	%01.23	%15.34	%12.27	النسبة المئوية	
106	30	15	21	24	16	التكرار	تمزيغت (بتفراعاتها اللهجية)
%100	%28.30	%14.15	%19.81	%22.64	%15.09	النسبة المئوية	
376	117	71	10	131	46	التكرار	اللغة الفرنسية
%100	%31.12	%18.88	%02.93	%34.84	%12.23	النسبة المئوية	
245	73	54	07	41	70	التكرار	اللغة الإنجليزية
%100	%29.80	%22.04	%02.86	%16.73	%28.57	النسبة المئوية	
1941*	689	508	57	403	284	التكرار	المجموع
%100	%39.56	%27.41	%02.21	%18.37	%12.45	النسبة المئوية	

تعتبر الدارجة الجزائرية اللغة (ولا نعني هنا بأن اللهجة لغة ولكن نعني بها اللغة التواصلية) هي الأولى التي يستخدمها الباحثون في حياتهم اليومية عبر موقع فيسبوك، وذلك بنسبة 39.56%، تليها اللغة العربية الفصحى بنسبة 27.41%، ثم اللغة الفرنسية بنسبة 18.37%، بعدها اللغة الإنجليزية بنسبة 12.45%، وفي الأخير نسبة الذين يستخدمون تمزيغت بتنوعاتها اللهجية سواء كتبوها بالحروف العربية، اللاتينية أو حروف تيفيناغ بنسبة 02.21%. أما بالنسبة لقراءة النسب الداخلية، فكلما نلاحظ في الجدول هناك علاقة إحصائية واضحة بين اللغة التي يستخدمها الباحثون في حياتهم الفعلية والأخرى التي يستخدمونها في حياتهم الافتراضية، ورغم أن العربية الفصحى تجاوزت الفرنسية في الاستخدام الافتراضي، إلا أن ذلك لم يغير من الدلالة الإحصائية؛ إذ تقدّم النسب الداخلية ما يلي:

• أن فئة الذين يستخدمون الدارجة الجزائرية عبر فيسبوك مدعومون بنسبة 41.78% من طرف فئة الباحثين الذين يستخدمونها في حياتهم الفعلية.

• كما أن الباحثين الذين يستخدمون اللغة العربية الفصحى عبر فيسبوك مدعومون من طرف فئة الذين يستخدمونها في الحياة الفعلية بنسبة 41.10%.

• وبنفس الطريقة، نجد أن الباحثين الذين يستخدمون تمزيغت عبر فيسبوك، مدعومة من طرف فئة الباحثين الذين يستخدمونها في حياتهم الفعلية بنسبة 19.81%.

* المجموع هنا هو مجموع الإجابات، وكبر عددها راجع لأن السؤالين من النوع المغلق متعدد الإجابات، فيمكن للمبحوث اختيار أكثر من إجابة.

• نلاحظ من الجدول كذلك أن الذين يستخدمون اللغة الفرنسية عبر فيسبوك، مدعومون بنسبة 34.84% من فئة المبحوثين الذين يستخدمونها في حياتهم اليومية الفعلية.

• كما نلاحظ أن الذين يتعاملون باللغة الإنجليزية عبر الموقع، هم الذين يستخدمونها في الحياة الفعلية بنسبة دعم قدرها 28.57%.

النتيجة الرئيسية لهذا الجدول هي أن المبحوث ينقل وضعيته اللغوية من الفعلي إلى الافتراضي، بمعنى أنه يعيد إنتاج وضعيته اللغوية عبر فيسبوك، مكرسا لهويته اللغوية الفعلية، معتبرا بذلك هويته اللغوية على فيسبوك امتدادا لهويته اللغوية الفعلية، فجد كل متحدث بلغة معينة ينقلها معه إلى معيشه اليومي الافتراضي، خاصة أن فيسبوك يسهل بإعداداته استخدام المبحوث للغة التي تناسبه، حتى أن الموقع أضاف رموز "تيفيناغ" إلى اللغات التي يدعمها، ومن خلال مختلف الارتباطات الإحصائية، وجدنا أن استخدام المبحوث للغة معينة عبر فيسبوك يرتبط بنوعين من العوامل:

• أولا: العامل الفعلي:

ونعني به أن الوضعية اللغوية للمبحوث في حياته اليومية تؤثر وضعيته في العالم الافتراضي، إضافة إلى النتيجة الكبرى للجدول أعلاه، فإن المتغير الهوياتي للمبحوث والانتماء الذي يعرف به نفسه، على سبيل المثال الانتماء الديني، يؤثر في اختياره اللغة التي يتعامل بها افتراضيا، فعند ربطنا بين متغير الانتماء الديني للمبحوثين ومدى تعاملهم اليومي باللغة العربية الفصحى وجدنا أن هناك دلالة إحصائية لهذا الارتباط، ذلك أن العربية الفصحى و"اللسان العربي المبين" هو لسان دين الإسلام، واتصاف الفرد بالانتماء الديني الإسلامي يطبع عليه صفة "الناطق بلغة القرآن"، "ولا يتم الوصول إلى فهم الإسلام ومقتضياته؛ إلا بعد فهم محتوى القرآن والحديث النبوي فمعرفة هذه اللغة شرط أساسي للثقافة الإسلامية، التي مُعتمداً وحي الساء وحديث مَنْ لا ينطق عن الهوى"¹، وفي هذا نجد أن 56.30% من الذين يستخدمون اللغة العربية الفصحى عبر فيسبوك أجابوا بأن لديهم انتماءً دينيا، بالمقابل فإن 64% من الذين لا يستخدمونها أجابوا بأنهم لا يعرفون أنفسهم من خلال انتماءهم الديني.

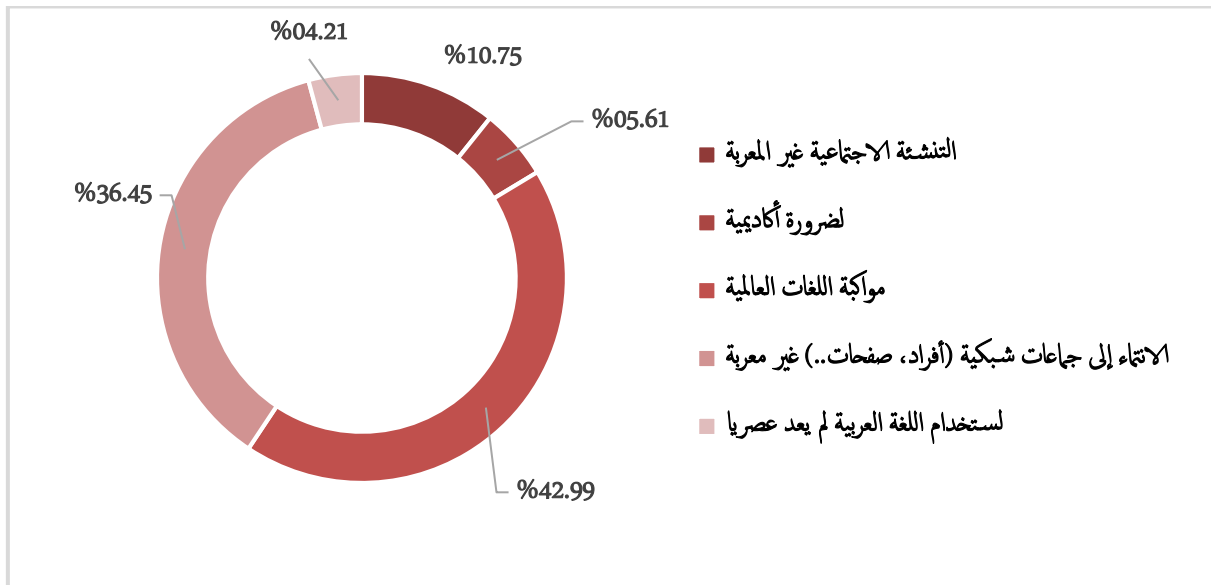
والملاحظ أن اللغة العربية واستخدامها عبر فيسبوك تجاوز استخدام اللغة الفرنسية في الحياة الفعلية التي كانت في المرتبة الثانية بعد العامية، ويمكن تفسير ذلك بأن اللغة العربية يصعب بها التعبير الشفوي في المعيش اليومي إذ تعتبر لغة رسمية ولها سياقات استخدام، بالمقابل يسهل التعبير بها في حالة الكتابة، بل ويتم اختيارها لأنها أكثر قدرة ومناسبة للتعبير وإيصال المعاني المطلوبة حسب فئة من أفراد عينة الدراسة كما سنرى. وأرجعت نسبة من المبحوثين استخدامهم للغة معينة افتراضيا إلى طبيعة تنشئتهم الاجتماعية، فإذا رجعنا إلى تبرير المبحوثين الذين يتعاملون باللغة الفرنسية عبر فيسبوك، نجدهم يرجعون ذلك بنسبة 87% إلى تنشئتهم الاجتماعية غير المعربة، وهذا يؤكد لنا النتائج السابقة بأن فيسبوك ليس فحسب مسرحا لعرض الذات بل أصبح فضاء للإفصاح عنها بحيث تظهر فيه الرساميل الثقافية للمبحوثين على رأسها الرأسمال اللغوي؛ والنتيجة ذاتها منطبقة على متحدثي تزيغت وبنسبة أكبر تقدر بـ 95.56%، فتنشئتهم في مناطق أو ضمن عائلات ناطقة باللسان البربري جعل منه جزءا مهما من هوياتهم الذاتية والوسطى التي يحرصون على إظهارها في حياتهم الافتراضية.

¹ محمد بن عبد الكريم الجزائري، مرجع سبق ذكره، ص 11.

كما يتأثر تعامل المبحوث بلغة معينة افتراضيا بما يمكن أن تعنيه تلك اللغة للمبحوث، ومنظوره لها، فالذين يستخدمون الفصحى عبر فيسبوك يرون أن استخدامه للغة معينة وتكريسهم لها ليس تواصليا فقط، بل يعتبرونه نوعا عن أنواع الانتماء إلى أمة معينة، وذلك بنسبة 64%، بالقابل فمن الذين لا يستخدمونها برر 77.78% منهم "أنها لم تعد لغة عصرية" ويجدر بهم مواكبة اللغات العالمية، وهذه نتيجة مباشرة للعولمة اللغوية، خاصة أن هذا التبرير هو الذي اختاره بنسبة 53.20% المبحوثون الذين يستخدمون اللغة الإنجليزية عبر فيسبوك.

• ثانيا: العامل الافتراضي.

ونعني به أن الصفحات، والجماعات التي ينتمي إليها المبحوث، وغيرها من الممارسات الرقمية عبر فيسبوك تؤثر في اختياره اللغة التي يتعامل بها عبره، ففيسبوك قبل كل شيء هو موقع للتواصل الاجتماعي، بمعنى أن التواصلية القائمة على فهم كل الأطراف للغة وقدرة على فك شيفرتها هي أساس النشاط عبره، لذلك نجد أن المبحوثين الذين يتابعون صفحات ومجموعات (جماعات شبكية) ناطقة بلغة معينة يجدون أنفسهم ينطقون بتلك اللغة أليا (أنظر الملحق رقم: 36)، فهم ينشطون في تلك الصفحات، يقرؤون، ينشرون، يعلقون وغيرها من التعاملات التي تضطرهم على التعامل بغير اللغة العربية، والشكل أدناه يظهر لنا تبريرات المستخدمين الذين لا يستخدمون اللغة العربية في تعاملاتهم عبر موقع فيسبوك، وبالمقابل يستخدمون اللغات الأخرى.



الشكل رقم (29): توزيع عينة الدراسة حسب تبرير المبحوثين لعدم استخدامهم اللغة العربية في استخدامهم عبر موقع فيسبوك.

يوضح الشكل أعلاه تبريرات المبحوثين لعدم استخدامهم اللغة العربية عبر موقع فيسبوك، ونجد النسبة الكبرى من المبحوثين يبررون ذلك بأنهم يواكبون اللغات العالمية وذلك بنسبة 42.99%، تليها نسبة المبحوثين الذين برروا ذلك بأن الجماعات الشبكية التي ينتمون إليها سواء كانت أفرادا أو صفحات أو مجموعات هي شبكات غير معربة بنسبة 36.45%، تليها فئة المبحوثين الذين برروا ذلك بالرجوع إلى تنشئتهم الاجتماعية غير المعربة بنسبة 10.75%، وقد برر ما تعادل نسبته 05.61% من المبحوثين ذلك بأنها ضرورة راجعة لتعاملاتهم الأكاديمية، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذي لا يستخدمون اللغة العربية ويعوضونها بلغات أجنبية أخرى لأن استخدامها لم يعد عصريا وذلك بنسبة 04.21%.

يعتبر تعلم اللغات والحياسة عليها أمراً ضرورياً في عصرنا المنفتح على العالم، سواء للجانب الشخصي للمبحوث أو لأنها توفر له الفضاء والظروف الملائمة لإقامة الحوار ثقافي مع الآخر، إلا أن تعويض لغات الأمم بلغات أخرى أجنبية تحت مسمى الانفتاح هو مظهر عولي بامتياز، وهو ما توصلت إليه إحدى الدراسات السابقة، حيث " تحاول العولمة فرض أنماط نحوية ودلالية جديدة تعمل على القضاء على الأصول في اللغات الوطنية، وهي بذلك، بشكل أو بآخر، تعمل على تدمير الثقافات الوطنية من الداخل بالقضاء على الخصوصية من خلال التشكيك في ثوابت الأمة ... ولعلّ أخطرها هو المنحى اللغوي. ومن مظاهر الاستلاب طغيان أو اجتياح لغة أجنبية على أمة من الأمم فتقتضي - بعد فترة - على هوية تلك الأمة، لأنّ اللغة هي العنصر الأخير في خندق الدفاع عن الكينونة، فاللغة هي ما يبقى بعد أن تنهار الدول سياسياً وعسكرياً"¹، فبنفس الطريقة التي نقلت بها العولمة اللغات في مراحلها المبكرة كالحركات الاستكشافية والتنقلات عبر العالم، والحديث كالاستعمار لدرجة أنه يمكننا معرفة أي الدول استعمرت منطقة ما من خلال اللغة الأجنبية السائدة في تلك المنطقة، نجد موقع فيسبوك يوفر أرضية واسعة لنقل اللغات باعتباره أداة عولمية وتكريس استخدامها تحت مسمى الانفتاح اللغوي، وهو نوع من أنواع الثقاف ولكن في شقه السلبي، فقد توصلت إحدى الدراسات السابقة إلى أن فيسبوك قد أسهم في تشتيت اللغة العربية باعتبارها مرجعية هوياتية وعرقلتها.

وقد أرجعت نسبة من المبحوثين استخدام اللغات من غير العربية خاصة الفرنسية إلى تنشئتهم الاجتماعية وتعودهم على التعبير عن أنفسهم بغيرها، حتى أنهم أجابوا على أسئلة الاستمارة خصوصاً هذا السؤال باللغة الفرنسية، نذكر مثالين من الأجوبة إجابة المبحوث رقم 126: "Je m'exprime mieux en français et en amazigh qu'en arabe littéraire"، وإجابة المبحوث رقم 436: "Habitue , j'ai grandi dans une famille qui est plus francophone"، فعدم تمكنهم من التعبير باللغة العربية يُمكن أن يفسر هنا بعدم قدرتهم على التعبير بها مقابل اللغات الأخرى.

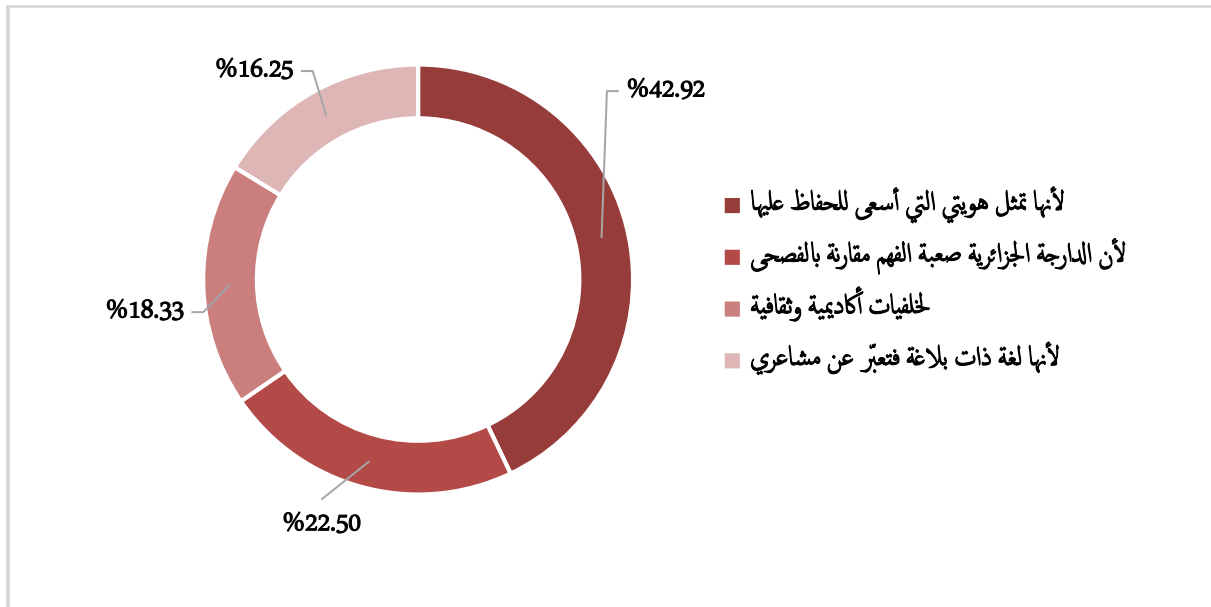
وقد برر نسبة من المبحوثين تعاملهم بلغات أجنبية نظراً لضرورات أكاديمية، خاصة أن من أهم الشبكات التي ينشط ضمنها أفراد عينة الدراسة هي الشبكات العلمية والتعليمية، وهو ما يمكن أن نفسر من خلاله هذه النتيجة، فإذا ربطنا بين متغير الميدان العلمي للمبحوث وبين اللغات التي يستخدمها عبر فيسبوك نجد علاقة إحصائية بين كل ميدان واللغة التي تُدرّس به في الجزائر، فنجد أن أعلى نسبة ممن يستخدمون اللغة الإنجليزية هم من ميدان الآداب واللغات الأجنبية بنسبة 37.25%؛ ونجد أكبر نسبة في الذين يستخدمون اللغة الفرنسية من ميدان العلوم الطبيعية والتقنية (البيولوجيا، الكيمياء، الرياضيات، التكنولوجيا، الهندسة المعمارية والمدنية) بنسبة 45.12%، أما أعلى نسبة ممن يتعاملون باللغة العربية الفصحى هم من يدرسون أو درسوا تخصصات ضمن ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية بنسبة 61.58%.

ورغم نسبتها المنخفضة، إلا أن إجابة بعض المبحوثين بأن اللغة العربية لم تعد عصرية ولا يستخدمونها لهذه السبب، تحمل معنى سلبياً تجاه البعد اللغوي للهوية الوطنية وهو التنكر لهذا البعد والانسلاخ منه، حيث تعتبر اللغة كما أسلفنا أحد

¹ عربي يومدين وسعاد بوسنية، مرجع سبق ذكره، ص 71.

أهم أشكال الانتماء على أمة معينة "فكل شخص تنكر للغته فقد شد عن مجتمعه، وفقد عضويته منه، وأضاع شخصيته عن عمد، لأن عملاً مثل هذا يُعدُّ خروجاً على ما هو مألوف بين البشر... وكلّ خارج ومتمرد على النظام اللغوي يُعتبر -أيضاً- خارجاً ومتمرداً على النظام الاجتماعي..."¹.

كما يتلخص في هذه الإجابة تصوّر يوصف من جهة أنه نمطي ومغالط، لكنه من جهة أخرى يستند إلى حقيقة أن اللغة ظاهرة اجتماعية ترتبط بئها ارتباطاً وثيقاً ببنى الفكر؛ وهو التصور القائل بأن التمكن من لغة أجنبية -خاصة الفرنسية في حالة الجزائر- يعني التمتع الجيد في الهرم الاجتماعي كما يعني الحصول على اعتراف أكبر، مقابل التمكن من اللغة العربية التي تصنف الناطق بها في أسفل الهرم مع الحصول على اعتراف أقل، بمعنى أن هذا التصور يقول بوجود علاقة طردية بين التخلف في المجال الحضاري والتخلف في المجال اللغوي، فالحضارة التي تبسط سيطرتها الاقتصادية، السياسية أو الثقافية تبسط بالضرورة سيطرتها اللغوية. ذلك بالنسبة للذين اختاروا اللغات الأجنبية، فماذا بخصوص المبحوثين الذي اختاروا اللغة العربية كلغة تواصل عبر فيسبوك؟ والذين يتمظهر العامل الافتراضي كذلك لديهم لما أجابوا أنهم يستخدمون اللغة العربية الفصحى؛ يوضح الشكل أدناه نسب تبريراتهم.



الشكل الرقم (30): توزيع عينة الدراسة حسب تبرير المبحوثين لاستخدامهم اللغة العربية عبر موقع فيسبوك.

يمثل الشكل أعلاه توزيع عينة الدراسة حسب تبرير المبحوثين لاستخدامهم اللغة العربية عبر موقع فيسبوك، ونجد أن أكبر نسبة من المبحوثين برروا ذلك بأن اللغة العربية الفصحى تمثل هويتهم التي يسعون إلى الحفاظ عليها بنسبة 42.92%، تليها نسبة المبحوثين الذين برروا ذلك بأن اللهجة الجزائرية صعبة الفهم لذلك يعوضونها باللغة العربية أثناء استخدامهم موقع فيسبوك، وذلك بنسبة 22.50%، وبعدها نسبة الذين برروا استخدامها لأسباب أكاديمية وثقافية بنسبة 18.33%، وفي الأخير وغير بعيد عنها نسبة المبحوثين الذين أجابوا بأن اللغة العربية تعبّر عن مشاعرهم لبلاغتها، وذلك بنسبة 16.25%.

¹ محمد بن عبد الكريم الجزائري، مرجع سبق ذكره، ص 8.

أهم نتيجة للشكل هي رؤية المبحوثين في لغتهم الوطنية - حتى أثناء استخدامهم لموقع منفتح على أكثر من 111 لغة عالمية- تعبيرا عن هوياتهم، خاصة لاقتنائها بالبعد الديني للهوية أيضا، حيث يسعون إلى تكريسها والحفاظ عليها في شكل من أشكال هوية المشروع بتعبير كاستلر، والتي تنشأ عندما تتجذر مقاومة للثقافة الوافدة وما تحمله من خصوصيات لتتجاوز أحيانا كونها مشاريع لسمات ثقافية وتتحول إلى مشاريع إيديولوجية؛ فيصبح استخدام العربية ليس مجرد خيار أو رغبة بل مسؤولية تجاه هذا المشروع.

ونتاجا لهذا فإن فيسبوك كما وفر سابقا فضاءً للانفتاح اللغوي القاضي بالانسلاخ من اللغات الوطنية، يوفر بالمقابل فضاءً لتكريس وإعادة إنتاج هذه اللغات، بل من المبحوثين من اعتبر موقع فيسبوك فرصة تسمح له باستخدام الفصحى التي لا يجد فرصة لاستخدامها في الواقع، أجاب أحد المستجوبين "أرى أن الفيسبوك ومواقع التواصل الاجتماعي بشكل عام، انتصرت اللغة العربية في المجتمع الجزائري، وفرضت واقعا لغويا تواصليا أكثر حرية من الواقع السابق الذي شكلته طغمة الإدارة ذات التوجهات الولائية للقوى الاستعمارية الكلاسيكية.."¹، كما أجاب المبحوث رقم 17: "أني أحبها وبما اني لا استعملها في الواقع فرصتي ان استعملها في المواقع".

كما يميل المبحوثون إلى استخدام اللغة العربية كبديل للدارجة الجزائرية في تعاملهم مع من لا يفهمون هذه الأخيرة، سواء بين الجزائريين وغيرهم من العرب أو الناطقين باللسان العربي عموما، والسبب في ذلك هو تنوع الدارجة الجزائرية لأن مصادرها متعددة كما ذكرنا سابقا من الحضارات والثقافات والاستعمارات التي شهدته الجزائر، وذلك ملاحظ حتى بين الجزائريين أنفسهم؛ فنجد المبحوث رقم 362 يجيب مبررا "هناك من لا يعرف بعض الكلمات المتداولة بمنطقتي"، فالدارجة الجزائرية، هي متعددة وليست واحدة فحسب، فشساعة الرقعة الجغرافية للجزائر عدت لهجاتها كما اكتسبت كل لهجة من كل جهة من جهات الوطن خصوصيتها، والتي تمثل نتاجا لاحتكاك أهل المنطقة من عرب وبربر ووافدين أترك أو إسبان، أو عدم احتكاكهم وخلق لهجتهم من ألفاظ غير عربية كسكان الوسط الجزائري وقبائله العربية، فيمكن أن نستبين ببساطة أصل كل جزائري من خلال الأصوات (الفينومات) التي تميز لهجته.

وكما اختيرت اللغات الأجنبية لاستخدامها لأغراض أكاديمية، فإن اللغة العربية كذلك، حيث تفرض استخدامها في المنشورات والتعليقات التي تحمل طابعا أكاديميا، رسميا، ثقافيا ومهنيا، بنفس الطريقة التي تستخدم بها العربية الفصحى في الفضاءات الرسمية السياسية الأكاديمية والثقافية فعليا، خاصة أننا نتعامل مع فئة غالبيتها العظمى من الجامعيين، ويذكر أن بلاغة اللغة العربية خاصة الفصحى منها لم تأت من عدم، إذ يحدد المتخصصون في اللغات وهوياتها زمرا من الخصائص التي تجعل اللغة العربية أكثر تميزا عن غيرها من اللغات²؛ سواء ذات نفس الأصل السامي، الحديث منها أو القديم، فهوية اللغة العربية الصرفية، الدلالية، البلاغية والنحوية تنفرد بها وتعطيها القدرة بالفعل على إيصال معان لا يمكن إيصالها بلغة أو لهجة أخرى.

¹ إجابة المستجوب رقم 7 على السؤال رقم 11 من مقابلة البحث.

² أنظر: رمزي منير بعلبكي، "هوية الفصحى: بحث في التصنيف والخصائص"، في: اللغة والهوية في الوطن العربي - إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، مرجع سبق ذكره.

يمكننا تفسير هذا التبرير باستعارة مفاهيم من سلسلة محاضرات ميشال فوكو Michel Foucault التي تعد البنية التراثية لما أسماه "تقنيات استعراض الذات"، حيث صاغ أداة من أدوات التحليل التي تؤرخ لتفاصيل الحياة اليومية وحالات المزاج والأحداث البارزة في اليوم، وهي المذكرات Hypomnemata التي تستخدم كأداة مساعدة على الاستذكار، عزفها فوكو بأنها أداة استخدمها الجمهور المثقف بصفته تقنية ذاتية، فهي "إذ أننا ندون فيها استشهادات وأجزاء من مؤلفات وأمثلة وأفعال شهدنا عليها أو قرأنا حكايتها، فضلا عن أفكار وتحليلات منطقية سمعناها آنفا أو خطرت ببلنا وكل هذه تشكل ذاكرة مادية للأشياء المقروءة والمسموعة أو محط التفكير"¹، وهو بالضبط وصف لما توفره الصفحة الشخصية على موقع فيسبوك في تدوينها وتأريخها لأحداث الحياة اليومية والأفكار والذكريات، التجارب والأذواق وغيرها مما يقدم عرضا دقيقا لذات المستخدم. وكذا الإفصاح عنها.

وإذا أتينا إلى إجابات الباحثين قبل تكميمها نجد أن فيسبوك يشكل لدى العديد منهم مذكرات يومية، فالاستعارة من مفهوم فوكو ناجعة سواء كانت خلفية هذه الكتابات محمية كما أجاب الباحث 460 "أحب كتابة الخواطر والقصص القصيرة والفيسبوك هو وسيلة لكي يرى النور"، أو كانت خلفيات للتنفيس والتعبير عن الذات كما أجاب الباحث 47 "جزء مني ربما لم أبح به في حياتي الفعلية، فأجد جدارية الفيس أحسن مكان لإكمال باقي ما يكمن في داخلي"، أو خلفيات مشروعية مرتبطة برغبتهم في تكريس معالم هويتهم، على غرار إجابة الباحث 56 "معظم منشوراتي باللغة العربية التي تمثل جزءا أساسيا من هويتي، ثم إنني أستغل موقع فيسبوك للدعوة إلى الموعظة لتعاليم الإسلام ثم مقومات المجتمع الجزائري ومبادئ". وقد أجاب أحد الباحثين (رقم 120) مختصرا كل هذه التبريرات "لأنها لغة ديني الذي أعتنق ولأنها الأسهل في توصيل فكرة مختلفة للهويات العربية فهم لا يفهمون لهجتنا كثيرا.. وشخصيا لا أهتم فعلا لأن يفهموا لهجتي مادامت العربية موجودة كلغة جامعة نتبناها كلنا كعرب.. فهي أفضل وسيلة للتواصل. وكذلك البيان في هذه اللغة يعين على التعبير الأفضل عن الأفكار والمشاعر".

المطلب الثاني: موقع فيسبوك كفضاء لتظهر الواقع اللغوي الوطني للمبشرين.

لا يكتمل تصوير الواقع اللغوي في الجزائر عبر فيسبوك إلا عبر تناول مدى تكريسه لواحد من أهم الظواهر اللغوية في الجزائر، وهو الصدام بين اللسانين العربي والبربري الذي أصبح كما هو ملاحظ متجاوزا لكونه صداما لسانيا إلى اعتباره صداما عرقيا، وهذه الصراعات داخل الهويات والثقافات الوطنية هي من إحدى أهم مظاهر العولمة.

تعمل العولمة على تمييط العالم وجعله نموذجا واحدا، وهذا يتحقق من جهة ببسطها لخصائصها الاقتصادية، السياسية، والثقافية وهذا لا يمكن إلا إذا أزاحت الخصائص المحلية كما رأينا سابقا "إذ ثمة آليات أخرى تعمل على تفكيك الثقافات الوطنية، وعلى خلق استقطابات وصراعات داخل هذه الثقافات، بحيث تتحول المجتمعات الضعيفة التي تبحث عن هويتها الثقافية والاجتماعية وسط خضم العولمة إلى بؤر للصراع والتطاحن تظهر هذه البؤر جلية على أطراف الدائرة، أي في المجتمعات التي تقع على أطراف النظام الرأسمالي العالمي. ويبدو العالم الذي تخلقه عولمة الحداثة موحدا عند القمة مفرقا عند القاع"². وبإسقاط

¹ ألكسندر كوتون، مرجع سبق ذكره، ص ص 55-56.

² أحمد زايد، "عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية، مجلة عالم الفكر، المجلد 32، العدد 1، 1 يوليو 2003، ص 23.

على الوصف على بعد اللغة فإن العولمة توحد صفوفها في القمة على أساس الإنجليزية، وتحاول في القاع أن تفرق اللغات الوطنية، وأحد مظاهر هذه التفرقة في نظرنا هي هذا الصدام في الجزائر، فكيف يتظاهر من خلال فيسبوك أداة عولمية؟

الجدول رقم (33): علاقة تمكن المبحوثين من تحدث البربرية بدخولهم في جدال عبر فيسبوك حول اللغتين العربية والبربرية.

المجموع	دخول المبحوث في جدال أو عبر فيسبوك حول اللغتين العربية والبربرية في الجزائر		تمكن المبحوث من البربرية (تمزيغت بتفرعاتها اللهجية)	
	سبق وأن دخل	لم يسبق وأن دخل	التكرار	يتحدثها
93	65	28	النسبة المئوية	لا يتحدثها
%100	%69.89	%30.11	التكرار	
437	357	80	النسبة المئوية	المجموع
%100	%81.69	%18.31	التكرار	
530	422	108	النسبة المئوية	
%100	%79.62	%20.38	التكرار	

يمثل الجدول أعلاه علاقة تمكن المبحوثين من تحدث البربرية بدخولهم في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية، ونلاحظ من خلاله أن 79.62% من المبحوثين لم يسبق وأن دخلوا في جدال متعلق باللغتين العربية والبربرية بدعم قدره 81.69% ممن لا يتحدثون الأخيرة، بالمقابل فإن 20.38% من المبحوثين دخلوا في هذا النوع من الجدالات، بدعم من فئة المبحوثين الذين يتمكنون من تحدث البربرية بنسبة 30.11%، وتجدر الإشارة أن هناك علاقة أيضا بين استخدام المبحوث لتمزيغت عبر فيسبوك وبين دخوله في جدال حولها وحول اللغة العربية عبره، فالذين دخلوا في جدالات مدعومون بنسبة 38.10% من طرف الذين يستخدمونها، والذين لم يدخلوا في جدالات مدعومون بنسبة 81.15% من طرف الذين لا يستخدمونها عبر فيسبوك.

النتيجة الرئيسية لهذا الجدول هي وجود علاقة طردية بين تمكن المبحوث من تمزيغت أي مبدئيا بين كونه من الأصل البربري، وبين دخوله في جدالات حولها في علاقتها مع اللغة العربية، ويمكن أن تُفسر هذه النتيجة بأن المتحدثين لتمزيغت يجدون أنفسهم أكثر إلزاما بتناول القضايا المتعلقة بها أكثر من غيرهم من غير الناطقين بها، فالخلفية العرقية واللغوية التي يمتلكها المبحوث تؤثر بطريقة تعاطيه مع الأحداث وتنظم تفاعلاته معها، وهذا يعيدنا إلى نوعين من أنواع الهوية التي صاغها كاستلنز، هوية المقاومة، مقاومة الإلغاء وعدم الاعتراف، وهوية المشروع، مشروع فرض الاعتراف والاعتبار، اللذان يقفان في مواجهة للهوية المشرعنة التي تمثل في هذه الحالة العرق واللغة العريين الصرفين.

وإذا رجعنا إلى الدراسات السابقة التي تناولت هذا المكون من مكونات الهوية الوطنية الجزائرية، نجد بالفعل أن عرقية المبحوثين وألسنتهم تؤثر على آرائهم تجاه هذا الصدام وتجاه الهوية الجزائرية ككل، ففي إحدى الدراسات التي يتمثل مجتمع بحثها في أفراد كلهم من العرب نسيا (أساتذة جامعة بسكرة)، لم تثر القضايا المتعلقة بالبربرية لا كلفة ولا كعرق اهتمام المبحوثين، وقرأت الباحثة ذلك بـ "المكون العاطفي للمبحوث الذي يرفض الأمازيغية دونما معرفة بها، نظرا للاتجاهات التي تكونت لديه

عبر الزمن، أو ربما عبر مواقف سابقة والمعرفة بالأمازيغية مع الإنكار خشية إحداث الفتن، وإيقاظ النعرات العرقية، وللمحافظة على الوضع مستقرا في البلاد [إضافة إلى] المعرفة بالأمازيغية مع عدم تقبل تعددية ثقافية في البلاد¹. فعدم الرغبة في التفرقة والتشتت تُبعد الفرد عن هذه الجدالات، وقد ترجمت الباحثة ذلك -أي أن ذوي العرق العربي يتجنبون القضية البربرية- بأنهم يريدون إقصاء "الأمازيغية حتى من دائرة التفكير بها... ولعل معظم هؤلاء يرمي إلى تبني الثقافة الإسلامية والثقافة العربية دون سواها... [واقترنت مبررة تصوّرها من أحد المفكرين الجزائريين المعربين أحمد بن نعمان قوله] إن أي طرح للمسألة البربرية على أي أساس داخل أي قطر عربي مغربي على حدة، هو طرح تفتيتي انعزالي انفصالي عن بقية سكان المناطق الأخرى داخل القطر الواحد"².

الجدول رقم (34): علاقة فترة انضمام المبحوثين إلى موقع فيسبوك بدخولهم في جدال عبر فيسبوك حول اللغتين العربية والبربرية.

المجموع	دخول المبحوث في جدال أو عبر فيسبوك حول اللغتين العربية والبربرية في الجزائر		فترة انضمام المبحوث إلى موقع فيسبوك	
	لم يسبق وأن دخل	سبق وأن دخل	التكرار	من 2005 إلى 2010
182	131	51	التكرار	من 2005 إلى 2010
%100	%71.98	%28.02	النسبة المتوقعة	
274	225	49	التكرار	من 2011 إلى 2016
%100	%82.12	%17.88	النسبة المتوقعة	
74	66	08	التكرار	من 2016 إلى 2022
%100	%89.19	%10.81	النسبة المتوقعة	
530	422	108	التكرار	المجموع
%100	%79.62	%20.38	النسبة المتوقعة	

يمثل الجدول علاقة فترة انضمام المبحوثين إلى موقع فيسبوك بدخولهم في جدال عبر فيسبوك حول اللغتين العربية والبربرية، وسنقرأ أو نلاحظ من خلاله أن 79.62% لم يسبق وأن دخلوا جدالا متعلّقا باللغتين العربية والبربرية، بدعم قدره 89.19% من فئة المبحوثين الذين انضموا إلى موقع فيسبوك بين سنتي 2016 و2022، بالمقابل نلاحظ أن 20.38% من المبحوثين دخلوا في جدالات من هذا النوع، بدعم نسبته 28.02% من طرف المبحوثين الأوائل الذين انضموا إلى موقع فيسبوك أي بين سنتي 2005 و2010.

محاولة لقياس علاقة متغيرات مختلفة بدخول المبحوثين في هذا النوع من الجدالات، لاحظناها عند ربطنا لمتغيري فترة انضمام المبحوث إلى موقع فيسبوك وبين المدى الذي دخل به في جدالات حول اللغتين، أنه كلما كانت فترة انضمام المبحوث إلى فيسبوك أكثر أقدمية (أي بداية من 2005) كلما زادت نسبة الصدام حول اللغتين، وكلما كانت فترة انضمامه إلى فيسبوك حديثة (بداية من 2016) كلما نقصت نسبة صدامه حول اللغتين، ويمكن تفسير ذلك من ثلاثة منظورات:

¹ مهمونة مناصرة، مرجع سبق ذكره، ص 345.

- **الأول** متعلق بمدى التعرض لموقع فيسبوك وأقدمية الانضمام إليه، فكلما زادت مدة تعرّض المبحوث للموقع ومضامينه كلما اختبر تجارب أكثر حول هذه القضية مقارنة بالمبحوث الذي انضم مؤخرًا.
- **الثاني** متعلق بمراحل دسترة تمييز، فكلما نلاحظ في الجدول؛ نسبة الذين دخلوا في جدال هي في تناقص كلما توجهنا نحو دسترتها، فبعد إقرارها دستوريا لغة وطنية في تعديل عام 2001، تم ترسيمها كلغة وطنية ورسمية في التعديل الدستوري لسنة 2016، وهذا التسلسل في جعلها لغة رسمية حقق واحداً من أهم المطالب لدعاتها وحدّ من الجدل الفيسبوكي حولها خاصة أن أغلب الصدامات كانت متعلقة بمدى أحقية تمييزت بأن تصبح لغة موازية للغة العربية باعتبارها اللغة الأولى والرسمية للجزائر منذ الاستقلال، ويتجاوز ذلك إلى الجدل حول مدى اعتبارها لغة من الأساس في ظل عدم حيازتها على أنظمة لغوية واضحة، كما حدّ من الجدل أيضاً القرار الرئاسي الصادر في 27 ديسمبر 2017 باعتبار 12 جانفي عطلة رسمية ابتداءً من سنة 2018، ومنه فإن نقاط الجدل الرئيسية تم حسمها، ولو أن ذلك قد خلق بشكل أو بآخر أشكالاً أخرى من الصدام بين العرقين.
- **الثالث** متعلق بالضبط الذي يفرضه موقع فيسبوك و"سياساته" تجاه الحقائق التي تنشر على فيسبوك، خاصة تلك التي تستهدف مجموعة عرقية أو اجتماعية أو دينية معينة، أو أي كراهية أو تمييز على أساس الهوية، فتؤكد الشركة أنها تؤمن "بأن الأشخاص يعبرون عن آرائهم ويتواصلون بحرية أكبر عندما لا يشعرون بأنهم يتعرضون للهجوم على أساس هويتهم. ولهذا السبب لا نسمح بالخطاب الذي يحض على الكراهية على فيسبوك"¹. وبخصوص الجزائر أعلن الموقع في تقرير له عام 2021 حول الممارسات غير الأصلية عبر فيسبوك إغلاق أكثر من 130 حساباً شخصياً؛ 221 صفحة و 35 مجموعة لأسباب سياسية وعرقية أهمها فيما يتعلق بهذا الموضوع هو: "تزييف حسابات شخصية وصفحات تدعم أو تناهض وتشوه صورة العرقيات الجزائرية خاصة العرق البربري"².
- **الرابع** أو المتابعات القانونية التي تفرضها الدولة في السنوات الأخيرة على كل ما يتعلق بمساس استنقرار الوطن بما فيه نشر خطابات الكراهية والتمييز مما كان نوعه. ففي القانون الصادر في 28 أبريل 2020، المتعلق بالوقاية من التمييز وخطاب الكراهية ومكافحتها، ظهر بشكل واضح الضبط الممارس على المضامين الرقمية المتعلقة بخطابات الكراهية والتمييز، واللدان عزفها القانون مبرزاً موقع اللغة والعرق ضمنها، فعرف خطاب الكراهية على أنه "جميع أشكال التعبير التي تنشر أو تشجع أو تبرر التمييز، وكذا تلك التي تتضمن أسلوب الإزدراء أو الإهانة أو العداء أو البغض أو العنف الموجهة إلى شخص أو مجموعة أشخاص على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو الـنسب أو الأصل القومي أو الإثني أو اللغة أو الانتماء الجغرافي"³، والتمييز على أنه "كل تفرقة أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس الجنس أو العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الإثني أو اللغة

¹ Meta, "Hate speech", Facebook Community Standards, accessed: 10-01-2024, at: 02:56, URL: <https://transparency.fb.com/en-gb/policies/community-standards/hate-speech/>.

² Meta, "June 2021 Coordinated Inauthentic Behavior Report", Facebook, 2021, p 11, Report Download URL: <https://about.fb.com/wp-content/uploads/2021/07/June-2021-CIB-Report-Final.pdf>.

³ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "قانون رقم 05-20 يتعلق بالوقاية من التمييز وخطاب الكراهية ومكافحتها"، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 25، 5 رمضان عام 1441 الموافق 28 أبريل سنة 2020، الجزائر، ص 5.

أو الانتماء الجغرافي"¹، فأى خطاب يسيئ بطريقة أو بأخرى للغة والعرق المكونين للأمة الجزائرية هو خطاب مجرم بنص القانون، الأخير الذي نص على تأسيس مرصد للوقاية من هذه الخطابات، والمكون من ممثلين لمجلس الدولة بما فيهم ممثل المحافظة السامية للأمازيغية.

فتنص المادة 34 من هذا القانون أنه "دون الإخلال بالعقوبات الأشد، يعاقب بالحبس من خمس (5) سنوات إلى عشر (10) سنوات وبغرامة من 5.000.000 دج إلى 10.000.000 دج كل من ينشئ أو يدير أو يشرف على موقع إلكتروني أو حساب إلكتروني يخصص لنشر معلومات للترويج لأي برنامج أو أفكار أو أخبار أو رسوم أو صور من شأنها إثارة التمييز والكراهية في المجتمع"²، فخطابات الكراهية والتمييز المصاحبة عادة للجدال والصدام بين مستخدمي فيسبوك يعرضهم لمساءلة قانونية وعقوبات جزائية، لذلك يمكن تفسير تراجع وقوع هذه الجدالات لدى الفئة المنضمة حديثاً لفيسبوك من أفراد عينة الدراسة من هذه الزاوية. ولو أن هناك من يعتبر أن في هذا النوع من الرقابة على المضامين حدٌ من حرية التعبير والحق في إبداء الآراء واختلاف وجهات النظر، ومنه يتم اعتبار مواقع التواصل الاجتماعي خاصة فيسبوك جهازاً من أجهزة الدولة الإيديولوجية Ideological State Apparatus التي تُرى أنها تفرض قيمها ونماذجها من خلاله، بالمقابل فإن هناك من يعتبره جهازاً رقابياً يجب مراقبة مضامينه، ويبقى الحد الفاصل بين الحكم عليه أنه جهاز إيديولوجي أو جهاز رقابي وتنظيمي هو وجهة نظر المستخدم وهويته بين مشرعة ومقاومة.

• **الخامس** متعلق بمدى الوعي الذي يتحلى به أفراد عينة الدراسة، إذ يمكن تفسير التراجع في نسبة الدخول في جدال حول اللغتين، من هذا المنظور، خاصة أننا نلاحظ وجود نسبة كبيرة من الناطقين بتمزيغت؛ أي من العرق البربري، من لا يدخل في جدالات من هذا النوع ويتفادها، لأن فيها إثارة للنبرة القبلية، وذلك راجع في الأغلب إلى مستوى أفراد العينة العلمي والثقافي ومنه إدراكهم أن وجود أكثر من لسان وعرقية في الجزائر هو ضرب من التنوع الموحد وليس التعدد المحصل للتناقض، وكذا معاشناهم لأحداث وطنية ماضية أو حاضرة ناتجة عن الصدمات الداخلية الدينية، الثقافية، العرقية واللسانية التي لا تزال آثارها عالقة في المجتمع الجزائري إلى يومنا هذا، وعلى مستوى آخر الصدمات الإقليمية والعربية السياسية والإيديولوجية وما أحدثته من آثار في فترة ما بعد 2011 تحت ما يسمى "الربيع العربي" والتي لا تزال كذلك آثارها ملاحظة على مستوي الأنظمة السياسية والمجتمعية.

وضمن سيرورة عرض قياس وتفسير المتغيرات المرتبطة بالصدام اللغوي في الجزائري، وخاصة في علاقته مع موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، يمكننا أن نقرأ هذا الجدول من خلال ثلاثة ارتباطات إحصائية أخرى، كل منها يمثل الطريقة التي يؤثر ويؤطر بها دخول المبحوث في هذا النوع من الجدالات تصوره ومنظوره لمتغيرات أخذت اتجاهها تابعا ترتبط بشكل مباشر بتداعيات العولمة على الهوية الوطنية وهي: دور فيسبوك ومساهمة في زيادة هذا النوع من الصدمات، اعتباره بذلك مهددا للوحدة الوطنية الجزائرية، وكذا منظوره للدور الذي يلعبه التنوع العرقي والثقافي في الجزائر تجاه كل من وحدته وتفككه.

¹ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "قانون رقم 05-20 يتعلق بالوقاية من التمييز وخطاب الكراهية ومكافحتها"، مرجع سبق ذكره، ص 5.

² المرجع نفسه، ص 8.

أولاً: اعتبار فيسبوك مساهماً في الصدام بين العرقين العربي والبربري.

وهنا سنوضح رأي أفراد عينة الدراسة في اعتبار موقع فيسبوك كأحد العوامل المساهمة في تصعيد الصدام بين العرقين العربي والبربري، خاصة أن الموقع يمثل مجتمعا افتراضيا لأكبر اجتماع بشري يمكن أن يجمع المستخدمين الجزائريين بتنوعهم معاً.

الجدول رقم (35): علاقة دخول المبحوثين في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية برأيهم في تسبب فيسبوك في صدام بين العرقين العربي والبربري في الجزائر.

المجموع	رأي المبحوث في مساهمة فيسبوك في صدام بين العرقين العربي والبربري في الجزائر		دخول المبحوث في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية في الجزائر	
	لا يتسبب	يتسبب	التكرار	النسبة المئوية
108	17	91	التكرار	النسبة المئوية
%100	%15.74	%84.26	التكرار	النسبة المئوية
422	180	242.00	التكرار	النسبة المئوية
%100	%42.65	%57.35	التكرار	النسبة المئوية
530	197	333	التكرار	النسبة المئوية
%100	%37.17	%62.83	التكرار	النسبة المئوية

يمثل الجدول أعلاه علاقة دخول المبحوثين في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية برأيهم في تسبب فيسبوك في صدام بين العرقين العربي والبربري في الجزائر، ومن خلاله نلاحظ أنّ 62.83% من المبحوثين يرون أن موقع فيسبوك يساهم في الصدام بين العرقين العربي والبربري بتدعيم من فئة الذين سبق وأن دخلوا في جدال عبر فيسبوك حول اللغتين العربية والبربرية في الجزائر بنسبة 84.26%، بالمقابل فإن 37.17% من أفراد عينة الدراسة يرون أن موقع في لا يتسبب في صدام بين العرقين، بدعم نسبته 42.65% من طرف المبحوثين الذين لا يسبق لهم وأن دخلوا في جدال يخص اللغتين.

النتيجة الأساسية لهذا الجدول هي أنه كلما اختبر المبحوث جدالا عبر فيسبوك حول اللغات الوطنية في الجزائر، كلما زاد حكمه عليه بأنه عامل صدام بين العرقين العربي والبربري، بمعنى أن الدخول في هذه الصدامات يؤثر المبحوث الذي يختصر دور فيسبوك ومساهماته في تجاربه الشخصية، ويمكن أن يفسر ذلك بأن الدخول المتكرر في هذه الصدامات سواء من خلال المنشورات أو التعليقات أو متابعة صفحات وشخصيات معينة، يعطي خوارزميات فيسبوك تصورا وقاعدة بيانات حول الهوية الافتراضية للمبحوث، التي يشكل الدخول في هذه الصراعات جزءا منها، فيتم اقتراح المزيد من المضامين المتعلقة بأحد طرفي الصدام، ويبقى بذلك المبحوث وسط فقاعة ترشيح filter bubble مبرمجة على تكوين عالم افتراضي موضوعه الوحيد هو الصدام، وعلى أساسه يكون المبحوث على أساسه تصوّره أن فيسبوك يساهم في خلق أو تكريس الصدام بين الجزائريين من العرب والبربر.

إن مواقع التواصل الاجتماعي، التي تساهم من جهة في السيطرة على الصدامات وفرض نوع من أنواع الرقابة عليها كما رأينا في مضمون القانون الخاص بخطابات الكراهية، الذي يستخدم مواقع التواصل الاجتماعي كأدوات ضبط، تعتبر أيضا أداة قادرة على خلق تلك الصدامات أو أخرى على اختلافها أو أنها تكفي بإثارتها، فسواء كان الصدام فعليا وتم نقله إلى العالم

الافتراضي، أو خلقه فيسبوك نفسه فإنه يساهم بشكل أو بآخر فيها، نذكر هنا إجابة أحد المستجوبين عن سؤاله التي تقع في هذا السياق حول الصدام بين العرقين العربي والبربري بسبب قضية اللغة الوطنية: "هو صراع صامت.. الفيسبوك أخرجه من السرية إلى العلنية فقط.. وأضفى عليه رقابة على المستوى الرسمي" ¹.

وتوصلت دراسات في علاقة الميديا بالصراعات الإثنية إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي تساهم في نشر التفرقة والصراعات العرقية في الدولة الواحدة، على غرار نشر الخطابات التي تتعلق بالتمييز والكرهية العرقية فـ "وسائل التواصل الاجتماعي هي أداة يمكن أن تثير الصراع... ففي بعض المجتمعات تكون هذه الكراهية العرقية ناجمة إما عن القبلية أو عن تاريخ تضمن تعايشا غير سلمي بين جماعات عرقية في دولة ما، أو نتيجة للقومية والشعور بالميزة الوطنية داخل مجموعة عرقية معينة، تعد حالة كينيا والروهنجا وغيرهما من الأمثلة على الصراعات العرقية التي تسببها منصات وسائل التواصل الاجتماعي" ².

وتكثر هذه الصدامات في فترات ومناسبات معينة سواء ثقافية؛ على غرار مناسبة رأس السنة الأمازيغية وما يحيط بها من طقوس احتفالية، أو سياسية على غرار الانتخابات، وهنا أجاب أحد المستجوبين أنه رغم عدم دخوله الشخصي في هذه الصدامات فهو يلاحظها بقوة "شخصيا لم أمر بتجربة حول الصراع العرقي بين العرب والأمازيغ (لم أكن طرف فيه) لكنني لاحظت إنتشار هذا الأمر خاصة في فترة الانتخابات حيث يشتعل الصراع بين العرقين ويتبادل الطرفان الشتائم والألقاب كما أن كل طرف يريد إبراز أصل الجزائر من خلال سرد أحداث ووقائع تاريخية قد تكون حقيقة وقد تكون كاذبة وفي غالب الأحيان تنتهي التعليقات بالقذف والسب بين الطرفين...³، حتى أن هناك من صانعي المحتوى من كرسوا صفحاتهم وأبحاثهم لإثبات أحقية أحد الطرفين في أن يمثل الأساس بصفته "الأغلبية" والطرف الآخر في أن يمثله بصفته "الشعب الأصيل".

وهذه مفاهيم لم تكن دارجة في التاريخ الجزائري إلا بعد أثناء وبعد الاستعمار الفرنسي، ولم يعد إحيائهم في المرحلة المعاصرة إلا في عصر مواقع التواصل، ولأن هذه المفاهيم هي تكريس مباشر لمفاهيم ناتجة عن العولمة فإن هذا يؤكد منطلق دراستنا أن هذه المواقع هي بحق واحدة من أدواتها، "فوسائل الاعلام... هي المفتاح للعولمة، فإن "سحر" وسائل الإعلام قد عولم كل فرد تقريباً في العالم حتى عندما كان مقيداً بالحدود... وسائل الإعلام هي أداة يمكن استخدامها لإحداث أي نوع من التغيير الفعال داخل المجتمع" ⁴. على غرار مفهوم التعددية الثقافية Multiculturalism التي تشير إلى مزيج من الثقافات والأصول العرقية داخل مكان معين أو دولة قومية، كما تشير "إلى السياسات والممارسات التي تتعلق بكيفية تعريف الأقليات والتعامل مع ثقافة الأغلبية... التي تسعى إلى تكييف مختلف الثقافات والأصول العرقية كاتجاه مضاد لسياسات المحاكاة التي تؤكد أنه ينبغي أن تلتزم الأقليات بثقافة الأغلبية" ⁵، وغيرها من المفاهيم التي تعبر عن استمرار الثقافات القومية في عصر العولمة*.

¹ إجابة المستجوب رقم 9 على السؤال رقم 15 من مقابلة البحث.

² Kurtis Graham, "The ethnic conflicts and mass media", *Journal of Liberty and International Affairs*, Vol. 4, No. 1, 2018, p 65.

³ إجابة المستجوب رقم 4 على السؤال رقم 15 من مقابلة البحث.

⁴ Ibid, p 59.

⁵ أنابيل موني وبيتسي إيفانز، مرجع سبق ذكره، ص 101.

* أنظر عنصر استمرار الثقافات القومية في عصر العولمة، المطلب الأول، المبحث الأول من الفصل الثاني.

ثانيا: اعتبار فيسبوك تهديدا للوحدة الوطنية.

ولا يتوقف الأمر عند اعتبار موقع فيسبوك مساهما في الصدام بين العرقين، بل يتعداه إلى متغير آخر وهو تهديد فيسبوك للوحدة الوطنية في الجزائر، ذلك أن من أهم المفاهيم المحيطة بالهوية الوطنية هو مفهوم الوحدة، فالأخيرة تعبر عن مُنخِل ينعكس واقعيا في تماسك المجتمع، وفيها مقاومة لموجات التعدد لا التنوع وعلى رأسها موجات العولمة، فكيف يعبر المبحوثون موقع فيسبوك مساهما في تهديد هذه الوحدة؟ وما علاقة ذلك بخوضهم لجدالات حول اللغتين العربية والبربرية؟

الجدول رقم (36): علاقة دخول المبحوثين في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية برأيهم في اعتباره تهديدا للوحدة الوطنية الجزائرية.

المجموع	رأي المبحوث في اعتبار فيسبوك مهددا وحدة الوطنية الجزائرية		دخول المبحوث في جدال أو عبر فيسبوك حول العربية والبربرية في الجزائر	
	لا يهدد	يهدد		
108	50	58	التكرار	سبق وأن دخل
%100	%46.30	%53.70	النسبة المئوية	
422	263.00	159.00	التكرار	لم يسبق وأن دخل
%100	%62.32	%37.68	النسبة المئوية	
530	313	217.00	التكرار	المجموع
%100	%59.06	%40.94	النسبة المئوية	

عند ربطنا لعلاقة إحصائية بين كل من دخول المبحوثين في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية برأيهم في اعتباره تهديدا للوحدة الوطنية الجزائرية؛ وهو مضمون الجدول أعلاه، وجدنا أن 59.06% من المبحوثين لا يرون أن موقع فيسبوك يهدد الوحدة الوطنية الجزائرية بدعم من فئة الذين لا يسبق وأن دخلوا جدالا حول اللغتين العربية والبربرية عبر فيسبوك نسبته 62.32%، بالمقابل فإن 40.94% من أفراد عينة الدراسة يرون أنه يهدد الوحدة الوطنية، بدعم نسبته 53.70% من طرف فئة الذين لم يسبق وأن دخلوا في جدال في هذا الشأن، بمعنى أنه كلما زاد دخول المبحوثين في صراعات حول اللغتين عبر فيسبوك زاد اعتباره له كأداة تهدد الوحدة الوطنية الجزائرية.

إن الدخول في جدالات افتراضية يبدو أمرا بسيطا سيبقى داخل نطاق الافتراضي مادام غير فعلي وغير ملموس ومجرد، فقد تكرر لفظ "مجرد" مرارا في أجوبة المبحوثين والمستجوبين بخصوص اللغات الوطنية على غرار هذه الإجابة: "صادفت بالكثير من المواقف المشابهة، لكن هاذة تبقى عادات قديمة وفيها نوع من التعصب وفي الأخير هي مجرد لهجات أو لسانيات، ليس بالشيء الذي يدعو للتعصب أو معاداة الغير ناطقين بتلك اللهجة"¹، إلا أن هذا الصدام المجرد الذي كانت حدوده لغوية لسانية ينتقل إلى أبعاد أخرى عرقية ودينية، ويعطي المبحوثين تصوّرا عن أن وحدتهم الوطنية مهددة من طرف مضامين فيسبوك وممارساته وما يروج له ويحرض عليه المستخدمون من خلاله.

¹ إجابة المستجوب رقم 8 على السؤال رقم 15 من مقابلة البحث.

فاعتبار أحد الطرفين كما يصوره الموقع؛ أنه "أقلية لا تاريخ لها"، والطرف الآخر "مستعمر ودخيل" وأن وجود طرف هو تهديد لوجود الطرف الآخر، ينتقل من الافتراضي إلى الفعلي، ويمكن أن نضرب على هذا انتقال هذا الصدام وتصور "الدخيل" إلى الواقع الفعلي بمقتل أحد المواطنين الجزائريين الناشط "جمال بن اسماعيل" في منطقة القبائل لأن سيارته تحمل بطاقة ترقيم لولاية أخرى أغلبية سكانها من العرب، فقد اعترف أحد مرتكبي الجريمة "بأنه استولى على بطاقة هوية الضحية، ثم نادى أمام الحشد بأنه قادم من ولاية أخرى"¹، ما أدى مباشرة إلى مقتله، لتتم العودة إلى الافتراضي وتصعيد الصدام، خاصة بعدما سُمعت من مقاطع الفيديو الموثقة للجريمة؛ المعروضة بدورها على موقع فيسبوك خطابات للكرهية ضد العرب. وهذا الصدام بين العرقين اصطلاح عليه السوسولوجيون تسمية حرب الهويات الذي ما إن ينطلق فعليا إلا وتكون إرهاباته الأولى افتراضية، ف "حرب الهويات كانت قد انطلقت معاركها الأولى داخل الوسائط الاجتماعية، بمختلف أنواعها بالفيسبوك على رأسها. ارتبطت بشحنة كبيرة من الكراهية والتشكيك المتبادل بين الجزائريين، استعمل فيها كل ما هو متاح من أدوات حرب، كالتاريخ والثقافة واللغة والرموز، وغيرها من وسائل حرب الهويات"²، ففيسبوك أداة بالفعل تساهم بالتأثير على ما يمكننا تسميته السلم الهوياتي للمستخدم الجزائري إذ أنها توفر أرضية لتأجيج الصراعات وتأزيم الهوية الجزائرية.

ثالثا: اعتبار التنوع العرقي والثقافي في الجزائر هو عامل للتفكك وليس الوحدة.

كما ذكرنا سابقا فإن منظور المبحوث تجاه فيسبوك وسلياته يتجاوز الوحدة الوطنية بل ينتقل تصوّره السلبي إلى العالم الفعلي حيث يرى المبحوث -بسبب هذه الجدالات- أن ما يميّز الجزائر من تنوع عرقي ومنه تنوع ثقافي ولساني هو عامل للتفكك وليس الوحدة، وقد ركّزنا على هذا المتغير لأنه يعبر عن مظهر أو أثر مهم من آثار العولمة على الخصوصيات المحلية على غرار العرق.

الجدول رقم (37): علاقة دخول المبحوثين في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية برأيهم في الدور الذي يلعبه التنوع العرقي والثقافي في الجزائر.

المجموع	رأي المبحوث في الدور الذي يلعبه التنوع العرقي والثقافي في الجزائر		دخول المبحوث في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية في الجزائر	
	عامل قوة ووحدة	عامل ضعف وتفكك	التكرار	النسبة المئوية
108	32	76	التكرار	سبق وأن دخل
%100	%29.63	%70.37	النسبة المئوية	
422	87	335	التكرار	لم يسبق وأن دخل
%100	%20.62	%79.38	النسبة المئوية	
530	119	411	التكرار	المجموع
%100	%22.45	%77.55	النسبة المئوية	

¹ قناة العربية، "أتذكرون قضية الجزائري المحروق ظلما؟ تفاصيل مثيرة تكشف"، موقع قناة العربية، نشر في: 18 نوفمبر 2022، يوم الاطلاع: 2024-01-10، وقت الاطلاع: 02:27، الرابط: <https://www.alarabiya.net/north-africa/2023/10/16/%D8%A3%D8%AA%D8%B0%D9>.

² ناصر جاني، "لماذا لن تتوقف حرب الهويات في الجزائر؟"، جريدة القدس، نشر في: 17 ماي 2020، يوم الاطلاع: 2024-01-10، وقت الاطلاع: 02:45، الرابط: <https://www.alquds.co.uk/%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A>.

أما هذا الجدول فيوضح علاقة دخول المبحوثين في جدال عبر فيسبوك حول العربية والبربرية برأيهم في الدور الذي يلعبه التنوع العرقي والثقافي في الجزائر، ويقدم لنا المعطيات التالية: 77.55% من مبحوثينا يرون أن النوع العرقي والثقافي في الجزائر يمثل عامل قوة ووحدة للأمة الجزائرية، بدعم نسبته 79.38% من طرف المبحوثين الذين لم يسبق وأن دخلوا جدالا عبر فيسبوك حول اللغات الوطنية، بالمقابل فإن 22.45% من المبحوثين أجابوا بأن هذا النوع العرقي والثقافي هو بالعكس عامل ضعف وتفكك للوحدة الوطنية، بدعم نسبته 29.63% من طرف الذين سبق وأن دخلوا جدالا فيسبوكيا حول اللغتين.

النتيجة الرئيسة لهذا الجدول تتمثل في أن أفراد عينة الدراسة الذين سبق وأن دخلوا في جدال حول اللغتين العربية والبربرية عبر فيسبوك، يميلون إلى اعتبار التنوع العرقي والثقافي في الجزائر عاملا لتفككها وليس وحدتها والعكس، ومن هذا نستنتج أن الصدمات الافتراضية لا تبقى في حيز الرقمي بل تنتقل إلى الحياة والمفاهيم الفعلية على غرار الوحدة الوطنية.

بعيدنا مفهوم التفكك إلى المقاربة الخلدونية للهوية الوطنية القائمة على "العصبية"، الذي يرى أنه يتم الاستغناء عن الانقياد لها في حالة واحدة وهي استقرار الدولة ورياستها فيكون الولاء إليها وتجاوز العصبية¹، يعني هذا أن منظور المبحوثين إلى التنوع العرقي والثقافي على أنه عامل تفكك بسبب تجاربهم الافتراضية، يصور لهم انقسام موقع فيسبوك إلى شكل من أشكال العصبية المعاصرة تعرف بالـ **عصبية الرقمية**، وهي انتقال للمفهوم الخلدوني إلى عالم الإنترنت خاصة مواقع الأصل الاجتماعي، الفرق أن العصبية هنا أكبر بكثير ونطاقها غير محدود جغرافيا، بل أصبحت على غرار الكثير من المفاهيم عصبية كونية تسمح لأي كل من أشكال العصبية أن ينظم إليها ما دمت لديه النعرة والاستعداد لنصرة المشروع.

فالعصبية الرقمية "ليس مفهوماً عابراً في الشخصية الذاتية للأفراد، بل يشكل محركاً ذهنياً يقودهم إلى الممارسات الرقمية العصبية تحت مبررات الدفاع عن الذات، أو المعتقد، أو أهل العصبية، أو حتى البقاء. ولذلك يأتي النص الرقمي مفعلاً بالكرهية وبالعبارة الجارحة، لأن إلغاء الآخر هو غاية بحد ذاتها"²، فتفسير نتائج هذا الجدول من هذه المقاربة هو أن تكوين المبحوثين لرأيهم أن التنوع العرقي والثقافي في الجزائر هو عامل تفكك راجع إلى انتسابهم إلى عصبية رقمية يدخلون في جدالات عبر فيسبوك للدفاع عنها وإلغاء مقابلها.

إن التنوع العرقي واللغوي في الجزائر، لطالما كان عامل قوة لهويتها الوطنية (كما أجابت أغلبية مفردات عينة الدراسة بغض النظر عن الارتباطات الإحصائية)، ذلك أن "الهوية تنشأ على صورة بناء اجتماعي يؤدي إلى الانتماء إلى مجموعة فإنه من الصعب بل من المضيق للجهد والوقت البحث عن مدى نقائها لأن ذلك المسعى يؤدي حتماً إلى تنقيب لا ينتهي عن أصولها العرقية الضاربة في أعماق الزمن كما أنه في عصرنا هذا لا وجد هوية ذات بعد واحد"³، ولم يظهر في الجزائر صدام عرقي بهذا الشكل الجلي إلا بعد الاستعمار الفرنسي، الذي كان النقطة الفارقة بين العرقين واللغتين رغم تعايشهما لقرون، فالإسلام والعربية قدما إلى الجزائر في موجة التثاقف الأولى حسب الأستاذ عبد الغني مغربي؛ في القرن السابع للميلاد، وحتى وإن حدث

¹ أنظر فصل: "في أنه إذا استقرت الدولة وتمعدت قد تستغني عن العصبية"، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 185.

² نديم منصوري، **العصبية في المجتمع الرقمي: قراءة سوسيولوجية في تمدد الفكر التقليدي الموروث نحو الوسائط الرقمية**، منتدى المعارف، بيروت، 2022، ص 45.

³ محمد العربي ولد خليفة، **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية**، مرجع سبق ذكره، ص 148-149.

ووجدت انقسامات في الدويلات آنذاك أو في مرحلة الحكم العثماني فلم تكن خلفيتها عرقية بل دينية أو سياسية، لذلك يتم إرجاع هذا الصدام دائما بشكل مباشر للاستعمار الفرنسي.

حتى إن من أفراد العينة -من المستجوبين- من أجاب أن الجانب الفرنسي اليوم هو المتحكم في هذا الصدام عبر فيسبوك والمستغل، فلما سألنا عن اعتبار فيسبوك فضاءً يروج للصدام بين اللسانين والعرقين أجاب: "أُكيد مررت بها، لكن فكرة العرق تبدو فكرة غير واقعية خصوصا بالنسبة لأنصار الرواية الأمازيغية، وأعتبر أن الأمر مجرد حرب بالنيابة بين الثقافة العربية القوية جدا، والثقافة الفرنسية التي تستغل هشاشة الثقافة الفرعية لتحقيق أهدافها"¹، فهناك تصوّر أو ربما قناعة بأن فيسبوك اليوم فضاءً لاستعمار بارد تظهر آثاره دون ظهور مسبباته.

عرفنا من خلال هذا المطلب توقع المبحوثين من اللغات الوطنية والعالمية فعليا ثم عبر فيسبوك، ومنظورهم لاستخدام هذه اللغات ثم تبريراتهم لاستخدامها، كما عرضنا الطريقة والمدى الذي يمكن لموقع فيسبوك أن يمثل فضاءً لعرض وتجسيد الواقع اللغوي الجزائري خاصة فيما يخص الصدام الملاحظ بين اللسانين العربي والبربري، ذلك أن هذا الصدام هو نتيجة مباشرة للكونولونية الفرنسية، ومنه عرضنا المدى الذي يكرس به فيسبوك هذا الصدام كنوع من لكونولونية الجديدة، فالعولمة في المبحث الأول هي عولمة للغات العالم نحو الداخل، وعولمة للواقع اللغوي الجزائري نحو الخارج، وكل ذلك تمهيدا لمعرفة ممارساتهم اللغوية الاتصالية التي تجمع كل تلك اللغات إضافة إلى لغة رموز ابتدعتها سياقات التواصل الرقمي، كشكل آخر من أشكال العولمة اللغوية.

المبحث الثاني: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: العولمة اللغوية واختراع اللغات الجديدة عبر فيسبوك.

إننا في هذا الجزء من العمل نفترض أن العولمة اللغوية عبر فيسبوك تتجاوز نقلها للغات العالم من مكان إلى آخر جغرافيا وثقافيا، إلى نقلها واختراعها للغات وأساليب لغوية جديدة ووليدة للعصر التقني، مستخدمة عالميا، وتأخذ في نفس الوقت من المحلي خصوصياته، وهذا هو موضوع المبحث الثاني الذي يقع في صميم الفرضية الثانية.

المطلب الأول: تبديل الرموز كممارسة لغوية اتصالية لدى المبحوثين: التبديل بين اللغات.

من أهم الملاحظات المسجلة حول الاختراعات التواصلية في عالم التقنية هو اختراع ممارسات لغوية اتصالية جديدة تميز جيل هذا العصر، والتي تتمظهر عبر موقع فيسبوك في أشكال مختلفة من هذه الممارسات، فوظيفته الأساسية هي التواصل، والذي يتطلب بطبيعة الحال وجود لغة تجمع بين خصوصية المستخدم من جهة وتناسب مع الطابع الافتراضي للموقع من جهة أخرى، ومن أهم الممارسات اللغوية الاتصالية والتي تميز استخدام الجزائريين لخصوصيتهم اللغوية هي ممارسة "تبديل الرموز" Codeswitching.

تبديل الرموز هو سلوك لغوي شائع بين المجتمعات متعددة اللغات والألسن مثل المجتمع الجزائري، فهناك ما لا يقل عن خمس لغات ولهجات مستعملة كل لغة لها سمة فريدة من نوعها التاريخ وأوضاعها السياسية اللغة العربية المعاصرة Modern-

¹ إجابة المستجوب رقم 6 على السؤال رقم 15 من مقابلة البحث.

Standard Arabic كلغة رسمية، البربرية Berber (تمزيغت) كلغة وطنية ورسمية جديدة، العربية الجزائرية Algerian Arabic أو العامية كلغة التواصل اليومي، اللغات الأجنبية الفرنسية كلغة أجنبية أولى، واللغة الإنجليزية كلغة أجنبية ثانية¹، وسيؤدي وجود أكثر من لغة أو مجموعة متنوعة من اللغات في الذخيرة اللغوية للفرد حتماً إلى التبدل بينها عند التحدث، كاستراتيجية عندما لا يتم العثور على مكافئ لكلمة معينة في اللغة المستخدمة للكلام أو إذا كانت الكتابة طويلة جداً وتستغرق وقتاً طويلاً، ويعرف هذا النوع من الممارسات اللغوية بـ "الهجين اللغوي"، إذ تعتبر الهجانة من أهم المفاهيم المرتبطة بالعوامة التي تفترض وجود هوية، ثقافة أو لغة بينية تنهل من أكثر من جانب، سمينها سابقاً اللغة الكريولية أو لغة الفضاء الثالث في الدراسات ما بعد الكولونيالية.

ويمكن أن تستخدم كل الرموز سابقة الذكر في عبارة واحدة، ويمكننا أن ندرج أشكالاً من تبدل الرموز لدى عينة الدراسة، كما سنفرق كلا منها إحصائياته، وهما: التبدل بين اللغات، وتبدل الكلام باختصارات، والحروف بأرقام، استخدام الحروف اللاتينية للتعبيرات العربية والتعبيرات العربية للحروف اللاتينية.

• **أولاً: التبدل بين اللغات:** ويعني هذا التبدل بين لغة وأخرى في نفس العبارة، وفيها تعبير عن تفكير المستخدم بعدة لغات ولهجات في نفس اللحظة، على سبيل المثال: التبدل بين العربية الفصحى والدارجة الجزائرية، مثلاً: "معرفياً لازم نقولو أنّ الذاكرة جزء من الهوية مشي العكس"، وكذا بين الإنجليزية والفرنسية والجزائرية المكتوبة باللاتينية، مثلاً: «Oui Ihamdoullah mais I will be better incha'aallah»، إضافة إلى تبدل الحروف اللاتينية بالعربية مع إبقاء التعبير اللاتيني، مثل: بونجور.

• **ثانياً: تبدل العربية الفصحى والدارجة الجزائرية بالحروف اللاتينية:** وهذا يعني أن يتم تعويض الحروف العربية بالحروف اللاتينية مع إبقاء التعبير ذي دلالة عربية، مثلاً: Tahia L'djazair.

• **ثالثاً: تبدل الحروف بالأرقام:** ويقع خاصة عند استخدام الحروف اللاتينية للتعبيرات العربية وعدم إيجاد بديل للحرف العربي في اللاتينية، فيتم تعويضه برقم يشبه الحرف العربي أو يقترب منه، مثلاً: Salam 3alaykom, 7na n9olou.. فكان العين يكتب الرقم ثلاثة، ومكان الحاء يكتب الرقم سبعة، أما مكان القاف فيكتب الرقم تسعة وهكذا، وهو التبدل الذي أصبح أغلب مستخدمي موقع فيسبوك الجزائريين قادرين على فك تشفيره.

كما أن هناك نوعاً آخر من أنواع التبدل ولكنها لا تمس اللغة العربية لعدم إمكانية تطبيقه معها، لكنها ممارسة تخص المستخدمين الجزائريين الذين يكتبون باللاتينية وهي تبدل الكلمات باختصاراتها، فبدل كلمة toujours يكتب المستخدم tjr، وبدل كلمة Okay يكتب المستخدم حرف K فقط.

¹ Karima Hocine, "The Anglicization of Algerian Netizens: A Multimodal Social Semiotic Study", Ph.D Dissertation, Faculty of Letters and Languages, Mouloud MAMMERI University of Tizi-Ouzou, 2021, p 69.

الجدول رقم (38): مدى استخدام المبحوثين للتبديلات اللغوية عبر موقع فيسبوك.

المجموع	مدى استخدام المبحوثين للتبديلات اللغوية.				التبديلات اللغوية المنتشرة بين المستخدمين الجزائريين	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	النسبة المئوية
530	71	158	168	133	التكرار	كتابة التعبيرات العربية بالحروف اللاتينية
%100	%13.40	%29.81	%31.70	%25.09	النسبة المئوية	
530	98	187	173	72	التكرار	كتابة التعبيرات اللاتينية بالحروف العربية
%100	%18.94	%35.28	%32.64	%13.58	النسبة المئوية	
530	103	147	158	122	التكرار	كتابة الأرقام بدل بعض الحروف العربية
%100	%19.43	%27.74	%29.81	%23.02	النسبة المئوية	
1590	272	492	499	327	التكرار	المجموع
%100	%17.11	%30.94	%31.38	%20.57	النسبة المئوية	

الجدول أعلاه هو جدول مركب يوضح مدى استخدام المبحوثين للتبديلات اللغوية عبر موقع فيسبوك، وهي: كتابة التعبيرات العربية بالحروف اللاتينية، كتابة التعبيرات اللاتينية بالحروف العربية وكتابة الأرقام بدل بعض الحروف العربية، ويتضح لنا من خلاله حسب كل نوع من أنواع التبديل (لأنه جدول لا يفترض وجود علاقات) ما يلي:

- النسبة الأكبر من المبحوثين أجابوا بأنهم أحيانا ما يكتبون التعبيرات العربية بالحروف اللاتينية، وتقدر بـ 31.70% تليها بنسبة غير بعيدة قدرها 29.81% فئة المبحوثين الذي نادرا ما يكتبون بهذا الأسلوب، وبهذا نسبة المبحوثين الذين دائما ما يكتبون به بنسبة 25.09% وهي أعلى نسبة في النسب الداخلية للذين أجابوا بالإيجاب المطلق "دائما"، وتجيء في الأخير نسبة المبحوثين الذي لا يستخدمون هذا الأسلوب أبدا في استخدامهم لموقع فيسبوك بنسبة 13.40% وهي أقل نسبة في النسب الداخلية للجدول.
- بالنسبة للتبديل اللغوي المتعلق بكتابة التعبيرات اللاتينية بالحروف العربية، فإن 35.28% من المبحوثين أجابوا بأنهم نادرا ما يفعلون ذلك، ثم بعدها نسبة المبحوثين الذي أجابوا أنهم أحيانا ما يستخدمون هذا النوع من التبديلات اللغوية وذلك بنسبة 32.64%، بعدها ونسبة أقل بكثير، نسبة المبحوثين الذين أجابوا بأنهم لا يستخدمون هذا الأسلوب أبدا بنسبة 18.94% وفي الأخير نسبة المبحوثين الذين أجابوا بأنهم يستخدمون هذا الأسلوب دائما بنسبة 13.58% وهي أقل نسبة في النسب الداخلية للجدول من حيث الإجابة "دائما".
- أما بالنسبة لأسلوب كتابة الأرقام بدل بعض الحروف العربية فإن النسبة الأكبر والمقدر بـ 29.81% تمثلت في الذين أجابوا بأنهم أحيانا ما يستخدمون هذا الأسلوب، بعدها بنسبة قليلة جاءت فئة المبحوثين الذين نادرا ما يستخدمونه بنسبة 27.74%، لتأتي بعدها فئة المبحوثين الذين أجابوا بأنهم دائما ما يستخدمون هذا الأسلوب بنسبة 23.02%، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذي أجابوا بأنهم لا يستخدمون أبدا هذا الأسلوب بنسبة 19.43%، وهي أكبر نسبة داخلية في الجدول للذين أجابوا بالنفي المطلق "أبدا".

ففي دراسة للباحثة الجزائرية فردوس عبد الحميد وجدت من خلال عينة بحثها المتضمنة منشورات وتعليقات لـ 60 صفحة جزائرية، أن 30% من الخطابات في فيسبوك الجزائري عبارة عن تبديل لغوي يتم عادة بين أربعة رموز أساسية وبأساليب مختلفة ومتعددة تشمل أن يكون الخطاب متشكلا من أكثر من لغة واحدة سواء في معناها أو في الحروف التي رسمت بها بين عربي ولاتيني وهي: العربية الجزائرية بنسبة 59%، العربية الفصحى المعاصرة 20%، الفرنسية 17%، والإنجليزية بنسبة 4% كأقل نسبة¹.

ونلاحظ في الجدول أعلاه أن أكبر نسبة من التبديلات (بين دائما وأحيانا) هي كتابة التعبيرات العربية بالحروف اللاتينية، وتتناقص النسب عندما يتعلق الأمر بكتابة التعبيرات اللاتينية بالحروف العربية، ويعود للارتفاع نسبيا عند كتابة الأرقام بدل بعض الحروف العربية والذي يعني عدم الاكتفاء بإدخال نوع واحد من الرموز على العربية (الحرف اللاتيني) بل يتجاوز ذلك إلى إدخال الأرقام، هنا نلاحظ أن المبحوث علق بين الرغبة في الاقتراب من الرسم العربي للحروف ولكن في ذات الوقت الابتعاد عنه.

يرى باحثون أن ظاهرة التبديلات اللغوية فكرة ضاربة في القدم، وهي مرتبطة بشكل أساسي بالعداء ضد الإسلام ولغته العربية، ففي التأصيل التاريخي لهذه التبديلات يمكن الرجوع إلى صفحات التاريخ الأندلسي، فعند سقوط الأندلس وأيام محاكم التفتيش حظر الملك آنذاك فيليب الثاني سنة 1556 استعمال العربية فكان الأندلسيون خاصة المنتصرون منهم يكتبون العربية بأحرف إسبانية أي لاتينية، ويعتبر فرض مصطفى كمال أتاتورك لشروط عديد تفصل تركيا عن الدين الإسلام بما فيها حظر الحروف العربية مقابل اللاتينية مثالا لا يزال ملاحظا إلى اليوم²، وتواصلت ظاهرة التبديل إلى أن وصلت في المشرق العربي إلى تلهيج العامية المشرقية بالإنجليزية وفي المغرب العربي إلى تلهيج العامية المغاربية بالألفاظ الفرنكوفونية أثناء أو بعد حقبة الاستعمار الأوروبية للمنطقة.

ومنه فإن هذه الظاهرة هي سابقة لوسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، لكن تكريسها وانتشارها المعاصر هو مرتبط بها، فهي تعيد بعث الحرف اللاتيني وأفضليته على العربي، والأكثر من ذلك أن ما كان سابقا واقعا بالقوة والعنف من طرف الاستعمار أو الأنظمة المستبدية التي تضطر أصحاب اللسان العربي إلى تغيير تعبيراتهم أو حروفها، أصبح في عصر فيسبوك مكفولا دون وجود أي عنف نوع من أنواع العنف سياسيا كان أو عسكريا بل في ظل وجود عنف تمارسه العولمة.

ونجد معالم هذه اللغة وآثارها على اللغة منذ السنوات الأولى لدخولها إلى العالم العربي، ففي دراسة أجريت عام 2004 في وقت سابق لإنشاء فيسبوك- حول اعتبار انتشار اللغة الإنجليزية عبر الإنترنت كبعد من أبعاد العولمة، ومدى تأثيرها عن طريق الإنترنت في خلق لغات جديدة في مناطق مختلفة من العالم، ذكر الباحث الذي اختار جمهورية مصر كواحدة من الدول العربية حديثة العهد بالإنترنت أن اللغة العربية الفصحى لطالما مثلت اللغة الرسمية للكتب والصحف ونشرات الأخبار التلفزيونية والخطب، إذ يتم استخدام الدارجة في الكلام غير الرسمي ونادرا ما يتم استخدامها في الكتابة كما هو الحال في الدول القومية

¹ Firdous Abdelhamid, "Investigating Algerians' Codeswitching On Facebook Pages", 12th Language at the University of Essex Postgraduate Conference (LangUE), University of Essex, United Kingdom, 2018, pp 4 – 7.

² راضية صحراوي، "الفرانكوأراب: واقع استعمال العربية في مواقع التواصل الاجتماعي"، في: التكنولوجيا الجديدة ودورها في صناعة اللغة العربية واستعمالها، أعمال ملتقى، منشورات المجلس، الجزائر، 2017، ص ص 305-307.

العربية الأخرى حسب قوله، ثم استرسل ليوضح ظهور منافس ليس للغة العربية فحسب بل حتى لدارجات الدول العربية وهي "لغة الإنترنت" قائلا "لقد تطور وانتشر شكل جديد من العامية العربية المصرية المكتوبة بالحروف اللاتينية في البريد الإلكتروني غير الرسمي وغرف الدردشة التواصل بين المستخدمين المصريين... يتم تمثيل اللغة العربية المصرية الآن على شبكة الإنترنت في شكل كتابي غير مسبوق: يتميز بـ ازدواجية لغوية جديدة وغير عادية بين لغة أجنبية، الإنجليزية، والشكل الروماني العامي للغة العربية الذي كان له تأثير كبير على اللغة العربية"¹، فالتبديلات وجدت بمجرد اكتشاف العرب للإنترنت وغرف دردشتها.

ونجد اللغة الناتجة عن التبديلات اللغوية سواء بمزج اللغات، أو باستخدام حروف بلغة مغايرة للغة التعبيرات تأخذ تسميات عدة نلاحظها غالبا في الدراسات العلمية المتناولة لهذه الظاهرة، منها **العريزي** الذي هو مصطلح اشتق من كلمتي (عربي - انجليزي)؛ **أرابيش** وهو مصطلح اشتق من كلمتي (أراب - arab - إنقلش english)؛ **الفرانكو - آراب**، وهو مصطلح اشتق من كلمتي (franco-arabe)، وكذا لغة التشتات The Arabic chat alphabet²، بمعنى الحروف العربية المستخدمة في الدردشة، على أساس أنها لغة تم ابتكارها لتغطية غياب الحروف العربية في الهواتف المحمولة القديمة التي كانت مزودة بخاصية اتصالية وحيدة من غير المكالمات وهي الرسائل القصيرة.

كنا في محور البيانات الشخصية في الفصل الرابع قد ذكرنا أن المراحل العمرية وسن المستخدم متغير مهم بفهم علاقته بالتكنولوجيا، والجدول الموالي يبين هذه الأهمية.

الجدول رقم (39): علاقة سن المبحوثين بمدى كتابتهم للتعبيرات العربية بالحروف اللاتينية.

المجموع	كتابة التعبيرات العربية بالحروف اللاتينية				الفئات العمرية للمبحوثين	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	من 14 إلى 23 سنة
66	03	15	17	31	التكرار	من 14 إلى 23 سنة
%100	%04.55	%22.73	%25.76	%46.97	النسبة المئوية	
284	29	84	89	82	التكرار	من 24 إلى 33 سنة
%100	%10.21	%29.58	%31.34	%28.87	النسبة المئوية	
130	23	43	50	14	التكرار	من 34 إلى 43 سنة
%100	%17.69	%33.08	%38.46	%10.77	النسبة المئوية	
33	07	14	09	03	التكرار	من 44 إلى 53 سنة
%100	%21.21	%42.42	%27.27	%09.09	النسبة المئوية	
17	09	02	03	03	التكرار	من 54 إلى 63 سنة
%100	%52.94	%11.76	%17.65	%17.65	النسبة المئوية	
530	71	158	168	133	التكرار	المجموع
%100	%13.40	%29.81	%31.70	%25.09	النسبة المئوية	

¹ Daniel Dor, "From Englishization to Imposed Multilingualism: Globalization, the Internet, and the Political Economy of the Linguistic Code", **Public Culture**, Vol.16, No.1, winter 2004, pp 99-100.

² راضية صحراوي، مرجع سبق ذكره، ص 302.

يمثل الجدول أعلاه علاقة سن المبحوث بمدى كتابته للتعبيرات العربية بالحروف اللاتينية، ونلاحظ من خلاله أن 31.70% من المبحوثين يستخدمون أحيانا التعبيرات العربية بالحروف اللاتينية بدعم نسبته 38.46% من فئة المبحوثين الذين ينتمون إلى الفئة العمرية 34-35 سنة، غير بعيد منها نسبة المبحوثين الذين نادرا ما يستخدمون هذا الأسلوب اللغوي الاتصالي بنسبة 29.81% بدعم قدره 42.42% من الذين ينتمون إلى الفئة العمرية 44-53 سنة، تأتي بعدها نسبة المبحوثين الذين دائما ما يستخدمون هذا الأسلوب المقدر بـ 25.09% بدعم من فئة المبحوثين الذين تتراوح أعمارهم بين 14 و 23 سنة نسبته 42.97% وفي الأخير تجيء نسبة المبحوثين الذين لا يستخدمون أبدا هذا الأسلوب بدعم قدره 52.94%.

النتيجة الرئيسية للجدول تتمثل في أنه كلما زاد عمر المبحوث كلما قلّ استخدامه للتعبيرات العربية بالحروف اللاتينية والعكس صحيح، أي كلما اتجهنا نحو الجيل Z كلما زاد استخدام هذا النوع من التبديلات اللغوية، ويمكن أن يفسر ذلك بأن الجيل Z هم الأكثر استخداما للإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، ومنه فإنهم أكثر عرضة وقابلية لتعلم الأساليب اللغوية والاتصالية الخاصة بها، فكما رأينا في الفصل الرابع* النسبة الكبرى من مستخدمي موقع فيسبوك في الجزائر هم من فئة الجيل Z وكلما اتجهنا إلى عمر أكبر قلت نسبته، ذلك أن اللغة تتغير وتتكيف دائما مع احتياجات مستخدميها، وطالما أن احتياجات مستخدمي اللغة مستمرة في التغير، فإن اللغة ستتغير أيضًا، فاللغة تعكس ثقافتنا وخبراتنا المتغيرة، والفرق بين الأجيال الأكبر سنا والأصغر في هذه الحالة هو أن الجيل الأصغر أنه هو مخترع هذه اللغة، أكثر اطلاعا، أسهل تأقلا، وأكثر احتياجا للإحاطة بها لأنها تعتبر لغة حياته الافتراضية، فهم ينتمون إلى جيل "الإصبع الصغيرة" كما سماء ميشال سير Michelle Serr الذي يتفاعل في إطار شبكات التواصل الاجتماعي عن طريق إنتاج واستهلاك الإشارات والرموز.

فحسب دراسة تفسر قدرة الأجيال الجديدة للإنترنت من ابتكار لغات جديدة فإن غالبية التغيرات التي تحدث في اللغات غالبًا ما تبدأ من جانب الشباب والمراهقين، ذلك أن ابتكارهم وتغييرهم للغات يمكنهم من الانتماء إلى مجموعات منظمة ذاتيًا من الأقران، الزملاء والأصدقاء.. وغيرها من الجماعات، ويشكلون جيلا خاصا بهم يعرف بجيل "نحن"، ومع تفاعلهم، تبدأ اللغة في النمو بشكل مختلف مما جعلهم مميزين بشكل ملحوظ عن الأجيال السابقة أي أنهم يخلقون لغتهم الخاصة بهم المستندة بالأساس إلى التكنولوجيا كونها تشكل جزءًا مهمًا من تكوين هويات الأجيال الأصغر سنا فأصبحت اللغات الافتراضية المبتكرة من طرف هذا الجيل تعرف بـ باللغة العامية للجيل Gen Z slang¹.

يمكن تفسير نتيجة الجدول من جانب آخر، وهو مدى استخدام المبحوثين من الفئات العمرية للغات عبر فيسبوك، فإذا ربطنا بين متغيري الفئات العمرية للمبحوثين وبين اللغة التي يستخدمونها عبر فيسبوك نجد أن الفئات الأصغر سنا تستخدم الدارجة الجزائرية بنسبة أكبر؛ والفئة 14-23 تستخدمها بنسبة 45.83% وهي أعلى نسبة لاستخدام الدارجة في كل الفئات، وبعدها الفئة 24-33 بنسبة 43.55%، بينما لو نظرنا إلى أي فئة تستخدم الفصحى عبر فيسبوك بنسبة أكبر نجد أنها فئة

* أنظر في الفصل الرابع الشكل رقم (11) الممثل لتوزيع مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك الجزائريين حسب متغيري الجنس والسن ابتداء من شهر جوان 2023.

¹ Eliza M. Jersano and Marigrace D. Carretero, "Digital Culture and Social Media Slang of Gen Z", **United International Journal for Research & Technology**, Vol. 3, Issue 04, 2022, pp 11-12.

المبحوثين الأكبر سناً، فالفئة 53-44 تستخدمها بنسبة 41.18% والفئة 63-54 تستخدمها بنسبة 40%. فهذا النوع من التبديلات هو مقترن باستخدام الدارجة الجزائرية، لأنها مختلطة بالأساس بالكثير من الألفاظ الفرنسية، وهذا يوصلنا إلى استنتاج آخر أن الفئات الأصغر من أفراد عينة الدراسة يتبعون عن استخدام اللغة العربية كمعنى ومبنى كذلك.

الجدول رقم (40): علاقة استخدام المبحوثين للدارجة الجزائرية بكتاباتهم للتعبيرات اللاتينية بالحروف العربية.

المجموع	كتابة التعبيرات اللاتينية بالحروف العربية				استخدام المبحوث للدارجة الجزائرية عبر فيسبوك	
	أبداً	نادراً	أحياناً	دائماً	التكرار	النسبة المئوية
394	59	135	134	66	التكرار	النسبة المئوية
%100	%14.97	%34.26	%34.01	%16.75	التكرار	النسبة المئوية
136	39	52	39	06	التكرار	النسبة المئوية
%100	%28.68	%38.24	%28.68	%04.41	التكرار	النسبة المئوية
530	98	187	173	72	التكرار	النسبة المئوية
%100	%18.94	%35.28	%32.64	%13.58	التكرار	النسبة المئوية

الجدول أعلاه هو جدول يربط علاقة بين استخدام المبحوثين للدارجة الجزائرية عبر فيسبوك كمتغير مستقل، وبين كتاباتهم للتعبيرات اللاتينية بالحروف العربية كمتغير تابع، ونلاحظ من خلاله أن أفراد عين الدراسة نادراً ما يستخدمون التعبيرات اللاتينية بالحروف العربية بنسبة 35.28%، بدعم نسبته 38.24% من طرف الذين لا يستخدمون الدارجة الجزائرية عبر فيسبوك، بعدها نسبة المبحوثين الذين أحياناً ما يستخدمون أسلوب التعبير اللاتيني بالحروف العربية بنسبة 32.64% بدعم نسبته 34.01% من فئة الذي يستخدمون الدارجة عبر فيسبوك، تليها نسبة المبحوثين الذين أجابوا بأنهم لا يستخدمون أسلوب كتابة التعبيرات اللاتينية بالحروف العربية بنسبة 18.94% بدعم نسبته 28.68% من طرف الذين لا يستخدمون الدارجة الجزائرية، وفي الأخير تجيء نسبة المبحوثين الذين دائماً ما يستخدمون هذا الأسلوب في الكتابة بنسبة 13.58% بدعم من فئة الذين يستخدمون الدارجة الجزائرية في تعاملهم اليومي عبر موقع فيسبوك بدعم نسبته 16.75%.

النتيجة الرئيسية لهذا الجدول مكملة ومؤكدة لنتيجة الجدول السابق له، وهي أنه كلما زاد استخدام المبحوث للدارجة عبر فيسبوك زادت كتابته للتعبيرات اللاتينية بالحروف العربية، ويمكن تفسير ذلك بأن استخدام المبحوث للدارجة الجزائرية القائمة على الحروف العربية، فإنه بطريقة أو بأخرى سيستخدم في خضمها كلمة فرنسية أو إنجليزية، والتي يواصل كتابتها بالحروف العربية في سياق حديثه، وذلك في الأغلب لتفادي تغيير لغة لوحة المفاتيح، أجاب المبحوث رقم 205: "أكتب أحياناً كتابة لاتينية بأحرف عربية لأنني تعودت على استخدام بعض الكلمات الدخيلة على لهجتنا..".

هذا النوع من التبديلات يجعلنا نستذكر أبو القاسم سعد الله في إحدى رحلاته إلى القاهرة المصرية وملاحظته لتعريب وكتابة الأسماء الإنجليزية بالحروف العربية فـ "أسماء مثل كافيتيريا وريستهاوس شائعة بلا عقدة ولا شعور بالغرابة على الذوق العربي. التقليد كما يقول اللغويون يبدأ بالملح أو التفكه أو التعالي ثم تألفه الأذن واللسان وحتى العين"¹، وهو واقع الحال اليوم،

¹ أبو القاسم سعد الله، هوم حضارية، دار الأمة، الجزائر، 1993، ص 22.

فالتبديل اللغوي لم يعد غريبا بل أصبح رمزا من رموز العصر حتى خالط اللغات العلمية الإعلامية والأكاديمية. وهي نتيجة مشابهة لنتيجة إحدى الدراسات السابقة التي انتهت إلى "أن الغالبية الساحقة من المبحوثين يستخدمون اللغة الجديدة عبر الفيسبوك، بالرغم من التباين بينهم في طرق استخدامهم لهذه اللغة"¹، وقرأها على أنها نوع من أنواع الانتشار الثقافي القسري للسماة الثقافية في شقه السلبي عبر موقع فيسبوك.

الجدول رقم (41): علاقة استخدام المبحوثين للعربية الفصحى بكتابتهم للأرقام بدل بعض الحروف العربية.

المجموع	كتابة الأرقام بدل بعض الحروف العربية				استخدام المبحوث للغة العربية الفصحى عبر فيسبوك	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	يستخدمها
273	78	86	71	38	التكرار	يستخدمها
%100	%28.57	%31.50	%26.01	%13.92	النسبة المئوية	
257	25	61	87	84	التكرار	لا يستخدمها
%100	%09.73	%23.74	%33.85	%32.68	النسبة المئوية	
530	103	147	158	122	التكرار	المجموع
%100	%19.43	%27.74	%29.81	%23.02	النسبة المئوية	

الجدول أعلاه يوضح ارتباطا بين استخدام المبحوث للعربية الفصحى بكتابته للأرقام بدل بعض الحروف العربية، ومن خلاله نلاحظ أن 29.81% من المبحوثين يستخدمون أحيانا أسلوب كتابة الأرقام بدل بعض الحروف العربية بدعم نسبته 33.85% من طرف فئة المبحوثين الذين يستخدمون اللغة العربية الفصحى عبر موقع فيسبوك، بعدها تجيء نسبة المبحوثين الذين نادرا ما يستخدمون هذا الأسلوب في الكتابة، والمقدرة بـ 27.74% بدعم نسبة تقدر بـ 31.50% من طرف المبحوثين الذين يستخدمون اللغة العربية الفصحى في تعاملهم اليومي عبر فيسبوك، كما نلاحظ أن 23.02% من المبحوثين دائما ما يستخدمون هذا النوع من الكتابة بدعم نسبته 32.68% من طرف المبحوثين الذين لا يستخدمون الفصحى عبر فيسبوك، وفي الأخير تجيء نسبة المبحوثين الذين لا يستخدمون أبدا الأرقام بدل الحروف العربية في التعبير العربي باللاتينية، والمقدرة بـ 19.43%، بدعم نسبته 28.57% من طرف الذين يستخدمون الفصحى عبر فيسبوك.

النتيجة الرئيسية لهذا الجدول تؤكد نتيجة الجدولين السابقين، فكلما زاد استخدام اللغة العربية الفصحى بمنطوقها ومكتوبها السليمين قلت نسبة استخدام الأرقام كتعويض للحروف العربية غير الموجودة في الأبجدية اللاتينية، وهذه الكتابة تجمع نوعين من التبديلات، كتابة التعابير العربية بالحروف اللاتينية ثم كتابة الحروف على شكل أرقام فهو تبديل على مرحلتين.

كما قلنا سابقا، فإن لكل حرف غير موجود في الرسم اللاتيني بديل من لغة الأرقام، فالهمزة يقابلها رقم 2، والحاء تحابلها الـ 7، والهاء تقابلها الـ 5، لكن الأكثر من ذلك أنه تم تكييفها مع خصائص اللغة العربية كالنقطة التي تفرق بين حرفين مكتوبين بنفس الشكل، فمثلا: حرف العين يعوّض بالرقم 3، ولرسم حرف الغين تم إضافة شولة (على أساس أنها نقطة) إلى الرقم

¹ وادم العيد، مرجع سبق ذكره، 285.

فتصبح 3، وبنفس المنطق رقم 6 يعبر على الحرف طاء، و6 عن الحرف ظاء، وغيرها من الأرقام التي تعوض الحروف غير الموجودة في الرسم اللاتيني، وقد تعود عليها المستخدمون إلى درجة أن بعض المبحوثين لما سألنا عن سبب استخدامهم للغات الأجنبية بدل العربية، استعملوا هذا النوع من التبديلات، على غرار المبحوث رقم 44: "Walft" أي تعودت، وأجاب المبحوث رقم 435: "9raya bel français, guesra m3a entourage bl'algerien" أي أستخدم للدراسة اللغة الفرنسية، وللترفيه والمزاح مع محيطي أستخدم الدارجة الجزائرية.

وهنا علينا أن نتساءل هنا، ما الذي يدفع المستخدم إلى بذل كل هذا الجهد لتجنب الكتابة بالحرف العربي؟ أو بالأحرى للاقتراب من اللغة العربية وفي نفس اللحظة الابتعاد عنها؟ فرغم وجود إجابات مبدئية على غرار أن بعض الأنظمة المعلوماتية لا تدعم الحروف العربية، وأن هذه اللغة أصبحت شائعة بين أوساط المستخدمين؛ وأن هناك نوعاً من أنواع المتعة في خلق شيفرات وفك شيفرات جديدة، ورغم أن هناك لغات مثل الفارسية والأردية تحتوي على حروف غير موجودة في اللاتينية كالقاف والحاء إلا أننا لا نلاحظ هذه الظاهرة إلا في اللغة العربية، يفسر هذا بالإمبريالية اللغوية التي تمارسها العولمة على باقي لغات العالم غير المسيطرة حضارتها أو الغالبة، وهنا نستذكر تفسير ابن خلدون للاقتداء بالأهم في سائر أحواله، ببقوله أن المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب "والتسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقاد إليه...فانتحلّت جميع مذاهب الغالب وانقادَتْ إليه وذلك هو الاقتداء"¹.

ونرى أن تطبيقات الإنترنت تساهم في تكريس هذا النوع من التبديلات لدى المستخدمين ممن يكتبون بالمعنى العربي ولكن بالحرف اللاتيني، فنزولاً عن رغبة المستخدمين وتسهيلاً لانعتاقهم من الحرف العربي نجد أن شركة مثل قوقل كانت قد أطلقت في وقت سابق نظاماً أو وصلة Extension تساعد المستخدمين غير المتمكنين من الحروف العربية من الترجمة الصوتية باللغة العربية كما تساعد المستخدمين على تحويل الكلمات العربية المكتوبة بالحروف اللاتينية لتصبح مكتوبة بالحروف العربية، وأطلقت على هذه الوصلة تسمية² Google Ta3reeb، وهي تسمية تحمل نوحين من التبديل، كتابة الكلمة العربية بالحرف اللاتيني، وكتابة المقابل من الحرف العربي على شكل رقم، وهذا لا يحدث إلا مع اللغة العربية والنطقين بها، فلا نجد على سبيل المثال من الناطقين بأي لغة يكتبون تعبيرات لغاتهم بحروف أخرى أو يستلفون منها حروفاً، أو يعوضون حروفها برموز على غرار الأرقام إلا عن الناطقين باللغة العربية.

المطلب الثاني: استخدام الرموز، الملصقات والميمات كممارسة لغوية اتصالية لدى المبحوثين.

للمرموز والملصقات Emojis and Stickers أهمية تواصلية كبيرة، فهي محاولة لتجسيد مشاعر وأحاسيس وردود فعل وأفكار على شكل رموز تعبيرية تقرب المعاني وتختصرها، بدأت في تسعينيات القرن الماضي في اليابان، إذا أدخلتها شركة يابانية للهواتف للمساعدة في تسهيل التواصل، وقد وصلت أهميتها إلى درجة اختيار أحدها وهو "وجه بدموع الفرح" 😊

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 176.

² رابط الوصلة على موقع متجر شركة قوقل: <https://chromewebstore.google.com/detail/ta3reeb/eoiidoldfipbbcccgembkmbmgigckc>.

ليكون "كلمة قواميس أسفورد للعام 2015"¹، إذ تكمن المفارقة في أنها ليست كلمة بالمعنى الحرفي للكلمة إلا أنها عبارة عن رسوم توضيحية رقمية تمثل به أجهزة الكمبيوتر النصوص. كما يوجد نوع آخر من التعبيرات المجسدة المستخدمة عبر فيسبوك وهي الميمات Memes، الفرق أنها لا تقوم على رموز وملصقات مصممة بل هي عبارة عن صور مقتطفة من فيديوهات الواقع، أفلام ذات معنى متداول في زمان ومكان معينين، تستخدم كدلالة هزلية على حدث أو واقعة اختصارا للكلام وتقريبا للمعنى.

الجدول رقم (42): مدى استخدام الباحثين للرموز، الملصقات والميمات عبر فيسبوك.

المجموع	مدى استخدام الباحثين للرموز التعبيرية				الرموز، الملصقات والميمات المستخدمة عبر فيسبوك	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما		
530	15	47	207	261	التكرار	استخدام الرموز التعبيرية
%100	%02.83	%08.87	%39.06	%49.25	النسبة المئوية	Emojis
530	38	145	243	104	التكرار	استخدام الملصقات التعبيرية
%100	%27.36	%27.36	%45.85	%19.62	النسبة المئوية	Stickers
530	70	173	194	93	التكرار	استخدام الميمات Memes
%100	%13.21	%32.64	%36.60	%17.55	النسبة المئوية	
1590	123	365	644	458	التكرار	المجموع
%100	%07.74	%22.96	%40.50	%28.80	النسبة المئوية	

يوضح الجدول المدى الذي يستخدم به أفراد عينة الدراسة كلا من الرموز، الملصقات والميمات عبر فيسبوك، وسنقوم في ما يلي بتقديم قراءة إحصائية لكل نوع من أنواع التعبيرات الرقمية على حدة:

• أجاب 49.25% من الباحثين أنهم دائما ما يستخدمون الرموز التعبيرية Emoji في تواصلهم عبر فيسبوك، يليها الباحثون الذين أجابوا أنهم أحيانا ما يستخدمونها بنسبة 39.06%، وتستمر النسبة التناقص كلما اتجهنا صوب النفي، إذ أجاب 08.87% أنهم نادرا ما يستخدمونها، وفي الأخير جاءت نسبة الباحثين الذين لا يستخدمونها أبدا، والمقدرة بـ 02.83%.

• أما بخصوص استخدام الباحثين للملصقات التعبيرية Stickers فإن 45.85% أجابوا أنهم أحيانا ما يستخدمونها، في حين تساوت نسبة كل من الذين أجابوا بأنهم نادرا ما يستخدمونها والذي لا يستخدمونها أبدا وقدرت بـ 27.36%، لتأتي في الأخير نسب الباحثين الذين دائما ما يستخدمونها بنسبة 19.62%.

• أجاب 36.60% من الباحثين أنهم أحيانا ما يستخدمون الميمات Memes عبر فيسبوك، تأتي بعدها نسبة الباحثين الذين نادرا ما يستخدمونها والمقدرة بـ 32.64%، بعدها ونسبة 17.55% تأتي فئة الباحثين الذي يستخدمونها دائما، وفي الأخير نسبة الباحثين الذين أجابوا بأنهم لا يستخدمونها أبدا بنسبة 13.21%.

¹ Elena Giannoulis and Lukas R.A. Wilde, "Emoticons, Kaomoji, and Emoji The Transformation of Communication in the Digital Age [Introduction]", In: **Emoticons, Kaomoji, and Emoji The Transformation of Communication in the Digital Age**, collective book, Edited by: Elena Giannoulis and Lukas R.A. Wilde, Routledge, New York, 2020, p 2.

نلاحظ من الجدول أن أكثر أنواع التعبيرات المرئية المستخدمة من طرف المبحوثين هي الرموز التعبيرية، تليها الرموز ثم الملصقات، وفي الحقيقية إن الرموز والملصقات والميمات ومختلف أشكال التعبير غير اللفظية، هي نهاية سيرورة تطور أشكال الاتصال والوسائط حالياً، فإذا عدنا على مؤسس الفرع العلمي من فروع الميديا "الميديولوجيا" أو الوسائطية ريجيس دوبريه Régis Debray، الذي يرى أن هناك وساطات تفصل ما بين الفكرة وتحويلها إلى قوة مادية مفهومة كالكلمات والرموز وغيرها من أدوات التعبير، التي اعتبر أن لكل منها مداره التاريخي Médiasphère وكل أداة تكتسب هويتها من مدارها التاريخي، وقد حدّد لتطور الوسائط الاتصالية أو كما سماها هو الإبلاغية ثلاثة مدارات:

- **المدار الكلامي Logosphere (الكتابة):** وهو الوسط التقني الثقافي المستحدث عبر اختراع الكتابة ولكن تبقى الكلمة خلاله هي الوسيلة الرئيسية للإبلاغ والنقل، فقداسة اللغة في المرحلة الأولى كانت مأخوذة من الكلام المقدس الذي يشار إليه بمفهوم اللوغوس Logos، فالمقدس في هذا المدار هو المعتقد ونموذجه هو الأسطورة.
 - **المدار الخطي Ghraphosphere (الطباعة):** وهو متعلق باختراع آلة الطباعة، ويفرض المطبوع فيه عقلانيته على مجمل الوسط الرمزي، والمقدر في هذا المدار هو المعرفة، ونموذجه هو الطوباويات
 - **المدار المرئي Vidéosphere (السمعي البصري):** وهو المدار المحدد بما هو "وسط تقني اجتماعي للإبلاغ والنقل لفضاء زمني خاص...إنها حقبة صعود ثقافات الحشود والأرشفيات المحتقة واستكمال غزو كـب الأمكنة حيث تبلغ الفورية ذروتها بالمباشر"¹، والمقدس في هذا المدار هو الإعلام، ونموذجه هو الصورة ورمزيتها، فقولنا الصورة لا يعني تلك الفوتوغرافية بل يعني كلّ ما يمكن أن يرى ويُفهم دون كلمات أو ألفاظ على غرار الرموز ومختلف الإبداعات المعبرة دون ألفاظ. كما لا يفوتنا أن دوبريه وصف المدار الأخير بأنه مدار كوني وأن المثل الأعلى للمجموعة لا الأمة ولا الشعب، بل هو "العالم" كما أن هذه المرحلة نشهد فيها "إعادة تركيب المؤسسات المبنية (المؤسسة) على المؤجل من التكنولوجيات الحرفية (القائمة على الحروف) على غرار الدولة والأمة والأحزاب والأنساق التربوية"²، بمعنى أن الأساليب الاتصالية الحديثة تطال المؤسسات ومثلها العليا على غرار اللغة.
- وتعتبر الرموز التعبيرية والملصقات وكذا الميمات من أهم النماذج التواصلية في العصر المرئي، والتي اكتسبت شعبيتها من الإقبال المفرط عليها منذ اختراعها، يضيف دوبريه واصفاً اللغات الجديدة "فقد غدا لكل إبداع بصري متفرد مرجعيته المعيارية الخاصة... لكل منها شفرته وكل شفرة تدعي أنها صالحة. لكن من الناحية المبدئية لا تتجاوز السنن الفردية اللغات الفردية. فلتكون اللغة لغة يلزم أن يتحدثها أكثر من شخص واحد. كما أن سننا أو شفرة ما لا تتوجد إذا ما هي ظلت محصورة في فرد أو ذاتية. فاللعبة الرمزية رياضة جماعية"³، ذلك أنها تقول على ثنائية التشفير وفك التشفير.

وبمقابل طرح دوبريه واعتباره لغة الصورة هي نهاية التطور الاتصالي، هناك من الباحثين من يعتبر لغة الرموز المعاصرة نوعاً من العودة إلى التمثيل التصويري الذي لعب دوراً مهماً وسابقاً للكلمة في التواصل البشري، والممثل في رسومات الكهوف

¹ عبد السلام الزبيدي، الميديولوجيا لدى ريجيس دوبريه: فلسفة الإنسان المبلغ، الدار المتوسطة للنشر، تونس 2019، ص ص 104-110.

² المرجع نفسه، ص ص 108 - 109.

³ ريجيس دوبري، ترجمة: فريد الزاهي، حياة الصورة وموتها، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص 56.

والرموز المنشوقة من مراحل ما قبل التاريخ، إذ أقام العديد من المتخصصين صلة مباشرة بين استخدام الرموز التعبيرية اليوم واستخدامات البشر لها في عصور ما قبل التاريخ.

إن أسبق شكل من التعبيرات في الجدول هو الرموز التعبيرية، وتعتبر الملصقات تطويراً تصميماً لها، يرجع أصل الرموز التعبيرية إلى ما يعرف بالأيقونة عاطفية emotion icon والمختصرة بـ emoticon، المكونة من علامات الترميم (كالفواصل والفواصل المنقوطة..) والأرقام والحروف، وذلك من أجل جعل التمثيل التصويري لتعبيرات الوجه ممكناً، فالجمع بين النقطتين والقوس يشبه الابتسامة (:)، وعكس القوس يشبه العبوس: (وغيرها، وقد تم تعزيز استخدام هذه الرموز التعبيرية بواسطة مصمم الغرافيك الياباني شيجيتاكا كوريتا Shigetaka Kurita ممثلاً في شركة الاتصالات اليابانية NTT DoCoMo عام 1999، الذي صمم 176 رمزاً تعبيرياً مرئياً وملقواً، وتمت تسميتها Emoji التي تتكون من مصطلحين يابانيين: "E" تعني صورة و"moji" تعني الرمز أو الحرف، ودمجها يعطي معنى "شخصيات على شكل صورة" وبتطويرها أكثر أصبح استخدامها ممكناً على الأجهزة وأنظمة التشغيل والمنصات الرقمية، كما يتحكم في تصميم الرموز التعبيرية وإنشائها شركة واحدة عالمياً وهي الشركة الأمريكية (the Unicode Consortium (UC)، وبحلول عام 2020، تم إحصاء 3,521 رمزاً تعبيرياً، و ملياري رمز تعبيرى يتم إرسالها إلى نظام التشغيل IOS يومياً فقط¹، أي دون احتساب أنظمة التشفير إندرويد وغيرها...

لقد تم اختراع الرموز التعبيرية لتحل محل تعبيرات الوجه ولغة الجسد الذي لطالما اعتبر ورشة للهوية، وتحل محل الكلمات الممثلة للبعد اللغوي للهوية، وذلك من خلال إعادة تأكيد التواصل البشري في الفضاءات الافتراضية التي من شأنها أن يجرّد النص أحادي اللون من إنسانيته، فإذا كانت تبديلات الحروف العربية من اللاتينية وإليها عوامة لغة العربية نحو الغرب، فالرموز التعبيرية هي عوامة لكل لغات العالم نحو لغة واحدة رمزية متفق في الأغلب على معانيها.

يمكن تفسير اختيار عدد كبير من المبحوثين للرموز التعبيرية بأن الجزائريين يعتبرون من أكثر المستخدمين استعمالاً لها بنسبة 58% حسب استطلاع لشركة "راكوتن فاير" اليابانية، شمل أكثر من 7000 مستخدم جزائري وذلك بمناسبة اليوم العالمي للرموز التعبيرية 17 جويلية، حيث أن 28% منهم "يستخدمونها عندما لا يجدون الكلمات المناسبة للتعبير عن أنفسهم في الرسائل النصية"². وكان موقع فيسبوك قد أرسل إشعارات Notifications بنفس المناسبة، للمستخدمين في المنطقة العربية في المشرق وشمال إفريقيا (تم تلقيها أثناء الاستخدام) متضمناً إحصائية أظهرت أن الجزائريين في المرتبة الأولى مع مصر كأكثر البلدان استخداماً لها بمعدل 3,4 مليون تعليق يتضمن رمزا تعبيرياً، وتم إرفاق الإشعار بنص يؤكد تصوّر دوبري على الوسائطية في عصرنا هذا، وهو النص التالي: "لقد برهن لنا التاريخ دائماً أن الصور أكثر تعبيراً من الكلمات، وبفضل انتشار أساليب التواصل عبر الصور التعبيرية، تعود المجتمعات اليوم للاعتماد وبشكل أكبر على تلك الأنماط التعبيرية.." وختم التقرير

¹ Yuka Katsumata, **How many more Emoji do we need? Examining the Unicode Consortium's Vision of World Standard of Emoji**, Media@LSE, London, 2022, pp 1-2.

² أحمد علوية، "نصف الجزائريين يفضلون "الإيموجي" للتعبير عن مشاعرهم"، **جريدة الشروق**، تاريخ النشر: 2020-07-25، يوم الاطلاع: 2023-07-30، وقت الاطلاع: 20:59، الرابط: <https://shorturl.at/pzFXZ>

بأن "البيانات من فيسبوك. قمنا بتحليل استخدام الوجود التعبيرية في تعليقات فيسبوك من 7 أبريل إلى 7 يوليو 2020. جميع البيانات تم تجميعها دون كشف بيانات شخصية". (أنظر الملحق رقم: 37). وتختلف التعبيرات عبر فيسبوك إلى ثلاثة أنواع:

- **رموز فيسبوك التعبيرية:** وهي تصميمات خاصة بموقع فيسبوك، والتي أطلقها في أوت 2017، تتضمن 2840 رمزا تعبيريا، 125 منها خاص بفيسبوك فقط.
- **الرموز التعبيرية التفاعلية:** يوفر فيسبوك رموزا تعبيرية متحركة مصممة بغض التفاعل مع المنشورات والتعليقات، وفي دراسة سابقة لنا، وعند مساءلة الباحثين عن مدى اكتفائهم برموز تعبيرية كالإعجاب، وجدنا أن أكثر من نصف الباحثين يرغبون في ردود فعل أكثر تفصيلا، فبعد أن "كانت الرموز مقتصرة على الرمز "أعجبنى like" تمت إضافة ردود فعل أخرى تتأهى أكثر مع انطباعات المستخدمين على المنشورات، أولها رد الفعل "أحببته love"، "أحزنتي sad"، "أضحكني haha"، "أدهشني Wow"، "أغضبني angry" في عام 2020 أضاف فيسبوك رد فعل آخر يعبر عن الاهتمام والدعم، ليتمكن المستخدمين من التعبير عن تعاطفهم مع الآخرين في ظل جائحة كورونا وهو رد الفعل "أنا أدعمك care".¹ هذا التنوع في ردود الفعل الذي يجده فيسبوك كل مرة يزيد بدوره في رغبة المستخدم في ردود فعل أوضح وأكثر تعبيراً عن حالاتهم الفعلية، أجاب الباحث رقم 166: "التعبيرات يمكن ان تعطي تصور للطرف الاخر عن مدى تفاعلي بالموضوع ان لم استخدمها فهذا يعني اني ربما لم اتقبل الفكرة 100% او ان الموضوع لا يهمني"، ونلاحظ بهذا أن الرموز أصبحت ذات أهمية تواصلية كبيرة لأنها تسد فراغ غياب التجسيد في العالم الافتراضي.
- **الملصقات:** وهي تعبير ملون ومصمم خصيصا لموقع فيسبوك يكون أكبر حجما من الرموز التعبيرية وأكثر تنوعا، كما أنه لا يرافق النصوص بل يعتبر كنوع من أنواع الصور الثابتة أو المتحركة، والملاحظ في الملصقات أنها مناسبة، يتم تصميمها خصيصا لمناسبات معينة وثقافات معينة عكس الرموز التي تعتبر في المجمل ثابتة أو متنوعة عرقيا وثقافيا ولكن بنفس ثبات الثقافات والأعراق لذلك يتم تفضيل الرموز التعبيرية عليها كما يظهر في الملحق رقم: 39.

الجدول رقم (43): علاقة جنس الباحثين باستخدامهم للرموز التعبيرية Emojis.

المجموع	استخدام الرموز التعبيرية Emojis				جنس الباحث	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما		
254	13	29	116	96	التكرار	ذكر
%100	%05.12	%11.42	%45.67	%37.80	النسبة المئوية	
276	02	18	91	165	التكرار	أنثى
%100	%00.72	%06.52	%32.97	%59.78	النسبة المئوية	
530	15	47	207	261	التكرار	المجموع
%100	%02.83	%08.87	%39.06	%49.25	النسبة المئوية	

¹ حفيظة ضربان وصوراية رمضاني، "عرض الهوية في الحياة الافتراضية دراسة سوسيولوجية لتقنيات عرض الذات عبر مواقع التواصل الاجتماعي -الفيسبوك أنموذجا" مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد. 15، العدد. 02، سبتمبر 2021، ص 264.

يظهر الجدول علاقة بين جنس المبحوثين ومدى استخدامهم للرموز التعبيرية Emoji، ويظهر لنا من خلاله أن هناك علاقة إحصائية بين متغير الجنس ومدى الاستخدام فمن 49.25% الذين أجابوا أنهم دائماً ما يستخدمون الرموز التعبيرية، 59.78% هم من النساء، وينتقل التدعيم إلى فئة المبحوثين الذكور كلما انتقلنا باتجاه نفي الاستخدام، فـ 39.06% من المستخدمين أحياناً ما يستخدمون هذه الرموز بدعم نسبته 45.67% من فئة الذكور، و 08.87% من المبحوثين أجابوا أنهم نادراً ما يستخدمون الرموز بدعم كذلك من فئة الذكور نسبته 11.42%، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذين لا يستخدمونها أبداً والمقدرة بـ 02.83% بدعم نسبته 05.12% من فئة الذكور.

النتائج الأساسية للجدول أعلاه هي أن نصف عينة الدراسة بالتقريب يستخدمون دائماً الرموز التعبيرية، وبين من أجابوا دائماً وأحياناً تقدر النسبة بـ 88.31% أي أن الأغلبية الساحقة يستخدمونها، كما أن الإناث تستخدمها أكثر من الذكور بشكل دائم وتكاد تنعدم نسبة الإناث اللائي لا تستخدمها. ونلاحظ بمعية نتائج الجدول السابق أن أكثر أشكال التعبيرات المرئية المستخدمة عبر فيسبوك هي الرموز التعبيرية، ثم الملصقات التعبيرية وتليها الميمات بنسب أقل - رغم أن الملصقات تعتبر جانباً متطوراً من جوانب الرموز التعبيرية- ويمكن أن نرجع هذه النتيجة حسب ملاحظتنا وكذا إجابات المبحوثين واتجاهاتهم إلى مجموعة أسباب:

• العملية Practicality:

تعتبر الرموز التعبيرية أكثر أنواع التعبيرات عمليةً لسهولة استخدامها، إذ يخصص لها في كل واحد من أنظمة التشغيل (IOS، Android..) لوحة مفاتيح خاصة بها تسهل اختيارها، البحث عنها، واستعمالها، كما أنها قابل للنسخ واللصق على غرار النصوص، وتعتبر مكتملة لها أو أحياناً تعويضاً للكلمات، أجاب المبحوث رقم 55: "عندما اشرع في الكتابة بلغة استصعب تغيير اللغة من لوحة المفاتيح.. فأواصل الكتابة أما التعبيرات ولايموحي فأرى أنها تختصر علي الجملة وتعبر عن حالتي أكثر"، والمبحوث 245: "بسبب العمل أحياناً حين أكون منشغلاً بأحد البرامج لكي لا أغير لوحة المفاتيح فقد يؤدي ذلك إلى إغلاق البرامج بسبب الاختصارات خصوصاً في حالة `ctrl+z`"، كما أجاب المبحوث 297: "عملية ولا تتطلب جهد أو تركيز أو وقت..".

• مرافقة الرموز التعبيرية للنص Text accompanying:

الملصقات والميمز معبرة بالفعل، لكن الرموز التعبيرية أكثر تعبيراً لأنها تأتي مرافقةً للنص كأنها كلمة، فعند كتابة النص والرغبة في تأكيده ودعم معناه تضاف الرموز بشكل يرافق الكلمات ويدعم معناها، أجاب المبحوث رقم 63: "أحياناً تعبر عن الحالة لأن الكلمات عبر الشاشة لا تعبر بشكل كافٍ فيهم تدعيمها باليموحي"، بل أن من المبحوثين من يستخدم مرافقة للنص لإعطائه شرعية ونوعاً من الصدقية، حيث أن عدم استخدامها يجعل النص جافاً وغير صميمي فهي تعطي انطباعاً بأن صاحب الرسالة مهتم بالطرف الآخر، وأجاب المبحوث 278: "لتقريب شعورة مرات تكتب رسالة عادية يعتبروها هجوم لأنه بدون ايموحي مثلاً"، وأكد نفس الشيء المبحوث رقم 404: "تسهل التواصل وتحد من الفهم المغلوط لبعض التعبيرات بسبب غياب تعابير الوجه"؛ وهذه نتيجة مهمة تعبر عن أن إرفاق النص بوجه تعبري أصبحت حتمية تواصلية.

• القدرة التعبيرية Expressivity:

قدرة الرموز التعبيرية على إيصال المشاعر باختصارها وتجسيدها كان تبرير الأغلبية الساحقة من الباحثين، إذ يرون أنه في غياب التجسيد عن الكلمات يشعرون أنها لا توصل المعنى والمشاعر كما يجب، ولأن الرموز التعبيرية تحوز على عدد كبير جدا من المشاعر الممكنة فإنها تضيف على نصوصهم حيوية، كما أنها مختصرة فعوض تعبير المبحوث عن حزنه يكفي بالنقرة على وجه حزين 😞 تلخص المعنى وتقربه، أجاب المبحوث رقم 155: "لأن الايموجيز هي محاولة لتكملة ما يسقط في ظل غياب التواصل الجسدي مع الآخرين لنقل المشاعر أحيانا"، وأجاب المبحوث رقم 286: "لاني اعتبر الايموجي واحد من الاشياء التي تجعل الشخص المقابل يعرف تعبير وجهي حاليا".

كما أن من الباحثين من استخدم الرموز التعبيرية في إجابته على الاستمارة "انا استخدم الايموجي بكثرة لانه نحسه معبر أكثر؛ بالاختصار الرموز لتدل على كميات الحب والسعادة من مبدأ ابتسامتك في وجه اخيك صدقه؛ وهكذا نعطي للانسان المحاور شوي طاقة إيجابية 🌟" وهي إجابة المبحوث رقم 415، وهنا نلاحظ أن أهمية الرموز أصبحت مجسدة لدرجة اعتبارها تواسلا مباشرا وجهما لوجه.

• التأقلم Adaptability:

تقصد بالتأقلم مرونة الرموز التعبيرية في الاستخدام، وتنوعها لتعبر عن حالات وخصائص وحتى هويات مختلفة، فلا يكاد المبحوث أن يشعر بشعور ما إلا ويجد وجهًا تعبيريا مقابلا لشعوره، ومع ذلك، ففي بداياتها كانت مصحوبة بانتقادات ضد نقص التنوع عبر الحروف الرسومية المتاحة، بحجة أن الرموز التعبيرية لا تمثل بشكل مناسب ألوان البشرة الموجودة في جميع أنحاء العالم، إذ يقتصر لونها على الأصفر المعبر عن الجزء الآسيوي، إضافة إلى وجود فجوات جغرافية وثقافية على طول طيف الرموز التعبيرية، على سبيل المثال، وجود رموز تعبر عن الأطعمة، الأزياء وأتماط العيش الآسيوية دون باقي العالم، وردًا على ذلك، تمت إضافة معدلات لون البشرة (أنظر الملحق رقم: 38) على الرموز التعبيرية في عام 2014¹ لتعبر عن مختلف الانتماءات العرقية، ورموز تعبيرية تعبر عن خصوصيات ثقافية مختلفة، على غرار الأزياء الدينية كوجوه تعبيرية أنثوية محجبة، أو ذكورية ملتحية أو يرتدي الوجه فيها عمامة سيخية، ورموز تعبيرية بأعمار ومهن وأزياء ذكورية وأنثوية.

ويعرف هذا في دراسات العولمة بإضفاء الطابع المحلي والهوياتي، أي تسليع المنتجات الاستهلاكية بما فيها المنتجات الرقمية بمختلف أشكال الخصوصيات المحلية، وقد أصبحت الرموز مع تطورها معبرة عن مختلف أشكال الهوية بدءًا من الذاتية، الوسطى وحتى رموز الهويات الوطنية يشعر المستخدم انه جزء من العملية الاتصالية وغير مقصى منها، فيمكن إيجاد العديد من التعبيرات على الهوية مثل أعلام الدول ورموزها الثقافية، إضافة إلى رموز كثيرة أخرى غير الوجوه مما يمكن أن يستعين به المستخدمون أثناء التواصل.

¹ Philippe Kimura-Thollander and Neha Kumar, "Examining the "Global" Language of Emojis: Designing for Cultural Representation", Proceedings of the 2019 CHI Conference on Human Factors in Computing Systems, Association for Computing Machinery, Glasgow, May 4–9, 2019, pp 2-3, DOI: <https://doi.org/10.1145/3290605.3300725>.

أما بالنسبة لاستخدامها بكثرة من فئة الإناث، فيمكن أن يفسر ذلك بأن الإناث أكثر تعبيراً عاطفياً من الذكور بصورة نمطية stereotypically، وقد تم ربط ذلك ضمن دراسات عديدة بعلاقته باستخدام الرموز التعبيرية أكثر من الذكور¹، والتي خلصت إلى أن ذلك راجع لأن الذكور أفضل وأكثر قدرة على التحكم في عواطفهم فيحدون من استخدام الرموز التعبيرية ويفضلون الكلمات، بينما تسمح النساء لعواطفهن بالتحكم فيهن ويشارن في إظهارها وهنا يجدن الرموز التعبيرية كوسيلة مناسبة لإظهار هذه العواطف، وفي ذات النتيجة التي توصلت إليها أغلب الدراسات السابقة والدراسات التي وقعنا عليها من التي تناولت ظاهرة الرموز التعبيرية خاصة في مقارنتها بين الجنسين، فنجد في إحدى الدراسات السابقة أنه "انضح أن متغير الجنس له أثر في طبيعة اللغة المستخدمة لدى المبحوثين، حيث لوحظ ميل الذكور أكثر من الإناث في تحويل الحروف العربية إلى أرقام، في حين نجد أن الإناث أكثر استخداماً للصور التعبيرية"².

يمكن أن يُفسر استخدام المبحوثات للرموز التعبيرية أكثر من الذكور بأن الرموز توقّر لهن أداة تعبر عن غرضين متناقضين تتميز بها الإناث، الحديث الكثير أو الصمت الكثير، فتشير الدراسات إلى أنه بينما تفضل الإناث الحديث كثيراً ضمن جماعة الأصدقاء وعندما تردن إظهار حسن التعامل the goodwill تجاه الآخر، إلا أنهن تفضلن الصمت أو الحديث المحدود في غياب هذه الشروط³، فنلاحظ بالعودة إلى هذا أن المبحوثات تنقسم في استخدامهن للرموز إلى قسمين:

✓ **مبحوثات يستخدمنها تدعماً للكلام:** حيث يجدن فيها تجسيدا لمشاعرهن وتمثيلاً مرئياً لما يردن قوله، فلا يتم استخدامها لغرض اختصار الكلام بلإضفاء مزيد من الحيوية عليه خصوصاً مع المقربين منهن، أجابت المبحوثة رقم 236: "لأنها سهلة في المحادثات العادية، كما أنها مرحة ومضحكة ومناسبة للمزاح عند الحديث مع المقربين... والمبحوثة رقم 514: "الرموز التعبيرية stickers و emojis اصدق من الكلمات أحياناً، تمكن من التعبير عن الأفكار والمشاعر بسهولة. كما أنها تضيف جواً من المرح والانبساط".

✓ **مبحوثات يستخدمنها للحد من الكلام:** أي يتم تعويض الكلام بالرموز التعبيرية المختصرة لإعطاء انطباع عن الرغبة في إنهاء الحديث، أجابت المبحوثة رقم 367 "ادخل الرموز التعبيرية للتقليل من الحديث و/أو لإنهائه..".

نلاحظ هنا أن نفس الرموز التعبيرية يمكن أن تُفهم في سياقين مختلفين، وهذا يعبر عن خاصية أخرى للرموز التعبيرية تشبه بها اللغات العادية وهي القابلية للوضع في السياق Contextualization أي فهم الرموز من الموقف أو الموقع الذي تم فيه إنتاج تلك الرموز. فيمكن أن تعتبر الأخيرة لغة عالمية، إلا أن فهمها يأخذ من المحيط الاجتماعي والثقافي سياقاً في شكل من أشكال فك التشفير، وهو ما سيتناوله المطلب الثالث من هذا البحث.

¹ Abeer M. Alburaidi, "Gender Differences in the Use of Emojis Among Genders", *International Journal of English Linguistics*, Vol. 13, No. 5, 2023, p 47, DOI: <https://doi.org/10.5539/ijel.v13n5p45>.

² وادم العبد، مرجع سبق ذكره، ص 289.

³ Deborah James and Janice Drakich, "Understanding Gender Differences in Amount of Talk: A Critical Review of Research", In: *Gender and conversational interaction*, collective book, Edited by: Deborah Tannen, collective book, Oxford University Press, Oxford, 1993, pp 302-303.

الجدول رقم (44): علاقة متابعة المبحوثين للشبكات الترفيهية عبر موقع فيسبوك واستخدامهم للميمات Memes.

المجموع	استخدام الميمات Memes				متابعة الشبكات الترفيهية عبر موقع فيسبوك	
	أبداً	نادراً	أحياناً	دائماً	التكرار	النسبة المئوية
276	26	80	108	62	التكرار	يتابعها
	%09.42	%28.99	%39.13	%22.46	النسبة المئوية	
254	44	93	86	31	التكرار	لا يتابعها
	%17.32	%36.61	%33.86	%12.21	النسبة المئوية	
530	70	173	194	93	التكرار	المجموع
	%13.21	%32.64	%36.60	%17.55	النسبة المئوية	

يربط هذا الجدول علاقة بين متغير متابعة المبحوثين للصفحات ذات المضمون الترفيهي على فيسبوك باستخدامهم لميمات الإنترنت Memes، ونلاحظ منه أن 36.60% من أفراد عينة الدراسة أحياناً ما يستخدمون الميمات بدعم من الذين ينخرطون في شبكات ترفيهية عبر فيسبوك بنسبة 39.13%، تليها نسبة المبحوثين الذين نادراً ما يستخدمونها بنسبة 32.64% بدعم نسبته 36.61% من طرف أفراد العينة الذي لا يتابعون شبكات ترفيهية عبر موقع فيسبوك، بعدها تجيء فئة المبحوثين الذين دائماً ما يستخدمونها والمقدرة 17.55% بدعم نسبته 22.46% من المبحوثين الذين يتابعون الشبكات الترفيهية، وفي الأخير تأتي نسبة المبحوثين الذي لا يستخدمون ميمات الإنترنت بنسبة 13.21% بدعم من فئة الذين لا يتابعون الشبكات الترفيهية عبر فيسبوك بنسبة 17.32%.

النتيجة الرئيسية لهذا الجدول هي أنه كلما تابع المبحوث الصفحات والمجموعات (الشبكات) الترفيهية كلما زاد استخدامه لميمات الإنترنت، وذلك في الأغلب راجع إلى أن الدور الأساسي لهذه الميمات هو التسلية والترفيه وإخفاء المعاني الاجتماعية، الثقافية والسياسية وراء شكل من أشكال الفكاهة والنكات، فأغلب مضامينها تشكل كوميديا سوداء تعكس الواقع باستخدام صور أو فيديوهات رائجة.

قبل أن ننطلق في التحليل نبدأ أولاً في الإجابة على التساؤل: ما علاقة ميمات الإنترنت باعتبارها نمطاً فكاهياً في العوالة اللغوية والتدفقات الثقافية عبر الإنترنت؟ تتمثل الإجابة في تعريفنا للفظ "ميم" Meme. تم اختراع لفظ "ميم" أول مرة عام 1989 من قبل العالم البريطاني ريتشارد داوكنز Richard Dawkins في كتابه "الجينة الأنانية" حيث عرّفها بأنها "اسم يجسد فكرة الوحدة القائمة على الانتقال الثقافي أو الوحدة القائمة على التقليد... وتمازجاً كما تنتشر الجينات في الجمعية الجينية عبر القفز من جسد إلى آخر... تنتشر الميمات في الجمعية الميمية عبر القفز من دماغ إلى آخر بواسطة مسار يمكن تسميته بالمعنى الواسع التقليد"¹، وجاء أصل كلمة ميم مشتقة من الجذر اليوناني «ميم» Mimeme إلا أن داوكنز اختصرها في لفظ "ميم"، لأنه أراد لفظاً أحادي المقطع على قياس لفظ "جين"، إذا فكلمة ميم تعني وحدة للنقل الثقافي والصفات الثقافية للأفراد، مثلما تحمل

¹ ريتشارد داوكنز، ترجمة: تانيا ناجيا، الجينة الأنانية، درا الساق، بيروت، 2009، ص 313.

الجينات صفاتهم الوراثية، كما يرى أن اللغة واللباس والموضة والاحتفالات والأعراف والفنون كلها صفات قابلة للنقل والتحول الثقافي، والميم هو الحامل لها.

ومع مرور الوقت أصبحت الميمات تشير إلى معنى آخر مرتبط بتقنيات ومواقع التواصل الاجتماعي وهو أنها "عنصر مثير للاهتمام مثل صورة أو مقطع فيديو مع تعليق توضيحي، أو نوع من العناصر التي تنتشر على نطاق واسع عبر الإنترنت، خاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي"¹، وميمات الإنترنت هي ظاهرة ثقافية بامتياز، إذ تُفهم الميمات ومضامينها من خلال مدى امتثالها في مختلف البلدان للعولمة (وبالتالي المساهمة فيها) أو مقاومتها بطريقة أو بأخرى، فهي تنتم ببعض السمات المشتركة ك: المرئية؛ الاستخدام الفكاهي للغة؛ تضمين الخلفيات الثقافية؛ ويمكن لصفة "ثقافي" هنا أن تعني الخلفيات الدينية، اللغوية أو ما يحيل إلى خصوصية ثقافة معينة.. فلا يمكن للميمات أن تكون ذات معنى إلا إذا تم فهم السياقات الثقافية لإنتاجها، وفهم المبحوث للميمات العالمية يعني بالضرورة أنه أصبح محيطا تمام الإحاطة بالثقافة المنتجة لها وفهمها يعني وصول التدفق الثقافي العالمي إلى ذلك المستخدم.

انطلقت دراسة للباحثة في العلوم الاجتماعية ميكايلا كانيباري Michela Canepari من هذا المنطق، وبحث في الكيفية التي يمكن بها للتدفقات الثقافية أن تتم عولمتها عبر الإنترنت عن طريق الميمات، وكيف لرمز ثقافي فني كالأفلام، اجتماعي كمنط الحياة والشارع في ذلك البلد، في بلاد ما أن يصبح "مضحكا" لمستخدم آخر في بلد آخر رغم أن ذلك الرمز منتج في سياق ثقافي مختلف عنه، وتوصلت من خلال إسقاطها على انتقال الثقافات من وإلى بلادها (إيطاليا)، أنها أصبحت ظاهرة عالمية، لأنها تكرر بعض الأيقونات والرموز الثقافية التي تميز فترة تاريخية معينة، ومكان ما إلى كل العالم، ليس ها فحسب بل بالمقابل تنقل الخصوصيات الثقافية والهويات المحلية لتلك المناطق نحو العالم².

إسقاطا على المستخدمين المبحوثين، فإنهم من جهة تأثروا بما ينتشر عبر فيسبوك من ميمات عالمية أصبحت مفهومة لديهم خاصة إذا عرفنها أن الذين يتابعون ويستخدمون الميمات 52.46% يتعاملون باللغة الفرنسية ويتابع منهم 50.40% الصفحات الناطقة بهذه اللغة، و 64.51% يتعاملون باللغة الإنجليزية و 57.84% يتابعون الصفحات الناطقة بهذه اللغة، أي أنهم على دراية كاملة بما تحمله هذه الميمات من معاني، كما أن 63.39% منهم يرون أن موقع فيسبوك يمكنهم من الانفتاح الثقافي والتعرف على ثقافات أخرى عبر العالم، ها يعني أن مبحوثينا من خلال انفتاحهم على ثقافة العالم وقدرة على استيعابها قابلون بنسبة كبيرة للتأثر بمضامين الميمات العولمية.

بمقابل ذلك فإن المستخدمين الجزائريين، خلقوا للفيسبوك الجزائري ميماتهم الخاصة بهم، والمستقاة من المصادر الجزائرية كالأفلام والفيديوهات الشائعة على غرار صور ومقاطع من أفلام الفنان عثمان عريوات كما أجاب المبحوث رقم 529: "من أفلام خاصة قاموس عثمان عريوات أكثر تداول بين شباب لطابعه هزلي ومعبّر"، وتم فتح صفحات ومجموعات خاصة فقط بها، ومنها

¹ Michela Canepar, "Issues of Globalization and Localization in Youth Culture: The Case of Memes", 2nd International Conference on Future of Social Sciences, ICFSS, 19-21 December, 2019, London, p 3.

² Ibid, pp 12-13.

ما انتشر إلى مختلف أنحاء العالم على غرار فيديو لأحد الشباب المشاركين في برنامج "ألحان وشباب" المنتشرة عالميا تحت تسمية الضحكة الأسطورية The legendary laugh.

ومن أهم مظاهر عولمة الميمات وثقافتها من وإلى الجزائر، ولرواجها الملاحظ افتراضيا، فقد تجاوزت فيسبوك الجزائري إلى العالم الفعلي، حيث انتشر مؤخرا لعبة بطاقات Card Game تتضمن ميمات مشهورة في فيسبوك الجزائري، وهي لعبة اسمها وحده يعبر عن أهم الممارسات اللغوية الاتصالية لعينة الدراسة وهو كتابة التعبير العربي بالحروف اللاتينية، والمسألة WESH DIR MEME? بمعنى: هل نلعب لعبة الميمات؟، وشعارها أنها "أول ميم جزائرية 100%" وما تُعرّف به اللعبة حسب موقعها:

"لعبة مبتكرة من ثقافة الميمز في الأنترنت تمزج بين الفكاهة، التسلية، الإبداع والتحدي في تجربة لعب فريدة وممتعة لا تضاهي!! تحتوي اللعبة على مجموعة واسعة من صور الميمز الشهيرة، الرموز والنصوص المختارة بعناية لإنشاء لحظات ضحك لا تنسى؛ لعنصر الأساسي للعبة هو إنشاء الميمز الخاص بك معتمدا على التفكير السريع والإبداع؛ يمكنك منافسة أصدقائك في تحديات ميمز حيث يقرر اللاعبون الفائز صاحب أكثر ميمز مضحكة وإبداعية؛ اللعبة تسمح بمناقشة وتبادل الميمز مع لاعبين آخرين والاستمتاع بجو من التحدي، الضحك والمرح"¹، وتستخدم لإضفاء الطابع المحلي عليها الخصوصيات الجزائرية، كخلفية "الزليج" وأجواء "القعدة" الجزائرية، (أنظر الملحق رقم: 40) إضافة إلى استخدامها ميمات تعبر عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي الجزائري بطابع هزلي.

المطلب الثالث: اختراع المبحوثين للغة جزائرية فيسبوكية قائمة على التشفير وفك التشفير.

النوع الثالث من الأنماط اللغوية الاتصالية على موقع فيسبوك، هو اختراع المبحوثين للغة خاصة بهم مبنية على ثنائية التشفير وفك التشفير، وتعد بمثابة الدارجة الجزائرية الفيسبوكية، تجمع مزيجا من التبديلات اللغوية، لغة الرموز والملصقات والميمات، فهي تشكل مع الدارجة الجزائرية لغة افتراضية جديدة تضاف إلى هوية المبحوثين.

الجدول رقم (45): علاقة استخدام المبحوثين للدارجة الجزائرية في الحياة الفعلية بوجود لغة افتراضية فيسبوكية جزائرية خاصة بهم وبمجاعاتهم الشبكية.

المجموع	وجود لغة افتراضية فيسبوكية جزائرية خاصة بالمبحوث وجماعاته الشبكية.		استخدام المبحوث للدارجة الجزائرية في الحياة الفعلية	
	غير موجودة	موجودة	التكرار	يستخدمها
463	72	391	النسبة المئوية	لا يستخدمها
100%	15.55%	84.45%	التكرار	
67	19	48	النسبة المئوية	المجموع
100%	28.36%	71.64%	التكرار	
530	91	439	النسبة المئوية	
100%	17.17%	82.83%		

¹ رابط اللعبة والتعريف بها: https://weshdirmeme.com/?fbclid=IwAR3Y-8iqyrxhemefYcP5ryLjSS-8dj0xQ5gDjcf9LPfzhnL7lZ_f_pWlR54.

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه والممثل لعلاقة استخدام المبحوثين للدارجة الجزائرية في الحياة الفعلية بوجود لغة افتراضية فيسبوكية جزائرية خاصة بالمبحوث وجماعته الشبكية، أن 82.83% من المبحوثين أجابوا أن هناك بالفعل لغة فيسبوكية خاصة بهم وجماعاتهم الشبكية، بدعم نسبته 84.45% من طرف المبحوثين الذين يستخدمون الدارجة الجزائرية في حياتهم الفعلية، بالمقابل فإن 17.17% من أفراد عينة الدراسة أجابوا بأنه لا توجد لغة من هذا النوع بدعم نسبته 28.36% من طرف المبحوثين الذين لا يستخدمون الدارجة في حياتهم اليومية الفعلية.

النتيجة الرئيسية للجدول أعلاه هو أنه كلما تعامل المبحوثون بالدارجة الجزائرية عبر موقع فيسبوك كلما كانوا أكثر قابلية لاختراع لغة افتراضية عبره خاصة بهم كمستخدمين جزائريين، تشبه في طريقة اختراها الألفاظ التي تميز الجماعات المقربة فعليا، كأبناء الحي والمنطقة، وكلما وجدت بينهم ألفاظ مشققة كلما تشكلت لديهم هوية خاصة بهم، وذلك من أهم خصائص المجتمع الافتراضي؛ أن "الكوزموبوليتان المتصلون" كما يسميهم بول هوبر، والمعتادون على الاتصال الشبكي، يطورون أساليب اتصال خاصة بهم وميزة لهم.

تتأسس العملية الاتصالية مهما كان نوعها، لغتها أو سيلتها على وجود فعل ورد فعل بمثابة المؤثر والاستجابة، تسمى هذه العملية بالتشفير وفك التشفير، وهي تسمية مستمدة من أوائل وسائل الاتصال وهي التلغراف، والتي يتم الاتصال فيها كالآتي "يقرر الشخص أ أن يوصل رسالة إلى الشخص ب. تشقّر الرسالة وترسل عبر موجات وتلقى وتفكّ شفرتها... ويمكن الشخص ب بدوره أن يبعث رسالة إلى الشخص أ وهكذا.. إذا، عملية الإبراق [إرسال الرسائل عبر تلغراف] هي عملية لغوية، قصدية وخطية ومحدودة في الزمان والمكان، وعليه فالبرقية تكون عادة صريحة ودالة وإخبارية"¹، فالتشفير هو تحويل للأفكار الداخلية إلى كلام خارجي وهنا تستخدم اللغة، أما فكّها فهو تحويل لذلك الكلام الخارجي إلى أفكار مجددا وهنا يكون المعنى، فيبدأ التواصل من داخل فرد وينتهي إلى فرد آخر.

ويمكننا أن نفسّر نتائج الجدول وظروف اختراع المبحوثين للغتهم الخاصة عبر فيسبوك، بمجموعة من الارتباطات الإحصائية التي وجدنا إمكانية تفسيرها أو وصفها لهذه الممارسة اللغوية، وكيف يلعب فيسبوك والهوية الافتراضية عبره دورا مهما في ذلك.

أولا: كثافة الاستخدام.

العامل الأول الذي أكتشفنا تأثيره على مدى اختراع المبحوثين للغتهم الخاصة بهم وشفيراتهم على موقع فيسبوك، هو مدة الاستخدام فكلما زاد مدة قضاء المبحوث للوقت الذي يستخدم فيه فيسبوك زادت نسبة وجود لغة خاصة به وجماعته الشبكية، فالذين أجابوا بوجود لغة افتراضية جزائرية ضمن جماعاتهم، مدعومون بنسبة 95.45% من طرف المبحوثين الذين يقضون أكثر من تسع ساعات مستخدمين الموقع، لأن هذا النوع من الشفرات يشبه اللغات الفعلية، يتم اختراعه وتطويره عبر الزمن والمكان، وكلما زاد احتكاك الأفراد ببعض وتعدد تجاربهم معا زادت إمكانية ذلك، أجاب المبحوث رقم 441: "نجعل لكلمة عادية دلالة خاصة لا يفهمها غيرنا، مثلا لو اقول لصديقي الشيء في سياق كلام سيفهم أنني أريد تعبير آخر".

¹ إيف وينكين، ترجمة: خالد عمرياني، أنثروبولوجيا التواصل من النظرية إلى ميدان البحث، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2018، ص 57.

ثانيا: إخفاء الهوية الفعلية.

لاحظنا في إجابات المبحوثين سابقا أن تبريرهم لتعدد هوياتهم عبر فيسبوك راجع إلى رغبتهم في الإفلات من الرقابة الاجتماعية وكلفتها الأخلاقية، من أجل ذلك ربطنا علاقة إحصائية بين تعدد حسابات المبحوثين وتبريرهم لذلك وبين مدى اختراعهم لغتهم الخاصة بهم عبر الموقع، فوجدنا بالفعل علاقة إحصائية، إذ أن المبحوثين الذين أجابوا بوجود شيفرات بينهم وبين جماعاتهم الشبكية مدعومون بنسبة 84.48% من طرف المبحوثين الذين يمتلكون أكثر من حساب على موقع فيسبوك (من 2 إلى 8 حسابات)، كما أن الذين أجابوا بوجود هذه الشيفرات مدعومون بنسبة 87.50% من طرف الذين برروا تعدد حساباتهم بالرغبة في إخفاء هوياتهم والتحرر منها.

حيث أجاب العديد منهم أجاب أنه يخفي هويته ليكون في حِلٍّ من رقابة أهله أو أصدقائه أو معارفه عموما لما سيعلق به أو ينشره من كلمات، فأجاب المبحوث 286: "حقيقة أملك حسابين، الاول وهو الاقدم حيث يوجد فيه الكثير من معارفي مما يجعلني أكثر تقييدا في تعليقاتي و منشوراتي، اما الثاني فهو لاصدقائي المقربين أين اجد نفسي حر في كتابة اي منشور والتعليق بكل حرية"، والمبحوث رقم 300: "لدي حساب أستعمله فقط للدراسة والعائلة وكل ماهو رسمي، وحسابي ثاني أشارك فيه بكل حرية ما أريد من دون التفكير في اذا كان احد افراد عائلتي يشاهد"، والذي أكد لنا هذا أن شيفرات المبحوثين الشيفرات التي يخترعونها تفتقر إلى العنصر القيمي، فعيديون امتنعوا عن الإجابة بصراحة لأن الشيفرات التي اخترعوها لا أخلاقية، أو أجابوا بأنهم أوجدوها للإفلات من الإحراج الأخلاقي، ورغم ذلك فقد وردتنا إجابات سنستخدمها في التحليل، أجاب المبحوث رقم 68: "كلمات خادشة للحياء تتجنب ذكرها بأي لغة كانت لافامي الإحراج [يقصد بسبب الإحراج من العائلة]"، والمبحوث رقم 91: "لا أستطيع تقديم مثال لأن بعض *les codes* غير لائقة"، من أجل ذلك فسرنا لجوؤهم إلى موقع فيسبوك واعتبارهم له مخبأ لهم لممارسة اللغة التي يراقبها مجتمعهم الفعلي ويسائلهم تجاه استخدامها مساءلة أخلاقية.

ثالثا: الاطلاع على المضامين اللاأخلاقية.

لاحظنا كذلك عند ربطنا لمتابعة المبحوثين للمضامين اللاأخلاقية بمتغير اختراعهم للمصطلحات والشيفرات أن الذين يفعلون هذه الأخيرة مدعومون بنسبة 50% من طرف المبحوثين الذين يتابعون ذلك النوع من المضامين، والذين يعيد إنتاجه عبر شيفراتهم مع خاصة أصدقائهم، أجاب المبحوث رقم 77 حول شيفرته: "تغيير أحرف كلمات عيب، الجنس=الجنث.."، والاطلاع على هذه المضامين خاصة عبر فيسبوك يحمل من المبحوثين مشاركتها مع أصدقائهم، لذلك لاحظنا أن أغلب الإجابات تقول بأن الشيفرات هي نتيجة لفيدويوهات ومضامين شاهدها الأصدقاء معا وجعلوا من مصطلحاتها لغتهم الخاصة بهم يذكرونها عند حدوث ما يطابقها، أجاب المبحوث 361: "ذكر مقتطفات من افلام ومسلسلات نفهم الحدث المطابق لها".

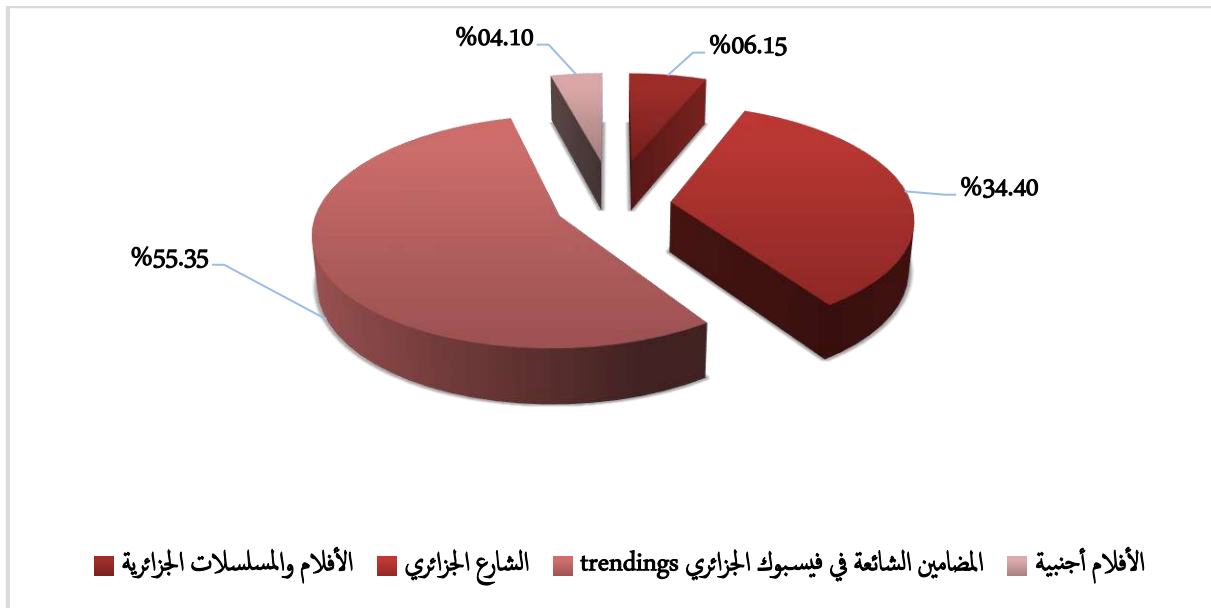
رابعا: محاولة الإفلات من الرقابة الرقمية أو السياسية.

لاحظنا في إجابة المبحوثين أنهم يحاولون الإفلات من أنواع مختلفة من الرقابة عبر فيسبوك، سواء من حيث المساءلة القانونية أو الحجب من طرف إدارة فيسبوك، فمنهم من يخترع شيفرات سياسية لقول ما لا يمكنهم قوله بصريح العبارة، خاصة بسبب ما كنا وضحناه سابقا من تجريم للتمييز وخطابات الكراهية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، كما أجاب المبحوث رقم 31:

"ذاكورنيس، كلمة متوافق عليها في المجتمع الفاييبوكي للإشارة للتيار البربريستي"، وأجاب المبحوث 127: "اجابتي تحمل سخريه سياسية"، كما أن منهم من يبتز شيفرات لتجنب الحجب من طرف فيسبوك لمخالفة سياساتها على غرار دعم القضية الفلسطينية مقابل النشر ضد إسرائيل كما أجب المبحوث رقم 100: "اس/ تعني إسرائيل".

خامسا: رموز الانتماء إلى جماعة أو منطقة جغرافية معينة.

سابقا عند تناولها للهوية من وجهات نظر مختلفة، لم تخل أي وجهة نظر من مفهوم الانتماء، فهو الرباط الرئيسي بين الفرد وجماعته، وبين الجماعات ومجتمعها، وقد لاحظنا تجسد هذا في اللغة الخاصة بالجزائريين على فيسبوك، حيث أن أهم أنواع الشيفرات التي أجب بها المبحوثون هي شيفرات الانتماء، فمثلا تشكل اللغة بعدا أساسيا من أبعاد الانتماء إلى هوية وطنية، تشير شيفرات الانتماء عبر فيسبوك الطقس من طقوس الانتماء إلى هوية افتراضية فمثلا مصطلحات أو رموز تعبيرية، تعبر عن الانتماء إلى منطقة جغرافية معينة على غرار إجابة المبحوث 508: "استعمال أسماء معروفة عندنا فقط "الخيواني.. عمي قدور... الخ"، كلمات تعبر عن نشاطات ممارسة سويا افتراضيا أو فعليا، أجب المبحوث رقم 243: "رمز الجبن يعني نروحوا ناكلوا تشيز عند جلول"، وإجابة المبحوث رقم 348: "من ألفا إلى برفو هل نحن في الاستماع حول حول"، وهي شيفرة في الأصل عسكرية يستخدمها الجيش للتواصل بسرية تامة. وإذا لاحظنا أن خلفيات ومصادر اللغة الفيسبوكية التي يتميز بها المبحوثون مختلفة ومتنوعة؛ فالشكل الموالي يوضحها، وهي محصورة بشكل عام في أربعة مصادر:



الشكل رقم (31): توزيع عينة الدراسة حسب إجابة المبحوثين حول مصدر اللغة الجزائرية الفيسبوكية.

يوضح الشكل أعلاه توزيع عينة البحث حسب إجابة المبحوثين حول مصدر اللغة الجزائرية الفيسبوكية، ونلاحظ من خلاله أن 55.35% أي أكثر من نصف عينة الدراسة أجابوا بأن مصدر هذه اللغة هي الفيديوهات الشائعة في فيسبوك الجزائري trends، في حين أجب أكثر من ثلثهم بقليل أن مصدرها هو الشارع الجزائري أي بنسبة 34.40%، بعدها نسبة الذين اختاروا إجابة الأفلام والمسلسلات الجزائرية بنسبة 6.15%، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذين أجابوا أن مصدرها أجنبية بنسبة 4.10%.

النتيجة الأساسية لهذا الشكل تعبر عن الدور الذي يلعبه موقع فيسبوك إضافة إلى انتقال الدارجة الجزائرية إليه في تشكيل الدارجة الجزائرية الفيسبوكية، إذ تساهم الفيديوهات الشائعة التي تنتشر عبره في تكوين شيفراتها، ورغم وجود مصادر أخرى والمضامين الإعلامية التقليدية المسلسلات والأفلام التلفزيونية، وحتى الأفلام الأجنبية، إلا أن الشارع الجزائري كمصدر فعلي والمضامين المنتشرة عبر فيسبوك كمصدر الافتراضي لعب الدور الأول في تشكيلها.

يتم استغلال العناصر المرئية والعناصر اللغوية التي تنتشر عبر فيسبوك من أجل إنشاء شيفرات متعددة الوظائف، على الرغم من بساطتها الظاهرة واستخدامها للغة ورموز بسيطة في كثير من الأحيان، هدفها الأساسي التواصل ضمن جماعات تملك عدّة لغوية متشابهة بطبيعة الحال أساسها اللهجة الجزائرية، عدة يتم استغلالها لتأكيد وصياغة هوية يمكن اعتبارها محلية وبالتالي مخففة لتأثير العولمة على المجتمعات التي تصاغ فيها هذه الشيفرات، ف"الألفاظ تتعرض لاستعمالات بلاغية متعارفة بين أولاد "الحومة" لا يدرك معناها غيرهم من أبناء حومة أخرى وهو تقريبا ما يحدث بين الخلان ورفقاء المهنة.."¹.

فبنفس الطريقة التي يوفر بها فيسبوك فضاءً لعرض الهوية اللغوية الجزائرية وما يحيط بها من وقائع، وكما يكسب فيسبوك بفرضه أداة علمية لغة جديدة وعالمية للمبشرين مبنية على الرمز، فإنه يساهم في مزج كل تلك اللغات والألسن والرموز ومعانيها من أجل خلق لغة جزائرية مشققة خاصة بالمبشرين، تُقرأ من جانب أنها تشتت البعد اللغوي للهوية الوطنية الجزائرية، وتُقرأ من جانب آخر بأنها مجرد نمط لغوي يمكن اعتباره دارجة افتراضية تتماشى وحقيقة أن اللغة تتطور وتميل لأن تُصنف في الجانب التطويحي للهوية بدل جماعاتيتها، أي أنها لغة تعبر عن أفعال انفعالية شعورية كما وصفها ماكس فيبر ورغبة في التمرد على اللغات التقليدية، كما يمكن تفسير ذلك من خلال اعتبار هذا النوع من اللغات ارتباكاً في الهوية اللغوية للمبحوث Identity Confusion* حيث تواجه فيها هوية الفرد ارتباكاً نفسياً وجسدياً خاصة في المراحل التي تطرأ فيها تغيرات على محيطه الاجتماعي إذ يتوقف انتماءه عن أن يكون واضحاً، ما يسمح له بخوض تجارب واتماءات لغوية قبل تكوينه مع مرور الزمن لهوية متماسكة، والذي يؤكد لنا ذلك هو أن الذين أجابوا بوجود شيفرة لغوية ضمن جماعتهم مدعومون من طرف المبحوثين من الفئة العمرية 14-34 بنسبة 85.87%، بينما الذي أجابوا بأنه لا توجد شيفرة من هذا النوع أو ما اسميناه دارجة فيسبوكية مدعومون من طرف فئة المبحوثين الذين تتعدى أعمارهم 35 سنة بنسبة 24.07%.

¹ محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، مرجع سبق ذكره، ص 184.
* أنظر عنصر: المدخل النفسي: الهوية من وجهة نظر سيكولوجية، المطلب الثاني، المبحث الأول من الفصل الثالث.

خلاصة:

من أجل التحقق من صحة الفرضية الثانية القائلة بمساهمة موقع التواصل الاجتماعية فيسبوك باعتباره أداة عولمية في تكريس آثارها على المستخدمين الجزائريين بتجسيد الصدام اللغوي الوطني وخلق أساليب لغوية جديدة، والإحاطة بمؤشراتها التي تضمنها المحور الرابع من تقنيات البحث؛ جاء هذا الفصل.

تناول المبحث الأول من الفصل عرض ومناقشة بيانات مؤشر الواقع اللغوي في الجزائر عبر فيسبوك، والذي حاولنا من خلاله أولاً عرض الوضعية اللغوية للمبحوثين بين اللغات الوطنية واللغات العالمية من خلال فيسبوك، أي تمركز المبحوثين بين اللغات التي يستخدمونها فعلياً وبين اللغات التي يتعاملون بها عبر الموقع وذلك من أجل قياس مدى تأثير إخراجهم من الحدود اللغوية المحلية إلى العالم من خلال فيسبوك في شكل من أشكال اعتبار الأخير عالماً ثالثاً بتعريف هومي بابا، وكذا قياس مختلف المتغيرات الفعلية والافتراضية المؤثرة بذلك، إضافة إلى مبررات استخدام كل لغة في عبر الموقع مع تقديم قراءات ومحاولات تفسير للارتباطات الإحصائية المتوصل إليها، بعد ذلك حاولنا الإحاطة بالمدى الذي يمثل به موقع فيسبوك فضاءً لتظهر الواقع اللغوي للمبحوثين، خاصة ما تعلق منه بالصدام بين اللسانين العربي والبربري الذي امتد ليصبح صداماً عرقياً، وذلك من أجل مناقشة وتفسير مساهمة فيسبوك في تكريس إحدى أهم الظواهر العولمية وهي تفكيك الأمم وهوياتها من الأسفل.

المبحث الثاني من الفصل، جاء لعرض ومناقشة جانب آخر من البعد اللغوي للهوية الوطنية الجزائرية وهو الجانب المتعلق ببيانات مؤشر العولمة اللغوية واختراع اللغات الجديدة عبر فيسبوك، سواء فيما تعلق بظاهرة تبديل الرموز كممارسة لغوية اتصالية لدى المبحوثين أو ما يعرف باللغة الهجينة بأشكالها المختلفة من تعبيرات عربية بالحروف اللاتينية والعكس وصولاً إلى ظاهرة تعويض الحروف العربية بالأرقام، لننتقل في المطلب الثاني إلى نوع آخر من اللغات العالمية الجديدة وهي لغة التعبيرات المرئية من الرموز، الملصقات والميمات باعتبارها ممارسات لغوية اتصالية جديدة لدى المبحوثين تتمظهر بشكل جلي في التواصل عبر فيسبوك، لنصل في النهاية إلى اختراع المبحوثين لنوع آخر من اللغات المشفرة تعتبر كلغة جزائرية فيسبوكية أساسها التشفير وفك التشفير، بفرضها كلها ممارسات لغوية ساهم موقع فيسبوك في جعلها "لغة العالم" بدل الإنجليزية إضافة إلى تكريسها على حساب اللغات الوطنية على الأقل ضمن موقع فيسبوك.

الفصل السابع:

مرجعية الوصية الجزائرية عبر موقع فيسبوك

تحليل ومناقشة بيانات الفرضية الثالثة

مضمون الفصل:

تمهيد.

المبحث الأول: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: موقع فيسبوك كفضاء احتفائي بالانتماء الوطني.

المطلب الأول: مدى التفاعل مع المناسبات والأعياد الوطنية المرتبطة بتاريخ الجزائر.

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة على التفاعل الفيسبوكي مع المناسبات الوطنية الجزائرية.

المبحث الثاني: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: تدفق السمات الثقافية الكونية عبر فيسبوك.

المطلب الأول: استراتيجيات تمثيل الانتماء الوطني وسرد الثقافة الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك.

المطلب الثاني: فيسبوك كأداة لصناعة التراث والترويج للخصوصيات الثقافية الجزائرية.

المطلب الثالث: فيسبوك كأداة لإضفاء السمات الثقافية العالمية على الخصوصيات الثقافية الجزائرية.

خلاصة.

تهيد:

"وبسبب العولمة فإنه تنشأ على الدوام مفترقات طرق ثقافية في أنحاء كثيرة من العالم.."

توماس هايلاند إيركسون، مفترق طرق الثقافات، ص 8.

"قف بأقدام ثابتة على أديمنا الراسخ، لنرؤ مطمئنين واثقين بنفسنا إلى عوالم أخرى نستقي من تجاربها الناجحة... هذا ما قصدها بالجمع بين الإثنية والأصالة مع التفتح والعالمية"

مولود قاسم نايت بلقاسم، الإثنية والأصالة، ص 545.

إن البحث في موضوع الهوية الوطنية ومقوماتها يدفعنا إلى تلمس العديد من المسائل المرتبطة بها، ومن أهمها مسألة النزعة الوطنية، فوجود أمة مرتبط بوجود شخصيتها وهويتها التي يمثل عنصر الوطنية أحد أهم أبعادها، فمن خلاله يتجلى الانتماء إلى الوطن بباقي مقوماته ومرجعياته اللغوية والدينية، ومؤشراته التاريخية، الثقافية والسياسية، ولأنه كذلك؛ هو من أكثر الأبعاد التي يظهر من خلالها تأثير العولمة على الهوية الوطنية لا سيما في ظل تلاشي الحدود الفاصلة بين ما هو داخلي وما هو خارجي، وبين ما هو محلي وما هو كوني والذي يتخذ من وسائل التواصل الاجتماعي أدواته في عصر التقنية كما تفترض هذه الدراسة.

وكنا قد تناولنا في الفصل السادس البعد الثاني من أبعاد الهوية الجزائرية، ومواصلة لذلك سنتناول في هذا الفصل عرض ومناقشة بيانات الفرضية الثالثة المتعلقة بالبعد الوطني للهوية الجزائرية لدى أفراد عينة الدراسة، وذلك من خلال المؤشرات التي حددناها مسبقا وتم سؤال المبحوثين والمستجوبين حولها، وتمت بلورتها في: مؤشر الانتماء الوطني والاحتفاء بالتاريخ والعادات والتقاليد الوطنية وما ارتبط بها من المناسبات والأعياد، وما يمكن أن يتضمنه ذلك من حس مواطني بين الفعلي والافتراضي؛ إضافة إلى مؤشر السمات الثقافية الجزائرية وما ارتبط بها من تدفق ثقافي كوني من وإلى الحدود الثقافية الوطنية بين تأثر المبحوثين ومقاومتهم لها، كل ذلك من أجل اختبار الفرضية الثالثة من الدراسة القائمة بـ:

يرتبط تأثير موقع فيسبوك باعتباره أداة عولمية على البعد الوطني للمستخدمين الجزائريين عكسيا بمدى ارتباطهم بوطنهم ورموزه الوطنية، التاريخية والثقافية.

الكلمات المفتاحية للفصل: الوطنية الجزائرية؛ التاريخ؛ الذاكرة؛ الانتماء؛ المواطنة؛ السمات الثقافية.

المبحث الأول: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: موقع فيسبوك كفضاء احتفائي بالانتماء الوطني.

سنعمل في المبحث الحالي على عرض ومناقشة البيانات المتعلقة بمؤشر اعتبار موقع فيسبوك فضاءً يتمكن المستخدمون المبحوثون من خلاله الاحتفاء بانتمائهم الوطني عبر مناسباته الوطنية التاريخية التي يتم التعبير عنها عبر مختلف الطقوس الاحتفالية الافتراضية وتقاليدها المخترعة التي تتناسب مع العصر، وعبر كل من المخطئين سيتم البحث عن تظهر الهويات الشبكية سواء هوية إضفاء الشرعية، أو هويتي المقاومة والمشروع على أساس أنهما شكلان من أشكال التعارض مع الهوية المشرعة وأكثرها بروزا في عصر العولمة ومجتمع الشبكات.

المطلب الأول: التفاعل مع المناسبات والأعياد الوطنية المرتبطة بتاريخ الجزائر.

نلاحظ أثناء تصفحنا لموقع فيسبوك أيام المناسبات والأعياد الوطنية؛ كذكرى اندلاع ثورة التحرير في الفاتح من نوفمبر، أو عيد الاستقلال يوم الخامس من جويلية، ممارسات رقمية واحتفاليات افتراضية سواء من طرف المستخدمين عبر حساباتهم الشخصية أو الصفحات والمجموعات، والتي تمثل عادة في النشر حول المناسبة؛ سواء بنشر معلومات حولها على سبيل التذكير بها، صور وفيديوهات معبرة عنها، النقاش حولها عبر المنشورات والتعليقات؛ والذي يفضي في العادة إلى تصحيح معلومات تاريخية خاطئة حولها أو التأكيد على الصحيح منها، إضافة إلى تغيير الهوية البصرية للحساب الشخصي (الصورة الشخصية أو الواجحة) بما يوائم المناسبة (أنظر الملحق رقم 41)، فما هو مدى استغلال مبحثنا لموقع فيسبوك كفضاء لعرض هذه الاحتفاليات الافتراضية؟

الجدول رقم (46): مدى تفاعل المبحوثين مع الأعياد والمناسبات الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك.

المجموع	مدى تفاعل المبحوثين مع المناسبات الوطنية				التفاعلات مع الأعياد والمناسبات الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك.	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	النسبة المئوية
530	122	98	199	111	التكرار	نشر صور ومعلومات حول المناسبة
%100	%23.02	%18.49	%37.55	%20.94	النسبة المئوية	
530	168	118	162	82	التكرار	تصحيح معلومات خاطئة حول تاريخ المناسبة
%100	%31.70	%22.26	%30.57	%15.47	النسبة المئوية	
530	163	115	154	98	التكرار	التأكيد على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة
%100	%30.75	%21.70	%29.06	%18.49	النسبة المئوية	
530	182	92	142	114	التكرار	وضع صورة العلم الجزائري على حساب المبحوث أو صورته الشخصية
%100	%34.34	%17.36	%26.79	%21.51	النسبة المئوية	
530	187	107	141	95	التكرار	نشر أناشيد وطنية (كلمات أو فيديوهات)
%100	%35.28	%20.19	%26.60	%17.92	النسبة المئوية	
2650	822	530	798	500	التكرار	المجموع
%100	%31.02	%20	%30.11	%18.87	النسبة المئوية	

الجدول أعلاه هو جدول مركب يوضح تفاعل المبحوثين مع الأعياد والمناسبات الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك، وهي: نشر صور ومعلومات حول المناسبة، تصحيح معلومات خاطئة حول تاريخ المناسبة، التأكيد على صحة المعلومات التاريخية

حول المناسبة، وضع المبحوث صورة العلم الجزائري على حسابه أو صورته الشخصية نشر أناشيد وطنية (كلمات أو فيديوهات)، ويتضح لنا من خلاله عموماً أن المبحوثين لا يتفاعلون أبداً مع المناسبات والأعياد الوطنية كأعلى نسبة قدرت بـ 31.02%، تليها ويفرق يقل عن 1% نسبة الذين أحياناً ما هم يتفاعلون مع هذه المناسبات أي بنسبة 30.11%، بعدها نسبة المبحوثين الذين نادراً ما يتفاعلون بنسبة 20%، وقريب منها نسبة المبحوثين الذين لا يتفاعلون أبداً وبأي شكل مع الأعياد والمناسبات بنسبة 18.87%، وبتفصيلنا لكل واحدة من هذه الممارسات، ندرج نتائج الجدول كما يلي:

- نبدأ بالتفاعل المتعلق بنشر صور ومعلومات حول المناسبة الوطنية، إذ أن 37.55% من المبحوثين أحياناً ما يتم يفاعلون بهذه الطريقة وهي أعلى نسبة في الجدول وأعلاها من جهة القبول، بينما 23.02% لا يتفاعلون أبداً بهذه الطريقة، تليه نسبة الذين دائماً ما يتفاعلون بها والمقدرة بـ 20.94%، وفي الأخير نسبة الذين نادراً ما هم يتفاعلون التي بلغت 18.49%.
- نأتي الآن إلى النتيجة المتعلقة بتصحيح معلومات خاطئة حول تاريخ المناسبة الوطنية، إذ تنتقل أكبر نسبة الآن إلى الذين لا يتفاعلون أبداً بهذه الطريقة والتي تقدر بـ 31.70%، تليها نسبة الذين أحياناً ما يتفاعلون بهذه الطريقة بنسبة 30.57%، ثالثاً تأتي نسبة المبحوثين الذين نادراً ما يتفاعلون بتصحيح المعلومات بنسبة 22.26%، وفي الأخير نسبة الذين لا يتفاعلون بهذه الطريقة أبداً والمقدرة بـ 15.47% كأقل نسبة داخلية في الجدول.
- أما النتائج المتعلقة بالتأكيد على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة كواحدة من طرق التفاعل، فـ 30.75% من المبحوثين لا يتفاعلون بها أبداً، وقريب منها نسبة المبحوثين الذين أحياناً ما يتفاعلون بهذه الطريقة والمقدرة بـ 29.06%، بعدها نسبة الذين نادراً ما يفعلون بنسبة 21.70%، وفي الأخير وبنسبة 18.49% تأتي فئة الذين دائماً ما يتفاعلون بهذه الطريقة.
- وضع صورة العلم الجزائري على حساب المبحوث أو صورته الشخصية، هي واحدة من طرق التفاعل مع الأعياد الوطنية كذلك، فـ 34.34% من المبحوثين أجابوا بأنهم لا يعتمدونها أبداً، و 26.79% من المبحوثين أجابوا أنهم أحياناً ما يفعلون، وأجاب 21.51% أنهم دائماً ما يضعون صور العلم الجزائري، وفي الأخير وبنسبة 17.36% الذين نادراً ما يفعلون ذلك.
- وطريقة التفاعل الأخيرة هي نشر أناشيد وطنية سواء كلمات أو فيديوهات، فقد أجاب 35.28% من مبحوثينا أنهم لا يتفاعلون بهذه الطريقة أبداً، و 26.60% منهم أجابوا بأنهم أحياناً ما يفعلون، وأجاب 20.19% منهم أنهم نادراً ما ينشرون الأناشيد مهما كانت الطريقة، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذين أجابوا بأنهم دائماً ما يفعلون؛ والمقدرة بـ 17.92%.

عندما نتكلم عن المناسبات الوطنية الجزائرية فإننا نتكلم عن إحياء لذاكرة أسست على مَر الزمان والمكان تحديداً ما تعلق منه بالفترة الاستعمارية وما بعدها، والاحتفال بها هو ممارسة اجتماعية ترمي إلى المحافظة على الذاكرة الجمعية للأمة؛ وعنصر أساسي لتشكيل الهوية الوطنية، لذلك عادة ما يتم التعبير عندها بالفاظ "الإحياء" و"التخليد"، خاصة أن تاريخ الجزائر لطالما تعرض للتشويه من طرف المستعمر الذي برر وجوده الاستيطاني بادعائه عدم وجود تاريخي للجزائر سواء كدولة، كآمة أو كشعب، وسارع إلى محو دلائل الذاكرة الجزائرية واختزالها فيما هو شفوي، ما لم يكن أمراً اعتباطياً، ونتج عنه تمسك بالذاكرة كرد فعل على محاولات إلغائها، "فالمجتمعات التي لها ذاكرة اجتماعية شفوية على وجه الخصوص والتي راحت تشكل لها ذاكرة

جمعية مكتوبة هي المجتمعات التي تمكن على أحسن حال من إدراك ذلك الصراع الهادف إلى سيطرة الذكرى والتقليد اللذين هما في منزلة تحريك للذاكرة¹.

لذا فإن مغزى الاحتفال بهذه المناسبات هو إحياء مآثرها وتراثها وأمجادها مما كانت أساليب ذلك تبدو بسيطة، المؤلفات الفنية والأدبية والتاريخية، وبالموسيقى واللوحات الزيتية وكل أسلوب ممكن²، والتذكير بها كي لا يغزوها النسيان خاصة في عصر تسارع الأحداث وإفراطها، واتجاه العالم المعاصر نحو إنتاج عدد متزايد من الذكريات الجمعية تحت ضغط ما يسمى بالتاريخ الفوري Instant history الذي زادت حدته مع تطور وسائل الإعلام وقدرتها على التأثير والغرس والاستلاب. ويكون تخليد الذاكرة الجمعية و"إنقاذها" بتعبير جاك لوغوف مرتبطاً من جهة بالفاعلين ومن جهة بأساليب الفعل:

• من جهة الفاعلين فإن الجمهور العريض، المتوجس من ضياع الذاكرة وفقدانها يساهم في المحافظة عليها؛ سواء منهم الذين يفعلون ذلك من مبدأ الوطنية، أو من يعرفون بـ"تجار الذاكرة" الذين يستغلونها لأنها غدت إحدى موضوعات المجتمع الاستهلاكي الشديدة الرواج.

• أما من جهة أساليب الفعل فإن ذلك يتجاوز النصوص المكتوبة إلى كل من الأحاديث والصور والإشارات والشعارات والأعياد³، ومن ضمن الأساليب كذلك استغلال ما يوفره العصر الحالي من ثورة على صعيد الذاكرة وهو الاستعانة بالتقنية للحفاظ عليها على غرار الذاكرة الإلكترونية "وما الذاكرة الإلكترونية إلا عنصر من عناصرها، وهو العنصر الأكثر إدهاشاً بلا شك"⁴.

خاصة أن موقع فيسبوك يتوفر على خاصية تساهم في إنعاش ذاكرة المستخدم سنوياً، وهي خاصية الذكريات Memories، إذ يخبرك فيسبوك بأنك "سترى أشياء مثل منشوراتك والمنشورات التي تمت الإشارة إليك فيها، والمناسبات السنوية في الذكريات عبر فيسبوك، لا يمكنك إيقاف تشغيل الذكريات، ولكن يمكنك التحكم في ما تراه منها"⁵، فإذا شارك المستخدم مرة واحدة وتفاعل بنشره لصور ومعلومات متعلقة بالمناسبة الوطنية، ستحتفظ ذاكرة الموقع بذلك المنشور وتذكره بها في نفس اليوم من كل عام، فحتى وإن نسي المبحوث مناسبة وطنية ما فستتقلل الخاصية بتذكيره بها وكذا إعطائه إمكانية إعادة مشاركة منشور جاهز حولها بنقرة واحدة، وهذا يقدم لنا تصوّراً عن دور فيسبوك ولو بطريقة غير مقصودة في إنعاش الذاكرة الوطنية.

تعتبر الاحتفالات الافتراضية حسب افتراضنا هنا، وكذا التفاعل مع المناسبات الوطنية عبر فيسبوك شكلاً من أشكال "اختراع التقاليد" عند هوبز باوم ورينجر؛ لكنها متوائمة أكثر مع عصرنا هذا، فإذا كانا يريان أن اختراع التقاليد هو استخدام لمواد قديمة في أساليب احتفالية وتقاليد جديدة، على أساس أن الرموز والأدوات الوطنية الجديدة خرجت إلى الوجود في

¹ جاك لوغوف، ترجمة: جبال شحيد، التاريخ والذاكرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017، ص 167.

² مولود قاسم نايت بلقاسم، إثنية وأصالة، مرجع سبق ذكره، ص 157 و 166.

³ جاك لوغوف، مرجع سبق ذكره، ص 162.

⁴ المرجع نفسه، ص 156.

⁵ Facebook, "Memories", Facebook Help center, accessed: 20-01-2024, at: 01:33, URL: <https://www.facebook.com/help/1056848067697293>.

العصر الحديث نتيجة انتشار الحركات الوطنية والدولية، فجاء "النشيد الوطني.. والعلم الوطني و تجسيد "الأمة" برمز أو صورة - سواء رموز رسمية أو غير رسمية"¹، فالاحتفالات الافتراضية ما هي إلا استخدام لذات المواد وذات المعاني ولكن في سياقات افتراضية، وهي بمفهوم غوفمان عدّة مسرحية يعرض من خلالها المبحوثون هوياتهم الوطنية، لذا فهي تشكل جزءاً أساسياً لاختبار تأثير العولمة وتداعياتها من خلال فيسبوك على الشعور الوطني للمبحوثين بمختلف عوامله، ومن أجل ذلك يبيىء المطلب الثاني ليختبر تأثير هذه التداعيات.

وهنا نجد أن موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، وتفاعل المستخدمين المبحوثين مع المناسبات الوطنية عبره هو نوع من أنواع إنقاذ الذاكرة المقصود أو غير المقصود، الوطني أو الاستهلاكي، إذ يجمع كلّاً من الجمهور العريض، الصور والإشارات والأعياد، واستغلال الذاكرة الإلكترونية. لذا؛ فإن انقسام عينة الدراسة مناصفة بالتقريب، بين اتجاهي القبول والرفض إذ تعادل نسبة المبحوثين الذين لا يتفاعلون مع هذه المناسبات أن ينذر تفاعلهم 51.47%، بينما تعادل نسبة المبحوثين الذين يتفاعلون مع هذه المناسبات أو أحياناً ما يفعلون 48.98%-، مع ارتفاع نسبة عدم تفاعل المبحوثين النهائي مع المناسبات الوطنية الجزائرية، يمكن أن يفسّر أولياً بعدم اهتمام المبحوثين بإحياء هذه المناسبات والتفاعل معها لأسباب مختلفة.

منها ما يتعلّق بالفجوة الجيلية Generational Gap بين المبحوثين، حيث أن مظاهر الاحتفال هذه لم تعد تثير حماسة الأجيال الجديدة مقارنة بالسابقة، خاصة أنّ الأجيال الجديدة لم تعايش لا الاستعمار ولا آثاره المباشرة، فعند ربطنا إحصائياً بين متغيّر السن ومدى تفاعل المبحوثين مع المناسبات الوطنية وجدنا أنه كلّما زاد سن المبحوث زادت نسبة تفاعله بطريقتين على الأقل مع المناسبات الوطنية، فعلى سبيل المثال تتدعم نسبة الذين يقومون دائماً بالدفاع والتأكيد على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبات الوطنية من طرف فئة المبحوثين الذين ينتمون إلى الفئة العمرية الممتدة بين 54 و63 سنة بنسبة 35.29%، بينما تتدعم نسبة المبحوثين الذين لا يقومون أبداً بالدفاع والتأكيد على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبات الوطنية من طرف الذين ينتمون إلى الفئة العمرية 24 سنة إلى 33 سنة بنسبة 34.15% ثم بنسبة 33.33% من طرف الذين ينتمون إلى الفئة العمرية الممتدة بين 14 و23 سنة، وهي نفس العلاقة الإحصائية الناتجة عن ربط متغيّر السن بوضع المبحوثين لصورة العلم الجزائري على حسابهم أو صورتهم الشخصية مع اختلاف طفيف في النسب، ويمكن لهذه النتيجة أن تدعم كذلك التصرّ القائل بأن الجيل الجديد Z هو جيل المواطنة العالمية Citizens of the World وجيل المواطنة عبر الإنترنت Netizenship.

ومن هنا ما يتعلق باعتبار هذه التفاعلات مجرد تمسرح، فقد أجاب أحد مستجوبينا أن "الفيسبوك يرسم لغة الشعارات المنادية بالوطنية أرض الواقع يكذب ذلك...شعارات واغاني منتشرة على الفيسبوك...وفي أرض الواقع الافراد لا يعبرون عما احتوت حساباتهم...ليس بشكل عام ولكن الاغلبية تعرض ذاتها بالوطنية وان سألتهم ما الوطنية لم يجيبوا وان قست وطنيتهم وجدتهم لا يقومون بعمله البسيط كما يجب...فالوطنية صفة عالية لا يصل اليها كل من شاء بل يجب ان يجتهد ويكد حتى يصل لبعض ثمارها..."²، أي أن التفاعل معها مجرّد عرض فلكلوري لا يعبر فعلياً عن الوطنية والالتزام لذلك فلا ضرورة له.

¹ إيريك هوبزباوم وتيريس رينجر، مرجع سبق ذكره، ص 12.

² إجابة المستجوب رقم 2، على السؤال رقم 17 من مقابلة البحث.

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة على التفاعل الفيسبوكي مع المناسبات الوطنية الجزائرية.

لتكون لدينا قدرة أكبر على تفسير وتحليل هذه التفاعلات سواء في وجودها أو عدمها؛ تم ربطها مع متغيرات أخرى، وقد وجدنا من خلال مختلف الارتباطات ذات الدلالة الإحصائية أن هنا ثلاثة عوامل -على الأقل- تتحكم في مدى تفاعل المبحوث مع المناسبات الوطنية، أولها عامل الارتباط بالمكان وعنصر الانتماء؛ ثانيها مدى ارتباطه بالهوية الجزائرية في تفاعله عبر فيسبوك، وثالثها مدى انخراطه في "المواطنة عبر فيسبوك" وتأثره بالتوجه السياسي للصفحات التي يتابعها.

✓ **أولاً: الارتباط بالمكان وعنصر الانتماء** ونقصد بذلك مدى ارتباط المبحوثين بهويتهم الوطنية الجزائرية في مختلف أبعادها، خاصة عنصر الانتماء إلى الوطن والرؤية الإيجابية أو السلبية لخصوصيته الثقافية المتنوعة، والطريقة التي يؤثر بها كل ذلك على تفاعلاتهم مع الأعياد والمناسبات الوطنية. وعند ربطنا لمختلف العلاقات الإحصائية وجدنا ذلك يتجسد فيما يلي:

الجدول رقم (47): علاقة رغبة المبحوثين في الهجرة إلى الخارج بدفاعهم وتأكيدهم على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة الوطنية.

المجموع	قيام المبحوث بالدفاع وتأكيده على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة				رغبة المبحوث في الهجرة إلى الخارج لو أتيحت له الفرصة	
	أبداً	نادراً	أحياناً	دائماً		
363	122	83	99	59	التكرار	يهاجر
%100	%33.61	%22.87	%27.27	%16.25	النسبة المئوية	
167	41	32	55	39	التكرار	لا يهاجر
%100	%24.55	%19.16	%32.93	%23.35	النسبة المئوية	
530	163	115	154	98	التكرار	المجموع
%100	%30.75	%21.70	%29.06	%18.49	النسبة المئوية	

يمثل الجدول أعلاه علاقة رغبة المبحوثين في الهجرة إلى الخارج بدفاعهم وتأكيدهم على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة الوطنية، ونلاحظ من خلاله وجود علاقة بين المتغيرين، وبالتفصيل في قراءة النسب؛ فإن 30.75% من المبحوثين لا يتفاعلون أبداً مع المناسبات الوطنية بالدفاع عن المعلومات التاريخية حولها، بدعم نسبته 33.61% من المبحوثين الذين أجابوا بأنهم سيهاجرون لو أتيحت لهم الفرصة، كما أجاب 29.06% من المبحوثين بأنهم أحياناً ما يقومون بالدفاع والتأكيد عن المعلومات التاريخية، بدعم نسبته 32.93% من طرف المبحوثين الذين أجابوا بأنهم لا يفكرون في الهجرة حتى لو أتيحت لهم الفرصة، بعدها تأتي نسبة المبحوثين الذين نادراً ما هم يتفاعلون بهذه الطريقة والمقدرة بـ 21.70% بدعم نسبته 22.87% من طرف المبحوثين الذين أجابوا بأنهم سيهاجرون لو أتيحت لهم الفرصة، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذين دائماً ما هم يتفاعلون بهذه الطريقة والتي بلغت 18.49% بدعم نسبته 23.35% من طرف الذين أجابوا بأنهم لن يهاجروا حتى وإن أتيحت لهم الفرصة.

تقع هذه النتيجة ضمن علاقة تشكل مسألة مهمة في دراسات الهوية في علاقتها بالعملة وهي مسألة الهجرة والحدود الوطنية، إذ يؤكد الباحثون في هذا المجال على ظهور أشكال جديدة -بفعل الهجرة- من علاقة الفرد بوطنه وبالمواطنة تتخطى

حدود الدولة، كبديل أو ملازم للصيغ التقليدية للمواطنة والانتماء على غرار "المواطنة العالمية" global citizenship، "المواطنة العبروطنية" transnational citizenship، و"المواطنة ما بعد الوطنية" postnational citizenship¹، والتي ساهمت الهجرة على مر الزمن في تغذيتها، كما أن لديها تأثيرا مباشرا على شكل الهويات الوطنية والانتماء الوطني، وينقسم تصوّر العلاقة بين الانتماء الوطني والتواجد ضمن الحدود الوطنية مقابل عدم التواجد إلى قسمين:

- تصوّر تقليدي للوطنية والمواطنة يرى أن عدم التواجد هو تدمير لعنصر الانتماء؛
- وتصور ما بعد وطني يرى أن الانتماء الوطني يمكن أن يتجاوز حدود الجغرافيا، ف "إذا كان النموذج التقليدي للمواطنة محمدا بالدولة الوطنية، حيث تستلزم المواطنة علاقة إقليمية بين الفرد والدولة، فإنه في النموذج ما بعد الوطني أصبحت حدود العضوية مائعة Fluid"².

إذا لاحظنا النسب التي يبينها الجدول وكذا نسب التدعيم واتجاهه، وإذا كنا قد اعتبرنا أن التفاعل مع المناسبات الوطنية عبر مظاهر الاحتفاء بها افتراضيا مؤشرا على شعور الانتماء وحب الوطن، فإننا أولا نستنتج من الاتجاه العام للجدول أن نصف عينة الدراسة تقريبا لا تهتم بالتفاعل مع المناسبات الوطنية من خلال الدفاع وتصحيح المعارف التاريخية حولها، وذلك راجع إما لعدم اهتمام الباحثين بالمناسبات الوطنية، أو عدم اهتمامهم بالدفاع عن المعلومات حولها، أو عدم الرغبة في دخول جدالات تاريخية وصدامات افتراضية قد تفضي بالمباحث إلى المساءلة القانونية، خاصة في ظل وجود قوانين كثيرة تركز على الوحدة الوطنية واستقرار الدولة وتهديدهما، على غرار ذلك الذي ينص على أن "كل من يعمل بأية وسيلة كانت على المساس بسلامة وحدة الوطن... يعاقب بالحبس لمدة سنة إلى عشر سنوات وبغرامة من 3.000 إلى 70.000 دج، مع جواز حرمانه من الحقوق"³.

كما نستنتج أن الباحثين الذين هم نادرا وكذا أبدا ما يقومون بالتأكيد على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة يرغبون في الهجرة إلى ما أتيحت لهم الفرصة، بالمقابل فإن الباحثين الذين دائما وأحيانا ما يقومون بالتأكيد على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبات الوطنية، هم الذين أجابوا بأنهم لن يختاروا الهجرة إذا أتيحت لهم الفرصة، فالنتيجة الرئيسية لهذا الجدول، هي أنه كلما زاد ارتباط الباحث بأرضه ووطنه وتفضيل عدم الهجرة كلما زاد تبنيه لموقف دفاعي عن تاريخ بلاده ومناسباته الوطنية، وما أكد لنا ذلك هو ربط نفس المتغير الذي يأخذ اتجاهها تابعا بمتغير بلد إقامة الباحث أم مهاجر ووجدنا أن الذين لا يتفاعلون أبدا بهذه الطريقة مع المناسبات الوطنية مدعومون بنسبة 45.83% من فئة المهاجرين مقابل 30.04% للمواطنين المقيمين. وتدعم هذه النتيجة التصوّر التقليدي للمواطنة وشعور الوطنية، ويمكن تفسير ذلك بوجود رابط بين التواجد الفعلي في أرض الوطن وشعور الانتماء إليه إذ ترتبط الذاكرة بالمكان كما سماها بيار نورا "أماكن الذاكرة"، كما يتناسب مع المفهوم المناطقي Territorial Concept للأمة والقومية الذي يركز على اعتبار الأمم مجتمعات منظمة داخل منطقة محددة تمارس ضمنها سيادتها وتمتّع بهويتها، وكل ما يرتبط بالآخيرة من تمثيلات وممارسات.

¹ سعيد الصديقي، "الهجرة العالمية وحقوق المواطنة"، السياسة البولية، المجلد. 42، العدد. 168، أبريل 2007، ص 23.

² المرجع نفسه، ص ص 27-28.

³ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "قانون العقوبات"، الأمانة العامة للحكومة، الجزائر، 2012، ص 29.

بالمقابل؛ وعند المحاولة الإجابة عن السؤال الذي يتبادر إلينا: هل خيار الهجرة (عدم الارتباط بالأرض) يعني بالفعل ضعف الانتماء المواطن إلى وطنه أم أن هناك عوامل أخرى تتحكم في الخيار؟ ثم ما الدور الذي يمكن أن تلعبه العولمة في ذلك؟ ليس هناك جواب جاهز، لكن محاولة الإجابة عليه في حدود إجابات المبحوثين تأخذ اتجاهين:

• **الأول:** مفاده أن خيار الهجرة بالفعل يشير إلى ضعف انتماء المبحوثين ووطنيتهم خاصة إذا وجدنا أن 21.14% من المبحوثين يبررون خيار هجرتهم بأنهم "لا يؤمنون بالزامية البقاء داخل حدود معينة"، و 17.07% منهم يفضلونها بغرض "الافتتاح على العالم وثقافته"، وهي إجابات تشكك في المفهوم المناطقي للهوية وتعزز الاتجاه المطرد نحو العالم وثقافته. ويمكننا أن نتأكد من العلاقة بين خيار الهجرة وبين الهوية كتمثل بالنسبة لمبحوثينا برطانا إجاباتهم باختيار الهجرة أو اختيار البقاء على أرض الوطن بشعورهم الهوياتي القومي، إذ وجدنا بعد الربط بينها علاقة إحصائية، ف 54.91% من المبحوثين أجابوا بأنه ليس لديهم انتماء قومي، وهم مدعومون بنسبة 56.47% من طرف المبحوثين الذين أجابوا بأنهم يتخذون قرار الهجرة إذا ما سئح لهم، بالمقابل فإن 45.09% من المبحوثين أجابوا بأن لديهم انتماء قوميا، بدعم من الذين لن يتخذوا قرار الهجرة حتى وإن أتيحت لهم الفرصة؛ ونسبته 48.50%، وهي النتيجة التي تؤكد التصور التقليدي لمفهوم المواطنة وشعور الوطنية، وتميل لاعتبار الهجرة -مثلا مثل العولمة- مهددة للهويات الوطنية ف "بينما لا تلغي الهجرة وجود الأمم، فإن التسارع المستمر لوتيرتها، مصاحبا لسياسات التعددية الثقافية يمكن أن يهدد قدرتها على النجاح"¹.

• **الثاني:** مفاده أن خيار الهجرة منفصل عن الشعور بالانتماء، أي أن عدم الحضور الفيزيقي ضمن الحدود الوطنية لا يعني ضعف شعور الوطنية، فالمرء سواء كان مواطنا أو مهاجرا، تبقى الدولة حتى في ظل محاولات العولمة تهديدها؛ الأكثر فعالية للتعبير عن وعي الشعوب بالانتماء والهوية والتميز، وإشباع ما ساءه بندق أندرسون بالشوق الميثافيزيقي إليها، خاصة أن مبررات الهجرة لا تتعلق بجدوى الحدود ولا بالثقافة العالمية بل تتعلق بما هو اقتصادي واجتماعي، إذ جاء عن منظمة العمل الدولية على سبيل المثال، أن أهم الحوافز الذاتية للمهاجرين الدوليين هو السبب الاقتصادي ف "البحث عن فرص اقتصادية جيدة السبب الرئيسي لتحرك أغلب المهاجرين عبر الحدود"، حيث قدرت نسبتهم منذ بداية الألفية الجديدة بـ 50%²، وهو يتلاءم مع ما أفادنا به المبحوثون مبررين قرار هجرتهم، ف 61.79% من الذين أجابوا بأنهم يختارون الهجرة إذا أتيحت لهم، برروا اختيارهم هذا برغبتهم في "البحث عن فرصة حياة أفضل".

لذلك نرى أن الدولة في دستورها على سبيل المثال تسعى إلى التأكيد على جزائرية المقيمين بالخارج وأصليتهم، فهي تسهر "على الحفاظ على هوية وكرامة المواطنين المقيمين في الخارج وتعزيز روابطهم مع الأمة، وتعبئة مساهمتهم في تنمية بلادهم الأصلي"³، إذ لا يعني بالنسبة لها أن الإقامة بالخارج تنفي وتجرد من الهوية أو الروابط الوطنية مع الأمة الجزائرية.

¹ بول كولير، ترجمة: مصطفى ناصر، الهجرة: كيف تؤثر في عالمنا؟، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2016، ص 240.

² سعيد الصديقي، مرجع سبق ذكره، ص 25 - 30.

³ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية"، مرجع سبق ذكره، ص 10.

أما عن دور العولمة في هذه العلاقة، فهو مهم جدا من جانب جعل موجات الهجرة ظاهرة مفهومة، فالزيادات الكبيرة في التبادلات التجارية وتدفق رؤوس الأموال داخل "بلدان العالم الغني"، وانتشار نمط حياة "نموذجي" يعبر عن الحياة أفضل أجاب المبحوثون بأنهم يطمحون إليها، هو سبب مباشر في انتشار الرغبة في الهجرة لدى عينة الدراسة، ف"هناك تأثير محتوم للعولمة أدى إلى ارتفاع معدلات الهجرة...لقد تزايدت أعداد المهاجرين الذين انتقلوا من بلد من البلدان النامية إلى آخر على نحو معتدل من نحو 60 إلى 80 مليوناً¹ خاصة منها في بداية الألفية الجديدة (2000).

والآن ما محل التقنية والحياة الافتراضية عبر المجتمعات من انتشار عوالم لا تتمتع فيها الحدود بأهمية قصوى؟ تلعب التقنية دورا رئيسا اليوم في محاولة إعادة تعريف الحدود المكانية ف "الإمكانيات الشبكية التي يوفرها الفضاء المكاني الشبكي تطورت مؤخرا إلى وجود جماهيري ضخم من خلال وسائل التواصل الاجتماعي على الإنترنت ينفق الناس من أولئك المؤهلين تقنيا في كثير من أقاليم العالم وقهم وطاقتهم في هذه الأشكال الجديدة من التنظيم، ومن ثم يدعم ذلك الاحتمال النظري عن أشكال التجمعات البشرية التي لا ترتبط مكائيا أو إقليميا، وترتبط بدلا من ذلك بروابط على المستوى الشخصي"²، فبدل أن يصبح التواجد الفعلي مصدر المعنى والمكان أساس الترابط والتفاعل، يتحول الأمر إلى تواجد افتراضي يمكن للمستخدم أن يبقى على التفاعل والترابط وطقوس الانتماء ولكن دون تواجد فعلي.

يجمع موقع فيسبوك المستخدمين الجزائريين سواء كانوا مواطنين مقيمين أو محاجرين، أو يجمع الجزائريين في أمكنة مختلفة من العالم، إذ حتى بعد هجرتهم يسعون إلى المحافظة على ابط الانتماء الوطنية، فيكفي أن نكتب في خانة البحث عبر فيسبوك "الجزائريون" أو "جزائريون"، فكل النتائج التي يقترحها الموقع هي عبارة عن صفحات ومجموعات لجزائريين عبر العالم ممن يجتمعون شبكيا ويبحثون عن انتماء وطني افتراضي لهم (أنظر الملحق رقم 42).

الجدول رقم (48): علاقة رأي المبحوثين في الدور الذي يلعبه التنوع الثقافي في الجزائر بنشرهم لأناشيد في المناسبات والأعياد الوطنية.

المجموع	نشر المبحوث لأناشيد في المناسبات والأعياد الوطنية				رأي المبحوث في الدور الذي يلعبه التنوع الثقافي في الجزائر	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	عامل قوة ووحدة للجزائر
411	126	88	114	83	التكرار	عامل قوة ووحدة للجزائر
%100	%30.66	%21.41	%27.74	%20.19	النسبة المئوية	
119	61	19	27	12	التكرار	عامل ضعف وتفكك للجزائر
%100	%51.26	%15.97	%22.69	%10.08	النسبة المئوية	
530	187	107	141	95	التكرار	المجموع
%100	%35.28	%20.19	%26.60	%17.92	النسبة المئوية	

¹ بول كولير، مرجع سبق ذكره، ص 58.

² جوردن برانش، ترجمة: جلال عز الدين وعاطف معتمد، الدولة الخرائطية: الخرائط والإقليم وجنود السيادة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017، ص 243.

يوضح لنا الجدول علاقة رأي المبحوثين في الدور الذي يلعبه التنوع الثقافي في الجزائر بنشرهم لأناشيد في المناسبات والأعياد الوطنية، ونلاحظ من خلاله أن 35.28% من المبحوثين لا ينشرون أناشيد في المناسبات الوطنية، بدعم نسبته 51.26% من طرف المبحوثين الذين يرون أن التنوع الثقافي في الجزائر عامل ضعف وتفكك، ثم يتغير اتجاه التدعيم كلما اتجهنا إلى اتجاه الإيجاب، إذ أن 26.60% من المبحوثين أحيانا ما يتفاعلون بطريقة نشر الأناشيد، و 20.19% نادرا ما يفعلون، و 17.92% و 17.92% دائما ما يفعلون، بتدعيم نسبة 27.74%، و 21.41% و 20.19% على التوالي من طرف المبحوثين الذين يرون في التنوع الثقافي في الجزائر عامل وحدة وقوة.

تلعب الأناشيد الوطنية دورا مهما في التعبير عن البعد الوطني للهويات الوطنية، ذلك أنها تذكر عادة بأمجادها وتختصرها إلى كلمات قليلة، لذلك فإن لكل دولة في العالم نشيدا واحدا على الأقل؛ وهو نشيدها الوطني الذي يعد جزءا من دستورها ومن المبادئ العامة التي تحكم ذلك المجتمع، فناء في المادة 6 من الدستور الجزائري أن النشيد الوطني الجزائري هو واحد من مكاسب ثورة التحرير وهو غير قابل للتغيير، كما أن "النشيد الوطني هو "قسما" بجميع مقاطعه"¹، وهو واحد من أناشيد وطنية جزائرية كثيرة طبعت في ذاكرة الجزائريين على غرار "من جبالنا"، "من أجلك عشنا يا وطني" وغيرها.

النتيجة الرئيسية للجدول أعلاه تتمثل في أنه: كلما اتجهنا نحو تفاعل المبحوث أكثر مع المناسبات الوطنية بنشر أناشيد عبر موقع فيسبوك، كلما اتجه التدعيم إلى فئة الذين يرون أن التنوع الثقافي في الجزائر هو عامل للقوة، فرأي المبحوثين حول دور هذا التنوع يلعب عاملا مؤثرا في مدى احتفائهم بالأعياد الوطنية عبر الموقع، بمعنى أن الذين يرون تنوعهم الثقافي يضفي خصوصية على الشخصية الجزائرية؛ هم أكثر ميلا إلى نشر أناشيد يفترض أن توحد ذلك التنوع، بالمقابل فإن الآخرين الذين يرون في تنوعهم سببا للتفكك وعاملا لضعف الدولة لا يتفاعل أغلبهم أبدا مع الأعياد الوطنية بأي طريقة كانت خاصة ما تعلق بالأناشيد، فما علاقة الأناشيد الوطنية بالشعور بالانتماء وبعث الوحدة بين أفراد المجتمع؟

يجيبنا بندكت أندرسون في بحثه عن الجماعات المتخيلة وأصل القومية، بأن النشيد الوطني يحمل خاصيتين تجعلانه مبعثا للشعور بالانتماء إلى الوطن وكذا الوحدة الوطنية:

• **أولا:** أن النشيد يكون بلغة الأمة وهو جامع من خلال تلك اللغة للجماعة؛ حاضرة كانت أو غائبة على غرار الموق، فيرى أنه "ما من شيء يربطنا بالموق عاطفيا سوى اللغة"²، ويقصد بالموق هنا أولئك الذين ماتوا في سبيل الوطن ميتة ذات عظمة أخلاقية؛ وإسقاط ذلك على الخصوصية الجزائرية، نلاحظ أن جل الأناشيد الوطنية مكتوبة ومنطوقة باللغة العربية الفصحى أو الدارجة الجزائرية، وهو ربما يتعارض عند البعض مع مبدأ التعدد الثقافي في الجزائر، وذلك ما يمكن أن يفسر عدم اهتمام الذين يرون في التنوع الثقافي في الجزائر عاملا للتفكك بنشر الأناشيد الوطنية، وهو أمر واقع بالفعل في العديد من الدول المتنوعة ثقافيا وعرقيا، إذ عمدت بعضها؛ من أجل أن تتجاوز ما قد يثيره النشيد الوطني من تشكيك في مواطنة

¹ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية"، مرجع سبق ذكره، ص 7.

² بندكت أندرسون، مرجع سبق ذكره، ص 228.

المجموعات المتنوعة في الدولة، إلى إلغاء الكلمات التي تعتبر قومية والإبقاء على الموسيقى فقط كما في حالة البوسنة والهرسك، أو وضع نشيد وطني باللغتين الرسميتين للبلد كما في حالة بلجيكا¹.

• **ثانياً:** تجربة التزامن، ويعني بذلك أنه مهما كانت كلمات الأناشيد الوطنية بسيطة اللحن والكلمات إلا أنها منطوية على تجربة من التزامن بين من ينشدونها، إذ تعد من أهم اللحظات التي تتحقق فيها الجماعة المتخيلة، فيقول "في مثل هذه اللحظات على وجه التحديد، يردّد أناس يجهلون بعضهم بعضاً كل الجهل الأبيات ذاتها بالحن ذاته. والصورة: توافق الأصوات على طبقة واحدة... لتحقيق الجماعة المتخيلة... فإذا ما كنا ندرك أن الآخرين ينشدون هذه الأناشيد حين نشدها وكما نشدها تماماً، فإنّه ليس لدينا أي فكرة عنهم، أو عن المكان الذي ينشدون فيه أبعد من مرمى السمع. ولا شيء يربطنا جميعاً سوى الصوت المتخيل"². فطالما مثلت الأناشيد الوطنية عاملاً للتعبئة الشعبية في الماضي، وفي الحاضر عاملاً للحفاظ على الذاكرة وحشد المواطنين حول وطنهم من خلال أحد رموزه، وتكفي ملاحظة الجماهير الكروية والرياضيين أثناء عزف النشيد الوطني الجزائري لندرك رمزيتته، إذ كلما أراد أحدهم إظهار وطنيته وقوتها، زاد تفاعله مع النشيد وكلماته، لذلك نلاحظ أن الأغاني الشبابية الرياضية تركز عليه لإثارة الحماسة، على غرار: "نسمع قسماً الدمعة في عيننا".

وعدم إبداء اهتمام بالتفاعل مع المنسابات الوطنية هنا، خاصة من طرف الذين يرون في التنوع الثقافي عاملاً للتفكك؛ يمكن أن يفسّر من خلال قراءة في إجابات المبحوثين على الأسئلة المفتوحة، بأن ما النشيد بالنسبة لهم لم يعد يرمز إلى الوطن بقدر ما أصبح يرمز إلى النظام الذي يسيّر ذلك الوطن، فتشكيكهم فيه وعدم ثقتهم تنعكس لا إرادياً إلى كل ما يرمز له، فحتى الذين أجابوا بأن التنوع الثقافي عامل وحدة استطردوا إجاباتهم بشروط حتى لا يتم استغلال التنوع الثقافي والخصوصيات الجزائرية في أغراض غير وطنية، كالتفرقة والتحيز، وقد استطعنا تصنيف هذه الشروط إلى صنفين:

• منها ما هو اجتماعي وسياسي مفسّر بعدم الثقة في النظام الاجتماعي والسياسي وقدرته على احتواء هذا التنوع، غرار إجابة المبحوث رقم 31: "يمكن أن تكون عامل قوة، إذا وصلنا لجو من العدالة الاجتماعية دون تحيز عرقي أو جهوي"، والمبحوث رقم 67: "هي عامل قوة لكن في الوقت الحاضر يتم استغلالها بطريقة سيئة ما يسبب ضعف وتفكك"، أما المبحوث رقم 93 فأجاب: "بشرط أن يمنع الخطاب المحرض على الكراهية أياً كان طرفه. للأسف هناك تعسف وكيل بمكاليين وأياد تلعب على هذا الوتر الحساس لخدمة أغراض ضيقة".

• ومنها ما هو ديني يرى ضرورة الرجوع إلى الدين لأن فيه إلغاءً للتفرقة -إضافة إلى الشرط السابق-؛ فأجاب المبحوث 72: "هو عنصر وحدة في ظل الإسلام والوطن الجامع والبعد عن الجهوية والعرقية"، والمبحوث 120: "عامل قوة إن أحسن النظام استغلال هذا التنوع ووظف المفهوم الإسلامي العظيم لقيمة التنوع في تحقيق التعارف والتمازج الذي يزيد من ألق البلاد. ويكون عامل ضعف إن كان النظام عاجزاً عن التحكم في هذا التنوع ورضخ للأصوات الناشزة التي تدعو للتفرقة والعنصرية والمشاحنات الفارغة حول من اللاحق بالأرض ومن هو الرائد في تقليد معين أو حتى طبخة أو لباس!!!"، وأجاب بدوره

¹ سليمان الطعان، "النشيد الوطني النشأة، الرمزية، الوظيفة: نماذج من الأناشيد الوطنية العربية"، الدراسات، العدد. 15، 2021، ص 300.

² المرجع نفسه، ص 229.

المبحوث 167: "ينبغي أن يكون عامل قوة، لكن الذي يبدو لي أنه عامل ضعف، لأننا باختصار ابتعدنا عما أمر به ديننا الحنيف، وعدنا إلى "العصية القبلية" التي كان عليها العصر الجاهلي".

ولم تخل إجابات المبحوثين من استدعاء دور موقع فيسبوك في تحديد الدور الذي يلعبه التنوع الثقافي، إذ يعتبر الموقع بمثابة فضاء عمومي افتراضي تطرح ضمنه هذه القضية، وحسب المبحوثين فإنه يلعب دورا في شحنها سلبيا وليس النقاش المثمر بشأنها، أجاب المبحوث رقم 62: "أرى أن التنوع الثقافي ممكن يخلق مشاكل ولكن تحت ظل نظام الضعيف وسلطة ضعيفة وإن كنا نرى أحيانا دعوات من هنا ومن هناك لإشغال فتيل داخلي ثقافي في فيسبوك، إلا أن تنوع عادات ولهجات تمثل مصدر فخر وقوة"، والمبحوث رقم 112: "هو عامل قوة لكنه يستغل للتفرقة والفيسبوك أضاف حدة للنعرات الجهوية والأحكام المسبقة"، ونفهم من هذا المبحوثين لا يعتبرون التنوع الثقافي في حد ذاته عاملا للتفكك، بل يرون أن ممكن الضعف والتفكك في التنوع الثقافي هو قابليته للاستغلال السلبي لمصالح مختلفة، إذ يعد عاملا مفخخا ينتظر بروز ظروف اجتماعية وسياسية وحتى دينية تبرز آثاره السلبية، وما إجابة المبحوث رقم 107 إلا مثال على ذلك إذ يقول: "أحداث غرداية ومنطقة القبائل تدل على أن هذا التنوع هو بنزين يمكن إشعاله بشعلة صغيرة.

واختصارا لكل ما سبق فإن التفاعل الافتراضي مع الأحداث الوطنية يمكن أن تتحكم فيه -كمتغيرات تأخذ اتجاهها مستقلا- خلفيات هوياتية وتصورات عديدة للوطن في علاقته مع نظام التسيير الاجتماعي والسياسي والثقافي فيه وكذا في علاقته مع نظام العولمة عبر أدواتها.

✓ **ثانيا: الارتباط بالهوية الجزائرية في التفاعل عبر فيسبوك** ونريد بذلك معرفة المدى الذي تؤثر به الممارسات عبر فيسبوك خاصة منها الهوياتية على مدى التفاعل مع هذه المناسبات، على غرار جنسية الصفحات التي يتابعها المبحوث واللغات التي يستخدمها في حياته اليومية عبر فيسبوك، والتي توصلنا إليها من خلال ربط للعلاقات الإحصائية بين المتغيرات، وبمثل ذلك فيما يلي:

الجدول رقم (49): علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الجزائرية عبر فيسبوك بوضعهم لصورة العلم الجزائري على حساباتهم أو صورهم الشخصية.

المجموع	وضع المبحوث لصورة العلم الجزائري على حسابه أو صورته				متابعة المبحوث للصفحات الجزائرية عبر فيسبوك	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما		
460	152	75	126	107	التكرار	يتابعها
%100	%33.04	%16.30	%27.39	%23.26	النسبة المئوية	
70	30	17	16	07	التكرار	لا يتابعها
%100	%42.86	%24.29	%22.86	%10	النسبة المئوية	
530	182	92	142	114	التكرار	المجموع
%100	%34.34	%17.36	%26.79	%21.51	النسبة المئوية	

الجدول أعلاه يمثل علاقة ارتباط بين متابعة الباحثين للصفحات الجزائرية عبر فيسبوك بوضعهم لصورة العلم الجزائري على حساباتهم أو صورهم الشخصية، ونلاحظ من خلاله أن 34.34% من الباحثين قد أجابوا بأنهم لا يعتمدون هذه الطريقة من التفاعل مع المناسبات الوطنية أبدا بدعم نسبته 42.86% من طرف الباحثين الذين لا يتابعون الصفحات الجزائرية عبر فيسبوك، و26.79% من الباحثين أجابوا أنهم أحيانا ما يضعون صورة على الجزائري كطريقة للاحتفال الافتراضي بالمناسبة الوطنية بدعم نسبته 27.39% من طرف الذين يتابعون الصفحات الجزائرية، بعدها نلاحظ أن 21.51% قد أجابوا أنهم دائما ما يضعون صور العلم الجزائري، بدعم نسبته 23.26% من طرف فئة الباحثين الذين يتابعون تلك الصفحات، وفي الأخير وبنسبة 17.36% تأتي فئة الذين نادرا ما يضعون صور العلم بدعم من فئة الذين لا يتابعون تلك الصفحات بنسبة 24.29%.

الرمز الثاني من رموز الدولة الجزائرية الذي يعبر عن الانتماء والهوية الجزائرية، ويستخدم عادة للتفاعل مع المناسبات الوطنية عبر فيسبوك هو العلم الوطني، وهو علم وُضع بالأساس للتعبير عن شعور الوطنية واسترجاع الأمة الجزائرية، إذ "طفقت الوطنية الجزائرية تستوحي نماذجها من النماذج المقترحة من طرف زعماء القومية العربية... والمطلب الجوهري والأساسي كان دائما الاستقلال والذي كان يستوجب رمزا هو علم الجزائر ولهذا اختيرت الألوان الثلاثة، الأخضر والأبيض والأحمر منذ سنة 1934¹، ونجده موصوفا في موقع رئاسة الجمهورية الجزائرية -جنبا إلى جنب مع النشيد الوطني وشعار النبالة- بأن لكل رمز ولون دلالة فـ "اللون الأبيض: رمز للسلام والمحبة والخير؛ اللون الأخضر: رمز للأمل في التقدم ولغد أفضل؛ واللون الأحمر: رمز لأهمية العمل لتحقيق الرخاء [أما] الهلال والنجمة: فيرمزان لأن الإسلام هو الديانة الرئيسية في الجزائر"².

على أن المصادر التاريخية ترجع كل الألوان وكذا الأشكال إلى المرجعية الدينية الجهادية، فاللون الأخضر يحيل إلى المرجعية الإسلامية إذا تبناه كل من خير الدين والرايس حميدو، الأمير عبد القادر والحاج المقراني، واللون الأحمر يحمل معنى الجهاد إذ كانت راية الخليفة عمر ابن الخطاب حمراء، والأبيض كذلك ذلك أن الرسول ﷺ أعطى لواء أبيض لمصعب ابن عمير في غزوة بدر، ذلك إضافة إلى النجمة الخماسية والهلال اللذان يعبران بشكل مباشر عن الديانة الإسلامية³، وهو ما يعبر لنا عن التكامل الملاحظ بين بعدي الهوية الوطنية الجزائرية، الدين والوطنية.

النتيجة الرئيسية للجدول أعلاه تتمثل في أن متابعة الباحثين للصفحات الجزائرية عبر فيسبوك والانخراط في الشبكات الافتراضية المحلية يزيد من تفاعلهم مع المناسبات الوطنية بنشر العلم الوطني أو تغيير صورة حسابهم الشخصي، ويفسر ذلك بتأثرهم بالتوجه الجزائري للصفحات وكذا سيطرة الشعور الجمعي بين الجزائريين من خلال المنشورات والتعليقات في المناسبات الوطنية، ذلك أن للعلم الوطني رمزية خاصة يعبر بها عن شكل من أشكال التضامن والانتماء، وهو -بالعودة إلى السوسيولوجيا- تجسيد لتصور اعتبره دوركايم قوة ذهنية لا يستوعبها إلى من هو مسكون بها، وحالة يضيف فيها الذهن المعاني والافتعالات

¹ الجليلي صاري ومحفوظ قداش، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المقاومة السياسية 1900-1954: الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 60 - 63.

² الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "دلالات ألوان علم الدولة الجزائرية"، الموقع الرسمي للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، يوم الاطلاع: 02-10-2024، وقت الاطلاع: 15:40، الرابط: <https://www.el-mouradia.dz/ar/algeria/symbols/flag>.

³ شاوش حساسي، العلم الوطني الجزائري المعاصر: تطوره الشكلي وتحليل لمضمونه الإيديولوجي والسياسي (1945-1958)، مؤم للنشر (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية)، الجزائر، 1996، ص 20 - 21.

على الأشياء والمعطيات المباشرة والملموسة، ف "نحن نعرف ما تعنيه الراية بالنسبة إلى الجندي؛ فهي بذاتها ليست أكثر من قطعة قماش"¹، لكنها تعني له أكثر بكثير من كونها كذلك.

فحقيقة أن الشعور الجماعي بالهوية والالتقاء إليها لا يمكن أن يصبح واعيا إلى إذا تم حمله على شيء ملموس؛ يجعل من مشاعر الفخر عند رؤية العلم والوقوف تحته، ومشاعر الغضب عند تدنيسه وإيقاعه أرضا مشاعرا مفهومة، واستخدامه كرمز احتفالي في العالم الافتراضي ممارسة قابلة للقراءة والتفسير، خاصة من خلال الصور التي تعتبر عموما والصور الشخصية خصوصا وكما رأينا سابقا، واحدة من أهم تقنيات عرض الهوية الافتراضية للمستخدم عبر فيسبوك، واختيارها وتغييرها يعبران تكييف المستخدم لهويته الافتراضية مع حياته اليومية وأحداثها.

وما يسهل الاحتفاء بالعلم في الأعياد الوطنية ليس صورة العلم فقط بل حتى رمزه التعبيري، فمن أهم الرموز التعبيرية الهوياتية هي رمز العلم الوطني الجزائري ، الذي يعدّ من أكثر الرموز استخداما لدى الجزائريين، ويرمز له برمز التعريف الجزائري DZ، فحسب موقع Emojiall المتخصص في تتبع الرموز التعبيرية عبر الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي كذا خوارزمياتها، وبعد تحليل 50 مليون محتوى (منشور، تعليق أو تغريدة...)، تم التوصل إلى أن هذا الرمز التعبيري:

- ✓ يستخدم للتعبير عن المشاعر الإيجابية من طرف حوالي 75.29% من مستخدميها، أي أنه يترافق عادة مع رموز تعبيرية توحى بالسعادة والفخر، كالابتسامات العريضة والأخرى المرفقة بالدموع؛
- ✓ 62.16% من المستخدمين يميلون إلى وضع رمز العلم الجزائري في نهاية الجملة من الجملة أكثر من بدايتها لتعزيز التعبير العاطفي، وهي نتيجة كنا قد توصلنا بالفعل إليها بخصوص تأكيد الرموز التعبيرية لمشاعر المستخدم المبحوث وقدرتها على مرافقة النصوص وتأقلمها معها؛
- ✓ يرتبط استخدام رمز العلم الجزائري برموز تعبيرية أخرى أهمها النجمة والهلال، رمز المسجد، رمز الصحراء، ورمز البحر وغيرها مما يحيل إلى الخصوصية الجزائرية؛
- ✓ أما عن سخابة الرموز التعبيرية، فيرتبط استخدام العلم الجزائري بمصطلحات عديدة أهمها: الجزائر، محارب، أبطال، خاوة، الصحراء، المنتخب وغيرها؛
- ✓ لا تستخدم في السياقات الجزائرية فقط بل حتى العالمية إذ يضافي رمز العلم على تعليقات المستخدمين ومنشوراتهم تميزا؛
- ✓ تزايدت شعبية استخدام هذا الرمز في السنوات الأخيرة ما بين 2020 إلى بدايات سنة 2024² (أنظر الملحق رقم: 43)، ويمكن أن يعتبر هذا مؤشرا على زيادة في الفخر بالانتماء إلى الوطن والرغبة في إظهار ذلك.

¹ إميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية: المنظومة الطوطمية في أستراليا، مرجع سبق ذكره، ص 304.

² Emojiall, "DZ meaning: flag: Algeria, algerian flag Emoji", EMOJIALl.com, accessed: 10-02-2024, at: 00:56, URL: <https://www.emojiall.com/en/emoji/%F0%9F%87%A9%F0%9F%87%BF>.

الجدول رقم (50): علاقة استخدام المبحوثين للغة العربية الفصحى في الحياة اليومية على فيسبوك بنشرهم لصور ومعلومات حول المناسبات الوطنية.

المجموع	نشر المبحوث لصور ومعلومات حول المناسبة الوطنية				استخدام المبحوث للغة العربية الفصحى في الحياة اليومية على فيسبوك	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	يستخدمها
273	50	43	112	68	التكرار	يستخدمها
%100	%18.32	%15.75	%41.03	%24.91	النسبة المئوية	
257	72	55	87	43	التكرار	لا يستخدمها
%100	%28.02	%21.40	%33.85	%16.73	النسبة المئوية	
530	122	98	199	111	التكرار	المجموع
%100	%23.02	%18.49	%37.55	%20.94	النسبة المئوية	

يوضح الجدول علاقة استخدام المبحوثين للغة العربية الفصحى في الحياة اليومية على فيسبوك بنشرهم لصور ومعلومات حول المناسبات الوطنية، ونلاحظ من خلاله أن 37.55% من المبحوثين أحيانا ما ينشرون حول المناسبة الوطنية بدعم قدره 41.03% من طرف المبحوثين الذين يستخدمون اللغة العربية الفصحى في الحياة اليومية على فيسبوك، بعدها نسبة المبحوثين الذين لا ينشرون أبدا والمقدرة بـ 23.02% بدعم من فئة الذين لا يتابعونها نسبته 28.02%، بعدها نسبة المبحوثين الذين أجابوا بأنهم ينشرون حول المناسبات الوطنية المقدرة بـ 20.94%، والمدعومون بنسبة قدرها 24.91% من طرف الذين يستخدمونها، وفي الأخير نسبة المبحوثين الذين نادرا ما هو ينشرون بنسبة 18.49%، وذلك بدعم نسبته 21.40% من طرف المبحوثين الذين لا يستخدمون اللغة العربية الفصحى في الحياة اليومية على فيسبوك.

جانب آخر من جوانب الممارسات الرقمية للمبحوثين عبر فيسبوك، هو الجانب اللغوي، والأساليب اللغوية المستخدمة في تواصلهم وحياتهم اليومية عبره، وتمثل النتيجة الرئيسية للجدول أعلاه في أنه كلما اتجه المبحوث إلى استخدام اللغة العربية الفصحى في ممارساته اللغوية عبر فيسبوك كلما زادت نسبة تفاعله مع المناسبات الوطنية بالنشر حولها، ويمكن أن نفسر ذلك بأن الانتماء إلى الوطن في أحد أبعاده ينجس عنه أليا الانتماء إلى الأبعاد الأخرى، بمعنى أن الارتباط باللغة الوطنية والرسمية للجزائر واستخدامها افتراضيا يؤثر بطريقة أو بأخرى على شخصية المبحوثين، تصوراتهم وكذا تمثلاتهم تجاه وطنهم، ف"لغة الشخص الأولى والأصلية هي تعبير صادق عن أفكاره وشواعره [أي مشاعره] وعواطفه وغرائزه، وعن دينه وعقيدته، وعن مجتمعه المحتك به على وجه العموم؛ بل لغته الأم هي جزء لا يتجزأ من شخصيته"¹.

والملاحظ لفصول الدراسة الميدانية -تأكيدا للفكرة السابقة- هو استدعاؤنا مرارا للبعد الديني في مناقشتنا للبعدين اللغوي والوطني وتفسير الارتباطات المتعلقة بهما، والبعد اللغوي في مناقشتنا للبعدين الوطني والديني كذلك، والذي يعني في هذه الحالة أن إجابات المبحوثين حول الأبعاد الثلاثة للهوية الوطنية الجزائرية هي متكاملة، وأن هوياتهم في حد ذاتها هي كل

¹ محمد بن عبد الكريم الجزائري، مرجع سبق ذكره، ص 16.

متكامل، فتفاعل المبحوث بالنشر حول المناسبات الوطنية بشكل يتناسب مع انتماءاته الهوياتية الأخرى فيه دلالة على الارتباط بالهوية الجزائرية كلها، والذي يمكن أن يثبت لنا ذلك هو أن الذين أجابوا بأنهم دائماً ما يتفاعلون مع المناسبات الوطنية بالنشر حولها، مدعومون بنسبة 27.18% من طرف فئة المبحوثين الذين أجابوا مبررين استخدامهم للغة العربية الفصحى عبر فيسبوك بأنها "تمثل هويتهم التي يسعون إلى الحفاظ عليها".

ولا يقتصر ذلك على اللغة العربية الفصحى فحسب، بل حتى على تمزيغ كلغة وطنية كذلك، فعند ربطنا للمتغير التابع ذاته مع استخدامها عبر فيسبوك، وجدنا كذلك دلالة إحصائية (أنظر الملحق رقم 45)، وهي تفيد بأن الذين دائماً ما ينشرون حول المناسبات الوطنية مدعومون بنسبة 33.33% من طرف الذين يستخدمونها عبر فيسبوك، بالمقابل فإن الذين لا يتفاعلون أبداً وينشرون معلومات وصور حول المناسبة الوطنية، مدعومون بنسبة 42.86% من طرف الذين لا يستخدمونها في تواصلهم وتفاعلاتهم عبر الموقع.

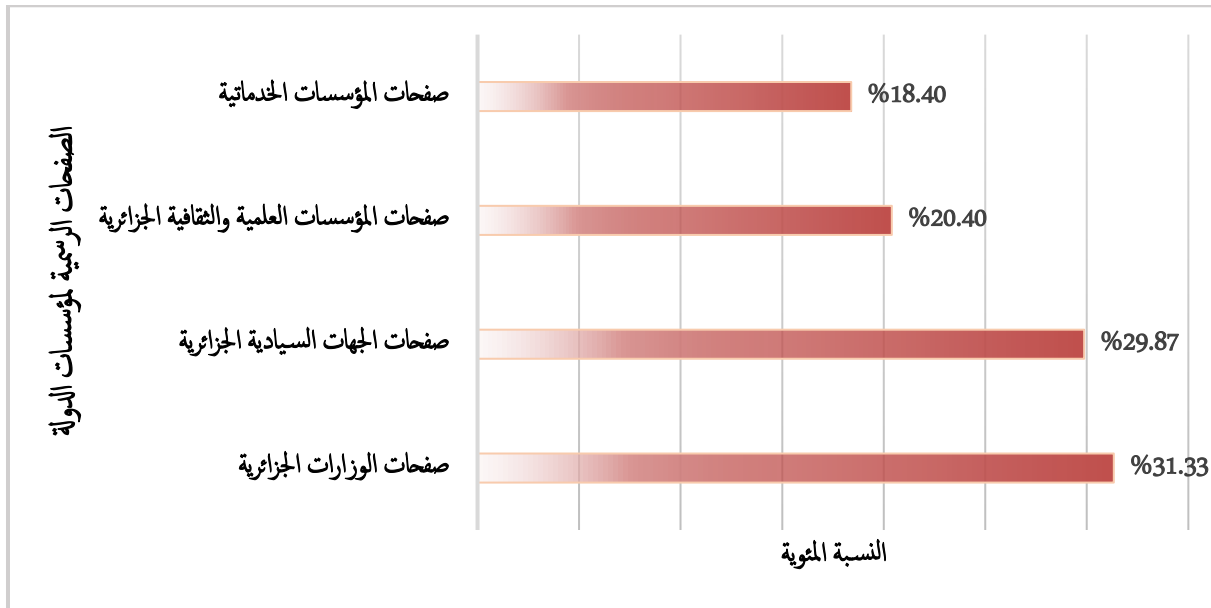
وهذا إن عني شيئاً فإنما يعني التأكيد على شخصية المجتمع الجزائري وتكوينها المتنوع لغوياً، إذ رغم وجود صدامات بين اللسانين امتدت كما رأينا في الفصل السابق إلى صدامات بين العرقين العربي والبربري، إلا أننا نلاحظ بأن فسيفسائية الهوية الجزائرية "بأصولها البربرية وهويتها العربية وعقيدتها الإسلامية التي لا تتنكر للبربرية بل تحتويها بصفقتها أحد المكونات الرافدة للشخصية الجزائرية"¹، تواصل مقاومة محاولات متعددة للإلغاء والاستغلال كما تمت مقاومتها في المرحلة الاستعمارية، كما تواصل مقاومة استغلال موقع فيسبوك في هذا الصدام، إذ يلعب دوراً مهماً في تضخيمه وتصوير المجتمع الجزائري على أنه مفكك وغير موحد، أجابنا أحد المستجوبين حسب تجربته الشخصية: "أعتقد أن الأمر لا يتجاوز حدود الصراعات على الفضاء الأزرق أو بالأحرى الواقع لا يعكس الحدة الصراعية كما تبدو على موقع فيسبوك، والأمر لم يصل حد تهديد الوحدة الوطنية"².

✓ **ثالثاً: الانخراط في المواطنة عبر فيسبوك** وبقولنا ذلك يعني أننا سنعمل فيما يلي على القياس بالاستعانة بالجدول الإحصائية المركبة والارتباطية وكذا الأشكال البيانية ما أسميناه لمواطنة عبر فيسبوك، والتي نقصد بها ارتباط المبحوث بمختلف مؤسسات الدولة الرسمية والمجتمع المدني كذلك عبر فيسبوك، ومدى تأثير ذلك على إعادة إنتاج استخدام الموقع كفضاء للذاكرة الوطنية، التاريخية والسياسية، وهو ما يحيلنا إلى اعتبار فيسبوك إما مكراً لهوية إضفاء الشرعية أو هويتي المقاومة والمشروع فعند ربطنا لعلاقات تأثير وتأثر بينها وجدنا أن ذلك يتجسد من خلال: متابعة المبحوث لصفحات المؤسسات الرسمية والأحزاب السياسية.. وغيرها من المتغيرات مما سنتناوله في هذا الجزء من العمل.

أول متغير وجدنا علاقة بينه وبين مدى تفاعل المبحوثين مع المناسبات الوطنية مما هو مرتبط بالمواطنة، هو متغير متابعة المبحوثين لصفحات المؤسسات الرسمية للدولة، إذ نفترض أن في متابعتها اعترافاً بها، وفرصة للتأثر بسردياتها سواء أفضى ذلك أو كان نتيجة لتأييدها أو معارضتها، وقبل الانطلاق في عرض الارتباطات، سنخرج أولاً على شكل بياني يعرفنا على توزيع مبحوثينا ممن أجابوا بأنهم يتابعونها حسب ماهية الصفحات الرسمية لمؤسسات الدولة الجزائرية التي يتابعونها عبر فيسبوك.

¹ ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية شديدة)، مرجع سبق ذكره، ص 353.

² إجابة المستجوب رقم 6، على السؤال رقم 16 من مقابلة البحث.



الشكل رقم (32): توزيع عينة الدراسة حسب الصفحات الرسمية لمؤسسات الدولة التي يتابعونها عبر فيسبوك.

يمثل الشكل أعلاه توزيع عينة الدراسة حسب الصفحات الرسمية لمؤسسات الدولة الجزائرية الأكثر متابعة من طرفهم، والذي نلاحظ من خلاله أن صفحات الوزارات الجزائرية هي الأكثر متابعة من طرف المبحوثين بنسبة 31.33%، تليها صفحات الجهات السيادية للدولة بنسبة قريبة من الأولى قدرت بـ 29.87%، بعدها تلي فئة المبحوثين الذين يتابعون المؤسسات العلمية والثقافية بنسبة 20.40%، وفي الأخير جاءت فئة الذين يتابعون صفحات المؤسسات الخدمية بنسبة 18.40%.

النتيجة الرئيسية التي تتبادر إلينا من ملاحظة الشكل هي أن المبحوثين مهتمون بمتابعة جهات مختلفة من مؤسسات الدولة على اختلاف صلاحياتها واهتماماتها -يذكر أن 57% من المبحوثين أجابوا بأنهم يتابعون صفحات المؤسسات الرسمية للدولة-، على رأسها صفحات الوزارات الجزائرية، ويفسر ذلك بأن الأخيرة هي ذات أهمية ذلك أنها الوسيط بين المؤسسات التي تعنى بتسيير قطاع معين دون غيره وتمس فئة اجتماعية، اقتصادية ومهنية دون غيرها، وبذلك فإن المبحوث المهتم أو المعني بقطاع دون غيره تكفيه متابعة صفحة الوزارة الوصية للاطلاع على مستجداتها، نذكر على سبيل المثال صفحة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التي يتابعها أكثر من 521 ألف متابع، وتعتبر المصدر الأول الموثوق للأخبار والبيانات الخاصة بالقطاع، أجاب المبحوث 104 بأنه يتابعها لأنها "المؤسسات التي لها علاقة بالتخصص وزارة التعليم العالي، الصحة.."، فيجد نفسه على احتكاك مباشر بها وبمستجداتها.

وتليها بنسبة غير بعيدة صفحات المؤسسات السيادية على غرار صفحة رئاسة الجمهورية التي يتابعها مليوناً متابع أو صفحة الرئيس الجزائري التي يتابعها قرابة المليونين (مليون و 900 ألف) من رواد موقع فيسبوك، ثم صفحات المؤسسات العلمية والثقافية على غرار صفحات المتاحف والمسارح ومؤسسات النشر والمكتبات الوطنية، وفي الأخير صفحات المؤسسات الخدمية مثل المستشفيات ومكاتب البريد وغيرها على غرار ما أجاب به المبحوث 155: "شركات الماء التي تعلن مواعيد انقطاع التزويد بالماء مثلاً...".

ومهما كان غرض المبحوثين من متابعتهم لصفحات مؤسسات الدولة، أكان اهتماما بالشأن الجزائري على غرار ما أجاب به المبحوث 28: "رئاسة الجمهورية ... وزارة التعليم العالي... وعديد الهيئات الاخرى كوني من المهتمين بالشأن الجزائري"، أو كان مجرد اطلاع على المستجدات والأخبار؛ فنعود مجددا إلى المبحوث 155 في إجابته: "...وزارة الثقافة والراديو، فقط لرؤية التحديثات السخيفة"، إلا أن متابعتها تساهم في تعميق علاقة المؤسسات "المهيمنة" معهم بتعبير مانويل كاستلر، ومنه نقل رؤيتها للبنى الاجتماعية للأدوار والعلاقات ما يساهم في خلق الشكل الأول من أشكال الهوية في المجتمع الشبكي وهي هوية إضفاء الشرعية، لذا لم نعد نزور موقعا إلكترونيا لمؤسسة رسمية دون أن نجد في إحدى زواياه عبارات على غرار "تابعونا على مواقع التواصل الاجتماعي" على رأسها موقع فيسبوك.

إذ يعتبر انخراط هذه المؤسسات في موقع فيسبوك نوعا من أنواع إدارة العلاقات العامة، إذ تعمل من خلالها على الاحتكاك المباشر بشريحة واسعة من أفراد المجتمع وتشكيل صورة ذهنية تعبر عن الشعار "تقريب الإدارات من المواطن"، ومنه إدارة سمعتها Reputation management عبر العالم الافتراضي، إذ ساهم التقدم التقني والانتقال المطرد إلى العوالم الافتراضية في خلق فرصة لإقامة علاقة بين هذه المؤسسات والمواطنين غير مبالية بالنطاق الجغرافي، ويعمل موقع فيسبوك على تسهيل هذه العملية من خلال مجموعة من العناصر تتمثل في:

✓ **الاتصال الدائم:** إذ يتيح لهذه المؤسسات الاتصال بشريحة واسعة ومتنوعة ديمغرافيا من المواطنين الجزائريين، إذ تبقى الصفحات متاحة للاطلاع عليها بشكل دائم.

✓ **التزامن:** بمعنى القدرة على الاستجابة الفورية للأحداث والتفاعل معها، ما يعطي المستخدمين انطبعا بقرب هذه المؤسسات منهم مادام يجمعهم الفضاء الافتراضي ذاته.

✓ **الانتشار الواسع:** إذ تضمن مواقع التواصل الاجتماعي وتوسع نطاقها المتزايد، وصول المعلومة داخليا وخارجيا، خاصة موقع فيسبوك الذي يجمع 68% من الجزائريين إلى غاية جوان 2023.

✓ **رجع الصدى:** والذي يعني قابلية إمكانية وجود اتصال في الاتجاهين، إذ يوفر الموقع علاقة تبادلية في حدود ما تسمع به علاقة المواطن بمؤسسات الدولة من تواصل¹.

✓ **توفيرها لفضاء عمومي افتراضي:** وهذا من أهم العناصر التي تميز موقع فيسبوك ودوره في تشكيل هوية الذات المواطنة، ذلك أن "الفضاء العمومي مستلزم للذوات المواطنة... وذلك من حيث قيامه على الاعتراف بالهوية بما هي آلية تسهم في تكوين [هذه] الذات"²، إذ يوفر الموقع فضاء للنقاش والحوار حول القضايا المختلفة خاصة وطنيا، وهو ما يضمن العنصر المواطني الثاني "المشاركة".

¹ فارس بن أحمد عبد الله الحشان، "دور مواقع التواصل الاجتماعي في إدارة السمعة لدى المؤسسات الحكومية"، المجلة المصرية لبحوث الاتصال الجماهيري كلية الإعلام جامعة بين سويف، المجلد. 5، العدد. 2، 2023، ص ص 219 - 220.

² الطيب الحدي، "الاعتراف وهوية الذات المواطنة في الفضاء العمومي المشترك"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، يوم الاطلاع: 30-01-2024، وقت الاطلاع: 14:50، الرابط: <https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D8%A7>

الجدول رقم (51): علاقة متابعة الباحثين لصفحات المؤسسات الرسمية للدولة الجزائرية بدفاعهم وتأكيدهم على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة الوطنية.

المجموع	قيام الباحث بالدفاع وتأكيد على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة				متابعة الباحث لصفحات للمؤسسات الرسمية الدولة الجزائرية	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	يتابعها
302	68	56	105	73	التكرار	يتابعها
%100	%22.52	%18.54	%34.77	%24.17	النسبة المئوية	
228	95	59	49	25	التكرار	لا يتابعها
%100	%41.67	%25.88	%21.49	%10.96	النسبة المئوية	
530	163	115	154	98	التكرار	المجموع
%100	%30.75	%21.70	%29.06	%18.49	النسبة المئوية	

يوضح الجدول الذي بين يدينا علاقة متابعة الباحثين لصفحات المؤسسات الرسمية للدولة الجزائرية لدفاعهم وتأكيدهم على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة الوطنية، ونلاحظ من خلال معطياته أن 30.75% من الباحثين لا يتفاعلون بهذه الطريقة أبدا بدعم نسبته 41.67% من طرف الباحثين الذين لا يتابعون الصفحات الرسمية للمؤسسات الدولة، وقريب منها نسبة الباحثين الذين أحيانا ما يتفاعلون بهذه الطريقة والمقدرة بـ 29.06% بدعم من فئة الباحثين الذين يتابعون هذه الصفحات قدره 34.77%، بعدها نسبة الذين نادرا ما يفعلون بنسبة 21.70% ومدعومة بنسبة 25.88% من طرف الباحثين الذين لا يتابعون تلك الصفحات، وفي الأخير وبنسبة 18.49% تأتي فئة الذين دائما ما يتفاعلون بهذه الطريقة، وذلك بدعم نسبته 24.17% من فئة الذين يتابعون صفحات رسمية لمؤسسات الدولة الجزائرية.

النتيجة الرئيسية للجدول أعلاه تقول أولا بميل الباحثين إلى عدم الدفاع والنقاش حول المعلومات التاريخية، وذلك راجع في الغالب إلى عدم الرغبة في دخول جدالات قد تفضي إلى صدام عرقي أو تحيز مناطقي، خاصة إذا عرفنا أن الذين أجابوا بأنهم لا يتفاعلون أبدا بهذه الطريقة، مدعومون في الغالب من طرف فئة الذين يرون بأن فيسبوك يتسبب في تفكك أو تأزم الهوية الوطنية، والنتيجة الثانية لهذا الجدول تقول بوجود علاقة طردية بين متابعة الباحث لصفحات المؤسسات الرسمية للدولة وبين قيامه بالتأكيد والدفاع على المعلومات التاريخية حول المناسبات الوطنية وصحتها.

يمكن أن يفسر ذلك بأن التواجد والتعرض للمضامين التي تبثها صفحات مؤسسات الدولة الوطنية يساهم في منحهم شعورا جماعيا بالوطنية الذي يعتبر شعورا معديا -على حد إجابة أحد مستجوبينا-، فقد أجاب عند سؤاله عن هذه الروح ودور موقع فيسبوك في خلقها وكذا نشرها: "هو يخلق نوعا من العدوى، إذا تحدث أحدهم بفخر عن عيد وطني فسيخلق حالة من التقليد والعدوى التي تجعل الجميع في حالة من العاطفة التي يغذيها الحشد، يسهم الفيسبوك في ذلك من خلال منتجاته

كالهشاج وتوحيد صور البروفایل ..¹، والذي عيّدنا إلى مفهوم المواطنة هو أن متابعة هذه الصفحات ليس إجباريا، ومهما كان الغرض منه فهو محمول على الاعتراف بهذه المؤسسات، ما يقع في إطار أحد أهم المفاهيم المواطنة وهو "الولاء" الذي يفضي إلى وجود عقد اجتماعي إرادي، غير محدد بالإجبار بل بنوع من الاعتراف*.

ولتفسير النتيجة من جانب آخر؛ فإن احتفاء المبحوثين بالمناسبات الوطنية عبر فيسبوك، في علاقته بمتابعتهم لمضامين مؤسسات الدولة يمكن أن يُفهم من خلال ما جاء به غوستاف لوبون حول الروح العامة عند الجماعات؛ والذي اقترحنا اعتباره -تحت تسمية روح الاجتماع- كمقاربة لتفسير الهوية الوطنية، فنفسر نتيجة الجدول أعلاه إذا بأن التعرض لهذه المضامين وما تحمله من سرديات وطنية يوفر روحا عامة غير واعية، تجمع المبحوثين على شعور واحد حتى لو كانت طرق تفكيرهم وقناعاتهم تجاه هذه السرديات مختلفا ذلك أن "أهم ما يمتاز به الجماعة وجود روح عامة تجعل جميع أفرادها يشعرون ويفكرون ويعملون بكيفية تخالف تمام المخالفة الكيفية التي يشعر ويفكر ويعمل بها كل واحد منهم على انفراده وذلك كيفما كان أولئك الأفراد وكيفما تباينوا أو اتفقوا في أحوال معيشتهم وفي أعمالهم اليومية وفي أخلاقهم ومداركهم وعلة ذلك مجرد انضامهم إلى بعضهم وصيورتهم جماعة واحدة"².

فمن أهم الحاجات التي يشبعها موقع فيسبوك هي حاجة الانتماء إلى جماعة اجتماعية افتراضية معيّنة، والحاجة التي تتم تلبيتها هنا هي حاجة الانتماء إلى جماعة وطنية ولو كانت افتراضية، والمحافظة على هويتهم ووحدتهم، ذلك أن الغرض بالأساس من وجود هذه المؤسسات هو المحافظة عليهما كما هو مذكور في المادة التاسعة من الدستور الجزائري: "يختار الشعب لنفسه مؤسسات غايتها...المحافظة على الهوية والوحدة الوطنيين، ودعمها"³.

يمكننا هنا استدعاء إحدى المنظورات السوسيولوجية المفسرة للهوية، وهو المنظور الجماعاتي الذي يمثله دوركايم، خاصة في تناوله لروح الخضوع للنظام مما كانت قاعدة هذا الخضوع، ونفترض أنها هنا الهوية الوطنية والشعور الوطني، اللذان يلح النظام على الخضوع لهما، كما نفترض أن صفحات توقّر مجالا له ولعلاقة النظام بالأفراد وليس ذلك تسييسا للهوية بل محاولة للحفاظ عليها كموروث إذ "تراهن النزعة الجماعية في دعوتها إلى عدم استبعاد المسائل السياسية عن الأمور المرتبطة بالهوية، ولعلها ترى في السياسة الوسيلة والفضيلة لحفظ الهوية، والدفاع عنها، والعمل على اعتبارها، لكنها لا تسييس الهوية مع ذلك، بل تنظر إليها كموروث خالص، وتقليد تاريخي ثابت لا مهرب للأفراد من تبنيه والتشبث به، والمدافعة عنه بكل الوسائل السياسية للحفاظ على استمرار الجماعة أو الطائفة، وتأمين شروط بقائها"⁴، خاصة في حالة الدولة الجزائرية التي أدى الشعور الوطني فيها دورا حاسما في نيل الاستقلال وكذا مرحلة ما بعد الاستقلال ف"الدولة الوطنية التي تمخضت عنها مرحلة ما بعد الاستقلال قد عانت صعوبات جمة في تنمية الشعور الانتماء إلى الكيانات الجديدة وتطوير الإحساس بالمواطنة الكاملة بين

¹ إجابة المستجوب رقم 5 على السؤال رقم 17 من مقابلة البحث.

* أنظر عنصر: الوطنية كمرجعية للهوية الوطنية الجزائرية، المطلب الثالث، المبحث الثاني من الفصل الثالث.

² جوستاف لوبون، ترجمة: أحمد فتحي باشا زغلول، روح الاجتماع، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2005، ص 27-28.

³ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية"، مرجع سبق ذكره، ص 8.

⁴ الطيب الحيدوي، مرجع سبق ذكره، ص 15.

السكان بدرجات مختلفة"¹، والمرجح أن ميل المبحوثين إلى التفاعل مع المناسبات الوطنية هو نتيجة لنجاعة اتباع السياسة لواحدة من هذه الوسائل وهي التواجد في العوالم الافتراضية.

ولا ينطبق ذلك على المؤسسات فقط، بل الأفراد أيضا مما يؤيدون أو يعارضون النظام، فند ربطنا لتفاعل المبحوثين مع المناسبات الوطنية عن طريق تصحيح المعلومات الخاطئة حو المناسبات الوطنية كمتغير يأخذ اتجاهها تابعا، بمتابعتهم لشخصيات مؤثرة مؤيدة للنظام السياسي الجزائري عبر فيسبوك كمتغير مستقل (أنظر الملحق رقم: 46) وجدنا أن 31.70% لا يقومون أبدا من خلال حساباتهم عبر فيسبوك بتصحيح المعلومات الخاطئة حول المناسبات الوطنية بدعم نسبته 38.64% من طرف المبحوثين الذين لا يتابعون شخصيات مؤثرة مؤيدة للنظام السياسي الجزائري عبر فيسبوك، تليها فئة المبحوثين الذين هم أحيانا ما يقومون بتصحيح نسبة 30.57% بدعم نسبته 44.22%، تأتي بعدها نسبة المبحوثين الذين نادرا ما يصححون معلومات المناسبات الوطنية بنسبة 22.26%، بدعم نسبته 24.80% من طرف المبحوثين الذين لا يتابعون هذه الشخصيات، وفي الأخير تقيء نسبة المبحوثين الذين دائما ما يصححون معلومات المناسبات الوطنية بنسبة 15.47%، بدعم نسبته 26.53% من طرف الذين يتابعون هؤلاء الشخصيات. بالمقابل عندما ربطنا علاقات بين متابعة الشخصيات المعارضة للنظام وبين أشكال التفاعل مع المناسبات الوطنية لم نجد أي دلالة إحصائية بينها، بمعنى أن متابعة الشخصيات المعارضة لا يحد من التفاعل معها.

تعرف هذه الشخصيات بقيادة الرأي Opinion leaders، وهم فئة من المؤثرين في آراء الجمهور، ارتبط وجودهم بإحدى أهم نظريات الاتصال التي تفسر تلاشي التأثير المباشر للوسيلة الإعلامية والاتصالية مقابل التأثير عن طريقهم، إذ يتلقون الرسالة من مصدرها ويعيدون إنتاجها بأساليب مؤثرة في الجمهور حسب توجهاتهم^{*}، ومنه يمكن تفسير النتيجة القائلة بارتباط متابعة الشخصيات المؤيدة للنظام بالتفاعل مع المناسبات الوطنية بأن هذه الشخصيات تقوم بدور قيادة رأي المتابعين المبحوثين مع ما يتماشى مع توجهاتهم ومنه توجهات النظام، فهي نتيجة مرتبطة بالنتيجة السابقة. فيجمع موقع فيسبوك في هذه الحالة النتيجتين السابقتين بين التأثير المباشرة وغير المباشر على سلوك المبحوثين تجاه التفاعل مع المناسبات الوطنية كؤثر على الشعور الوطني.

كما أنها نتيجة مؤكدة لتلك القائلة بأن فيسبوك يساهم في تكريس هوية إضفاء الشرعية من جهة أنه يثبت سرديّة النظام، وكذا الهوية المقاومة من جهة أنه يثبت سرديّة الهوية، إذ أن هوية المقاومة "ما هي إلا ردّات فعل دفاعية تجاه التهديدات التي تطاول التنظيم الاجتماعي التقليدي، بسبب العولمة ومنطق التشبيك والمرونة والانهايار -المزعوم- لعلاقات العائلة الأبوية؛ ففي هذا السياق تبرز النفس، أو الهوية، باعتبارها قوة مضادة شاملة، وإن تكن متنوعة تواجه الشبكة، أو المجتمع الشبكي العالمي"².

¹ أحمد رميتة، "إشكالات الدولة الوطنية المعاصرة"، مجلة دفاتر علم الاجتماع، المجلد 1، العدد 2، 2013، ص 15.

^{*} للاطلاع أكثر على النظرية نشير إلى أنها تعرف كذلك بنظرية "التأثير عبر مرحلتين Two steps flow".

² دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 184.

وهنا يكون قد اجتمع شكلان من أشكال الهوية عند كاستلز، ذلك أن هناك اتفاقا بين الهوية التي تريد كل من مؤسسات الدولة وكذا المواطنين (المبحوثين) تكريسها، فحتى متابعتهم لشخصيات معارضة للنظام لم تؤثر في تفاعلاتهم مع الأعياد الوطنية، فهي حالة -حسب كاستلز كذلك- يهدف فيها كل من الفاعلين والمؤسسات إلى إعادة إنتاج ذات الهوية فيقول: "من وجهة نظري، كل نوع من عمليات بناء الهوية يؤدي إلى نتيجة مختلفة في تشكيل المجتمع. إن هوية إضفاء الشرعية تولد مجتمعا مدنياً؛ أي مجموعة من التنظيمات والمؤسسات، بالإضافة إلى سلسلة من الفاعلين الاجتماعيين المهيكلين والمنظمين، الذين يعيدون إنتاج، ولو بطريقة متضاربة في بعض الأحيان، الهوية التي تبرر مصادر الهيمنة البنيوية"¹، وهذا الاتفاق ناتج كذلك عن كون الهوية "أداة مطواعة" تستخدم من طرف الدولة إلى ما كان لذلك ضرورة "فليس بمستطاع الجماعات والأفراد أن يصنعوا ما بدا لهم فيما يخص الهوية، إذ هي دائما محصلة التماهي الذي نرى أن الآخرين يفرضونه علينا والتماهي الذي نؤكد به أنفسنا"².

وبتطرقنا للمجتمع المدني ولنحيط أكثر بتأثير متابعة صفحات ومجموعات مؤسسات المجتمع المدني على مدى تفاعل المبحوثين مع المناسبات الوطنية، ربطنا علاقة بينها كمتغير يأخذ اتجاهها مستقلا وبين أشكال التفاعل، وقد وجدنا دلالات إحصائية معها كلها، والجدول أدناه نموذج على هذه العلاقة.

الجدول رقم (52): علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الرسمية للأحزاب السياسية الجزائرية عبر فيسبوك بنشرهم لصور ومعلومات حول المناسبات الوطنية.

المجموع	وضع المبحوث لصورة العلم الجزائري على حسابه أو صورته				متابعة المبحوث لصفحات ومجموعات خاصة بمنظمات المجتمع المدني الجزائري عبر فيسبوك	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	يتابعها
380	107	62	113	98	التكرار	يتابعها
%100	%28.16	%16.32	%29.74	%25.79	النسبة المئوية	
150	75	30	29	16	التكرار	لا يتابعها
%100	%50	%20	%19.33	%10.67	النسبة المئوية	
530	182	92	142	114	التكرار	المجموع
%100	%34.34	%17.36	%26.79	%21.51	النسبة المئوية	

يوضح الجدول علاقة متابعة المبحوثين لصفحات ومجموعات خاصة بمنظمات المجتمع المدني الجزائري عبر فيسبوك بوضعهم لصورة العلم الجزائري على حسابهم أو صورهم الشخصية، ونلاحظ من خلاله أن 34.34% من المبحوثين قد أجابوا بأنهم لا يعتمدون هذه الطريقة من التفاعل مع المناسبات الوطنية أبدا بدعم نسبته 50% من طرف المبحوثين الذين لا يتابعون الصفحات صفحات ولا ينظمون إلى مجموعات مؤسسات المجتمعات المدنية الجزائرية، و 26.79% من المبحوثين أجابوا أنهم أحيانا ما يضعون صورة على الجزائري كطريقة للتفاعل مع المناسبة الوطنية بدعم نسبته 29.74% من طرف الذين يتابعون مؤسسات المجتمع المدني وشبكاته، كما نلاحظ من الجدول أن 21.51% قد أجابوا أنهم دائما ما يضعون صور العلم الجزائري، بدعم نسبته

¹ Manuel Castells, *The Power of Identity*, Opcit, p 8.

² دنيس كوش، مرجع سبق ذكره، ص 166.

25.79% من طرف فئة الذين يتابعون هذه الشبكات (الصفحات والمجموعات)، وفي الأخير ونسبة 17.36% تجيء فئة الذين نادرا ما هم يضعون صور العلم بدعم نسبته 20% من فئة الذين لا يتابعون شبكات مؤسسات المجتمع المدني الجزائرية.

النتيجة الرئيسية للجدول أعلاه تتمثل في وجود علاقة بين المتغيرين السابقين، بحيث أنّه كلما كان المبحوث متابعا أكثر لصفحات ومنضمّا لمجموعات خاصة بمؤسسات المجتمع المدني، كلما زاد تفاعله مع الأعياد والمناسبات الوطنية من خلال وضع صورة العلم الجزائري أو تغيير صورة الحساب إلى العلم الجزائري، والذي يمكن تفسيره من خلال منظور كاستلز في تأكيده بأن الهوية المشرعنة تنتج وتعيد إنتاج مجتمع مدني يساهم في ترسيخ الهوية الوطنية، فهذه الشبكات تسهم في التأثير على السلوك المواطني للمبحوثين ليست افتراضيا فقط بل حتى فعليا، إذ أجاب 27.89% من المبحوثين المتابعين لمنظمات المجتمع المدني الجزائرية بأن متابعتهم إياها عبر فيسبوك ساهمت في انخراطهم ضمنها -واحدة على الأقل- وكذا المشاركة في مبادراتها مساهما بذلك في تعزيز عنصر المشاركة لديهم. كما لاحظ أحد المستجوبين أن فيسبوك يساهم في التأثير على الشعور الوطني وتحفيزه وكذا دعم والمبادرات المرتبطة به أجاب: "في ظل السليبيات المنشرة عبر موقع فيسبوك أرى أنه رغم كل شيء يعد مساحة لترسيخ القيم الوطنية كإحياء الذكرى الوطنية للاستقلال وكذا انتشار العديد من المبادرات الحسنة التي تزيد من ترسيخ القيم والشعور بالوطنية خاصة عند الأزمات كأزمة الحرائق التي مست الجزائر ورسمت قيمة التضحية والتضامن..."¹.

وإذا عدنا إلى النصوص القانونية المتعلقة بالمجتمع المدني والهيئات والمجالس المتكفلة به في الجزائر، نجد عند إجراء قراءة مبسطة فيها أن عنصر الوطنية، وكذا القيم الوطنية والانتماء يشكلون محاور محمّة في المهام المنوطة بها، ففي آخر مرسوم متعلق بالمرصد الوطني للمجتمع المدني على سبيل المثال لا الحصر، نجد في المادة الرابعة منه، المتعلقة بمهام المرصد أنه "يساهم... في ترقية القيم الوطنية والممارسة الديمقراطية والمواطنة... [و] نشر القيم والمبادئ الوطنية واقتراح الآليات الأساسية لتشجيع العمل التطوعي والعمل للصالح العام في نشاط المجتمع المدني وتنمية روح الانتماء وتعزيز قدرات الأفراد على التواصل فيما بينهم"²، ومنه فإن هذه المنظمات تستغل موقع فيسبوك كأداة تحقق من خلالها أهدافها الموكلة إليها.

ولا ينطبق الأمر على مؤسسات المجتمع المدني فحسب، بل على الأحزاب السياسية كذلك، إذ وجدنا علاقة بين التفاعل مع المناسبات الوطنية وبين متابعتها عبر موقع فيسبوك (كما يظهر في الملحق رقم: 47)، حيث تستخدم الأحزاب الموقع في الترويج لآرائها ونشاطاتها في شكل من أشكال الاتصال السياسي، مركزة على عنصر الوطنية، الهوية الوطنية والوحدة الوطنية، فلا نكاد نجد صفحة رسمية لحزب سياسي إلا وتتفاعل مع المناسبات الوطنية (أنظر الملحق رقم: 48)، خاصة أن تأسيسها يجب ألا يستند على مبدأ التمييز مهما كان نوعه، بل تتأسس تحت مبدأ الوطن موحدًا، كما لا يجوز استخدامها في تضاد مع أي قيمة من قيم الجزائر على رأسها القيم والمكونات الأساسية للهوية الوطنية، فنجد في الدستور الجزائري ما يلي: "لا يجوز تأسيس الأحزاب السياسية على أساس ديني أو لغوي أو عرقي أو جنسي أو مهني أو جهوي [و] لا يمكن التدرّع بهذا الحق لضرب

¹ إجابة المستجوب رقم 4، على السؤال رقم 17 من مقابلة البحث.

² الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "مرسوم رئاسي رقم 21-139 يتعلق بالمرصد الوطني للمجتمع المدني"، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد: 29، الجزائر، 29 شعبان عام 1442 الموافق 12 أبريل سنة 2021، ص ص 12 - 13.

الحريات الأساسية، والقيم والمكونات الأساسية للهوية الوطنية، والوحدة الوطنية، وأمن التراب الوطني وسلامته، واستقلال البلاد، وسيادة الشعب وكذا الطابع الديمقراطي والجمهورى للدولة"¹، فتفسّر النتيجة القائلة بأن متابعة صفحات هذه الأحزاب تزيد من نسبة تفاعل المبحوثين مع المناسبات الوطنية بنجاعة اتصالها السياسي، ذلك أن الأحزاب نفسها تراهن على تأثيرها على المتابعين بزيادة وطنيتهم وانخراطهم في الروح المواطنة، فوجودها وصعودها أو تراجعها مؤسس على ذلك.

ما الذي نستنتجه فيما يخص العوامل المؤثرة على التفاعل مع المناسبات الوطنية عبر فيسبوك كمؤشر على الشعور الوطني لدى أفراد عينة الدراسة؟ نستنتج مما سبق أنها عوامل تأخذ بعين الاعتبار الجانب الهوياتي للمبحوث، فكل من الارتباط بالمكان وعنصر الانتماء؛ الارتباط بالهوية الجزائرية في التفاعل عبر فيسبوك وتأثير انخراطه في المواطنة عبر فيسبوك كلها عوامل -رغم التواجد في العالم الافتراضي-، مازالت تؤثر وتتحكم في ردود أفعال المبحوثين تجاه مناسباتهم الوطنية، في شكل من أشكال الوطنية الافتراضية.

يعني ذلك أن الانعتاق المفترض من الحدود الإقليمية، والتحرر من النزعات القومية، والاعتراب تحت مسمى "ثقافة الرحالة" أو الكوزموبوليتانية، وغيرها من المصطلحات التي صاغتها العولمة محاولة تكريس إياها عن طريق فيسبوك، هي أحكام نسبية إذ لم تظهر كلياً في هوية المبحوثين الوطنية، ولم تجزم مساهمة الموقع بذلك في اعتناقهم من الحدود الهوياتية، أو إلغاء معنى عنصري الزمان والمكان وذاكرتهما، إذ مازالا يشكّلان جزءاً أساسياً من هويتهم، وما دور فيسبوك هنا إلا إيجاد واقع افتراضي مؤسس على واقع آخر فعلي، لم تفرضه العولمة بشكل مباشر من خلال تداعياتها وخطوطها الكبرى، وإنما استغلّت الفجوات الهوياتية * Identity gaps التي تصف الهوية الجزائرية لبسط تأثيرها، وهنا نجد أحد مستجوبينا يفيد حول توقع فيسبوك في العلاقة بين الهوية الوطنية الجزائرية والعولمة: "أعتقد بأنه أحد أقوى أدوات العولمة، وتأثيره على الهوية الوطنية الجزائرية يرجع إلى التناقضات المربعة التي يعيشها الفرد الجزائري في مختلف مراحل حياته، ما يضعه في موقف ارتياب هوياتي، ويجعله على قبول حلول الآخر لمشاكله"²، لذا فمن المبكر جدا القول بسيادة الهوية الكونية على حساب الهويات الوطنية مادام للوطني أثره البارز.

المبحث الثاني: عرض ومناقشة بيانات مؤشر: تدفق السمات الثقافية الكونية عبر فيسبوك.

في المبحث السابق حاولنا الإحاطة بالمدى الذي يستخدم به المبحوثون موقع فيسبوك في الاحتفاء باتنائهم الوطني والتعبير عن شعورهم الوطني، الذي من خلاله نحاول قياس الشق لأول من فرضية البحث، وفي المبحث الحالي سنقوم بعرض

¹ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية"، مرجع سبق ذكره، ص 8.

* فجوة الهوية تعني التناقضات التي تميّز الجوانب المختلفة للهوية، خاصة منها التناقضات على مستوى الفرد بين الهوية الفعلية للفرد والهوية التي يعرضها الفرد أثناء التواصل، وعلى مستوى الجماعة؛ التناقضات بين تصوّر الفرد وتصورات جماعة تجاه الهوية، إذ تنصّف الهوية الوطنية الجزائري بتناقضات حول مرجعياتها واقعياً من جهة، وبين واقعها وعرضها عبر موقع فيسبوك. للاطلاع أكثر حول فجوات الهوية أنظر: Eura Jung, "Identity Gap: A Concept for Theorizing Communicative Aspects of Identity", Submitted for Presentation at the Annual Convention of National Communication Association, University of Southern Mississippi, 2005.

² إجابة المستجوب رقم 6، على السؤال رقم 20 من مقابلة البحث.

وتحليل وتفسير ما يتعلّق بالتدفّقات الثقافية عبر فيسبوك، أولاً: باعتباره يوفر أداة لسرد الثقافة الوطنية والترويج لها، ثانياً: باعتباره فضاءً للتدفّقات الثقافية من العالم إلى الجزائر والعكس.

المطلب الأول: استراتيجيات تمثيل الانتماء الوطني وسرد الثقافة الجزائرية عبر فيسبوك.

تقصد باستراتيجيات تمثيل الانتماء الوطني العناصر التي يتم التركيز عليها من طرف مواقع الإنترنت عموماً ومواقع التواصل الاجتماعي تحديداً لسرد الثقافات الوطنية، وهي: سرديات الأُمّة، أصولها واستمراريتها، التقاليد المُختَرعة، الأساطير التأسيسية، والهوية الوطنية من خلال الحدث أو المكان^{*}، والتي يمكن أن تظهر من خلال متغيرات عديدة على غرار مدى مساهمة المبحوث سواء عبر صفحته الخاصة، المجموعات أو التعليقات بالنشر والترويج للثقافة الوطنية الجزائرية، وكذا انتماءه الثقافي والتاريخي الذي يجعله يحمل على عاتقه نشر الخصوصيات الجزائرية، كل ذلك من أجل إظهار مدى ارتباط المبحوث بثقافته الوطنية واستغلال موقع فيسبوك لتمثيلها.

الجدول رقم (53): علاقة الانتماء الهوياتي القومي للمبحوثين بمساهماتهم سواء عبر صفحاتهم الخاصة، المجموعات أو التعليقات في النشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك.

المجموع	مساهمة المبحوث سواء عبر صفحاتهم الخاصة، المجموعات أو التعليقات في النشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك.		الانتماء الهوياتي القومي للمبحوث	
	لم يسبق وأن ساهم	سبق وأن ساهم	التكرار	وجود انتماء هوياتي قومي
239	113	126	التكرار	وجود انتماء هوياتي قومي
%100	%47.28	%52.72	النسبة المئوية	
291	165	126	التكرار	عدم وجود انتماء هوياتي قومي
%100	%56.70	%43.30	النسبة المئوية	
530	278	252	التكرار	المجموع
%100	%52.45	%47.55	النسبة المئوية	

يمثل الجدول الذي بين أيدينا علاقة الانتماء الهوياتي القومي للمبحوثين أي مدى اعتبارهم بأن هويتهم الوطنية مرتبطة بقوميتهم، بمساهماتهم سواء عبر صفحاتهم الخاصة، المجموعات أو التعليقات في النشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك، ونلاحظ من خلاله أن 52.45% من المبحوثين لم يسبق لهم أن ساهموا في النشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك، بدعم نسبته 56.70% من فئة الذين أجابوا بأن لديهم انتماء هوياتي قومي بلادهم، بالمقابل فإن 47.55% من المبحوثين سبق لهم وأن عزفوا وروجوا لثقافة بلادهم عبر فيسبوك، بدعم نسبته 52.72% من طرف الذين أجابوا بأن لديهم انتماء هوياتيا قوميا.

^{*} أنظر عنصر: وجهات النظر حول دور المعلومات في التواصل الكوني (تحديدا ما تم تناوله بخصوص السياحة الافتراضية Virtual Tourism)، المطلب الثالث، المبحث الأول من الفصل الثاني.

النتيجة الرئيسية للجدول أعلاه مفادها أولاً أن أغلبية المبحوثين يساهمون من خلال مختلف ما يوفره موقع فيسبوك من أدوات في نشر الثقافة الجزائرية والترويج لها، ومن أهم العناصر المؤثرة في تحديد مدى ذلك هو انتماءهم الهوياتي القومي، بحيث كلما زاد انتماء المبحوث القومي زاد اتجاهه نحو نشر الثقافة الوطنية الجزائرية، ويفسر ذلك بأن المبحوث مدفوع في ممارسته الافتراضية بخلفياته الفعلية، وما ترويجه لثقافة بلاده عبر الموقع إلا كواحدة من سبل التعبير عن انتمائه والإفصاح عن ذاته الوطنية وعرضها، والذي يؤكد هذا التفسير هو أن المبحوثين الذين أجابوا بأنهم يستخدمون فيسبوك لنشر ثقافة بلادهم، مدعومون من طرف أولئك الذين يعتبرون حساباتهم على الموقع وهوياتهم الفيسبوكية امتداداً لهوياتهم الفعلية والعكس (أنظر الجدول في الملحق رقم: 49) فاعتبارهم أن هوياتهم الافتراضية امتداد للفعلية يعني اعتبارهم لشعورهم القومي الفعلي، وكذا نشاطاتهم وتخصصاتهم وميولاتهم كذلك ممتدة للعالم الافتراضي. وفي مسح لإجابات المبحوثين حول تلك المساهمة، نجد الشعور الوطني والانتماء الهوياتي متكررا في إجاباتهم:

✓ فمنهم من نقل شعوره الوطني الفعلي وانتماءه إلى موقع فيسبوك فأجاب المبحوث رقم 15: "صفحتي تعبر عن فكري وما أن إلا ابن الجزائر ومتأثر بثقافتها فلا بد أن تظهر معالم الثقافة الجزائرية من خلال فكري"، والمبحوث 365: "الجزائر وطني ومن حقّي الترويج لما يخدم وطني"، أو قام من أجل ذلك بإنشاء صفحات ومجموعات مخصصة لذلك على غرار المبحوث رقم 28 الذي أجاب: "قمت بإنشاء مجموعة الموروث المادي والمعنوي في الجزائر".

✓ ومنهم من نقل نشاطه الثقافي والحرفي الفعلي إلى فيسبوك فأجاب والمبحوث رقم 55: "بصفتي عضو في جمعية وأدمن /مدير صفحة [الصفحة الخاصة بها أقوم بنشر ذلك]؛ والمبحوث 353: "تصميم أو رسم صور خاصة بالثقافة الجزائرية كاللباس أو اللهجة خاصة منطقتي".

✓ ومنهم من نقل تخصصه العلمي والأكاديمي الفعلي إلى الموقع، فأجاب المبحوث رقم 68: "كباحث في التاريخ أحاول مشاركة أبحاثي فيما يخص التاريخ الجزائري الثقافي"؛ والمبحوث 327: "من خلال كتابة مواضيع في حساب أي... هو باحث في التاريخ وله دور كبير في إثراء تاريخ المدينة".

✓ ومنهم من حافظ عن انتمائهم الوطني حتى في ظل إقامتهم في بلدان أجنبية، أجاب المبحوث 294: "أنشر أحيانا ما يخص الثقافة الجزائرية في مجموعات الأجانب أو العرب المقيمين في البلد الذي أقيم فيه حاليا".

وتعد الممارسات الثقافية عبر فيسبوك من أهم الممارسات الهوياتية التي ينشط من خلالها المستخدمون الجزائريون على وجد العموم أفرادا وهيئات، فلو بحثنا عبره على سبيل المثال حول "التراث الجزائري" تظهر نتائج البحث وجود أكثر من 80 صفحة وما لا يقل عن 200 مجموعة، حيث يعد منصة مثالية للجزائريين للتعريف بتراثهم وثقافتهم سواء تعلق الأمر بالمؤسسات مثل تلك المعنية بالسياحة والثقافة الأكثر نشاطا فيما يخص هذا المجال، الأولى التي تستغل الموقع للتعريف بالتراث الجزائري بنوعيه المادي واللامادي، ومختلف مجالاته (الصناعة التقليدية، المعارض والمؤتمرات، المتاحف، المهرجانات، المعالم الأثرية..)، هيئات مختصة ومراكز بحث، ومراكز متخصصة في مختلف مكونات التراث الثقافي مثل "المركز الجزائري للتراث الثقافي المبني بالطين"، أو أشخاص قاموا بإنشاء مجموعات وصفحات للتعريف والحفاظ على التراث الجزائري في ظل محاولات سرقة، ليس

محليا فحسب بل عالميا، إذ تتجه صفحات عديدة ومجموعات لنقل التراث الثقافي الجزائري إلى العالمية تحت شعار "اكتشف الجزائر Discover Algeria"، مستخدمة اللغات الأجنبية خاصة الإنجليزية منها على اعتبارها اللغة الأكثر استعمالا عبر الإنترنت، ونظرا لأن "الجزائريين وجدوا في الفضاء الإلكتروني وعلى الأخص مجموعات وصفحات فيسبوك، مساحة مشتركة لممارسة اللغة الإنجليزية"¹.

ومن أهم أسباب اتجاه الباحثين إلى الترويج للثقافة الوطنية الجزائرية عبر الموقع، هو محاولات سرقة التراث الجزائري والسطو عليه، رغم توفير الآليات القانونية لحمايتها سواء المتعلقة بالعموميات على غرار النصوص التي تتعلق بحماية التراث الثقافي الجزائري عموما، أو المتعلقة بالتراث المادي على غرار تلك التي تعنى بجمود لممتلكات الثقافية المحمية، أو الأعمال الفنية وممارسة الأنشطة الثقافية، أو الأخرى المتعلقة بالتراث اللامادي على غرار تلك التي تعنى بتنظيم الأرصدة الوثائقية الخاصة بالممتلكات الثقافية غير المادية، إلا أنه يمكننا ملاحظة هذه الظاهرة وتواصلها، ربما يرجع ذلك لوجود فجوة بين النصوص القانونية وتكريسها، كل هذا أدى بالمستخدمين الجزائريين إلى انتهاج سبل أخرى للحفاظ على الخصوصيات الثقافية الجزائرية من ضمنها التوجه نحو العالم الافتراضي. فيلعب موقع فيسبوك في هذا الصدد دورين متضاربين:

✓ يوقر فضاء للترويج لمعلومات خاطئة ومحرّفة ومسروقة عن الثقافة الجزائرية والتراث الثقافي كما أجاب أحد المستجوبين: "أرى أن الدور الذي يلعبه الفيسبوك في ظاهرة سرقة التراث الجزائري شبيه بدوره في الصراع العرقي، حيث أن دوره يعد سلبيا بدرجة كبيرة، وفي ظل انتشار الصفحات التي تروج للأفكار المغلوطة والكاذبة فإن ظاهرة نزع صفة "الجزائرية" عن ما هو جزائري ستطفو للعلن من حين لآخر بهدف جلب التفاعل وهو ما سيقضى هذه الأخيرة تدور في حلقة فارغة وتخلق الصراع من جديد ويعد هذا من سلبيات مواقع التواصل الاجتماعي بشكل عام والفيسبوك بشكل خاص نظرا لحرية مستخدميه مقارنة بالمواقع الأخرى"². وذلك يعد شكلا من أشكال الاختراق الخارجي للثقافة الجزائرية.

✓ ويوفر بالمقابل فضاء لنشر الثقافة الجزائرية الصحيحة فمن الباحثين الذين أجابوا بأنهم يستخدمون فيسبوك للترويج للثقافة الجزائرية من وضع أن مساهمته -بدل الترويج للثقافة بشكل مباشر- تتمثل في دحض من رُوج له سابقا من مغالطات وأخطاء تاريخية حول الثقافة الجزائرية والتعدي عليها، أجاب الباحثان 116 و 118 على التوالي: "تصحيح بعض الأغاليط وفي ذلك أهمية كبرى"، "تصحيح الحقائق والرد على المعلومات المزيفة وقمع الحملات المغرضة والحاكمة"، والمباحث 298: "تصحيح منظور خاطئ أو تصحيح معلومة قد تشوه صورة الجزائر"، فهو يلعب دورا محوريا في تموقع الهوية الوطنية الجزائرية بين التداخليات العولمة وبين التراث الثقافي الجزائري، إذ تتمثل أحد أهم سبل مواجعة العولمة واختراقها الثقافية، في التفتح على العالم والمشاركة بالخصوصيات المحلية في بناء الثقافة العالمية.

¹ Karima Hocine, Op.cit, p 93.

² إجابة المستجوب رقم 4، على السؤال رقم 18 من مقابلة البحث.

الجدول رقم (54): علاقة اشتراك المبحوثين في صفحات ومجموعات مهتمة بالتاريخ الجزائري بمساهمتهم في النشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك.

المجموع	مساهمة المبحوث سواء عبر صفحته الخاصة، المجموعات أو التعليقات بالنشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك.		اشتراك المبحوث في صفحات ومجموعات مهتمة بالتاريخ الجزائري	
	سبق وأن ساهم	لم يسبق وأن ساهم	التكرار	يشترك
324	124	200	التكرار	يشترك
%100	%38.27	%61.73	النسبة المئوية	
206	154	52	التكرار	لا يشترك
%100	%74.76	%25.24	النسبة المئوية	
530	278	252	التكرار	المجموع
%100	%52.45	%47.55	النسبة المئوية	

يوضح الجدول علاقة اشتراك المبحوثين في صفحات ومجموعات مهتمة بالتاريخ الجزائري بمساهمتهم سواء عبر صفحته الخاصة، المجموعات أو التعليقات في النشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك، ونلاحظ من خلاله أن 52.45% من المبحوثين لم يسبق لهم وأن ساهموا في الترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك بدعم قدره 74.76% من طرف المبحوثين الذين لا يشاركون في الصفحات والمجموعات المهتمة بالتاريخ الجزائري، كما يتضح من الجدول أن 47.55% سبق لهم وأن عرّفوا وروجوا للثقافة الجزائرية عبر الموقع بدعم نسبته 61.73% من طرف المبحوثين الذين يشتركون في الشبكات الفيسبوكية المهتمة بالتاريخ الجزائري.

النتيجة الرئيسية للجدول تتمثل في أن اشتراك المبحوثين في الشبكات الفيسبوكية المتعلقة بالتاريخ الجزائري سواء كان مصدرها رسميا أو غير رسمي*؛ يساهم بشكل ملحوظ في توجيه نحو المساهمة في الترويج للثقافة الجزائرية، ويمكن تفسير ذلك بأن هذه الصفحات تساهم في شحن الذاكرة الثقافية للمبحوثين وتعزيز انتمائهم التاريخي والذي يدفعهم إلى المشاركة بدورهم في الترويج لهذه الانتماء وتلك الذاكرة عبر مختلف ما يتيح الموقع من صفحات أو مجموعات أو حتى تعليقات، ولنتأكد من هذا التفسير ربطنا بين كل من متابعة الصفحات التاريخية عبر فيسبوك والانتماء التاريخي الهوياتي للمبحوث ووجدنا أن هناك علاقة بينهما، فالذين أجابوا بأن لديهم انتماء هوياتيا تاريخيا مدعومون بنسبة 59.88% من طرف الذين يتابعون هذه الصفحات والعكس، يدعم الذين لا يتابعونها فئة المبحوثين الذين لا يمتلكون انتماء هوياتيا تاريخيا بنسبة 58.74%.

يمثل الجانب التاريخي كما نلاحظ من خلال مختلف محطات الدراسة أحد أهم الجوانب المؤسسة لمرجعيات الهوية الوطنية الجزائرية، وخاصة البعد الوطني منها، إذ يحفظ ذاكرتها الثقافية بشكل موثق، وينظر إلى التاريخ والذاكرة في علاقاتها بسرديات الأمة وأساطيرها التأسيسية هنا من جانبين:

* نقصد بالرسمي هنا الجهات والهيئات الرسمية التابعة للدولة كصفحات الوزارات والهيئات المتخصصة في التاريخ والذاكرة وحفظ التراث، وغير الرسمية نقصد بها صفحات ومجموعات لأفراد موثوقين يُعنون بالتاريخ الجزائري كالباحثين والمتخصصين وكذا من العامة الذين يرفقون معلوماتهم بمصادر ومراجع ودلائل.

✓ **الأول:** الجانب أو المستوى غير الرسمي الذي يعتبر كلا من التاريخ والذاكرة وما ارتبط بهما؛ حصنا للهوية ومسؤولية فردية وجماعية مستمرة ولو كانت غير محسوسة، لأنّ التذكّر ضروري لوجود الأمم والاعتراف بها، وربما نلاحظ ذلك من خلال ظاهرة السطو على التاريخ والتراث الثقافي الجزائريين عبر موقع فيسبوك، والذي -بمقابل تسهيله لهذا السطو والتحريف- يتم استغلاله من قبل أفراد متخصصين يستخدمون التاريخ للحفاظ على الخصوصيات الثقافية الجزائرية كما أجاب أحد المستجوبين "أعتقد أن موقع فيسبوك منح المتخصصين الأكفاء إمكانية نشر الدلائل والمصادر التاريخية التي تثبت الحياة الثقافية لهذا الملبس أو غيره"¹، فتصبح كل جماعة اجتماعية مسؤولة ومدركة لضرورة الحفاظ على تاريخها وإحياء ذاكرتها في معزل عن الخطابات الرسمية، فالجدول يبين لنا الذي تقوم به الصفحات والمجموعات التاريخية عبر فيسبوك بهذا الدور.

✓ **الثاني:** الجانب أو المستوى الرسمي، وهذا مرتبط بما رأيناه في المطلب السابق من خلال الدور الذي تلعبه صفحات المؤسسات الرسمية في تعزيز البعد الوطني للمبحوث، وإذا عدنا إلا مفهومي التاريخ والذاكرة، وعلاقتها بالطقوس الاحتفالية الوطنية في علاقتها بالهوية، نستذكر ما جاء به بول ريكور Paul Ricoeur حول الذاكرة والتذكر، وكيف يمكن تكريس هوية مشرعة من خلال التاريخ، فهذه الصفحات تلعب دورا ليس فقط في الترويج للثقافة الجزائرية ولكنها -بمفاهيم ريكور- تلعب دورا في ضبط اجتماعي وتاريخي للأفراد، فيرى أن القصص التأسيسية وقصص المجد التي يوثقها التاريخ الرسمي "التاريخ الذي يُعلم ويُحتفل به علناً أمام الجميع... فإن نهاية القصة توضع بهذه الطريقة في خدمة الهوية النهائية للمجموعة. تاريخ يُعلم، تاريخ يُحفظ، ولكن كذلك تاريخ يُحتفل به... وهكذا يقوم حلف رهيب بين إعادة التذكر وبين الحفاظ غيباً وإقامة الاحتفالات للذكرى"²، تعمل على شحن ذاكرة الأفراد ليس فقط لكي "يتذكروا" بل أبعد من ذلك "لكي لا ينسوا"، ذلك أننا نعيش في عصر العولمة الذي لطالما وصف بأنه عصر النسيان.

الأخير الذي ربطه ريكور في موضع آخر بظاهرة العولمة وأوضح أن لهذه الظاهرة غموضاً أخلاقياً، ووفقاً له؛ العولمة "جعلت من الممكن تحسين البشرية من جانب مادي إلا أنها أوجدت تحديات أخرى يواجها المجتمع العالمي وهي متعلقة بثقافته... فهي تشكل تدميراً خفياً ليس فقط للثقافات التقليدية ولكن أيضاً للنواة الإبداعية للحضارات العظيمة والثقافات العظيمة وأخلاقها وأساطيرها التي هي أساسنا لتفسير الحياة"³، مضيفاً "كل مجموعة تاريخية بهذا المعنى لها روح، تفرد أخلاقي مرتبط بتقليد، بذاكرة، بجذر قديم... ولا تدرك الظاهرة الإنسانية نفسها تاريخياً إلا من خلال مجموعة المواقف الملموسة، التي يشكلها الخيال القيمي"⁴، من أجل ذلك يعتبر دور فيسبوك في "أن لا ينسى" المستخدم الجزائري تاريخه دوراً مهماً.

ورغم أن التفسير يكون في الغالب في جهة الوجود إلا أن ذلك لا يمنعنا من التفسير في جهة العدم، فمن جهة مقابلة لكل ما سبق، هناك مبحوثون لا يساهمون في عملية الترويج للثقافة الجزائرية وسردياتها الكبرى، لأنهم لا يتأثرون بمتابعة المضامين

¹ إجابة المستجوب رقم 6، على السؤال رقم 18 من مقابلة البحث.

² بول ريكور، ترجمة: جورج زيناتي، **الذاكرة، التاريخ، النسيان**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009، ص 143.

³ Jove Jim S. Aguas, "The Challenge of Universality and Particularity: Ricoeur on Globalization, Civilization, Culture and Dialoguem", International Conference: Paul Ricoeur in Asia initial draft, **Ateneo de Manila University and University of Santo Tomas, Manila, Philippines**, November 19-21, 2015, p 1.

⁴ Ibid, p 6.

التاريخية، يمكن أن تفسر النتيجة بعدم وجود ثقة في المضامين التاريخية عبر فيسبوك إذ يعتبرونه موقعا غير رسمي، أو لعدم ثقتهم في صانعي المحتويات عبره خاصة التاريخية منها، ففي محطتين مختلفتين من تقنية البحث، ورغم أن الأسئلة لم توجه المبحوثين إلى عنصر التاريخ إلا أن بعضا من المبحوثين تطرقوا له، خاصة في دور فيسبوك السلبي تجاه التاريخ وتجاه الهوية الجزائرية في وحدتها وسيادتها، أجاب المبحوث رقم 309 واصفا أدواره السلبية: "سياسة تجهيل الأجيال واقتصائها وحرمانها من المعرفة التاريخية الصحيحة، اقضاء الكفاءات العلمية والثقافية والاعتماد على أطراف دخيلة على العلم والمعرفة وتكرس للرداءة باستمرار - استماع المتصارعين واعتمادهم على معارف مزيفة وكاذبة من اطراف خارجية لا ترضى للبلاد غير الخراب ... وفترت الأخوة وزرعت بينهم الكراهية..."، والمبحوث 199 عن سؤال آخر حول المؤثرين الجزائريين وصانعي المحتوى كما يُسمون: "أغلب المؤثرين الجزائريين لا يمتلكون حتى معلومات كافية عن تاريخنا ولا يمثلون جزائريين بشكل صحيح إلا قلة قليلة من مؤثرين التي تنشر محتوى هادف عن كل ما يتعلق بجزائرنّا الحبيبة"، وأضاف رقم 487: "أحيانا يخلطون التاريخ ويخفون أشياء".

المطلب الثاني: فيسبوك كأداة لصناعة التراث والترويج للخصوصيات الثقافية الجزائرية.

إذا كان موقع فيسبوك يلعب دورا في الترويج للسرديات التاريخية والثقافية المتعلقة بالانتماء الوطني، فهو كنتيجة لذلك يلعب دورا مهما كذلك فيما أسمىناه سالفًا بصناعة التراث، والذي لاحظنا أنها عملية تتم على مستويين، أولهما محلي يخص الترويج للثقافة الجزائرية داخل الحدود الجزائرية، والثاني عالمي يخص الترويج للثقافة الجزائرية خارج هذه الحدود.

أولا: فيسبوك كأداة لصناعة التراث على مستوى داخل-داخل.

لا يمكن الانتقال إلى المشهد الثقافي العالمي، دون المرور بالمشهد الثقافي الجزائري، ومن أجل ذلك سنتطرق إلى مدى مساهمة موقع فيسبوك في نقل العادات والتقاليد الخاصة بكل ولاية من ولايات الوطن إلى سكان ولاية أخرى، وقياس تأثيره على انتماءاتهم الهوياتية.

الجدول رقم (55): علاقة مساهمة فيسبوك في نقل عادات وتقاليد الولايات الجزائرية إلى المبحوثين باتمائمهم الهوياتي الثقافي.

المجموع	الانتماء الهوياتي الثقافي للمبحوث		مساهمة فيسبوك في نقل عادات وتقاليد الولايات الجزائرية الأخرى إلى المبحوث.	
	عدم وجود انتماء هوياتي ثقافي	وجود انتماء هوياتي ثقافي	التكرار	النسبة المئوية
451	170	281	التكرار	النسبة المئوية
%100	%37.69	%62.31	التكرار	النسبة المئوية
79	40	39	التكرار	النسبة المئوية
%100	%50.63	%49.37	التكرار	النسبة المئوية
530	210	320	التكرار	النسبة المئوية
%100	%39.62	%60.38	التكرار	النسبة المئوية

يمثل الجدول علاقة تأثير وتأثر بين مساهمة فيسبوك في نقل عادات وتقاليد الولايات الجزائرية إلى المبحوثين وبين انتماءهم الهوياتي الثقافي أي أنهم يربطون هويتهم الوطنية بالثقافة الجزائرية، ونلاحظ من خلاله أن 60.38% من المبحوثين أجابوا بأن لديهم انتماء هوياتيا ثقافيا بدعم نسبته 62.31% من طرف المبحوثين الذين ساهم فيسبوك في نقل عادات وتقاليد الولايات

الجزائرية إليهم، بالمقابل فإن 39.62% من المبحوثين أجابوا بأنه لا انتماء هوياتي ثقافي لديهم بدعم نسبته 50.63% من طرف الذين لم يساهم فيسبوك في تعريفهم على عادات وتقاليد الولايات الأخرى.

النتيجة الرئيسية للجدول أعلاه تتمثل في أنه كلما ساهم موقع فيسبوك في نقل السمات الثقافية الخاصة بالولايات الجزائرية إلى المبحوثين، كلما زاد انتماءهم الهوياتي القومي والعكس، ويمكن قراءة ذلك وتفسيره على أنه كلما زادت معرفة المزيد عن هذه الخصوصيات وتشابهها واختلافها كلما اتضح للمبحوث ثراء الثقافة الوطنية وافتخاره بها والترويج لها، والرغبة في الاتصاف بها والانتماء إلى الهوية الجامعة لها.

ولنتأكد من هذا التفسير ربطنا بين نقل فيسبوك لعادات وتقاليد الولايات الأخرى إلى المبحوث كمتغير يأخذ اتجاهها مستقلا وبين مساهمته هو في نقل الثقافة الوطنية إلى أصدقائه الأجانب كمتغير يأخذ اتجاهها تابعا، ووجدنا من خلال هذا الربط (الموضح في الملحق رقم 50) أن الذي يساهمون في نقل سمات ثقافية جزائرية إلى أصدقائهم من الأجانب مدعومون بنسبة 61.13% من طرف فئة الذين ساهم فيسبوك بدوره في نقل عادات وتقاليد الولايات الأخرى إليهم، بالمقابل فإن الذين أجابوا بأنهم لم يساهموا في نقلها إلى أصدقائهم الأجانب مدعومون من طرف المبحوثين الذين لا يساهم فيسبوك في نقل عادات الولايات الأخرى إليهم بنسبة 71.43%، ما يعني ذلك أن فيسبوك بالفعل يساهم في صناعة تراث محلي داخلي يؤثر في الشعور الوطني للمبحوثين. ومن أهم الخصائص الثقافية التي أجاب المبحوثون أنها انتقلت إليهم عبر الموقع:

✓ **اللهجات الجزائرية وتنوعها**، سواء في طريقة نطق الكلمات أو اختلافها من منطقة إلى أخرى، أجاب المبحوث رقم 353 حول العادات الجزائرية التي نقلها فيسبوك إليه: "معرفة عادات وتقاليد الولايات تقريبا كل الولايات تتشارك في هذا الموضوع مثلا كالأكل وطريقة العيش واللباس وحتى اللهجات والأهم الافتخار بها"، والمبحوث 441: "مثلا تعلمت استعمال كلمات وتعابير لمناطق أخرى".

✓ **العادات والتقاليد المرتبطة بالمطبخ الجزائري** التي يسعى المبحوثون للترويج لها خاصة أنها من أكثر الخصوصيات التي يتم سرقتها، إذ يساهم فيسبوك في نقل تنوعها إلى المبحوثين وكذا مناسبات إعدادها، فإلى جانب العديد من الإجابات في نفس السياق أجابت المبحوثة رقم 514: "تعرفت على عدة تقاليد وعادات لولايات مختلفة. كعادة تحضير أطباق معينة في المناسبات مثلا، أو الأطباق التي تعد للطفل عند دخوله المدرسة لأول مرة (تحضير الحظاف صباحا)"، والمبحوثة رقم 445: "رأيت في إحدى مجموعات الطبخ وصفة يتم تحضيرها في ولاية أخرى للمولد النبوي الشريف لم أرها من قبل".

✓ **الطقوس الاحتفالية** المتعلقة بمختلف المناسبات الثقافية والدينية والاجتماعية كعادات الأعراس والمولد النبوي الشريف وكذا العادات المتعلقة بمنطقة جغرافية محددة كالسببية، أجاب المبحوث 211: "عرفت عادات سكان شرشال بالاحتفال بالمولد (الفنار) عبر فيسبوك"، كما أجاب المبحوث 219: "مختلف العادات والتقاليد من طريقة الزواج والاحتفالات بالمولد والسنة الأمازيغية لكل من أولاد نايل، الشاوي، لقبایل والتوارق ومزاب ومناطق أخرى"، المبحوث رقم 361 "أعياد

*الإجابة كانت باللغة الأجنبية ونصها: "J'ai vu sur un groupe culinaire une recette qu'on prépare dans une autre wilaya à l'occasion"

"du mouloud que je n'ai jamais vu auparavant"

القبائل طعام أولاد نايل وأعراس الشاوية"، والمبحوث 309: "نعم عادات أهلنا في الجنوب فيما يخص مهرجان السببية.. عادات بني ميزاب من خلال الاحتفال بموسم الربيع حيث ينظمون عيد الزربية".

✓ العادات والتقاليد المتعلقة بالأزياء الجزائرية سواء اللباس أو الحلي، أجابت المبحوثة رقم 47: "مثال جبة ولاد نايل الجميلة جدا والتي اكتشفها عبر الفيسبوك"، المبحوثة رقم 217: "في الأكل مثلا نرى تنوعا ثقافيا، أفكار جديدة تختلف من منطقة لأخرى، وكذلك في اللباس، مثلا البلوزة الوهرانية ما كنت أعلم بشكلها إلا من خلال الفيسبوك".

✓ الموسيقى الجزائرية وما يصاحبها من رقصات وعروض الفانتازيا، أجاب المبحوث رقم 444: "موروثات ثقافية ملموسة أجد نفسي أجارها كبعض الأطباق والمأكولات والرغبة في تجريب بعض الأزياء والملابس التقليدية إضافة إلى الميل إلى سماع الأغاني الموروثة وكل هذا مما لا أجده في منطقتنا أو عادات بلدي وتقاليدها"، والمبحوث 237: "الغناء والموسيقى... وغيرها من المنتجات الثقافية".

✓ المناطق السياحية المختلفة التي يروج لها إما سكانها عن طريق نشرهم لصورها ومعلومات عنها أو صانعو محتوى السفر أو كما يعرفون بالرحالة الجزائريين، أجاب المبحوث رقم 504: "تقوم بعض الجمعيات بنشر معلومات وصور وخرجات عن التراث المادي لمنطقتها وكذلك الأماكن..."، والمبحوث رقم 127: "المدونون الرحالة ألهمونا زيارة ولايات جزائرية"؛ إضافة إلى الخصوصيات العمرانية لكل منطقة، أجاب المبحوث رقم 316: "مأكولات ولباس وأبنية عمرانية".

وكون ما سبق هو نتيجة متعلقة بالمستوى الداخلي لا يعني عدم وجود علاقة لذلك بمنظومة العولمة الثقافية، فكما يرى الأنثروبولوجيون، "إننا نعيش في الحقيقة في عصر يتميز بوفرة داخلية من التمايز الثقافي. وعلى هذا يمكننا القول إن الاختلافات الثقافية تحدث في الداخل، وأن قطع الموازيك الثقافي العالمي تنتشر في شظايا صغيرة، وتهبط في أماكن متفرقة، شديدة الاختلاف عن محيطها. ونتيجة لذلك سوف تصبح مضطربة؛ أن تختلط بدرجات متزايدة مع بعضها بعضا..."¹، فعصرنا هذا يحتم على الأمم التي تسعى أجزاءها الداخلي (الولايات أو المنطقة الجغرافية في هذه الحالة) للحفاظ على خصوصيتها وأن تنطلق من مستويات أقل تمت تسميتها فيما سبق بالهويات الوسطى لتصل إلى مستويات أعلى.

ثانيا: فيسبوك كأداة لصناعة التراث على مستوى داخل خارج.

نأتي الآن إلى التعرف على دور فيسبوك في إخراج الخصوصية الثقافية الجزائرية نحو العالم، ذلك أن مواجهة الهويات الوطنية للعولمة الثقافية تأخذ في العموم اتجاهين، الانعزال، التقوقع، العنف والمناهضة أو الانفتاح وتفعيل عناصر الهوية عالميا، الأخيرة التي يعتبر موقع فيسبوك أداة مناسبة لها خاصة أنه "أصبح من الضروري في عالمنا أن نقبل وجود "آخرين"؛ لهم أسلوب معيشة مختلف، ويسير تبعا لمبادئ وقيم مختلفة نوعا ما، ما ارتضيناه لأنفسنا. هذا وإلا؛ فإن البديل إما العزلة أو العنف"²، وسنتعرف فيما يلي على مختلف المحددات التي تتحكم في صناعة التراث الجزائري نحو الخارج.

¹ توماس هيلاند إيركسون، مفترق طرق الثقافات- مقالات عن الكريولية، مرجع سبق ذكره، ص 38.

² المرجع نفسه، ص 12.

الجدول رقم (56): علاقة الانتماء الهوياتي التاريخي للمبحوثين بنقلهم لسمات ثقافية جزائرية إلى أصدقائهم الأجانب عبر فيسبوك.

المجموع	نقل المبحوث لسمات ثقافية جزائرية إلى أصدقائه الأجانب عبر فيسبوك		الانتماء الهوياتي التاريخي للمبحوث	
	لم يسبق وأن نقل	سبق وأن نقل	التكرار	وجود انتماء
171	62	109	النسبة المئوية	هوياتي تاريخي
%100	%36.26	%63.74	التكرار	عدم وجود انتماء
154	78	76	النسبة المئوية	هوياتي تاريخي
%100	%50.65	%49.35	التكرار	المجموع
325*	140	185	النسبة المئوية	
%100	%43.08	%56.92		

يبين الجدول علاقة بين الانتماء الهوياتي التاريخي للمبحوثين وبين نقلهم لسمات ثقافية جزائرية إلى أصدقائهم الأجانب عبر فيسبوك، ونلاحظ من خلاله أن 56.92% منهم يساهمون من خلال فيسبوك في نقل السمات الثقافية الجزائرية إلى أصدقائهم الأجانب بدعم نسبته 63.74% من طرف الذين أجابوا بأن لديهم انتماء هوياتي تاريخي، بالمقابل فإن 43.08% من أجابوا بأنه لم يسبق لهم أن نقلوا سمات ثقافية جزائرية إلى مستخدمي فيسبوك أجانب من أصدقائهم، وذلك بدعم نسبته 50.65% من طرف الذين أجابوا بأنه ليس لديهم انتماء هوياتي تاريخي.

للجدول نتيجتان يمكن قراءتهما، الأولى هي أن أغلبية المبحوثين الذين يمتلكون أصدقاء أجانب، يعملون من خلال فيسبوك على نقل سمات ثقافية جزائرية إليهم، والثانية أن ذلك مرتبط بمدى تعريفهم لأنفسهم من خلال عنصر التاريخ، فهناك علاقة طردية بين وجود انتماء هوياتي تاريخي للمبحوث ومبادرته بالتعريف بخصوصيات الجزائر لأصدقائه، ويفسر ذلك بأن المبحوث المرتبط بهويته الثقافية أكثر وافتخاره بها يجد في نفسه ضرورة لنشرها، خاصة في ظل ما كان وما يكون من محاولات لتشويه صورة الشخصية الجزائرية تاريخيا وعالميا.

كما أن الانتماء التاريخي للمبحوث لا يساهم في نشر الثقافة على الصعيد الشخصي والعائلي فحسب وإنما كذلك على صعيد الجماعات والمجموعات، فيؤثر نفس المتغير المستقل كذلك على مساهمة المبحوث في النشر والترويج للمناطق السياحية والثقافية في الجزائر عبر صفحات الأجانب، إذ وجدنا أنه كلما زاد انتماء المبحوث التاريخي زادت نسبة مساهمته والعكس (كما يظهر في الملحق رقم 51) ومن خلاله نرى أن 63.40% من المبحوثين لا سبق لهم وأن عرّفوا بالمناطق والمعالم الثقافية في الجزائر عبر فيسبوك بدعم من فئة المبحوثين الذين لا يعترفون أنفسهم هوياتيا من خلال تاريخهم وذلك بنسبة 68.92%، بالمقابل فإن 36.60% من المبحوثين سبق وأن استغلوا موقع فيسبوك للتعريف بخصوصية المناطق والمعالم السياحية الجزائرية بدعم نسبته 41.58% من طرف المبحوثين ذوي الانتماء الهوياتي التاريخي.

* المجموع هنا يعبر عن عدد المبحوثين الذي يمتلكون أصدقاء من الأجانب.

لطالما كان وجود للشخصية الجزائرية عالميا أمرا مهما في التاريخ الجزائري، إذ اعتبرت مطلباً وطنياً ينطلق من الاعتداد بالذات الجزائرية وينتهي إليها خاصة في افتتاحها على ما هو عالمي، وقد أوضح نايت بلقاسم ذلك في معرض تناوله لشخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، إذ يرى أن "التاريخ، بحفظه لكل حلقة من حلقات سلسلة الأجداد والأحفاد، يؤكد عناصر الشخصية الأصيلة، المتفتحة في الوقت نفسه على **ضرورات العصر** بما لا يضر أصالتها؛ ويعطى الأمة وجهها بارز السمات، واضح القسما؛ ويضمن لها وجوداً متميزاً يكون عنواناً لها، وبطاقة إينتها [يعني هويتها] بين الأمم، ككل قائم بذاته، وكجزء من كل أكبر منه ويشمله: مغربي، عربي، إسلامي، بل إنساني عالمي. فهو الأهم في كل ثقافة، والبداية والنهاية ... ليس فقط لاستخلاص الدروس؛ ولا فحسب للتعريف بأجدادنا؛ ولكن أيضاً لغرس الاعتداد بالنفس في الشباب؛ وتعميق الوعي بالذات؛ وتقوية الاعتزاز بالوطن، والتشرف بالإنية الوطنية"¹.

ويمكننا حصر الدوافع التي تحت المبحوث على تعريف أصدقائه الأجانب بالثقافة الجزائرية، ومحاولة نقلها إليهم حسب إجابات المبحوثين- فيما يلي:

✓ **الترويج للخصوصية الإسلامية الجزائرية:** وكذا ما يرتبط بها من أخلاق وصفات ومواقف وقناعات، كالأخلاق الحسنة ومناصرة القضية الفلسطينية، نورد بعضاً من إجابات المبحوثين حول الخصائص التي أثروا بها على أصدقائهم، أجاب المبحوث 184: "الدين الإسلامي، التضامن وطبع المجتمع الجزائري فيه، العادات والتقاليد"، المبحوث 288: "الثقافة الإسلامية وعلى سبيل المثال شرح فريضة الصوم"، وكذا المبحوث 393: "تعليم ما معنى الرجولة وحب الوطن وعدم الخيانة لقضية الأمة الإسلامية".

✓ **الترويج للخصوصية اللغوية الجزائرية:** إذ لاحظنا تكرار العنصر اللغوي، واتجاه المبحوثين إلى الترويج للخصوصية اللغوية واللسانية الجزائرية خاصة لهجتها التي تميزها عن غيرها من الناطقين باللغة العربية الفصحى من الدول، أو تصحيح مغالطات حولها والمبحوث 26: "غيرت نظرتهم حول اللغة التي يتحدثها الجزائريون غالباً: اللغة العربية في مقابل الفرنسية"، والمبحوث رقم 94: "صديقة كورية طلبت مني أن أعلمها اللغة العربية.."، وكذا المبحوث رقم 193: "بعضهم أصبح يتكلم مفردات باللهجة الجزائرية ومهتم بأساء المدن وتاريخ الجزائر..".

✓ **الترويج للخصوصية الوطنية والتاريخية الجزائرية:** وتقصد بذلك الوطنية الجزائرية وما ارتبط بها من تاريخ خاصة، إذ ساهم المبحوثون في ذلك من خلال تعريف أصدقائهم الأجانب بالتاريخ الاستعماري الفرنسي على سبيل المثال، فأجاب المبحوث 280 حول ما نقله إلى أصدقائه: "أصبحوا يجربون الأكل الجزائري التقليدي، ويعجبون بالدين الإسلامي، وينددون بجرائم فرنسا مع معرفة حقيقة الاستعمار الفرنسي في بلدي"، والمبحوث 433: "حقيقة مجازر فرنسا والتخريب في الجزائر"، وكذا المبحوث رقم 253: "التعرف على تاريخ الجزائر".

✓ **تغيير الصورة النمطية للثقافة الجزائرية:** إذ يتم لجوء المبحوثين إلى مواقع التواصل في ذلك لأن الجزائر تعتبر من أصعب الدول التي يمكن الحصول على تأشيرة دخولها، فتتكون نتيجة الجهل بخصوصياتها والتعرف عن قرب عليها صور نمطية مغلوطة،

¹ مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، مرجع سبق ذكره، ص ص 27 - 28.

سواء دينيا، ثقافيا أو لغويا، أجاب المبحوث رقم 19 عن كيفية مساهمته وماهية ما نقله إلى أصدقائه الأجانب: "تغيير الصورة النمطية مع الوقت وتكوين رأي للانطباعات المغلوطة، والمبحوث رقم 85: "تصحيح صورة الجزائر والثقافة الجزائرية"

✓ **نقل العادات والتقاليد الجزائرية:** وهي من أكثر الخصائص الثقافية التي تكون موضوعا للتثاقف عبر التقنية، فقد ساهم المبحوثون في الترويج للعادات والتقاليد الجزائرية ومن أصدقائهم من تأثر بها وبدأ في ممارستها أجابت المبحوثة رقم 84: "صديقة العائلة صامت ليوم كامل كما حرصت على إدخال المطبخ الجزائري إلى مطبخهم"، والمبحوثة 483: "شاركهم أطباق تقليدية وقاموا بطبخها وأعجبهم"، ذلك إضافة إلى توضيح ما يلتبس عليهم من التراث المشترك بين الجزائر وغيرها، أجاب المبحوث رقم 294: "صححت مفهوم التراث المشترك في بعض العادات والتقاليد بيننا وبين دول الجوار".

✓ **إثارة الفضول العلمي والأكاديمي تجاه الثقافة الجزائرية:** أجاب بعض المبحوثين بأن تعريفه بالثقافة الجزائرية وخصوصيتها لم يتوقف عند حدود التأثير بها، بل منهم من أثارت فضولهم البحثي والأكاديمي لدرجة اتخاذها موضوعا للدراسة، أجابت المبحوثة رقم 66: "جعلت إحدى الباحثات اللبنيات الجزائرية موضوع تخرجها"، والمبحوث رقم 529: "...صححت بعض التصورات عن هوية الجزائري وهناك من تعرف على عادات وتقاليدنا فكان له الفضول لزيارة الجزائر والبعض الآخر أصبح له فضول لتعرف على مجتمع الجزائري لدراسته".

فلاحظ من خلال ما سبق أن موقع فيسبوك يساهم في تسهيل عملية "صناعة التراث" الجزائري وتوفير فرصة للثقافة الجزائرية للانفتاح الحذر على العالم، والذي تتحكم في شدته واتجاهه عناصر هوياتية على رأسها عنصر الوطنية والالتقاء.

الجدول رقم (57): علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الإنجليزية بتعريفهم بمنطقة أو معلم سياحي جزائري في صفحات ومجموعات أجنبية عبر فيسبوك.

المجموع	تعريف المبحوث بمنطقة أو معلم سياحي جزائري في صفحات ومجموعات أجنبية عبر فيسبوك		متابعة المبحوث للصفحات الإنجليزية	
	لم يسبق وأن عرّف بها	سبق وأن عرّف بها	التكرار	يتابعها
185	97	88	التكرار	يتابعها
%100	%52.43	%47.57	النسبة المئوية	
345	239	106	التكرار	لا يتابعها
%100	%69.28	%30.72	النسبة المئوية	
530	336	194	التكرار	المجموع
%100	%63.40	%36.60	النسبة المئوية	

يوضح الجدول علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الإنجليزية بتعريفهم بمنطقة أو معلم سياحي جزائري في صفحات ومجموعات أجنبية عبر فيسبوك، ونلاحظ من خلاله أن 63.40% لم يسبق لهم وأن عرّفوا بمعلم سياحي أو منطقة جزائرية عبر فيسبوك، بدعم نسبته 69.28% من طرف الذين لا يتابعون الصفحات الإنجليزية عبر فيسبوك، بالمقابل فإن 36.60% من المبحوثين سبق وأن عرّفوا وساهموا عبر مختلف الصفحات والمجموعات الأجنبية بالمناطق والمعالم السياحية الجزائرية بدعم نسبته 47.57% من طرف الذين يتابعون الصفحات الإنجليزية عبر موقع فيسبوك.

النتيجة الرئيسية للجدول هي أن الانخراط في الجماعات الشبكية الناطقة باللغات الأجنبية يؤدي بالمبحوث إلى المساهمة في التعريف بتراته المادي وثرائه السياحي أكثر فأكثر، ويمكن أن نفسّر ذلك بأن إتقان اللغات الأجنبية وعلى رأسها الإنجليزية يسهل على المبحوث التواصل أكثر مع الأجانب إذ تساهم القدرة في التواصل على تحفيزهم وتشويقهم لزيارة الجزائر ومناطقها السياحية، إذ يساهم الترويج للمناطق السياحية عبر فيسبوك في إثارة انتباه وفضول الأجانب نحوها خاصة أنها من قليل الدول التي تتوفر على مناطق سياحية مختلفة ومتنوعة؛ لذلك تلقّب سياحيا بقارة الجزائر.

إن دخول لغات أخرى على اللغات الوطنية يمكن أن يكون في أحيان مؤثرا سلبيا على الهوية الوطنية، وفي أحيان أخرى مؤثرا إيجابيا عليها إذ يعتبر الأفراد سفراء لثقافتهم التي يكونون بحاجة للإحاطة بلغات أخرى لإيصالها إلى العالم، فكل من " اللغة والثقافة شيبتان بجمهوريات، تسكنها كلمات من حجة وأفكار من الجهة الأخرى، وبطبيعة الحال، ليس كل عنصر أجنبي يدخل إلى الجمهورية ستمنح له الجنسية، ولكن سيرحب بأولئك الذين يقدمون نفعا كبيرا لها"¹، فتعلم الإنجليزية والانخراط من خلال ذلك في صفحات بهذه اللغة ومنه القدرة على الترويج للمعالم السياحية والخصوصيات المناطقية الجزائرية في هذه الحالة مرحب به.

ولأننا اعتبرنا التدفقات الثقافية عبر فيسبوك شكلا من أشكال الثقافة، فلا بد أن نؤكد على دور اللغات وإتقانها في هذه العملية في العالم الافتراضي كما في الفعلي، إذ لطلما كانت اللغة ملازما للعوامة، فلا يمكن للأخيرة أن تؤتي ثمارها إلا إذا توفر جسر لغوي بين الأم لذلك توصف الترجمة في دراسات العوامة بأنها وجه آخر للعوامة، ويؤكد ذلك دومينيك ولتون بقوله "الترجمة هي الوجه الآخر للعوامة... لأنه لا وجود لانفتاح ممكن على الآخر دون احترام الهوية الثقافية التي تتسم اللغات المقام الأول فيها، وقولنا: اللغات يعني بالتالي الترجمة.."²، إذا فمتابعة المبحوث للصفحات الإنجليزية يسهل على المبحوث أمران، الأول التعرف أكثر على أصدقاء من مختلف أنحاء العالم، والثاني القدرة على نقل ثقافته إليهم، فنجد المبحوث رقم 357 يجب أنه أثر على أصدقائه "زيارة الجزائر مثلا وحدث ذلك بالفعل"، وإجابة المبحوث 219: "عرفت لهم وطني الجزائري فقاموا بزيارته وهناك من تغيرت نظرتهم وغير من كتاباته حول الجزائر"، أما المبحوث 203 فأجاب: "أثرت على صديقين أجنيين وسيزوران الجزائر بعد شهرين إن شاء الله".

المطلب الثالث: فيسبوك كأداة لإضفاء السمات الثقافية العالمية على الخصوصيات الثقافية الجزائرية.

كنا في الفصل الخامس المتعلق بالبعد الديني للهوية الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك؛ قد وجدنا ارتباطا محما متعلقا بمساهمة فيسبوك في نقل سمات ثقافية عالمية إلى المبحوثين ودوره في التأثير على جانبهم الأخلاقي، وقابليتهم للتفتح على مضامين لا تتمشى والخصوصية الدينية للمجتمع الجزائري*، كما رأينا في الفصل السادس الكيفية التي أصبحت بها الممارسات اللغوية للمبحوثين

¹ جون جوزيف، ترجمة: عبد النور خراقي، اللغة والهوية: قومية-إثنية-دينية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007، ص 138.

² دومينيك ولتون، ترجمة: محمد خير محمود البقاعي، "الترجمة: جواز عبور للوصول إلى الآخر"، في: الترجمة والعوامة، كتاب جماعي، كوكبة من الباحثين، منشورات ضفاف، الرياض، 2013، ص 123.

* أنظر الجدول رقم 23.

على فيسبوك متأثرة بالسمات العالمية، سواء من حيث اللغات العادية أو اللغات الرمزية، فما هو دوره الآن في إضفاء سمات عالمية على الجانب الثقافي لهوية المبحوثين الفعلية والافتراضية إيجابيا وسلبيا؟

الجدول رقم (58): علاقة مساهمة فيسبوك في نقل سمات ثقافية عالمية إلى المبحوثين باعتبارهم لهويتهم على فيسبوك الهوية التي يريدون أن يكونوا عليها في العالم الفعلي.

المجموع	اعتبار المبحوث لهويته على فيسبوك الهوية التي يريد أن يكون عليها في العالم الفعلي.		مساهمة فيسبوك في نقل سمات ثقافية عالمية إلى المبحوث	
	لا يعتبرونها الهوية المرغوبة	يعتبرونها الهوية المرغوبة	التكرار	النسبة المئوية
108	77	31	سأهم	
%100	%71.30	%28.70	النسبة المئوية	
51	43	08	لم يساهم	
%100	%84.31	%15.69	النسبة المئوية	
159	120	39	المجموع	
%100	%75.47	%24.53	النسبة المئوية	

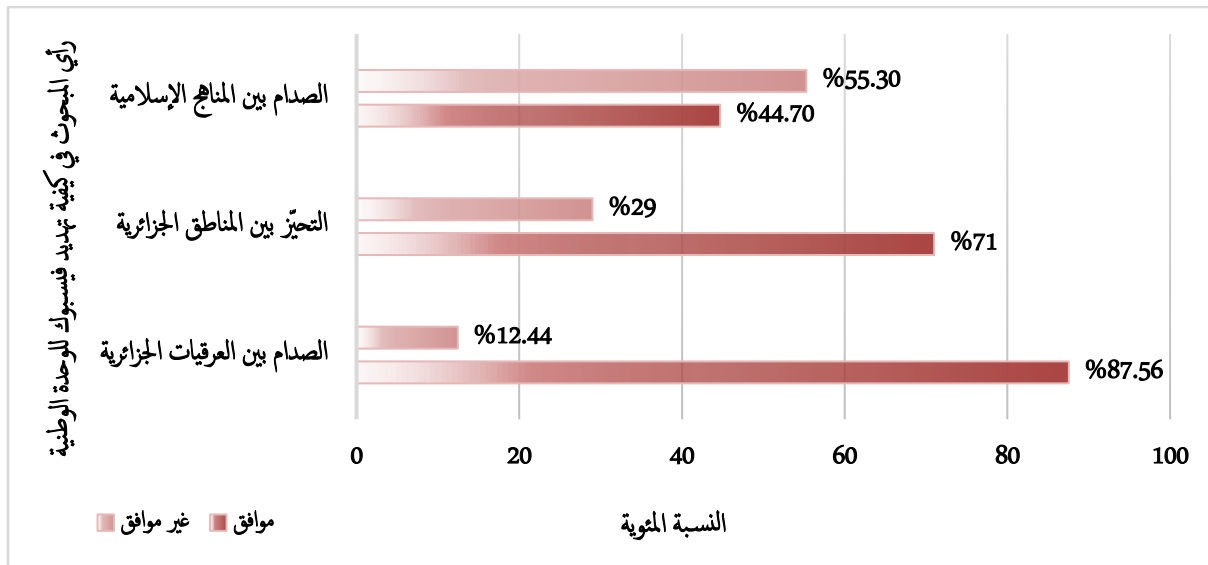
يمثل الجدول أعلاه علاقة مساهمة فيسبوك في نقل سمات ثقافية عالمية إلى المبحوثين باعتبارهم لهويتهم على فيسبوك الهوية التي يريدون أن يكونوا عليها في العالم الفعلي، ونلاحظ من خلاله أن 75.47% من المبحوثين لا يعتبرون هويتهم الافتراضية الهوية التي يريدون أن يكونوا عليها في العالم الفعلي، بدعم نسبته 84.31% من طرف الذين لم يساهم فيسبوك في نقل سمات ثقافية عالمية إليهم، بالمقابل فإن 24.53% منهم يعتبرون هويتهم الافتراضية هي الهويات التي يريدون أن يكونوا عليها في حياتهم الفعلية، بدعم نسبته 28.70% من طرف المبحوثين الذين ساهم فيسبوك في نقل سمات عالمية إليهم.

النتيجة الأساسية للجدول أعلاه هي أنه كلما انتقلت إلى المبحوث سمات ثقافية عالمية عبر فيسبوك، كلما أراد أن تكون هويته عبره هي هويته الحقيقية، ويمكن أن يفسر ذلك بأن انتقال السمات العالمية إلى المبحوث يؤثر سلبا على المبحوث وهويته الفعلية ومدى تمسكه بها، إذ يزيد من الشعور بالاعتزاز لدى المبحوثين كما يفصلهم عن واقعهم ويضعف ارتباطهم به، ونتأكد من ذلك إذا علمنا أن المبحوثين الذين أجابوا أن من أهم سلبيات فيسبوك هو ضعف الارتباط بالواقع والشعور بالاعتزاز نحوه عند مقارنته مع إمكانية أخرى من العالم هم مدعومون بنسبة 41.44% من طرف الذين أجابوا بأن فيسبوك ساهم في نقل سمات عالمية إليهم.

والذي يزيد من تأثير هذه السمات هو عدم وجود وسيط إعلامي (تقليدي) بين المصدر والمبحوث إذ يستشعر أنه يتحصل على المعلومة من مصدرها دون التأثير عليها بأي أفكار أو إيديولوجيات إذ يوفر له ذلك فرصة لسياحة افتراضية عبر العالم وهو ما لا يتيح له الواقع الفعلي في الغالب الأعم، أجاب المبحوث رقم 14: "أكيد هو الذي يجعلك تتعرف على كل تفاصيل حياتهم [يقصد مواطنو العالم] وتكون واقعية أكثر من الاعلام وكل شيء يعني من المصدر مباشرة"، ولا يعني ذلك أن كل المبحوثين قد تأثروا بهذا الانتقال الثقافي سلبيا، إذ أن هناك من يعي أنها وأن نقل التجارب الثقافية يستدعي التواجد الفعلي

وليس الافتراضي فحسب أجاب المبحوث رقم 155: "مع أنني أريد الحفاظ على كل ما هو متأصل في ثقافتنا ولا أحب فكرة العولمة وكون العالم كله صار يشبه بعضه، إذ فقدت الأماكن في العالم خصوصيتها، إلا أنني لا أرى مانعاً من تجربة مأكولات جديدة والاستماع إلى الموسيقى الأخرى"، أما المبحوث 166 فأجاب: "إذا كان شيئاً مادياً يمكن نقله بسهولة عن طريق صور، صوت، فيديو وغيره أما المظاهر الثقافية الأخرى فلا تتم إلا بالتجربة أو الاطلاع على كتب التاريخ وغيرها".

ومن أهم ما لاحظنا تكراره في إجابات المبحوثين، والذي أثر من خلاله فيسبوك على أهم مفاهيم الوطنية الجزائرية وهي الوحدة رغم التنوع الثقافي، هو الصدمات والتحيزات التي يساهم فيسبوك في تغذيتها سواء منها الديني، العرقي أو المناطقي، فإلى أي مدى ساهم فيسبوك في ذلك؟



الشكل رقم (33): توزيع عينة الدراسة حسب رأيهم في الكيفيات التي يهدد بها موقع فيسبوك الوحدة الوطنية الجزائرية.

يمثل الشكل أعلاه عرضاً بيانياً لرأي المبحوثين في الكيفيات التي يهدد بها موقع فيسبوك الوحدة الوطنية الجزائرية، ومن خلاله يمكننا ملاحظة ما يلي حسب كل شكل من أشكال التهديد: بالنسبة للصدام بين المناهج الإسلامية في الجزائر أو أشكال التدين (الصوفية، السلفية..) ف 55.30% من المبحوثين لا يوافقون على فيسبوك يساهم في هذا الصدام بينما 44.70% يوافقون على ذلك؛ أما بالنسبة للتحيز بين المناطق الجزائرية أو ما يعرف بالجهوية فإن 71% من المبحوثين يرون أن فيسبوك يساهم في ذلك، بينما يرى 29% منهم أن فيسبوك يساهم في التفرقة بين المناطق الجزائرية؛ وبالنسبة للصدام بين العرقيات الجزائرية وتنوعاتها (عربي، قبائلي، شاي..) فإن 87.56% يرون أن فيسبوك يساهم في هذا التهديد، بينما يرفض 12.44% أن الموقع يساهم في ذلك.

النتائج الأساسية التي نخبرنا بها الشكل هي أن أكثر اتجاه اتفق عليه المبحوثون هو الموافقة على أن فيسبوك يهدد الوحدة الجزائرية بإثارة الصدام بين عرقياتها، تليه موافقة المبحوثين على أن فيسبوك يهدد الوحدة الوطنية بإثارة التحيز بين مناطقها، يليها رفضهم لأن يكون موقع فيسبوك تهديداً للوحدة الوطنية من خلال إثارة الصدام بين المناهج الإسلامية وأشكال التدين في الجزائر.

تنتشر ممارسات ثقافية سلبية عديدة عبر موقع فيسبوك تمتد لتصبح ممارسات سياسية على رأسها استغلال الصراع العرقي في الجزائر، الصراع الجزائري مع أطراف خارجية بغرض الحفاظ على التراث الجزائري وهويته، التوجهات السياسية والحزبية والفكرية، فرغم وجود صفحات تعمل على تقديم تأصيل علمي للأعراق في الجزائر مثل صفحة "جينوم الجزائر"، وصفحات كما ذكرنا تساهم في نشر التراث الثقافي الجزائري إلا أن هناك صفحات ومستخدمين يساهمون في إبقاء الصراع بين العرقين العربي والبربري، الجزائري الخارجي والحزبي، البعض منها لأطراف فعلية والبعض الآخر لأطراف مزيفة الهوية. وكان الموقع قد أعلن في تقرير له عام 2021 حول الممارسات غير الأصيلة عبر فيسبوك إغلاق أكثر من 130 حساباً شخصياً؛ 221 صفحة و35 مجموعة لأسباب سياسية وعرقية أهمها: إدارة صفحات مزيفة تمثل كيانات إخبارية وأطراف خارجية، تسعى إلى تشويه الحقائق وتزييفها؛ سواء من حيث المنشورات أو التعليقات وتزييف حسابات وصفحات معارضة للحكم في الجزائر من جهة وصفحات وحسابات مساندة له¹. وقد قدم التقرير بعض النماذج عن الصفحات والمنشورات التي تم إغلاقها مع بيان زيفها والغرض من إنشائها.

يمكن تفسير نتائج الشكل أعلاه من منظورات مختلفة، نظرية وميدانية، فعلية وافترضية؛ فابتداءً بما هو سوسيولوجي فإننا نجد في المقاربة النظرية للدراسة تفسيراً لهذه النتيجة، إذ يرى مانويل كاستلز أن عصرنا الشبكي هذا ويسبب هوامش الحرية التي أتاحها الإنترنت فإنه من السهل أن تبزغ انقسامات لطالما حاولت الهويات المشرعنة رأب صدعها، فتتأسس هويات مقاومة تحاول إعادة تلك الانقسامات -على اختلاف أسسها- إلى الصورة مستغلة في حالتنا هذه موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، ف"تتوقع هذه الهويات المقاومة عادة حول الأسس التي أدت إلى إقصائها أو تهيمشها من المجتمع المدني السائد، كأن تتمسك بالعامل البيولوجي فيها (العرق والجنس) أو التاريخي (الطبقة أو الأقليات الدينية والإثنية) أو الجغرافي (الأقليات الإقليمية)"²، وبالفعل فإن فيسبوك يزيد من حدة الصدام والتحيزات على ذات الأسس التي وضعها مانويل كاستلز.

تلك الانقسامات وذلك الصدع يعيدنا للنظر إلى فيسبوك على أنه أداة كولونيالية معاصرة إذا ما عرفنا أنها ذات الانقسامات التي عمدت الإيديولوجيا الكولونيالية الفرنسية إلى تكريسها، فإذا عدنا إلى أحد أهم المؤرخين المتخصصين في هذه المرحلة في الجزائر شارل روبر أجرون وفي كتابه حول الجزائريين المسلمين وفرنسا³، نجده يقتبس من مصادر آنذاك (المجلة الجزائرية للأحكام القضائية 1888) عبارات تؤسس لمبدأ التفرقة في الجزائر ما مفادها: "إن عدم وجود تجانس بين السكان في الجزائر سيكون عوناً قوياً لنا للمضي قدماً في إنجاح سعيينا إلى صد الناس عن التقيد بالدين ونحن على استعداد لتفتيت كتلة الأهالي وتشتيت وحدتهم عن طريق الحل المنهجي للمؤسسات التي تكفل لهم قوة التماسك"³، هذا التماسك الذي يمكننا تسميته هنا "الهوية الوطنية" خاصة أن هذه السياسات نفسها لم تكن تفرق بين أبعادها الدينية واللغوية والوطنية فكان الدين ملازماً للغة والوطن ملازماً للدين، فيضيف أجرون "كان من السهل في عهد الغزو أن ينسب التدين إلى التعصب في لغة ذلك الزمن،

¹ Meta, "June 2021 Coordinated Inauthentic Behavior Report", Opcit, p 11.

² دارن بارني، مرجع سبق ذكره، ص 182.

³ عنوان الكتاب الأصلي: Les Algériens musulmans et la France، وترجم تحت عنوان: المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجيا الكولونيالية.

³ شارل روبر أجرون، ترجمة: محمد العربي ولد خليفة، المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجيا الكولونيالية: مقاومة القبائل للإدماج والتفكيك وفشل مشاريع التنصير والتنجيس، مؤلف للنشر (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية)، الجزائر، 2017، ص ص 50 - 51.

ويلحق به بكل وضوح ما هو من قبيل الروح الوطنية والدفاع عن أرض الأجداد"¹، والجدير بالذكر أننا وجدنا الذين أجابوا بأن فيسبوك يساهم في الصدام العرقي بين المبحوثين 97.10% منهم هم من الناطقين باللغة الفرنسية في استخدامهم اليومي له.

كما يمكننا تفسير النسب الظاهرة في الشكل بالانتماءات الهوياتية الأكثر اتفاقا عليها من طرف المبحوثين، فنلاحظ إذا عدنا إلى الشكل رقم 26 من الفصل الخامس، أن أكثر انتماء هوياتي متفق عليه هو الانتماء الديني، لذلك نجد أقل شكل من أشكال الصدام التي يرى المبحوثون أن فيسبوك يساهم فيها، ثم تقل بعدها نسبة المبحوثين الذين يعتبرون الانتماء الجغرافي الهوياتي هو انتماءهم الأساسي ومنه نلاحظ زيادة نسبة الذين يرون أن فيسبوك يساهم في التحيز الجغرافي والمناطق في الجزائر، ولأن الانتماء العرقي كان أقل انتماء اختاره المبحوثون كاتناء هوياتي، فقد أجمعوا كذلك على أنه أكثر انتماء يتم الصدام بشأنه، بمعنى أنه كلما اتفق المبحوثون وتوحدوا حول انتماء معين في حياتهم الفعلية قلّت الصراعات والتحيزات حوله في الحياة الافتراضية.

ويمكن تفسير نتائج الشكل بربطها مع متغيرات أخرى على غرار المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها المبحوث، دخوله في صدامات عبر فيسبوك حول اللسان العربي والبربري، وكذا تصحيحه لمعارف خاطئة حول الدين الإسلامي، إذ وجدنا أنها تلعب دورا مهما في رأي المبحوث في الصراع والتحيزات الافتراضية كما يلاحظها أو كما عايشها عبر فيسبوك، فعند ربطنا للكيفيات التي يهدد بها موقع فيسبوك الهوية الوطنية ووحدتها في رأي المبحوثين كمتغير تابع مع المنطقة التي ينتمي إليها المبحوث كمتغير مستقل وجدنا أن المبحوثين الذين ينتمون إلى إقليم الجنوب يوافقون بنسبة 78.57% -كفئة غالبية- على أن فيسبوك يساهم في التحيز بين المناطق الجغرافي، وذلك راجع في الغالب إلى أنهم أكثر فئة تتعرض لهذا التحيز، فعمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية المتركة في منطقة جغرافية ومدن دون غيرها (الجنوب في الغالب) ما خلق ما يعرف اليوم بـ "مناطق الظل" التي يضطر أصحابها التنقل إلى ولايات ومناطق أخرى ما يجعلهم في نظر مواطني تلك المنطقة "دخلاء" أو "نازحون" يحدون من فرصهم الاجتماعية والاقتصادية²، يعني هذا أن تصور المبحوثين من إقليم الجنوب لدور فيسبوك مستمد في الغالب من تجاربهم الشخصية عبره.

متغير آخر وجدنا علاقة له برأي المبحوثين في هذا السياق، وهو دخولهم في جدالات افتراضية حول اللسانين العربي والبربري في الجزائر، فالذين أجابوا بأن فيسبوك يساهم في الصدام بين العرقين مدعومون بنسبة 91.40% من طرف الذين سبق لهم وأن تجادلوا حول اللسانين وكذا العرقين، ومدعومون من جانب آخر من طرف الذين يرون أن التنوع الثقافي في الجزائر هو عامل ضعف وتفكك بنسبة 88.31%، أما بالنسبة لما يتعلق بالصدام بين المناهج الإسلامية فيمكن تفسير نسبة عدم الموافقة عليه المرتفعة بأن هذا الرأي مرتبط بممارسات افتراضية الحد منها يحد من وقوع هذه الصدامات، يمكننا أن نذكر منها أن الذين لا يرون أن فيسبوك يزيد من حدة هذا الصدام مدعومون بنسبة 60.41% من طرف الذين لم يقوموا أبدا بالجدال وتصحيح المعتقدات الدينية عبر الموقع، ومدعومون كذلك بنسبة 57.14% من طرف الذين لا يرون أبدا أن فيسبوك يوفر فضاءً للتطرف الديني، وكذا بنسبة 58.21% من طرف الذين لم يدخلوا أبدا في جدال مع أشخاص من مذاهب أخرى

¹ شارل رويبر أجرون، مرجع سبق ذكره، ص 108.

² منير مباركة، مرجع سبق ذكره، ص 217 - 218.

حول الاحتفال ببعض المناسبات الدينية. فلذا ننتهي إلى أن آراء المبحوثين حول دور فيسبوك في توحيد أو تفكيك المجتمع الجزائري عرقيا، جغرافيا أو دينيا هو مؤطر بتجارهم الفعلية أو الافتراضية ويمكن أن يفسر أو يفهم من خلالها.

هذا على المستوى الداخلي، أما على المستوى الخارجي فترى فئة من المبحوثين أن موقع فيسبوك لديه ميكانزمات يهدد بها الهويات الوطنية على المستوى العالمي، ورغم أنها ليست الفئة الغالبة إلا أنها نتيجة جديرة بالأخذ بعين الاعتبار، إذ يرى 35.28% من المبحوثين أن موقع فيسبوك يسهل تحديد سيادة الجزائر ووحدتها الوطنية من الخارج، فالترابط الذي يشهده العالم والذي يساهم في الموقع يسهل انتقال الآراء والأفكار بما لا يخدم وظائف الدولة على المستوى الرسمي ونظمها الاجتماعية غير المستوى غير الرسمي، ذلك الترابط الذي ينبثق عنه "شكل بالغ التعقيد للاتعاءات المحلية والعالمية، دون مستوى الدولة أو فوقه على حد سواء، فقد اكتسبت التدفقات العابرة للحدود في علمنا المعاصر أهمية جديدة تماما بتغير أبعادها ولأنها تملك موارد تخرج عن النطاق الرسمي العام، ولكونها تتحدى الدولة مباشرة على نحو خاص في وظائفها الداخلية والخارجية وفي الانتماء لها"¹، والموقع هنا يعد أحد هذه الموارد الخارجة عن النطاق الرسمي والمسهلة للتدفقات. ينقسم المبحوثون في آرائهم حول دور فيسبوك وكيفية تحديه للدولة سواء على مستوى مؤسساتها أو نظمها الاجتماعية إلى ثلاثة أقسام:

✓ **توفير منابر للتلاعب والتأثير على المستخدمين:** فما نسبته 58.67% من المبحوثين يرون أن فيسبوك يسهل التأثير على المستخدمين خاصة في ظل ضعف شخصية بعضهم وانجرفهم وتصديقهم لكل ما ينشر عبر هذه المنابر وعدم التحري من مصداقية المنشورات.

✓ **الأخبار المضللة والكاذبة:** ف 27.33% من المبحوثين الذين يرون أن فيسبوك يمكن ان يهدد الوحدة الوطنية خارجيا يرجعون ذلك لسهولة نشر الأخبار المغالطة وإثارة الفتن، خاصة عند استغلال الانقسامات الداخلية سابقة الذكر.

✓ **استخدام فيسبوك كقاعدة بيانات حول المجتمع الجزائري:** أما 14% منهم فيرون أن فيسبوك يسهل اختراق مختلف الأطراف إلى المجتمع الجزائري إذ يسهل معرفة نقاط الضعف والجهات الداخلة الأكثر هشاشة ليم استغلالها بسهولة.

الجدول رقم (59): علاقة امتلاك المبحوثين لأصدقاء من ثقافات (جنسيات) أخرى عبر فيسبوك بمساهمتهم سواء عبر صفحاتهم الخاصة، المجموعات أو التعليقات بالنشر والترويج للثقافة الجزائرية.

المجموع	مساهمة المبحوث سواء عبر صفحته الخاصة، المجموعات أو التعليقات بالنشر والترويج للثقافة الجزائرية		امتلاك المبحوث أصدقاء عبر فيسبوك من ثقافات (جنسيات) أخرى	
	لم يساهم	ساهم	التكرار	النسبة المئوية
324	141	183	التكرار	النسبة المئوية
100%	43.52%	56.48%	التكرار	النسبة المئوية
206	137	69	التكرار	النسبة المئوية
100%	66.50%	33.50%	التكرار	النسبة المئوية
530	278	252	التكرار	النسبة المئوية
100%	52.45%	47.55%	التكرار	النسبة المئوية

¹ أحمد رميثة، مرجع سبق ذكره، ص 17.

يمثل الجدول أعلاه علاقة امتلاك المبحوثين لأصدقاء من ثقافات أخرى عبر فيسبوك أو بمساهمتهم في النشر والترويج للثقافة الجزائرية، ونلاحظ من خلاله أن 52.45% من المبحوثين لم يساهموا في نشر الثقافة الجزائرية عبر فيسبوك والترويج لها بدعم نسبته 66.50% من طرف المبحوثين الذي لا يمتلكون أصدقاء من ثقافات أخرى، بالمقابل فإن 47.55% منهم ساهموا في نشر الثقافة الجزائرية عبر فيسبوك بدعم نسبته 56.48% من طرف فئة الذين يمتلكون أصدقاء من ثقافات أخرى عالمية.

النتيجة الرئيسية للجدول أعلاه تتمثل في أنه كلما كان المبحوثون أكثر امتلاكاً لأصدقاء من ثقافات (جنسيات) أجنبية عبر موقع فيسبوك كلما ساهموا أكثر في نشر ثقافتهم الوطنية من خلاله، فيصبح الموقع إحدى مقترقات الطرق الثقافية للعمولة كما عبّر عنها هيلاند إريكسون، ويمكن أن تفسر هذه النتيجة بأن المبحوثين يمارسون ما يعتبرونه رد فعل دفاعي أو استباقي تجاه التدفقات الثقافية العالمية، وهنا يمكن أن نعود إلى مقارنة الدراسة، إذ يرى كاستلز أن عصرنا هذا ولجاجة العمولة، يقوم فيه الأفراد بردود فعل دفاعية ومقاومة للمد العولمي، ليس عن طريق الانغلاق الثقافي وإنما من خلال التعبير عن الهوية الجماعية التي ينتمون إليها، وذلك عبر ممارسات نعتبر "نشر الثقافة الجزائرية عبر فيسبوك" إحداها، ذلك أن هذه "التعبيرات متعددة ومتنوعة للغاية، تتبع ملامح كل ثقافة، والمصادر التاريخية لتشكيل كل هوية. وهي تشمل حركات استباقية ... ومجموعة كاملة من الحركات التفاعلية التي تبني خنادق المقاومة نيابة الأمة والعرق والأسرة والمنطقة والمؤسسات الاجتماعية المهددة من طرف القوى التقنية والاجتماعية وغيرها"¹، وتعتبر العملية ناجعة إذا ما عرفنا أن 56.92% من المبحوثين الذين أجابوا بأنهم يمتلكون أصدقاء أجنب، ساهموا بالفعل في نقل خصوصيات ثقافية جزائرية إليهم.

كما تفسّر نتيجة الجدول أيضاً بأن المبحوثين يسعون إلى المشاركة في تشكيل الثقافة العالمية، فمثلاً ساهم امتلاكهم لأصدقاء أجنب في نقل السواء الثقافة العالمية إليهم، يساهمون هم بدورهم في عملية التبادل الثقافي، ف 74.38% من المبحوثين الذين انتقلت إليهم سمات ثقافية من خلال الموقع أجابوا بأنهم يمتلكون أصدقاء أجنب عبره، وهذه التبادلات تساهم بالفعل في إعادة ابتكار الهوية كما عبّر عن ذلك دينيس كوش، الذي يرى أنه "لم يعد المحلي مكاناً محدداً بصفة نهائية ترتبط به ثقافة معينة بصفة ثابتة. مع العمولة لم يعد هناك أخرى جذرية، وكل مجموعة تعيد اختراع علاقاتها بماضيها وبذاتها وبالأخرين دونما انقطاع، العمولة تحفز صنع هويات جماعية مبتكرة، وذلك لإكثارها من فرص المبادلات واللقاءات"²، فنعود مجدداً لنعتبر الممارسات الثقافية للمبحوثين شكلاً من أشكال اختراع التقاليد المتناسبة مع عصرنا هذا، وكذا لنعتبر أنها ممارسات تعيد إنتاج الاختلاف الثقافي والخصوصيات التي لا يمكن إلغاؤها أو وصفها بالتجانس.

¹ Manuel Castells, *The Power of Identity*, Op cit, p 2.

² دينيس كوش، مرجع سبق ذكره، ص 133.

خلاصة:

من أجل التحقق من صحة الفرضية الثالثة القائلة بارتباط تأثير موقع فيسبوك باعتباره أداة عولمية على البعد الوطني للمستخدمين الجزائريين عكسيا بمدى ارتباطهم بوطنهم ورموزه الوطنية، التاريخية والثقافية، والإحاطة بمؤشراتها التي تضمنها المحور الخامس من تقنيات البحث؛ جاء هذا الفصل.

في هذا الفصل تم عرض ومناقشة المؤشرات المتعلقة بالبعد الثالث من أبعاد الهوية الوطنية الجزائرية، وهو بعد "الوطنية"، ولم يتم ذلك من خلال مبحثين تضمن كل واحد منهما مطلبين، وتضمن كل مطلب ارتباطات إحصائية، وتحليلات ومحاولات تفسير سوسيولوجية، فقد جاء المبحث الأول عرضا ومناقشة لبيانات مؤشر: موقع فيسبوك كفضاء احتفائي بالانتماء الوطني، أي المدى الذي يعتبر به فيسبوك فضاءً لعرض المبحوثين لهويتهم الوطنية من خلال التفاعل ذاكرتها وثقافتها، لذلك انقسم المبحث إلى مطلبين أولهما يتناول التفاعل مع المناسبات والأعياد الوطنية المرتبطة بتاريخ الجزائر، من خلال مشاركة مختلف رموز الدولة كالنشيد الوطني والراية الوطنية، والعوامل الهوياتية، الافتراضية والمواطنة المؤثرة في ذلك، إذ يعد كل ما سبق نتيجة لصناعة التراث عبر الإنترنت كل ذلك لمحاولة قياس مدى ارتباطهم بوطنهم ورموزه سواء التاريخية أو الثقافية وكذا السياسية تمهيدا للمبحث الذي يليه.

وإذا كان المبحث الأول قد تناول جانب الاحتفاء بالانتماء، فإن المبحث الثاني جاء بغرض مناقشة بيانات مؤشر تدفق السمات الثقافية الكونية عبر فيسبوك من وإلى الخصوصيات الثقافية الجزائرية، وبطبيعة الحال، وكما جاء في الفصلين السابقين فإن ذلك سيتم تناوله عبر مطلبين، يسبقهما المطلب الأول الذي تناول استراتيجيات تمثيل الانتماء الوطني وسرد الثقافة الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك، وكيف يتم تجسدها عبره خاصة ما يتعلق منها بالترويج للثقافة الجزائرية، ثم مطلب ثانٍ يقيس مدى اعتبار موقع فيسبوك كأداة لصناعة التراث وعمله على الترويج للخصوصيات الثقافية الجزائرية؛ سواء على مستوى داخل-داخل أو على مستوى داخل-خارج، وذلك بربط مختلف المتغيرات مع متغيرات تتعلق بالنشر والترويج للثقافة الجزائرية، أما الثالث فجاء مقابلا للمطلب الثاني، أي أنه يحاول قياس مدى اعتبار موقع فيسبوك أداة لإضفاء السمات الثقافية العالمية على الخصوصيات الثقافية الجزائرية، وذلك من خلال تأثيره بالسمات العالمية واحتكاكها مع هويته الفعلية والافتراضية.

فنتائج الدراسة

نتائج الدراسة:

تنتهي الدراسات العلمية عادةً إلى استخلاص عام يتضمن النتائج التي توصلت إليها، سواء من حيث بنائها المعرفي والنظري أو من حيث الدراسة الميدانية، وهي نتائج في حالة دراستنا هذه؛ مضبوطة وقابلة للتعميم في حدود أطرها البشرية، الزمانية، والمكانية، وقابلة للقراءة في ضوء عنصرين محتمين أولهما يبين مدى التطابق بين نتائج الدراسة وخلفيتها النظرية السوسيولوجية، وثانيهما يبين مدى تطابق النتائج والتنبؤات التي تمت صياغتها حول الواقع ومنه التأكد من تحققها أو عدمه، من أجل ذلك سيتم تقديم نتائج الدراسة وقراءتها في ضوء كل من المقاربة السوسيولوجية والفرضيات، وذلك كما سيأتي:

1. نتائج الدراسة في ضوء المقاربة السوسيولوجية:

يمكننا تلخيص مقاربة المجتمع الشبكي، أولاً بالإسقاط على دراستنا هذه وتصورنا لها، وثانياً بالرجوع إلى تصور هذه النظرية القائل بوجود علاقة سببية بين تداعيات العولمة وأدواتها التقنية وبين أبعاد الهويات الوطنية في التسلسل التالي: عندما يشعر "الخصوصي" بأنه عرضة للسيطرة "الكونية"، يهدف الأفراد الاجتماعيون المتمون إلى ذلك الخصوصي إلى تقليص حجم ونطاق تلك السيطرة. وعندما تحل الشبكات محل الزمان والمكان، يعيد الأفراد أنفسهم إلى الأمكنة ويحيون ذاكرتهم التاريخية، تصبح ردود الفعل الدفاعية هذه مصادراً للمعنى والهوية من خلال تكريس الرموز الهوياتية المتجذرة أو/وبناء رموز هوياتية جديدة بالرجوع إلى الثقافة، التاريخ والجغرافيا. ونظراً لأن عمليات "الهيمنة الجديدة" والسيطرة الثقافية في ظل العولمة المعاصرة متضمنة في تدفق المعلومات، فإن بناء الاستقلالية من تلك الهيمنة يجب أن يعتمد على تدفق عكسي للمعلومات، تصبح فيه التقنية هي الدعامة الأساسية، وتصبح كل من الأمة، الثقافة الهوية والقومية.. وغيرها، رموزاً غير قابلة للافتراضان يتم حولها شن هجوم مضاد ضد ثقافة المجتمع الافتراضي.

ويربطها مع نتائج الدراسة فإن خصوصية الهوية الوطنية الجزائرية بأبعادها الدينية، اللغوية والوطنية عبر موقع فيسبوك كأداة للعولمة، وكفضاء تحاول الشبكة والتفاعلات ضمنها أن تحل محل الهوية الفعلية، فإن المبحوثين وكما لاحظنا يحاولون عبر فيسبوك نفسه إبداء ردود أفعال تعيدهم إلى هويتهم الوطنية وتكريس رموزها وإسقاطنا لهذه النتيجة على كل واحد من أبعاد الهوية الجزائرية فإننا يمكن تقديم نتائج الدراسة كالتالي:

أولاً: البعد الديني.

بالنسبة للبعد الديني للمبحوثين فقد وصلت الدراسة إلى أن موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك بالفعل يعمل على توفير فضاء لعولمة القيم الدينية كغيرها من القيم، إذ يعمل في البداية على محو الحدود الدينية التي يفترض أن يلتزم بها المبحوث خاصة منها ما يتعلق بالقيم الأخلاقية عبر نشر المضامين اللاأخلاقية وغرس أساليب حياة لا تتماشى والخصوصية الإسلامية للمجتمع الجزائري (الجدول رقم 20)، و"مطاردته" للمبحوثين بصفحات ممولة تبشيرية، إلحادية ولاأخلاقية مراهنه على فضولهم تجاهها كبداية ثم اعتيادهم عليها وإدماجهم في نهاية المطاف، حيث تستهدفه على أسس عولمية بحته كاللغات الأجنبية التي يستخدمها المبحوث عبر فيسبوك والصفحات الأجنبية التي يتابعها (الجدولين رقم 30 و31)، إضافة إلى اعتمادهم عليه كمصدر للثقافة الإسلامية بغض الطرف عن صدق أو كذب تلك المعارف (أنظر الجدول رقم 19).

وهنا تبدأ مقاومة المبحوثين للمد العولمي الديني أولا بنشر وإخراج الخصوصيات المحلية الدينية إلى العالم عبر فيسبوك، وكذا نشرهم للخصوصيات للمعارف والطقوس الاحتفالية والدينية بالمقابل الحد من الدخول في الجدالات المتعلقة بها درءاً للفتنة (أنظر الجدول رقم 26)، وثانياً بمقاومة المضامين المنافية للقيم الأخلاقية الإسلامية كالمضامين اللاأخلاقية والمنافية لعقيدهم كالمضامين التبشيرية والإحادية (الجدول 21، 27 و 28)، بمعنى أن المبحوثين بمقاومتهم لسيطرة الأديان الكونية وقيمها يعودون إلى السمة الدينية الوطنية.

ثانياً البعد اللغوي.

بالنسبة للبعد اللغوي للمبحوثين فقد وصلت الدراسة إلى أن موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك يعمل عبر التشبيك على عوامة هذا البعد من خلال عمليتين، الأولى: تتعلق بقدرة العوامة على تفكيك الهويات المحلية من الأسفل، أين توصلت الدراسة إلى أن فيسبوك يساهم في احتدام الصدام بين اللسانين العربي والبربري في الجزائري والذي يمتد ليكون صداماً عرقياً (أنظر الجدول من 33 إلى 37)، والثانية: تتعلق بإكسابهم لأنماط لغوية جديدة منها ما هو متعلق باستخدام اللغات الأجنبية بدل الوطنية ومنها ما هو متعلق باستخدام رموز وتعبيرات تهدد حضور اللغات الوطنية بمنطوقها ومكتوبها، رغم رفض المبحوثين اعتبارها كذلك وأنها مجرد تسهيل للتواصل، وهي أساليب لغوية تتسلسل إلى فعلهم التواصل بطريقة غير مباشرة حتى أن منهم من استخدمها للإجابة على أسئلة استمارة البحث رغم توضيحنا أنها أداة أكاديمية (أنظر الجدول رقم 41)، إلا أن لغات الأم يجب عليها بالضرورة أن تحمل أفكارها؛ وهذه الرموز والأساليب اللغوية ليست بالقوة الكافية لتمكّن من حمل فكر الأمة الجزائرية وبذلك فهي بديل غير مكافئ للغاتها الوطنية.

بالمقابل فإن المبحوثين يستغلون الموقع لنقل خصوصيتهم اللغوية إلى العالم الافتراضي، فكل مستخدم للسان معيّن يستخدمه كذلك عبر فيسبوك، فالأخير هنا لم يغيّر ألسنة المبحوثين بل وقر لهم فضاء لتكريسها (الجدول رقم 32)، كما أن المبحوثين وجدوا فيه فضاءً لممارسة اللغة العربية الفصحى في ظل ندرة استخدامها فعلياً مقابل الدارجة الجزائرية، أما الأساليب اللغوية الاتصالية الجديدة فقد تظاهراتت مقاومتها في تزويدها بالخصوصية اللغوية الجزائرية سواء الألفاظ منها أو الرموز، وكونا معاً إضافة إلى الميمات لغة تستخدم الحامل العالمي (الحروف اللاتينية والرموز التعبيرية) ولكن لخلق لغة جزائرية فيسبوكية، وشيفرات مميزة لهم، فتمت بذلك العودة إلى اللغات الجزائرية (الجدول رقم 45) أي نحت هوية لغوية بناءً على التفاوض بين ما هو محلي وما هو عالمي كما ترى نظرية المجتمع الشبكي.

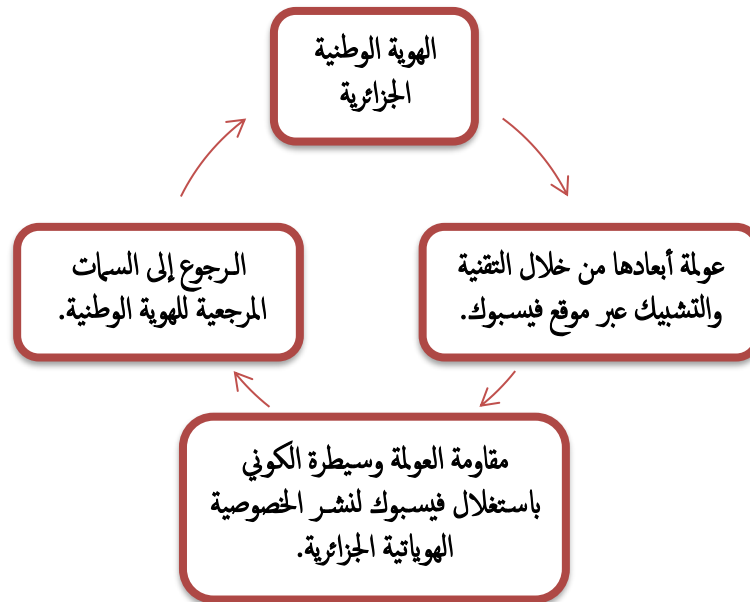
ثالثاً البعد الوطني:

بالنسبة للبعد الوطني فإن أطروحة المجتمع الشبكي يمكن أن تظهر من جانبين، الجانب الأول يتعلق الأمر بأشكال الهوية الشبكية كما صاغها كاستلر أما من الجانب الثاني فتتعلق بحلقة التأثير والمقاومة. من الجانب الأول؛ انتهت الدراسة إلى أن موقع فيسبوك يكرس هوية إضفاء الشرعية من خلال عدة عناصر أهمها الذاكرة الوطنية، الانتماء، والمواطنة عبر فيسبوك، الأخيرة التي تم قياسها بمدى الارتباط بمؤسسات الدولة افتراضياً وما يحيل إليها من أشخاص وصفحات تركز هذه الهوية، خاصة في علاقتها بهويتهم الوطنية والاحتفاء بها وبمناسباتها التي تعد من أهم آليات الحفاظ على الذاكرة الوطنية في عصر العوامة، فالهوية المشرعة هنا لا تكون بالضرورة مضادة لهويتي المشروع والمقاومة إذ يمكن ألا يتعارضوا إذا لم تتعارض سرديات الدولة والمواطن،

بالقابل فإن جزءاً من المبحوثين يكرسون من خلال فيسبوك مقاومتهم لتلك السرديات من خلال عدم إيجاد رابط افتراضي معها بعدم التأثير بمتابعتها أو عدم متابعتها من الأساس (أنظر الجدولين رقم 51 و 52).

أما من الجانب الثاني أي حلقة التأثير والمقاومة فقد انتهت الدراسة إلى أن للأفكار العولمية خاصة منها ما تعلق بأطروحات الكوزموبوليتانية والعبرونية وعدم الارتباط بالمكان أثر على عرض المبحوثين لوطينتهم عبر فيسبوك، (أنظر الجدول رقم 47) ولا يعني ذلك انفصال المبحوثين عن واقعهم السياسي والثقافي ومعارضته ومقاومته تحت تأثير فيسبوك بقدر ما هو انتقال للمشاهد الفعلي إلى العالم الافتراضي عن طريق فيسبوك، كما يساهم الموقع في تضخيم التناقضات الهوياتية داخل المجتمع الجزائري وإعطائها حجماً أكبر من حجمها الحقيقي على غرار الصدمات العرقية والجهوية إذ يرى المبحوثون أن فيسبوك يساهم في ذلك بشدة، (أنظر الجدول رقم 50 والشكل رقم 33)، ومقاومة لهذه التأثيرات فإن من المبحوثين من يستغلون موقع فيسبوك لتمثيل انتمائهم الوطني والاحتفاء بخصوصيتهم الوطنية من مناسبات واحتفالات وخصوصيات ثقافية، سواء من الداخل إلى الداخل أي بين مناطق الوطن وذلك مقاومةً للتفكك الذي يساهم فيه الموقع (أنظر الجدول رقم 55)، أو من الداخل إلى الخارج كردّ فعل مفاده الرجوع إلى السمات الوطنية والاتصاف بها، ورفض هيمنة الثقافة العالمية على الثقافة المحلية والمساهمة في تأكلها (أنظر الجدول رقم 59).

ويمكننا أن نتمثل نتيجة الدراسة في ضوء المقاربة السوسيولوجية، والعلاقة بين الهويات الوطنية والعولمة في عصر التقنية بالشكل الآتي:



الشكل رقم (34): إسقاط نتائج الدراسة على العلاقة بين الهوية الوطنية الجزائرية والعولمة من منظور مقارنة المجتمع الشبكي.

ومن هنا فإن نتائج الدراسة في مجملها ومن خلال أبعاد الهوية الوطنية الجزائرية الثلاثة المدروسة، تتوافق في أغلب المؤشرات المدروسة مع ما جاءت به نظرية مجتمع الشبكات، ورغم أنها نظرية لم تُصغ ضمن السياق الثقافي الجزائري أي ما يجعل من تطابق نتائجها ونتائج الدراسة أمراً صعباً، إلا أن حقيقة التوافق هذه هي نتيجة لتبسيط التفاعلات الاجتماعية عبر الشبكة وعولمتها -وهي نتيجة في حد ذاتها-، خاصة أنها نظرية تتعامل مع الفرد في ظل اعتباره "مستوطناً للفضاء السيرياني" وكذا في ظل التقارب

الاجتماعي والثقافي الذي تفرضه التقنية، فحتى وإن اختلف السياق الفعلي الذي صيغت فيه النظرية فإن السياق الافتراضي هو نفسه، فالمستخدمون مهما اختلفت فقاعات الترشيح التي يتصلون بالعالم من خلالها، فإن وصولهم إلى ذات المضامين الدينية، اللغوية، التاريخية والثقافية هو نفسه، ويبقى المتغير الحاسم في تفاعلهم معها هو مدى ارتباطهم بهوياتهم الفعلية ورغبتهم في الموازنة بينها وبين التفتح بحذر على الهويات العالمية.

2. نتائج الدراسة في ضوء الفرضيات:

الذي نريده من عرض نتائج الدراسة في ضوء فرضياتها؛ هو إبراز أهم نتائج كل فصل من الجانب الميداني بغرض محاولة التحقق من كل فرضية، إذ أنّ الأخيرة بالأساس تمثل علاقة بين ما هو نظري وما هو ميداني، وذلك من خلال محاولة اختصار لنتائج الأشكال والجداول دون إعادة عرض النسب والإحصائيات تجنباً للتكرار.

وقبل عرض النتائج الميدانية والتأكد من تحقق فرضياتنا من عدمه، سنعرض النتائج المتوصل إليها من خلال أسئلة المحور الثاني من تقنية البحث، والمتعلقة بالهوية الافتراضية للمبحوثين في مقابل هوياتهم الفعلية، ورغم أنها لا تعد بعداً من أبعاد المفهوم الرئيس للدراسة أي الهوية الوطنية الجزائرية، إلا أنها مفهوم مهم متعلق بالهويات ككل في عالمنا اليوم، ومساهم في تكوين صورة عن المبحوثين الذي تعاملنا معهم، ذلك أنهم في هذه الدراسة لا يعدون "جزائريين" فقط بل "مستخدمين جزائريين" يُرقعون هوياتهم بين كل من خصائصهم الفعلية وخصائصهم الافتراضية. فقد هدفنا من خلال هذا المحور من استمارة البحث أن نحدد هوية المبحوث الافتراضية وبناء لها عبر موقع فيسبوك، وقد جاءت ضمن المطلب الثاني من المبحث الثاني للفصل الرابع:

• نتائج متعلقة بأنماط وسلوكيات استخدام مفردات عينة البحث لموقع فيسبوك:

ترتبط كثافة استخدام المبحوثين لموقع فيسبوك بمرحلتهم العمرية، حيث أن الفئات الأصغر سناً هي الأكثر استخداماً للموقع، وهو ينطبق مع تقسيم الأجيال X، Y، و Z في العصر الرقمي، كما أن مفردات هذه الدراسة تميل إلى متابعة كل من الشبكات العلمية والمعرفية وكذا الثقافية، ذلك أننا نتعامل مع عينة غالبيتها من الجامعيين خاصة منهم المزاولين لدراساتهم. إضافة إلى ذلك فإن أن أغلب أفراد العينة يتابعون الصفحات الجزائرية أكثر، مقارنة بالصفحات العربية والأجنبية، والذي يجعل هذه النتيجة منطقية هو اعتبارهم للصفحات وموقع فيسبوك عموماً مروجاً للثقافة الاستهلاكية؛ وثقافة لا تتماشى والخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري، ورغم ذلك فإن نسبة كبيرة منهم تعتبر أن من أهم إيجابيات الموقع هو منحهم فرصة للانفتاح على العالم وثقافته.

• نتائج متعلقة بالبيانات الافتراضية لمفردات العينة على فيسبوك: الصورة الحقيقية، الاسم الحقيقي، والبيانات الشخصية.

يخضع إظهار المبحوثين لبياناتهم الشخصية الحقيقية على موقع فيسبوك إلى متغيرات أهمها جنسهم وكذا مدى خصوصية أو عمومية تلك البيانات، بنفس الطريقة التي تخضع لها هذه البيانات في الحياة الفعلية؛ فقد توصلت الدراسة إلى أن المبحوثات يملن إلى إخفاء كل من أسمائهن الحقيقية وخاصة صورهن، وذلك عائد حسبهن إلى الدين والعرف وكذا تجنب المضايقات، كما يميل المبحوثون -كما في الحياة الفعلية- إلى التحفظ حول بياناتهم الأكثر خصوصية وشخصية خاصة حالتهم المدنية وعلاقاتهم العاطفية، بينما يميلون للإفصاح عن البيانات العامة خاصة ما يتعلق بالمهنة والدراسة، بل ويقصدون إظهارها في شكل من أشكال عرض الذات والرغبة في الاعتراف بها، فيكون فيسبوك بذلك أداة يتحكم بها بالمبحوثون في مدى الكشف عن هوياتهم

وتطويعها، وإظهار ما يرغبون إظهاره وبالطريقة التي يريدون، وهو ما لا تتيحه الحياة الفعلية، لذلك فإن نسبة كبيرة منهم حسب الدراسة يرغبون في أن تكون هويتهم التي يصوّرونها عبر فيسبوك هي هويتهم الفعلية.

• نتائج متعلقة بهوية المبحوثين بين الفعلي والافتراضي:

من أهم نتائج الدراسة المتعلقة بتموقع المبحوثين بين هويتهم الفعلية الافتراضية، هو امتلاك أغلبهم لحساب فيسبوكي واحد ومنه هوية افتراضية واحدة، وكذا نتيجة أن تعدد الحسابات والهويات الافتراضية يتراوح بين الرغبة في التخفي وراء هويات مزيفة من جهة، أو فصل حياتهم الخاصة عن حياتهم العامة خاصة في ظل تحول فيسبوك من أداة تقتصر على التواصل الشخصي فحسب إلى إحدى أهم وسائل التواصل العملي والعلمي. كما توصلت الدراسة إلى أن المبحوثين ومن خلال محاولتهم هذه لإدارة عرض ذاتهم عبر فيسبوك، هم يعتبرونه امتدادا لحياتهم الفعلية، ومثلا يديرون الانطباعات فعليا هم يديرونها افتراضيا سواء في حالة تعدد حساباتهم أو وحدتها، وهي نتيجة مهمة من حيث أنها تجعل من باقي الإجابات وإدلاءات المبحوثين معبرة عن أن ممارساتهم، سلوكياتهم، آراءهم واعتقاداتهم الرقمية سواء الدينية، اللغوية أو الوطنية عبر الموقع امتدادا كذلك لحياتهم الفعلية.

أ. النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

لقد هدفنا من خلال المحور الثالث من استمارة البحث إلى تحديد المدى الذي يتفاعل به البعد الديني للمبحوثين مع المد العولمي الديني من خلال فيسبوك، والعناصر الرئيسة المتحركة في التأثر أو المقاومة، إضافة إلى التفاعل من الداخل إلى الخارج والعكس، وقد جاء عرض وتحليل بيانات هذه الفرضية ضمن الفصل الخامس من الدراسة.

• نتائج متعلقة بتدوين المبحوثين من خلال مدى التزامهم بالقيم الدينية في تفاعلها عبر موقع فيسبوك:

من أهم نتائج الدراسة الحالية فيما يتعلق بالانتماء الأكثر أهمية لدى المبحوثين، وأنهم يرون في الدين البعد الأهم الذي يمكنهم من خلاله تعريف ذاتهم وهوياتهم، ذلك أنه يؤثر مختلف سلوكياتهم وتعاملاتهم اليومية، أما فيما يخص التزامهم بتعاليم الدين الإسلامي في حياتهم الفعلية فقد تم تسجيل نسب كبرى من جانب الإيجاب خاصة فيما يتعلق بالفرائض الدينية؛ فيما اصطالحنا عليه بالرجوع إلى الأدبيات النظرية "التدين الشعبي"، كما وجدنا أن الالتزام هذا، مرتبط بانتمائهم الديني فالذين يعرفون أنفسهم من خلال البعد الديني فعليا هم الأكثر التزاما به افتراضيا.

ومن نتائج الدراسة في هذا الجزء منها أيضا؛ هو متابعة فئة من المبحوثين للمضامين اللاأخلاقية التي يعرضها موقع فيسبوك أو يشاركها من تطبيقات أخرى مثل تيك توك (لما نقول فيسبوك نقصد خوارزمياته ومستخدميه)، فبالرغم من النتيجة السابقة المتعلقة بالالتزام بتعاليم الدين، إلا أن هناك نسبة لا يستهان بها من المبحوثين الذين يتابعونها ولو أحيانا خاصة من جنس الذكور، وهذا يعدّ من أهم مظاهر العولمة تحت مسمى الإغراق الثقافي وتوقع اللذة، وهذا ما لاحظته المستخدمون أنفسهم الذين يرون أن من أهم سلبات فيسبوك غرسه لأساليب حياة وقيم لا تتماشى والخصوصية الإسلامية للمجتمع الجزائري. كل ذلك لا يلغي إيجابياته؛ خاصة منها توفيره لمعارف دينية موثوقة المصدر واعتباره مؤخرا منبرا لنشر التعاليم الصحيحة للدين الإسلامي، وهذا ما نمّده لنا معرفة مدى تعامل المبحوثين مع هذه الإيجابيات والسلبيات بين تأثر ومقاومة وعلى ماذا تُبنى.

• نتائج متعلقة بمدى مقاومة المبحوثين للمد العولي الديني عبر موقع فيسبوك:

من أهم نتائج هذا الجزء من الدراسة أن هناك علاقة بين مدى التزام المبحوثين بالقيم الأخلاقية الدينية، وكذا انتمائهم الهوياتي الديني -الذي توصلت الدراسة إلى أنهم يميلون إلى تعريف أنفسهم من خلال انتماءات موحدة للمكونات الوطنية على حساب التي تسبب التفرقة، أي الدين والثقافة والتاريخ مقابل العرق واللغة-، والذان يتجسدان افتراضيا في متابعتهم للشبكات الدينية عبر موقع فيسبوك، وبين بمقاومتهم وتفاديتهم لمتابعة كل من المضامين العولمة سواء اللاأخلاقية منها أو التبشيرية، حيث أن الالتزام بالمعايير وتكريس ذلك افتراضيا يساهم في مقاومة المبحوثين للمد العولي.

• نتائج متعلقة بمدى تأثير المبحوثين للمد العولي الديني عبر موقع فيسبوك:

وصلنا من خلال هذا الجزء من البحث؛ وهي النتائج المقابلة للنتائج السابقة، إلى أن الانفتاح على السمات الثقافية العالمية والاستخدام المكثف لموقع فيسبوك سواء من خلال أقدمية فترة الانضمام إليه أو من خلال تعدد الحسابات التي يملكها المبحوث عبره، مع عدم الالتزام بالتعاليم الأخلاقية الدينية، يساهم في الإقبال المكثف على المضامين اللاأخلاقية والتبشيرية، وهذا التعرض والإقبال المكثف يدفع -حسب الدراسة الحالية- المبحوث إلى متابعتها والتأثر بها، خاصة أن خوارزميات فيسبوك تستهدفهم من خلالها ما يثير لديهم فضولا يتحول شيئا فشيئا إلى متابعة مقصودة، بل ويجعل متابعتها عند جزء من المبحوثين أمرا عاديا لأنه في نظرهم لا يقع في حدود الإلزام الديني بل الحرية الشخصية.

• نتائج متعلقة باعتبار موقع فيسبوك مسرحا لعرض الهوية الدينية:

يوفر موقع فيسبوك مسرحا مفتوحا على العالم لعرض المبحوثين لهويتهم الدينية، وذلك من خلال التعريف بالدين الإسلامي ومناسباته، معارف حولها وطقوسها الاحتفالية، حيث انتهت الدراسة إلى أن الموقع يُستخدم لنشر المعلومات على سبيل التذكير بها وكذا التعريف بها، وذلك خاصة من طرف أفراد العينة الذين يعترفون هوياتهم من خلال انتمائهم الديني، وكذا الذين يرون في فيسبوك وسيلة مناسبة لنشر المعارف الإسلامية الصحيحة في شكل من أشكال مقاومة المضامين المناقضة لها، إضافة إلى المبحوثين الذين أجابوا بأنهم ملتزمون بتعاليم الدين الإسلامي، فهم يرون في التعريف به واحدة من مسؤولياتهم الدينية.

• نتائج متعلقة بالعولمة الدينية من الداخل إلى الخارج:

حددنا من خلال هذا الجزء من العمل العوامل المتحركة في هذا الشكل من أشكال العولمة، والتي توصلت الدراسة إلى أنها مرتبطة بشكل مباشر بمدى انتماء المبحوث واعتباره للدين الإسلامي أهم الأبعاد الهوياتية لديه، فعلى أساس ذلك يأخذ على عاتقه نشر معارف دينية إسلامية عبر فيسبوك، وكذا تفادي المضامين المخالفة له عن طريق حظرها، فهي نتيجة متممة للنتيجة السابقة.

• نتائج متعلقة بالعولمة الدينية من الخارج إلى الداخل:

حددنا من خلال هذا الجزء من العمل، العوامل المتحركة في العولمة من الخارج إلى الداخل، أي انتقال السمات الدينية العالمية أو غيرها مما يمكن أن يؤثر على البعد الديني للمبحوث، وبشكل أساسي خوارزميات التبشير أو الإلحاد، وانهينا إلى أنه كلما تعرض المبحوثون إلى استهداف خوارزميات التبشير زادت إمكانية دخولهم ضمن شبكة علاقات مع معتنقيها، وهذا الدخول

يؤدي بدوره إلى الحد من التزامهم بالتعاليم الدينية من جهة وتسهيل تدفق المضامين التبشيرية عبرهم، إذ تتوسع حلقة التبشير لتطال شبكة علاقات المستخدم بانضمامه إليها، كما توصلت الدراسة إلى أن عامل اللغة مهم في تعريض المبحوث لحوارزميات التبشير، فمتابعة الصفحات الناطقة باللغات الأجنبية أو استخدامها في التفاعل والتعامل عبر فيسبوك ك لغات أساسية يسهل وصول المضامين إليهم، وليست اللغات الأجنبية فحسب بل حتى اللغة البربرية -وهي نتيجة مثيرة للاهتمام- إذ توصلت الدراسة إلى فيسبوك يقوم باستهداف المستخدمين لتمزيغ عبر فيسبوك تقريبا بنفس نسبة استهدافه للمستخدمين للغة الإنجليزية ما فسرناه بأن فيسبوك يعيد بطريقة أو بأخرى بعث أفكار التفرقة الاستعمارية.

وما سبق: فقد أكدت النتائج المتوصل إليها إلى أن العامل المتحكم في مدى التأثير أو مقاومة التدفقات الدينية العولمية، هو التزام المبحوثين بقيمهم الدينية وتحليلهم بانتماء ديني قوي يعرفون من خلالها أنفسهم أين شكل الدين لدى الأغلبية الساحقة من أفراد العينة نمط حياتهم خاصة فيما يتعلق بالفرائض، وهؤلاء كان تأثيرهم بالمد العولمي -حسبما رأينا- أقل، ومقاومتهم له أكبر، وموازنتهم بين الجماعتي والتطويبي من الهوية أفضل، ومنه فإن الفرضية القائلة بـ: **"يرتبط تأثير موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك كأداة للعولمة على البعد الديني للمستخدمين المبحوثين عكسيا بمدى التزامهم ووعيهم بانتمائهم الديني"** والتي جاءت كإجابة مؤقتة على التساؤل الفرعي الأول: **"بماذا يرتبط تأثير موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك كأداة للعولمة على البعد الديني للمستخدمين المبحوثين؟"** هي فرضية محققة.

ب. النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:

لقد هدفنا من خلال المحور الرابع من استمارة البحث إلى قياس المدى الذي يعتبر به فيسبوك أداة عولمية تساهم في تكريس أفكار ومظاهر العولمة تجاه اللغة، بالتحديد عملية تفكيك الهويات من الأسفل التي حاولنا البحث عنها من خلال الصدام اللغوي الوطني، وكذا خلق أساليب لغوية جديدة وعالمية عبر فيسبوك، وقد جاء عرض وتحليل بيانات هذه الفرضية ضمن الفصل السادس من الدراسة.

• نتائج متعلقة بالوضعية اللغوية للمبحوثين بين اللغات الوطنية واللغات العالمية من خلال فيسبوك:

تمهيدا للتحقق من صحة الفرضية الثانية انطلقنا من محاولة تحديد موقع اللغات الوطنية من الاستخدام عبر فيسبوك، وتوصلت الدراسة إلى أن الوضعية اللغوية للمبحوث في حياته الفعلية تؤثر وضعيته في العالم الافتراضي، فهو يعيد إنتاج اللغة التي يستخدمها في الواقع، وتتحكم في ذلك عوامل فعلية على غرار الانتماء الهوياتي، وعوامل متعلقة بفيسبوك والحياة اليومية عبره على غرار الرغبة في مواكبة اللغات العالمية مقابل الرغبة في السعي للحفاظ على الهوية اللغوية الجزائرية، كما انتهت الدراسة إلى أن اللغة العربية تجد مجالا لها للاستخدام عبر فيسبوك، فاستخدامها افتراضيا مقابل الاستخدام الفعلي هو أكبر نسبيا.

• نتائج متعلقة بموقع فيسبوك كفضاء لتظهر الواقع اللغوي للمبحوثين:

انتهت الدراسة الحالية في إحدى أهم نتائجها إلى أن فيسبوك يلعب دورا كبيرا في تكريس وتأجيج الصدام اللغوي بين اللسانين العربي والبربري في الجزائر، ويتحكم في ذلك عوامل فعلية عدة، على رأسها عرق المبحوث، وعوامل افتراضية عدة على رأسها فترة انضمامه إلى موقع فيسبوك وأقدميته في استخدامه، وهذا الصدام الذي يزيد فيسبوك من حدته ليس نتيجة فقط بل هو سبب كذلك، سبب لاعتبار فيسبوك تهديدا للوحدة الوطنية، وكذا سبب لاعتبار المبحوث أن التنوع العرقي

والثقافي في الجزائر هو عامل للتفكك وليس الوحدة، وهي كلها تقع ضمن تداعيات العولمة، والمعبرة عن خلق استقطابات وصراعات داخل الهويات الوطنية.

• نتائج متعلقة بتبديل الرموز كممارسة لغوية اتصالية لدى المبحوثين: التبديل بين اللغات (اللغة الهجينة):

من النتائج المتعلقة بالممارسات اللغوية الاتصالية الجديدة في عصر فيسبوك هو تبديل الرموز، وقد توصلت الدراسة إلى أنه سلوك لغوي شائع بين أفراد عينة الدراسة، ذلك أنه مجتمع متعدد الألسن، إضافة إلى أن هذه الممارسات تصاحب اللهجة العامية؛ والأخيرة هي الأكثر استخداما لدى مبحوثينا سواء فعليا أو افتراضيا. ومن أهم الممارسات استخداما لدى عينتنا هو تعويض كتابة التعبيرات العربية بحروف لاتينية خاصة عند المستخدمين صغار السن الذين مازالوا في مرحلة ارتباك الهوية اللغوية. وكذا تعويض الحروف العربية بالأرقام، وقد لاحظنا أن العنصر الوحيد الذي يحد من هذه الأساليب هو استخدام العربية الفصحى بدل اللغات الأجنبية والدارجة الجزائرية.

• نتائج متعلقة باستخدام الرموز، الملصقات والميمات كممارسة لغوية اتصالية لدى المبحوثين:

يعتبر استخدام الرموز التعبيرية من أهم الممارسات اللغوية الافتراضية المعاصرة لدى مبحوثينا، وأكثرها كذلك، وذلك راجع إلى عدة أسباب تميزها عن غيرها من أساليب التواصل المرئية، وهي: أنها عملية، أنه يمكنها مرافقة النص، أن لديها قدرة تعبيرية عالية، إضافة إلى تأقلمها ومرونتها في الاستخدام، بل ويمكنها في بعض الأحيان -حسب المبحوثين- إلغاء ضرورة الكتابة بالنص، كما أنها أصبحت ضرورية في تواصلهم للحد الذي أصبح عدم استخدامها ضمن الرسائل يُقرأ "كإهانة" للمستقبل. من جانب آخر؛ توصلت الدراسة إلى أنه يتم إضفاء الطابع الهوياتي على التعبيرات المرئية عبر فيسبوك خاصة منها الملصقات والميمات، وهي استراتيجية من مصمميها لجعلها "لغة الجميع" حتى وإن اعتبرت لغة الرموز والملصقات والميمات لغة عالمية، إلا أنه يتم تسليعها بالخصوصيات المحلية وتشفيرها وفك تشفيرها ضمن سياقاتها الاجتماعية والثقافية، وهو ما يسهل اعتمادها المطلق كلفة بديلة في العالم الافتراضي تعادل قدرتها التعبيرية اللغات الوطنية أو تتجاوزها.

• نتائج متعلقة باختراع المبحوثين للغة جزائرية فيسبوكية قائمة على التشفير وفك التشفير:

لأن العمليات الاتصالية تتأسس على ثنائيات التشفير وفك التشفير فإن المبحوثين قد استحدثوا شيفرات خاصة بهم شكلت ما يشبه الدارجة الجزائرية عبر فيسبوك، وهي شيفرات مؤطرة بمجموعة من الدوافع والخلفيات خلصت الدراسة إلى أنها خمسة: كثافة الاستخدام، إذ كلما طالت مدة استخدام المبحوث لموقع فيسبوك زادت قدرته على خلق لغة افتراضية جديدة وفك شيفرتها؛ إخفاء الهوية الفعلية، إذ يميل المبحوثون الذي يسعون إلى إخفاء هوياتهم إلى تغيير لغتهم بلغة جديدة يخلقونها هم أو ينخرطون في جماعات تخلقها وذلك لأنها في الغالب تفتقر إلى الجانب القيمي؛ الاطلاع على المضامين اللاأخلاقية، ذلك أن الذين يتابعونها يعيدون إنتاجها ضمن جماعاتهم بشيفرات غير واضحة ولكنها مفهومة فيما بينهم وذلك تجنباً للمساءلة الأخلاقية؛ محاولة الإفلات من الرقابة الرقمية أو السياسية، فالمبحوثون الذين يخوضون في القضايا السياسية الدوية كالفلسطينية والوطنية كالصدام العربي البريري، يميلون إلى تشفير كلماتهم تجنباً للمتابعة والرقابة الفعلية أو الافتراضية؛ رموز الانتماء إلى جماعة أو منطقة جغرافية معينة، إذ تصبح الشيفرات التي يخلقها المبحوثون المنتمون إلى جماعة ما، سواء كان انتماءً جغرافياً أو علائقياً، بمثابة كلمة المرور إليها.

ومما سبق: فقد أُكِّدَت النتائج المتوصل إليها بأن فيسبوك يؤثر بشكل مباشر على البعد اللغوي للمبحوثين، فهو يساهم في تكريس الواقع اللغوي في الجزائر وكذا تأجيج صدام اللسانين العربي والبربري لديهم؛ بل يتناول الصدام ليصبح عرقيا، ومهددا للوحدة الوطنية واستقرارها، كما يساهم الموقع في إكساب المبحوثين أساليب لغوية عالمية مبنية على الهجين، الرموز والميمات والشيفرات، ما يجد بطريقة أو بأخرى من استخدام اللغات الوطنية ولكن لا يلغيها، وذلك مقابل لغة يعتبرونها أسهل وأكثر اختصارا وقدرة على التعبير، ومنه فإن الفرضية القائلة بـ "يساهم موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك باعتباره أداة للعمولة في التأثير على البعد اللغوي للمستخدمين المبحوثين بتجسيد الصدام اللغوي الوطني وخلق أساليب لغوية جديدة لديهم" والتي جاءت كإجابة مؤقتة على التساؤل الفرعي الثاني: "ما مدى مساهمة موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك كأداة للعمولة في التأثير على البعد اللغوي للمستخدمين المبحوثين؟"، هي فرضية محققة.

ج. النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة:

لقد هدفنا من خلال المحور الخامس من استمارة البحث إلى تحديد المدى الذي تستخدم فيه العمولة موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك لتكريس آثارها تجاه البعد الوطني، بداية بتجلي قيم المواطنة الجزائرية افتراضيا بين تكريسها للهوية المشرعة وهويتي المقاومة والمشروع، كما جاء المحور لقياس مظاهر احتفاء المبحوثين بوطنهم، تاريخه وكذا سردياته، لينتهي المحور إلى العنصر الثقافي وتراوحه بين صناعة التراث وبين الاختراق، وقد جاء عرض وتحليل بيانات هذه الفرضية ضمن الفصل السابع من الدراسة.

• مدى التفاعل مع المناسبات والأعياد الوطنية المرتبطة بتاريخ الجزائر:

الاحتفال الافتراضي بالأعياد والمناسبات الوطنية كما اعتبرناه في هذا المطلب، هو شكل من أشكال "التقاليد المخترعة" المتناسبة مع عصرنا هذا، والتي يحاول المبحوثون من خلالها الحفاظ على الذاكرة الوطنية، مستغلين ما يوفره موقع فيسبوك من جمهور عريض، أساليب للعرض كالكتابة ونشر الأناشيد وصور الراية الوطنية ورموزها التعبيرية، وكذا الذاكرة الإلكترونية التي تبقى تجدد هذه الذكرى مادام حساب المبحوث مفعلا، فمن أهم نتائج الدراسة المتعلقة بالمناسبات الوطنية هو أن المبحوثين لا يتفاعلون بنسب كبيرة معها، ويزيد من ذلك عاملان أساسيان أولاهما متغير السن وثانيهما متغير معنوية الاحتفال الافتراضي، أما بخصوص الأول فيتناقص اهتمام أفراد العينة بالمناسبات الوطنية وتفاعلهم معها كلما صغر سنهم ما أسمىناه بالفجوة الجيلية، وأما الثاني فهو اعتبار المبحوثين لهذه التفاعلات مجرد تمسرح وفلكلور افتراضي لا يعبر فعليا عن شعورهم في العالم الفعلي.

• العوامل المؤثرة على التفاعل الفيسبوكي مع المناسبات الوطنية الجزائرية:

جاء هذا المطلب للتعمق أكثر في العوامل أو المتغيرات المتحركة في مدى التفاعل مع المناسبات الوطنية ومنه الوطنية في شكلها الافتراضي، وقد توصلت الدراسة إلى أنها مرتبطة بثلاثة عوامل رئيسية هي؛ أولا: الارتباط بالمكان وعنصر الانتماء إذ كلما زاد ارتباط المبحوث بأرض وطنه وخصوصيته الثقافية والعرقية على تنوعها وافتخاره بها زاد تفاعله مع هذه المناسبات؛ ثانيا: الارتباط بالهوية الجزائرية في التفاعل عبر فيسبوك إذ تزيد نسبة تفاعل المبحوث مع المناسبات الوطنية كلما كان متابعا أكثر للصفحات الجزائرية ومستخدم أكثر للغة العربية مقابل اللغات الأجنبية؛ وثالثا: الانخراط في المواطنة عبر فيسبوك إذ كلما تابع المبحوث وارتبط افتراضيا بصفحات المؤسسات الرسمية أو الشخصيات الداعمة لها، وكذلك الأحزاب السياسية كلما زاد

تفاعله مع مناسبات وطنه ما أسميناه "المواطنة عبر فيسبوك". فكلها عوامل تأخذ بعين الاعتبار المحلي مقابل الكوني، والوطني مقابل العولمي.

• استراتيجيات تمثيل الانتماء الوطني وسرد الثقافة الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك:

انتقلنا هنا إلى المبحث المتعلق بالسمات الثقافية وتدفعها من وإلى الوطن عبر فيسبوك باعتبارها جزءاً مهماً من البعد الوطني للهوية الوطنية الجزائرية، وضمنه حاولنا قياس المدى الذي يسرد فيسبوك به الثقافة الوطنية الجزائرية ويمثل من خلاله المبحوثون انتماءهم التاريخي والثقافي والمتغيرات المؤثرة عليها، وتوصلنا من خلاله إلى أن الانتماءات الهويةانية التاريخية والثقافية والقومية القوية تؤدي بالمبحوثين إلى التعريف أكثر بتاريخهم وثقافتهم وتراثهم، وسرديات الأمة الكبرى عبر فيسبوك سواء بالترويج للحقيقي والصحيح منها أو بمحاربة المزيف منها من جهة وظاهرتي تزييفها والسطو عليها من جهة أخرى، إضافة إلى الممارسات الافتراضية المؤثرة على هذا التمثيل على غرار الاشتراك في صفحات متعلقة بالتاريخ الجزائري سواء الرسمية أو غير الرسمية، أو الإشراف على واحدة منها أو إنشاءها.

• فيسبوك كأداة لصناعة التراث والترويج للخصوصيات الثقافية الجزائرية:

توصلت الدراسة في الجانب المتعلق بصناعة التراث إلى أن موقع فيسبوك يساهم في الترويج للثقافة الجزائرية وخصوصياتها المختلفة داخليا وخارجيا، فعلى المستوى الداخلي خلصت الدراسة إلى أن الموقع يساهم في نقل السمات الثقافية الجزائرية من ولاية جزائرية إلى أخرى، كما يساهم ذلك بدوره في تعزيز وطنيتهم وانتمائهم الهوياتي إلى الجزائر بأشكاله، وتمثل أهم هذه السمات في اللهجات المحلية والمطبخ الجزائري وعاداته، الطقوس الاحتفالية الموسيقى والطبوع الغنائية والأزياء التقليدية، المناطق السياحية والخصوصيات العمرانية، أما على المستوى الخارجي فقد خلصت الدراسة إلى أن ترويج المبحوث لثقافته الوطنية مرتبط بمدى ارتباطه وافتخاره بها، إضافة إلى قدرته على مد جسور ثقافي إلى الآخر من خلال اللغة، فالمبحوثون المتابعون للصفحات الإنجليزية مثلا تزيد لديهم ممارسة الترويج للثقافة والتراث الجزائري خاصة السياحي منه، وإضافة إليه يساهم أفراد عينة الدراسة من خلال فيسبوك في نشر الخصوصيات الجزائرية الدينية، اللغوية، التاريخية، العادات والتقاليد، والعمل على تحسين صورة الثقافة الجزائرية في الخيال العالمي وإثارة الفضول البحثي تجاهها.

• فيسبوك كأداة لإضفاء السمات الثقافية العالمية على الخصوصيات الثقافية الجزائرية:

يأتي هذا المطلب في مقابل المطلب السابق، إذ يتناول دور فيسبوك كأداة عولمية في إضفاء السمات العالمية على الخصوصيات الثقافية الجزائرية، وخلصت الدراسة فيما يخص هذا الجزء من البحث إلى أن فيسبوك يساهم في نقل الصدامات والتحيّزات والتناقضات الداخلية الفعلية إلى الافتراضي، ثم منه إلى الحياة الفعلية مرة أخرى، سواء منها الدينية، المناطقية أو العرقية؛ ويتحكم في شدتها كل من المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها المبحوث وتفاعلاته الافتراضية التي تشكل تصورات حول الكيفيات التي يهدد بها فيسبوك الهوية الوطنية الجزائرية، كما يساهم الموقع نسبيا في التأثير سلبا على الهوية الوطنية وسيادتها من الجانب الخارجي، أما على المستوى الفردي فيساهم الموقع في الزيادة من شعور اغتراب المبحوث وتفضيله للحياة الافتراضية على الواقعية بفعل تأثره بالسمات العالمية، من جانب آخر فإن الانفتاح على العالم وثقافته عن طريق امتلاك أصدقاء من ثقافات أخرى، يدفع المبحوثين أكثر فأكثر للتعريف بثقافتهم الوطنية كرد فعل إيجابي على المد الثقافي العالمي.

ومما سبق: فقد توصلنا من خلال ما سبق إلى أن فيسبوك يؤثر بشكل مباشر البعد الوطني للمبحوثين، ويحقق ما جاء في مضمون نظرية المجتمع الشبكي من إيجاد العولمة لهويات تركزس الانتماء والمواطنة وأخرى تقاومها، وكلّ ذلك مرتبط بمدى ولائهم للوطن، ومن أهم مظاهر هذا الولاء هو الاحتفاء به، وسرد ثقافته، الأخيرة التي يمثل فيسبوك أداة ذات دورين تجاهها، الترويج لها أو الترويج لنقيضها، والعامل الفاصل في ذلك هو الانتماء الهوياتي الوطني للمستخدمين المبحوثين وارتباطهم به، ومنه فإن الفرضية القائلة بـ "يرتبط تأثير موقع فيسبوك باعتباره أداة عولمية على البعد الوطني للمستخدمين الجزائريين عكسيا بمدى ارتباطهم بوطنهم ورموزه الوطنية، التاريخية والثقافية". والتي جاءت كإجابة مؤقتة على التساؤل الفرعي الثالث "هل يؤثر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك باعتباره أداة للعولمة على البعد الوطني للمستخدمين المبحوثين؟"، هي فرضية محققة.

وإجابة على سؤال الإشكالية القائل بـ: ما المدى الذي يؤثر به موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك باعتباره أداة للعولمة المعاصرة على الهوية الوطنية الجزائرية للمستخدمين الجزائريين؟ فإن تأثر الهوية الوطنية للمستخدمين الجزائريين المبحوثين بموقع فيسبوك يتضح في إضافته للسمات العولمية عليها سواء في البعد الديني، اللغوي أو الوطني، وقد خصلت الدراسة إلى أن مدى ذلك التأثير، ومدى تغلغل تلك السمات في عمق هوية المبحوثين الوطنية مرتبط بمدى ارتباطهم بها واتصافهم بخصوصياتها، إذ يتم دائما العودة إلى الفعلي مقابل الافتراضي، وما الأخير إلا فضاء موازٍ تُعرض ضمنه الهويات الوطنية دون انفصال عن الواقع الفعلي سواء في قوتها أو ضعفها.

خاتمة

خاتمة:

عبر تصورنا للعلاقة بين الهوية والعولمة في عصر التقنية، يمكن أن ننتهي من خلال هذه الدراسة؛ وحسب سيرورتها التي انطلقت من العولمة، مروراً بالكيفية التي تُخرج بها الثقافات من حدودها وصولاً إلى الهوية كمفهوم يتضح من خلاله تأثيرها، أن العولمة ظاهرة تضفي على الواقع تعقيداً وعلى الحقل العلمي منطقاً للتحليل والتفسير يبقى متجدداً بتجدد المعاني التي تصاغ للعولمة عبر الزمان والمكان والأحداث، فهي تستخدم في كل عصر أدواته المناسبة وتطبع مظاهرها عليه؛ وإذا كان تحليل العولمة في السابق يقتصر على أدواتها الاقتصادية كربط العالم عبر عولمة وسائل الإنتاج وكذا رؤوس الأموال، وأدواتها السياسية كتناكل الصيغ المؤسسية المحلية على رأسها الدولة القومية وحتى الاستعمارات، وأدواتها الثقافية كوسائل الإعلام التقليدية وما تمارسه من غرس ثقافي، فإن تحليلها اليوم -إضافة إلى كل ما سبق- لا يخلو من ربطها مع أهم أدواتها المعاصرة وهي "التقنية" وتحديدًا الإنترنت التي زادت من ربط العالم أكثر فأكثر، وعمقت آثار ذلك إلى أبعد الحدود الممكنة، مساهمة بذلك في التأثير على خصوصية الأمم.

الهوية في نهاية الأمر تعني الصفات التي تعزى إلى فرد فتنتج الهوية الذاتية؛ أو جماعة فتنتج الهوية الوسطى أو أمة فتنتج الهوية الوطنية، وهي رغم تعدد مداخل تحليلها ظاهرة سوسيولوجية بامتياز، لذا فهي تتراوح كغيرها من الظواهر بين الثبات الذي تبقى به الهوية على شكلها المعطى والتغيير الذي تصبح به قابلة للتطويع وإعادة التشكيل، ومع التركيز على الهوية الوطنية كملح محدد لانتماء جماعة اجتماعية إلى وطن معين سواء اتماءً عرقياً أو مدنياً في شكلها الثابت، فإن التغيير الذي يطراً عليها في عصر العولمة يفتح المجال لتشكيل أنواع أخرى تتمازج فيها مرجعيات الهوية الوطنية في شكلها الأصلي بمرجعيات أخرى، مشكلة هويات وطنية متعددة القوميات وهويات وطنية هجينة، أو تبقى متأرجحة بين الثبات والتغيير، وأهم الفضاءات المعاصرة التي تتمازج فيها مرجعيات الأمم ويظهر من خلالها تأثير العولمة على الهويات الوطنية هو فضاء الإنترنت.

تمثل العولمة اليوم ظاهرة واقعة، سواء تمّ تقبلها كشكل من أشكال الانفتاح على العالم أو رفضها ومناهضتها لاعتبارها سبباً في تآكل الخصوصيات الثقافية المحلية، إذ نعيش اليوم في عالم الثقافات الهجينة الذي أصبح وجود ثقافة أصيلة أمراً نادراً، وهو الأمر الذي سرّعه الإنترنت، فما شهدته العالم من تمازج ثقافي لقرون طويلة اختصرته الإنترنت خاصة في العقدين الأخيرين من الزمن بأن قلّصت حدود المكان واختصرت مراحل الزمن؛ تحت تسمية "الشبكة" كفضاء للتدفقات، وتنشأ في مواجهة كل من العولمة والتشبيك ردود فعل مناهضة لها، ذلك أن الأولى تطمس استقلالية الأمم ومؤسساتها والثانية تطمس الحدود البنائية بينها، ويتم من خلال ردود الفعل هذه العودة إلى الحدود القومية والالتفاف حول هويتها باستخدام أداة العولمة التقنية ذاتها، فإذا كان فعل العولمة صادراً من اتجاه "المركز" فإن مناهضتها وردود الفعل تجاهها تصدر مما كانت تعتبر "هوامشاً"، وتم من خلال ذلك صياغة مفاهيم مثل: قوة الهوية، الأصلية (العودة إلى الثقافات الأصلية)، وإعادة تحديد المحلي.

ولطالما اعتبرت الهوية الوطنية مسألة محورية في التاريخ الاجتماعي، الثقافي والسياسي الجزائري، ذلك أنها أكثر سمة هُددت بالتعرض للطمس ومحاولة الإلغاء عبر تاريخها وبخاصة إبان المرحلة الكولونيالية، من خلال محاربة أهم أبعادها؛ الدين الإسلامي واللسان العربي، والولاء للوطن، سواء من خلال محو وجودها عبر سياسات الفرنسة والتنصير والتدجين أو من

خلال فض الجزائريين من حولها وتفكيكها من أسفل عبر سياسات فرق تسد. وكذا في مراحل أخرى مختلفة عبر التاريخ، والتي أصبحت فيها مناقشة مسألة الهوية شائعة ومفخخة؛ ومواصلة لهذه السيرورة التاريخية في عصر الإنترنت جاءت مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة موقع فيسبوك لتعيد بعث مسألة الهوية الوطنية الجزائرية ولكن ضمن العالم الافتراضي الذي يوفر مسرحا لعرض الهوية الوطنية والتفاعل بشأنها سواء من الداخل أو من الخارج بالتفاعل مع هويات عالمية أخرى ضمن ثنائيات التأثير والتأثر والمحلية والعالمية.

إن أبعاد الهوية الوطنية الجزائرية في عصر فيسبوك وفي خاتمة الدراسة الحالية؛ تتأثر بتداعيات العولمة التي تحاول إخراجها من حدودها الدينية واللغوية والوطنية عن طريق واحدة من أدواتها، بزرع قيم دينية نقيضة للخصوصية الإسلامية للمجتمع الجزائري؛ إكساب المستخدمين لأساليب لغوية عولمية جديدة ومحاولة تفكيك وتأزيم هويتهم اللغوية ونقل الصدام إلى مستويات أخرى منه تطال وحدة الوطن ومكوناته، إضافة إلى إضعاف ارتباطهم الافتراضي بالحس الوطني وتأثرهم بالسمات الثقافية العالمية في شكل من أشكال الغزو الثقافي، ولكن فيسبوك بالمقابل يوفر للهوية الوطنية أرضية من أجل العودة إلى أبعادها وتكريسها والأكثر من ذلك استغلالها في مقاومة المد العولمي، سواء الديني بمقاومة مساعي التبشير ونشر القيم اللاأخلاقية وذلك بالارتباط بالقيم الدينية ومبادئها، أو تزويد اللغات الجديدة ورموزها وأساليبها بالخصوصية اللغوية الجزائرية والحد من الجدالات والصدمات بخصوص المكونات اللسانية الجزائرية، ذلك إضافة إلى استغلاله في الترويج ونشر الثقافة الجزائرية والحرص على استراتيجيات تمثيل الانتماء إلى الوطن ومقاومة إلغاء الخصوصيات المحلية.

ليكون موقع فيسبوك باعتباره أداة للعولمة المعاصرة خاضعا لأطروحتين: أطروحة تعتبر عولمة المعلومات والاتصالات سبيلا للانفتاح على العالم بشرط المحافظة على الأصالة والخصوصية المحلية؛ مقابل أطروحة تعتبرها سبيلا للهيمنة الغربية وتهديدا للهوية الوطنية ونزع خصوصياتها المحلية، ويبقى الحد الفاصل في اتصاف مستخدم فيسبوك الجزائري بإحدى الأطروحتين هو المستخدم ذاته ومدى ارتباطه بهويته الوطنية ومرجعياتها، وكذا مقاومته للمد العولمي وديناميات المجتمع الشبكي التي تُربكها أو على الأقل الانفتاح عليها بذكاء؛ إضافة إلى مدى انخراطه في العالم الافتراضي ومتاهاته بالقدر الذي يصبح به أحد الرحالة العالميين (كوزموبوليتان) مقابل ارتباطه بواقع الفعلي.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

أولاً: الكتب.

1. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، دراسة: أحمد الزعبي، مقدمة ابن خلدون، دار الهدى، الجزائر، 2009.
2. ابن رشد، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، شرح البرهان لأرسطو وتلخيص البرهان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984.
3. ابن عبد الكريم الجزائري محمد، لغة كل أمة روح ثقافتها، دار الشباب للطباعة والنشر، باتنة، 1989.
4. أجرون شارل روبير، ترجمة: محمد العربي ولد خليفة، المجتمع الجزائري في مخبر الأيديولوجيا الكولونيالية: مقاومة القبائل للإدماج والتفكيك وفشل مشاريع التصير والتنجيس، موفم للنشر (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية)، الجزائر، 2017.
5. أشكروفت بيل وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الأساسية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
6. إلياس نوربرت، ترجمة: هاني صالح، مجتمع الأفراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2014.
7. أنجرس موريس، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، الطبعة الثانية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006.
8. أنجيلكه ماثيو، ترجمة: عومرية سلطاني، كيف تفكر كأثروبولوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2020.
9. أندرسن بندكت، ترجمة: ثائر ديب، الجماعات المتخيلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014.
10. أوجي مارك، ترجمة: طواهري ميلود، أنثروبولوجيا العوالم المعاصرة، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
11. أوجيه مارك، ترجمة: ميساء السيوفي، اللاممكنة - مدخل إلى أنثروبولوجية الحداثة المفرطة، المنامة، 2018.
12. أوزكيرملي أوموت، ترجمة: معين الإمام، نظريات القومية: مقدمة نقدية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013.
13. أوهي كينيثي، ترجمة: مركز التعريب والبرجمة، الاقتصاد العالمي: المرحلة التالية- تحديات وفرص في عالم بلا حدود، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2006.
14. إيركسون توماس هايلاند ونيلسون فين سيفرن، ترجمة: لاهاي عبد الحسين، تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، منشورات ضفاف، الجزائر، 2013.
15. إيركسون توماس هيلاند، ترجمة: محي الدين عبد الغني، مفترق طرق الثقافات- مقالات عن الكريولية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012.
16. بابا هومي ك، ترجمة: ثائر ديب، موقع الثقافة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004.
17. بارني دارن، ترجمة: أنور الجمعاوي، المجتمع الشبكي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2015.
18. باشلار غاستون، ترجمة: غالب هلسا، جماليات المكان، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984.
19. باومان زيجمونت، ترجمة: حجاج أبو جبر، الحداثة السائلة، الطبعة الثالثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2019.
20. باومان زيجمونت، ترجمة: حداد أبو جبر، الثقافة السائلة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2018.
21. برانش جوردن، ترجمة: جلال عز الدين وعاطف معتمد، الدولة الخرائطية: الخرائط والإقليم وجذور السيادة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017.

22. برايك سام، ترجمة: بدوري عبد الفتاح، القومية في عالم العولمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.
23. بريغز آسا ورك بيتر، ترجم: نور الدين شيخ عبيد، تاريخ اجتماعي لوسائل التواصل: من غوتنبيرغ إلى الإنترنت، هيئة البحرين للثقافة والنشر، المنامة، 2017.
24. بعلبكي رمزي منير، "هوية الفصحى: بحث في التصنيف والخصائص"، في: اللغة والهوية في الوطن العربي - إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، كتاب جماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013.
25. بك أولريش، ترجمة: أبو العيد دودو، ما هي العولمة؟، الطبعة الثانية، منشورات الجمل، بيروت، 2012.
26. بك أولريش، ترجمة: علا عادل وآخرون، مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013.
27. بن دوبة شريف الدين، نهاية المواطنة: من قيد الجغرافيا إلى إطلاق الافتراض، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
28. بودريار جان، ترجمة: جوزيف عبد الله، المصطنع والاصطناع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008.
29. بودريار جان، ترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، "الحداثة"، في: الحداثة وانتقاداتها - قد الحداثة من منظور غربي، دار توبقال للنشر، الرباط، 2006.
30. بوعمران بوعلام العربي وعيوش نعيمة، "آيات تنمية الوعي بالتعدد اللغوي ضمن إطار الدولة الواحدة: العربية والملازمية نموذجاً"، في: التسامح اللغوي في الجزائر ودوره في ترسيخ ثقافة العيش معا بسلام، كتاب جماعي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2020.
31. بومدين بوزيد، "علي الكثر: الوعي بالهوية والأزمات في البلدان النامية"، في: قراءات في المنجز العلمي والسوسيولوجي لـ علي الكثر (1946 - 2020)، كتاب جماعي، إشراف: مصطفى كحل، القبية، الجزائر، 2023.
32. تايلر تشارلز، ترجمة: حيدر تاج إسماعيل، منابع الذات: تكون الهوية الحديثة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2014.
33. تورين آلان، ترجمة: أنور مغيث، قد الحداثة، المشروع القومي للترجمة، مصر، 1997.
34. جاهل نظير، تسديد المنهج: علم الاجتماع بمواجهة عنف العولمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2009.
35. التجوسي جوهري، الافتراضي والثورة: مكانة الإنترنت في نشأة مجتمع مدني عربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2016.
36. جندلي عبد الناصر، التحولات الاستراتيجية في العلاقات الدولية، دار قانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
37. جورنه نيكولا، ترجمة: إياس حسن، بين الكوني والخصوصي البحث عن البدايات، طبيعة الثقافة تشييد الهويات، دار الفقد، دمشق، 2014.
38. جوزيف جون، ترجمة: عبد النور خراقي، اللغة والهوية: قومية-إثنية-دينية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007.
39. جيدز أنطوني، ترجمة: عباس كاظم وحسن كاظم، عالم جامع - كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2003.
40. حباسي شاوش، العلم الوطني الجزائري المعاصر: تطوره الشكلي وتحليل لمضمونه الإيديولوجي والسياسي (1945-1958)، موفم للنشر (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية)، الجزائر، 1996.
41. حرب علي، حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2004.
42. حمد زيدان أشرف والسويدي سيف، العالم ما وراء التقليدي «ميثافيرس»، دار الأصالة، إسطنبول، 2022.
43. حنفي حسن، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012.
44. خنفر وضاح، الربيع الأول: قراءة سياسية واستراتيجية في السيرة النبوية، جسور للترجمة والنشر، بيروت، 2020.
45. داوكينز ريتشارد، ترجمة: تانيا ناجيا، الحينة الأنانية، درا الساق، بيروت، 2009.

46. دوبار كلود، ترجمة: رندة بعث، أزمة الهويات: تفسير التحول، المكتبة الشرقية، لبنان، 2008.
47. دوبري ريجيس، ترجمة: فريد الزاهي، حياة الصورة وموتها، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013.
48. دوركايم إميل، ترجمة: السيد محمد بدوي، التربية الأخلاقية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.
49. دوركايم إميل، ترجمة: رندة بعث، الأشكال الأولية للحياة الدينية: المنظومة الطوطمية في أستراليا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2019.
50. دومي ميلاد، "الهوية في حقبة الرقميات الإنسانية"، في: الهويات الرقمية إمكانية التعبير عنها وتعبقها، كتاب جماعي، جون بول فورمنترو وآخرون، ترجمة: عصام الحيا، منشورات ضفاف، الرياض، 2016.
51. راي لاري، ترجمة: الشريف خاطر، العولمة والحياة اليومية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2017.
52. ربح عبد العزيز، ما بعد الدولة-الأمة عند يورغن هابرماس، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011.
53. روبرتسون رونالد، ترجمة: أحمد محمود ونورا أمين، العولمة - النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 1998.
54. روكر رودولف، ترجمة: أحمد زكي أحمد، القومية والثقافة، الجزء الثاني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018.
55. ريمون كيني ولوك فان كبنهود، ترجمة: يوسف الجبائي، دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، المكتبة العصرية، بيروت، 1997.
56. زايد أحمد، المواطنة: الهوية الوطنية والمسؤولية الاجتماعية، دار العين للنشر، القاهرة، 2018.
57. الزبيدي عبد السلام، الميديولوجيا لدى ريجيس دوبريه: فلسفة الإنسان المبلّغ، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2019.
58. ساراتاكوس سوتيريوس، ترجمة: شحدة فارح، البحث الاجتماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017.
59. ساسن ساسكيا، ترجمة: عبد الرزاق جلي، علم اجتماع العولمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.
60. سعد الله فوزي، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، دار القرطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
61. سعيدوني ناصر الدين، المسألة الثقافية في الجزائر: النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2021.
62. سعيدوني ناصر الدين، في الهوية والانتماء الحضاري، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
63. شايعان داريوش، ترجمة: حيدر نجف، هوية بأربعين وجها، دار التنوير، بغداد، 2016.
64. شلحت يوسف، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، دار الفرائي- ANEP، لبنان، 2003.
65. شامة خير الدين، "إشكالية اللغة العربية في الجزائر بين مخلفات الاستعمار وضغط العولمة"، في: اللغة والهوية في الوطن العربي - إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، كتاب جماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013.
66. شيلر هيربرت، ترجمة: وجيه سمحان عبد المسيح، الاتصال والهيمنة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2007.
67. صاري الجيلالي وقداش محفوظ، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المقاومة السياسية 1900-1954: الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
68. العجيلي شمسي وهادين باترك، ترجمة: هيثم غالب الناهي، النظريات النقدية للعولمة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2016.
69. علي محمود محمد، المنطق السوري القديم بين الأصالة والتبعية: قضايا وإشكاليات، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، 2017.
70. غارودي روجيه، ترجمة: وجيه أسعد، الإسلام، الطبعة 2، منشورات ANEP، الجزائر، 2001.
71. غدنز أتنوني، ترجمة: فايز الصياغ، علم الاجتماع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.

72. غراويتز مادلين، ترجمة: سام عمار، **مناهج العلوم الاجتماعية**، الكتاب الثاني (منطق البحث في العلوم الاجتماعية)، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 1993.
73. غريتز كليفورد، ترجمة: محمد بدوي، **تأويل الثقافات**، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص 13.
74. غودار إلزا، ترجمة: سعيد بنكراد، أنا أوسيلفي إذا أنا موجود-تحولات الأنا في العصر الافتراضي، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، 2019.
75. فانون فرانتز، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، **معذبو الأرض**، الطبعة الثانية، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، 2015.
76. فورمنترو جون بول، "مقدمة عامة: الهويات والتواصلات الرقمية"، في: **الهويات الرقمية إمكانية التعبير عنها وتعقبها**، كتاب جماعي، منشورات ضفاف، بيروت، 2016.
77. فوش إيف، ترجمة: عبد الله اسكندر، **المساعدات الخارجية، التخلف، الاستعمار الجديد**، دار الحقيقة، دون لد نشر، 1978.
78. فيبر ماكس، ترجمة: محمد تركي، **الاقتصاد والمجتمع: الاقتصاد والأنظمة الاجتماعية والقوى الخلفيات - السيادة**، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2015.
79. فيبر ماكس، ترجمة: محمد علي مقلد، **الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**، مركز الإنماء القومي، لبنان، دون سنة نشر.
80. فيتروك بيورن، ترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، "تشكل العالم الحديث"، في: **الحداثة وانتقاداتها- قد الحداثة من منظور غربي**، دار توبقال للنشر، الرباط، 2006.
81. فيذرستون مايك، ترجمة: عبد الوهاب علوب، **ثقافة العولمة: القومية والعولمة والحداثة**، مكتبة الأسرة، 2005.
82. قداش محفوظ، ترجمة: محمد المعراجي، **جزائر الجزائريين: تاريخ الجزائر 1830-1954**، منشورات ANEP، الجزائر، 2008.
83. كaban فيليب ودورتيه جان فرانسوا، ترجمة: إيان حسن، **علم الاجتماع: من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية**، دار الفرقد، سوريا، 2010.
84. كاردون دومينيك، ترجمة: عصام محيا: "الهوية بصفتها استراتيجية علائقية"، في: **الهويات الرقمية: إمكانية التعبير عنها وتعقبها**، كتاب جماعي، منشورات ضفاف، بيروت، 2016.
85. كفالجيت سنج، ترجمة: رياض حسن، **عولمة المال**، دار الفرائي، لبنان، 2001.
86. الكنز علي، "الإسلام والهوية: ملاحظات للبحث"، في: **الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر**، كتاب جماعي، تحرير: رياض زكي قاسم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013.
87. الكنز علي، **حول الأزمة: 5 دراسات حول الجزائر والعالم العربي**، ذاكرة الأمة، الجزائر، 2015.
88. الكوخي محمد، **سؤال الهوية في شمال إفريقيا، إفريقيا الشرق**، المغرب، 2014.
89. كوش دنيس، ترجمة: منير السعيداني، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.
90. كولير بول، ترجمة: مصطفى ناصر، **الهجرة: كيف تؤثر في عالمنا؟**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2016.
91. كومو سيرافينا، ترجمة: مصطفى قاسم، **التقنية والثقافة في العصور القديمة**، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2012.
92. كونرتون بول، ترجمة: علي فرغلي، **كيف يغزو النسيان ذاكرة الحداثة**، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016.
93. كيسو إمانويل وراي بينيديكت، "اقتصاد الاهتمام والحياة الخاصة"، في: **الهويات الرقمية إمكانية التعبير عنها وتعقبها**، كتاب جماعي، جون بول فورمنترو وآخرون، ترجمة: عصام المحيا، منشورات ضفاف، الرياض، 2016.
94. لتشنر فرانك جي. وبولي جون، ترجمة: فاضل جتكر، **العولمة: الطوفان أم الإنقاذ؟ الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004.

95. لصلح عائشة، "الشبكات الاجتماعية والهوية الثقافية والاجتماعية للشباب"، في: السؤال عن الهوية، كتاب جماعي، إشراف: البشير ريوح، منشورات ضفاف، بيروت، 2016.
96. لوبروطون دافيد، ترجمة: فريد الزاهي، تجربة الألم: بين التحطيم والانبعاث، دار توبقال للنشر، المغرب، 2017.
97. لوبون جوستاف، ترجمة: أحمد فتى باشا زغلول، روح الاجتماع، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2005.
98. لوبون غوستاف، ترجمة: عادل زعيتر، السنن النفسية لتطور الأمم، دار المعارف، مصر، 1950.
99. لوغوف جاك، ترجمة: جمال شحيد، التاريخ والذاكرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017.
100. لوكا فيليب وفاتان جون كلود، ترجمة: محمد يحياتن وآخرون، جزائر الأنثروبولوجيين: نقد السوسيولوجيا الكولونيالية، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال - وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002.
101. ليفي بيير، ترجمة: رياض الكحال، عالمنا الافتراضي: ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، 2018.
102. ليفي شتراوس كلود، ترجمة: شاكر عبد الحميد، الأسطورة والمعنى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
103. ليكلرك جبرار، ترجمة: جورج كنورة، العولمة الثقافية: الحضارات على المحك، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2004.
104. ليوتار جان-فرانسوا، ترجمة: أحمد حسان، الوضع ما بعد الحداثي - تقرير عن المعرفة، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994.
105. ماركس كارل وإنجلز فردريك، ترجمة: العفيف الأخضر، البيان الشيوعي، منشورات الجمل، بيروت، 2015.
106. ماركس كارل، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، مخطوطات كارل ماركس لعام 1844، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1974.
107. مباركية منير، مفهوم المواطنة في السولة الديمقراطية المعاصرة وحالة المواطنة في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013.
108. محمود محمد عدنان، الثقافة السياسية العربية: سؤال الوطن ومعضلة العولمة، دار قناديل للنشر والتوزيع، بغداد، 2021.
109. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة الإسلامية بالجزائر، الجزائر، 1931.
110. المسيري عبد الوهاب، فني التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، 2003.
111. معلوف أمين، ترجمة: نهلة بيضون، الهويات القاتلة، الطبعة الرابعة، دار الفارابي، بيروت، 2016.
112. منصوري نديم، العصبية في المجتمع الرقمي: قراءة سوسيولوجية في تمدد الفكر التقليدي الموروث نحو الوسائط الرقمية، منتدى المعارف، بيروت، 2022.
113. موران إدغار، ترجمة: عبد الرحيم حزل، هل نسير إلى الهاوية؟، أفريقيا الشرق، المغرب، 2012.
114. موران إدغار، ترجمة: هناء صبحي، النهج - إنسانية البشرية الهوية البشرية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث - كلمة، الإمارات العربية المتحدة، 2009.
115. موراي ورويك، ترجمة: سعيد منتاق، جغرافيات العولمة: قراءة في تحديات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2013.
116. موسى عبد الله، فلسفة القيم - الأصول والامتدادات، منشورات الاختلاف، تونس، 2018.
117. موني أنابيل وإيفانز بيتسي، ترجمة: آسيا دسوقي، العولمة: المفاهيم الأساسية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009.
118. ميفري إيريك، ترجمة: نصر الدين العياضي، سوسيولوجيا الاتصال والميديا، هيئة البحرين للثقافة والنشر، المنامة، 2018.
119. ميكشيللي أليكس، ترجمة: علي وطفة، الهوية، دار الوسيم للخدمات الطباعة، دمشق، 1993.
120. نايت بلقاسم مولود قاسم، "الإتيّة والأصالة"، محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الإسلامي، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة، الجزائر، 10-19 أوت 1970.

121. نايت بلقاسم مولود قاسم، **إثنية وأصالة**، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية - مطبعة البعث، قسنطينة، 1975.
 122. نايت بلقاسم مولود قاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، الجزء الأول، شركة دار الأمة، الجزائر، 2007.
 123. نيكسون ريتشارد، ترجمة: محمد عبد الحليم أبو غزالة، **1999 نصر بلا حرب**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1988.
 124. هابرماس يورغن، ترجمة: جورج تامر، **الحدائق وخطابها السياسي**، دار النهار للنشر، بيروت، 2002.
 125. هوبر بول، ترجمة: طلعت الشايب، **نحو فهم للعولمة الثقافية**، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
 126. هوبزباوم إيريك ورينجر تيريس، ترجمة: أحمد لطفي، **اختراع التقاليد: دراسة في نشأة التقاليد ودوافعها وتطوراتها**، دار الكتب الوطنية، الإمارات العربية المتحدة، 2013.
 127. هيرست بول وتومبسون غراهام، ترجمة: إبراهيم فتحي، **مسألة العولمة: الاقتصاد الدولي وإمكانات التحكم**، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1999.
 128. ولتون دومينيك، ترجمة: جورج شرف، **العولمة - البعد الآخر**، الدار اللبنانية للنشر الجامعي، بيروت، 2005.
 129. ولتون دومينيك، ترجمة: محمد خير محمود البقاعي، **"الترجمة: جواز عبور للوصول إلى الآخر"**، في: **الترجمة والعولمة**، كتاب جماعي، كوكبة من الباحثين، منشورات ضفاف، الرياض، 2013.
 130. ولد خليفة محمد العربي، **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية**، موف للنشر (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية)، الجزائر، 2016.
 131. ولد خليفة محمد العربي، **من التحرير إلى التولة الوطنية الديمقراطية والاجتماعية: رهانات وتحديات**، موف للنشر (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية)، الجزائر، 2017.
 132. وينكين إيف، ترجمة: خالد عمراني، **أنثروبولوجيا التواصل من النظرية إلى ميدان البحث**، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2018.
- ثانيا: المعاجم، القواميس والموسوعات.**
133. ابن منظور الأنصاري جمال الدين، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، الجزء السابع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.
 134. أبو العزم عبد الغني، **معجم الغني الزاهر**، مؤسسة الغني للنشر، مصر، 2013.
 135. البدري توفيق، **"مفهوم الأمة وأوصافها في القرآن الكريم"**، إسلامية المعرفة: مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، السنة الرابعة والعشرون، العدد. 94، 2018، المغرب.
 136. بونت بيار وآخرون، ترجمة: مصباح الصمد، **معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا**، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، بيروت، 2011.
 137. سبيلا محمد والهرموزي نوح، **موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة**، منشورات المتوسط، ميلانو - بغداد، 2017.
 138. عمر أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، 2008.
 139. فيبر ماكس، ترجمة: صلاح هلال، **مفاهيم أساسية في علم الاجتماع**، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
 140. فيريول جيل، ترجمة: أنسام محمد الأسعد، **معجم مصطلحات علم الاجتماع**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2011.
 141. لالاند أندريه، ترجمة: خليل أحمد خليل، **موسوعة لالاند الفلسفية**، المجلد الثاني، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2012.
 142. مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، مجمع اللغة العربية، مصر، 1989.
 143. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2008.

ثالثا: المجلات العلمية.

144. أبو جبر حجاج، "هل من مكان للهوية في عالم معولم؟ استكشاف "الهوية السائلة" عند زيغيمونت باومان"، مجلة تبيين، المجلد. 11، العدد. 41، 2022. المعزف الرقمي: <https://doi.org/10.31430/LGHL7405>.
145. بن شاعة بيران، "تشكل الهوية الدينية في الجزائر"، مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الأغواط، المجلد. 8، العدد. 2، 2014.
146. بومدين عربي وبوسنية سعاد، "اللغة والهوية في الجزائر في زمن العولمة: نحو استكشاف العلاقة"، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، السنة. 41، العدد. 481، مارس 2019.
147. بيبينون كلثوم، "السياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي: من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعية"، مجلة إضافات، العددين. 33-34، شتاء - ربيع 2016.
148. جمال مالكي وبن جلول هزري، "المظهر الإصلاحي للنشاطات الاحتفالية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال جريدة البصائر 1935 - 1956 دراسة تاريخية أنثروبولوجية"، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد. 18، العدد. 01، جانفي 2022.
149. الحسنواوي عبد الرحيم، "الذاكرة والهوية: إضاءة إستيمولوجية"، مجلة المستقبل العربي، العدد. 474، 2018.
150. رضوان بوقرة وحنان رقاد، "مواقع التواصل الاجتماعي وخطاب التطرف قراءة في الرهانات والاستراتيجيات"، مجلة بحوث ودراسات في الميديا الجديدة، المجلد. 1، العدد. 4، 2022.
151. سبارتي ديفيد، ترجمة: زاوي بغورة، "الهوية وإحراجاتها: من الهوية الشخصية إلى الاعتراف الاجتماعي"، مجلة تبيين، المجلد. 11، العدد. 41، 2022. المعرف الرقمي: <https://doi.org/10.31430/FZUO9632>.
152. سعاد بوجلوجية، "معالم الهوية الوطنية الجزائرية لدى ابن باديس"، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، المجلد. 04، العدد. 01، جانفي 2023، ص 79.
153. سوكاح زهير، "مراجعة كتاب الذاكرة الجمعية لـ موريس هالفاكس"، مجلة تبيين، المجلد. 9، العدد. 33، 2020.
154. سيد أحمد أميرة محمد محمد، "دور الصفحات الدينية على مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي الديني لدى الشباب"، المجلة العلمية لبحوث الصحافة، العدد. 3.
155. شريفة بريجة وقويدر سيكوك، مفهوم الهوية: النشأة والتطور في تاريخ أوروبا الحديث مقارنة سوسيو-أنثروبولوجية، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد. 07، العدد. 02، 2021.
156. عز العرب إيمان محمد، "المجتمع الشبكي وأزمة الهوية: دراسة تطبيقية على عينة من مستخدمي موقع الفيس بوك"، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد. 48، مصر، أكتوبر 2018.
157. عمر مطرف وبوخضرة بن معمر، "الأعياد والمناسبات الاحتفالية في المجتمع الجزائري بين العادات الاجتماعية والمظاهر الفرجية - دراسة أنثروبولوجية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد. 52، ديسمبر 2019.
158. الغزواني إدريس، "مانويل كاستلر ومفهوم مجتمع الشبكات من المجتمع إلى الشبكة: نحو مقارنة تأويلية للهوية والسلطة في عصر المعلومات"، مجلة عمران، العدد. 30، المجلد. 9، صيف 2020.
159. فلوسي مسعود، "المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد. 01، العدد. 01، 2004.
160. مبارك علي الطالب وبلخضر مزوار، "الهوية وأتماط الدين في الجزائر"، الحوار الثقافي، المجلد. 06، العدد. 02، سبتمبر 2017.

161. مناصرة ميمونة، "الهوية بين الأنا والآخر: قراءة في التراث المعرفي"، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، المجلد. 06، العدد. 01، جوان 2019.
162. منزل غرابة زكية وشكريب آسيا، "الإلحاد الجديد عرب شبكات التواصل الاجتماعي صفحة" شبكة الملحدون العرب" على الفيسبوك أنموذجاً - دراسة تحليلية"، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية - جامعة زيان عاشور الجلفة، المجلد. 8، العدد. 1، مارس 2023.
163. الوليد رفاس، "دور الفيسبوك في نشر الوعي الديني لدى الأفراد: دراسة على بعض الصفحات الفيسبوكية المتخصصة"، مجلة الإعلام والمجتمع، المجلد. 06، العدد. 02، ديسمبر 2022.
164. ضربان حفيظة ورمضاني صورا، "عرض الهوية في الحياة الافتراضية دراسة سوسيولوجية لتقنيات عرض الذات عبر مواقع التواصل الاجتماعي - الفيسبوك أنموذجاً" مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد. 15، العدد. 02، سبتمبر 2021.
165. زايد أحمد، "عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية، مجلة عالم الفكر، المجلد. 32، العدد. 1، 1 يوليو 2003.
166. الصديقي سعيد، "الهجرة العالمية وحقوق المواطنة"، السياسة الدولية، المجلد. 42، العدد. 168، أبريل 2007.
167. رميته أحمد، "إشكالات الدولة الوطنية المعاصرة"، مجلة دفاتر علم الاجتماع، المجلد. 1، العدد. 2، 2013.
168. الطعان سليمان، "النشيد الوطني النشأة، الرمزية، الوظيفة: نماذج من الأناشيد الوطنية العربية"، الدراسات، العدد. 15، 2021.
169. الحشان فارس بن أحمد عبد الله، "دور مواقع التواصل الاجتماعي في إدارة السمعة لدى المؤسسات الحكومية"، المجلة المصرية لبحوث الاتصال الجماهيري كلية الإعلام جامعة بين سويف، المجلد. 5، العدد. 2، 2023.
170. عامر رضا، "حضور التراث الشعبي الجزائري عبر شبكات التواصل الاجتماعي وتطبيقات الهاتف النقال"، مجلة آفاق علمية، المجلد. 10، العدد. 02، 2018.
171. أنيس ماريان مراد، "علاقة متغيري السن والنوع بكثافة التعرض لمواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك - تويتر - اليوتيوب - المدونات)"، المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والإعلان، العدد. 09، يناير 2017.
172. جوييدة عميرة، "إشكالية التوزيع السكاني في الجزائر"، مجلة الباحث، المجلد. 3، العدد. 1، ديسمبر 2011.
173. حاتم ساتي ومحمد قندوز، "إحصائيات عن الجامعة الجزائرية 1962-2018"، مجلة منارات لدراسات العلوم الاجتماعية، المجلد. 01، العدد. 02، 2019.

رابعاً: الملتقيات العلمية.

174. صحراوي راضية، "الفرانكوأراب: واقع استعمال العربية في مواقع التواصل الاجتماعي"، في: التكنولوجيا الجديدة ودورها في صناعة اللغة العربية واستعمالها، أعمال ملتقى، منشورات المجلس، الجزائر، 2017.

خامساً: الأطاريح الجامعية.

175. فيلاي سليمة، "بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة - دراسة على عينة من الطلبة الجامعيين بجامعة باتنة"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الثقافي، جامعة محمد خيضر - بسكرة، السنة الجامعية: 2013-2014.

176. ملاك سعيد، "سوسيولوجية الشبكات الاجتماعية عبر الإنترنت - دراسة تحليلية سوسيو-ثقافية على شبكة ذاتية على الفيسبوك"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله، السنة الجامعية: 2015 - 2016.
177. مناصرة ميمونة، "هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة-من منظور أساتذة جامعة بسكرة"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم اجتماع التنمية، جامعة محمد خيضر-بسكرة، السنة الجامعية: 2011-2012.
178. واربم العيد، "البعد الثقافي للعولمة وأثره على هوية الشباب الجامعي الجزائري - دراسة ميدانية على طلبة بعض الجامعات الجزائرية"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم اجتماع التربية، جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2، السنة الجامعية: 2017-2018.

سادسا: التقارير والمنشورات الرسمية.

179. الباروميتر العربي، "الجزائر: التقرير القطري"، الباروميتر العربي - الدورة الخامسة، 2019.
180. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية"، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 82، 30 ديسمبر 2020 الموافق ل 15 جمادى الأولى 1442 هـ، الجزائر.
181. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "قانون رقم 05-20 يتعلق بالوقاية من التمييز وخطاب الكراهية ومكافحتها"، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 25، 5 رمضان عام 1441 الموافق 28 أبريل سنة 2020، الجزائر.
182. رئاسة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "بيان مجلس الوزراء ليوم الأحد 91 جوان 2022"، مجلس الوزراء، الجزائر، 2022.
183. رئاسة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "بيان مجلس الوزراء 2023-05-28"، مجلس الوزراء، الجزائر، 2023.
- الديوان الوطني للإحصائيات، "حوصلة إحصائية 1961-2020: الديموغرافيا"، الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر، 2020، رابط تحميل التقرير: https://www.ons.dz/IMG/pdf/CH1_Demographie1962_2020Ar.pdf.
184. سلطة ضبط البريد والاتصالات الإلكترونية، "مرصد سوق الإنترنت في الجزائر - الثلاثي الأول 2023"، سلطة ضبط البريد والاتصالات الإلكترونية، الجزائر، 2023، ص 2، رابط التحميل: <https://www.arpce.dz/ar/file/a9o4i2>.
185. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "قانون العقوبات"، الأمانة العامة للحكومة، الجزائر، 2012.
186. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "مرسوم رئاسي رقم 21-139 يتعلق بالمرصد الوطني للمجتمع المدني"، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 29، الجزائر، 29 شعبان عام 1442 الموافق 12 أبريل سنة 2021.

سابعا: المصادر الإلكترونية.

187. الباروميتر العربي، "الشباب العربي يتصدرون عودة المنطقة إلى الدين"، الباروميتر العربي، تاريخ النشر: 2023-03-27، يوم الاطلاع: 2023-11-27، وقت الاطلاع: 12:19، الرابط: <https://www.arabbarometer.org/ar/2023/03>.
188. عليوة أحمد، "نصف الجزائريين يفضلون 'الايوجي' للتعبير عن مشاعرهم"، جريدة الشروق، تاريخ النشر: 2020-07-25، يوم الاطلاع: 2023-07-30، وقت الاطلاع: 20:59، الرابط: <https://www.echoroukonline.com/%D9%86%>.

189. قناة العربية، "أندكرون قضية الجزائري المحروق ظلما؟ تفاصيل مثيرة تتكشف"، موقع قناة العربية، نشر في: 18 نوفمبر 2022، يوم الاطلاع: 2024-01-10، وقت الاطلاع: 02:27، الرابط: <https://www.alarabiya.net/north-africa/2022/11/18/%D8%A3%D8%AA%14:50>، الرابط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث - سوسيولوجيا آلان تورين (mominoun.com)
190. لكعشمي عثمان، "سوسيولوجيا آلان تورين"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، يوم الاطلاع: 2023-04-30، وقت الاطلاع: 14:50، الرابط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث - سوسيولوجيا آلان تورين (mominoun.com)
191. بن كحول حاتم، "وزير التعليم العالي والبحث العلمي يكشف: 5 ملايين طالب تخرجوا من الجامعات الجزائرية منذ الاستقلال"، جريدة النصر، نشر في: 2021-10-11، يوم الاطلاع: 2023-08-10، وقت الاطلاع: 17:18، الرابط: <https://www.annasronline.com/index.php/2014-08-09-10-33-20/2014-08-23-11-15-15/186121-5-177>
192. وزارة الداخلية والجماعات المحلية، "تنظيم وزارة الداخلية والجماعات المحلية"، موقع وزارة الداخلية والجماعات المحلية، يوم الاطلاع: 2023-08-15، وقت الاطلاع: 02:31، الرابط: <https://www.interieur.gov.dz/index.php/ar/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B2%D916:16>، الرابط: <https://www.diplomatie.gouv.fr/ar/dossier-pays/afrique-du-nord-et-moyen-orient>
193. الدبلوماسية الفرنسية، "فرنسا والجزائر"، الموقع الرسمي لوزارة أوروبا والشؤون الخارجية، يوم الاطلاع: 2023-08-16، وقت الاطلاع: 16:16، الرابط: <https://www.diplomatie.gouv.fr/ar/dossier-pays/afrique-du-nord-et-moyen-orient>
194. جابي ناصر، "لماذا لن تتوقف حرب الهويات في الجزائر؟"، جريدة القدس، نشر في: 17 ماي 2020، يوم الاطلاع: 2024-01-10، وقت الاطلاع: 02:45، الرابط: <https://www.alquds.co.uk/%D9%84%D9%85%D8%A02:45>
195. الحيدوي الطيب، "الاعتراف وهوية الذات المواطنة في الفضاء العمومي المشترك"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، يوم الاطلاع: 2024-01-30، وقت الاطلاع: 14:35، الرابط: <https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D8%A714:35>
196. النشار مصطفى، "جدل الهوية والاختلاف في الفلسفة الهيلينية"، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، يوم الاطلاع: 2023-10-15، وقت الاطلاع: 14:50، الرابط: <https://www.mominoun.com/articles/%D8%AC%D8%AF%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%87%2023>
197. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "دلالات ألوان علم الدولة الجزائرية"، الموقع الرسمي للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، يوم الاطلاع: 2024-02-10، وقت الاطلاع: 15:40، الرابط: <https://www.el-mouradia.dz/ar/algeria/symbols/flag>

المراجع باللغات الأجنبية:

First: Books.

198. Albrow Martin, **The Global Age:- Stat and Society Beyond Modernity**, Stanford University Press, Stanford, 1997.
199. Bestor Theodore C, "How Sushi Went Global", In: **The Globalization Reader**, collective book, Edited by: Frank J. Lehner and John Boli, Fifth edition, WILEY Blackwell, The United Kingdom., 2015.
200. Bourdieu Pierre, **Sociologie de l'Algérie**, Que sais-je?, 8^{ème} édition, Presses Universitaires de France (Puf), Paris, 2006.
201. Burr Vivien, **Social Constructionism**, the 3rd edition, Routledge, London, 2015,

202. Calhoun Craig, **Social Theory and the Politics of Identity**, Blackwell, Oxford, 1994.
203. Castells Manuel, **The Internet Galaxy: Reflections on the Internet, Business, and Society**, Oxford University Press, New York, 2001.
204. Castells Manuel, **The Power of Identity**, in: The Information Age: Economy, Society and Cultures, vol.2, 2nded, Wiley-BLACKWELL, UK, 2010.
205. Castells Manuel, **The Rise of Network Society**, in: The Information Age: Economy, Society and Cultures, vol.1, 2nd ed, Wiley-BLACKWELL, UK, 2010.
206. Castells Manuel, "Informationalism, networks, and the network society: a theoretical blueprint", in: **The Network Society: A Cross-cultural Perspective**, Edited by: Manuel Castells, Edward Elgar Publishing, UK/USA, 2004.
207. De La Blache Paul Vidal, Translated by: Millicent Todd Bingham, **Principles of Human Geography**, Constable and Company Ltd. London, 1926.
208. Durkheim Emile, translated by: George Simpson, **The Division of Labor In Society**, The Free Press Of Glencoe, Illinois, 1962.
209. Feenberg Andrew, **Questioning Technology**, Routledge, London, 1999.
210. Giannoulis Elena and Wilde Lukas R.A, "Emoticons, Kaomoji, and Emoji The Transformation of Communication in the Digital Age [Introduction]", In: **Emoticons, Kaomoji, and Emoji The Transformation of Communication in the Digital Age**, collective book, Edited by: Elena Giannoulis and Lukas R.A. Wilde, Routledge, New York, 2020.
211. Giddens Anthony, **The Consequences of Modernity**, Stanford University Press, Stanford, 1990.
212. Goffman Erving, **STIGMA: Notes on The Management of Spoiled Identity**, Simon and Schuster Inc, New York, 1963.
213. Goffman Erving, **The Presentation of Self in Everyday Life**, University of Edinburgh Social Sciences Research Centre, Edinburgh, 1956.
214. Griffiths James , **The Great Firewall of China: How to Build and Control an Alternative Version of the Internet**, Zed Books, London, 2021, DOI: [10.5040/9781350257948](https://doi.org/10.5040/9781350257948).
215. Hannerz Ulf, **Cultural Complexity: Studies in the Social Organization of Meaning**, Columbia University Press, New York, 1992.
216. Harvey David, **The Condition of Postmodernity**, Blackwell, Londen, 1989.
217. Horst Heather A and Miller Daniel, "The Digital and the Human: A Prospetus for Digital Anthropology", **Digital Anthropology**, collective book, Edited by: Heather A.Horst and Daniel Miller, BERG, Londen-New York, 2012.

218. James Deborah and Drakich Janice, "Understanding Gender Differences in Amount of Talk: A Critical Review of Research", In: **Gender and conversational interaction**, collective book, Edited by: Deborah Tannen, collective book, Oxford University Press, Oxford, 1993.
219. James Nalita and Busher Hugh, "Online Interviewing", in: D. Silverman (Editor), **Qualitative Research Methods**, Leicester, 2016.
220. Kant Tanya, **Making It Personal: Algorithmic Personalization, Identity, and Everyday Life**, Oxford University Press, The United States of America, 2020.
221. Katsumata Yuka, **How many more Emoji do we need? Examining the Unicode Consortium's Vision of World Standard of Emoji**, Media@LSE, London, 2022.
222. Kirkpatrick David, **The Facebook effect: the inside story of the company that is connecting the world**, Simon & Schuster, New York, 2010.
223. Kleingeld Pauline, **Kant and Cosmopolitanism: The Philosophical Ideal of World Citizenship**, Cambridge University Press, Cambridge, 2012.
224. Le Breton David, **Signes d'identité. Tatouages, piercings et autres marques corporelles**. Éditions Métailié, Paris, 2002.
225. Lebow Richanrd Ned, "Max Weber and International Relations", in: **Max Weber and International Relations**, collective book, Edited by: Richanrd Ned Lebow, Cambridge University Press, The United Kingdom, 2017.
226. Marwick Alice E, "Online Identity", in: **A Companion to New Media Dynamics**, collective book, Edited by: John Hartley AM and others, Blackwell Publishing Ltd, 2013. DOI: <https://doi.org/10.1002/9781118321607.ch23>.
227. McLuhan Marshall, **Understanding Media: The Extensions of Man**, The MIT Press, Cambridge and London, 1994.
228. Megherbi Abdelghani, **Culture et Personnalité Algérienne de Massinissa à Nos Jours**, ENAL-OPU, Alger, 1986.
229. Mikkelsen John, **The Metaverse: A New Virtual World**, independently published (Copyright©John Mikkelsen), No publishing place, 2023.
230. Oldenburg Ray, **The Great Good Place**, Hachette Books, New York, 1999.
231. Pariser Eli, **The Filter Bubble: What The Internet Is Hiding From You**, The Penguin Press, New York, 2011.
232. Rheingold Howard, **The Virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier**, The MIT Press, Cambridge, 2000.

233. Rice Jesse, **The Church of Facebook: How the Hyperconnected Are Redefining Community**, David C Cook, the United States of America, 2009.
234. Rogers Everett M, **Diffusion of Innovations**, 3^{ed} Edition, The Free Press, New York, 1983.
235. Sbardelotto Moisés, "Facebook as a Third Space of Digital Catholicism: The "Catholic" in Circulation and Reconstruction", In: **The Third Spaces of Digital Religion**, collective book, Edited by: Nabil Echchaibi and Stewart M. Hoover, Routledge, New York, 2023.
236. Serres Michel, **Atlas**, Julliard, Paris, 1994.
237. Smith Anthony D., **National Identity**, Penguin books, England, 1991.
238. Stora Benjamin, **Ils venaient d'Algérie. L'immigration algérienne en France (1912-1992)**, Edition Fayard, La France, 1992.
239. Tajfel Henri and Turner John C, "The Social Identity Theory of Intergroup Behavior", in: **Psychology of Intergroup Relation**, collective book, Edited by: Stephen Worchel and William G. Austin, Hall Publishers, Chicago, 2004.
240. Tonnies Ferdinand, translated and edited by: Charles Price Loomis, **Community and Society**, Dover Publications Inc, New York, 2002.
241. Trepanier Lee, Habib Khalil M, "Cosmopolitanism in the Age of Globalization: Citizens without States [Introduction]", in: **Cosmopolitanism in the Age of Globalization: Citizens without States**, collective cook, Edited by: Lee Trepanier, Khalil M. Habib, The University Press of Kentucky, Kentucky, 2011.
242. Turkle Sherry, **Alone Together: Why We Expect More from Technology and Less from Each Other**, Basic Books, New York, 2011.
243. Turkle Sherry, **The Second Self: Computers and the Human Spirit**, Twentieth Anniversary Edition- The MIT Press, Massachusetts, 2005.
244. Van Djik Jan, **The Network Society: Social Aspects of New Media**, 2nd edition, SAGE Publications, London, 2006.
245. Wark McKenzie, **Virtual Geography: Living with Global Media Events**, Indiana University Press, The United States of America, 1994.
246. Weizenbaum Joseph, **Computer Power and Human Reason: From Judgment to Calculation**, W. H. Freeman and Company, New York-San Francisco, 1976.

Second: Dictionaries, Encyclopedias and Handbooks.

247. Abercrombie Nicholas and others, **The Penguin Dictionary of Sociology**, 5th Edition, Penguin Books, England, 2006.
248. Barnard Alan and Spencer Jonathan (Ed), **Encyclopedia Of Social And Cultural Anthropology**, Routledge, London, 2002.
249. Breuilly John, "Nation, Nation-State, and Nationalism", in: **The Oxford Handbook of Max Weber**, Edited by: Edith Hanke and others, Oxford University Press, New York, 2020.
250. Brey Philip and Søraker Johnny Hartz, "Philosophy of Computing and Information Technology", in: **Handbook of the Philosophy of Science, Philosophy of Technology and Engineering Sciences**, Edited by: Anthonie Meijers, North-Holland, 2009.
251. Bruce Steve and Yearley Steven, **The Sage Dictionary of Sociology**, SAGE Publications, London, 2006.
252. Chandler Daniel and Munday Rod, **A Dictionary of Media and Communication**, Oxford University Press, New York, 2011.
253. Cohen Robin and Toninato Paola, "The Creolization Debate: Analyzing Mixed Identities and Cultures", in: **The Creolization Reader: Studies in Mixed Identities and Cultures**, collective book, Edited by: Robin Cohen and Paola Toninato, Routledge, Oxford. England, 2010.
254. Garmonsway George Norman and Simpson Jaqueline, **The Penguin English Dictionary**, 2nd Edition, Penguin Books, England, 1969.
255. Latcheva Rossalina, "Measuring National Identity", in: **Encyclopedia of Quality of Life and Well-Being Research**, Edited by: Alex C.michalos, Springer, Dordrecht. DOI: https://doi.org/10.1007/978-94-007-0753-5_4143.
256. Mock Steven J, "Civic Patriotism Vs Ethnic Nationalism ", in: **Handbook of Patriotism**, Edited by: Mitja Sardoč Springer, Switzerland, 2020.
257. Neumann Dominik, "Fear of Missing Out", in: **The International Encyclopedia of Media Psychology**, Edited by: Jan Van den Bulck, John Wiley & Sons, Inc, 2020. DOI: <https://doi.org/10.1002/9781119011071.iemp0185>,
258. Oxford, **Oxford Advanced Learner's Dictionary**, Oxford University Press, Oxford, UK, 2010.
259. Segal Gerald, **Defending China**, Oxford University Press, England, 1985.
260. Tartakovsky Eugene, "National Identity", **Encyclopedia of Adolescence**, Springer, New York, .DOI: https://doi.org/10.1007/978-1-4419-1695-2_367.
261. Teo Thomas, **Encyclopedia of Critical Psychology**, Chapter M, Springer Reference, New York, 2014.
262. Unkown Writer, **Collins' Etymological Dictionary**, Collins' Clear-Type Press, UK, 1960.

263. VandenBos Gary R (Ed), **A.P.A. dictionary of psychology**, 2nd edition, American Psychological Association, The United States of America, 2015. DOI: <https://doi.org/10.1037/14646-000>.
264. Warf Barney (Editor), **The SAGE Encyclopedia of The Internet**, SAGE Publications, the United States of America, 2018.
265. Whitney William Dwight (Editor), **The Century Dictionary and Encyclopedic Lexicon of the English Language**, Part XIV, The Century Company, New York, 1889.

Third: Scientific Journals.

266. Alburaidi Abeer M, "Gender Differences in the Use of Emojis Among Genders", **International Journal of English Linguistics**, Vol. 13, No. 5, 2023. DOI: <https://doi.org/10.5539/ijel.v13n5p45>.
267. Anthony D. Smith, "Towards a Global Culture?", **Theory, Culture & Society**, Vol.7, Issue. 2-3, 1990, London, Newbury Park and New Delhi, DOI: <https://doi.org/10.1177/026327690007002011>.
268. Ballester-Arnala Rafael and others, "Pornography Consumption in People of Different Age Groups: an Analysis Based on Gender, Contents, and Consequences", **Sexuality Research and Social Policy**, Vol. 20, 2023. DOI: <https://doi.org/10.1007/s13178-022-00720-z>.
269. Barnett George A and Park Han Woo, "The structure of international Internet hyperlinks and bilateral bandwidth", **annals of telecommunications**, Vol.60, N. 9-10, No publishing country, 2005.
270. Bauman Zygmunt, "Identity in the globalizing world", **Social Anthropology**, Vol. 9, Issue. 02, 2001. DOI: <https://doi.org/10.1017/S096402820100009X>.
271. Brubaker Pamela Jo and Haigh Michel M, "The Religious Facebook Experience: Uses and Gratifications of Faith-Based Content", **Social Media + Society**, Vol. 3, No. 2, April 2017. DOI: <https://doi.org/10.1177/2056305117703723>.
272. Brügger Niels, "A brief history of Facebook as a media text: The development of an empty Structure", **First Monday**, Vol.20, Num.5, 2015. DOI: <https://doi.org/10.5210/fm.v20i5.5423>.
273. Büchi Moritz and others, "Making sense of algorithmic profiling: user perceptions on Facebook", **Information, Communication & Society**, Vol.26, No.4, 2023. DOI: <https://doi.org/10.1080/1369118X.2021.1989011>.
274. Dor Daniel, "From Englishization to Imposed Multilingualism: Globalization, the Internet, and the Political Economy of the Linguistic Code", **Public Culture**, Vol.16, No.1, winter 2004.
275. Eriksen Thomas Hylland, "Nationalism and the Internet", **Nations and Nationalism**, Vol.13, Issue. 1, The United States of America, 2007.

276. Eugène Schoenfeld, "Privatization and Globalization: A Durkheimian Perspective on Moral and Religious Development ", **Archives des sciences sociales des religions**. No. 69, Paris, 1990.
277. Foster Robert J, "Making National Cultures In The Global Ecumene", **Annual Review of Anthropology**, Vol. 20, The United States of America, 1991.
278. Georges Fanny and others, " Sémiotique et visualisation de l'identité numérique: une étude comparée de Facebook et Myspace", **HALL open science**, HAL Id: hal-00410952, 2009. DOI: <https://hal.science/hal-00410952>.
279. Georges Fanny, "L'identité numérique sous emprise culturelle De l'expression de soi à sa standardisation", **Les Cahiers du numérique**, Vol.7, No.1, 2011.
280. Gilbert Margaret, "A Real Unity of Them All", **The Monist**, Vol. 92, No. 2, Illinois, April 2009.
281. Graham Kurtis, "The ethnic conflicts and mass media", **Journal of Liberty and International Affairs**, Vol. 4, No. 1, 2018.
282. Hansen Holley E and Vicki Hesli L, "National Identity: Civic, Ethnic, Hybrid, and Atomised Individuals", **Europe-Asia Studies**, Vol. 61, No. 1, Glasgow, January 2009. DOI: <https://doi.org/10.1080/09668130802532894>.
283. Hobsbawm Eric, "Language, Culture and National Identity", **Social Research**, Vol.63, No.4, The United States of America, 1996.
284. Hunt Robert and McKelvey Fenwick, "Algorithmic Regulation in Media and Cultural Policy A Framework to Evaluate Barriers to Accountability", **Journal of Information Policy**, Vol.9, Pennsylvania, 2019.
285. Inglis David, "A Durkheimian Account of Globalization: The Construction of Global Moral Culture", **Durkheimian Studies**, Berghahn Books, Vol. 17, New York, 2011.
286. James Paul and Steger Manfred B, "A Genealogy of 'Globalization': The Career of a Concept", **Globalizations**, Routledge, Vol. 11, No. 04, 2014.
287. Jeresano Eliza M and Carretero Marigrace D, "Digital Culture and Social Media Slang of Gen Z", **United International Journal for Research & Technology**, Vol. 3, Issue 04, 2022.
288. Juris Jeffrey S, "Anti-Globalization Movement ", in: **Encyclopedia of Social Problems**, Editors: Vincent N. Parrillo, Sage Publications, The United States of America, 2008.
289. Knott Eleanor, "Nationalism and belonging: introduction", **Nations and Nationalism**, Vol.23, No.2, 2017. DOI: <https://doi.org/10.1111/nana.12297>.

290. Levickaitė Rasa , "Generations X, Y, Z: How Social Networks Form The Concept Of The World Without Borders (The Case Of Lithuania)", **LIMES: Cultural Regionalistics**, Vol. 3, No. 2, 2010. DOI: <https://doi.org/10.3846/limes.2010.17>.
291. Lin Xin Yao and others, "Age Differences In The Relationship Between Daily Social Media Usage And Affect", **Innovation in Aging**, Vol. 4, No.1, 2020. DOI: <https://doi.org/10.1093/geroni/igaa057.1320>.
292. Lopez-Rocha Sandra, "Nethnography in Context: Methodological and Practical Implications of Virtual Ethnography", **The International Journal of Interdisciplinary Social Sciences**, Vol. 5, The United States of America, 2010.
293. Maslow Abraham H, "A theory of human motivation", **Psychological Review**, Vol. 50, No. 5. 2013, DOI: <https://doi.org/10.1037/h0054346> .
294. Matei Corina Sorana, "Globalization - An Anthropological Approach", **Proedia - Social and Behavioral Sciences**, No.149, Bucharest, September 2014.
295. Meynier Pierrette and Meynier Gilbert, "L'immigration algérienne en France: histoire et actualité", **Confluences Méditerranée**, Vol. 2, No. 77, 2011. DOI: <https://doi.org/10.3917/come.077.0219>.
296. Mihelj Sabina and Jiménez-Martínez César, "Digital nationalism: Understanding the role of digital media in the rise of 'new' nationalism", **Nations and Nationalism**, Vol.27, Issue.2, The United States of America, 2021, DOI: <https://doi.org/10.1111/nana.12685>.
297. Munch Claus, "Manuel Castells: Communication Power", **Journal of media and communication research**, MedieKultur 52, Denmark, 2012.
298. Nora Pierre, "Between Memory and History: Les Lieux de Mémoire", **Representations**, No. 26, Special Issue: Memory and Counter-Memory, 1989. DOI: <https://doi.org/10.2307/2928520>.
299. Nugraha Restu Adi and others, "Islamic Da'wah through Social Media as a Means of Political Education", **Advances in Social Science - Education and Humanities Research**, Vol. 418, 2020.
300. Paoletti Giovanni, "Durkheim's 'Dualism of Human Nature': Personal Identity and Social Links", **Durkheimian Studies/Études Durkheimiennes**, vol.18, 2012. DOI: <https://doi.org/10.3167/ds.2012.180105>,
301. Pierre-Noël Denieuil, "L'identité selon Claude Lévi-Strauss- de la substance à la structure", **Raison présente**, No. 169, 1^{er} tri ,2009. DOI: <https://doi.org/10.3406/raipr.2009.4144>.
302. Pilcher Jane, "Mannheim's Sociology of Generations: An Undervalued Legacy," **The British Journal of Sociology**, Vol.45, No.3, Sept 1994. DOI: <https://doi.org/10.2307/591659>.
303. Simmel Georg, translated by :Ramona Mosse, "The Stranger", **The Baffler**, No. 30, 2016, The United States of America.

304. Simons Jack D, "From Identity to Enaction: Identity Behavior Theory", **Frontiers in Psychology**, Vol.12, 08-2021. DOI: <https://doi.org/10.3389/fpsyg.2021.679490>.
305. Tarequl Islam Md, "The Impact Of Social Media On Muslim Society: From Islamic Perspective", **International Journal of Social and Humanities Sciences (IJSHS)**, Vol. 3, Num. 3, 2019.
306. Touraine Alain, "A Method for Studying Social Actors", **journal of world-systems research**, Special Issue: Festschrift for Immanuel Wallerstein, Vol.3, fall-winter 2000.
307. Uzma Kiran and others, "Muslims Depiction In Hollywood Movies: A Qualitative Study", **PJAE (PalArch's Journal of Archaeology of Egypt/Egyptology)**, Vol.18, No.08, 2021.
308. Van de Walle Guy , "Durkheim and Socialization", **Durkheimian Studies/Études Durkheimiennes**, vol.14, 2008. DOI: <https://doi.org/10.3167/ds.2008.140105>.
309. Van Selm Martine and Jankowski Nicholas W, "Conducting Online Surveys", **Quality & Quantity**, Vol.40, 2006, DOI: <https://doi.org/10.1007/s11135-005-8081-8>.
310. Vinsonneau Geneviève, "Le développement des notions de culture et d'identité: un itinéraire ambigu", **Carrefours de l'éducation**, vol.14, no.2, 2002. DOI: <https://doi.org/10.3917/cdle.014.0002>.
311. Wolf Maxim and others, "Social Media? What Social Media?", **UK Academy for Information Systems**, UK Academy for Information Systems Conference Proceedings, The United Kingdom, 20-03-2018. DOI :<https://aisel.aisnet.org/ukais2018/3>.
312. Yack Bernard, "Can Patriotism save us from Nationalism?: Rejoinder to Virioli," **Critical Review**, Vol.12, No. 1-2, 1998.
313. Zaid Bouziane and others, " Digital Islam and Muslim Millennials: How Social Media Influencers Reimagine Religious Authority and Islamic Practices", **Religions**, Vol.13, No.335, April 2022. DOI: <https://doi.org/10.3390/rel13040335>.
314. Zaid Bouziane and others, "Digital Islam and Muslim Millennials: How Social Media Influencers Reimagine Religious Authority and Islamic Practices", **Religions**, Vol. 13, No. 335, 2022, DOI: <https://doi.org/10.3390/rel13040335>.

Fourth: Scientific Conferences.

315. Abdelhamid Firdous, "Investigating Algerians' Codeswitching On Facebook Pages", 12th Language at the University of Essex Postgraduate Conference (LangUE), **University of Essex**, United Kingdom, 2018.
316. Aguas Jove Jim S., "The Challenge of Universality and Particularity: Ricoeur on Globalization, Civilization, Culture and Dialogue", International Conference: Paul Ricoeur in Asia initial draft,

- Ateneo de Manila University and University of Santo Tomas, Manila, Philippines**, November 19-21, 2015.
317. Canepar Michela, "Issues of Globalization and Localization in Youth Culture: The Case of Memes", 2nd International Conference on Future of Social Sciences, **ICFSS**, 19-21 December, 2019, London.
318. Jung Eura, "Identity Gap: A Concept for Theorizing Communicative Aspects of Identity", Submitted for Presentation at the Annual Convention of National Communication Association, **University of Southern Mississippi**, 2005.
319. Kimura-Thollander Philippe and Kumar Neha, "Examining the "Global" Language of Emojis: Designing for Cultural Representation", Proceedings of the 2019 CHI Conference on Human Factors in Computing Systems, Association for Computing Machinery, Glasgow, May 4–9, 2019. DOI: <https://doi.org/10.1145/3290605.3300725>.

Fifth: Ph.D dissertations.

320. Bernard Chantelle Elam, "Lonley Zs: Examining The Relationships Among Time Spent On Social Networking Sites, The Fear of Missing Out (Fomo), And Loneliness Among Undergraduate College Students", Ph.D. Dissertation, School of Behavioral Sciences, **Liberty University**, Lynchburg, Virginia, 2020.
321. Boz Nevfel, "Digital Identity and Self-Presentation In The New Media" [English Summary], Ph.D. Dissertation, Faculty Of Communication, **Marmara University** Istanbul, June 2012.
322. Bruckman Amy, "Identity Workshop: Emergent Social and Psychological Phenomena in Text-Based Virtual Reality", Ph.D dissertation, **MIT Media Laboratory**, Cambridge, Massachusetts, 1992.
323. Budnitskiy Stanislav, " Digital Nationalisms: Identity, Strategic Communication, and Global Internet Governance", Ph.D dissertation, **Carleton University**, Ottawa, 2018.
324. Chen Rou-lan, "Identity Reconstruction: When Democratization Meets Globalization", Ph.D dissertation, Faculty of Political Science, **University of California**, Berkeley, 2011.
325. Govers Robert, "Virtual Tourism Destination Image: Glocal Identities Constructed, Perceived And Experienced", Ph.D dissertation to obtain the degree of doctor in Management, Erasmus Research Institute of Management (ERIM), **the Erasmus University - Rotterdam**, The Netherlands, 2005.
326. Hocine Karima, "The Anglicization of Algerian Netizens: A Multimodal Social Semiotic Study", Ph.D. Dissertation, Faculty of Letters and Languages, **Mouloud MAMMERI University of Tizi-Ouzou**, 2021.

327. Khoshsabk Nastaran, "Digital Identities: Presentation of Self through Social Media", Ph.D dissertation, Faculty of Education, **Monash University**, Australia, 2018.

Sixth: Reports and Official publications.

328. Chaib Ismail & Lefkir Amine, "Dzigital Transformation In Algeria", report of programme to strengthen and interconnect the digital society in the MENA Region, **Digital Arabia Network & Deutsch-Algerischer Akademiker und Studierender Verein e.V**, Berlin/Algiers, 2020.
329. Chaib Ismail & Lefkir Amine, "Dzigital Transformation In Algeria", report of programme to strengthen and interconnect the digital society in the MENA Region, **Digital Arabia Network & Deutsch-Algerischer Akademiker und Studierender Verein e.V**, Berlin/Algiers, 2020.
330. JORADP, "Loi n° 10-02 du 16 Rajab 1431 correspondant au 29 juin 2010 portant approbation du Schéma National d'Aménagement du Territoire N° 61", **Journal Officiel De La République Algérienne**, Alger, 2010.
331. Meta, "June 2021 Coordinated Inauthentic Behavior Report", **Facebook**, 2021, Report Download URL: <https://about.fb.com/wp-content/uploads/2021/07/June-2021-CIB-Report-Final.pdf>.

Seventh: Electronic sources.

332. Devoy Francis, "The mystery of Facebook language targeting", **Adviso**, accessed :24-12-2023, at: 18:02, URL: <https://www.adviso.ca/en/blog/tech-en/mystery-facebook-language-targeting/>.
333. Dixon Stacy Jo, "Actioned fake accounts on Facebook worldwide from 4th quarter 2017 to 4th quarter 2022", **Statista**, published: 09-03-2023, accessed: 23-08-2023, at: 12:50, URL: <https://www.statista.com/statistics/1013474/facebook-fake-account-removal-quarter>.
334. Dixon Stacy Jo, "Distribution of Facebook users worldwide as of January 2023, by age and gender", **Statista**, published: 24-02-2023, accessed: 30-06-2023, at: 15:37, URL: <https://www.statista.com/statistics/699241/distribution-of-users-on-facebook-worldwide-gender/>.
335. Dixon Stacy Jo, "Most popular social networks worldwide as of January 2023, ranked by number of monthly active users", **Statista**, published: 24-02-2023, accessed: 01-07-2023, at: 22:41, URL: <https://www.statista.com/statistics/272014/global-social-networks-ranked-by-number-of-users/>.
336. Emojiall, "DZ meaning: flag: Algeria, algerian flag Emoji", **EMOJIALL.com**, accessed: 10-02-2024, at: 00:56, URL: <https://www.emojiall.com/en/emoji/%F0%9F%87%A9%F0%9F%87%BF>.
337. Facebook, "Can I create multiple Facebook accounts?", **Help Center**, accessed: 23-08-2023, at: 13.12, URL: <https://www.facebook.com/help/975828035803295> .

338. Facebook, "How does Facebook suggest groups for me to join? ", **help center**, accessed: 21-08-2023, at: 22:19, URL: https://www.facebook.com/help/382485908586472/?helpref=uf_share
339. Facebook, "Memories", **Facebook Help center**, accessed: 20-01-2024, at: 01:33, URL: <https://www.facebook.com/help/1056848067697293>.
340. Facebook, "What Names Are Allowed on Facebook?", **Facebook Help center**, accessed: 20-06-2023, at: 21:44, URL: https://m.facebook.com/help/1090831264320592/?helpref=hc_fnav .
341. Facebook, "What Names Are Allowed on Facebook?", **Help Center**, accessed: 22-08-2023, at: 18:29, URL: https://m.facebook.com/help/1090831264320592/?helpref=hc_fnav.
342. Galal Saifaddin, "African countries with the highest share of global population living below the extreme poverty line in 2023", **Statista**, published: 28-04-2023, accessed: 03-07-2023, at: 21:10, URL: <https://www.statista.com/statistics/1228553/extreme-poverty-as-share-of-globa>.
343. Garg Ankita, "Garena Free Fire to TikTok: All the 273 Chinese apps that Indian govt banned so far", **India Today**, accessed: 21-08-2022, at: 13:57, URL: [All the 273 Chinese apps that Indian govt banned so far](#).
344. Google Company, "Bringing the world's art and culture online for everyone", **Google Arts & Culture**, accessed: 25-09-2022, at: 19:38, URL: <https://about.artsandculture.google.com/>.
345. Kemp Simon, "Facebook Users, Stats, Data & Trends", **Datareportal**, Page updated: 11-06-2023, accessed: 01-07-2023, at: 13:39, URL: <https://datareportal.com/essential-facebook-stats>.
346. Kleingeld Pauline and Brown Eric, "Cosmopolitanism", in: **The Stanford Encyclopedia of Philosophy**, Edited by: Edward N. Zalta, The Metaphysics Research Lab- Stanford University, Stanford, 2019, Retrieved 05-09-2021 at: 19:33, URL: <https://plato.stanford.edu/archives/win2019/entries/cosmopolitanism/> .
347. Maiorca Danny, "In What Countries Is TikTok Banned?", **MUO (makeuseof.com)**, accessed: 17-08-2022, at: 00:41, URL: <https://www.makeuseof.com/what-countries-is-tiktok-banned/>.
348. Meta, "Confirm Your Identity: Types of IDs that Facebook accepts", **help center**, accessed: 26-07-2023, at: 18:02, URL: <https://www.facebook.com/help/contact/515009838910929> .
349. Meta, "About Workplace", **help center**, accessed: 08-07-2023, at: 22:33, URL: <https://www.facebook.com/help/work/1070177463385471/>.
350. Meta, "Hate speech", **Facebook Community Standards**, accessed: 10-01-2024, at: 02:56, URL: <https://transparency.fb.com/en-gb/policies/community-standards/hate-speech/>.

351. Meta, "How does Facebook use my information to show suggestions in People You May Know?", **help center**, accessed: 25-12-2023, at: 01:46, URL: <https://www.facebook.com/help/1059270337766380>.
352. Meta, "Our History", **About Meta**, accessed: 08-07-2023, at: 15:52, URL: <https://about.meta.com/company-info/>
353. Meta, "Fake Accounts", **Facebook Transparency Center**, accessed: 03-07-2023, at: 15:41, URL: <https://transparency.fb.com/reports/community-standards-enforcement/fake-accounts/facebook/>.
354. NapoleonCat, "Facebook users in Algeria June 2023", **NapoleonCat**, Published: 06-2023, accessed: 23-07-2023, at: 00:21, URL: <https://napoleoncat.com/stats/facebook-users-in-algeria/2023/06/>.
355. NUSRAL, "Facebook, Twitter, Instagram Ban in India Today News", National University of Study and Research in Law Ranchi. accessed: 21-08-2022, at: 14:11, URL: <https://nusrlranchi.in/facebook-twitter-instagram-ban-in-india/#:~:> .
356. ONS, "Demographie Algerienne 2019 (N°890/Bis)", **Office National des Statistiques** , algeria, 2020, p 4, URL: https://www.ons.dz/IMG/pdf/demographie2019_bis.pdf.
357. Pew Research Center, "The Age Gap in Religion Around the World", **Pew Research Center**, June 13, 2018, download link: <https://www.pewresearch.org/religion/wp-content/uploads/sites/7/2018/06/ReligiousCommitment>.
358. Ranadive Ameet and Ginsberg David, "New Tools to Manage Your Time on Facebook and Instagram", **Meta**, published: 01-06-2023, accessed: 20-08-2023, at: 14:05, URL: <https://about.fb.com/news/2018/08/manage-your-time/>.
359. Sauer Pjotr, "Russia bans Facebook and Instagram under 'extremism' law", **the Guardian**, accessed: 16-08-2022, at: 14:31, URL: <https://www.theguardian.com/world/2022/mar/21/russia-bans-facebook-and-instagram-under-extremism-law>.
360. Shepherd Jack, "33 Essential Facebook Statistics You Need To Know In 2023", **The Social Shepherd**, Updated on: 26-06-2023, accessed: 20-06-2023, at: 23:17, URL: <https://thesocialshepherd.com/blog/facebook-statistics>.
361. Simon Kemp, "DIGITAL 2023: ALGERIA", **Datareportal**, Page updated: 13-02-2023, accessed: 23-07-2023, at: 13:45, URL: <https://datareportal.com/reports/digital-2023-algeria> .
362. United Nations Department of Economic and Social Affairs, "With 2.7 billion people still offline, what does Africa's resilient digital future look like?", **Africa Renewal**, published: 29-11-2022, accessed: 03-07-2023, at: 21:27, URL: <https://www.un.org/africarenewal/magazine/november-2022/27>.

قائمة الملاحق

الملحق رقم (01): استمارة البحث.

استمارة البحث:

في إطار إعداد البحث الميداني المكمل لأطروحة الدكتوراه ل. م. د الموسومة بـ "الهوية الوطنية الجزائرية في عصر العولمة: دراسة سوسيوثقافية لمجتمع الشبكات - موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك نموذجا" نتقدم إليكم بهذه الاستمارة راجين منكم الاطلاع على محاورها والإجابة عن أسئلتها، مؤكداً لكم أننا سنتعامل مع الإجابات بكل سرية وأمانة، ولأغراض علمية خالصة، يرجى وضع علامة X على إجابتك المختارة.

المحور الأول: البيانات الشخصية.

1. السن:
2. الجنس: ذكر () أنثى ()
3. المستوى التعليمي: أمي () ابتدائي () متوسط () ثانوي () جامعي ()
4. التخصص (إذا كنت جامعيًا):
5. الحالة المدنية: أعزب () متزوج () مطلق () أرمل ()
6. المهنة (إن وجدت):
7. الولاية (حدد رقم الولاية من 1 إلى 58):
8. بلد الإقامة (للجزائريين المقيمين بالخارج):
9. مكان الإقامة: حضري () شبه حضري () ريفي ()

المحور الثاني: بناء الهوية الافتراضية عبر فيسبوك.

10. منذ متى وأنت تستخدم موقع فيسبوك؟
11. ما هو معدل الوقت اليومي الذي تقضيه مستخدماً فيسبوك؟ (يمكن أن يكون هذا المعدل بشكل متقطع)
 - أقل من ثلاث ساعات ()
 - من ثلاث ساعات إلى ست ساعات ()
 - من ست ساعات إلى تسع ساعات ()
 - أكثر من تسع ساعات ()
12. ما هي أهم المجموعات الشبكية (مجموعات، صفحات ..) التي تنتمي إليها عبر فيسبوك؟ (يمكنك اختيار أكثر من إجابة).
 - شبكات شخصية ()
 - شبكات مهنية ()
 - شبكات علمية ومعرفية ()
 - شبكات ترفيهية ()
 - شبكات ثقافية ()
 - شبكات دينية ()
 - شبكات سياسية ()
 - أخرى، أذكرها
13. هل أغلب الصفحات والمجموعات التي تتابعها؟
 - جزائرية ()
 - عربية ()
 - فرنسية ()
 - إنجليزية ()
 - أخرى ()، أذكرها
14. هل تعتقد أن الميزات الإيجابية لفيسبوك تكمن في:

التأثيرات الإيجابية	دائماً	أحياناً	نادراً	أبداً
الافتتاح الثقافي والتعرف على ثقافات أخرى عبر العالم				
ربط علاقات مع أفراد تجمعك معهم نفس الاهتمامات والميولات				
سهولة وسرعة انتقال المعلومات والبيانات (أخبار، صور، فيديوهات..)				
توفير فضاء لحرية التعبير والنشر				

15. هل تعتقد أن الميزات السلبية لـ فيسبوك تكمن في:

أبدا	أحيانا	نادرا	دائما	التأثيرات السلبية
				نشر ثقافة تناقض الخصوصيات الثقافية الجزائرية (العادات، التقاليد...)
				ضعف الارتباط بالواقع والشعور بالاغتراب نحوه عند مقارنته مع أمكنة أخرى من العالم
				توفير فضاء للصراعات العرقية، الإيديولوجية والدينية
				الترويج للثقافة الاستهلاكية
				أخرى، أذكرها

16. هل الصورة التي تستخدمها لحسابك الشخصي على فيسبوك هي صورتك الحقيقية؟ نعم () لا ()

في حالة الإجابة بـ "لا"، لماذا؟

17. أتاح فيسبوك للمستخدمين صنع Avatar خاص بهم، هل قمت مسبقا بصنع واحد؟ نعم () لا ()

18. هل الاسم الذي تستخدمه لحسابك الشخصي على فيسبوك هو اسمك الحقيقي؟ نعم () لا ()

في حالة الإجابة بـ "لا"، هل لأنك؟

تريد إخفاء هويتك الحقيقية () تريد تجنب المضايقات () تستخدم اسما مستعارا تشتهر به في الواقع () سبب آخر، أذكره ...

19. ما هي الحروف التي تستخدمها لكتابة اسم حسابك الشخصي على فيسبوك؟

الحروف العربية () الحروف اللاتينية () مزيج بين الحروف والرموز ()

مما كانت إجابتك، لماذا؟

لا	نعم	20. فيما يخص البيانات الشخصية عبر الفيسبوك:
		هل تظهر للآخرين معلوماتك الشخصية حول دراستك أو مهنتك؟
		هل تظهر للآخرين معلوماتك الشخصية حول حالتك المدنية أو علاقتك العاطفية؟
		هل تظهر للآخرين معلوماتك حول مكان ميلادك وعيشك؟
		هل تظهر للآخرين معلوماتك الشخصية حول تاريخ ميلادك؟

21. هل منشوراتك متاحة لـ: العامة () الأصدقاء فقط () أصدقاء محددين () حسب مضمون المنشور ()

22. كم حسابا تملك على موقع فيسبوك؟

إذا كنت تملك أكثر من حساب، لماذا؟

23. هل تعتبر هويتك على فيسبوك امتدادا لهويتك الفعلية؟ نعم () لا ()

إذا أجبت بنعم، كيف ذلك؟

إذا أجبت بلا، هل هويتك الفيسبوكية تمثل الهوية التي تريد أن تكون عليها في الواقع الفعلي؟ نعم () لا ()

المحور الثالث: مرجعية الدين الإسلامي عبر فيسبوك

24. بالنسبة للممارسات الدينية:

أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	الممارسات
				هل أنت ملتزم بأداء الفرائض الدينية (فريضة الصلاة، الصوم...)?
				هل تلتزم بالقيم الأخلاقية الدينية الإسلامية (غض البصر، تجنب الألفاظ الفاحشة وغيرها)?

25. إلى أي مدى يعتبر الدين الإسلامي مصدرا لممارساتك اليومية؟

26. يحتوي فيسبوك على العديد من الصور، الفيديوها، والصفحات اللاأخلاقية فهل تطلع على هذه المضامين؟

دائما () أحيانا () نادرا () أبدا ()

أ. إذا اخترت دائما أو أحيانا، فهل سبب ذلك؟

- إدما نك على هذه المواد () اعتبارها حرية شخصية () لا تعتبر تصفحها أمرا خاطئا ()
 تصفحها أمر عادي لأنها أصبحت ثقافة عالمية () أخرى، أذكرها
 27. هل ترى أن الفيسبوك يساهم في:

العبارة	دائما	أحيانا	نادرا	أبدا
التحرر المطلق من الضوابط الأخلاقية والقيمية				
غرس أساليب الحياة التي لا تتماشى والخصوصية الإسلامية للمجتمع الجزائري				
توفير فضاء للتطرف الديني والدعوة إليه				
توفير فضاء لنشر معارف إسلامية خاطئة (فتاوى، أحاديث وقصص دينية..)				
توفير فضاء لنشر صورة صحيحة على الإسلام				
يعتبر منبرا من منابر الدعوة إلى دين الإسلام الصحيح				

28. هل يعتبر الفيسبوك مصدرا من مصادر الثقافة الإسلامية بالنسبة لك؟
 إذا أجبت بنعم، فهل سبب ذلك أن: (يمكنك اختيار أكثر من إجابة)
 الفيسبوك مصدر سهل وسريع للوصول إلى المعلومة الدينية ()
 تتابع صفحات المؤسسات الدينية ودور الفتوى ()
 29. في المناسبات الدينية:

العبارة	دائما	أحيانا	نادرا	أبدا
تهتم بنشر معلومات تتعلق بالمناسبة الدينية				
مشاركة الأصدقاء طقوس الاحتفال بالمناسبة الدينية				
تصحيح المعتقدات الخاطئة بشأن المناسبة الدينية				
الدخول في جدال مع مستخدمين من مذاهب أخرى حول الاحتفال بالمناسبة				

30. إذا كان لديك أصدقاء من غير الدين الإسلامي، فهل حاولت تعريفهم به؟
 نعم () لا ()
 31. يرسل فيسبوك أحيانا إشعارات روابط لمواقع تدعو لأديان أخرى، هل حدث لك هذا من قبل؟
 نعم () لا ()
 إذا أجبت بنعم، هل قمت بزيارة لهذه الصفحات أو المواقع؟
 نعم () لا ()
 هل تقوم بحظرها أو إخفاءها كي لا يتم ظهور الإشعار مجددا؟
 نعم () لا ()
 المحور الرابع: مرجعية اللغة عبر فيسبوك.

32. ما هي اللغة التي تستخدمها في الأغلب للتواصل في الحياة اليومية؟
 العربية الفصحى () تمزيغت () الدارجة الجزائرية () الفرنسية () الإنجليزية () أخرى، أذكرها.....

33. ما هي اللغة التي تستخدمها في الأغلب للتواصل عبر فيسبوك؟
 العربية الفصحى () تمزيغت () الدارجة الجزائرية () الفرنسية () الإنجليزية () أخرى، أذكرها.....
 إذا كانت إجابتك غير اللغة العربية الفصحى، فهل هذا راجع إلى (يمكنك اختيار أكثر من إجابة):

- عدم معرفتك بأساسيات اللغة () مواكبتك للغات العالمية () استخدام اللغة العربية لم يعد عصريا ()
 أن أغلب المجموعات والصفحات التي تتابعها هي أجنبية () أخرى، أذكرها

34. هل ترى أن استخدامك للغة معينة مرتبط بـ:
 مدى إتقانك لها () أنها تعبر عن توجك الفكري () أنها تعبر عن انتمائك إلى هوية وطنية معينة ()
 نعم () لا ()
 35. هل اكتسبت لغة ما أو لغات عبر استخدامك لفيسبوك؟
 إذا أجبت بنعم، ما هي هذه اللغة؟

36. هل تستخدم أو استخدمت في تواصل عبر فيسبوك:

أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التعبيرات واللغات عبر فيسبوك
				كتابة التعبيرات العربية بالحروف اللاتينية
				كتابة التعبيرات اللاتينية بالحروف العربية
				الأرقام بدل بعض الحروف العربية (مثل: Mar7aba)
				استخدام الرموز التعبيرية Emojis
				استخدام الملصقات التعبيرية Stickers
				استخدام الميمات Memes (الصور، الفيديوهات والنصوص التعبيرية الهزلية)

إذا كنت أجبت أنك تستخدم اللغات والتعبيرات المذكورة في السؤال السابق، لماذا؟

37. هل ترى أن تواصلك بتعبيرات ولغات فيسبوك أثر على قدرتك التعبيرية باللغات العادية (الفعلية)؟

- أثر كثيرا () أثر نوعا ما () لم يؤثر أبدا ()
38. هل هناك لغة جديدة خاصة بك أنت وجماعة أصدقائك فقط (Codes) عبر فيسبوك؟
- نعم () لا ()

هل يمكن أن تعطينا مثلا؟

39. هل ترى أن هناك لغة جديدة (تعبيرات، مصطلحات) خاصة بالجزائريين عبر فيسبوك؟

- إذا أجبت بنعم، ما هو مصدر هذه التعبيرات في رأيك؟ (يمكنك اختيار أكثر من إجابة)
- المضامين الشائعة في فيسبوك الجزائري trendings () الشارع الجزائري () الأفلام والمسلسلات الجزائرية ()
- مصادر أجنبية () أخرى، أذكرها

40. هل تتحدث اللغة تمزيغت؟

إذا أجبت بنعم، هل تستخدمها في التواصل عبر فيسبوك؟

41. هل دخلت في جدال أو صراع عبر فيسبوك حول اللغتين العربية وتمزيغت في الجزائر؟

42. هل ترى أن فيسبوك (صفحاته ومجموعاته ومستخدميه) يسبب أزمة بين العرقين العربي والبربري في الجزائر؟

- دائما () أحيانا () نادرا () أبدا ()

المحور الخامس: مرجعية الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك

43. هل تتابع الصفحات الرسمية لمؤسسات الدولة الجزائرية؟

إذا أجبت بنعم، ما هي؟

44. هل تتابع صفحات ومجموعات خاصة بمنظمات المجتمع المدني الجزائري (جمعيات خيرية، بيئية..)؟

إذا أجبت بنعم، هل ساهمت متابعتك لها في الانخراط في إحدى هذه المنظمات؟

45. هل تتابع الصفحات الرسمية للأحزاب السياسية الجزائرية؟

إذا أجبت بنعم، هل ساهمت متابعتك لها في التأثير على آرائك السياسية؟

46. هل تتابع عبر فيسبوك شخصيات مؤثرة مؤيدة للنظام السياسي الجزائري؟

إذا أجبت بنعم، هل تساهم متابعتك له بالتأثير في آرائك السياسية؟

47. هل تتابع عبر فيسبوك شخصيات مؤثرة معارضة للنظام السياسي الجزائري؟

أ. إذا أجبت بنعم، هل تساهم متابعتك له بالتأثير في آرائك السياسية؟

48. هل تعتقد بأن التنوع الثقافي: عامل قوة للهوية الوطنية () عامل تفكك للهوية الوطنية ()

في الحالتين، لماذا؟

49. هل ترى أن فيسبوك يهدد الوحدة الوطنية الجزائرية؟

إذا أجبت بنعم، كيف يحصل هذا التهديد؟ (يمكنك اختيار أكثر من إجابة)

- الصدام بين العرقيات الجزائرية (عربي، قبائلي، شايوي) ()
الصدام بين المناهج الإسلامية (صوفي، سلفي..) ()
التحيز بين المناطق الجزائرية (الجهوية) ()
أخرى، أذكرها
50. هل ترى أن الفيسبوك قد يسهل تهديد سيادة الجزائر ووحدها من أطراف خارجية؟ نعم () لا ().

أ. إذا أجبت بنعم، إلى ماذا يعود ذلك في رأيك؟
51. في المناسبات والأعياد الوطنية الجزائرية المرتبطة بتاريخ الجزائر:

أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	العبارات
				تقوم بنشر صور ومعلومات حول المناسبة
				تقوم بتصحيح معلومات خاطئة حول تاريخ المناسبة
				تدافع وتؤكد على صحة المعلومات التاريخية حول المناسبة
				تضع صورة العلم الجزائري على حسابك أو صورتك
				تنشر أناشيد وطنية (كلمات أو فيديوهات)

52. هل تشترك في صفحات ومجموعات ممتعة بالتاريخ الجزائري؟ نعم () لا ().
53. هل ساهمت، سواء عبر صفحتك الخاصة، المجموعات أو التعليقات بنشر والترويج للثقافة الجزائرية؟ نعم () لا ().
إذا أجبت بنعم، يرجى أن تقدم مثالا
54. هل يساهم الفيسبوك في نقل عادات وتقاليد الولايات الجزائرية الأخرى إليك؟ نعم () لا ().
إذا أجبت بنعم، يرجى تقديم مثالا
55. هل ترى أن المؤثرين ينقلون إلى العالم صورة صحيحة عن الجزائر؟ نعم () لا ().
إذا أجبت بلا، كيف ذلك؟
56. هل سبق وعزفت بمنطقة أو معلم سياحي جزائري في صفحات ومجموعات أجنبية؟ نعم () لا ().
57. إذا أتيحت لك فرصة الهجرة إلى خارج الجزائر، فهل تهاجر؟ نعم () لا ().
إذا أجبت بنعم فهل لأنك؟ لا تشعر بالتأثك إلى وطنك () البحث عن فرصة حياة أفضل ()
الافتتاح على العالم وثقافته () لا تؤمن بالزامية البقاء داخل حدود معينة () سبب آخر، أذكره
58. إذا كانت هناك قضية ما مطروحة على ساحة القضايا الدولية (القضية الفلسطينية، الحرب الروسية الأوكرانية)، هل:
تطلع على مستجدات القضية دون عرض آرائك () تساهم بآرائك بخصوص القضية () لا تهتم بالقضايا الدولية ().
حسب القضية ومدى اهتمامي بها ()
59. هل لديك أصدقاء افتراضيون من ثقافات (جنسيات) أخرى؟ نعم () لا ().
إذا أجبت بنعم، هل ترى أنك نقلت إليهم سمات ثقافية جزائرية؟ نعم () لا ().
إذا أثرت عليهم، يرجى أن قدم مثالا:
60. هل يساهم فيسبوك في نقل سمات ثقافية عالمية إليك (طريقة لباس، مأكولات، موسيقى..)؟ نعم () لا ().
إذا أجبت بنعم، يرجى أن تقدم مثالا:
61. بماذا ترى أن هويتك الوطنية مرتبطة أكثر؟ (يمكنك اختيار أكثر من إجابة)
الانتماء الجغرافي () الانتماء التاريخي ()
الانتماء الديني () الانتماء الثقافي (عادات وتقاليد..) ()
الانتماء العرقي (العروبة، البربرية) ()
62. هل تعتقد أن التسيير السياسي والاجتماعي للمجتمع الجزائري يساهم في دعم أم تفكيك الهويات الوطنية أم يزيد من تفككها؟
.....
63. هل تعتقد أن النظام السياسي والاجتماعي للعوامة يساهم في دعم أم تفكيك الهويات الوطنية؟
.....
شكر لكم.

الملحق رقم (02): دليل مقابلة البحث.

دليل مقابلة البحث

في إطار إعداد البحث الميداني المكمل لأطروحة الدكتوراه ل. م. د الموسومة بـ " الهوية الوطنية الجزائرية في عصر- العولمة: دراسة سوسيوقافية لمجتمع الشبكات -موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك نموذجاً " نتقدم إليكم بهذه الأسئلة راجين منكم الاطلاع عليها والإجابة، مؤكداً لكم أننا سنتعامل مع الإجابات بكل سرية وأمانة، ولأغراض علمية خالصة.

المحور الأول: البيانات الشخصية.

1. السن:
2. الجنس: ذكر () أنثى ()
3. المستوى التعليمي: أمي () ابتدائي () متوسط () ثانوي () جامعي ()
4. التخصص (إذا كنت جامعياً):
5. الحالة المدنية: أعزب () متزوج () مطلق () أرمل ()
6. الولاية (حدد رقم الولاية من 1 إلى 58):
7. المهنة (إن وجدت):
8. مكان الإقامة: حضري () شبه حضري () ريفي ()
9. بلد الإقامة (للجزائريين المقيمين بالخارج):

المحور الثاني: بناء الهوية الافتراضية عبر فيسبوك.

10. يتيح فيسبوك فضاء يحاول محاكاة الحياة الفعلية وحضورنا فيها عبر مختلف تقنياته، مثل صورة الحساب، الاسم، المنشورات والتفاعلات التي تميز حضورنا الافتراضي، هل تعتبر حسابك عبر فيسبوك نسخة تحاكي هويتك الفعلية، أم أنها تعبر عن هوية لم يتح لك الواقع الفعلي فرصة للتعبير عنها؟
11. بين اعتبار الإنترنت فرصة للتعرف على ثقافات أخرى عبر العالم وفضاء حرية التعبير، واعتباره عاملاً لضعف ارتباط المستخدم الجزائري بالواقع والشعور بالاعتزاب، نشر ثقافة تناقض الخصوصية الثقافية الجزائرية (العادات، التقاليد ..) وتوفير أفضية للصراعات العرقية، الإيديولوجية والدينية. أين يمكنك أن تصنف موقع فيسبوك من خلال تجربتك كستخدم له؟

المحور الثالث: مرجعية الدين الإسلامي عبر فيسبوك.

12. فيما يتعلق بمرجعية الدين الإسلامي، يحتوي فيسبوك على العديد من الصور، الفيديوهات، والصفحات، اللاأخلاقية، وإشعارات مموله لروابط مواقع تدعو إلى أديان أخرى، من وحي ملاحظتك، ما مدى مساهمة موقع فيسبوك في الترويج لممارسات دينية لا تتماشى والخصوصية الإسلامية للمجتمع الجزائري؟
13. ما رأيك في اعتبار فيسبوك مصدراً للثقافة الإسلامية في ظل توفيره فضاءً لنشر معارف دينية خاطئة (فتاوى، أحاديث نبوية وقصص دينية..)؟

المحور الرابع: مرجعية اللغة عبر فيسبوك.

14. عندما نتحدث عن الهويات الوطنية، فإن مرجعية اللغة تعتبر موضوعاً ملحا يطرح علينا بقوة خاصة في وجود متغيرات يفرضها التواجد في البيئة الرقمية. من أهمها اللغات والتعبيرات التي يوفرها فيسبوك مثل الرموز التعبيرية J mojis، الملصقات stickers،

الميمز Memes ، هل ترى أن لغة الرموز تعتبر ظاهرة يمكن أن تؤثر سلبا على لغة المستخدمين خاصة العربية؟ أم أنها مجرد رموز تعبيرية يجسد بها المستخدمون كلماتهم؟

15. نلاحظ جدالا وصراعا عبر فيسبوك حول اللغتين العربية وتمزيغت في الجزائر يصل إل التسبب في أزمة بين العرقين العربي والبربري، هل مررت بتجربة في هذا الصدد؟

المحور الخامس: مرجعية الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك.

16. الصراع بين العرقيات الجزائرية (عربي، قبائلي، شاي) والتحيز بين مناطقها (الجهوية)، هي مظاهر نلاحظها في الحياة الفعلية، هل ترى أن فيسبوك يزيد من هذه الصراعات؟ وهل هو يهدد بذلك الوحدة الوطنية الجزائرية؟

17. إذا كانت المواطنة في أبسط معانيها تشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن، والوطنية تشير إلى الشعور المترتب عن ذلك الانتماء، بالنسبة لك، هل يعتبر فيسبوك فضاء افتراضيا يرسخ قيم المواطنة وشعور الوطنية؟

18. تعد سرقة، انتحال وتزييف الهويات الشخصية عبر فيسبوك من أهم الظواهر المتعلقة بتوثيق الهويات الافتراضية، إلا أن هناك ظاهرة أخرى برزت في سياق الهويات الوطنية، فنلاحظ محاولات لسرقة التراث الجزائري أو نزع صفة "الجزائرية" عنه. ما هو الدور الذي ترى أن موقع فيسبوك يلعبه في إطار هذه الظاهرة؟

19. أيها تلاحظه أكثر حسب تجربتك كستخدم لفيسبوك، مساهمة فيسبوك في نقل سمات ثقافية عالمية) الثقافة بمعناها الواسع الذي يشمل كل ما يمكن ان يكتسبه الإنسان بصفته عضوا في مجتمع معين (إلى الجزائريين، أم مساهمته في نقل سمات ثقافية جزائرية إلى العالم؟

20. في الأخير، هل تعتقد أن فيسبوك يشكل أداة للعملة يمكن أن تؤثر بها على الهوية الوطنية الجزائرية في الحقيقة، أم أن تأثيرها يبق في نطاق العالم الافتراضي؟

شكرا لكم.

الملحق رقم (03): واجهة استمارة البحث الإلكترونية.

Questions Réponses 532 Paramètres



Rubrique 1 sur 6

الهوية الوطنية الجزائرية في عصر العولمة

في إطار إعداد البحث الميداني المكمل لأطروحة الدكتوراه، د. د. الموسومة بـ "الهوية الوطنية الجزائرية في عصر العولمة: دراسة سوسيولinguistique لمجتمع التديكت - موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك نموذجاً" تقدم إليكم بهذه الاستمارة وأرجو منكم الإجابة على أسئلتها وإرسالها عن طريق البريد الإلكتروني: algerie@univ-bordj.dz مع الإجابات بكل سرورية وأمانة ولا تأخر عن إرسالها. شكراً لكم.

شكراً لكم

الملحق رقم (04): عدم إمكانية إجابة المبحوث على أكثر من استمارة.

Questions Réponses 532 Paramètres

Convertir en questionnaire

Attribuez des barèmes de notation, définissez des réponses et ajoutez automatiquement des commentaires.

Réponses

Gérez la façon dont les réponses sont collectées et protégées

Collecter les adresses e-mail

Envoyer aux participants une copie de leur réponse

Collecter les adresses e-mail doit être activé

Désactivé

Autoriser la modification des réponses

Les réponses peuvent être modifiées après leur envoi

CONNEXION OBLIGATOIRE

Limiter à une réponse

Les personnes répondant doivent se connecter à leur compte Google

الملحق رقم (05): تكييف تطبيق فاير لمصقاته مع المناسبات الجزائرية.



الملحق رقم (06): الصفحة الخاصة بالتراث الجزائري على موقع التراث العالمي World Heritage Site.

The screenshot shows the 'World Heritage Site for World Heritage Travellers' website. The header features a red navigation bar with links: The List, Tentative, Maps, Community, Top Lists, Connections, and About. The main content area is titled 'Algeria' with a 3.7 star rating. It includes a discussion section with no topics yet, a blog section with no tips yet, and a list of relevant websites and news articles. A small image of the Algerian flag is displayed. Below the flag, there are statistics: 7 Sites, 3.7 Rating, 6 TWHS, 3 Former TWHS, 6 WHC Member, and 24 Reviews. The page also mentions 'Countries ='. Below this, there is a section for 'Al Qal'a of Beni Hammad' with a 5-star rating. It describes the site as an archaeological site, the first capital of the Hammadid empire, founded in 1007 and destroyed in 1152. It mentions the Qal'a (Fortress) is located at more than 1,000m altitude. The town includes a 7 km-long line of walls, four residential complexes, and the largest mosque built in Algeria after that of Mansurah. The remains of the emir's palace, known as Dal al-Bahr, include three separate residences separated by gardens and pavilions. A small image of the fortress is shown. The page is distributed under the GNU Free Documentation License.

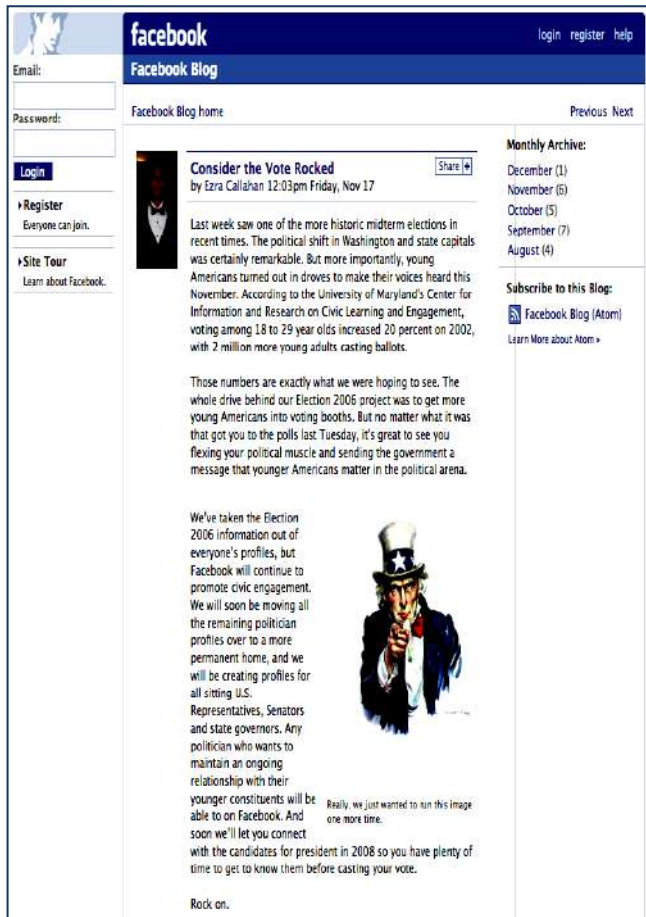
الملحق رقم (07): واجهة صفحة Algeria.com.

The screenshot shows the 'Algeria.com' website. The header features a red navigation bar with links: Add My Business, Inquire About This Domain, City Guide, Regions, Things To Do, What To See, Culture, Travel, Business, and Blog. There is a search bar with the text 'SEARCH' and a magnifying glass icon. Below the header, there is a large image showing a collage of Algerian landscapes and architecture. The footer contains links: Home, About Us, Add My Business, Advertising, Contact Us, Privacy, and Use Policy. It also includes a copyright notice: © Copyright 1995-2022 Algeria.com. All rights reserved.

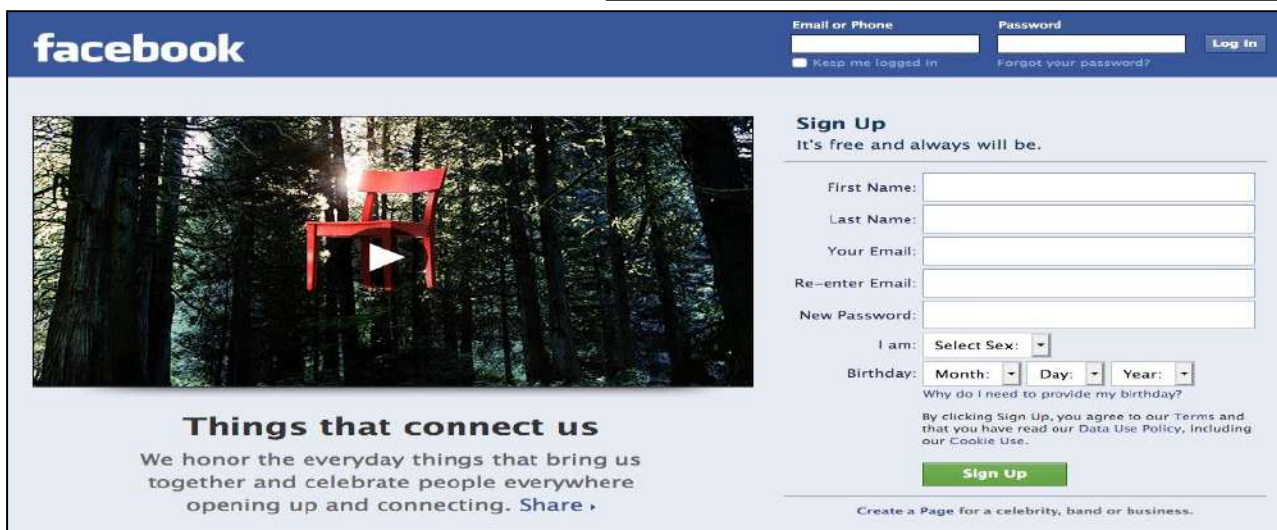
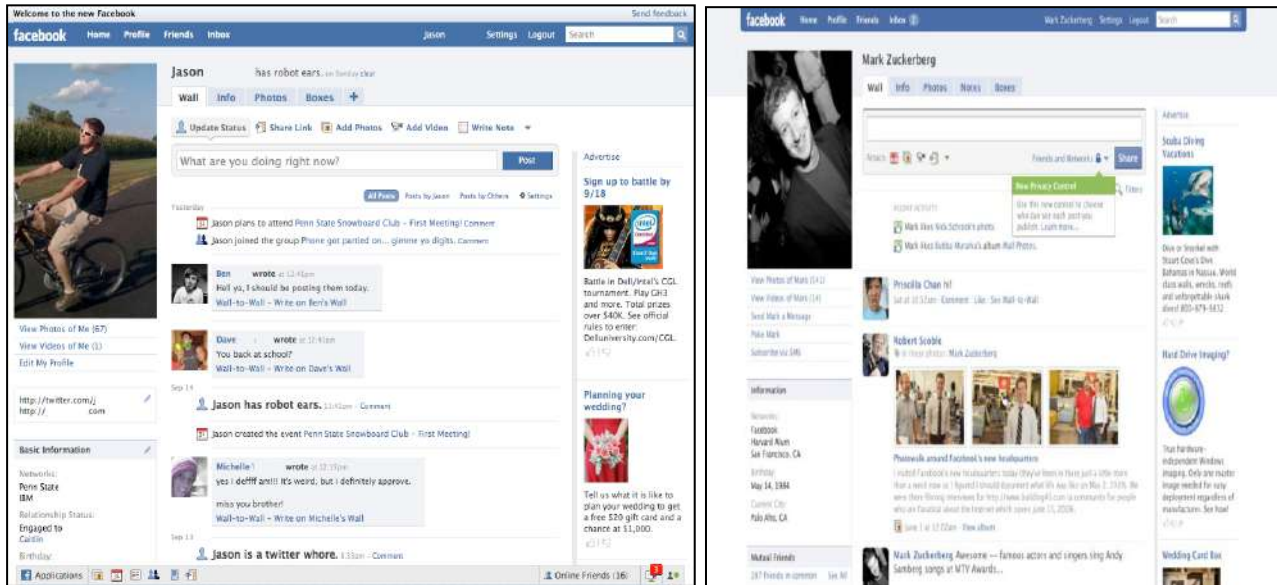
الملحق رقم (08): نماذج من الجولات الافتراضية التي توفرها قوقل للثقافة والفنون.

The screenshot shows a virtual tour titled 'Once Upon a Time in the Alhambra...'. The background is a detailed image of the Alhambra's interior architecture. The text reads: 'Visit the Spanish fortress where Arabic and European history meet'. There is a 'View' button in the center.

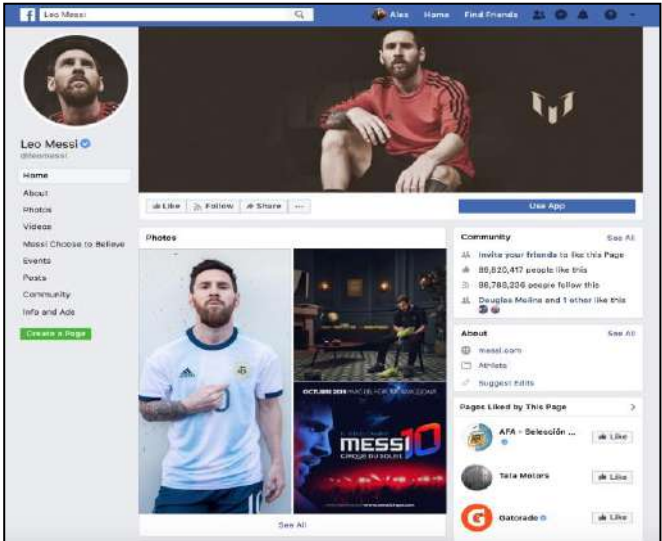
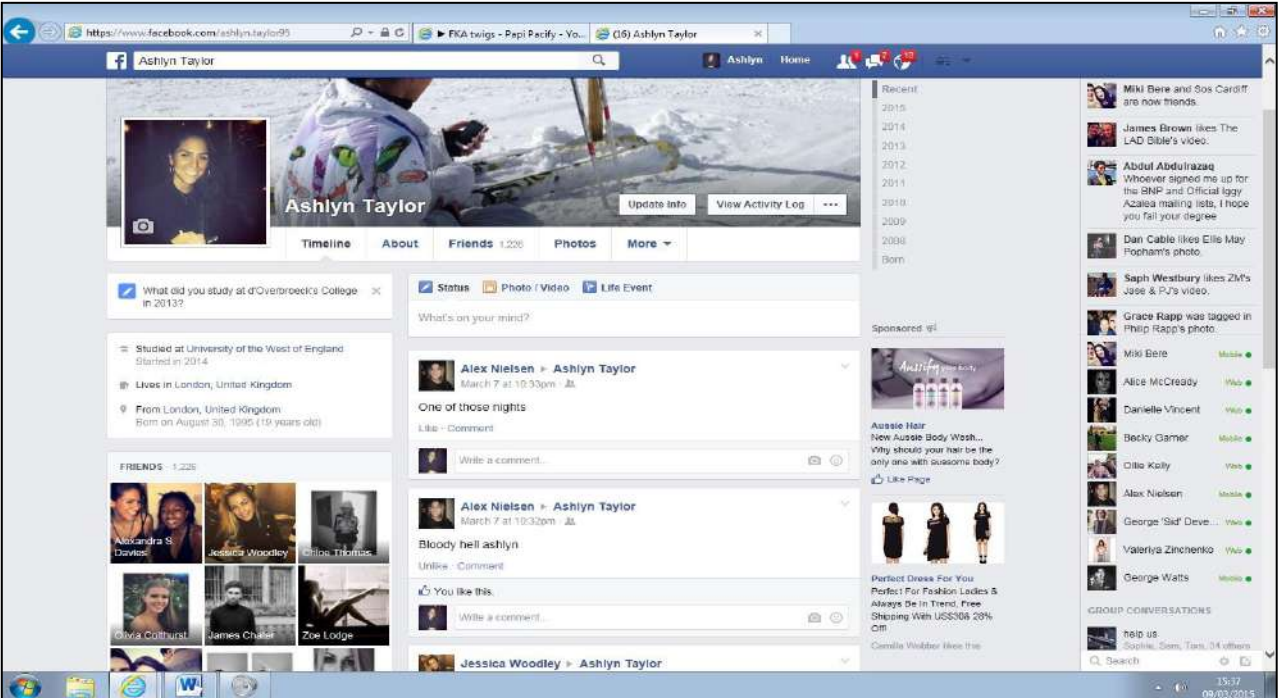
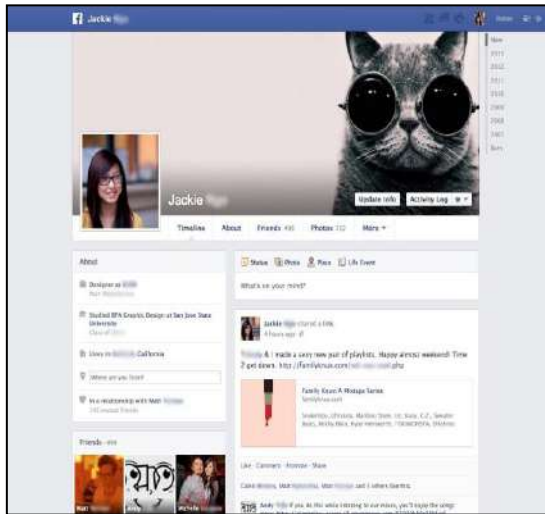
الملاحق رقم (09): تطور تصميم واجهة الحسابات الشخصية وصفحات موقع فيسبوك بين سنتي 2004 و 2008.



الملاحق رقم (10): تطور تصميم واجهة الحسابات الشخصية وصفحات موقع فيسبوك بين سنتي 2009 و 2012.



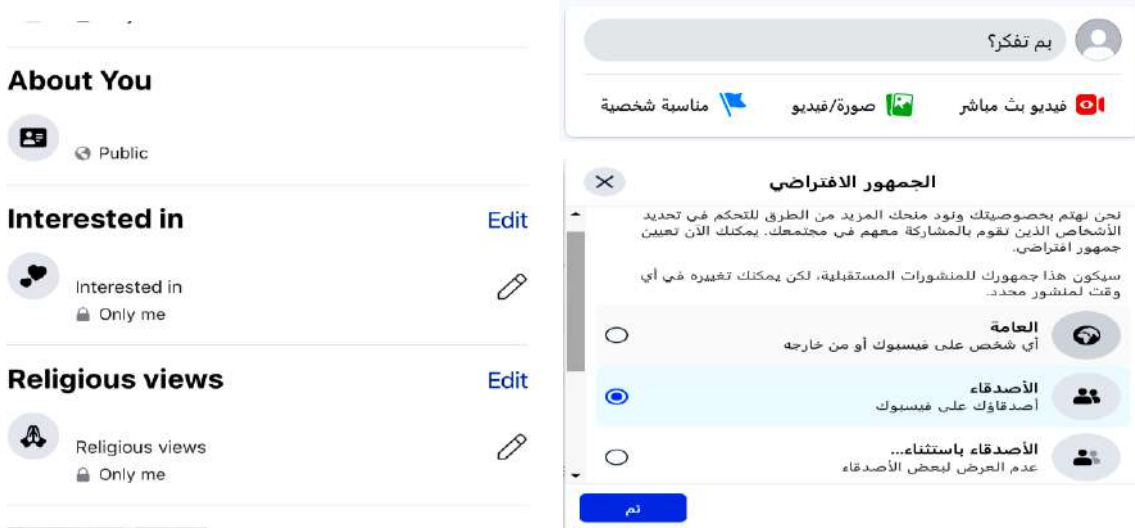
رقم (11): تطور تصميم واجهة الحسابات الشخصية وصفحات موقع فيسبوك بين سنتي 2013 و 2020.



الملحق رقم (12): تصميم واجهة الحسابات الشخصية لسنة 2023.



الملحق رقم (13): أساليب عرض الذات عبر موقع فيسبوك.



الملحق رقم (15): إحدى تقنيات عرض الهوية الذاتية عبر موقع فيسبوك.



الملحق رقم (14): تخصيص الأفاتار حسب هوية المستخدم الجسدية.



الملحق رقم (16): نماذج من رسائل مستخدمات فيسبوك الموجهة إلى الصفحات.



الملحق رقم (17): العلاقة بين متغيري المستوى التعليمي وجنس المبحوثين.

المجموع	جنس المبحوث		المستويات التعليمية	
	أنثى	ذكر		
80	10	70	التكرار	المستوى التعليمي متوسط
100%	12.50%	87.50%	النسبة المئوية	
40	14	26	التكرار	المستوى التعليمي الثانوي
100%	35%	65%	النسبة المئوية	
482	261	221	التكرار	المستوى التعليمي الجامعي
100%	54.15%	45.85%	النسبة المئوية	
530	276	254	التكرار	المجموع
100%	52.08%	47.92%	النسبة المئوية	

الملحق رقم (18): نموذج من مظاهر "الحنين إلى الماضي" عبر استخدام موقع فيسبوك.



ملحق رقم (19): نموذج من المنشورات والتعليقات على صفحة "وجهني" عبر موقع فيسبوك.

وجهني - موقع التوجيه الجامعي الأول في الجزائر Post s

Most relevant ▾

Amine Touareg
واش نوه الفرق بين دراسة تخصص اعلام آلي بنظام lmd ولا ingénieur مهندس دولة، وايهما افضل ولماذا
Like Reply 3w

Raja Kawter
تحصلت على 15.30
فيزياء 15.50
رياضيات 17.50
هندسة كهربائية 17
بماذا تنصح
Like Reply 3w

Tatli Ilma
معلومات عن المدرسة العليا للاقتصاد الرقمي معدل 15.29
Like Reply 2w

بن كروم عبد الرحمن
متحصل على بكالوريا اجنبية خارج الوطن شعبية آداب وفلسفة بمع ل 13.74 بمادا تنصحني
Like Reply 1w

Éti Nae
انا متحصلة علا معدل 12.83 شعبة علوم تجريبية ومعدل موزون 13.55 ماذا يمكنك أن تنصحيني
Like Reply 2w

Zorig Adnan
تحصلت على 14.8 ماهي الخيارات المتاحة أمامي شعبة علوم تجريبية
14 علوم 18.5 رياضيات 15 فيزياء
Like Reply 3w

Beljazia Rabia
معلومات عن البيوتكنولوجيا
Like Reply 1w

Write a comment...

وجهني - موقع التوجيه الجامعي الأول في الجزائر Post s

July 20 at 4:50 PM · 🌐

مبارك عليكم بكالوريا 2023.
إذا كانت لديكم تساؤلات حول تخصصات البكالوريا، ضعوها في التعليقات مع اضافة المعدل المتحصل عليه.
#بكالوريا #baccalauréat #bac2023

الموقع الأول للتوجيه الجامعي في الجزائر
اختيار ممتاز ... مستقبلي واعد

11 reactions · 7 comments

Like Comment Share

Most relevant ▾

Amine Touareg
واش نوه الفرق بين دراسة تخصص اعلام آلي بنظام lmd ولا ingénieur مهندس دولة، وايهما افضل ولماذا
Like Reply 3w

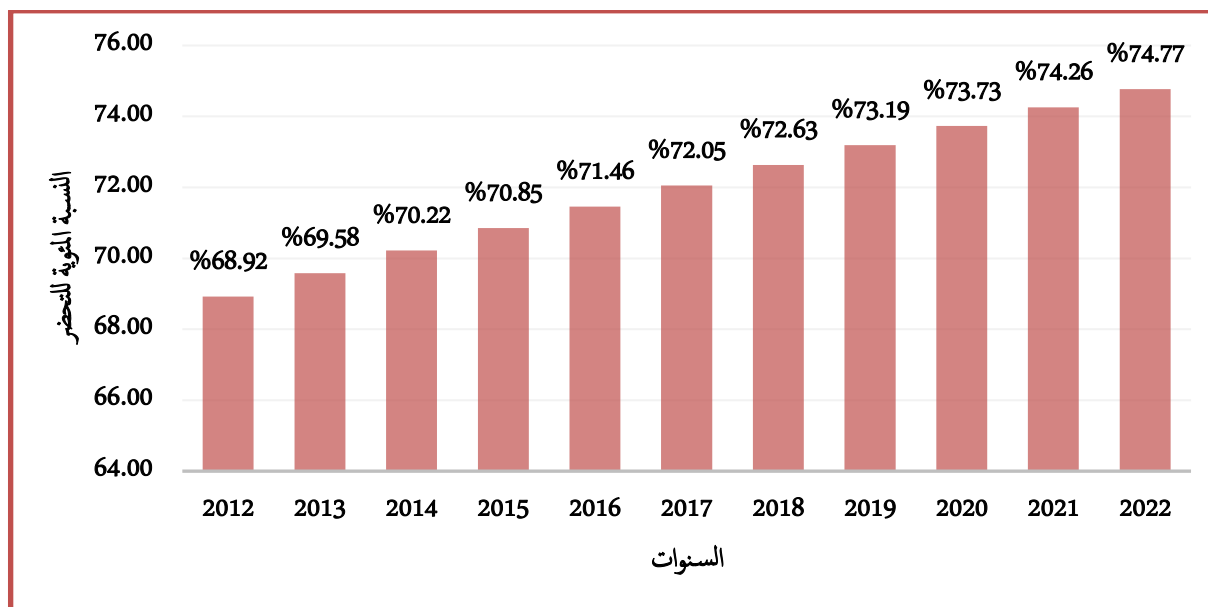
الملحق رقم (20): العلاقة بين متغيري الفئات العمرية للمبحوثين وحالتهم المدنية.

المجموع	الحالة المدنية للمبحوث			الفئات العمرية للمبحوثين	
	مطلق	متزوج	أعزب		
66	01	03	62	التكرار	من 14 إلى 23 سنة
%100	%01.52	%04.55	%93.94	النسبة المئوية	
284	30	58	223	التكرار	من 24 إلى 33 سنة
%100	%01.06	20.42	%78.52	النسبة المئوية	
130	07	77	46	التكرار	من 34 إلى 43 سنة
%100	%05.38	%59.23	%35.38	النسبة المئوية	
33	02	25	06	التكرار	من 44 إلى 53 سنة
%100	%06.06	%75.76	%18.18	النسبة المئوية	
17	0	14	03	التكرار	من 54 إلى 63 سنة
%100	\	%82.35	%17.65	النسبة المئوية	
530	13	177	340	التكرار	المجموع
%100	%02.45	%33.40	%64.15	النسبة المئوية	

الملحق رقم (21): توزيع عينة الدراسة حسب متغير بلد إقامة (للجزائريين المقيمين خارج الجزائر) المبحوثين.

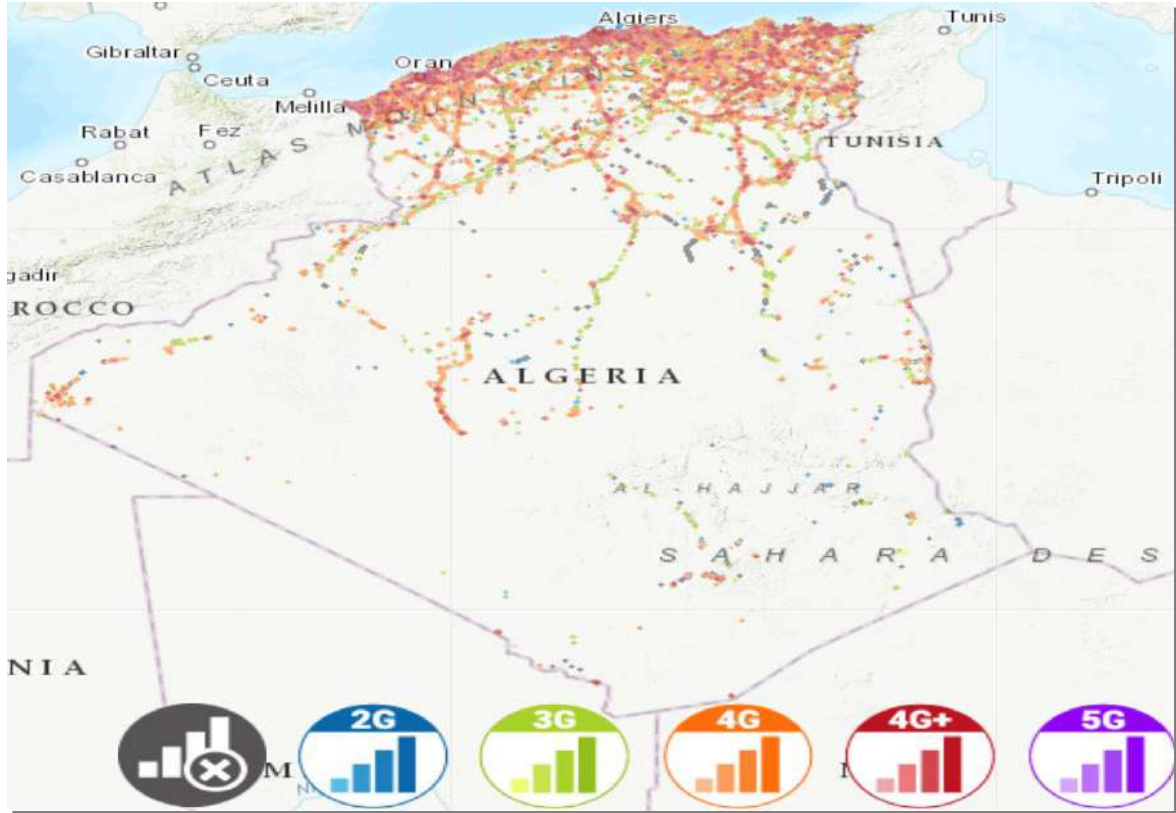
النسبة	التكرار	الدول التي يقيم بها المبحوث	البلد الذي يتواجد فيه المبحوث
%95,47	506	الجزائر	البلد الأم
%04.53	24	مصر	البلدان العربية
		قطر	
		الأردن	
		الإمارات العربية المتحدة	
		بولندا	البلدان الأجنبية
		فرنسا	
		إيطاليا	
		فنلندا	
		إنجلترا	
		إسبانيا	
%100	530	المجموع	

الملحق رقم (22): تطور نسبة التحضر في الجزائر بين سنتي 2012 إلى 2022.



المصدر: من إعداد الباحثة بناءً على: Aaron O'Neill, "Algeria: Urbanization from 2012 to 2022", **Statista**, Published: 08-08-2023, accessed: 16-08-2023, at: 20:31, URL: <https://www.statista.com/statistics/455775/urbanization-in-algeria/>.

الملحق رقم (23): خارطة التغطية بشبكة الإنترنت اللاسلكية في الجزائر (متعامل موبيليس).

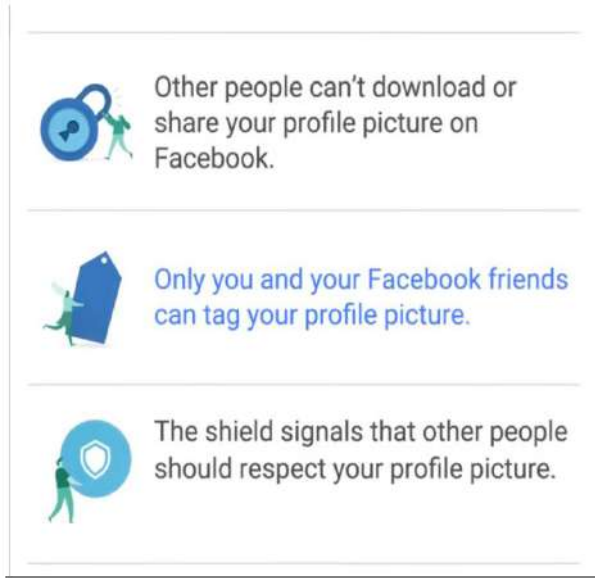


المصدر: nPerf, "Mobilis ATM 3G / 4G / 5G coverage map, Algeria", nPerf, accessed: 17-08-2023, at: 11:53, URL: <https://www.nperf.com/en/map/DZ/2507480.Algiers/18787.Mobilis-ATM/signal/>.

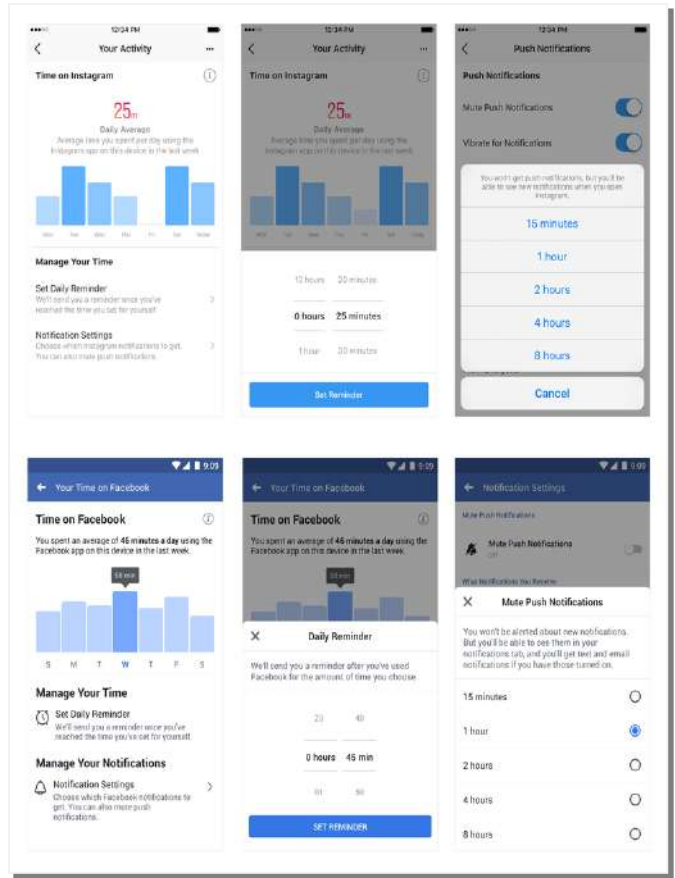
الملحق رقم (24): خصائص المستجوبين الذين تمت مقابلتهم فعلياً وافترضياً.

رقم المبحوث	السن	الجنس	المستوى التعليمي	الحالة المدنية
01	34	أنثى	جامعي	عزباء
02	38	ذكر	جامعي	مطلق
03	40	ذكر	جامعي	متزوج
04	29	ذكر	جامعي	أعزب
05	16	أنثى	ثانوي	عزباء
06	31	ذكر	جامعي	أعزب
07	35	أنثى	جامعي	عزباء
08	30	ذكر	متوسط	أعزب
09	32	ذكر	جامعي	متزوج
10	27	ذكر	جامعي	أعزب

الملحق رقم (26): أداة موقع فيسبوك لحماية صورة الحساب الشخصية.



الملحق رقم (25): أداة موقع فيسبوك للتسيير الوقت المستغرق في استخدامه.



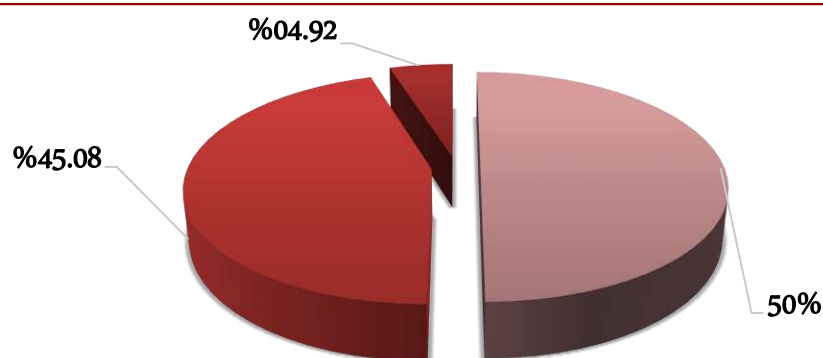
الملحق رقم (27): علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين بمبررات اطلاعهم على المضامين اللاأخلاقية.

المجموع	مبررات اطلاع المبحوث على المضامين اللاأخلاقية عبر فيسبوك				الانتماء الهوياتي الديني للمبحوث	
	الافضل بعد مرورها التلقائي	حرية شخصية	لأنها ثقافة عالمية	الإيمان عليها		
405	23	17	09	14	التكرار	وجود انتماء
%100	%36.51	%26.98	%14.29	%22.22	النسبة المئوية	هوياتي ديني
125	04	11	06	03	التكرار	عدم وجود انتماء
%100	%16.67	%45.83	%25	%12.50	النسبة المئوية	هوياتي ديني
530	27	28	15	17	التكرار	المجموع
%100	%31.03	%32.18	%17.24	%19.54	النسبة المئوية	

الملحق رقم (28): علاقة الانتماء الهوياتي الديني للمبحوثين بتقييمهم لمدى التزامهم بالقيم الأخلاقية الدينية.

المجموع	تقييم المبحوثين لمدى التزامهم بالقيم الأخلاقية الدينية				الانتماء الهوياتي الديني للمبحوث	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما		
405	20	70	141	255	التكرار	وجود انتماء هوياتي ديني
%100	%0.49	%01.73	%34.81	%62.96	النسبة المئوية	
125	03	02	53	67	التكرار	عدم وجود انتماء هوياتي ديني
%100	%02.40	%01.60	%42.40	%53	النسبة المئوية	
530	05	09	194	322	التكرار	المجموع
%100	%0.94	%01.70	%36.60	%60.75	النسبة المئوية	

الملحق رقم (29): توزيع عينة الدراسة حسب تبريرهم لاعتبارهم موقع فيسبوك كمصدر للثقافة الإسلامية.



- الفيسبوك مصدر سهل وسريع للوصول إلى المعلومة الدينية
- تتابع شيوخا وأئمة وأشخاصا تثق في معرفتهم الدينية
- تتابع صفحات المؤسسات الدينية ودور الفتوى

الملحق رقم (30): نموذج عن المنشورات المضادة للمضامين الدينية الإسلامية الخاطئة.

صفحة الاحاديث النبوية الشريفة
August 11, 2016

سلسلة احاديث منتشرة لا تصح

حديث لا يصح

✖

الله لا ينظر إلى لصف الأعوج (

(سنن أبي داود)

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا ينظر الله إلى لصف الأعوج (الرجل المشوكة) " .

- صحيح مسلم -

حديث لا يصح

✖

ما غير الأسماء " ما غير وعبد "

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما غير الأسماء " .

- صحيح مسلم -

سلسلة احاديث منتشرة لا تصح

حديث لا يصح

✖

عن قوم لا ناكل حتى ع . وإذا اكنا لا نشبع)

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا ناكل حتى نشبع " .

- صحيح مسلم -

حديث لا يصح

✖

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا ينظر الله إلى لصف الأعوج (الرجل المشوكة) " .

- صحيح مسلم -

الملحق رقم (31): الصفحات التبشيرية الممولة والمستهدفة للجزائريين على موقع فيسبوك.

AlgerienChrétien Sponsored

سيرة حياة السيد المسيح برواية الانجيل الشريف

السيد المسيح قسم التاريخ لقسمين قبل وبعد ميلاده. حياته ومعجزاته كانت مسار تعجب كل من عاصروه وخلقوه ومن تنبأ عنه. اكتشف بنفسك سر رسالة السيد المسيح شاهد وانرك لروحك المساحة لكي تفكر فيما يطرحه عقلك من تساؤلات

#حياة_السيد_المسيح



Messenger

سيرة حياة السيد المسيح برواية الانجيل الشريف

Send message

5K 5K 304

اجوبة الله على اسئلة الناس Sponsored

لا يوجد قلب في العالم حنون كقلب المسيح، وكل من لا يسكن في ذلك الوطن فهو لا زال مُعْتَرِب. تأملوا معنا #الحادثة المؤثرة #للألم التي #مات #ابنها الوحيد وهي ارملة، حينما رآها المسيح تكي امام نعش ابنها الميت والناس...

See More



MESSAGE ON FACEBOOK

اجوبة الله على اسئلة الناس

Education Website

Send Message

Pure Heart of the Middle East Sponsored

تهدة العاصفة

#فتعجب الناس قائلين: «أج #إنسان هذا؟ قائل #أناياح #والبحر جميعا #تطيفة



منى ٨

Messenger

تهدة العاصفة

SEND MESSAGE

1.6K 1K 280 200

Most relevant

Berna Maayah
امين يا رب
on Mon Like Reply

Rosette Kyarimpa
Amen thank you Lord Jesus

Write a comment...

غداً أجمل Sponsored

قصة حب بين الخالق و خالقه
رسالة الإنجيل هي رسالة حب



2K 2K 714 90

مبادئ الحياة الروحية Sponsored

*في المسيحية في عيني الله قيمة المرأة تساوي قيمة الرجل سواء هنا في هذه الدنيا أو في ملكوت السموات بعد الموت.
*لو لديك أي سؤال في منهج مبادئ الحياة الروحية أرسل لنا رسالة ...

See More



Dr/Mina Kamel

MESSAGE ON FACEBOOK

البنات في المسيحية لها نفس قيمة الولد

Send Message

302 302 125 181

قائمة الملاحق

الملحق رقم (32): علاقة امتلاك المبحوث لأصدقاء من غير الدين الإسلامي بتقييمهم مدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية.

المجموع	تقييم المبحوثين مدى التزامهم بأداء الفرائض الدينية				امتلاك المبحوث لأصدقاء من غير الدين الإسلامي	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما		
216	05	09	32	170	التكرار	يملك
%100	%02.31	%04.17	%14.81	%78.70	النسبة المئوية	
314	00	00	25	289	التكرار	لا يملك
%100	/	/	%07.96	%92.04	النسبة المئوية	
530	05	09	57	459	التكرار	المجموع
%100	%0.94	%01.70	%10.75	%86.60	النسبة المئوية	

الملحق رقم (33): علاقة عدد الحسابات التي يملكها المبحوثون بتلقيهم لإشعارات روابط لمواقع تدعو لأديان أخرى من طرف فيسبوك.

المجموع	تلقي المبحوث لإشعارات روابط لمواقع تدعو لأديان أخرى من طرف فيسبوك		عدد الحسابات التي يملكها المبحوث	
	لا يتلقى إشعارات	يتلقى إشعارات		
356	198	158	التكرار	حساب واحد
%100	%55.62	%44.38	النسبة المئوية	
174	74	100	التكرار	أكثر من حساب
%100	%42.53	%57.47	النسبة المئوية	
530	272	258	التكرار	المجموع
%100	%51.32	%48.68	النسبة المئوية	

الملحق رقم (34): تهنئة موقع فيسبوك للمستخدمين المسلمين بمناسبة عيد الأضحى المبارك.



عيد مبارك

يهنئ فريق فيسبوك المسلمين في جميع أنحاء العالم بمناسبة عيد الأضحى ويقدر حرصهم على أعمال الخير والتضحية التي تقرب المسافات بين الجميع.

الملحق رقم (35): علاقة بلد إقامة المبحوثين بامتلاكهم لأصدقاء من غير الدين الإسلامي.

المجموع	امتلاك المبحوث لأصدقاء من غير الدين الإسلامي		بلد إقامة المبحوثين	
	لا يمتلك	يمتلك		
506	310	196	التكرار	الإقامة بالجزائر
%100	%61.26	%38.74	النسبة المئوية	
24	4	20	التكرار	الإقامة خارج الجزائر
%100	%16.67	%83.33	النسبة المئوية	
530	314	216	التكرار	المجموع
%100	%59.25	%40.75	النسبة المئوية	

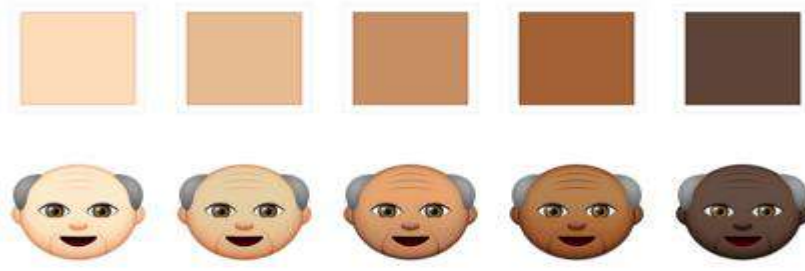
الملحق رقم (36): علاقة استخدام المبحوثين للدارجة الجزائرية في الحياة اليومية على فيسبوك بامتلاكهم لأصدقاء من غير الدين الإسلامي.

المجموع	امتلاك المبحوث لأصدقاء من غير الدين الإسلامي		استخدام المبحوث للدارجة الجزائرية في الحياة اليومية على الفيسبوك	
	لا يمتلك	يمتلك		
394	251	143	التكرار	يستخدمها
%100	%63.71	%36.29	النسبة المئوية	
136	63	73	التكرار	لا يستخدمها
%100	%46.32	%53.68	النسبة المئوية	
530	314	216	التكرار	المجموع
%100	%59.25	%40.75	النسبة المئوية	

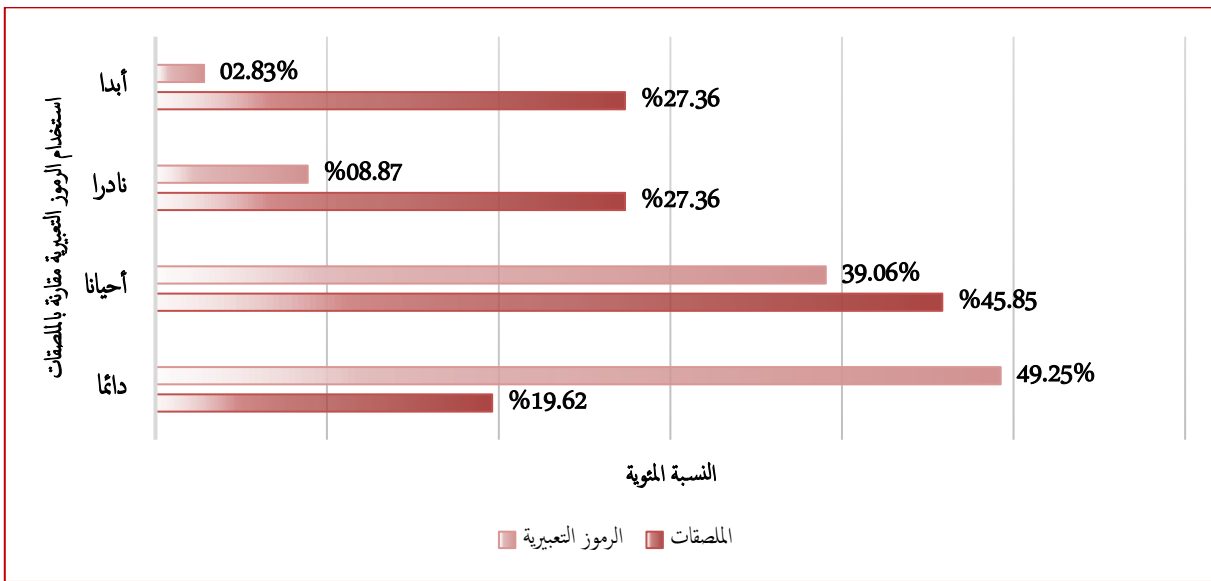
الملحق رقم (37): أكثر البلدان العربية استخداماً للرموز التعبيرية عبر فيسبوك.



الملحق رقم (38): ملائمة الرموز التعبيرية للاختلافات العرقية للمستخدمين من خلال معدلات لون البشرة.



الملحق رقم (39): توزيع عينة الدراسة حسب المقارنة بين استخدامهم للرموز التعبيرية واستخدامهم للملصقات.



الملحق رقم (40): الخصوصية الثقافية الجزائرية المضافة على لعبة الميمات.



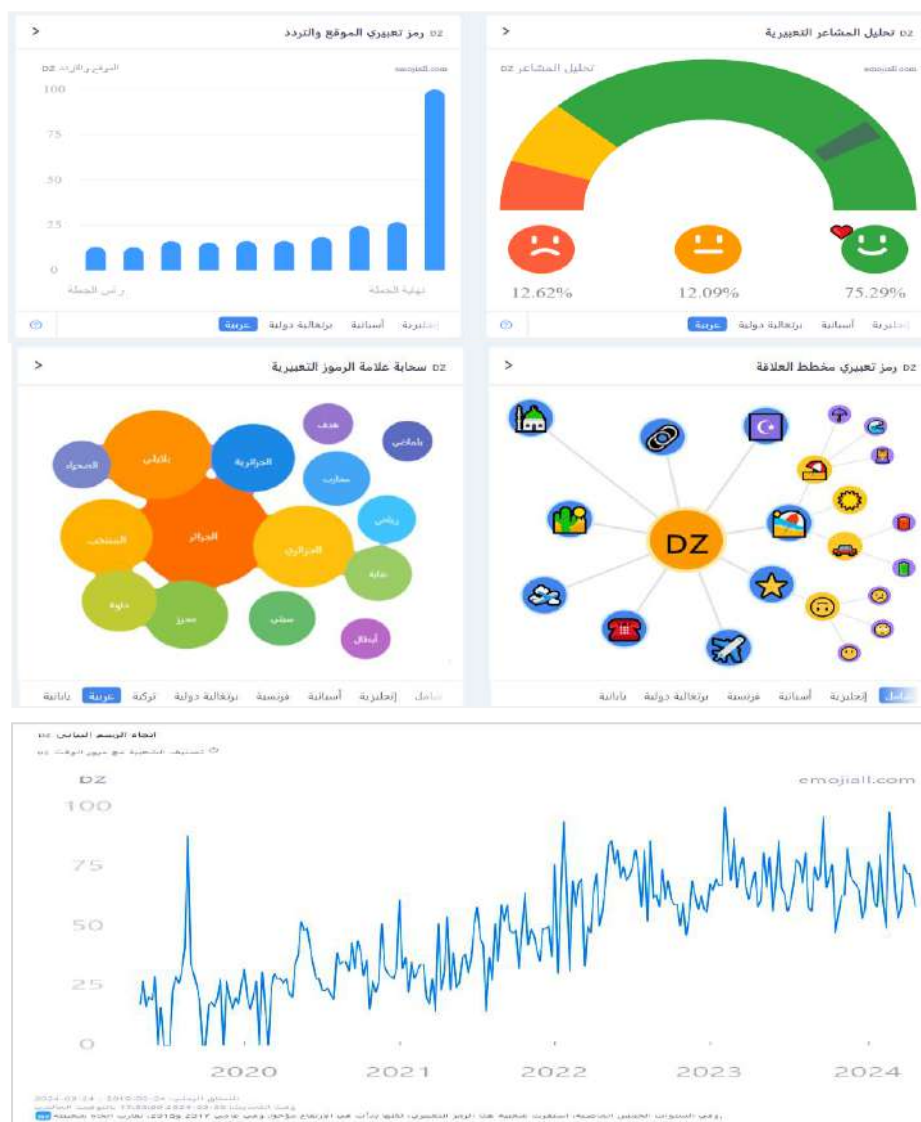
الملحق رقم (41): نماذج من التفاعل الافتراضي مع المناسبات والأعياد الوطنية الجزائرية.



الملحق رقم (42): اقتراحات موقع فيسبوك عند البحث عن كلمة "جزائريون" و "الجزائريون".



الملحق رقم (43): تحليل المشاعر التعبيرية ومدى استخدام الرمز التعبيري للعلم الوطني الجزائري.



الملحق رقم (44): علاقة استخدام المبحوث التزيفت عبر فيسبوك بنشره لصور ومعلومات حول المناسبات الوطنية عبره.

المجموع	نشر المبحوث لصور ومعلومات حول المناسبة الوطنية				استخدام المبحوث للترقيقت عبر فيسبوك	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما		
12	03	02	03	04	التكرار	دائما
%100	25.00	16.67	%25	%33.33	النسبة المتوىة	
40	06	08	15	11	التكرار	أحيانا
%100	%15	%20	%37.50	%27.50	النسبة المتوىة	
20	07	01	07	05	التكرار	نادرا
%100	%35	%05	%35	%25	النسبة المتوىة	
21	09	06	03	03	التكرار	أبدا
%100	%42.86	%28.57	%14.29	%14.29	النسبة المتوىة	
93	25	17	28	23	التكرار	المجموع
%100	%26.88	%18.28	%30.11	%24.73	النسبة المتوىة	

قائمة الملاحق

الملحق رقم (45): علاقة متابعة المبحوثين لشخصيات مؤثرة مؤيدة للنظام السياسي الجزائري عبر فيسبوك بتصحيحهم معلومات خاطئة حول تاريخ المناسبة الوطنية.

المجموع	قيام المبحوث بتصحيح معلومات خاطئة حول تاريخ المناسبة				متابعة المبحوث لشخصيات مؤثرة مؤيدة للنظام السياسي الجزائري عبر فيسبوك	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	يتابعها
147	20	23	65	39	التكرار	لا يتابعها
%100	%13.61	%15.65	%44.22	%26.53	النسبة المئوية	
383	148	95	97	43	التكرار	لا يتابعها
%100	%38.64	%24.80	%25.33	%11.23	النسبة المئوية	
530	168	118	162	82	التكرار	المجموع
%100	%31.70	%22.26	%30.57	%15.47	النسبة المئوية	

الملحق رقم (46): علاقة متابعة المبحوثين للصفحات الرسمية للأحزاب السياسية الجزائرية عبر فيسبوك بنشرهم لصور ومعلومات حول المناسبات الوطنية.

المجموع	نشر المبحوث لصور ومعلومات حول المناسبة الوطنية				متابعة المبحوث للصفحات الرسمية للأحزاب السياسية الجزائرية عبر فيسبوك	
	أبدا	نادرا	أحيانا	دائما	التكرار	يتابعها
85	07	11	35	32	التكرار	لا يتابعها
%100	%08.24	%12.94	%41.18	%37.65	النسبة المئوية	
445	115	87	164	79	التكرار	لا يتابعها
%100	%25.84	%19.55	%36.85	%17.75	النسبة المئوية	
530	122	98	199	111	التكرار	المجموع
%100	%23.02	%18.49	%37.55	%20.94	النسبة المئوية	

الملحق رقم (47): تفاعل بعض الأحزاب السياسية مع المناسبات الوطنية الجزائرية عبر فيسبوك.



الملحق رقم (48): علاقة اعتبار المبحوثين لهويتهم على فيسبوك امتدادا لهويتهم الفعلية بمساهمتهم في النشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك.

المجموع	مساهمة المبحوث سواء عبر صفحته الخاصة، المجموعات أو التعليقات بالنشر والترويج للثقافة الجزائرية عبر فيسبوك.		اعتبار المبحوث لهويته على فيسبوك امتدادا لهويته الفعلية	
	سبق وأن ساهم	لم يسبق وأن ساهم	التكرار	يعتبرها امتدادا
381	177	204	النسبة المئوية	لا يعتبرها امتدادا
%100	%46.46	%53.54	التكرار	
149	101	48	النسبة المئوية	المجموع
%100	%67.79	%32.21	التكرار	
530	278	252	النسبة المئوية	
%100	%52.45	%47.55		

الملحق رقم (49): علاقة مساهمة فيسبوك في نقل عادات وتقاليد الولايات الجزائرية الأخرى إلى المبحوثين بنقلهم لسمات ثقافية جزائرية إلى أصدقائهم الأجانب عبر فيسبوك.

المجموع	نقل المبحوث لسمات ثقافية جزائرية إلى أصدقائه الأجانب عبر فيسبوك		مساهمة فيسبوك في نقل عادات وتقاليد الولايات الجزائرية الأخرى إلى المبحوث.	
	سبق وأن ساهم	لم يسبق وأن ساهم	التكرار	ساهم
283	110	173	النسبة المئوية	لم يساهم
%100	%38.87	%61.13	التكرار	
42	30	12	النسبة المئوية	المجموع
%100	%71.43	%28.57	التكرار	
325	140	185	النسبة المئوية	
%100	%43.08	%56.92		

الملحق رقم (50): علاقة الانتماء الهوياتي التاريخي للمبحوثين بتعريفهم بمنطقة أو معلم سياحي جزائري في صفحات ومجموعات أجنبية عبر فيسبوك.

المجموع	تعريف المبحوث بمنطقة أو معلم سياحي جزائري في صفحات ومجموعات أجنبية عبر فيسبوك.		الانتماء الهوياتي التاريخي للمبحوث	
	سبق وأن عرّف بها	لم يسبق وأن عرّف بها	التكرار	وجود انتماء هوياتي تاريخي
279	163	116	النسبة المئوية	عدم وجود انتماء هوياتي تاريخي
%100	%58.42	%41.58	التكرار	
251	173	78	النسبة المئوية	المجموع
%100	%68.92	%31.08	التكرار	
530	336	194	النسبة المئوية	
%100	%63.40	%36.60		